التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة البقرة

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الثالث

الناشر

مكتبة الهدى

ميت غمر / هاتف ٠٥٠/٩٠٩٢٢٩

مصطفى العدوي

التسهيل

سورة البقرة

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة الفاتحة وأول سورة البقرة حتى آية «٦٦»

الجزء الأول

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل
لتأويل التنزيل

الطبعـــة الأولـى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] ، وبعد :

فمن نعم الله سبحانه وتعالى علينا وعظيم إحسانه ، وجزيل عطائه وجميل امتنانه ؛ أن وفقنا لخدمة كتابه وبيان معانيه وإيضاح المجمل فيه ، والبحث عن أقوال أهل العلم في ذلك وفي تفسيره واستنباط أحكامه والوقوف على

محكمه ومتشابهه ومجمله ومفصله وناسخه ومنسوخه ، فللّه الحمد على ذلك كله حمدًا يرضيه آناء الليل وأطراف النهار وفي الأولى والآخرة .

وله الحمد سبحانه عدد ما برأ وخلق وذرأ على ما من به من توفيق لخدمة سنة نبينا محمد ﷺ وتنقيتها مما شابها واعتراها من الضعيف والسقيم والموضوع .

فلا هدي أكمل ولا أجمل من الاهتداء بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذا وذاك خير هدي وأكمل هدي ، وهذا وذاك نور على نور يهدي الله إليه من يشاء فللّه الحمد على هدايته ، ونسأله سبحانه المزيد من فضله كما نسأله سبحانه الإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب .

● هذا وبين أيدينا تفسير لكتاب الله عز وجل في صورة السؤال والجواب ابتدأناه بسورة الفاتحة ثم بسورة البقرة ، وكنت قبل قد أصدرت منه مجلدًا يحوي تفسير سورة آل عمران في سؤال وجواب تحت مسمى التسهيل لتأويل التنزيل قامت بنشره دار السنة للنشر والتوزيع بالخبر (بالمملكة العربية السعودية) والحمد لله كانت ثمرته طيبة ، والثناء عليه حسن من فضل الله ، وهذا مما شجعني على المُضي قُدمًا لإتمام هذا العمل الجليل ، نسأل الله العون على إتمامه ، وكان سبب إقدامي على إصدار تفسير آل عمران قبل سورة البقرة هو ما تحتاجه سورة البقرة من جهدٍ مُضْنٍ للوقوف على خلاصة أقوال أهل العلم في المسائل الفقهية التي امتلأت بها سورة البقرة (من نكاح وطلاق وحج وبيوع وصيام وصلاة وزكاة وأيمان ونذور وسحر وحسد و ...) وإبراز هذه الخلاصة في صورة جوابٍ مُركزٍ مختصر على سؤال مُركز حتى يستفيد القارىء من ذلك وتصل إليه المعلومة – بإذن الله – بأسلوب سهل مُيسر مشوق ، فنصل بالقارىء بإذن الله إلى حدٍّ

طيب من الإدراك لمعاني كتاب الله عز وجل والوقوف على مراد الرب عز وجل من الآيات – والله أعلم بمراده – فقد أمرنا الله بتدبر آيات كتابه واستنباط المعاني والأحكام منه كما قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] ، وكما قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [النساء : ٨٢] ، وكما قال تعالى : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ..** ﴾ [النساء : ٨٣] .

فنرجو الله عز وجل أن نكون من المصطفين الأخيار ، ومن الخيِّرين الذين وصفهم رسول الله ﷺ بقوله : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وقال فيهم : « **من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** » .

وطريقة السؤال والجواب – كما قدمنا في آل عمران – طريقة تُجسد المعلومة وتشحذ الهمم لمعرفة الجواب وتحرك ملكة التفكر والتدبر لآيات الكتاب بإذن الله وهي طريقة أصلها ثابت في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ ، فقد طُرحت أسئلة في كتاب الله وأُجيب عليها ، وقد سأل رسول الله أصحابه جملة أسئلة وأجابوه عليها وأجاب هو على البعض الآخر ، كما وضحت ذلك في مقدمة آل عمران وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله تعالى في المقدمة العامة لهذا العمل والتي آثرت إرجاءها إلى الانتهاء منه حتى تكون مقدمة موسعة لأبواب التفسير بصفة عامة إن شاء الله .

● هذا وقد أوضحت أيضًا في مقدمة آل عمران الطريقة العامة التي اتبعتها في هذا العمل وحاصلها أنها تتمثل في لزوم طريقة أهل السنة والجماعة في التفسير والسير على الخطوط العامة لهم من تفسير القرآن بالقرآن وسنة رسول الله ﷺ ثم بالآثار الواردة عن السلف الصالح رحمهم الله تعالى من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبما تقتضيه لغة العرب التي نزل بها القرآن

الكريم فقد نزل بلسان عربي مبين .

● وأيضًا ابتعدت عن الإسرائيليات قدر الاستطاعة .

● واجتهدت في إيضاح معاني الجمل والكلمات والمفردات مع جمع الروايات في الباب الواحد وإيراد الأبحاث المتعلقة بالآيات .

●وأيضًا راعيت الاقتصار على ما صح من أسباب النزول .

● وأعرضت عن قضايا كثيرة يثيرها عدد من المفسرين لا برهان لهم عليها ولا طائل تحت إثارتها اللهم إلا إضاعة الوقت وتبديد الجهد ثم حرصت بفضل الله على البعد عن طرق أهل الكلام والجدل من المفسرين ، وهذا لا يمنع أن أستفيد منهم أحيانًا في موطنٍ أصابوا فيه واتبعوا فيه الدليل من الكتاب والسنة ووفقوا فيه لطريقة أهل السنة والجماعة ، فالرسول ﷺ قال لأبي هريرة في شأن الشيطان : « **صدقك وهو كذوب** » وقال لأصحابه : « **لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد** » لما قال له اليهود : إن أصحابك يشركون ويندون ...

فالحق يقبل ممن جاء به ، لكن الغوص في كتب أهل الكلام منهج مذموم وسبيل لدينا غير مسلوك إن شاء الله .

أما بالنسبة لتخريج الأحاديث فأنا مقتصر في العزو على الصحيحين في الغالب إن كان الحديث فيهما وأحيانًا أوسع في التخريج بعض التوسع ، هذا إذا كان الحديث صحيحًا ، أما إذا كان الحديث ضعيفًا فإنني أُبيِّن سبب ضعفه وأشير إلى من أخرجه ، وذلك مني صادر بعد بحث وجهد حول الحديث ، ولكني لم أثبت كل بحثي وجهدي حول الحديث في حاشية هذا الكتاب فهو كتاب لا يتحمل ذلك ، ولكني وضعت خلاصة بحثي حول الحديث في الحاشية ، وذلك حتى لا يُثقل الكتاب بالحواشي .

• هذا وقد كان من ملاحظات بعض إخواني أنهم قالوا : نريد عزو الكلام إلى قائليه ، كذا قالوا ، وهذا مطلب يتحقق في كثير من الأحيان ولكن ثمَّ مواطن إذا لزمت ذلك فيها خرجت عن مقصودي الذي هو التسهيل لتأويل التنزيل ، وإيضاح ذلك أنني عند تفسير آية والنظر فيها أطلع على ما يفوق الأربعين تفسيرًا ، وفي كثير من الأحيان يطبقون على قول واحد ، فإذا نقلت أقوال الأربعين مُفسرًا أو عزوت إليهم امتلأ الكتاب بأرقام الصفحات وكذلك في كثير من الأحيان ينقل بعضهم من بعض فالشوكاني مثلًا في فتح القدير ينقل كثيرًا من القرطبي ، وصاحب فتح البيان (صديق حسن خان) ينقل من الشوكاني ، والقرطبي نفسه ينقل كثيرًا من أحكام القرآن لابن العربي وهكذا فلا معنى لأن أعزو إلى أربعتهم وإذ عزوت إلى أولهم فأولهم قال بقول شاركه فيه مثلًا عشرة من المفسرين فسيخرج ذلك بنا إلى ما لا نريده من الإطالة وتسويد الحواشي في وقت هدفنا فيه التيسير والتسهيل على عموم الأمة وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن ، وأن يجعله في موازين حسناتنا يوم نلقاه .

هذا : ومن لديه أي ملاحظة أو أي إرشاد أو تنبيه لشيء فجزاه الله خيرًا إن أفادنا به وجعل ذلك في ميزان حسناته . وإلى تفسير سورتي الفاتحة والبقرة والله المستعان .

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبـــه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية

منية سمنود

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

* * *

س : ما معنى الكلمات الآتية :

رب – العالمين – يوم الدين – نستعين – اهدنا – الصراط – المستقيم – المغضوب عليهم – الضآلين – آمين ؟

ج :

الكلمــة	معناهــا
رب	الرب هو المالك المتصرف .
العالمين	السماء والأرض وما بينهما (أو كل ما خلقه الله) .
يوم الدين	يوم الجزاء وهو يوم القيامة .
نستعين	نطلب العون .
اهدنا :	وفقنا - ألهمنا - ثبتنا .
الصراط	الطريق .
المستقيم	الذي لا اعوجاج فيه .
المغضوب عليهم	اليهود .
الضآلين	النصارى .
آمين	اللهم استجب وتقبل .

❋ ❋ ❋

س : سورة الفاتحة هل هي مكية أو مدنية وما هو الدليل على ذلك ؟

ج : سورة الفاتحة سورة مكية على الراجح من أقوال أهل العلم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر : ٨٧] وهذه في سورة الحجر ، وسورة الحجر مكية بالإجماع (نقل ذلك القرطبي) وقد فسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة(١) .

وكذلك كان فرض الصلاة بمكة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »(٢) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأسماء التي أطلقت على سورة الفاتحة ؟

ج : من هذه الأسماء : فاتحة الكتاب(٣) .

ومنها : أم الكتاب(٤) .

ومنها : أم القرآن(٥) .

ومنها : الحمد ، أو الحمد لله رب العالمين(٦) .

---

(١) وهو في الصحيح كما سيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٢) وهو في الصحيحين ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٣) وهذا لا خلاف فيه بين العلماء ؛ لأن الكتاب فُتح بها ، ولقول النبي ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله ولغير ذلك أيضًا .

(٤) وقد ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه .. ما رقيت إلا بأم الكتاب ، وسيأتي إن شاء الله . وهو في الصحيح .

(٥) وذلك لقول النبي ﷺ : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهو في الصحيح وسيأتي .

(٦) لقول أنس : صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين . وهو في الصحيحين وسيأتي .

ومنها : الصلاة[١].

ومنها : (السبع المثاني والقرآن العظيم)[٢].

ومنها : الرقية ؛ لأن أبا سعيد رَقى بها ، ومنها : الشافية ؛ لأن اللديغ شُفي بها بإذن الله ، إلى غير ذلك . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض ، اذكر باختصار ما يدل على ذلك[٣]. وكذلك هل يجوز تفضيل بعض الآيات على بعض ؟

ج : نعم يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض ؛ لقول النبي ﷺ لأبي سعيد بن المعلى : « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن » ، وأخبره النبي ﷺ بأنها الفاتحة[٤].

● ولقول النبي ﷺ عن سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن »[٥]، أما الآيات فكذلك أيضًا يجوز تفضيل بعضها على بعض ، فقد قال النبي ﷺ لأُبي بن كعب : « يا أبا المنذر ! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : ﴿ الله لا إلـٰه إلا

---

(١) للحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي .. » وهو في صحيح مسلم ، وسيأتي .

(٢) وذلك لما تقدم في (٣) .

(٣) والإطالة لها موطن آخر إن شاء الله .

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٧) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩ / ٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يرددها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها – فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » .

هو الحي القيوم ﴾[1] [البقرة : ٢٥٥] قال : فضرب في صدري ، وقال : « ليهنك[2] العلم أبا المنذر »[3].

❋ ❋ ❋

س : ظن بعض العلماء أن جبريل عليه السلام لم ينزل بالفاتحة إنما نزل بها ملك آخر غيره ، اذكر مستند القائلين بذلك وبيِّن مدى صحته ؟ ومدى سلامة هذا الاستدلال ؟

ج : مستند القائلين بذلك : حديث ابن عباس رضي الله عنهما : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلَّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته »[4].

وهو حديث حسن ، وهذا مستند القائلين بأن ملكًا نزل بها غير جبريل عليه السلام ، وفي هذا الاستدلال نظر ، فإن الملك نزل يبين فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، أما جبريل عليه السلام فقد نزل بالقرآن كله ، كما قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) يريد آية الكرسي (كما في الروايات الأُخر) .

(٢) أي : هنيئًا لك بالعلم يا أبا المنذر .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ٩٣/٦) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (٩١/٦ مع النووي) .

س : اذكر بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل سورة الفاتحة ؟

ج : من هذه الأحاديث الصحيحة : ما ذكره أبو سعيد بن المعلى رضي الله عنه ، قال : كنت أُصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أُجبه[1] فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ، فقال : « ألم يَقُلِ الله : ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ ؟ » [الأنفال : ٢٤] ثم قال لي : « لأعلمنك سورة هي أعظم السُّور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » ، ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال : « ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته »[2].

● ونحوه مختصرًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم »[3].

● ومنها : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليم ، وإن نفرنا غُيَّب فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل منا ما كنا نأبُنُهُ برقية فرقاه فبرأ ، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبنًا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تُحسن رقيةً أو كنت ترقي ؟ قال : لا ما رقيت إلا بأم الكتاب ، قلنا : لا تُحدثوا شيئًا حتى نأتي ، أو نسأل النبي ﷺ ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال : « وما كان يُدريه أنها رقية ؟ اقسموا واضربوا لي بسهمٍ »[4].

---

(١) في رواية للبخاري (٤٦٤٧) فدعاني فلم آته حتى صليت ، فقال : ما منعك أن تأتي ؟ ألم يقل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾ [الأنفال : ٢٤].

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) وفي عدة مواطن من صحيحه ، وأبو داود (حديث ٣٥١) ، والنسائي (١٣٩/٢) ، وغيرهم .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٠٧) ، ومسلم (مع النووي ١٨٧/١٤) ، وورد نحوه من =

● ومنها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال : **أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته** »(١).

● ومنها : قول النبي ﷺ : « **لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب** »(٢).

● ومنها : قول النبي ﷺ : « **إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، فقولوا : آمين ، فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه** »(٣).

● ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج (ثلاثًا) غير تمام »، فقيل

= حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري (٥٧٣٧) ، وفيه : أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماءٍ فيهم لديغ – أو سليم(١) – فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راقٍ ؟ إن في الماء(٢) رجلًا لديغًا أو سليمًا ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ(٣) فبرأ ، فجاء بالشاءِ إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرًا ، حتى قدموا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ، أخذ على كتاب الله أجرًا ، فقال رسول الله ﷺ : «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» .

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٩١/٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦) ، ومسلم (١٠٠/٤ مع النووي) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٥٩/٨) ، والنسائي (١٤٤/٢) ، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

---

(١) العرب تطلق على اللديغ سليمٌ تفاؤلًا بالشفاء .

(٢) أي : من أهل هذا المكان الذي به ماء .

(٣) أي : مقابل عدد من الشياه (وهي الغنم) .

لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام ، فقال : اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، قال مجَّدني عبدي ، وقال مرة : فوَّض إليَّ عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعين ﴾ ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل »(١).

***

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ بسم الله ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من قال : إن المعنى : أقرأ باسم الله ، أو أبتدىء قراءتي باسم الله .

● ومنهم من قال : ابتدائي القراءة باسم الله .

● ومنهم من قال : إن معنى (بسم الله) أي: بالله ، أي : بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه ، قاله القرطبي .

● ونقل عن بعض العلماء قولهم : إن معنى قوله : (بسم الله) يعني : بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته ، قال : وهذا تعليم من الله تعالى عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها ؛ حتى يكون الافتتاح ببركة الله عز وجل .

● وقال بعضهم : إن كلمة اسم زائدة واستشهدوا بقول لبيد بن ربيعة .

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/١٠١ - ١٠٢) .

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما .ّ. ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر[1]

والمعنى ، ثم السلام عليكم ، واسم زائدة .

لكن تعقب الطبري قول من قال هذا ووصفه بالفساد واختار في شرح بيت لبيد وجهين :

الوجه الأول : أن المراد بالسلام اسم من أسماء الله تعالى ، فمعنى قوله : (ثم اسم السلام عليكما) أي : ثم الزما اسم الله وذكره بعد الحول (وهو السنة) ودعا ذكري والبكاء عليَّ لأن من بكى سنة كاملة على شخصٍ فقد اعتذر (أي : أدى ما عليه إن كان عليه شيء ولا لوم عليه بعد ذلك) .

والوجه الثاني : في قوله : (ثم اسم السلام عليكما) أي : تسمية الله عليكما ، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه : (اسم الله عليك) يعوِّذه بذلك من السوء ، فكأنه قال ثم اسم السلام عليكما من السوء .

والله تعالى أعلم .

أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ بسم الله ﴾ فهذه بعض أقوال العلماء فيه.

قال الطبري رحمه الله : إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدَّب نبيه محمدًا ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدَّم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها ، وسبيلًا يتبعونه عليها فبه افتتاح أوائل منطقهم

---

(١) بيت الشعر للبيد بن ربيعة في قصيدة وجَّهها لابنتيه وفيها :

تمنى ابنتاي أن يعيشَ أبُوهُما ... وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضَر

ثم قال :

فقوما فقولا بالذي قد علمتما ... ولَا تخْمشا وجهًا ولا تحلقا شَعَرْ

وقولا : هو المرءُ الذي لا خليلَه ... أضاع ولا خان الصديقَ ولا غَدَرْ

وقال :

إلى الحَولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ... ومن يَبْكِ حولًا كاملًا فقد اعتذر

وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل : (بسم الله) على ما بطن من مراده الذي هو محذوف .

ونقل القرطبي رحمه الله عن العلماء : أن (بسم الله الرحمن الرحيم) قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة يقسم لعباده إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق ، وإني أَفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري ...

* * *

س : هل ثبت أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم ؟ وما هو وجه القائلين بذلك ؟

ج : لا أعلم دليلًا على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم ، لكن قد قال بذلك بعض أهل العلم ، ووجه قولهم يتمثل في الآتي :

أولًا : أنه اسم لله تبارك وتعالى لم يتسم به غيره، كما قال تعالى : ﴿ هل تعلم له سميًّا ﴾[1] [مريم : ٦٥] ولذلك لا يُثن ولا يجمع .

ثانيًا : أنه يوصف بجميع الصفات ، كما قال الله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلـٰه إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إلـٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى... ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

وكما قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا »[2].

---

(١) على أحد الوجوه للعلماء في تفسير الآية الكريمة .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (حديث ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة =

وقال تعالى : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم .. ﴾ [الأنعام : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : ٢٨] .

***

س : يُقال لمن قال : بسم الله مبسمل ، ويُطلق بعض العلماء على (بسم الله) البسملة ، وهي لغة مولدة ، اذكر شاهدها من الشعر وأمثلة أخرى لها ؟

ج : أما شاهدها من الشعر فما نقله القرطبي عن عمر بن ربيعة حيث قال :

لقد بَسْمَلَتْ ليلى غداةَ لقيتُها .. فيا حبذا ذاك الحبيبُ المبسمِلُ

ومن أمثلة اللغة المولدة **هلَّل** الرجل إذا قال : **لا إلٰـه إلا الله** وسبحل إذا قال : **سبحان الله** ، و**حمدل** إذا قال : **الحمد لله** ، و**حيفل** إذا قال : **حي على الفلاح** ، و**طبقل** إذا قال : **أطال الله بقاءك** .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ هل الرحمن والرحيم بمعنى واحد أم لهذا معنى ولهذا معنى آخر ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان فمنهم من يقول : الرحمن والرحيم بمعنى واحد ، لكن الجمهور على التفريق، وأن (الرحمٰن) خاص الاسم عام الفعل و (الرحيم) عام الاسم خاص الفعل ، بمعنى أن (الرحمن) مختص بالله عز وجل لا يجوز أن يسمى به غيره، كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا

= رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لله تسعة وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر » اللفظ لمسلم . وفي رواية : « من أحصاها دخل الجنة » .

الرحمٰن أيامًّا تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء : ١١٠] فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره ، وقال : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يُعبدون ﴾ [الزخرف : ٤٥] فأخبر أن الرحمٰن هو المستحق للعبادة عز وجل(١)، وقد تجاسر مسيلمة الكذاب – لعنه الله – فتسمى برحمان اليمامة ، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب فألزمه الله تعالى نعت الكذاب لذلك ، وإن كان كل كافر كاذبًا فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علمًا يُعرف به ألزمه الله إياه(٢) قاله القرطبي .

فالرحمن اسم خاص بالله سبحانه لا يشاركه فيه غيره ، وهو اسم عام في جميع أنواع الرحمة(٣).

---

(١) قاله القرطبي ، وكذا قال الذي بعده إلى قولنا قاله القرطبي .

(٢) وقال ابن كثير رحمه الله : ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمان اليمامة كساه الله جلباب الكذب، وشهر به فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب ، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر ، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب .

(٣) قال بعض العلماء : ولهذا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ثم استوى على العرش الرحمٰن ﴾ [الفرقان : ٥٩] وقال : ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] فذكر الاستواء باسمه الرحمٰن ليعم جميع خلقه برحمته ، والله أعلم .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : .... فربنا جل ثناؤه رحمٰن جميع خلقه في الدنيا والآخرة ، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ، فأما الذي عمَّ جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحمانًا لهم به ، فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه(١) كما قال جل ثناؤه : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم : ٣٤ ، والنحل : ١٨] . وأما في الآخرة فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحمانًا في تسويته بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه فلا يظلم أحدًا منهم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا وتوفى =

---

(١) وكان ذكر قبل ذلك : الإفضال والإحسان إلى جميعهم في البسط في الرزق ، وتسخير السحاب بالغيث ، وإخراج النبات من الأرض وصحة الأجسام والعقول ، وسائر النعم التي لا تحصى التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون .

أما (الرحيم) فهو اسم لله عز وجل ووصف أيضًا للمخلوقين ، قال الله تعالى عن نبيه محمدٍ ﷺ : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [براءة : ١٢٨] لكن (الرحيم) قال الجمهور : إنه خاص الفعل بمعنى أنه رحيم في جهة المؤمنين ، كما قال سبحانه : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] ، ورحمته بالمؤمنين تتمثل في أمور منها : اللطف بهم وهدايته إياهم ونحو ذلك .

ولا يعكر على هذا نحو قوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ ، وذلك لأن صورة الرحمة هنا تفارق صورتها في قوله تعالى : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] فإذا قلنا: إن المراد بالناس عموم الناس فصورة الرحمة - والله أعلم - تتمثل في تأنيه سبحانه بهم وعدم الاستعجال بإنزال العذاب عليهم، بل يستأني بهم ويفتح لهم باب التوبة ... والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض أسماء الله عز وجل التي لا يجوز أن يتسمى بها غير الله سبحانه وتعالى ، وبعض الأسماء التي يجوز أن يتسمى به غيره عز وجل ؟

ج : أما الأسماء التي لا يجوز أن يتسمى بها غير الله عز وجل فمنها: **الله**-

---

= كل نفس ما كسبت فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته الذي كان به رحمانًا في الآخرة ، وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته الذي كان به رحيمًا لهم فيها ، كما قال جل ذكره : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم فخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به، وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيمًا لهم دون الكافرين ، فما وصفنا آنفًا مما أعدَّ لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصر عنها الأماني .

تنبيه : ورد حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ قال : قال عيسى ابن مريم : « الرحمـٰن : رحمـٰن الآخرة والدنيا ، والرحيم : رحيم الآخرة » وهو ضعيف ، وورد أيضًا رحمـٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما وهو ضعيف كذلك .

الرحمٰن - الخالق .

أما الأسماء التي يجوز أن يتسمى بها غير الله عز وجل فمنها : **العزيز** ، فقد قال الله سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز .. ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال إخوة يوسف : ﴿ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴾ [يوسف : ٨٨] .

وقال نسوة في المدينة : ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ [يوسف : ٣٠] .

ومنها : **المؤمن** ؛ كما قال تعالى عن نفسه : ﴿ السلام المؤمن ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[1] وقال عليه السلام : « أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن .. »[2].

ومنها : **الملك** ؛ قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك ﴾ [الحشر : ٢٣] .

﴿ وقال الملك ائتوني به ... ﴾ [يوسف : ٥٠ ، ٥٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(٢) بهذا السياق أخرجه مسلم ص (٢١٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ، وأصله في الصحيحين (البخاري حديث ٦٢) ومسلم (حديث ٢٨١١) .

س : هل (بسم الله الرحمـٰن الرحيم) آية من سورة الفاتحة ومن غيرها من السور أم لا ؟

ج : أما(بسم الله الرحمـٰن الرحيم) ، فابتداءً هي بعض آية من سورة النمل إجماعًا ، لقول الله تعالى : ﴿ ... إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمـٰن الرحيم ﴾ [النمل : ٣٠] .

وهي ليست آية من سورة براءة كذلك .

أما بالنسبة للفاتحة فلأهل العلم قولان :

● فمنهم : من يرى أنها آية من سورة الفاتحة ، لقول الله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر : ٨٧] وفسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة[(١)]، ولا تكمل الفاتحة سبع آيات إلا إذا اعتبرت البسملة آية منها .

ولأن البسملة أثبتت في المصحف وكتبت بخطه ونُقلت نقله .

● ومنهم : من يرى أنها ليست آية من الفاتحة ؛ لقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ...»[(٢)] الحديث فلم يُذكر فيه بسم الله الرحمـٰن الرحيم .

● واستدل بعض العلماء على أنها ليست آية بتكرير لفظ الرحمـٰن الرحيم ، بعد قوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] .

● أما بالنسبة لغير الفاتحة من السور فكذلك للعلماء قولان :

● منهم من قال : هي آية من كل سورة لما رواه مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٧) وسيأتي .

(٢) أخرجه مسلم ، وسيأتي إن شاء الله .

مبتسمًا ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت عليَّ آنفًا سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ » [الكوثر : ١ – ٣][١].

● ومنهم من قال : ليست آية من أي سورة ؛ لأن الله تعالى أول ما أنزل على نبيه ﷺ ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق .. ﴾ الآيات [العلق : ١ –٥] ولم يذكر البسملة ، بل قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : « اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ... ﴾ » [العلق : ١ – ٥] والله تعالى أعلم .

* * *

س : من يرى أن البسملة آية من كتاب الله عز وجل هل يجهر بها في الصلاة عند قراءة الفاتحة إذا كان إمامًا في الصلاة ؟

ج : الأمر في هذا قريب فمن رأوا أنها آية من الفاتحة لهم وجهان :

الوجه الأول : أنه لا يجهر بها لما ذكره أنس بن مالك رضي الله عنه من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[٢].

● وفي رواية لمسلم من حديث أنس أيضًا : صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٢/٢٢٦ مع الفتح) ، ومسلم (مع النووي ٥/٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجها مسلم رحمه الله (مع النووي ٤/١١٠) .

هذه أقوى حجج هذا الوجه[1].

الوجه الثاني : أنه يُجهر بها ، وحجة هذا القول :

أولاً : كونها آية منها فلا معنى للإسرار بها دون غيرها .

الثاني : ما رواه النسائي[2] من طريق نعيم المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى إذا بلغ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ [الفاتحة : ٧] فقال : آمين . فقال الناس : آمين . ويقول كلما سجد : الله أكبر ، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال : الله أكبر وإذا سلم ؛ قال : والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ .

وهذه أقوى حجج هذا الوجه[3].

---

(١) لكن هذا تعقب من وجوه :

أولها : أن قوله في الرواية الأولى من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢]معناه : أنهم يفتتحون الصلاة بسورة الفاتحة قبل غيرها من السور ، فمراده بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الفاتحة ، كما يقال : قرأ النبي ﷺ في صلاة العشاء بـ ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ [التكوير : ١٥] أي : بالسورة التي فيها ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ ونحو ذلك ، وليس فيها تعرض لنفي البسملة أو إثباتها ، هذا من ناحية .

● أما من الناحية الأخرى وهي قوله في الرواية الثانية : فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ فهذه الرواية وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنه تكلم فيها من ناحية تصرف راويها ، فذكر عدد من أهل العلم أن بعض الرواة تصرف عند رواية حديث أنس المتقدم من أنه رضي الله عنه كان يصلي خلف النبي ﷺ وأبي بكرٍ وعمر فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، فظن الراوي أنهم لا يجهرون ببسم الله الرحمٰن الرحيم ، فأخطأ ظنه ، وإنما المراد أنهم يفتتحون القراءة (أو الصلاة) بالفاتحة على ما قدمنا في أول كلامنا . والله تعالى أعلم .

(٢) أخرجه النسائي (١٣٤/٢) .

(٣) وقد تعقب هذا الحديث (حديث نعيم المجمر عن أبي هريرة) بأن الذي استنكر على أبي هريرة (كما في طرق الحديث الأخرى) هو التكبير، فقال له القائل : (ما هذا التكبير يا أبا هريرة؟ فقال : إني لأشبهكم صلاة بصلاة رسول الله ﷺ » قالوا : =

وثم أدلة أخر لكل وجه فيتضح أن الأمر في هذا قريب .
والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروع ومستحب ، اذكر جملة مواطن شرعت فيها التسمية بأدلتها ؟

ج : وردت جملة من الأدلة على ذلك نورد منها ما يلي :

● شرعت التسمية **عند ابتداء الطعام***، فقد قال النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة : « يا غلام سم الله .. »[1].

● وكان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول : بسم الله[2].

● وقال النبي ﷺ : « إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه .. »[3] الحديث.

= إن مراده التكبير بالدرجة الأولى لقولهم له : (ما هذا التكبير يا أبا هريرة ؟) وفي ذكر التسمية نزاع من ناحية إثباتها حديثيًّا فالرواة الأكثر رووا الحديث عن أبي هريرة بدونها ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٢١/٩) ، ومسلم (١٩٢/١٣ مع النووي) ، وغيرهما من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ، قال : كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام ! سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » فما زالت تلك طعمتي بعد » .

(٢) أخرجه أحمد (٦٢/٤ المسند) من حديث رجل خدم النبي ﷺ ثمان سنين .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧/١٣ مع النووي) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده ، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ، ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده ، والذي =

● وأكد النبي ﷺ على ذكر الله فقال : « من نسي أن يذكر الله عز وجل في أول طعامه فليقل حين يذكر : بسم الله أوله وآخره ، فإنه يستقبل طعامًا جديدًا أو يمتنع الخبيث مما كان يصيب منه »[1].

● وشُرعت **التسمية على الذبيحة** كذلك، قال الله تعالى : ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرَّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه...﴾ [الأنعام : ١١٨ ، ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

● وقال النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل »[2].

● وقال النبي ﷺ : « ... ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله »[3].

= نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها » .

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (حديث رقم ٤٦١) وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣١/٩) ، ومسلم (١٢٢/١٣ مع النووي) ، وغيرهما من حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال : يا رسول الله : ليس عندنا مُدًى[1] فقال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل » ليس الظفر والسن ، أما الظفر فمدى الحبشة ، وأما السن فعظم .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣٠/٩) ، ومسلم (١٠٩/١٣) ، وغيرهما من حديث جندب بن سفيان البجلي قال : ضحينا مع رسول الله ﷺ أضحاة ذات يوم فإذا أُناس قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة ، فلما انصرف رآهم النبي ﷺ قد ذبحوا قبل الصلاة ، فقال : « من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أُخرى ، ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله » .

---

(١) أي : سكاكين .

● وقد سمى النبي ﷺ وكبَّر وهو يذبح[١].

● وقالت عائشة رضي الله عنها : إن قومًا قالوا : يا رسول الله : إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا . فقال رسول الله ﷺ : « سموا الله عليه وكلوه »[٢].

● وشرعت التسمية على القوس الذي يُرمى به للصيد ، فقد قال أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله : إنا بأرض قومٍ أهل كتاب نأكل في آنيتهم ، وأرض صيدٍ أصيد بقوس وأصيد بكلبي المعلم والذي ليس معلمًا ، فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك ؟ فقال : « أما ما ذكرت من أنك بأرض قومٍ أهل كتاب تأكل في آنيتهم ، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها ، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها ، وأما ما ذكرت بأنك بأرض صيدٍ فما صدت بقوسك فاذكر اسم الله ثم كل ، وما صدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله ثم كل ، وما صدت بكلبك الذي ليس معلمًا فأدركت ذكاته فكل »[٣].

● وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن المعراض فقال : « إذا أصبت بحده فكل ، فإذا أصبت بعرضه فقتل فإنه وقيذٌ فلا تأكل » ، فقلت : أرسل كلبي المعلم ؟ قال : « إذا أرسلت كلبك وسميت فكل » قلت : فإن أكل ؟ قال : « فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك إنما أمسك على نفسه » قلت: أرسل كلبي فأجد معه كلبًا آخر؟ قال: « لا تأكل فإنك

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٣/١٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال : ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ، قال : ورأيته يذبحهما بيده ورأيته واضعًا قدمه على صفاحهما ، قال : وسمى وكبَّر .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤/٢٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٦١٢) ، ومسلم (مع النووي ١٣/٧٩) .

إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر »[1].

● **وتشرع التسمية في الصباح والمساء فالله عز وجل يحفظ بها ،** فقد قال النبي ﷺ : « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء »[2].

● **وتشرع التسمية كذلك عند دخول البيت ،** فقد قال النبي ﷺ : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله[3] عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء »[4].

وتشرع التسمية عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية (أي : تغطيتها) ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله ، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا وأطفئوا مصابيحكم »[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٩/٦٠٣ مع الفتح) ، ومسلم (١٣/٧٦ مع النووي) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٨٦٩) ، والترمذي (مع التحفة ٩/٣٣١) ، وأبو داود (الأدب رقم ٥٠٨٨) ، وأحمد (١٠/٦٢) وعزاه المزي للنسائي في اليوم والليلة .

(٣) في رواية لمسلم أيضًا : « وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه .. وإن لم يذكر اسم الله عند دخوله » .

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ١٣/١٩٠) .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٨٨) ، ومسلم (مع النووي ١٣/١٨٣) .

وتشرع **التسمية على الوضوء** ، لقول النبي ﷺ : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه »(١).

● **وتشرع التسمية عند الجماع كذلك** .

● فروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : بسم الله ، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما في ذلك أو قضى ولد لم يضره شيطان أبدًا »(٢).

وتشرع **التسمية عند النوم** ، فقد قال النبي ﷺ : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »(٣).

● **وتشرع التسمية عند الرقية** ، فقد روت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى رقاه جبريل قال : « باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد ، إذا حسد وشر كل ذيْ عين »(٤) .

● وكذلك روى أبو سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : « يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم ، قال : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفسٍ أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك »(٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا ، وهو صحيح لشواهده ، وانظر الكلام عليه في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٢٨/٩) ، ومسلم (مع النووي ٥/١٠) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢٥/١١) ، ومسلم (٣٧/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (١٦٨/١٤ مع النووي) .

(٥) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧٠/١٤) .

وقال النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي لما شكا وجعًا إلى رسول الله ﷺ يجده في جسده منذ أسلم : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر »(١).

وتشرع التسمية عند وضع الميت في القبر كذلك ، فقد قال النبي ﷺ : « إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ »(٢).

وتشرع التسمية في صدور الرسائل والاتفاقيات ، فقد قال الله تعالى : ﴿... إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ [النمل : ٣٠] وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هرقل فيها : « بسم الله الرحمٰن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى .... »(٣).

وكذلك قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه : « اكتب باسم الله الرحمٰن الرحيم » .... الحديث(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩/١٤) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٧/٢) ، وأبو داود (٥٤٦/٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٧/١١) ، ومسلم (مع النووي ١٠٣/١٢) .

(٤) أخرجه مسلم (١٣٨/١٢ مع النووي) من حديث أنس رضي الله عنه أن قريشًا صالحوا النبي ﷺ - فيهم سهيل بن عمرو - فقال النبي ﷺ لعلي : « اكتب باسم الله الرحمٰن الرحيم » قال سهيل : أما باسم الله فلا ندري ما بسم الله الرحمٰن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال : « اكتب من محمد رسول الله » قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال النبي ﷺ : « اكتب من محمد بن عبد الله » فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نرده عليكم ، ومن جاء منا رددتموه علينا، فقالوا : يا رسول الله: أنكتب هذا ؟ قال : « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا » .

وتشرع **التسمية عند ركوب الدابة** ؛ قال تعالى : ﴿ .. وقال اركبوا فيها بسم الله مجريٰها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ [هود : ٤١] .

وتشرع **التسمية عند الوقوع من على الدابة** ؛ فعن رجل قال : كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته فقلت : تعس الشيطان ، فقال : « لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بقوتي ، ولكن قل : باسم الله ، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب »[١] .

وكذلك أثبتت التسمية في أوائل سور القرآن الكريم [٢]، وأول ما نزل على رسول الله ﷺ : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق : ١][٣] .

❋ ❋ ❋

س : هَل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية ؟

ج : في هذا نزاع بين أهل العلم ، فالجمهور يرون أنها لا تجب مستدلين بحديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة »[٤] وبقوله تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] وبحديث : « وإذا قرأ فأنصتوا »[٥] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/٢٦٠) ، وابن السني (في عمل اليوم والليلة ٥١٠) ، وأحمد (٥/٥٩ ، ٧١) .

(٢) وهل هي آية أم لا ؟ انظره في سؤال مستقل مع جوابه في هذا الكتاب .

(٣) يتضح ذلك من الحديث الذي أخرجه البخاري (حديث رقم ٣) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) وكل طرق هذا الحديث متكلم فيها .

(٥) هذه الزيادة عند مسلم ، وهي منتقدة عليه انتقدها الحافظ الدارقطني رحمه الله وغيره من أهل العلم ، والأمر كما قالوا .

واستدلوا أيضًا بأن أبا بكرة رضي الله عنه أدرك النبي ﷺ راكعًا فركع معهم في الصف ولم يأمره النبي ﷺ بالإتيان بركعة جديدة بل قال له: « زادك الله حرصًا ولا تعد »[1].

● أما القائلون بأن القراءة تجب على المأموم حتى في الجهرية فاستدلوا بحديث: « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[2]، وجملة أحاديث على شاكلته، وأجابوا عن حديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » بأنه ضعيف، وعن الآية الكريمة ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] بأن استثنوا الفاتحة من ذلك ورأوا أن للمأموم أن ينازع بالفاتحة خاصة، أما زيادة « وإذا قرأ فأنصتوا » فهي شاذة، أما حديث أبي بكرة رضي الله عنه فهو من أقوى المشوشات على هذا الرأي فهو ثابت صحيح لكن بعضهم أجاب عليه بأن الرسول ﷺ قال: « لا تعد »، والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

س: ما معنى ﴿ الحمد لله ﴾؟

ج: أجمع ما جاء فيها (مما اطلعت عليه) قول ابن جرير الطبري رحمه الله:

ومعنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح المكلَّفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق

(١) أخرجه البخاري (٧٨٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) وهو حديث ثابت في الصحيحين وغيرهما وتقدم تخريجه.

وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولًا وآخرًا .

● ومن أهل العلم من يقول : إن ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر فتقديره قولوا : الحمد لله رب العالمين ، وهو كقوله تعالى : ﴿ ومن دخله[1] كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] أي : أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم[2] وقد نصر هذا القول الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره، ومن المناسب أن نأتي بكلامه تامًّا لما سينتفع به بعد في التفسير .

قال رحمه الله تعالى[3]: فإن قال لنا قائلٌ : وما معنى قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علَّمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك فما وجه قوله تعالى ذكره إذًا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وهو عز ذكره معبود لا عابد ؟ أم ذلك من قيل جبريل أو محمدٍ رسول الله ﷺ ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلامًا، قيل : بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علَّم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] وقولوا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] فقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ مما علمهم الله جل ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

---

(١) أي : الحرم .

(٢) على قولٍ لبعض المفسرين .

(٣) نقل القرطبي وابن كثير عن ابن جرير رحمه الله قوله : ﴿ الحمد لله ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال : قولوا : الحمد لله .

فإن قال : وأين قوله : (قولوا) فيكون تأويل ذلك ما ادعيت ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها - إذا عرفت مكان الكلمة و لم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت - حذفُ ما كفى منه الظاهر من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت قولًا أو تأويل قولٍ كما قال الشاعر :

وأَعْلَمُ أنني سأكُونُ رمسًا[1] إذا سَارَ النَّواعجُ لا يسيرُ
فقال السائلون لمن حَفَرتُم فقال المخبرون لهم وزيرُ

قال أبو جعفر : يريد بذلك : فقال المخبرون لهم : الميت وزير فأسقط الميت إذ كان قد أتى من الكلام بما دل على ذلك ، وكذلك قول الآخر :

ورَأَيتِ زَوْجَكِ في الوغَى مُتقلِّدًا سيفًا ورمحًا

وقد عُلم أن الرمح لا يُتقلد به وأنه إنما أراد : وحاملًا رمحًا ، ولكن لما كان معلومًا معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن إظهار ما حُذف منه وقد يقولون للمسافر إذا ودَّعوه : (مصاحبًا معافًى) يحذفون (سر ، واخرج)[2] إذ كان معلومًا معناه وإن أسقط ذكره .

فكذلك ما حُذف من قول الله تعالى ذكره: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة : ٢] لما عُلم بقوله جل وعزَّ : ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة : ٥] ما أراد بقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ من معنى أمر عباده أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن إبداء ما حُذف .

* * *

(١) الرمس: قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: القبر المسوى عليه التراب، يقول: أصبح قبري يزار أو يناح عليه، ورواه الجاحظ (سأصير ميتًا) وهي لا شيء، والنواعج جمع ناعجة ، وهي الإبل السراع نعجت في سيرها ، أي : سارت في كل وجه من نشاطها .

(٢) ونحو هذا قول سليمان عليه السلام : ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣٢] أي : توارت الشمس بالحجاب ، وقولنا للمسافر : (مع السلامة) أي اذهب مع السلامة ، أي : مصحوبًا بالسلامة .

س : هل هناك فرق بين (الحمد) و (الشكر) ؟

ج : بعض أهل العلم لا يفرق بين الحمد والشكر ، وأن الحمد والشكر بمعنى واحد .

وكثير من أهل العلم يفرقون فيقولون :

إن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة[1] والمتعدية .

أما الشكر فلا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان ، كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

ومعنى هذا الكلام أن لله سبحانه وتعالى صفات لازمة وصفات متعدية (فالحي) مثلًا اسم يحمل صفة لازمة لله تبارك وتعالى و (الغفور) مثلًا اسم يحمل صفة متعدية للخلق ، أي : يغفر لهم ، فقولنا : الحمد لله ثناءٌ على الله سبحانه لكونه الحي ولكونه الغفور ولغير ذلك من الصفات ، فقولنا : الحمد لله ثناء على الله لصفات الكمال المتفرد بها اللازمة له سبحانه ، وقولنا : (الشكر لله) ثناء على الله لمغفرته لنا ، ولأنه يرزقنا ويرحمنا ويشفينا ويستر علينا وينصرنا ويهدينا ويشرح صدورنا ....

وقد يكون شكرُنا لله عز وجل بأن نصلي له أو نسبحه أو نحج ونعتمر أو نتصدق ونجاهد ونصوم ونسعى و ... ونحو ذلك ، فيكون الشكر باللسان

---

(١) في الحقيقة إنني لا أعلم دليلًا يحدد بالضبط ما هي الصفات اللازمة والصفات المتعدية ، ولا أعلم أن هناك اتفاق كذلك للعلماء في هذا الباب ، والذي يبدو لي أن سعة علم العالم تجعل هناك بعض الخلاف في تحديد الصفة اللازمة والمتعدية ، فمثلًا اسم (القيوم) قد يرى شخص أنه لازم (لقلة علم هذا الشخص) لكن إذا علم (أن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وكما قال سبحانه : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ [الروم : ٢٥] اتضح له أن اسم (القيوم) متعدٍّ إلى الخلق كذلك ، والله أعلم .

والجنان والأركان ، والله أعلم .

فعلى ذلك (فالحمد) ثناء على الممدوح من غير سبق إحسان ، والشكر ثناء على المشكور بما أولى وأعطى من الإحسان ، ويكون الحمد (بالقول) على ما قدمنا ، ويكون الشكر بالجنان واللسان والأركان كما قدمنا أيضًا .

فعلى ذلك يكون الحمد أعم من ناحية ، والشكر خاص من هذه الناحية ، ويكون الشكر عام من ناحية أخرى والحمد خاص منها ، ولتوضيح ذلك نقول : إننا نحمد الله لكل صفاته اللازمة والمتعدية فنحمده لأنه الحي القيوم المجيد الفعال لما يريد ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفور الشكور ...

إلى غير ذلك من جميع صفاته ، فمن هذه الناحية يكون الحمد عامًّا والشكر منها يكون خاصًّا إذ شكره على صفات الإحسان لكونه الرزاق الغفار الشافي الهادي ونحو ذلك ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى نشكره بصلاتنا وصيامنا وتصدقنا على الفقراء وحجنا وجهادنا وتصديقنا بقلوبنا وبألسنتنا و ... فالشكر عام هنا ومن هذه الناحية الحمد يكون خاصًّا فيكون باللسان .

والله تعالى أعلم والحمد لله والشكر لله .

* * *

س : قال بعض العلماء : إن ﴿ الحمد لله ﴾ هي كلمة كل شاكر ، اذكر ما يدل لهم على ذلك ؟

ج : استدلوا على ذلك بقول أهل الجنة : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ [فاطر : ٣٤] .

وبقول نوح عليه السلام : ﴿ الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] .

وبقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ﴾ [إبراهيم : ٣٩] .

وبقول الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ... ﴾ [الإسراء : ١١١] .

وبقول أهل الجنة : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وبقول الله تعالى: ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ [يونس : ١٠].

وبقول داود وسليمان عليهما السلام : ﴿ الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ [النمل : ١٥] .

وبقول العاطس إذا عطس : (الحمد لله)(١).

● وأن الحمد لله يقولها الشخص إذا أوى إلى فراشه ، فإن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي »(٢).

● ويقولها الخطيب في خطبة الجمعة(٣) .

● ويقولها الشخص إذا رأى رؤيا يحبها(٤).

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١٠/٦٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٣٧) .

(٣) أخرج مسلم (مع النووي ٦/١٥٣) من حديث جابر رضي الله عنه قال : كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول ...

(٤) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢/٣٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها ، ... » الحديث .

● ويقولها الشخص إذا انتهى من طعامه وشرابه[1].

● ويقولها الشخص إذا لبس جديدًا[2].

❋ ❋ ❋

س : حَمَدَ الرَّب سبحانه وتعالى نفسه في الكتاب العزيز فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] فهل يجوز لشخص أن يثني على نفسه ؟ وهل يجوز أن يثني على غيره ؟

ج : لا يجوز للشخص أن يحمد نفسه فقد نهى الله تبارك وتعالى عن مثل هذا فقال عز وجل : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢].

وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا ﴾ [النساء : ٤٩].

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٧/٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها » ، وأخرج البخاري من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه – وقال مرة – إذا رفع مائدته – قال : « الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور » وقال مرة : « لك الحمد ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى ربنا » وفي رواية « الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٥٨٠) .
● وأخرج أبو داود (٤/١٨٧) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال : « الحمد الله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجًا » .

(٢) أخرج أبو داود (٤/٣٠٩) عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه إما قميصًا أو عمامة ثم يقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » ، وهو صحيح .

وكذلك لا ينبغي لأحدٍ أن يبالغ في الثناء والإطراء على شخص ، وذلك لأن رجلًا ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى رجلٌ عليه خيرًا ، فقال النبي ﷺ : « ويحك قطعت عنق صاحبك » يقوله مرارًا : « إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يزكى على الله أحد »(١).

● وعن أبي معمر قال : قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب ، وقال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب(٢).

لكن يجوز للشخص أن يثني على نفسه وأن يثني على غيره من غير إطراء لعلة من العلل كما فعل عثمان عند محاصرة القوم له ، وذكرهم بما صنع من حفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة ، وكما أثنى رسول الله ﷺ على عددٍ من أصحابه رضي الله عنهم .

وهذا وذاك محله إذا أُمنت الفتنة ولم يخش من الثناء فسادًا وإنما رُجي بالثناء انتفاعًا للشخص المُثنى عليه ولغيره ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض معاني كلمة (رب) ؟

ج : تطلق كلمة (رب) على معاني منها :

● الرب بمعنى السيد ، ومنه قول يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ [يوسف : ٤٢] وقوله : ﴿ أما أحدكما

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٨٦/١٠) ، ومسلم (١٢٧/١٨ مع النووي) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٢٧/١٨) .

فيسقي ربه خمرًا ﴾ [يوسف : ٤١].

وقول النبي ﷺ في بيان أشراط الساعة : « وأن تلد الأمة ربتها »[1].

ومنه أيضًا قول لبيد بن ربيعة :

وأَهْلكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه ... وربَّ معدٍّ بين خَبتٍ وعَرْعَرِ

يعني برب كندة : سيد كندة ؛ قاله الطبري .

● والرب يطلق على المالك : ومنهم قولهم : رب البيت ، ورب الإبل .

● ويطلق الرب على المصلح والمربي ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ [النساء : ٢٣] فسميت بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها .

● ويطلق الرب على المعبود ، ومنه قول الشاعر :

أربٌّ يبول الثعلبان بِرَأْسِهِ ... لقد ذلَّ من بالت عليه الثعالب

وثم معان أُخر لكلمة (الرب) .

هذا وقد قال عدد كبير من أهل العلم : إن الألف واللام متى أُدخلت على (رب) اختص به الله تبارك وتعالى ، وإن حذفتا منه صار مشتركًا بين الله عز وجل وبين عباده ، فيقال : الله رب العباد ، ويقال ، أيضًا : زيدٌ رب الدار .

فعلى هذا لا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة كقولهم : رب البيت ورب الدار ...

فالله سبحانه وتعالى هو سيد الخلق ومالكهم ومربيهم ومصلحهم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم حديث (رقم ٨) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا .

س : ما معنى (العالمين) وما هي أقوال المفسرين في المراد بالعالمين ؟

ج : أما العالمين فهي جمع عالم ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالجيش والرهط والأنام ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعة على جمع لا واحد له من لفظه ؛ قاله الطبري .

ونحوه قاله ابن كثير رحمه الله فقال : والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل .

وقال الطبري أيضًا : والعالم اسم لأصناف الأمم وكل صنفٍ منها عالم ، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم[1] ذلك القرن وذلك الزمان ، فالإنس عالم وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان ، والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق ، كل جنسٍ منها عالم زمانه ، ولذلِك جُمع فقيل : عالمون ، وواحده جمع لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان .

وقال ابن كثير رحمه الله : والعوالم أصناف المخلوقات في السموات والأرض وفي البر والبحر ، وكل قرنٍ منها وجيل يسمى : عالمًا أيضًا .

قلت : فالحاصل أن كلمة العَالَم أو (العالمين) قد تأتي عامة وقد تأتي بمعنى خاص .

● فالعالمين تطلق أحيانًا على السموات والأرض وما فيهن وما بينهن ، ودليل ذلك قول موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون لما سأله : ﴿ وما رب العالمين ﴾ قال له موسى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ [الشعراء : ٢٣ ، ٢٤] .

● وأحيانًا تطلق العالمين على الإنس والجن فقط، كما قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] فلم يكن

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١٦٣) أنه قال : كل صنف عالم .

نذيرًا للبهائم ولا للطيور .

● وأحيانًا تطلق العالمين على البشر كقول لوط عليه السلام : ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾ [الشعراء : ١٦٥] .

● وأحيانًا تأتي خاصة فيقال : عالم الملائكة - عالم الجن - عالم الحيوانات ، إلى غير ذلك والله أعلم .

* * *

س : العالم مشتق من ماذا ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن العالم مشتق من العلامة لأن وجود العالم علامة على وجود خالقه .

وبعض العلماء يقولون : العالم مشتق من العلم ، والقول الأول عليه الأكثر ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ٣] عقب قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] ، وقد تقدمت في قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ١] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن ذلك لاتباع الترهيب بالترغيب ، فقالوا : إن قوله تعالى : ﴿ رب العالمين ﴾ فيه نوع ترهيب فعُقِّب بالترغيب في قوله : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾، وممن قال بهذا القول القرطبي وغيره ، فقال القرطبي رحمه الله : وصف نفسه تعالى بعد ﴿ رب العالمين ﴾ بأنه ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿ رب العالمين ﴾ ترهب قرنه بـ ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة

منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع ، كما قال : ﴿ نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ [الحجر :٤٩ ، ٥٠] ، وقال : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ﴾ [غافر : ٣] ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد »[1].

● وقال صاحب فتح البيان صديق حسن خان : .. وقيل : فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسملة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور ، وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها ، وأنه هو المتفضل بها على خلقه .

● هذا ومن رأى من أهل العلم أن البسملة ليست آية من الفاتحة لم يرد عنده إشكال إذ أن قوله : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة :٣] ليس مكررًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ؟

ج : المراد بالدِّين في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ الجزاء[2] أي :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٥٦) .

(٢) وللدين معان أُخر فيطلق علي الإيمان والإسلام والإحسان دين ؛ لقول النبي ﷺ لأصحابه لما جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان و ... :« هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » ، وكما قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] ويُطلق الدين على الحج ، كما في قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة : ٣] ، على قول لبعض المفسرين ، ويطلق الدين على الطاعة ، ويطلق على العادة والشأن ، ويطلق على الداء ، ويطلق على حكم الملك كما في قوله تعالى : ﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ [يوسف : ٧٦] وله معان أخر تأتي في مظانها إن شاء الله .

جزاء الناس على أعمالهم وحسابهم عليها خيرًا كانت أو شرًّا ، كما قال تعالى : ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ [النور : ٢٥] أي : جزاء أعمالهم بالعدل والحساب على تلك الأعمال .

ومنه أيضًا قول الكافرين : ﴿ .. أئنا لمدينون ﴾ [الصافات : ٥٣] أي : مجزيون ومحاسبون ، ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ كلا بل تكذبون بالدِّين ﴾ [الانفطار : ٩ ، ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ [الواقعة : ٨٦] يعني : غير مجزيين بأعمالكم ومحاسبين عليها .

ومنه قول الشاعر :

وَاعلَمْ وأيقِن أن ملكك زائلٌ   وَاعلَمْ بأنك ما تدينُ تُدان[1]

***

س : الله سبحانه وتعالى مالك الملك ومالك أيام الدنيا ، ومالك يوم الدين فلماذا خصص يوم الدين بالذكر في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ؟

ج : تخصيص ﴿ يوم الدين ﴾ بالذكر لأمور منها :

١ – لتعظيمه وتهويله ، فالإضافة أحيانًا تكون للتعظيم وللتشريف، كما قال

---

(١) ذكره المفسرون في تفاسيرهم ومنهم الطبري رحمه الله ، وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري : .. بعض الكلابيين يقولون : إن الحارث بن أبي شمر الغساني كان إذا أعجبته امرأة من قيس علان بعث إليها واغتصبها ، فأخذ بنت يزيد بن الصعق الكلابي وكان أبوها غائبًا ، فلما قدم أخبر فوفد إليه فوقف بين يديه وقال :

يا أيها المِلكُ المُقِيتُ أَمَا تَـرى   لَيْلًا وصُبْحًا كيف يَخْتَلِفَـانِ ؟
هل تستطيعُ الشمسَ أنَ تأْتِي بها   لَيْلًا وهل لك بالمليك يَدانِ ؟
يا حَارِ أَيْقن أنَّ ملكَكَ زَائِـلٌ   ....

تعالى في شأن ناقة صالح : ﴿ وهذه ناقة الله ﴾ [الأعراف : ٧٣] مع أن كل النوق خلقها الله سبحانه وتعالى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] مع أن الأرض كلها لله .

٢ – لبيان تفرده سبحانه وتعالى بإجراء الأمر وفصل القضاء فيه فلا يدعي أحدٌ هنالك شيئًا ، ولا يتكلم أحد هنالك إلا بإذنه ، فقد كان هناك في الدنيا من يدعي المنازعة له سبحانه في الملك كفرعون ونمروذ وغيرهما ، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد ولا يتكلم إلا بإذنه قال تعالى : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ [غافر : ١٦]، وكما قال سبحانه : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] وقال تعالى : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا ﴾ [طه : ١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿ يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾ [هود : ١٠٥] .

* * *

س : ما هي أشهر القراءات في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ؟

ج : أشهر القراءات في ذلك قراءتان وهما ﴿ مالك يوم الدين ﴾ و ﴿ ملك يوم الدين ﴾ وكلاهما قراءة معتمدة ذكرها القراء والمفسرون .

أما تأويل قراءة من قرأ ﴿ ملك ﴾ فقال الطبري رحمه الله : إن لله الملك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك ، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية ، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَغَرة الأذلة وأن له – من دونهم ودون غيرهم – الملك والكبرياء والعزة والبهاء ، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله: ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك

اليوم لله الواحد القهار ﴾ [غافر : ١٦] ، فأخبر تعالى ذكره أنه المتفرد يومئذٍ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار ، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار .

أما تأويل ﴿ مالك ﴾ فنقل ابن جرير[١] عن ابن عباس ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كملكهم في الدنيا ، ثم قال : ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] وقال : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ [طه : ١٠٨] وقال : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

* * *

س : الله سبحانه وتعالى هو الملك ، وهو أيضًا مالك دلِّل على ذلك ؟

ج : أما الدليل على كونه سبحانه وتعالى هو الملك : فقوله سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إلٰه إلا هو الملك ﴾ [الحشر : ٢٣] ، أما الدليل على كونه سبحانه وتعالى مالك : فقوله عز وجل ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ [آل عمران : ٢٦] والله أعلم . .

* * *

س: بعض العلماء يقولون: إن قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ [الفاتحة : ٥] بعد قوله: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] من أنواع التلوين في الأسلوب بمعنى أن الشخص إذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ثم قال : ﴿ إياك نعبد ... ﴾ فقد رجع من الغيبة[٢] إلى الخطاب[٣] اذكر أمثلة أخرى لذلك في التنزيل ؟

---

(١) وإسناده إلى ابن عباس ضعيف ، والأثر عند الطبري (١٦٦).

(٢) هذا من ناحية اللغة ، أما من ناحية الشرع فرب العزة سبحانه يقول : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان .. ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

(٣) يعني : من خطاب الغائب عن عينيه إلى خطاب الحاضر .

ج : من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا * إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورًا ﴾ [الإنسان : ٢١ ، ٢٢] ، فانتقل من الحكاية عن الغائب في قوله : ﴿ وسقاهم ﴾ إلى خطاب الحاضر في قوله : ﴿ إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورًا ﴾ .

وعكسه[1] في قول الله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ﴾ [يونس : ٢٢] فصدر الكلام بقوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم ﴾ ثم أتبع بقوله تعالى : ﴿ وجرين بهم ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، أي : فساقه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا تحوَّل الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٤ ، ٥] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ما مفاده : إن العبد لما أثنى على ربه تبارك وتعالى بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٢ - ٤] فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تبارك وتعالى فلهذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، والله أعلم . .

* * *

س : لماذا قدم المفعول على الفعل في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ ؟

ج : قدم المفعول على الفعل **اهتمامًا** ، وشأن العرب تقديم الأهم ، ومن ذلك ما ذكره بعض العلماء من أن أعرابيًّا سب آخر فأعرض المسبوب عنه ، فقال له السابُّ : إياك أعني ، فقال له الآخر : وعنك أُعرض .

---

(١) أي : الانتقال من الحاضر إلى الغائب .

• وأيضًا فيه **الأدب مع الله عز وجل** فقدَّموا اسم الله سبحانه وتعالى على فعلهم .

• وفيه أيضًا **اختصاص المسمى بالحصر**[1] أي : **اختصاص الرب سبحانه هنا بالعبادة** فقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] بمعنى لا نعبد إلا إياك ، ومعنى ﴿ إياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] : لا نستعين إلا بك ، وهي كقوله تعالى : ﴿ وإياي فارهبون ﴾ [البقرة : ٤٠] أي : لا ترهبوا غيري ، وقوله تعالى : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ [البقرة : ٤١] أي : لا تتقوا سواي .

* * *

س : ما فائدة تكرير إياك في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ؟

ج : فيه دليل على قوة تعلق العبادة بالمعبود ، وقوة تعلق الاستعانة بالمستعان ، فقول رجل لآخر مثلًا : إياك أحب وإياك أخاف أقوى من قوله له : إياك أحب وأخاف ، فقوة المحبة والخوف الأول أقوى منها في الثاني ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من أهل العلم من يقول : إن في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ إشارة إلى تحقيق معنى لا إلـٰه إلا الله وضح ذلك ؟

ج : وجهة القائلين بذلك تتضح إذا علمت أن معنى ﴿ إياك نعبد ﴾ : لا نعبد إلا إياك ، فحينئذ يتضح لك وجه الشبه فقولنا لا إلـٰه إلا الله مركب من أمرين نفي وإثبات ، فالنفي خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات ، والإثبات إفراد رب السموات والأرض وحده بجميع أنواع

---

(١) وقد ذكر بعض الأصوليين أن تقديم المعمول من صيغ الحصر .

العبادات على الوجه المشروع ، فكذلك قوله : لا نعبد إلا إياك ففيه نفي العبودية لغير الله وإثبات العبودية لله وحده ، والله أعلم .

* * *

س : مَنْ مِن أهل العلم قال : ﴿ إياك نعبد ﴾ [الفاتحة : ٥] تدفع الرياء ، ﴿وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] تدفع الكبرياءِ ؟ وما هو وجه قولهم ؟

ج : قائل ذلك هو ابن تيمية رحمه الله ، وقاله أيضًا تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى(١) ، ووجه قولهما أن قول : ﴿ إياك نعبد ﴾ أي : لا نعبد إلا إياك فاندفع بذلك الرياء ، وقوله : ﴿ إياك نستعين ﴾ معناه : لا نستعين إلا بك فلا قوة لنا على الطاعات ولا على شيء من الأمور إلا بعونك فاندفع بذلك الكبرياء ، والله أعلم .

* * *

س : هل تجوز الاستعانة بالبشر ؟

ج : نعم تجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها : أن النبي ﷺ استعان في هجرته من مكة إلى المدينة برجل من بني عبد الديل هاديًا خريتًا(٢)، وكذلك نزل أبو بكر في جوار ابن الدغنة(٣)

---

(١) انظر التفسير القيم ص (٤٨) .

(٢) (٣) أخرجهما البخاري في حديث طويل (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لم أعقل أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدِينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم طَرَفَي النهار : بكرةً وعشيًّا ، فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدّغِنة – وهو سيدُ القارةِ – فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أَخْرَجني قومي فأريد أن أسيحَ في الأرضِ وأعبد ربي . قال ابن الدّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ ، إنك تَكْسِبُ المعدوم وتَصِلُ الرحم وتحمل الكَلَّ وتَقرِي الضيف وتُعين =

= على نوائبِ الحق فأنا لك جارٌ ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدّغنة فطاف ابن الدّغنة عشيةً في أشرافِ قريشٍ فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلُهُ ولا يُخرَجُ ، أتُخرِجون رجلًا يَكسِبُ المعدوم ويَصِلُ الرَّحم ويحمل الكلَّ ويقري الضيف ، ويُعينُ على نوائبِ الحق ؟ فلم تُكذِّب قريشٌ بجوار ابن الدّغِنة ، وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في دارهِ فليُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلِنْ به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر لذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناءِ دارِهِ وكان يُصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم وهم يَعجَبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريشٍ من المشركين فأَرسَلُوا إلى ابن الدّغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أَجَرْنَا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فإن أحب أن يقتصر غلى أن يعبد ربه في دارِهِ فعل ، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسله أن يردَّ إليك ذمتَكَ ، فإنا قد كَرِهْنَا أن نُخْفِرَك ، ولسنا بمقرِّين لأبي بكر الاستعلانَ . قالت عائِشةُ : فأتى ابن الدَّغِنة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تَرجِعَ إليَّ ذمتي ، فإني لا أُحب أن تسمع العربُ أني أُخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له ، فقال أبو بكر : فإني أردُّ إليك جوارَكَ ، وأرضى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ بمكةَ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين : « إني أُريتُ دار هِجْرَتِكم ذات نخلٍ بين لابتين » وهما الحرَّتان فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينةِ ، ورجع عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : « على رِسْلِكَ فإني أرجو أن يُؤذن لي » ، فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنتَ ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نَفْسَه على رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر – وهو الخَبْطُ – أربعة أشهر . قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينما نحن يومًا جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحرِ الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متقنعًا في ساعة لم يكن يأْتِينا فيها – فقال أبو بكر : فداءٌ له أبي وأمي ، =

وقالت جويرية لرسول الله ﷺ: (.. جئت أستعين بك في مكاتبتي)(1)

= والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ ، قالت : فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر : أخرِج من عِندَكَ ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فإني قد أُذِنَ لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحابة بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : نعم . قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بالثَّمن ، قالت عائشة فجهزناهما أحثَّ الجهاز ، وصنعنا لهما سُفرةً في جراب فقطعت أسماءُ بنتُ أبي بكر قطعة من نِطاقها فربطت به على فَمِ الجراب فبذلك سميت ذات النطاق ، قالت : ثمَّ لَحِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر بغارٍ في جبل ثورٍ فكَمنا فيه ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندهما عبدُ الله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فيُدلج من عندهما بسحرٍ فيصبحُ مع قريشٍ بمكة كبائتٍ فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بنُ فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غَنَم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسلٍ ، وهو لبن منحتِهما ورَضيفِهما – حتى ينعق بهما عامرُ بن فهيرة بغلسٍ يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا من بني الدِّيل وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خِرِّيتًا ، والخريتُ : الماهر بالهداية ، قد غمس حلفًا في بني العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفارِ قريش فأمِناه فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاثِ ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليلُ فأخذ بهم طريق السواحل . صحيح

وأخرج أحمد بعضه (١٩٨/٦) .

(١) أخرجه ابن إسحاق رحمه الله (كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٥٧/٤) بإسناد حسن فقال :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عمه عروة بن الزبير عن خالته عائشة قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في القسم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تستعينه في كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هي إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت يرى منها ما قد =

وكذلك قالت بريرة لعائشة رضي الله عنها[1] واستعان كعب بن مالك بذوي الرأي من قرابته عند رجوع رسول الله ﷺ من تبوك[2] هذا كله مع اعتقاد أن الناصر والمعين هو الله سبحانه وتعالى . .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يقولون : إن قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] من باب عطف الخاص على العام وضح ذلك ؟

ج : هذا لأن العبادة المطلقة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه والاستعانة مما يحبه الله ويرضاه فكانت العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة مستعينٌ به ولا ينعكس لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم ولهذا كانت قسمَ الرب[3] ولأن الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس ولأن الاستعانة طلب منه والعبادة طلب له ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص والاستعانة تكون من مخلصٍ وغير مخلصٍ ....[4].

= رأيت فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من البلايا ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي فقال: «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك» فقالت : نعم . ففعل ذلك فبلغ الناس أنه قد تزوجها فقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها .

(١) أخرجه البخاري (٢٧١٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) ، وأحمد (٣٨٧/٦ - ٣٨٨) .

(٣) وذلك لما في الحديث إذا قال العبد : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] قال الله عز وجل : « هذا بيني وبين عبدي » .

(٤) هذا كلام ابن القيم رحمه الله في تفسيره القيم أوردناه مع زيادة زدناها في أوله والله أعلم.

س : وصَفَ الله سبحانه وتعالى أفضل خلقه وصفوته منهم وهم أولوا العزم من الرسل بالعبودية له سبحانه فهم في هذا الجانب كغيرهم عبيدٌ لله سبحانه وكذلك وصفت الملائكة بأنهم عبيد لله سبحانه ، وكذلك سائر الخلق وضح ذلك بأدلته ؟

ج : أما أولوا العزم من الرسل :

● فنوح عليه السلام ذكره الله سبحانه فقال : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾ [الإسراء : ٣] وقال سبحانه : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ [القمر : ٩] .

● وإبراهيم عليه السلام ذكره الله فقال : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ [ص : ٤٥] .

● وموسى عليه السلام ذكره الله فقال فيه وفي أخيه هارون عليه السلام : ﴿ إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾ [الصافات : ١٢٢] .

● وعيسى عليه السلام قال : ﴿ إني عبد الله ﴾ [مريم : ٣٠] وقال الله عز وجل في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل ﴾ [الزخرف : ٥٩] وقال سبحانه : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] .

● وكذلك نبينا محمد ﷺ سماه الله عبدًا ووصفه بالعبودية في أشرف المقامات .

● ففي مقام الدعوة إلى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا ﴾ [الجن : ١٩] .

● وفي مقام الوحي قال تعالى: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم : ١٠].

● وفي مقام التحدي قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة : ٢٣] .

● وفي مقام إنزال الكتاب عليه قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾ [الفرقان : ١] .

● وفي الإسراء قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ [الإسراء : ١] .

● وفي مجال حفظ الله له قال تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفهم الله عز وجل بالعبودية له سبحانه فقال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٨٨] .

● وكذلك يوسف – إضافة إلى ماذكر – قال الله فيه : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] .

● ونوح ولوط قال تعالى فيهما : ﴿ عبدين من عبادنا صالحين ﴾ [التحريم : ١٠] .

● وكذلك إلياس عليه السلام قال الله فيه : ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ [الصافات : ١٣٢] .

● وأيوب عليه السلام قال الله فيه : ﴿ واذكر عبدنا أيوب ﴾ [ص : ٤١] .

• وداود وسليمان عليهما السلام قال الله فيهما : ﴿ اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ : ١٣] .

وداود عليه السلام قال الله فيه ﴿ .. واذكر عبدنا داود .. ﴾ [ص : ١٧] .

• وسليمان عليه السلام قال الله فيه : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ [ص : ٣٠] .

• وزكريا قال الله فيه : ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ [مريم : ٢] .

• والخضر قال الله فيه : ﴿ .. فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

• وكذلك الملائكة قال الله تبارك وتعالى فيهم وفيمن عبدوهم : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] .

• وهكذا كل الخلق قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمٰن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

❋ ❋ ❋

س : خلق الله عز وجل الخلق لطاعته وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له اذكر جملة آيات تدل على ذلك ؟

ج : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل : ٦٦] .

وقال تعالى : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [الزمر : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] .

وقال تعالى : ﴿ إنني أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ [طه : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا ﴾ [التوبة : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله .. ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

● وقال تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ [قريش : ٣] .

● وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلٰه إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [يسٓ : ٦٠ ، ٦١] .

وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ﴾ [البقرة: ٨٣] .

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ نعبد ﴾ ، و ﴿ نستعين ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إياك

نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] ؟

ج : نعبدُ أي : نَذِلُّ ونستكين ونخضع ونخشع فأصل العبودية الذِّلة ومنه طريق مُعبد أي مذلَّل موطوء .

وتطلق العبادة أيضًا على الطاعة وثمَّ معان أُخر ترجع إلى ما ذكر وستأتي في محلها إن شاء الله .

● والعبادة في الشرع هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه(١).

---

(١) وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٦٥) : والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد أي : مذلل ، والتعبد : التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًّا خاضعًا ، ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية والمنكرون لكونه محبوبًا لهم بل هو غاية مطلوبهم ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم منكرين لكونه إلهًا وإن أقروا بكونه ربًّا للعالمين وخالقًا لهم فهذا غاية توحيدهم ، وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب ولم يخرجوا به من الشرك كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف :٨٧] وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله ﴾ [لقمان : ٢٥] ، [الزمر: ٣٨] وقال سبحانه : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥] ولهذا يحتج عليهم به على توحيد إلهيته وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه.

والاستعانة تجمع أصلين : الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه مع ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به والتوكل معنى يلتئم من أصلين : من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ وهذان الأصلان وهما التوكل والعبادة قد ذُكرا في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا **أحدها** .

الثاني : قول شعيب عليه السلام : ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ . [هود : ٨٨] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ [هود : ١٢٣] . =

وأحيانًا يطلقها بعض أهل العلم على أضيق من ذلك فيطلقونها على الصلاة والزكاة والصيام والحج .

أما نستعين فمعناها نطلب العون . .

❋ ❋ ❋

س : اذكر قول القدرية باختصار شديد وكيف ترد عليه من سورة الفاتحة ؟

ج : باختصار شديد أنهم ينفون القدر ويقولون : إن الإنسان يختار لنفسه ما شاء ولا دخل للرب سبحانه وتعالى في ذلك .

أما الرد عليهم من سورة الفاتحة فبقوله تعالى : ﴿ إياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] .

فيقال لهم : إذا كنتم ترون أنه ليس للرب سبحانه دخل في الهداية فلماذا تطلبونها منه ، ولماذا تطلبون منه العون على العبادة في قولكم في كل صلاة : ﴿ إياك نستعين ﴾ ؟

❋ ❋ ❋

= **الرابع** : قوله تعالى حكاية عن المؤمنين : ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ [الممتحنة : ٤] .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلًا * رب المشرق والمغرب لا إلـٰه إلا هو فاتخذه وكيلًا ﴾ [المزمل : ٨ ، ٩] .

السادس : قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أُنيب ﴾ [الشورى : ١٠] (١) .

فهذه ستة مواضع يجمع فيها بين الأصلين وهما : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

(١) في الأصل ﴿ قل هو ربي لا إلـٰه إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ ، والصواب ما أثبتناه .

س : ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله أن الناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام اذكر ما قاله رحمه الله في ذلك ؟ وأين قال ذلك ؟

ج : هذه الأقسام ذكرها رحمه الله تعالى في التفسير القيم ص ٦٩ فقال :

الناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة أربعة أقسام :

أجلها وأفضلها : أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الربُّ تبارك وتعالى الإعانةَ على مرضاته ، وهو الذي علمه النبي ﷺ لِحبِّه معاذ بن جبل . قال : « يا معاذ ، والله إني لأحبك ، فلا تنس أن تقول في دُبُر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »(١) .

فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته ، وأفضل المواهب : إسعافه بهذا المطلوب وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا ، وعلى دفع ما يضاده ، وعلى تكميله وتيسير أسبابه . فتأملها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : تأملت أنفعَ الدعاء : فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] .

ومقابل هؤلاء : القسم الثاني : وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة ولا استعانة ، بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلى حظوظه

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ١١٥٢) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : « يا معاذ : والله إني لأحبك ، والله إني لأحبك فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

وأخرجه النسائي (٣/٥٣) ، والحاكم (٣/٢٧٣ - ٢٧٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وشهواته ، لا على مرضاة ربه وحقوقه ، فإنه سبحانه يسأله من في السموات والأرض : يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمُدُّ هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه : عدوه إبليس ، ومع هذا فسأله حاجة فأعطاه إياها ، ومتعه بها ، ولكن لما لم تكن عونًا له على مرضاته : كانت زيادة له في شقوته ، وبعده عن الله وطرده عنه ، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ، ولم يكن عونًا على طاعته ، كان مبعدًا له عن مرضاته ، قاطعًا له عنه ولا بد .

وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره ، وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له ، وفيها هلاكه وشقوته ، ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ، ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له ، فيمنعه حمايةً وصيانة وحفظًا لا بخلًا ، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته ، ويعامله بلطفه : فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ، ويراه يقضي حوائج غيره ، فيسيء ظنه بربه ، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به ، والمعصوم من عصمه الله ، والإنسان على نفسه بصيرة ، وعلامة هذا : حمله على الأقدار . وعتابه البَاطن لها . كما قيل :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته   حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فوالله لو كشف عن حاصله وسره لرأى هناك معاتبة القدر واتهامه ، وأنه قد كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، ولكن ما حيلتي ؟ والأمر ليس إلّي ، والعاقل خصم نفسه ، والجاهل خصم أقدار ربه ، فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئًا معينًا خِيرته وعاقبته مغيبة عنك ، وإذا لم تجد من سؤاله بدًّا ، فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيرة ، وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة ، ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة بل استخارة من لا علم له بمصالحه ولا قدرة له عليها ، ولا اهتداء له إلى تفاصيلها . ولا يملك لنفسه ضرًّا

ولا نفعًا ، بل إن وُكل إلى نفسه هلك كل الهلاك ، وانفرطَ عليه أمره . وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال : تسأله أن يجعله عونًا على طاعته وبلاغًا إلى مرضاته ، ولا يجعله قاطعًا لك عنه ، ولا مبعدًا عن مرضاته . ولا تظن أن عطاءه كلَّ ما أعطى لكرامة عبده عليه ؛ ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه ، ولكن عطاءه ومنعه ابتلاء وامتحان ، يمتحن بهما عباده . قال الله تعالى : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقَدَر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا ! ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٧] أي : ليس كل من أعطيتُه ونعمته وخولته : فقد أكرمته ، وما ذاك لكرامته عليَّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له : أيشكرني فأعطيه فوق ذلك ، أم يكفرني فأسلبه إياه ، وأخول فيه غيره ؟ وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه ، وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه عليَّ ، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له : أيصبر ؟ فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سَعة الرزق ، أم يتسخط ؟ فيكون حظه السخط .

فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام ، وأن الفقر إهانة ، فقال : لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته عليَّ ، ولم أبتله بالفقر لهوانه عليَّ . فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فإنه يوسع على الكافر لا لكرامته ، ويُقَتِّر على المؤمن لا لإهانته ، إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته . فله الحمد على هذا وعلى هذا ، وهو الغني الحميد .

فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [البقرة : ٥] .

فصل

القسمُ الثالث : من له نوع عبادة بلا استعانة . وهؤلاء نوعان :

أحدهما : القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف ،

وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل . فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسل ، وتمكينه من الفعل . فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها ، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة : فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء ، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان ، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر ، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد ، أوجب لهم الإيمان ، وخذل هؤلاء بأمر آخر ، أوجب لهم الكفر ، فعباد هؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة ، لا استعانة معه فهم موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد . قال ابن عباس رضي الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده .

النوع الثاني : من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة ، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر ، وتلاشيها في ضمنه ، وقيامها به ، وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له ، بل كالعدم الذي لا وجود له ، وأن القدر كالروح المحرك لها ، والمعول على المحرك الأول . فلم تنفذ قوى بصائرهم من المتحرك إلى المحرك ، ومن السبب إلى المسبب ، ومن الآلة إلى الفاعل . فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم ، فقل نصيبهم من ﴿ إياك نستعين ﴾ [البقرة : ٥] ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة ، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكلهم ، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم . ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه ، وكان مأمورًا بإزالته ، لأزاله .

فإن قلت : فما معنى التوكل والاستعانة ؟

قلت : هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله ، وتفرده بالخلق والتدبير

والضر والنفع، والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس ، وما لم يشأ لم يكن ، وإن شاءه الناس ، فيوجب له هذا اعتمادًا عليه وتفويضًا إليه وطمأنينة به وثقة به ويقينًا بكفايته لما توكل عليه فيه ، وأنه مَلِيٌّ به ، ولا يكون إلا بمشيئته، شاءه الناس أم أَبَوْه ، فتشبه حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينوبه من رغبة ورهبة هما مَلِيَّان بهما. فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه ، وحبس هَمِّه على إنزال ما ينويه بهما. فهذه حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله، فالله كافيه ولا بد. قال الله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق : ٣] أي : كافيه. والحسب: الكافي ، فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ، وإن لم يكن من أهل التقوى فهو:

القسم الرابع : وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضرر ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولم يَدُر مع ما يحبه ويرضاه ، فتوكل عليه ، واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه ، وطلبها منه ، وأنزلها به فقضيت له ، وأسعف بها ، ولكن لا عاقبة له ، سواء كانت أموالًا أو رياسة أو جاهًا عند الخلق أو أحوالًا ، من كشف وتأثير وقوة وتمكين . فإنها من جنس الملك الظاهر ، والأموال لا تستلزم الإسلام ، فضلًا عن الولاية والقرب من الله . فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر ، والمؤمن والكافر . فمن استدل بشيء من ذلك على محبة الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه ، وأنه من أوليائه المقربين فهو من أجهل الجاهلين ، وأبعدهم معرفة بالله ودينه ، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه ، فالحال من الدنيا . فهو كالملك والمال ، إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته ، وتنفيذ أوامره ، ألحقه بالملوك العادلين البررة ، وإلا فهو وبال على صاحبه ومبعد له عن الله ، وملحق له بالملوك الظلمة ، والأغنياء الفجرة .

❋ ❋ ❋

س : ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسيره القيم أن لأهل ﴿ إياك نعبد ﴾ [البقرة : ٥] في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق فهم في ذلك أربعة أصناف اذكر ما قاله هذا العلامة الجليل ؟

ج : كلام هذا العالم الجليل في هذا المقام في غاية النفع ولذلك نورده هنا بتمامه[1] ، قال رحمه الله (التفسير القيم ص ٧٦) :

ثم أهل مقام ﴿ إياك نعبد ﴾ [البقرة : ٥] لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق . فهم في ذلك أربعة أصناف :

الصنف الأول : عندهم أنفع العبادات ، وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها .

قالوا : لأنه أبعد الأشياء من هواها ، وهو حقيقة التعبد .

قالوا : والأجر على قدر المشقة ، ورووا حديثًا لا أصل له : « أفضل الأعمال أَمَزُّهَا » أي : أصعبها وأشقها ، وهؤلاء : هم أهل المجاهدات والجور على النفوس .

قالوا : وإنما تستقيم النفوس بذلك ، إذ طبعها الكسل والمهانة ، والإخلاد إلى الأرض ، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق .

الصنف الثاني : قالوا : أفضل العبادات التجرد ، والزهد في الدنيا ، والتقلل منها غاية الإمكان ، واطّرح الاهتمام بها ، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها .

ثم هؤلاء قسمان :

فعوامهم : ظنوا أن هذا غاية ، فشمروا إليه وعملوا عليه . ودعوا الناس

---

(١) وقد أوردناه مع المزيد في رسالة قيمة لنا اسمها : (مفاتيح للفقه في الدين) فراجعها إن شئت فإن بها نفعًا كبيرًا – إن شاء الله – في هذا الباب .

إليه ، وقالوا : هو أفضل من درجة العلم والعبادة ، فرأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها .

وخواصهم رأوا هذا مقصودًا لغيره ، وأن المقصود به عكوف القلب على الله ، وجمع الهمة عليه ، وتفريغ القلب لمحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والاشتغال بمرضاته . فرأوا أن أفضل العبادات في الجمعية على الله ، ودوام ذكره بالقلب واللسان ، والاشتغال بمراقبته ، دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له .

ثم هؤلاء قسمان : فالعارفون المتبعون منهم : إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فَرَّقهم وأذهب جمعيتهم . والمنحرفون منهم يقولون : المقصود من العبادة جمعية القلب على الله . فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفت إليه . وربما يقول قائلهم :

يطالب بالأوراد من كان غافلًا فكيف بقلب كل أوقاته ورد ؟

ثم هؤلاء أيضًا قسمان : منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته ، ومنهم من يقوم بها ، ويترك السنن والنوافل ، وتعلم العلم النافع لجمعيته .

وسأل هؤلاء شيخًا عارفًا فقال : إذا أذن المؤذن وأنا في جمعيتي على الله ، فإن قمت وخرجت تفرقت ، وإن بقيت على حالي بقيت على جمعيتي ، فما الأفضل في حقي ؟ .

فقال : إذا أذن المؤذن وأنت تحت العرش فقم ، وأجب داعي الله ، ثم عد إلى موضعك . وهذا لأن الجمعية على الله : حظ الروح والقلب ، وإجابة الداعي : حق الرب ، ومن آثر حظ روحه على حق ربه فليس من أهل « إياك نعبد » .

الصنف الثالث : رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعد ،

فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر ، فرأوا خدمة الفقراء ، والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل . فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي ﷺ : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله » رواه أبو يعلى[١] .

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد إلى الغير ، وأين أحدهما من الآخر ؟ .

قالوا : ولهذا كان فضل العالم على العابد : كفضل القمر على سائر الكواكب

قالوا : وقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النعم »[٢]، وهذا التفضيل للنفع المعتدي ، واحتجوا بقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء »[٣] ، واحتجوا بقوله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير »[٤] ، وبقوله ﷺ : « إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى

---

(١) إسناده ضعيف جدًا ، وقد أخرجه الطبراني (١٠/١٠٥) أثر (١٠٠٣٤) ، والخطيب البغدادي (٦/ ٣٣٤) وفيه موسى بن عمير ، وهو متروك .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢١٠) ، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » .

(٤) صححه الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله (صحيح الجامع ١٨٣٤) .

الحيتان في البحر والنملة في جحرها »[1] .

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله ، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي نسب إليه .

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ، ونفعهم في معاشهم ومعادهم ، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب ، ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد ، وترك مخالطة الناس . ورأى هؤلاء التفرق في أمر الله ونفع عباده والإحسان إليهم أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك .

---

(١) ضعيف ، وقد أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والبغوي (شرح السنة) (١/٢٧٥)، والدارمي (١/٩٨) وغيرهم كما سنشير إليهم قريبًا من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس ، قال : كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل ، فقال : يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة .

قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر » .

● وهذا إسناد ضعيف من أجل داود بن جميل فهو ضعيف ، وكذلك كثير بن قيس ، وثمَّ بعض الخلافات في السند أيضًا ، ولمزيد من الوقوف عليها مع الوقوف على مزيد ممن أخرجوا الحديث انظر سنن الترمذي (٢٦٨٢) ، وسنن ابن ماجه (حديث ٢٢٣) ، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٤٢٩) وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ص٣٣ - ٣٧) ، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦) ، وابن حبان (١/١٥١ - ١٥٢) ، وثمَّ شاهد عند أبي داود (٣٦٤٢) من حديث أبي الدرداء ، وفي إسناده مجهول . والله تعالى أعلم .

الصنف الرابع : قالوا : إن أفضل العبادة : العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته . فأفضل العبادات في وقت الجهاد : الجهاد ، وإن آل إلى ترك الأوراد ، من صلاة الليل وصيام النهار ، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض ، كما في حالة الأمن .

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلًا : القيام بحقه ، والاشتغال به عن الورد المستحب ، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل .

والأفضل في أوقات السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار .

والأفضل في وقت استرشاد الطالب ، وتعلم الجاهل : الإقبال على تعليمه والاشتغال به .

والأفضل في أوقات الأذان : ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن .

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس : الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه ، والمبادرة إليها في أول الوقت ، والخروج إلى الجامع ، وإن بعد كان أفضل .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه ، أو البدن أو المال : الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته ، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك .

والأفضل في وقت قراءة القرآن : جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه ، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به ، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره ، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك .

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة : الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر

دون الصوم المضعف عن ذلك .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة : الإكثار من التعبد ، لا سيما التكبير والتهليل والحميد . فهو أفضل من الجهاد غير المتعين .

والأفضل في العشر الأخير من رمضان : لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم ، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن ، عند كثير من العلماء .

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته ، وحضور جنازته وتشييعه ، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك : أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم ، دون الهرب منهم . فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه[1] .

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من عزلتهم فيه ، وعزلتهم في الشر ، فهي أفضل من خلطتهم فيه . فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من عزلتهم .

فالأفضل في كل وقت وحال : إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال . والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه . وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق . والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد . فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقض وترك عبادته . فهو

---

(١) صح في هذا المعنى حديث عن رسول الله ﷺ من حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : « المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

أخرجه الترمذي (٢٥٠٧) ، وأحمد (٣٦٥/٥) ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) ، وابن ماجة (٤٠٣٢) .

يعبد الله على وجه واحد . وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت . فمدار تعبده عليها . فهو لا يزال متنقلًا في منازل العبودية ، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها ، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى . فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره : فإن رأيت العلماء رأيته معهم . وإن رأيت العباد رأيته معهم . وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم . وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم ، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم ، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم ، فهذا هو العبد المطلق ، الذي لم تملكه الرسوم ، ولم تقيده القيود ، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات . بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه ، فهذا هو المتحقق بإياك نعبد وإياك نستعين حقًّا ، القائم بهما صدقًا . ملبسه ما تهيأ ، ومأكله ما تيسر ، واشتغاله بما أمر به في كل وقت بوقته ، ومجلسه حيث انتهى ووجده خاليًا ، لا تملكه إشارة ، ولا يتعبده قيد ، ولا يستولى عليه رسم ، حر مجرد ، دائر مع الأمر حيث دار ، يدين بدين الأمر أنى توجهت ركائبه ، ويدور معه حيث استقلت مضاربه يأنس به كل محق ، ويستوحش منه كل مبطل ، كالغيث حيث وقع نفع ، وكالنخلة لا يسقط ورقها ، وكلها منفعة حتى شوكها . وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله ، والغضب إذا انتهكت محارم الله ، فهو لله وبالله ومع الله ، قد صحب الله بلا خلق ، وصحب الناس بلا نفس . بل إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم ، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فواهًا له . ما أغْرَبَه بين الناس ، وما أشدَّ وحشته منهم ، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه إليه !! والله المستعان . وعليه التكلان .

❋ ❋ ❋

س : العبودية لله على قسمين عبودية خاصة وعبودية عامة ، وضح ذلك ؟

ج : أما العبودية العامة فبمعنى أن كل الخلق مقهورون خاضعون لله سبحانه وتعالى يتصرف فيهم كيف يشاء ، ويحكم فيهم كما يريد ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ومن الآيات التي يظهر فيها معنى العبودية بعمومه قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ [الأنعام : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ [العنكبوت : ٦٢] وقوله تعالى : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] .

● أما العبودية الخاصة فأهلها ذلَّلوا أنفسهم لله واستكانوا لأوامره وائتمروا بها وانتهوا عن نواهيه فامتثلوا ما أمر وانتهوا عما نهى وزجر ورجوا ما عنده من ثواب وخشوا ما أعد للعصاة من عقاب . فهم بهذا المعنى عباد الله ، ومن الآيات التي يظهر فيها هذا المعنى ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. ﴾ [ص : ٤٥] وقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الإسراء : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾ [نوح : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٩] ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم[١] .

---

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٩٥) :

فصل في انقسام العبودية إلى عامة وخاصة :

العبودية نوعان : عامة ، وخاصة .

فالعبودية العامة : عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله ، بَرِّهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم . فهذه عبودية القهر والملك . قال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن =

= ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتَنشَقُّ الأرض وتخِرُّ الجبال هَدًّا * أن دَعَوْا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمنِ عبدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٣] ، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم .

وقال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ [الفرقان : ١٧] فسماهم عباده مع ضلالهم ، لكن تسميةً مقيدة بالإشارة ، وأما المطلقة فلم تجيء إلا لأهل النوع الثاني ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وقال تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] ، وقال : ﴿ وما الله يريد ظلمًا للعباد ﴾ [غافر : ٣١] ، ﴿ إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [غافر : ٤٨] ، فهذا يتناول العبودية الخاصة والعامة .

وأما النوع الثاني : فعبودية الطاعة والمحبة ، واتباع الأوامر . قال تعالى : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ [الزخرف : ٦٨] وقال : ﴿ فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] ، وقال : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا . وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، وقال تعالى عن إبليس : ﴿ ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [الحجر : ٣٩ ، ٤٠] فقال تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر : ٤٢] .

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته ، وأهل طاعته وولايته : هم عبيد إلهيته .

ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقًا إلا لهؤلاء .

وأما وصف عبيد ربوبيته بالعبودية : فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه : إما منكرًا . كقوله : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] ، والثاني معرفًا باللام كقوله : ﴿ وما الله يريد ظلمًا للعباد ﴾ [غافر : ٣١] ، ﴿ إن الله قد حكم بين العباد ﴾ [غافر : ٤٨] .

الثالث : مقيدًا بالإشارة أو نحوها كقوله: ﴿ أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ [الفرقان : ١٧] .

الرابع : أن يذكروا في عموم عباده . فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر . كقوله : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الزمر : ٤٦] =

س : كيف يكون العبد محققًا لقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾[البقرة : ٥] ؟

ج : يكون العبد محققًا لقوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ إذا التزم أصلين :

الأول : متابعة الرسول ﷺ .

= الخامس : أن يذكروا موصوفين بفعلهم . كقوله : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد يقال : إنما سماهم عباده إذ لم يقنطوا من رحمته ، وأنابوا إليه ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة .

وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة : لأن أصل معنى اللفظة : الذل والخضوع . يقال : « طريق معبد » إذا كان مذللًا بوطء الأقدام ، و « فلان عَبَّده الحب » إذا ذلله ، لكن أولياؤه خضعوا له وذلوا طوعًا واختيارًا ، وانقيادًا لأمره ونهيه ، وأعداؤه خضعوا له قهرًا ورغمًا .

ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة : انقسام القنوت إلى خاص وعام ، والسجود كذلك . قال تعالى في القنوت الخاص : ﴿ أمَّن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ [الزمر : ٩] وقال في حق مريم : ﴿ وكانت من القانتين ﴾ [التحريم : ١٢] ، وهو كثير في القرآن .

وقال في القنوت العام : ﴿ بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] ، أي : خاضعون أذلاء .

وقال في السجود الخاص : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] ، وقال : ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خَرُّوا سُجَّدًا وبُكياً ﴾ [مريم : ٥٨] ، وهو كثير في القرآن .

وقال في السجود العام : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [الرعد : ١٥] .

ولهذا كان السجود الكُرْه غير السجود المذكور في قوله : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴾ [الحج : ١٨] فخص بالسجود هنا كثيرًا من الناس وعمهم بالسجود في سورة النحل الآية ٤٩ ، وهو سجود الذل والقهر والخضوع ، فكل أحد خاضع لربوبيته ، ذليل لعزته . مقهور تحت سلطانه تعالى .

الثاني : الإخلاص لله تبارك وتعالى[1] .

(١) وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أن الناس بحسب هذين الأصلين ينقسمون إلى أربعة أقسام فقال رحمه الله (التفسير القيم ص٧٣) :

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضًا إلى أربعة أقسام :

أحدها : أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة . وهم أهل « إياك نعبد » حقيقة ، فأعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله ، وعطاؤهم لله ، ومنعهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله . فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده . لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورًا ، ولا ابتغاء الجاه عندهم ، ولا طلب المحمدة ، والمنزلة في قلوبهم ، ولا هربًا من ذمهم . بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور ، لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا . فالعمل لأجل هؤلاء ، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ، ورجائهم للضر والنفع منهم ، لا يكون من عارف بهم البتة ، بل من جاهل بشأنهم ، وجاهل بربه . فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم . ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله ، وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه ، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق ، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم ، وكذلك أعمالهم كلها وعباداتهم موافقة لأمر الله ، ولما يحبه ويرضاه ، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه . وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله . قال الله تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ﴾ [الملك : ٢] وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملًا ، قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا . لم يقبل . وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص : ما كان لله ، والصواب : ما كان على السنة . وهذا هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وفي قوله : ﴿ ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [النساء : ١٢٥] ، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه على متابعة أمره ، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله ، يعود عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورًا . وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »[1] وكل عمل بلا اقتداء . فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا . =

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

س : ما مدى صحة الشعارات التي ترفع في بعض الدول تحت مسمى (حرية الرأي) و(حرية الكلمة) ونحو ذلك ؟

ج : إن كان المراد بـ (حرية الكلمة) و (حرية الرأي) التكلم بكلمة الحق والصدع بالرأي الحق الذي يحبه الله ويرضاه ولا يخشى في إعلانه وإظهاره لومة لائم فذلك أمر محمود ، محمود أن تصدع بالحق وتعلن رأيك

= فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء .

فصل :

الضرب الثاني[1] : من لا إخلاص له ولا متابعة . فليس عمله موافقًا لشرع ، ولا هو خالصًا للمعبود ، كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله . وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل . ولهم أوفر نصيب من قوله : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أَتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ [آل عمران : ١٨٨] يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص .

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات ، والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم . فهم أهل الغضب والضلال .

الضرب الثالث : من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الأمر ، كجهال العباد ، والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر ، وكل من عبد الله بغير أمره ، واعتقده قربة إلى الله فهذا حاله ، كمن يظن أن سماع المُكاء والتصدية قربة ، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ، وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة ، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة . وأمثال ذلك .

الضرب الرابع : من أعماله على متابعة الأمر ، لكنها لغير الله . كطاعة المرائين ، وكالرجل يقاتل رياء وحَمية وشجاعة ، ويحج ليقال ، ويقرأ القرآن ليقال ، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها ، لكنها غير صالحة فلا تقبل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة : ٥] ، فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والإخلاص له في العبادة ، وهم أهل إياك نعبد وإياك نستعين .

---

(١) هذا هو القسم الثاني من الأقسام الأربعة .

الصواب في المسائل ما دام موافقًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

● أما إذا كان المراد بحرية الكلمة مثلًا إعطاء الحرية لكل شخص يتكلم بما يشاء من كفرٍ وزندقةٍ ونحو ذلك فهذا كفر ولا يجوز إقراره ولا السكوت عليه ، ومن ثمَّ فيكون شعار (حرية الكلمة) و(حرية الرأي) شعار باطل يتخذ وسيلة إلى إظهار الكفر والتلفظ به والخوض فيه ، ففي الإسلام وعند المسلمين اللسان مُعبَّدٌ مذلَّلٌ لله تبارك وتعالى لا يتكلم كيفما شاء ، بل أحيانًا يجب عليه أن يتكلم كلامًا وحرام عليه في أحيان أُخر أن يتكلم بنوع من الكلام ، و يستحب له في بعض الأحيان أن يتكلم ، ويكره له في بعض الأحيان أن يتكلم ، ويباح له نوع من الكلام ، وهو في كل هذا مقيدٌ بما أمره الله به ، أما إذا انسلخ اللسان من العبودية لله رب العالمين وخاض مع الضُّلال الخائضين ؛ فمصيره – عياذًا بالله – إلى سقر ، كما قال تعالى :

كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين ... ﴾ [المدثر : ٣٨ – ٤٦] وكذلك القلب وسائر الجوارح كلها مُعبدة لله مذلَّلة له خاضعة له عز وجل .

● وقد أفرد العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى هنا بحثًا لا مانع من أن نسوقه بُرمَّته ؛ لما فيه من النفع وبيان عبودية القلب والجوارح لله تبارك وتعالى حتى يكون بيانًا شافيًا لمن جهل عبودية ربِّه ودندن بقوله : (أنا حر) فاستباح المحرمات من أجل هذا الشعار .

قال رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص١٠٠) :

ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة . من كملها كمل مراتب العبودية .

وبيانها : أن العبودية منقسمة على القلب ، واللسان ، والجوارح . وعلى كل منها عبودية تخصه .

والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ، ومستحب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح ، وهي لكل واحد من القلب واللسان ، والجوارح . فواجب القلب : منه متفق على وجوبه ، ومختلف فيه .

فالمتفق على وجوبه : كالإخلاص ، والتوكل ، والمحبة ، والصبر ، والإنابة ، والخوف ، والرجاء ، والتصديق الجازم ، والنية في العبادة ، وهذه قدر زائد على الإخلاص ، فإن الإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره .

ونية العبادة لها مرتبتان :

إحداهما : تمييز العبادة عن العادة .

والثانية : تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض .

والأقسام الثلاثة واجبة .

وكذلك الصدق . والفرق بينه وبين الإخلاص : أن للعبد مطلوبًا وطلبًا ، فالإخلاص: توحيد مطلوبه . والصدق : توحيد طلبه .

فالإخلاص : أن لا يكون المطلوب منقسمًا . والصدق : أن لا يكون الطلب منقسمًا : فالصدق بذل الجهد ، والإخلاص : إفراد المطلوب .

واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة .

وكذلك النصح في العبودية . ومدار الدين عليه ، وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له . وأصل هذا واجب ، وكماله مرتبة المقربين .

وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان ، واجب

مستحـق وهو مرتبـة أصحـاب اليمـين ، وكمال مستحـب . وهو مرتبـة المقربين .

وكذلك الصبر واجب باتفاق الأمة ، قال الإمام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن ، أو بضعًا وتسعين ، وله طرفان أيضًا : واجب مستحق ، وكمال مستحب .

[ثم ذكر القسم الواجب المختلف فيه – إلى أن قال :] .

والمقصود : أن يكون ملك الأعضاء – وهو القلب – قائمًا بعبوديته لله هو ورعيته .

وأما المحرمات التي عليه : فالكبر ، والرياء ، والعجب ، والحسد ، الغفلة ، والنفاق ، وهي نوعان : كفر ومعصية . فالكفر كالشك ، والنفاق ، والشرك ، وتوابعها .

والمعصية نوعان : كبائر وصغائر .

فالكبائر : كالرياء ، والعجب ، والكبر ، والفخر ، والخيلاء ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والفرح والسرور بأذى المسلمين ، والشماتة بمصيبتهم ، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم ، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله ، وتمني زوال ذلك عنهم ، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا ، وشرب الخمر ، وغيرهما من الكبائر الظاهرة ، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها ، والتوبة منها ، وإلا فهو قلب فاسد ، وإذا فسد القلب فسد البدن .

وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب ، وترك القيام بها .

فوظيفة « إياك نعبد » على القلب قبل الجوارح ، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها ولا بد . وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها .

وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه ، وقد تكون كبائر بحسب قوتها وغلظها وخفتها ودقتها .

ومن الصغائر أيضًا : شهوة المحرمات وتمنيها ، وتفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر ، بحسب تفاوت درجات المشتهي ، فشهوة الكفر والشرك : كفر ، وشهوة البدعة : فسق ، وشهوة الكبائر : معصية ، فإن تركها لله مع قدرته عليها أثيب . وإن تركها عجزًا عن بذله مقدوره في تحصيلها : استحق عقوبة الفاعل ، لتنزله منزلته في أحكام الثواب والعقاب ، وإن لم ينزل منزلته في أحكام الشرع ، ولهذا قال النبي ﷺ : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار » ، قالوا : هذا القاتل يا رسول الله ، فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه »[1] ، فنزله منزلة القاتل ؛ لحرصه في الإثم دون الحكم ، وله نظائر كثيرة في الثواب والقلب .

وقد علم بهذا مستحب القلب ومباحه .

فصل

وأما عبوديات اللسان الخمس : فواجبها : النطق بالشهادتين ، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن . وهو ما يتوقف صحة صلاته عليه ، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها ورسوله ، كما أمر بالتسبيح في الركوع والسجود ، وأمر بقول : « ربنا ولك الحمد » بعد الاعتدال ، وأمر بالتشهد ، وأمر بالتكبير .

ومن واجبه : رد السلام . وفي ابتدائه قولان . ومن واجبه : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة

---

(١) أخرجه البخاري (٣١) ، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

المتعينة ، وصدق الحديث .

وأما مستحبه: فتلاوة القرآن ودوام ذكر الله ، والمذاكرة في العلم النافع ، وتوابع ذلك .

وأما محرمه : فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله ، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله ، والدعاء إليها وتحسينها وتقويتها ، وكالقذف وسب المسلم ، وأذاه بكل قول ، والكذب ، وشهادة الزور ، والقول على الله بلا علم ، وهو أشدها تحريمًا .

ومكروهه : التكلم بما تركه خير من الكلام به ، مع عدم العقوبة عليه . وقد اختلف السلف . هل في حقه كلام مباح متساوي الطرفين ؟ على قولين . ذكرهما ابن المنذر وغيره . أحدهما : أنه لا يخلو كل ما يتكلم به : إما أن يكون له أو عليه . وليس في حقه شيء لا له ولا عليه .

واحتجوا بالحديث المشهور ، وهو : « كل كلام ابن آدم عليه . لا له ، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه »[1] .

واحتجوا بأنه يكتب عليه كلامه كله . ولا يكتب إلا الخير والشر .

وقالت طائفة : بل هذا الكلام مباح لا له ولا عليه كما في حركات الجوارح.

قالوا : لأن كثيرًا من الكلام لا يتعلق به أمر ولا نهي . وهذا شأن المباح .

والتحقيق : أن حركة اللسان بالكلام لا تكون متساوية الطرفين ، بل إما راجحة وإما مرجوحة ؛ لأن للسان شأنًا ليس لسائر الجوارح ، وإذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّر اللسان ، تقول : اتق الله ، فإنما نحن بك ،

---

(١) ضعيف أخرجه الترمذي حديث (٢٤١٢) من حديث أم حبيبة – زوج النبي ﷺ – مرفوعًا ، وكذلك ابن ماجة (٣٩٧٤) وغيرهم ، وإسناده ضعيف من وجوه عدة .

فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا . وأكثر ما يُكِبُّ الناس على مناخرهم في النار حصائد ألسنتهم ، وكل ما يتلفظ به اللسان ، فإما أن يكون مما يرضي الله ورسوله أو لا ، فإن كان كذلك فهو الراجح ، وإن لم يكن كذلك فهو المرجوح . وهذا بخلاف حركات سائر الجوارح ، فإن صاحبها ينتفع بتحريكها في المباح المستوي الطرفين ، لما له في ذلك من الراحة والمنفعة ، فأبيح له استعمالها فيما فيه منفعة له ، ولا مضرة عليه فيه في الآخرة ، وأما حركة اللسان بما لا ينتفع به فلا يكون إلا مضرة . فتأمله .

فإن قيل : فقد يتحرك بما فيه منفعة دنيوية مباحة مستوية الطرفين . فيكون حكم حركته حكم ذلك الفعل .

قيل : حركته بها عند الحاجة إليها راجحة ، وعند عدم الحاجة إليها مرجوحة لا تفيده . فتكون عليه لا له .

فإن قيل : فإذا كان الفعل متساوي الطرفين كانت حركة اللسان الوسيلة إليه كذلك ، إذ الوسائل تابعة للمقصود في الحكم .

قيل : لا يلزم ذلك . فقد يكون الشيء مباحًا ، بل واجبًا ، ووسيلته مكروهة كالوفاء بالطاعة المنذورة : هو واجب ، مع أن وسيلته ، وهو النذر مكروه منهي عنه ، وكذلك الحلف المكروه مرجوح ، مع وجوب الوفاء به أو الكفارة ، وكذلك سؤال الخلق عند الحاجة مكروه . ويباح له الانتفاع بما أخرجته له المسألة ، وهذا كثير جدًّا . فقد تكون الوسيلة متضمنة مفسدة تكره أو تحرم لأجلها ، وما جعلت وسيلة إليه ليس بحرام ولا مكروه .

فصل

وأما العبوديات الخمس على الجوارح : فعلى خمس وعشرين مرتبة أيضًا : إذ الحواس خمسة . وعلى كل حاسة خمس عبوديات ، فعلى السمع : وجوب

الإنصات ، والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه ، من استماع الإسلام والإيمان وفروضهما ، وكذلك استماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام ، واستماع الخطبة للجمعة في أصح قولي العلماء .

ويحرم عليه استماع الكفر والبدع ، إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة . من ردِّه ، أو الشهادة على قائله ، أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك ، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره ، ولا يجب أن يطلعك عليه ، ما لم يكن متضمنًا لحق لله يجب القيام به ، أو لأذى مسلم يتعين نصحه ، وتحذيره منه .

وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن ، إذا لم تدع إليه حاجة ، من شهادة ، أو معاملة ، أو استفتاء ، أو محاكمة ، أو مداوة ونحوها .

وكذلك استماع المعازف وآلات الطرب واللهو ، كالعود والطنبور واليراع ونحوها . ولا يجب عليه سَدُّ أذنه إذا سمع الصوت ، وهو لا يريد استماعه ، إلا إذا خاف السكون إليه والإنصات ، فحينئذ يجب تجنب سماعها وجوب سد الذرائع .

ونظير هذا المحرم : لا يجوز له تعمد شم الطيب ، وإذا حملت الريح رائحته وألقتها في مشامِّه لم يجب عليه سد أنفه ، ونظير هذا : نظرة الفجأة لا تحرم على الناظر ، وتحرم عليه النظرة الثانية إذا تعمدها .

وأما السمع المستحب : فكاستماع المستحب من العلم ، وقراءة القرآن ، وذكر الله ، واستماع كل ما يحبه الله ، وليس بفرض .

والمكروه : عكسه ، وهو استماع كل ما يكرهه ولا يعاقب عليه ، والمباح ظاهر .

وأما النظر الواجب : فالنظر في المصحف وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها ، والنظر إذا تعين لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها وينفقها ويستمتع بها ، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها . ونحو ذلك .

والنظر الحرام : النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقًا ، وبغيرها إلا لحاجة ، كنظر الخاطب ، والمستام والمعامل ، والشاهد ، والحاكم ، والطبيب ، وذي المحرم .

والمستحب : النظر في كتب العلم والدين التي يزداد بها الرجل إيمانًا وعلمًا والنظر في المصحف ووجوه العلماء الصالحين والوالدين ، والنظر في آيات الله المشهودة ، ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته .

والمكروه : فضول النظر الذي لا مصلحة فيه . فإن له فضولًا كما للسان فضولًا ، وكما قاد فضولها إلى فضولٍ عَزَّ التخلص منها ، وأعيَى دواؤها . وقال بعض السلف : كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام .

والمباح : النظر الذي لا مضرة فيه في العاجل والآجل ولا منفعة .

ومن النظر الحرام : النظر إلى العورات . وهي قسمان :

عورة وراء الثياب ، وعورة وراء الأبواب .

ولو نظر في العورة التي وراء الأبواب فرماه صاحب العورة ففقأ عينه لم يكن عليه شيء ، وذهبت هدرًا ، بنص رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته . وإن ضعفه بعض الفقهاء ، لكونه لم يبلغه النص ، أو تأوله ، وهذا إذا لم يكن للناظر سبب يباح النظر لأجله ، كعورة له هناك ينظرها . أو ريبة هو مأمور أو مأذون له في اطلاعها .

وأما الذوق الواجب : فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه ، وخوف الموت . فإن تركه حتى مات ، مات عاصيًا قاتلًا لنفسه . قال الإمام أحمد وطاووس :

من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات ، دخل النار .

ومن هذا : تناول الدواء إذا تيقن به من الهلاك ، على أصح القولين . وإن ظن الشفاء به ، فهل هو مستحب مباح ، أو الأفضل تركه ؟ فيه نزاع معروف بين السلف والخلف .

والذوق الحرام : كذوق الخمر والسموم القاتلة . والذوق الممنوع منه للصوم الواجب .

وأما المكروه : فكذوق المشتبهات ، والأكل فوق الحاجة ، وذوق طعام الفجاءة ، وهو الطعام الذي تفجأ آكله ، ولم يرد أن يدعوك إليه ، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها، وفي السنن: أن رسول الله ﷺ (نهى عن طعام المتبارين)[1] وذوق طعام من يطعمك حياء منك لا بطيبة نفس.

والذوق المستحب : أكل ما يعينك على طاعة الله عز وجل ، مما أذن الله فيه . والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل ، فينال منه غرضه . والأكل من طعام صاحب الدعوة الواجب إجابتها أو المستحب .

وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب إجابتها ؛ للأمر به عن الشارع .

والذوق المباح : ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان .

وأما تعلق العبوديات الخمس بحاسة الشم ، فالشم الواجب : كل شم تعين طريقًا للتمييز بين الحلال والحرام ، كالشم الذي يعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة ؟ وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه ؟ أو يميز به بين ما يملك

---

(١) أخرجه أبو داود رحمه الله (حديث ٣٧٥٤) ، والحاكم (١٢٩/٤) ، والطبراني في الكبير (٣٤٠/١١) ، وابن عدي في الكامل (٧٧/٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نهى رسول الله ﷺ عن طعام المتبارين) لكن رجح أكثر العلماء أنه مرسل ، لكن صححه بعض أهل العلم ؛ لشاهد أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « المتباريان لا يُجابان ، ولا يؤكل طعامهما » .

الانتفاع به ، وما لا يملك ؟ ومن هذا : شم المقوِّم وربُّ الخِبْرة عند الحكم بالتقويم ، والعبيد ونحو ذلك .

وأما الشم الحرام : فالتعمد لشم الطيب في الإحرام ، وشم الطيب المغصوب والمسروق ، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات للافتتان بما وراءه .

وأما الشم المستحب : فشم ما يعينك على طاعة الله ويقوي الحواس ، ويبسط النفس للعلم والعمل . ومن هذا : هدية الطيب والريحان إذا أهديت لك . ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ : « من عُرض عليه ريحان فلا يرده ؛ فإنه طيب الريح ، خفيف المحمل »[1].

والمكروه : كشم طيب الظَّلَمة ، وأصحاب الشبهات ، ونحو ذلك .

والمباح : ما لا منع فيه من الله ولا تبعة ، ولا فيه مصلحة دينية ولا تعلق له بالشرع .

وأما تعلق هذه الخمسة بحاسة اللمس . فاللمس الواجب : كلمس الزوجة حين يجب جماعها ، والأمة الواجب إعفافها .

والحرام : لمس ما لا يحل من الأجنبيات .

والمستحب : إذا كان فيه غض بصره وكف نفسه عن الحرام وإعفاف أهله .

والمكروه : لمس الزوجة في الإحرام للذة ، وكذلك في الاعتكاف ، وفي الصيام إذا لم يأمن على نفسه .

ومن هذا لمس بدن الميت – لغير غاسله – لأن بدنه قد صار بمنزلة عورة الحي تكريمًا له ، ولهذا يستحب ستره عن العيون وتغسيله في قميص في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أحد القولين ، ولمس فخذ الرجل ، إذا قلنا : هو عورة .

والمباح : ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينية .

وهذه المراتب أيضًا مُرَتَّبة على البطش باليد والمشي بالرجل . وأمثلتها لا تخفى .

فالتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله : واجب . وفي وجوبه لقضاء دينه خلاف ، والصحيح : وجوبه ليمكنه من أداء دينه ، ولا يجب لإخراج الزكاة ، وفي وجوبه لأداء فريضة الحج نظر ، والأقوى في الدليل : وجوبه لدخوله في الاستطاعة ، وتمكنه بذلك من أداء النسك . والمشهور عدم وجوبه .

ومن البطش الواجب : إعانة المضطر ورمي الجمار ، ومباشرة الوضوء والتيمم .

والحرام : كقتل النفس التي حرم الله ، ونهب المال المغصوب ، وضرب من لا يحل ضربه ونحو ذلك ، وكأنواع اللعب المحرم بالنص كالنَّرد ، أو ما هو أشد تحريمًا منه عند أهل المدينة كالشطرنج ، أو مثله عند فقهاء الحديث كأحمد وغيره ، أو دونه عند بعضهم . ونحو كتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفًا أو نسخًا ، إلا مقرونًا بردها ونقضها ، وكتابة الزور والظلم ، والحكم الجائر ، والقذف والتشبيب بالنساء الأجانب ، وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم ، ولا سيما إن كسبت عليه مالًا ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٩٧] وكذلك كتابة المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله ، إلا أن يكون مجتهدًا مخطئًا ، فالإثم موضوع عنه .

وأما المكروه : فكالعبث واللعب الذي ليس بحرام ، وكتابة ما لا فائدة في كتابته ، ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة .

والمستحب : كتابة كل ما فيه منفعة في الدين ، أو مصلحة لمسلم ، والإحسان بيده بأن يعين صانعًا ، أو يصنع لأخْرق ، أو يُفرغ من دَلْوه في دلو المستسقِي ، أو يحمل له على دابته ، أو يمسكها حتى يحمل عليها ، أو يعاونه بيده فيما يحتاج إليه ونحو ذلك ، ومنه : لمس الركن بيده في الطواف ، وفي تقبيلها بعد اللمس قولان .

والمباح : ما لا مضرة فيه ولا ثواب .

وأما المشي الواجب : فالمشي إلى الجمعات والجماعات ، في أصح القولين لبضعة وعشرين دليلًا ، مذكورة في غير هذا الموضع . والمشي حول البيت للطواف الواجب ، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه ، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دُعي إليه ، والمشي إلى صلة رحمه ، وبر والديه ، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه ، والمشي إلى الحج إذا قربت المسافة ولم يكن عليه فيه ضرر .

والحرام : المشي إلى معصية الله ، وهو من رجل الشيطان . قال تعالى : ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورَجْلك ﴾ [الإسراء : ٦٤] قال مقاتل : استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم . فكل راكب وماشٍ في معصية الله فهو من جند إبليس .

وكذلك تعلق هذه الأحكام الخمس بالركوب أيضًا :

فواجبه في الركُوب في الغزو والجهاد والحج الواجب .

ومستحبه : في الركوب المستحب من ذلك ، ولطلب العلم ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، وفي الوقوف بعرفة نزاع : هل الركوب فيه أفضل ، أم على الأرض ؟ والتحقيق : أن الركوب أفضل إذا تضمن مصلحة : من تعليم للمناسك ، واقتداء به ، وكان أعون على الدعاء ولم يكن فيه ضرر على الدابة .

وحرامه : الركوب في معصية الله عز وجل .

ومكروهه : الركوب للهو واللعب ، وكل ما تركه خير من فعله .

ومباحه : الركوب لما لم يتضمن فوت أجر ، ولا تحصيل وزر .

فهذه خمسون مرتبة على عشرة أشياء : القلب ، واللسان ، والسمع ، والبصر والأنف ، والفم ، واليد ، والرجل ، والفرج ، والاستواء على ظهر الدابة .

***

س : يُشرع للعبد – كما هو معلوم – أن يقول في دعائه : (اللهم ارزقني) ، (اللهم اشفني) ، (اللهم عافني) ونحو ذلك بلا تقدمات ، لكن المستحب أن يُقدم بين يدي دعائه مقدمات . بيِّن بعض هذه المقدمات ؟

ج : من أكمل أحوال السائل – كما ذكر ذلك بعض أهل العلم – أن يمدح مسئوله ويثني عليه ثم يسأله حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين .

وهذا حال أهل العلم والإيمان مع ربهم عزَّ وجل فيقدمون بين يدي دعائهم مقدمات منها :

● **حمد الله عز وجل والثناء عليه وتمجيده** كما في سورة الفاتحة ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمٰن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل[1]. ثم يأتي بعد هذا الحمد والثناء والتمجيد السؤال بقولنا : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فانظر كيف

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وقد تقدم تخريجه .

أتى هذا الدعاء بعد الحمد والثناء والتمجيد !!!

● ومن هذا الباب أيضًا ما أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل وذهاب المؤمنين إلى آدم عليه السلام ؛ فيحيلهم آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام ، ونوح يحثهم على الذهاب إلى إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم يحيلهم[1] إلى موسى عليه السلام ، وموسى يحيلهم إلى عيسى عليه السلام ، وعيسى يحيلهم إلى نبينا محمد ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقُل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناءٍ وتحميد يعلمنيه » قال : « ثم أشفع فيُحِدُّ لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة » .

فجاءت شفاعة رسول الله ﷺ ودعاؤه بعد السجود لله والثناء عليه وحمده سبحانه .

● ومن هذا الباب أيضًا ما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وأعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، لا إلٰه إلا أنت » .

فانظر كيف جاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله عز وجل وغاية الإقرار

---

(١) كلمة (يحيلهم) من تصرفي ، وفي الصحيح : اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى .... ، وفيه أيضًا عليكم بإبراهيم و .... وهي تؤدي نفس المعنى .

له بالعبودية ؟!!!

● وفي هذا الباب دعاء الاستخارة أيضًا فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين والثناء على الله والإقرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قدرته (أي : عن قدرة نفسه) بقوله : (فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب) . ثم يأتي بعد ذلك الدعاء : « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي ... »[1].

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله والثناء على الرب سبحانه وتعالى .

● ومن هذا الباب أيضًا قول النبي ﷺ : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم »[2].

[أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما] . فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع .

● ومن هذا ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » . فانظر كيف جاء قوله عليه السلام : « اللهم

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١١/١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري » – أو قال : في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال : في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ، ويسمي حاجته » .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/١٩٦) .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (مع النووي ٤/٢٠١) .

اغفر لي » بعد قوله : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » .

● وكذلك في صلاة الليل كان عليه الصلاة والسلام يفتتحها بقوله : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[1]، فانظر كيف جاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سبحانه وتعالى وحده .

● **وتارة يضاف إلى حمد الله والثناء عليه الصلاة على رسول الله** ﷺ كما ورد من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عز وجل ولم يُصلِّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « عجل هذا » ثم دعاه وقال له ولغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصلِّ على النبي ﷺ ثم ليدعُ بما شاء »[2].

● **وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء الله الحسنى** ؛ لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، فهي أحسن الأسماء فإنه سبحانه إذا دعي بأحسن أسمائه – وأسماؤه كلها حسنى – كان ذلك من أسباب الإجابة .

فيُسأل الرب سبحانه وتعالى باسم من أسمائه الحسنى موافق للمسألة التي يريدها الشخص ، فإن كان يريد الرزق مثلًا قال كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ .... وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] ، وقول موسى عليه

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٥٦/٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وهو من طريق عكرمة عن يحيى بن أبي كثير ، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٨/٤) ، وأبو داود (١٦٢/٢) ، والنسائي (٤٤/٣) ، والترمذي (ص ٤٤٩ جـ ٩ مع تحفة الأحوذي) ، وغيرهم ، وسنده حسن .

السلام : ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] فطلب المغفرة بقوله : ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ .

وطلب الشفاء باسم الشافي كما قال رسول الله ﷺ : « ... اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك .... » [أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا][(1)]. وهكذا .

وفي هذا الباب حديث بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلـٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، قال : فقال : « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى »[(2)] [أخرجه الترمذي بسند حسن] .

● **وتارة يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته** ، كما قال موسى ﷺ : ﴿ رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير ﴾ [القصص : ٢٤] ، فالذي أنزل إليَّ الخير ابتداءً هو الله ، ومنه أطلب المزيد ، فهو صاحب الفضل أولًا وآخرًا ، ومن ذلك قول أيوب ﷺ : ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء / ٨٣].

● ومن هذا القبيل قول زكريا عليه السلام : ﴿ ... ولم أكن بدعائك رب شقيًّا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًّا ﴾ [مريم : ٤ - ٦] .

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدِّم بالتوسل إلى الله بسابق إحسانه وإجابته ، كما قال ابن القيم رحمه الله (في التفسير القيم) : فقد قيل : إنه دعاء المسألة ، والمعنى : إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان ، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه ، كما حكي أن رجلًا سأل رجلًا

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣١/١٠) ، ومسلم (مع النووي ٧٦/١١) .
(٢) أخرجه الترمذي (مع تحفة الأحوذي ٤٤٥/٩) .

وقال : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا وكذا ، فقال : مرحبًا بمن توسل إلينا بنا ، وقضى حاجته .

قلت : فكأن زكريا عليه الصلاة والسلام يقول لربه عز وجل : يا رب يا دائم العطاء يا من تكرمت عليَّ ولم ترد دعواتي ولم تجعلني من قبل محرومًا ولم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان استجب دعوتي فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا .

● ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] فتوسلوا إلى الله بسابق إحسانه إليهم وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون : يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية وتفضلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية ، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل وعدم كفران للنعيم والإحسان ، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم فنقول وبالله التوفيق ، لو أن رجلًا جاء يطلب منك أن تتصدق إليه وتعطيه مائة جنيه مثلًا فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل وقال لك – متوسلاً إليك بسابق إحسانك – : أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنيه ، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف ؛ فحينئذ تعطيه وأنت منشرح الصدر راضٍ عنه وعن شكره للمعروف ، ولله المثل الأعلى .

● **وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال** ، ومن ذلك قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران :٥٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به واتباعهم لرسوله ﷺ .

● ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا

مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان .

● ومنه قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون / ١٠٩] .

● ومن هذا القبيل حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (واللفظ لمسلم) قال رسول الله ﷺ : « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعو الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم ، فإذا أرحت عليهم حلبتُ فبدأت بوالديَّ فسقيتهما قبل بنيَّ وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آتِ حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء . وقال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم . وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرقِ أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي فعرضت عليه فرقهُ فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى

جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي . قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها . فقال : اتق الله ولا تستهزىء بي ، فقلت : إني لا أستهزىء بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ، ففرج الله ما بقي » .

فهم هنا قد توسلوا بصالح أعمالهم إلى الله تبارك وتعالى ففرج الله عنهم .

● **وتارة يكون الدعاء بلا مقدمات** ، ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[(١)]، ولم يذكر أنه قدم مقدمات بين يدي الدعاء .

وقد أجمل الحافظ ابن كثير رحمه الله[(٢)] القول في ذلك فقال: ... وهذا

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ / ٤٠) .

(٢) وإلى نحوه أيضًا أشار ابن القيم رحمه الله تعالى فقال (التفسير القيم ص ٢٣) : ولما كان سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب ونيله أشرفَ المواهب : علَّم الله عباده كيفية سؤاله ، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمدَه والثناء عليه ، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم ، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم . توسل إليه بأسمائه وصفاته . وتوسل إليه بعبوديته . وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء . ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه ، والإمام أحمد والترمذي : أحدهما : حديث عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو ، ويقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إلـٰه إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كُفُوًا أحد . فقال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »[(١)] قال الترمذي : حديث صحيح . فهذا توسل إلى الله بتوحيده ، وشهادة الداعي له بالوحدانية . وثبوت صفاته المدلول عليها باسم (الصمد) ، وهو كما قال ابن عباس : (العالم الذي كمل علمه ، القادر الذي كملت قدرته) وفي رواية عنه : (هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد)، وقال أبو وائل : =

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٩/٤٤٥) بإسناد حسن .

= « هو السيد الذي انتهى سؤدده » ، وقال سعيد بن جبير : (هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأعماله) ، وبنفي التمثيل والتشبيه عنه بقوله : « ولم يكن له كفوًا أحد » ، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة ، والتوسل بالإيمان بذلك ، والشهادة به هو الاسم الأعظم .

والثاني : حديث أنس أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إلٰه إلا أنت ، المنّان . بديع السموات والأرض . ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم . فقال : «لقد سأل الله باسمه الأعظم»(١) ، فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته .

وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين ، وهما التوسل بالحمد والثناء عليه ، وتمجيده ، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده . ثم جاء سؤال أهم المطالب ، وأنجح الرغائب ، وهو الهداية ، بعد الوسيلتين . فالداعي به حقيق بالإجابة .

ونظير هذا : دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل . رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت . وإليك أنبت . وبك خاصمت ، وإليك حاكمت . فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إلٰه إلا أنت »(٢) فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له . ثم سأله المغفرة .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣/٢٦٥) ، وفي عدة مواضع من المسند ، والنسائي (٣/٥٢) والطبراني في الصغير (٢/٩٦) وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣٨٢) والبيهقي في الصفات (٢٨ ، ٣٢) ، والخطيب في التاريخ (٥/٢٥٥) ، وغيرهم من طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/٣) ومسلم (مع النووي ٦/٥٤) ، ولفظه عند البخاري : « اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض وما فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلٰه إلا أنت » أو لا إلٰه غيرك .

المؤمنين بقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل ، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه ، كما قال موسى عليه السلام : ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خيرٍ فقير ﴾ ، وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسئول كقول ذي النون : ﴿ لا إلـٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ، وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول كقول الشاعر :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن يشتمك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضه الثناء

❋ ❋ ❋

س : اذكر مراتب الهداية العامة والخاصة كما ذكرها ابن القيم رحمه الله ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ٣٧) :

فصـــل

في مراتب الهداية الخاصة والعامة . وهي عشر مراتب

المرتبة الأولى : مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة ، بل منه إليه . وهذه أعلى مراتبها ، كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه . قال الله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] فذكر في أول الآية وحيه إلى نوح والنبيين من بعده ، ثم خص موسى من بينهم بالإخبار بأنه كلمه . وهذا يدل على أن التكليم الذي حصل له أخص من مطلق الوحي الذي ذكر في أول الآية . ثم أكده بالمصدر الحقيقي الذي هو مصدر « كلم » وهو « التكليم » رفعًا لما توهمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنه إلهام ، أو إشارة ، أو تعريف للمعنى

النفسي بشيء غير التكليم . فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز . قال الفراء : العرب تسمى ما يوصل إلى الإنسان كلامًا بأي طريق وصل . ولكن لا تحققه بالمصدر ، فإذا حققته بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام ، كالإرادة . يقال : فلان أراد إرادة ، يريدون حقيقة الإرادة . ويقال : أراد الجدار ، ولا يقال : إرادة . لأنه مجاز غير حقيقة . هذا كلامه . وقال تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرني أنظر إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وهذا التكليم غير التكليم الأول الذي أرسله به إلى فرعون . وفي هذا التكليم الثاني سأل النظر ، لا في الأول وفيه أعطي الألواح . وكان عن مواعدة من الله له . والتكليم الأول لم يكن عن مواعدة . وفيه قال الله له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] أي : بتكلمي لك بإجماع السلف .

وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه ناداه وناجاه . فالنداء من بُعد والنجاء من قرب . تقول العرب : إذا كبرت الحلقة فهو نداء . أو نجاء[١] ، وقال له أبوه آدم في محاجته : « أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده ؟ »[٢]. وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه . وكذلك في حديث الإسراء في رؤية موسى في السماء السادسة أو السابعة ، على اختلاف الرواية . قال : « وذلك بتفضيله بكلام الله » ولو كان التكليم الذي حصل له من جنس ما حصل لغيره من الأنبياء لم يكن لهذا التخصيص به في هذه الأحاديث معنى . ولا كان يسمى (كليم الرحمٰن »،

---

(١) في لسان العرب : وفي حديث الشعبي : (إذا عظمت الحلقة فهي نداء ونجاء) .

(٢) أخرجه البخاري (١١/٥٠٥ مع الفتح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومني على أمرٍ قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنةٍ ؟! فحج آدم موسى » ثلاثًا . وأخرجه مسلم أيضًا (ص ٢٠٤٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [الشورى : ٥١] ففرق بين تكليم الوحي ، والتكليم بإرسال الرسول ، والتكليم من وراء حجاب .

المرتبة الثانية : مرتبة الوحي المختص بالأنبياء . قال الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ [النساء : ١٦٢] . وقال : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب ﴾ [الشورى : ٥١] فجعل الوحي في هذه الآية قسمًا من أقسام التكليم ، وجعله في آية النساء قسيمًا للتكليم ، وذلك باعتبارين : فإنه قسيم التكليم الخاص الذي بلا واسطة ، وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة ، والوحي في اللغة : هو الإعلام السريع الخفي ، ويقال في فعله : وَحَى ، وأوحى . قال رؤبة : وحى لها القرار فاستقرت ، وهو أقسام ، كما سنذكره .

المرتبة الثالثة : إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري . فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه .

فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء ، لا تكون لغيرهم ، ثم هذا الرسول الملكي قد يتمثل للرسول البشري رجلًا ، يراه عيانًا ويخاطبه ، وقد يراه على صورته التي خُلق عليها ، وقد يدخل فيه الملك ، ويوحي إليه ما يوحيه ، ثم يَفصم عنه ، أي : يقلع . والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة : مرتبة التحديث . وهذه دون مرتبة الوحي الخاص ، وتكون دون مرتبة الصديقين ، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما قال النبي ﷺ : « إنه كان في الأمم قبلكم محدَّثون ، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : =

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يقول : جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا ، وعلق وجودهم في هذه الأمة بإن الشرطية ، مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم ، واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته ، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ، ولا صاحب كشف ولا منام ، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها .

والمحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء ، فيكون كما يحدث به .

قال شيخنا : والصديق أكمل من المحدث . لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف ، فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عنه .

قال : وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول . فإن وافقه قبله ، وإلا رده ، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث .

قال : وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثني قلبي عن ربي : فصحيح أن قلبه حدثه ، ولكن عن من ؟ عن شيطانه ، أو عن ربه ؟ فإذا قال : حدثني قلبي عن ربي كان مسندًا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به ، وذلك كذب ، قال : ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ، ولا تفوَّه به يومًا من الدهر ، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك . بل كتب كاتبه يومًا : (هذا ما أرى الله أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب . فقال : لا . امحه واكتب : هذا ما رأى عمر بن الخطاب . فإن كان صوابًا فمن الله ، وإن كان خطأ فمن عمر ، والله ورسوله منه بريء)، وقال في الكلالة :

= قال رسول الله ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم ناسٌ محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » .

وأخرجه مسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة مرفوعًا ، لكن انتقدت رواية عائشة رضي الله عنها .

(أقول فيها برأيي . فإن يكن صوابًا فمن الله . وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان) ، فهذا قول المحدث بشهادة الرسول ، وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح ، والسماعي : مجاهر بالقِحَة والفرية . يقول : حدثني قلبي عن ربي ، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين . وأعط كل ذي حق حقه ، ولا تجعل الزغل والخالص شيئًا واحدًا .

المرتبة الخامسة : مرتبة الإفهام . قال الله تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ، إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهَّمناها سليمان ، وكلًّا آتينا حكمًا وعلمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] فذكر هذين النبيين الكريمين : فأثنى عليهما بالعلم والحكم . وخص سليمان بالفهم في هذه الواقعة المعينة ، وقال علي بن أبي طالب ، وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال : (لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة ، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه ، وما في هذه الصحيفة) . وكان فيها العقل ، وهو الديات وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وفي كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : (والفهمَ فيما أدلى إليك) ، فالفهم نعمة من الله على عبده ، ونور يقذفه الله في قلبه . يعرف به ، ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه ، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره ، مع استوائهما في حفظه . وفهم أصل معناه .

فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ، ومنشور الولاية النبوية ، وفيه تفاوتت مراتب العلماء ، حتى عُدَّ ألف بواحد ، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ، ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وما خص به ابن عباس من فهمه منها : أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه ، وإعلامه بحضور أجله ، وموافقة عمر له على ذلك ، وخفائه عن غيرهما من الصحابة ، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنًّا ، وأين تجد

في هذه السورة الإعلام بأجله ، لولا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس ، فيحتاج مع النص إلى غيره . ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه ، وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها .

المرتبة السادسة : مرتبة البيان العام . وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه . بحيث يصير مشهودًا للقلب ، كشهود العين للمرئيات ، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه ، التي لا يعذب أحدًا ولا يضله ، إلا بعد وصوله إليها . قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضلَّ قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ [التوبة : ١١٥] فهذا الإضلال عقوبة منه لهم ، حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به . فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى ، وما أضل الله سحانه أحدًا قط إلا بعد هذا البيان .

وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر ، وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضله من عباده ، والقرآن يصرح بهذا في غير موضع ، كقوله : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] ﴿ وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ [النساء : ١٥٥] ، فالأول : كفر عناد ، والثاني : كفر طبع ، وقوله : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة . ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأنعام : ١١٠] ، فعاقبهم على ترك الإيمان به حين تيقنوه وتحققوه . بأن قلَّب أفئدتهم وأبصارهم فلم يهتدوا له .

فتأمل هذا الموضع حق التأمل فإنه موضع عظيم . وقال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧] فهذا هدى بعد البيان والدلالة وهو شرط لا موجب . فإنه إن لم يقترن به هدى آخر بعده ، لم يحصل به كمال الاهتداء وهو هدى التوفيق والإلهام .

وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة ، وبيان بالآيات المشهودة المرئية . وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله ، وصدق ما أخبرت به عنه ، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة عليهم ، ويحضهم على التفكر في هذه وهذه . وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم ، وبعد ذلك يضل الله من يشاء . قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ [إبراهيم : ٤] فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته .

المرتبة السابعة : البيان الخاص*، وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة ، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء ، وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة . قال تعالى في هذه المرتبة : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ [النحل : ٣٧]، وقال : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦] ، فالبيان الأول شرط . وهذا موجب .

المرتبة الثامنة : مرتبة الإسماع . قال الله تعالى : ﴿ ولو علم الله فيهم خيرًا لأسْمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ [الأنفال : ٢٣] ، قال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير ﴾ [فاطر : ١٩ –٢٣] وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ . فإن ذلك حاصل لهم ، وبه قامت الحجة عليهم ، لكن ذاك إسماع الآذان ، وهذا إسماع القلوب . فإن الكلام له لفظ ومعنى ، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما . فسماع لفظه حظ الأذن ، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب . فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع

المقصود والمراد الذي هو حظ القلب ، وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم ﴾ [الأنبياء : ٢ ، ٣] وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه ، أو تمكنه منها ، وأما مقصود السماع وثمرته ، والمطلوب منه : فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه ، بل يخرج السامع قائلًا للحاضر معه ﴿ ماذا قال آنفًا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ [محمد : ١٦] .

والفرق بين هذه المرتبة ومرتبة الإفهام : أن هذه المرتبة إنما تحصل بواسطة الأذن . ومرتبة الإفهام أعم ، فهي أخص من مرتبة الفهم من هذا الوجه ، ومرتبة الفهم أخص من وجه آخر ، وهي أنها تتعلق بالمعنى المراد ولوازمه ومتعلقاته وإشاراته ، ومرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب . ويترتب على هذا السماع سماع القبول .

فهو إذن ثلاث مراتب : سماع الأذن ، وسماع القلب ، وسماع القبول والإجابة .

المرتبة التاسعة : مرتبة الإلهام . قال تعالى : ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [الشمس : ٧ ، ٨] وقال النبي ﷺ لحصين الخزاعي لما أسلم : « قل : اللهم ألهمني رشدي ، وقني شر نفسي »(1) .

---

(١) **صحيح بلفظ قريب من هذا اللفظ** فقد أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (حديث ٤٧٥) ، وأحمد في المسند (٤/٤٤٤) والنسائي في الكبرى (٦/٢٤٧) وغيرهم بإسناد صحيح إلى عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن حصينًا أتى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد لعبدُ المطلب كان خير لقومه منك كان يطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم فقال له النبي ﷺ : ما شاء الله أن يقول له فقال له : ما تأمرني أن أقول ؟ قال :« قل : **اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد** أمرى » ، قال : فانطلق فأسلم الرجل ثم جاء فقال : إني أتيتك فقلت لي قل : =

وقد جعل صاحب المنازل الإلهام هو مقام المحدثين . قال : وهو فوق مقام الفراسة ؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة . واستصعبت على صاحبها وقتًا أو استعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد .

قلت : التحديث أخص من الإلهام : فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان ، فأما التحديث : فالنبي ﷺ قال فيه : « إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر » يعني من المحدثين . فالتحديث إلهام خاص . وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين ، كقوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ [القصص: ٧] وقوله : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ [المائدة : ١١١] وإما من غير المكلفين ، كقوله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النَّحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ [النحل : ٦٨] فهذا كله وحي إلهام .

وأما جعله فوق مقام الفراسة فقد احتج عليه بأن الفراسة : ربما وقعت نادرة كما تقدم . والنادر لا حكم له . وربما استصعب على صاحبها واستصعبت عليه فلم تطاوعه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد ، يعني في مقام القرب والحضور .

والتحقيق في هذا : أن كل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص ، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر ، وعام كل واحد قد يقع كثيرًا ،

= **اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري ، فما أقول الآن ؟ قال : « قل : اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت »** . اللفظ لأحمد وله طريق آخر ضعيف عن عمران بن حصين بنحوه أخرجه الترمذي (٥/٥١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٢٣) والطبراني في الكبير (١٨/١٧٤) .

وخاصه قد يقع نادرًا ، ولكن الفرق الصحيح : أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل ، وأما الإلهام فموهبة مجردة ، لا تنال بكسب البتة .

[ثم ذكر فصولًا أربعة تكلم فيها عن درجات الإلهام الثلاثة . ثم قال] :

المرتبة العاشرة : من مراتب الهداية . الرؤيا الصادقة : وهي من أجزاء النبوة : كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة »[1] .

وقد قيل في سبب هذا التخصيص المذكور : إن أول مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة ، وذلك نصف سنة . ثم انتقل إلى وحي اليقظة مدة ثلاث وعشرين سنة ، من حين بعث إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه ، فنسبة مدة الوحي في المنام من ذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا . وهذا حسن لولا ما جاء في الرواية الأخرى الصحيحة « أنها جزء من سبعين جزءًا » .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦] وبين قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] ؟

---

(١) وله عن النبي ﷺ عدة طرق منها حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعًا ، أخرجه البخاري (٦٩٨٧) ، ومسلم (٢٢٦٤) ، وأحمد (١٨٥/٣) وغيرهم .

- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٨) ، ومسلم (٢٢٦٣) وغيرهما .
- ومن حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٣) وغيره .
- ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٩) وله طرق أخرى عن النبي ﷺ .

ج : يجمع بأن يُقال : إن الهداية على أقسام منها :

هداية الدلالة : منها قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] أي : تدل على الصراط المستقيم .

وهداية التوفيق : ومنها قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [القصص : ٥٦]وقوله تعالى : ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ﴾ [النمل : ٨١] .

فعلى ذلك فالتوفيق من عند الله سبحانه وتعالى ، ولا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى . كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾ [هود : ٨٨] أما الدلالة فالله سبحانه وتعالى مكّن منها البشر وغيرهم .

فعلى ذلك الهداية المنفية في قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [القصص / ٥٦] هي هداية التوفيق ، والهداية المثبتة في قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] هي هداية الدلالة والله تعالى أعلم.

* * *

س : الهداية قد تعدى بنفسها ، وقد تعدى بإلى ، وقد تعدى باللام وضح ذلك ؟

ج : مثال ذلك ما ذكره الطبري رحمه الله[1] حيث قال: والعرب تقول:

---

(١) وزاد هذا المعنى إيضاحًا الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ متضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا ، ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد : ١٠] أي : بينا له الخير والشر ، وقد تعدى بإلى كقوله تعالى : ﴿ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢١] ، ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ [الصافات : ٢٣] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة ، وكذلك قوله : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ، وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف :٤٣] ، أي : وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً . والله أعلم .

هديتُ فلانًا الطريق ، وهديته للطريق ، وهديته إلى الطريق ، إذا أرشدته إليه وسددته له ، وبكل ذلك جاء القرآن .

● قال الله جل ثناؤه : ﴿ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

● وقال في موضع آخر : ﴿ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢١] .

● وقال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ وكل ذلك فاشٍ في منطقها موجود في كلامها ، من ذلك قول الشاعر :

أَسْتَغْفُر اللهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيَهُ   ربَّ العبادِ إليه الوَجْهُ والعملُ

يريد أستغفر الله لذنبٍ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ [غافر : ٥٥] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ اهدنا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ؟

ج : نورد من هذه الأقوال ما يلي :

● قال ابن جرير الطبري رحمه الله : ومعنى قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ في هذا الموضع عندنا : وفقنا للثبات عليه ... ثم قال رحمه الله : فكأن معنى الكلام : اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان ، فأعنا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج .

فإن قال قائل : وأنَّى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق ؟

قيل له : ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يُحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد فمن ذلك قول الشاعر :

لا تَحْرِمَنِّي هداك اللهُ مَسْأَلتي ... ولَا أكُونَن كَمَن أَوْدَى به السَّفَرُ

يعني به : وفقك الله لقضاء حاجتي ، ومنه قول الآخر :

ولا تُعْجِلَنِّي هَدَاك المليكُ ... فإن لكلِّ مقامٍ مقالَا

فمعلوم أنه إنما أراد : وفقك الله لإصابة الحق في أمري .

ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ في غير آية من تنزيله وقد عُلم بذلك أنه لم يعنِ أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه ، وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وقد عمَّ بالبيان جميع المكلفين من خلقه ؟ ولكنه عنى جلَّ وعز أنه لا يوفقهم ولا يشرح للحق صدورهم .

● ونقل الطبري رحمه الله أقوالًا أخرى ثم تعقبها منها :

● ﴿ اهدنا ﴾ : زدنا هداية .

● ومنها : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ : أسلكنا طريق الجنة في المعاد ، أي : قدِّمنا له وامض بنا إليه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ [الصافات : ٢٣] أي : أدخلوهم النار ، كما تُهدى المرأة إلى زوجها يعني بذلك أنها تُدخل إليه ، وكما تُهدى الهدية إلى الرجل ...

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : والهداية هنا الإرشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا .

● وقال القرطبي رحمه الله : .. والمعنى دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أُنسك وقُربك .

وقال أيضًا .. وقيل المعنى : أرشدنا باستعمال السنن في أداء فرائضك .

● وقيل : الأصل فيه الإمالة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ [الأعراف : ١٥٦] أي : رملنا ، وخرج عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين : أي : يتمايل ، ومنه الهدية لأنها تُمال من مِلك إلى مِلك ، ومنه الهدي للحيوان الذي يساق إلى الحرم ، فالمعنى مِل بقلوبنا إلى الحق .

● وقال صديق حسن خان في فتح البيان : وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية والثبات عليه لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى ، قال الله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ [محمد : ١٧] الآية ، وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] والهداية هي الإرشاد والتوفيق والتبيين أو الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالصراط المستقيم في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ؟

ج : قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن ﴿ الصراط المستقيم ﴾ هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي :

أميرُ المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجَّ المواردُ مستقيمٌ(١)

ثم ذكر رحمه الله جملة شواهد وقال :

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : يمدح هشام بن عبد الملك ، والموارد جمع موردة وهي الطرق إلى الماء يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم كما يسلكون الموارد إلى الماء .

ثم تستعير العرب ﴿ الصراط ﴾ فتستعمله في كل قولٍ وعملٍ وُصِف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوجَّ باعوجاجه .

والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أن يكون معنيًّا به : وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قولٍ وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم ، لأن من وفق لما وفق له مَن أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفِّق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبدٍ لله صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم ، وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى المراد بالصراط المستقيم وهو يشمل معاني جميعهم في ذلك[1] .

ثم نقل ابن جرير عن البعض[2] أنه القرآن ، وذكر آخرون أنه الإسلام وذكر البعض أنه رسول الله ﷺ وصاحباه[3].

وثم قول آخر أنه طريق الجنة .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ١٨) :

والصراط المستقيم : هو صراط الله . وهو يخبر أن هداية الصراط عليه سبحانه ، كما ذكرنا ، ويخبر أنه سبحانه على الصراط المستقيم ، وهذا في موضعين من القرآن في هود والنحل ، قال في هود : ﴿ ما من دابة إلا هو

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وإن كان حاصلها يرجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول .

(٢) بصرف النظر عن صحة الأسانيد إلى قائليها .

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة ، فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا ولله الحمد .

آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم ﴾[1] [هود : ٥٦] وقال في النحل : ﴿ وضرب الله مثلًا رجلين أحدهما أبْكَم لا يقدر على شيء ، وهو كَلٌّ على مولاه ، أينما يُوجِّهه لا يأت بخير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟ ﴾ [النحل : ٧٦] فهذا مثل ضربه الله للأصنام التي لا تسمع . ولا تنطق ولا تعقل ، وهي كَلٌّ على عابدها يحتاج الصنم إلى أن يحمله عابده ويضعه ويقيمه ويخدمه . فكيف يسوونه في العبادة بالله الذي يأمر بالعدل والتوحيد . وهو قادر متكلم ، غني . وهو على صراط مستقيم في قوله وفعله . فقوله صدق ورشد ونصح وهدى . وفعله حكمة وعدل ورحمة ومصلحة . هذا أصح الأقوال في الآية . وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره . ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال ، ثم حكاها بعده ، كما فعل البغوي . فإنه جزم به ، وجعله تفسير الآية . ثم قال :

وقال الكلبي : يدلكم على صراط مستقيم .

قلت : ودلالته لنا على الصراط هي من موجب كونه سبحانه على الصراط المستقيم . فإن دلالته بفعله وقوله ، وهو على الصراط المستقيم في أفعاله وأقواله . فلا يناقض قول من قال : إنه سبحانه على الصراط المستقيم .

قال : وقيل : هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم .

قلت : وهذا حق لا يناقض القول الأول . فالله على الصراط المستقيم ، ورسوله عليه . فإنه لا يأمر ولا يفعل إلا مقتضاه وموجبه . وعلى هذا يكون المثل مضروبًا لإمام الكفار وهاديهم ، وهو الصنم الذي هو أبكم ، لا يقدر على هدى ولا خير . وإمام الأبرار ، وهو رسول الله ﷺ الذي يأمر بالعدل . وهو على صراط مستقيم .

---

(١) وكذلك قوله في سورة الحجر : ﴿ قال : هذا صراط عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] .

وعلى القول الأول : يكون مضروبًا لمعبود الكفار ومعبود الأبرار . والقولان متلازمان . فبعضهم ذكر هذا . وبعضهم ذكر هذا . وكلاهما مراد من الآية . قال : وقيل : كلاهما للمؤمن والكافر . يرويه عطية عن ابن عباس . وقال عطاء : الأبكم أُبيُّ بن خلَف ، ومن يأمر بالعدل : حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون .

قلت : والآية تحتمله . ولا يناقض القولين قبله ، فإن الله على صراط مستقيم ، ورسوله وأتباع رسوله . وضد ذلك معبود الكفار وهاديهم ، والكافر التابع والمتبوع والمعبود . فيكون بعض السلف ذكر أعلى الأنواع . وبعضهم ذكر الهادي . وبعضهم ذكر المستجيب القابل . وتكون الآية : متناولة لذلك كله . ولذلك نظائر كثيرة في القرآن .

وأما آية هود : فصريحة لا تحتمل إلا معنى واحدًا . وهو أن الله سبحانه على صراط مستقيم . وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم . فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة ﴿ وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] وأفعاله كلها مصالح وحكم ، ورحمة وعدل وخير . فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله البتة ، لخروج الشر عن الصراط المستقيم . فكيف يدخل في أفعال من هو على الصراط المستقيم أو أقواله ؟ وإنما يدخل في أفعال من خرج عنه وفي أقواله .

وفي دعائه عليه الصلاة والسلام : « لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك »[1] ولا يلتفت إلى تفسير من فسره بقوله :

---

(١) الصواب في هذا الحديث أنه موقوف على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فمداره على أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال في قوله عز وجل : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال : يجمع الناس في صعيد واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتًا لا تتكلم نفس إلا بإذنه قال =

والشر لا يُتقرب به إليك ، أو لا يصعد إليك . فإن المعنى أجل من ذلك ، وأكبر وأعظم قدرًا . فإن مَنْ أسماؤه كلها حسنى . وأوصافه كلها كمال ، وأفعاله كلها حكم ، وأقواله كلها صدق وعدل : يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه ، أو أفعاله أو أقواله . فطابق بين هذا المعنى وبين قوله : ﴿ إن ربي على صراط مستقيم] [هود : ٥٦] وتأمل كيف ذكر هذا عقيب قوله : ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ﴾ [هود : ٥٦] أي : هو ربي ، فلا يُسلمني ولا يضيعني ، وهو ربكم فلا يسلطكم عليَّ ولا يمنعكم مني . فإن نواصيكم بيده ، لا تفعلون شيئًا بدون مشيئته . فإن ناصية كل دابة بيده ، لا يمكنها أن تتحرك إلا بإذنه . فهو المتصرف فيها . ومع هذا ، فهو في تصرفه فيها وتحريكه لها ، ونفوذ قضائه وقدره فيها : على صراط مستقيم ، لا يفعل

= فينادي محمد فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك المهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا إلا إليك تباركت وتعاليت سبحان رب البيت فذاك المقام المحمود الذي قال : عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا . لفظ الحاكم في المستدرك (٢/٣٦٣ - ٣٦٤) .

وقد رواه جمع عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة رضي الله عنه موقوفًا ، منهم إسرائيل وشعبة ومعمر وسفيان .

بينما رواه البعض عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة مرفوعًا منهم الليث بن أبي سليم وعبد الله بن المختار ، ولا شك أن رواية من رواه موقوفًا أصح من رواية الذين رووه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ .

وقد قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/٢١٧) : سألت أبي عن حديث رواه حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : يجمع الله الخلق يوم القيامة في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ... وذكر الحديث ، قال أبي : لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار والموقوف أصح .

قلت : وانظر مصادر هذا الحديث عن ابن أبي شيبة في المصنف (١١/٤٨٤)، (١٣/٣٧٨)، والطبري (٨/٩٧)، والنسائي في التفسير (١/٦٦٠)، والطيالسي في مسنده حديث (٤١٤)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٦٧) وغيرهم.

ما يفعل من ذلك إلا بحكمة وعدل ومصلحة ، ولو سلطكم عليّ فله من الحكمة في ذلك ما له الحمد عليه . لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم . لا يظلم ولا يفعل شيئًا عبثًا بغير حكمة . فهكذا تكون المعرفة بالله ، لا معرفة القدرية المجوسية ، والقدرية المجبرية ، نفاة الحكم والمصالح والتعليل . والله الموفق سبحانه .

● وقدر ورد **بإسناد حسن** من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ ما يفسر الصراط أيضًا ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ، والصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة : محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » . أخرجه أحمد (٤/١٨٢) .

والحاكم في المستدرك (١/٧٣) والبيهقي في الشعب (٥/٤٤٤) **بإسناد حسن** ، وله طريق آخر إلى جبير بن نفير عن النواس مرفوعًا عند أحمد (٤/١٨٣) ، والترمذي (٥/١٤٤) وأبي الشيخ في الأمثال (٣٢٩) وغيرهم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يسأل المؤمن ربه عز وجل الهداية في كل وقت وهو متصفٌ بها فهل هذا من تحصيل الحاصل ؟

ج : أجاب على هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال في تفسيره :

الجواب أن لا ، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله ، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار ، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] الآية ، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل ، لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي فائدة ذكر (الصراط المستقيم) منفردًا معرفًا تعريفين تعريفًا باللام وتعريفًا بالإضافة ؟

ج : أجاب على ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله فقال (التفسير القيم ص ١٤) .

وذكر الصراط المستقيم منفردًا ، معرفًا تعريفين : تعريفًا باللام ، وتعريفًا بالإضافة . وذلك يفيد تعيُّنه واختصاصه ، وأنه صراط واحد . وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها ، كقوله : ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ؛ ولا تتبعوا السُّبُل فتَفَرَّق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام : ١٥٣] فوحَّد لفظ الصراط وسبيله . وجمع السبل المخالفة له . وقال ابن مسعود : « خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ، وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره ، وقال : هذه سُبل ، وعلى كل سبيل شيطان

يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ » [الأنعام : ١٥٣][(١)] وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد . وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه . لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق . ولو أتى الناسُ من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة ، والأبواب عليهم مغلقة ، إلا من هذا الطريق الواحد . فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله.

---

(١) أخرجه أحمد (١/٤٣٥) ، والحاكم في المستدرك (٢/٣١٨) ، والدارمي في سننه (١/٦٧) ، وغيرهم من طريق حماد بن زيد عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال : « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال · « هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ وإسناده حسن .

● وثمَّ خلاف لا يضر فقد روي الحديث عند الحاكم في المستدرك (٢/٢٣٩) وغيره من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله به مرفوعًا (فأبدل مكان أبي وائل ذرًّا) وهذا خلاف لا يضر ، فذرٌّ ثقة وأبو وائل ثقة ، وإن كنا نرجح رواية أبي وائل ، لأن راويها حماد بن زيد عن عاصم ، وحماد أثبت لدينا من أبي بكر بن عياش ، والله أعلم .

● وثمَّ خلاف آخر فقد روي الحديث عن عبد الله موقوفًا ، والمرفوع أصح لدينا من الموقوف ، لأن من رواه مرفوعًا أثبت .

● وثمَّ طريق آخر للحديث عن أبي وائل من طريق عمرو بن علي ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن منذر الثوري عن الربيع وهو ابن خثيم عن عبد الله قلت .... ، انظره في كشف الأستار (٢٢١٢) وانظر أيضًا كشف الأستار (٢٢١٠) .

● وثم شاهد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا بإسناد فيه ضعف عند عبد بن حميد في المنتخب (١١٣٩) وابن ماجة (١٦) وابن أبي عاصم في السُّنة (١٦) لكنه يصلح شاهدًا ، وبالجملة فالحديث أقل أحواله أن يكون حسنًا ، والله أعلم .

قال الله تعالى : ﴿ هذا صراطٌ عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] قال الحسن معناه : صراط إليَّ مستقيم . وهذا يحتمل أمرين : أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت أداة « علي » مقام « إلي » . والثاني : أنه أراد التفسير على المعنى . وهو الأشبه بطريق السلف . أي : صراط موصل إلي ، وقال مجاهد : الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، لا يُعَرِّج على شيء . وهذا مثل قول الحسن وأَبْيَن منه . وهو من أصح ما قيل في الآية . وقيل : « علي » فيه للوجوب ، أي : عليَّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه . والقولان نظير القولين في آية النحل . وهي ﴿ وعلى الله قَصْد السبيل ﴾ [النحل : ٩] والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر : أن السبيل القاصد – وهو المستقيم المعتدل – يرجع إلى الله ، ويوصل إليه . قال طُفَيل الغَنَوي :

مضوا سلفًا ، قَصْدَ السبيل عليهم وصَرْف المنايا بالرجال تَشَقْلَب

أي : ممرنا عليهم ، وإليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أيُّ وادٍ سلكته عليها طريقي ، أو عليَّ طريقها

فإن قيل : لو أريد هَذا المعنى لكان الأليق به أداة « إلي » التي هي للانتهاء ، لا أداة « علي » التي هي للوجوب . ألا ترى أنه لما أراد الوصول قال : ﴿ إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية : ٢٥ ، ٢٦] ، وقال : ﴿ إلينا مرجعهم ﴾ [يونس : ٧٠] ، ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، وقال لما أراد الوجوب : ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية : ٢٦] ، ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ [القيامة : ١٧] ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] ونظائر ذلك ؟

قيل : في أداة « علي » سر لطيف . وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدًى . وهو حق . كما قال في حق المؤمنين : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ [البقرة : ٤] وقال لرسوله ﷺ :

﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ [النمل : ٧٩] والله عز وجل هو الحق ، وصراطه حق ، ودينه حق . فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى . فكان في أداة « علي » على هذا المغنى ما ليس في أداة « إلي » فتأمله ، فإنه سر بديع .

فإن قلت : فما الفائدة في ذكر « علي » في ذلك أيضًا . وكيف يكون المؤمن مستعليًا على الحق ، وعلى الهدى ؟ .

قلت : لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى ، مع ثباته عليه واستقامته إليه . فكان في الإتيان بأداة « علي » ما يدل على علوه وثبوته واستقامته . وهذا بخلاف الضلال والرَّيب . فإنه يؤتى فيه بأداة « في » الدالة على انغماس صاحبه ، وانقماعه وتدسسه فيه ، كقوله تعالى : ﴿ فهم في رَيْبهم يترددون ﴾ [التوبة : ٤٥] وقوله : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صُمٌّ وبُكْم في الظلمات ﴾ [الأنعام : ٣٩] ، ﴿ فذَرْهم في غَمْرتهم حتى حين ﴾ [المؤمنون : ٥٤] ، وقوله : ﴿ وإنهم لفي شك منه مُريب ﴾ [هود : ١١٠] وتأمل قوله تعالى : ﴿ وإنَّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] فإن طريق الحق تأخذ علوًّا صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير ، وطريق الضلال تأخذ سُفلًا ، هاوية بسالكها في أسفل سافلين .

وفي قوله تعالى : ﴿ قال هذا صراط عليَّ مستقيم ﴾ [الحجر : ٤١] قول ثالث . وهو قول الكسائي : إنه على التهديد والوعيد نظير قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] ، كما يقال : طريقك علي ، وممرك علي ، لمن تريد إعلامه بأنه غير فائت لك ، ولا مُعجِز . والسياق يأبى هذا ، ولا يناسبه لمن تأمله . فإنه قال مجيبًا لإبليس الذي قال : ﴿ لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين ﴾ [الحجر : ٣٩] فإنه لا سبيل لي إلى إغوائهم ، ولا طريق لي عليهم . فقرر الله عز وجل ذلك أتم التقرير . وأخبر

أن الإخلاص صراط عليه مستقيم . فلا سلطان لك على عبادي الذين هم على هذا الصراط ، لأنه صراط علي . ولا سبيل لإبليس إلى هذا الصراط ، ولا الحَوْم حول ساحته ، فإنه محروس محفوظ بالله . فلا يصل عدو الله إلى أهله .

فليتأمل العارف هذا الموضع حق التأمل ، ولينظر إلى هذا المعنى ويوازن بينه وبين القولين الآخرين ، أيهما أليق بالآيتين ، وأقرب إلى مقصود القرآن وأقوال السلف .

وأما تشبيه الكسائيِّ له بقوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] فلا يخفى الفرق بينهما سياقًا ودلالة . فتأمله ، ولا يقال في التهديد : هذا طريق مستقيم علي ، لمن لا يسلكه . وليست سبيل المهدَّد مستقيمة . فهو غير مهدد بصراط الله المستقيم وسبيله التي هو عليها ليست مستقيمة على الله . فلا يستقيم هذا القول البتة .

وأما من فسره بالوجوب ، أي : عليَّ بيان استقامته والدلالة عليه . فالمعنى صحيح . لكن في كونه هو المراد بالآية نظر . لأنه حذف في غير موضع الدلالة . ولم يؤلَف الحذف المذكور ، ليكون مدلولًا عليه إذا حذف . بخلاف عامل الظرف إذا وقع صفة . فإنه حذف مألوف معروف . حتى إنه لا يذكر البتة . فإذا قلت : له درهم علي . كان الحذف معروفًا مألوفًا . فلو أردت عليَّ نقدُه ، أو عليَّ وزنه وحفظه ، ونحو ذلك ، وحذفت . لم يسغ . وهو نظير : عليَّ بيانه . المقدر في الآية ، مع أن الذي قاله السلف أليق بالسياق . وأجلّ المعنيين وأكبرهما .

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه يقول : وهما نظير قوله تعالى : ﴿ إن علينا لَلْهُدَى . وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ [الليل : ١٢ ، ١٣] قال : فهذه ثلاثة مواضع في القرآن في هذا المعنى .

قلت : وأكثر المفسرين لم يذكر في سورة ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ إلا معنى الوجوب ، أي : علينا بيان الهدى من الضلال . ومنهم من لم يذكر في سورة النحل إلا هذا المعنى كالبغوي . وذكر في الحِجْر الأقوال الثلاثة . وذكر الواحدي في بسيطه المعنيين في سورة النحل . واختار شيخنا قول مجاهد والحسن في السور الثلاث .

***

س : اذكر بعض فوائد وصف الصراط بـ ﴿ المستقيم ﴾ ؟

ج : لهذا جملة فوائد منها – والله أعلم – أن الخط المستقيم هو أقرب الخطوط التي تصل بين نقطتين ، فإذا هدي الشخص إلى الصراط المستقيم وصل إلى مطلوبه سريعًا فيعمل العَمل وإن كان قليلًا إلا أنه يوصله إلى مقصوده بإذن الله سريعًا ، بخلاف الخطوط المعوجة التي تطيل بصاحبها المسير وتذهب به بعيدًا عن مراده .

ثانيًا : أن الخط المستقيم أسلم في المسير عليه من الخطوط المعوجة .

ثالثًا : أن الخط المستقيم أوضح في الدلالة عند المسير عليه من الخطوط المعوجة.

وإلى نحو ذلك أشار بعض العلماء ، فقال ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم (ص ١٠) : فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه ، لأن الخط المستقيم هو أقرب خطٍ فاصل بين نقطتين ، وكلما تعوج طال وبعد ، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود ، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته ، وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعيينه طريقًا .

● وقال الرازي رحمه الله وعفا عنه في التفسير الكبير (ص ١/٢٥٨) :

اعلم أن أهل الهندسة قالوا : الخط المستقيم هو أقصر خطٍّ يصل بين نقطتين ، فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة فكان العبد يقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ لوجوه :

الأول : أنه أقرب الخطوط وأقصرها وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم .

الثاني : أن المستقيم واحد وما عداه معوجة وبعضها يشبه بعضًا في الاعوجاج فيشتبه الطريق عليَّ ، أما المستقيم فلا يشابهه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان .

الثالث : الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود ، والمعوج لا يوصل إليه .

والرابع : المستقيم لا يتغير والمعوج يتغير فلهذه الأسباب سأل الصراط المستقيم .

***

س : من هم المنعم عليهم في قوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : المنعم عليهم في قوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ هم ما ذكرهم الله تعالى في كتابه حيث قال : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

***

س : ما هو الإنعام المذكور في قوله تعالى : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : إنعام الله عز وجل على عباده لا يحصى كما قال سبحانه : ﴿ وإن

تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم :٣٤] ، لكن أعظم وجه للإنعام هو إنعامه عليهم بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح ، وهي الهدى ودين الحق ، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء ، فهذا تمام النعمة ، ولفظ أنعمت عليهم يتضمن الأمرين .

***

س : لماذا أُتبع ذكر ﴿ الصراط المستقيم ﴾ بقوله تعالى : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : أجاب بعض العلماء على ذلك بما حاصله : إن سالكي طريق الحق يسلكون طريقًا أكثر الناس عنه ناكبون ، وسالكوه قلة قليلون ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] وكما قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر مَن في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، فقد يستوحش سالكوا هذا الطريق فذكرهم الله عز وجل بأن هناك في الطريق رفقاء بل هم خير الرفقاء وأحسنهم : وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون – حتى يزيل وحشتهم ويؤنس غربتهم ، وقد ذكر مضمون ذلك باستفاضة وتوسع العلامة ابن القيم رحمه الله فقال (التفسير القيم ص ٢١) :

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه ، مريد لسلوك طريقٍ مرافقُه فيها غاية العزة . والنفوس مجبولة على وحشة التفرق ، وعلى الأنس بالرفيق ، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق ، وأنهم هم الذين ﴿ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له . وهم الذين أنعم الله عليهم ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه . وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم . فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له . فإنهم هم

الأقلُّون قدرًا ، وإن كانوا الأكثرين عددًا ، كما قال بعض السلف : عليك بطريق الحق ، ولا تستوحش لقلة السالكين . وإياك وطريق الباطل ، ولا تغتر بكثرة الهالكين . وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم . وغض الطرف عمن سواهم . فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا . وإذا صاحوا بك في طريق سيرك ، فلا تلتفت إليهم . فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك . وقد ضربت لذلك مثلين . فليكونا منك على بال .

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة، لا يريد غيرها. فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الإنس، فألقى عليه كلامًا يؤذيه. فوقف ورد عليه، وتماسكا. فربما كان شيطان الإنس أقوى منه ، فقهره، ومنعه عن الوصول إلى المسجد، حتى فاتته الصلاة. وربَما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس، ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول، وكمال إدراك الجماعة. فإن التفت إليه أطمعه في نفسه . وربما فترت عزيمته. فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجَمْز[1] بقدر التفاته أو أكثر، فإن أعرض عنه واشتغل بما هو بصدده ، وخاف فوت الصلاة أو الوقت : لم يبلغ عدوه منه ما شاء .

المثل الثاني : الظبي أشد سعيًا من الكلب ، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه ، فيدركه الكلب فيأخذه .

والقصد : أن في ذكر هذا الرفيق : ما يزيل وحشة التفرد ، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم .

وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت: « اللهم اهدني فيمن هديت »[2]

---

(١) الجمز : سرعة السير والعدو .

(٢) أخرج الطبراني (الكبير ٣/٧٥) وأحمد (١/١٩٩) وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه قال : علمني رسول الله ﷺ أن أقول في الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت وتولني فيمن توليت وعافني فيمن عافيت... الحديث» وسنده صحيح.

أي : أدخلني في هذه الزمرة ، واجعلني رفيقًا لهم ومعهم .

والفائدة الثانية : أنه توسل إلى الله بنعمه وإحسانه إلى من أنعم عليه بالهداية ، أي : قد أنعمت بالهداية على من هديت ، وكان ذلك نعمة منك : فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة ، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم . فهو توسل إلى الله بإحسانه .

والفائدة الثالثة : كما يقول السائل للكريم : تصدق عليَّ في جملة من تصدقت عليهم وعلمني في جملة من علمته وأحسن إليَّ في جملة من شملته بإحسانك .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] دلالة على إمامة أبي بكر رضي الله عنه في الدين وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه صدِّيق كما هو معلوم عند الكبير والصغير والقريب والبعيد من أهل الإسلام ، وتقدم أن المنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، فيتحصل لنا أن أبا بكر رضي الله عنه من المنعم عليهم ، فإذا كان كذلك فهو إمام متبع إذ أننا في كل صلاة نطلب من الله عز وجل أن يهدينا طريق المنعم عليهم الذين منهم أبو بكر رضي الله عنه نطلب من الله عز وجل أن يسلك بنا الطريق الذي سلكه النبيون والصديقون (ومنهم أبو بكر) والشهداء والصالحون ، فعليه فأبو بكر رضي الله عنه إمام في الخير والدين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما المراد بـ (لا) في قوله تعالى: ﴿ ولا الضالين ﴾[الفاتحة: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● أن (لا) معناها غير فالمعنى ﴿ وغير الضآلين ﴾ .

● أن (لا) زائدة وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ [الأنبياء : ٩٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ [الأعراف : ١٢] والمعنى ما منعك أن تسجد .

● وقيل : هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أن الضآلين معطوف على الذين.

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بالضلال في لغة العرب ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق ، ومنه ضل اللبن في الماء ، أي : غاب ، ومنه ﴿ أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد ﴾ [السجدة: ١٠] أي : غبنا بالموت وصرنا ترابًا، قال :

ألـم تَسْـأَلْ فتُخبـرَك الدِّيـــارُ   عن الحيِّ المُضَلَّل أيـن سـاروا

قلت : وللضلال معان أُخر منها :

● النسيان كما في قوله تعالى : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

● ومنها : الضياع كما في قوله : (ضلت قلادة عائشة) إلى غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ ﴿ المغضوب عليهم ﴾ و ﴿ الضالين ﴾ في قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : المراد بالمغضوب عليهم في هذه الآية الكريمة هم اليهود[1] والضآلون هم النصارى ، وهذا هو قول جمهور المفسرين في هذه الآية

---

(١) وهذا لا يمنع أن يكون اليهود – كما أنهم مغضوب عليهم – ضالين كذلك ، ولا يمنع أن يكون النصارى – (كما أنهم ضالون) – أن يكونوا مغضوبًا عليهم أيضًا .

ولا يمتنع أيضًا أن يكون كل الكفار ضُلال كما قال تعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ [يونس : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء =

الكريمة . ، ويشهد لقولهم أمور :

أولها : أن النبي ﷺ فسر الآية بهذا أي : بأن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضآلون(1) .

= السبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] وقال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالًا بعيدًا ﴾ [النساء : ١٦٧] وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص : ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات .

● وكذلك لا يمتنع أن يكون هناك مغضوب عليهم غير اليهود ، كما قال الله تعالى : ﴿ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ [النور : ٩١] وكما قال تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] وقال تعالى : ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ﴾ [النحل : ١٠٦] .

(١) هذا الحديث (حديث المغضوب عليهم هم اليهود والنصارى ضآلون) له عن رسول الله ﷺ عدة طرق وإن كان في كل منها مقال إلا أنه يُحسن أو يُصحح بمجموعها ، من هذه الطرق ما أخرجه أحمد (٣٧٨/٤ - ٣٧٩) وابن أبي حاتم في التفسير (٤٠) والترمذي (٢٩٥٤) والطبري (حديث ١٩٤) والطبراني في الكبير (٩٩/١٧) وابن حبان (موارد الظمآن ١٧١٥) من طريق شعبة ، وكذلك أخرجه الترمذي (٢٩٥٣) وابن أبي حاتم في التفسير (٤١) من طريق عمرو بن أبي قيس ، وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير (٩٩/١٧ - ١٠٠) عن طريق قيس بن الربيع ثلاثتهم (أي : شعبة وعمرو بن أبي قيس وقيس بن الربيع) عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم قال : قال لي رسول الله ﷺ : إن المغضوب عليهم اليهود .

وفي إسناده عباد بن حبيش وهو مقبول (ومعناه عند الحافظ مقبول إذا توبع وإلا فليِّن) .

وقد خولف هؤلاء الثلاثة (شعبة وعمرو وقيس) من حماد بن سلمة فرواه حماد عن سماك عن مُري بن قطري عن عدي مرفوعًا لكن الطريق إلى حماد بن سلمة فيه =

= وقد خولف هؤلاء الثلاثة (شعبة وعمرو وقيس) من حماد بن سلمة فرواه حماد عن سماك عن مُري بن قطري عن عدي مرفوعًا لكن الطريق إلى حماد بن سلمة فيه محمد بن مصعب وهو ضعيف (أخرجه الطبري ١٨٦/١) .

وثم مخالفة أخرى لهؤلاء الثلاثة فقد رواه الطيالسي (١٠٤٠) من طريق عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عمن سمع عديًا مرفوعًا لكن عمرو بن ثابت متروك ، ثم إنه يمكن الجمع بأن يُقال : إن الذي سمع عديًّا هو عباد بن حبيش .

● فهذه طريق (أي : ما تقدم) علتها عباد بن حبيش وهو مقبول لكنها تصلح في الشواهد .

● وثم طريق آخر للحديث فقد أخرجه سعيد بن منصور (حديث ١٧٩) عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن النبي ﷺ مرسلًا .

وكذلك عزاه صاحب الدر المنثور إلى ابن عيينة في تفسيره .

وقد رواه ابن جرير الطبري (حديث ١٩٣) من طريق عبد الله بن جعفر الرقي قال : حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي رضي الله عنه مرفوعًا (أي : بإثبات واسطة بين إسماعيل وعدي) لكن عبد الله بن جعفر الرقي كان قد اختلط وتغير أخيرًا . فالطريق المرسلة أرجح ، وعلى كل فهي تصلح في الشواهد .

● وله شاهد آخر مرسل رواه عبد الله بن شقيق عن النبي ﷺ مرسلًا ، رواه عن عبد الله بن شقيق الجريري وخالد الحذاء كما عند الطبري (٦١/١ - ٦٢) وطريق الجريري أظنها معلولة بما رواه الطبري (٢١١) من طريق الجريري عن عروة بن عبد الله بن قيس عن عبد الله بن شقيق عن رسول الله ﷺ . ورواه بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق ، قال : أخبرني من سمع النبي ﷺ . أخرجه الطبري (١٩٨) ، وعبد الرزاق (٣٧/١) ، وأحمد (٣٢/٥ - ٣٣) من طريق معمر عن بديل ، وبديل بصري ورواية معمر عن البصريين متكلم فيها .

● وروي من طريق إبراهيم بن طهمان عن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر عن النبي ﷺ (عزاه ابن كثير لابن مردويه) وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (١٥٩/٨) ، لكننا نراه معلولًا فإبراهيم بن طهمان ثقة يُغرب وأظن ذكر أبي ذر من غراباته .

وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه ، والله أعلم .

ثانيها : أن الله تبارك وتعالى قال في شأن بني إسرائيل مع موسى ﷺ : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [البقرة : ٦١] وقال تعالى في شأن بني إسرائيل أيضًا ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] .

● وقال تعالى – والسياق يدل على أنه في شأن النصارى – : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام ... – إلى قوله تعالى : – قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٥ – ٧٧] .

والثالث : ما ورد في قصة زيد بن عمرو بن نفيل لما خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئًا وأنّى أستطيعه ؟!! ... الحديث ، وفيه فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال : لن تكون

على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ... الحديث[1].

❋ ❋ ❋

س : لماذا وصف اليهود بأنهم ﴿ مغضوب عليهم ﴾ والنصارى بأنهم ﴿ ضآلون ﴾ ؟

ج : ذلك - والله أعلم - لأن اليهود تركوا العمل بالحق بعد معرفته كما قال الله تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٦ ، ٣٨٢٧) من طريق محمد بن أبي بكر قال : حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدَح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقُدِّمت إلى النبي سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكلُ إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله ! إنكارًا لذلك وإعظامًا له ، قال موسى : حدثني سالم بن عبد الله - ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر - أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا وأنى أستطيعه ؟ فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا ، قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرُّ إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا وأنى أستطيع ؟!! فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيدٌ قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم .

بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ [البقرة : ٨٩ ، ٩٠] .

أما النصارى فهم ضُلَّال عن الحق[1].

وقد استفاض ابن القيم رحمه الله في شرح ذلك فقال في التفسير القيم ص ١١ (في بيانه تضمن الفاتحة لإثبات النبوات) :

الموضع الثامن : من ذكر المنعم عليهم ، وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة . لأن العبد إما أن يكون عالمًا بالحق ، أو جاهًلابه . والعالم بالحق إما أن يكون عاملًا بموجبه أو مخالفًا له . فهذه أقسام المكلفين . لا يخرجون عنها ألبتة . فالعالم بالحق العامل به : هو المنعم عليه . وهو الذي زكَّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح . وهو المفلح ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس :٩] والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه . والجاهل بالحق : هو الضال . والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل . والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل . فكل منهما ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به . ومن ههنا كان اليهود أحقَّ به . وهو متغلظ في حقهم . كقوله تعالى في حقهم : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بَغْيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠]

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان ص ١/٣٧) : واليهود والنصارى وإن كانوا ضآلين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا فإن الغضب إنما خُصَّ به اليهود ، وإن شاركهم النصارى فيه لأنهم يعرفون الحق وينكرونه ويأتون الباطل عمدًا فكان الغضب أخص صفاتهم ، والنصارى جهلة لا يعرفون الحق فكان الضلال أخص صفاتهم .

قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] . والجاهل بالحق : أحق باسم الضلال . ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب لا تَغْلُوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] فالأولى : في سياق الخطاب مع اليهود . والثانية : في سياقة مع النصارى . وفي الترمذي وصحيح ابن حِبَّان : من حديث عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « اليهود مغضوب عليهم . والنصارى ضالون »[1] .

ففي ذكر المنعَم عليهم – وهم من عرف الحق واتبعه – والمغضوب عليهم – وهم من عرفه واتبع هواه – والضالين – وهم من جهله – : ما يستلزم ثبوت الرسالة والنبوة . لأن انقسام الناس إلى ذلك هو الواقع المشهود . وهذه القسمة إنما أوجبها ثبوت الرسالة وأضاف النعمة إليه .

❋ ❋ ❋

س : لماذا حذف فاعل الغضب في قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ [الفاتحة : ٧] ؟

ج : أجاب ابن القيم رحمه الله على ذلك إجابة واسعة فقال رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص ١٢) :

وحذف فاعل الغضب لوجوه :

منها: أن النعمة هي الخير والفضل. والغضب من باب الانتقام والعدل . والرحمة تغلب الغضب ، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين،

---

(١) حسن بمجموع طرقه .

وأسبقهما وأقواهما . وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنعم إليه . وحذف الفاعل في مقابلتهما[1]، كقول مؤمني الجن : ﴿ وأنا لا ندري أشَرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رَشَدًا ؟ ﴾ [الجن : ١٠] ومنه قول الخضِر في شأن الجدار واليتيمين : ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزهما ﴾ [الكهف : ٨٢] وقال في خرق السفينة : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ [الكهف : ٧٩] ثم قال بعد ذلك : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ [الكهف : ١٩] وتأمل قوله تعالى : ﴿ أحلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفَثُ إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وقوله : ﴿ حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ [المائدة : ٤] ، وقوله : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم - ثم قال - وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ [النساء : ٢٣].

وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم . وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر . فكل الخلق في نعمة . وهذا فصل النزاع في مسألة : هل لله على الكافر من نعمة أم لا ؟ .

فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان . ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تَعدُّوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لَظلوم كَفَّار ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

والنعمة من جنس الإحسان ، بل هي الإحسان . والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر ، والمؤمن والكافر . وأما الإحسان المطلق فللذين اتقوا والذين هم محسنون .

الوجه الثاني : أن الله سبحانه هو المنفرد بالنعم ﴿ وما بكم من نعمة

(١) ولا يطرد كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ، فقد قال تعالى : ﴿ قل هل أُنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ... الآية ﴾ [المائدة : ٦٠] .

فمن الله ﴾ [النحل : ٥٣] فأضيف إليه ما هو منفرد به . وإن أضيف إلى غيره فلكونه طريقًا ومَجْرًى للنعمة . وأما الغضب على أعدائه فلا يختص به تعالى ، بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضبه . فكان في لفظة ﴿ المغضوب عليهم ﴾ بموافقة أوليائه له : من الدلالة على تفرده بالإنعام ، وأن النعمة المطلقة منه وحده ، هو المنفرد بها – ما ليس في لفظة « المنعم عليهم » .

الوجه الثالث : أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره ، وتصغير شأنه ، ما ليس في ذكر فاعل النعمة ، من إكرام المنعَم عليه والإشادة بذكره ، ورفع قدره : ما ليس في حذفه . فإذا رأيت من قد أكرمه ملك وشرفه ، ورفع قدره ، فقلت : هذا الذي أكرمه السلطان ، وخلع عليه وأعطاه ما تمناه . كان أبلغَ في الثناء والتعظيم من قولك : هذا الذي أُكرم وخلُع عليه وشُرف وأُعطي .

❋ ❋ ❋

س : هل ﴿ آمين ﴾ آية من سورة الفاتحة ؟

ج : « آمين » ليست آية من الفاتحة لأمور منها :

- عدم وجود دليل على أنها آية .
- عدم إثباتها في المصاحف[١].
- وقال صديق حسن خان في تفسيره[٢] قيل : وليس من القرآن إجماعًا بدليل أنه لم يثبت في المصاحف .

---

(١) وكذلك لم يتعرض عدد كبير من المفسرين لتفسيرها ، وهذا مما يدل على أنها ليست عندهم آية .

(٢) (فتح البيان ١/٥٥) .

● وإلى هذا إشار القرطبي رحمه الله[1] فقال : ويُسنُّ لقارىء القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتةٍ على نون (ولا الضآلين) : آمين ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن .

❋ ❋ ❋

س : هل (آمين) تقرأ بالمد أم بالقصر ؟ وهل يجوز أن تشدد الميم ؟

ج : حكى العلماء في (آمين) اللغتين المد أو القصر .

فقال بعضهم : هو بالمد على وزن فاعيل كياسين وقابيل وهابيل واستدلوا على ذلك بقول مجنون ليلى :

يارب لا تسلبني حبَّها أبدًا ويرحم الله عبدًا قـال آمينـا

أي : بالمد .

وقال آخرون : هو بالقصر على وزن يمين كما قال الشاعر[2] :

تباعـد مني فُطْحُـلٌ إذ سَأَلْتــهُ أمينَ فزاد اللَّهُ ما بيننا بُعدًا

● أما تشديد الميم فهو خطأ وقد نص على ذلك عدد من العلماء .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (آمين) ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ - آمين معناها : اللهم استجب[3] (وهذا قول أكثر العلماء) .

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٨٩) .

(٢) قال صديق حسن خان (وقال جبير لما سأل فُطحلًا) ... فذكره .

(٣) وفي قولٍ : (اللهم اسمع لنا وتقبل واستجب) ، وفي قول : « لا تخيِّب رجاءنا » ، وفي ثالثٍ : (رب افعل) .

٢ - ومنها : أن معنى آمين : كذلك فليكن .

٣ - آمين : اسم من أسماء الله الحسنى . وقد قال بهذا بعض العلماء ولا دليل عليه .

٤ - قيل : وهو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآثام[١] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل التأمين ؟

ج : من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه »[٢] .

● وفي رواية : « إذا قال الإمام ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »[٣] .

● وأخرج مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خطبنا فبيَّن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال : « إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبَّر فكبِّروا ، وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يُجبكم الله ... »[٤] .

● وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين »[٥] .

---

(١) قال صديق حسن خان (فتح البيان ص٥٥) : رواه الطبراني عن عليٍّ بسند ضعيف .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٨١) ، ومسلم (ص٣٠٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٥) أخرجه ابن ماجة (حديث ٨٥٦) ، وابن خزيمة (حديث ٥٧٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٨) بإسنادٍ حسن من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

س : هل يجب قول (آمين) في الصلاة ؟

ج : قول (آمين) في الصلاة مستحب لقول النبي ﷺ : « وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين »[1] .

وليس بواجب لقول النبي ﷺ : « اقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر معك من القرآن »[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل يُجهر بـ (آمين) في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يُسر بها ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يُجهر بآمين خلف الإمام في الصلاة الجهرية واستدلوا بأدلة منها :

الأول : أن النبي ﷺ كان يمد صوته بآمين[3] .

الثاني : قول النبي ﷺ : « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم

= وله طرق أخرى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ، وانظر مسند أحمد (٦/١٣٥) ، وسنن البيهقي الكبرى (٢/ ٥٦) .

وثمَّ طرق أخرى عن رسول الله ﷺ لكنها لا تخلو من مقال . انظر سنن ابن ماجة (٨٥٧)، وتاريخ بغداد (١١/٤٣)، وابن عدي في الكامل (٣/٢٥٠)، ومصنف عبد الرزاق (٢/٩٨).

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٧) ، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، ولفظه عند البخاري أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى فسلم على النبي ﷺ فردَّ وقال : « ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل » فرجع يُصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال : « ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل (ثلاثًا) » فقال : والذي بعث بالحق ما أُحسن غيره فعلِّمني فقال : « إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ... » الحديث .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢٤٨) بإسناد صحيح من حديث وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبي ﷺ قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال : آمين ومدَّ بها صوته .

قال أبو عيسى : حديث وائل بن حجر حديث حسن ، وبه يقول غير واحدٍ من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم ، يرون أن الرجل يرفع صوته =

على السلام والتأمين »[1] .

الثالث : أن أبا هريرة قال : للإمام لا تَفُتْنِي بآمين[2] .

الرابع : أن ابن الزبير صلى بالناس في المسجد فجهر بآمين فسمع للمسجد لُجة[3] بينما ذهب آخرون إلى أنه يُسر بآمين ، وذلك لأن معناها (عند الأكثر) اللهم استجب ، فعليه فهي دعاء والأصل في الدعاء الإسرار به ، والرأي الأول أقوى لكثرة الأدلة عليه ، ولأن الدعاء وإن كان الأصل فيه الإسرار إلا أن هذه صورة مستثناة منه ، والله أعلم .

* * *

س : هل يُسمى المؤمِّن داعيًا ؟

ج : بعض أهل العلم يُسمي المُؤمِّن داعيًا ، قال : لأن موسى عليه السلام كان يدعو على فرعون وجنده فيقول : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال : قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ [يونس : ٨٨ ، ٨٩] ، فقال هذا الفريق من أهل العلم : إن الدعاء ذكر عن موسى عليه السلام وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون كان يؤمِّن فنزل منزلة من دعا لقوله

= بالتأمين ولا يخفيها ، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق .

قلت : وأخرجه أيضًا أحمد في المسند (٣١٦/٤) ، وأبو داود (حديث ٩٣٢) وفي روايته ورفع بها صوته ، وغيرهم .

(١) إسناده حسن ، وتقدم .

(٢)(٣) أخرجهما البخاري معلقًا بصيغة الجزم (مع الفتح ٢٦٢/٢) باب جهر الإمام بالتأمين ، وفيه : وقال عطاء : آمين دعاء ، أمَّن ابن الزبير ومن وراءه حتى إن للمسجد لَلَجَّة ، وكان أبو هريرة ينادي الإمام : لا تفُتني بآمين .

وأخرجه موصولًا عبد الرزاق في المصنف بإسناد صحيح (٢٦٤٠) عن ابن جريج عن عطاء قال : قلت له : أكان ابن الزبير يؤمن على إثر أم القرآن ؟ قال : نعم ، ويؤمن من وراءه حتى إن للمسجد للجَّة ثم قال : إنما آمين دعاء ، وكان أبو هريرة =

تعالى : ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ قالوا : فدل ذلك على أن من أمَّن على دعاءٍ فكأنما قاله ، وأيدوا ذلك بحديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يُعط أحدٌ قبلي إلا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيب لكم »(١).

***

س : هل يقول المأموم : ﴿ آمين ﴾ بعد انتهاء الإمام من قول : ﴿ آمين ﴾ أم يقولها بعد انتهاء الإمام من قول : ﴿ ولا الضالين ﴾ ؟ وضح ذلك بالأدلة ؟

ج : ذهب البعض إلى أن المأموم يقول : آمين بعد أن يقولها الإمام لعموم حديث « إنما جُعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ... الحديث »(٢) ولحديث « إذا أمَّن الإمام فأمنوا »(٣) وهذا مذهب مرجوح ، والراجح أن المأموم يقول: ﴿آمين﴾ إذا قال الإمام ﴿ولا الضالين﴾ وقد ورد ذلك صريحًا

= يدخل المسجد ، وقد قام الإمام قبله فيقول : لا تسبقني بآمين . وانظر أيضًا مسند الشافعي (ص ٥١) وابن أبي شيبة (المصنف ٤٢٧/٢) وسنن البيهقي الكبرى (٥٩/٢) وابن سعد (الطبقات ٢٦٦/٤) وتغليق التعليق (٣١٨/٢) .

(١) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله ، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن مردويه وليس بين يدي تفسير ابن مردويه إلا أنه باستقراء عدد من الأحاديث التي ساقها العلماء بأسانيدها وعزوها إلى ابن مردويه متفردًا بها رأينا أن الغالب عليها الضعف والله تعالى أعلم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١١١٤) ، ومسلم (٤١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (سقط رسول الله ﷺ من فرسٍ فخُدِش – أو فجحش – شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى قاعدًا فصلينا قعودًا ، وقال « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبَّر فكبِّروا وإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع فارفعوا وإذا قال : سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد ») .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٨٠) ، ومسلم (حديث ٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

في حديث النبي ﷺ الذي فيه « .. وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا : آمين يجبكم الله »[1].

وأيضًا حتى يتوافق تأمين الإمام مع تأمين المأمومين مع تأمين الملائكة فيغفر للمُؤمِّن بإذن الله .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا تترتب المغفرة للذنب في قول العبد ﴿ آمين ﴾ ؟

ج : تترتب مغفرة الذنوب على مقدمات جمعها حديث النبي ﷺ : « من وافق تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه » وهي :

١ – تأمين الإمام . ٢ – تأمين المأمومين . ٣ – تأمين الملائكة .

٤ – موافقة التأمين[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا وقد تقدم . وتقدم نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٧٨٢) مرفوعًا بلفظ : « وإذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضآلين فقولوا : آمين » .

(٢) والمراد بالموافقة لأهل العلم فيه أقوال منها : الموافقة في الإجابة وقيل : في الزمن . وقيل : في الصفة من إخلاص الدعاء ، والله أعلم .

سورة البقرة

س : اذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضل سورة البقرة ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة »[1].

● ومنها : ما أخرجه مسلم[2] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صواف تُحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة[3] » .

* * *

س : السور تتسمى ببعض ما فيها مثِّل لذلك ؟

ج : مثال ذلك : أن سورة البقرة ذُكرت فيها البقرة ، وسورة آل عمران ذُكر فيها آل عمران ، وسورة النساء ذكر فيها النساء وأحكام تتعلق بهن كثيرة ، وسورة المائدة ذكرت فيها المائدة وسورة الأنعام ذكرت فيها الأنعام ، وسورة الأعراف ذكرت فيها الأعراف ، وكذلك جُلّ السُّورِ بل كلُّها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٨٠) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٤) .
(٣) البطلة هم السحرة .

س : سورة البقرة هل هي مكية أو مدنية ؟

ج : سورة البقرة : مدنية[1]، ويؤيد ذلك أمران :

الأول : أن الأنصار اختُصوا بأنهم أصحاب سورة البقرة وقد ناداهم العباس يوم حنين فقال : يا أصحاب سورة البقرة يا من بايع تحت الشجرة .

الثاني : الإجماع على كونها مدنية ، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل يقال سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، أم يقال البقرة وآل عمران ؟

ج : الذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أنه لا بأس أن يقال البقرة وآل عمران ، وكذلك لا بأس أن يُقال سورة البقرة وسورة آل عمران ، والأمر في هذا واسع[2]، وقد تقدم أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا البقرة » .

● وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنًى عن يمينه ثم رمى ثم قال : هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورة البقرة[3] .

● وقال العباس يوم حنين للأنصار : (يا أصحاب سورة البقرة) .

---

(١) واستثنى بعض العلماء من ذلك قوله تعالى : ﴿ ... واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

(٢) وقد ورد في هذا الباب حديث ضعيف فيه : « لا تقولوا سورة البقرة وسورة آل عمران ، ولكن قولوا السورة التي تُذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران ، وكذلك القرآن كله » .

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ٥٨١/٣) ، ومسلم (مع النووي ٤٢/٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما رمى الجمرة ...... ثم قال : من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [١]

الٓمٓ ﴿١﴾ [٢]

***

(١) تقدم الكلام على ما يتعلق بالبسملة في تفسير سورة الفاتحة فليراجعه من شاء .

(٢) وعلى سبيل الاختصار : هي أحرف لا يعلم معناها إلا الله سبحانه وتعالى .

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قول الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ [البقرة : ١] والحروف التي في أوائل السور ؟

ج : ابتداءً فعلى وجه الإجمال للعلماء اتجاهان في تأويلها :

● فمنهم من يقول : إن (الٓمٓ) ونحوها من الحروف التي بُدئت بها السور ، أحرفٌ لا يعلم معناها إلا الله سبحانه وتعالى ، فلا نخوض في تأويلها ما دام لم يرد في تأويلها شيءٌ صريح من كتاب الله أو من سُنَّةِ رسول الله ﷺ .

● ومن العلماء من يقول : بل لنا أن نفسرها ونلتمس ما فيها من المعاني وأوجه التأويل فهي من القرآن ، وقد أمرنا الله عز وجل بتدبره وفهمه ، وقد نزل القرآن بلغة العرب كما قال سبحانه : ﴿ إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف: ٢] وقال تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقد استعملت العرب الحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات(١) .

ثم إن أهل هذا القول الأخير التمسوا لها جملة تأويلات نورد منها ما يلي :

الأول : أن هذه الأحرف المقطعة التي في أوائل السور فيها اسم الله الأعظم لكننا لا ندري كيف يتألف منها اسم الله الأعظم .

الثاني : أنها سيقت للتحدي فكأن المعنى ألف ولام وميم أحرف ليست بغريبةٍ عليكم معشر العرب مدعي الفصاحة والبلاغة ، وأنتم تعرفون هذه الأحرف وتقرءونها ، وقد ألفنا القرآن منها ، ومع أنكم تعرفونها وتقرءونها إلا أنكم لا تستطيعون الإتيان بقرآن مثل هذا القرآن ولا تأليف ولو آية واحدة من مثله .

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله تعالى في تفسيره (المحرر) : والصواب ما قاله الجمهور أنها تُفسَّر ويلتمس لها التأويل لأنَّا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات .

ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم ، بأن الله عز وجل قال عقب ﴿ آلـم ﴾ : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ١، ٢]، وعقب ﴿ آلـمص ﴾ بقوله تعالى : ﴿ كتاب أنزل إليك ﴾ [الأعراف : ١ ، ٢] ، وعقب قوله تعالى : ﴿ آلـر ﴾ بقوله تعالى : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ [فصلت : ١، ٢] ونحوها من الآيات .

الثالث : أن هذه الأحرف دالة على أسماء أُخذت منها وحذفت بقيتها ، أي : أنها رموز تستعملها العرب في كلامها[١] . فروي عن البعض أنهم قالوا : الألف من[٢] الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد .

● ومنهم من قال في قوله تعالى: ﴿آلـم﴾: الألف تؤدي (أنا) واللام (الله) والميم (أعلم) فمعنى ﴿آلـم﴾ عندهم: أنا الله أعلم، ومعنى ﴿آلـمص﴾: أنا الله أفصل.

الرابع : قال بعض العلماء : هي أسماء للسور ، قال الزمخشري[٣] : وعليه إطباق الأكثر ، ويعتضد بما روي في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ آلم ﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾[٤] .

الخامس : قال بعض العلماء : هي أقسام[٥] أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها ، ووجه هذا الكلام أن إنسانًا لو أقسم فقال : والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديدًا ، وتكون (لا) جواب القسم .

السادس : ذهب بعض أهل العلم إلى أن الجمع بين هذه الأقوال ممكن

---

(١) وهذه واضحة في سؤال مستقل .

(٢) (من) أي : من لفظ الجلالة ، وكذلك (من جبريل) أي : اللام من اسم جبريل ، والميم من اسم محمد .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٣/١) .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٧٧/٢) ، ومسلم (مع النووي ١٦٨/٦) .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (٥٢) ، والطبري (٢٣٧) بإسناد صحيح عن عكرمة قال : (آلـم) قسم .

فهي أسماء للسور ، وأسماء لله تعالى يفتتح بها السور (كسورة الرحمن) مثلًا ، فكل حرف دال على اسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم بأن الكلمة الواحدة قد يُراد بها عدة معانٍ كلفظ الأُمة مثلًا يطلق أحيانًا ويُراد به (**الدِّين**) كما في قول المشركين: ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف : ٢٢ ، ٢٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وإن هذه أمتكم ﴾ [المؤمنون : ٥٢] ، ويطلق ويراد به (**الجماعة من الناس**) كما في قوله تعالى : ﴿ وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾ [القصص : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا ﴾ [النحل : ٣٦] ويطلق ويُراد به (**الحين**) كما في قوله تعالى : ﴿ وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمة ﴾ [يوسف : ٤٥] أي : بعد حين[١] ، وتطلق ويراد بها **الرجل الحنيف العاقل** ، كما قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ [النحل : ١٢٠] .

وقد اعترض على هذا التمثيل هنا - بمعنى أنه اعترض على جعل لفظ الأمة مشابهًا للفظ ﴿ آلم ﴾ من ناحية إطلاق الكلمة على عدة معانٍ ، فإن الأمة إنما دلت على معنى معين للوضع الذي سيقت فيه ، أما ﴿ آلم ﴾ فالموضع فيها واحد فكيف تتعدد معانيها في هذا الموضع الواحد ؟؟!! .

قلت : وإجمال القول في هذا المقام : أن هذه الأحرف لم يرد في تأويلها شيء صحيح من المعصوم ﷺ فيما علمنا ، ولم يُجمع العلماء في تأويلها على وجهة معينة ، وإنما اختلفوا كما رأيت وتعددت أقوالهم ، فالأمر على ما ذكره بعض أهل العلم حيث قالوا : فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه ، وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام ، والله أعلم .

***

(١) على قولٍ لبعض العلماء .

س : ما هو مجموع الحروف المقطعة المذكورة في أوائل السور ؟ وما هي هذه الأحرف ؟

ج : عددها (أربعة عشر حرفًا) وهي ا ل م ص ر ك هـ ى ع ط س ح ق ن[1] ، يجمعها قولهم : **(نص حكيم قاطع له سر)** .

❋ ❋ ❋

س : هل تكلمت العرب بالحروف المقطعة ؟

ج : ورد ذلك في بعض أشعارهم ، واستدل له بعض العلماء بحديث رسول الله ﷺ : « من أعان على قتل مسلمٍ ولو بشطر كلمة ... »[2] قال بعض العلماء : هو أن يقول في (اقتل) : اقْ ، أما الأشعار في ذلك فمنها :

فقلت لها قفي فقالت قاف

أي : قالت : (وقفت) .

ومنه الشعر الذي نقل عن زُهير :

بالخير خيرات وإن شرًّا فَا ولا أريد الشر إلا أنْ تا

أراد : وإن شرًّا فشرٌّ ، وأراد : إلا أن تشاء .

ومنه قول الشاعر :

نادوهم ألا الجِمُوا ألا تا قالوا جميعًا كلهم ألا فَا

---

(١) قال الرازي رحمه الله تعالى (٢/١١) : هذه الفواتح جاءت مختلفة الأعداد فوردت (ص ، ق ، ن) على حرف ، (طه ، طس ، يسٓ ، حم) على حرفين ، (آلم ، آلر ، طسم) على ثلاثة أحرف ، (آلمص ، وآلمر) على أربعة أحرف ، (كهيعص ، حم عسق) على خمسة أحرف ، والسبب فيه أن أبنية كلماتهم على حرفٍ وحرفين إلى خمسة أحرف فقط فكذا ههنا .

(٢) ضعيف جدًّا وقد حكم عليه بعض أهل العلم بالوضع وقد أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠) ، والبيهقي (٢٢/٨) وفيه يزيد بن زياد الدمشقي وهو متروك .

يريد بقوله : (ألا تا) ألا تركبون ، وبقوله : (ألا فا) أي : فاركبوا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد عن النبي ﷺ شيء في فضل ﴿ الم ﴾ ؟

ج : لا أعلم شيئًا في هذا الباب عن رسول الله ﷺ إلا قوله : « من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ولا أقول : ﴿ الم ﴾ حرف ولكن (ألف) حرف ، و (لام) حرف ، و (ميم) حرف »[(١)].

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذكرت الحروف المقطعة أوائل السور[(٢)]، ولماذا كُررت ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● **منها :** أنها أوردت ليُعرف بها أوائل السور ، ويفصل به بين السورة والسورة التي تليها .

وقد ضعف الحافظ ابن كثير هذا القول بقوله : وهذا ضعيف ، لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه ، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة .

● **ومنها :** أنها بُدىء بها لتفتح بها أسماع المشركين إذا تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تُلي عليهم المؤلف منه .

وضعف الحافظ ابن كثير هذا من وجوه :

أولها : أن الأمر لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور ولا يكون في بعضها دون بعض ، بل غالبها ليس كذلك[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٢٢٦/٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن وقد أُعلَّ بالوقف ويبدو لي أنه الصواب ولكن على كل حال فيظهر لي أن له حكم الرفع والله تعالى أعلم .

(٢) ليس السؤال عن معاني الحروف المقطعة .

(٣) أي : غالب السور لم تبدأ بالحروف المقطعة .

الثاني : لو كان الأمر على ما ذكر من أن أسماع المشركين تفتح عند سماع هذه الأحرف لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم ، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك .

الثالث : أن هذه السورة (البقرة) مدنية فليست خطابًا للمشركين .

• ومنها أن هذه الأحرف ذكرت في أوائل السور بيانًا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الأحرف المقطعة التي يتخاطبون بها .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية .

قال الزمخشري : ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال : وجاء منها على حرف واحد كقوله :- ص ن ق - وحرفين مثل ﴿ حم ﴾ وثلاثة مثل ﴿ الم ﴾ وأربعة مثل ﴿ المر ﴾ و ﴿ المص ﴾ وخمسة مثل ﴿ كهيعص - و - حم عسق ﴾ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك (قلت :) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ، ولهذا يقول تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة : ١ ، ٢] ﴿ الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه ﴾ [آل عمران : ١، ٢] ﴿ المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ [الأعراف: ١، ٢]

﴿ الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ﴾ [إبراهيم : ١ ، ٢] ﴿ الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ [السجدة : ١، ٢] ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ [فصلت : ١، ٢] ﴿ حم * عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ [الشورى : ١ – ٣] وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر ، والله أعلم .

* * *

س : كم سورة افتتحها الله سبحانه وتعالى بالحروف المقطعة ؟ وما هي باختصار ؟

ج : افتتح الله عز وجل تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة وهذه السور هي :

﴿ الۤمۤ ﴾ سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة .

وبقوله عز وجل : ﴿ الۤمۤصۤ ﴾ الأعراف .

وبقوله عز وجل : ﴿الۤر﴾ سُوَرَ يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحِجْر .

وبقوله عز وجل : ﴿ الۤمۤر ﴾ الرعد .

وبقوله عز وجل : ﴿ كۤهيۤعۤصۤ ﴾ مريم .

وبقوله عز وجل : ﴿ طه ﴾ سورة طه .

وبقوله عز وجل : ﴿ طسۤمۤ ﴾ الشعراء والقصص .

وبقوله عز وجل : ﴿ طسۤ ﴾ النمل .

وبقوله عز وجل : ﴿ يسۤ ﴾ سورة يسۤ .

وبقوله عز وجل : ﴿ صٓ ﴾ سورة صٓ .
وبقوله عز وجل : ﴿ حمٓ ﴾ سُوَر غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .
وبقوله عز وجل : ﴿ حمٓ . عٓسٓقٓ ﴾ الشورى .
وبقوله عز وجل : ﴿ قٓ ﴾ سورة قٓ .
وبقوله عز وجل : ﴿ نٓ ﴾ سورة القلم .

* * *

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

الكلمة	معناها
لا ريب فيه	لا شك فيه .

* * *

س : (ذلك) ، (تلك) تستعملان للإشارة إلى الغائب ، فلماذا عبر في هذه الآية الكريمة بلفظ ﴿ذلك الكتاب﴾ [البقرة: ٢]، ولم يُقل (هذا الكتاب)؟

ج : (ذلك) ، و (تلك) وإن وضعتا للإشارة إلى الغائب ، وهذا وضعت للإشارة إلى حاضر ، إلا أن الوضع قد ينعكس أحيانًا فتستعمل (ذلك) بمعنى (هذا) والعكس ، أي : أن (ذلك) ، و (تلك) تستعملان للحاضر أيضًا ، و (هذا) تستعمل للغائب أيضًا .

● فمن استعمال ذلك للإشارة إلى حاضر قوله تعالى : ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴾ [السجدة : ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي ﴾ [الشورى : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾ [البقرة : ٢٥٢].

● أما مجيء هذا بمعنى (ذلك) فمنه قوله عليه السلام : « عُرض عليَّ قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر »[1] أي : ذلك البحر فعلى هذا

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨ و ٢٧٨٩) ، والنسائيُّ (٦/٤٠ - ٤١) ، ومسلم (حديث ١٩١٢) ، وأبو داود (٢٤٩٠)، والترمذي (١٦٤٥) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجة (٢٧٧٦) واللفظ للبخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت[1] عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت : فقلت وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أُمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ... » الحديث .

(١) يعني : أنها كانت زوجته .

(ذلك) قد تأتي بمعنى (هذا) ، و (هذا) قد تأتي بمعنى (ذلك) ، فمن الممكن إذن أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أي : هذا الكتاب ، ومن الممكن أن تكون (ذلك) على بابها من أنها إشارة إلى الغائب على ما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى - في السؤال التالي .

* * *

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ذلك ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ [البقرة : ٢] ، وما المراد بالكتاب ؟

ج : ﴿ ذلك ﴾ معناها هنا (هذا)[١] أما الكتاب ، فعلى الصحيح من أقوال العلماء أن المراد به القرآن[٢]، والله أعلم .

---

(١) صح عن عكرمة رحمه الله (عند ابن أبي حاتم ٥٣) والطبري (٢٤٨) أن ﴿ ذلك الكتاب ﴾ معناه : هذا الكتاب .

● وبعض العلماء يقولون : (استعمل ذلك) لما تفيده الإشارة بلام البعد عن علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن ، والله أعلم .

● وبعض أهل العلم يقولون : (ذلك) إشارة إلى ما تقدم وهو قوله : ﴿ آلم ﴾ وكون ذلك تأتي وفيها إشارة إلى ما تقدمها فهذا وارد كما في قوله تعالى : ﴿ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ [البقرة : ٦٨] أي : بين الفارض والبكر ، وقال تعالى : ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ [الممتحنة : ١٠] إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] وكذلك قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ﴾ [الشورى : ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ ، [يوسف : ٥٢] وكقوله تعالى : ﴿ ذلكم أزكى لهم وأطهر ﴾ [البقرة : ٢٣٢] إشارة إلى ما تقدمه ، والله تعالى أعلم .

(٢) هذا على الصحيح من أقوال العلماء أن المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ هو القرآن ، ولكن هناك أقوال أخر للعلماء نورد بعضها :

● **الأول من هذه الأقوال** أن المراد بالكتاب هو المكتوب على الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كتب الله مقادير الخلائق =

= قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[1]، وهذا يحوي ما كتب على الخلائق من السعادة أو الشقاء والأجل والرزق وغير ذلك .

الثاني : أنه الكتاب الذي كتبه الله عز وجل على نفسه : « إن رحمتي تغلب غضبي »[2] .

الثالث : أنه الكتاب الذي وعد الله به نبيه ﷺ وفيه : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ... »[3] الحديث وفيه : « وإني منزل عليك كتابًا لا يغسله الماء ».

الرابع : أن ﴿ ذلك الكتاب ﴾ المراد به : التوراة والإنجيل ، و ﴿ الٓمٓ ﴾ المراد به : القرآن وهو اسم من أسمائه ، فكأن المعنى على هذا الوجه : هذا القرآن هو ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل ، يعني : أن التوراة والإنجيل يشهدان بصحته ، أو المعنى أن هذا الكتاب جامع لما في الكتابين التوراة والإنجيل .

الخامس : أن ذلك الكتاب إشارة إلى القرآن الذي في السماء ولم ينزل بعد .

السادس : أن ذلك الكتاب إشارة إلى الكتاب الذي وُعد به أهل الكتاب ووعدوا به المشركين من أهل المدينة ، وكانوا يستفتحون به عليهم .

وثمَّ أوجه أُخر أقواها ما قدمناه أولًا وهو أن المراد بالكتاب القرآن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٤ ، ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢) ، وفي غير موطن من صحيحه ، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا » .. فذكر الحديث وفيه : وقال : « إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان ... » الحديث .

س : وضح المعنى اللغوي للكتاب[1] ؟

ج : الكتاب مصدر من كتب يكتب إذا جمع ، وقيل للكتيبة كتيبة لاجتماعها ، وتكتبت الخيل صارت كتائب ، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شفري رحمها بحلقةٍ أو سير .

قال الشاعر :

لا تأمنن فـزاريـًا حللـت بـه على قلوصك واكتبها بأسيار

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ لا ريب ﴾ [البقرة : ٢] ؟

ج : معناها (لا شك)[2].

❋ ❋ ❋

س : هل يطلق الريب على غير الشك ؟

جـ : نعم يطلق الريب على غير الشك أحيانًا ، لكن المراد بالريب في الآية الكريمة الشك ، فـ ﴿ لا ريب فيه ﴾ معناها (لا شك فيه) ،أما إطلاق الريب على غير الشك ، فذكر بعض أهل العلم أن **الريب يطلق على التهمة** ومنه قول الشاعر :

بثينة قالت يا جميل أربتني فقلـت كـلانا يا بثـين مريـب

---

(١) والكتاب يردِ شرعًا ويراد به القرآن ، ويراد به غيره كذلك .
وقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] فُرض ، وقوله تعالى : ﴿ فأتوا بكتابكم ﴾ [الصافات : ١٥٧] قيل برهانكم وقيل غير ذلك ، وقوله : ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ [الرعد: ٣٨] أي : وقعت كتب عليه أن يموت فيه والمكاتبة بين العبد وسيده كتاب قال تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا ﴾ [النور : ٣٣] إلى غير ذلك ، والله أعلم .

(٢) قال ابن أبي حاتم في التفسير – (عقب أثر ٥٥) عن أبي الدرداء قال : الريب يعني الشك من الكفر –: ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين منهم ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء بن أبي رباح وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان والسدي وإسماعيل بن أبي خالد .

ويطلق الريب أيضًا على الحاجة ، واستدلوا بقول الشاعر :

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشك المنفي في قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾؟

ج : الشك المنفي : هو الشك في كون القرآن من عند الله ، فالمعنى : ذلك الكتاب لا شك في أنه من عند الله سبحانه وتعالى ، وهو كقوله عز وجل : ﴿ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ [السجدة : ٢] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [البقرة: ٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – **هذا الكتاب لا شك في أنه من عند الله** ، ولبعض العلماء أقوال أُخر منها :

- لا شك فيه أنه هدى للمتقين .

- بعض العلماء يقول : هذا نفي معناه النهي ، والمعنى لا ينبغي لأحدٍ أن يشك فيه ولا يرتاب في أنه من عند الله والنفي يرد ، ومعناه النهي كما في قوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٦٧] أي : لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج .

- ويأتي الخبر ومعناه الأمر كذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] – أي: أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم ، على وجه لبعض المفسرين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أسماء (الكتاب العزيز) ؟

ج : من هذه الأسماء . (القرآن) ، قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ [الزخرف : ٣] ، وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ [الإسراء : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ [الواقعة : ٧٧] ، إلى غير ذلك من الآيات .

● ومنها **الكتاب** قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ [ص : ٢٩] .

● ومنها **الفرقان** قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● ومنها **الذكر** قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جآءهم وإنه لكتاب عزيز﴾ [فصلت : ٤١].

● ومنها **(حبل الله)** قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إلى غير ذلك ، وقد بلغ الرازي رحمه الله تعالى بهذه الأسماء إلى اثنين وثلاثين اسمًا لكنه أدخل الصفات في الأسماء ولا يسلم له أكثر ما ذكره ، والله أعلم .

* * *

س : الهدى في قوله تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] من أي أقسام الهداية ؟

ج : سبق بيان أن الهداية قسمين هداية دلالة ، وهداية توفيق أما الهداية في قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ فمعناها – والله أعلم – ينتظم المعنيين جميعًا فيدخل فيها هداية الدلالة وهداية التوفيق ففي هذا الكتاب رشد وبيان ودلالة وتوفيق للمتقين ، والله تعالى أعلم .

س : لماذا خصت الهداية بالمتقين مع أن هذا الكتاب فيه هدى للخلق أجمعين كما قال تعالى : ﴿ هدى للناس ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : إذا أريد بالهداية هداية التوفيق فلا إشكال فالكتاب فيه توفيق للمتقين ولا يوفق به أهل الكفر والضلال .

أما إذا أُريد بالهداية هداية الدلالة فصحيح أن في الكتاب العزيز (هداية للناس) ولكن منهم من ينتفع بها ومنهم من لا ينتفع كما قال الله سبحانه في شأن ثمود الذين لم ينتفعوا بالهداية : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧]. فخص المتقون بالهداية دون غيرهم لأنهم المنتفعون بها كما قال الله عز وجل : ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ [النازعات : ٤٥] وقد كان النبي ﷺ منذر للناس أجمعين (مسلمهم وكافرهم) .

وقيل أراد المتقين والكافرين[(١)] لكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما قال تعالى : ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل : ٨١] أي وتقيكم البرد ، ولكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، والله تعالى أعلم .

***

س : من أي شيء أخذت التقوى ؟ ومن هم المتقون ؟

ج : التقوى مأخوذة من الاتقاء بما تجعله من حاجز بينك وبين ما تتقيه ومنه قول البراء بن عازب رضي الله عنهما : (كنا والله إذا احمر البأس[(٢)] نتقي به[(٣)] وإن الشجاع منا للذي يحاذي به – يعني النبي ﷺ)[(٤)].

---

(١) وهذا يتأتى إذا فسرت الهداية بالدلالة .

(٢) احمر البأس : اشتد الحرب .

(٣) أي جعلناه حاجزًا بيننا وبين العدو .

(٤) أخرجه مسلم (ص١٤٠١) .

● وقال القرطبي : وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُبيًّا =

● ومنه قول الشاعر :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولتــه واتقتنــا باليـــد

= رضي الله عنه عن التقوى فقال : (هل أخذت طريقًا ذا شوك ؟ قال : نعم قال : فما عملت فيه ؟ قال : تشمرت وحذرت ، قال : فذاك التقوى) .

قلت : (مصطفى) عفا الله عنه لم يسعفني الوقت للوقوف على إسناده .

قال القرطبي رحمه الله : وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه :

خلِّ الذنـوب صغيرهـا وكبيرهـا ذاك التقـى
وكن كماشٍ فـوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقـرن صغيـرة إن الجبـال من الحصى

وقال الرازي رحمه الله تعالى : واعلم أن التقوى هي الخشية ، قال في أول النساء : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ [النساء : ١] ومثله في أول الحج ، وفي الشعراء : ﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ﴾ [الشعراء : ١٠٦] يعني : ألا تخشون الله ، وكذلك قال هود وصالح ، ولوط ، وشعيب لقومهم ، وفي العنكبوت قال إبراهيم لقومه : ﴿ اعبدوا الله واتقوه ﴾ [نوح : ٣] يعني :اخشوه ، وكذا قوله : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة: ٤٨] واعلم أن حقيقة التقوى وإن كانت هي التي ذكرناها إلا أنها قد جاءت في القرآن ، والغرض الأصلي منها الإيمان تارة ، والتوبة أخرى والطاعة ثالثة ، وترك المعصية رابعًا والإخلاص خامسًا أما الإيمان فقوله تعالى : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ [الفتح : ٢٦] أي : التوحيد ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ [الحجرات : ٣] وفي الشعراء : ﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾ [الشعراء : ١١] أي : ألا يؤمنون وأما التوبة فقوله : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ﴾ [الأعراف : ٩٦] أي : تابوا ، وأما الطاعة فقوله في النحل : ﴿ أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل: ٢] وفيه أيضًا ﴿ أفغيرالله تتقون ﴾ [النحل : ٥٢] وفي المؤمنين ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥٢] وأما ترك المعصية فقوله : ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله ﴾ [البقرة : ١٨٩] أي : فلا تعصوه ، وأما الإخلاص فقوله في الحج : ﴿ فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج: ٣٢] أي : من إخلاص القلوب ، فكذا قوله : ﴿ وإياي فاتقون ﴾ [البقرة: ٤١] واعلم أن مقام التقوى مقام شريف قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين =

وقال آخر :

فألقت قناعًا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كفٍّ ومِعصم

● أما من هم المتقون ففيهم أقوال لأهل العلم ، نورد منها ما يلي :

● قال بعض العلماء: إن المتقين هم الذين يحذرون من الله عز وجل عقوبته.

● وقيل : هم قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان(١) وبرئوا من النفاق .

● وقيل : هم قوم تركوا ما لا بأس به حذرًا مما به البأس(٢).

● وقيل: هم من وصفهم الله عز وجل بقوله(٣): ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٣ ، ٤] .

= هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] وقال : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات:١٣] وعن ابن عباس قال عليه السلام : « من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده » وقال علي بن أبي طالب : التقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة . قال الحسن : التقوى أن لا تختار على الله سوى الله ، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله . وقال إبراهيم بن أدهم : التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيبًا ، ولا الملائكة في أفعالك عيبًا ولا ملك العرش في سرك عيبًا . وقال الواقدي : التقوى أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق . ويقال : التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ويقال : المتقي من سلك سبيل المصطفى ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا ، واجتنب الحرام والجفا . ولو لم يكن للمتقي فضيلة إلا ما في قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ كفاه ، لأنه تعالى بيَّن أن القرآن هدى للناس في قوله : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ثم قال ههنا في القرآن : إنه هدى للمتقين ، فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس ، فمن لا يكون متقيًا كأنه ليس بإنسان .

(١) قال ابن عطية : وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق .

(٢) أي : تركوا بعض المباحات خشية الوقوع في المحرمات .

(٣) صح هذا القول عن قتادة عند ابن أبي حاتم في التفسير (٦٤) ، والطبري (٢٦٥).

- وقيل : التقي هو الخائف .
- وقال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره :

وأوْلى التأويلات بقول الله جل ثناؤه : ﴿ هدى للمتقين ﴾ ، تأويلُ من وصَف القومَ بأنهم الذين اتَّقُوا الله تَبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه ، فتجنبوا معاصِيَه ، واتَّقوْه فيما أمرهم به من فرائضِه ، فأطاعوه بأدائها . وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ وصَفهم بالتقوَى ، فلم يحصُرْ تقواهم إياه على بعضٍ ما هو أهلٌ له منهم دون بعض فليس لأحد من الناس أن يحصُرَ معنى ذلك على وَصْفهم بشيء من تَقوى الله عز وجل دون شيء إلا بحجة يجبُ التسليمُ لها . لأن ذلك من صفة القوم ، لو كان محصورًا على خاص من معاني التقوى دون العامِّ منها ، لم يدعِ الله جل ثناؤه بيانَ ذلك لعباده : إما في كتابه ، وإما على لسان رسوله ﷺ ، إذْ لم يكن في العقل دليلٌ على استحالة وصفهم بعموم التقوى .

فقد تبيَّن إذًا بذلك فسادُ قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو : الذين اتَّقَوُا الشرك وبرئوا من النِّفاق . لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسقٌ غيرُ مستَحِق أن يكون من المتقين ، إلا أن يكون – عند قائل هذا القول – معنى النفاق : ركوبُ الفواحش التي حَرَّمها الله جل ثناؤه ، وتضييعُ فرائضه التي فرضها عليه . فإن جماعةً من أهل العلم قد كانت تسمِّي من كان يفعل ذلك منافقًا . فيكون – وإن كان مخالفًا في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم – مصيبًا تأويلَ قول الله عز وجل : ﴿ للمتقين ﴾ .

❋ ❋ ❋

س : أوصى الله عز وجل عباده بالتقوى في جملة آيات ، اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات . قوله تعالى : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ [النساء : ١٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها .. ﴾ الآية [النساء : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ [الحج : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [الحشر : ١٨] .

● وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل : ٢] .

* * *

س : اذكر بعض منافع التقوى المستنبطة من كتاب الله عز وجل ؟

ج : من منافعها ما يلي :

● الهداية لصاحبها قال تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] .

● نصرة الله لصاحبها قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ [النحل : ١٢٨] .

● تولي الله عز وجل لصاحبها قال الله تعالى : ﴿ والله ولي المتقين ﴾ [آل عمران : ٧٦] .

● إبعاد الحزن عن صاحبها في الآخرة قال الله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] .

● المخرج من الكرب والغم قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ﴾ [الطلاق : ٢] .

● الرزق قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢] .

● محبة الله عز وجل لصاحبها قال تعالى : ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ [التوبة : ٤] .

● البصيرة والمغفرة قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

● تيسير الأمور قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا ﴾ [الطلاق : ٤] .

● تعظيم الأجر وتكفير السيئات قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا ﴾ [الطلاق : ٥] .

● قبول العمل قال الله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ [المائدة : ٢٧] .

● الفلاح قال الله تعالى: ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

● البشرى قال الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس : ٦٣ ، ٦٤] .

● دخول الجنة قال الله تعالى : ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ [القلم : ٣٤] .

● النجاة من النار قال الله تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ [مريم: ٧٢] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض البواعث على التقوى ؟

ج : من البواعث على التقوى ما يلي[1]:

١ - خوف عقاب الله عز وجل (سواء العقاب الأخروي أو العقاب الدنيوي) .

٢ - رجاء الثواب (الثواب في الآخرة أو في الدنيا) .

٣ - خوف الحساب .

٤ - الحياء من نظر الله عز وجل (وهو مقام المراقبة) .

٥ - الحياء من الملائكة .

٦ - الشكر على نعم الله عز وجل بطاعته .

٧ - العلم لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

٨ - تعظيم الله عز وجل (وهو مقام الهيبة) .

٩ - صدق المحبة[2]، وقد قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات التي تفيد أن المنتفعين بهذا القرآن هم (المؤمنون والمتقون) دون غيرهم ؟

ج : نورد من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

---

(١) ذكر ذلك بعض أهل العلم .

(٢) وقد أحسن القائل إذ يقول :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقد قال غيره :

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظمأ ... وقلت قفي عن ورود الماء لم يرد

ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

● قوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

● وقوله تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ [فصلت : ٤٤] .

● وقال تعالى في شأن اليهود : ﴿ وليزيدن كثيرًا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا ﴾ [المائدة : ٦٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس : ٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

يؤمنون - ينفقون - يوقنون - رزقناهم - على هدًى من ربهم - المفلحون ؟

ج :

الكلمة	معناها
يؤمنون	يُصدِّقون
ينفقون	يُخرجون
يوقنون	يعلمون ويتيقنون ، واليقين هو ما حصلت به الثقة
رزقناهم	أعطيناهم
على هدى من ربهم	على نورٍ وتوفيق من ربهم واستقامة على ما جاءهم به بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم
المفلحون	المفلح هو من فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب

✵ ✵ ✵

س : ما معنى الإيمان لغة وشرعًا ؟

ج : أما الإيمان لغة فمعناه : التصديق ، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [يوسف : ١٧] وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ﴾ [يونس : ٨٣] .

ويزاد عليه شرعًا : القول والعمل ، فالإيمان شرعًا تصديق وقول وعمل .

● والإيمان كذلك هو ما ورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... فذكر الحديث وفيه: « فأخبرني عن الإيمان ، قال(١): أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه ... »(٢) فذكر الحديث .

* * *

س : كلمة (مؤمن) تتعدى لمفعولها بماذا ؟

ج : تتعدى بالباء ، وباللام .

● أما تعديها بالباء فكما في قول إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف : ١٧] .

وتعديها باللام فكما في قوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى ﴾ [يونس: ٨٣].

وكما في قول اليهود لبعضهم : ﴿ ... ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

* * *

(١) أي : قال رسول الله ﷺ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم رقم (٨) .

س : اذكر دليلًا على أن الأعمال من الإيمان ؟

ج : من الأدلة على ذلك : قول النبي ﷺ : « الإيمان بضع وستون – وفي رواية بضع وسبعون – شعبة والحياء شعبة من الإيمان » أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفي رواية لمسلم : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالغيب في قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها أن الغيب كل ما غاب عن العباد ، وأخبر به الرسول ﷺ فيدخل فيه الإيمان بالملائكة والكتب المتقدمة وكذلك الرسل المتقدمون واليوم الآخر والجنة والنار[3] ولقاء الله عز وجل، وكل ما ذكر في القرآن من الغيوب.

● ومنها أن المراد بالإيمان بالغيب الإيمان بالقدر .

● بعض العلماء يقولون : إن ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ هم الذين آمنوا برسول الله ﷺ ولم يروه .

● ومن العلماء من يُدخل في الإيمان بالغيب الإيمان بالله عز وجل باعتبار أننا لا نرى الله سبحانه وتعالى ، وإلا فقد قال الله سبحانه : ﴿ فلنقصن عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٩) ، ومسلم (حديث ٣٥) .

(٢) أخرجها مسلم (ص٦٣) .

(٣) روى الطبري (٢٧٥) بإسناد حسن عن قتادة في قوله ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ قال : آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب .

بعلمٍ وما كنا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧] .

● ونحا بعض أهل العلم منحًى آخر فقالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ : يؤمنون في حال غيبهم أي : باطنًا كما يؤمنون ظاهرًا فيؤمنون بقلوبهم كما يؤمنون بألسنتهم ، فيفارقوا أهل النفاق الذين يؤمنون بألسنتهم وقلوبهم منكرة وهم مستكبرون .

هذا وقد أورد ابن عطية رحمه الله تعالى نحو هذه الأقوال(١) ثم قال : وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها ، والغيب في اللغة ما غاب عنك من الأمر ، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : أما القيام على الشيء فهو المداومة عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إلا ما دمت عليه قائمًا ﴾(٢) [آل عمران : ٧٥] وقوله تعالى : ﴿ ليسوا سواء

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/١٠٠) .

● وقال ابن العربي رحمه الله تعالى :

(التنقيح) إذا تأمَّل اللبيبُ المنصِفُ هذه التوجيهات تحقَّق أن الصحيحَ المراد بقوله : ﴿ يُؤْمنون بالغيب ﴾ كلُّ غَيْبٍ أخبر به الرسولُ ﷺ أنه كائن .

وقوله : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ عامٌّ في كل صلاة فَرْضًا كانت أو نَفْلًا .

وقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ عامٌّ في كلِّ نفقة ، وليس في قوَّة هذا الكلام القضاء بفرضيَّة ذلك كلِّه ، وإنما عَلِمْنَا الفرضيَّة في الإيمانِ والصلاة والنفقة من دليلٍ آخر ، وهذا القولُ بمطلقه يقتضي مَدْح ذلك كله خاصة كيفما كانت صِفَته .

(٢) ما دمت مستمرًّا في مطالبته بالدين الذي عليه ، وسيأتي في آل عمران إن شاء الله .

● نقل القاسمي في محاسن التأويل عن الراغب قوله : إقامة الصلاة توفية حدودها وإدامتها ، وتخصيص الإقامة تنبيه على أنه لم يُرد إيقاعها فقط ، ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظِ نحو ﴿ أقم الصلاة ﴾ [هود : ١١٤]، وقوله : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ [النساء : ١٦٣] و ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ [المائدة : ٥٥] ، =

من أهل الكتاب أمة قائمة ..﴾ [آل عمران : ١١٣] وقول النبي ﷺ : « مثل القائم على حدود الله »(١) .

● أما المراد بإقامة الصلاة فالمحافظة عليها وأداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها ، وكذلك ملازمتها جماعة في الفرائض ، والإكثار من النوافل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ ؟

ج : المراد بالدرجة الأولى الصلوات الخمس التي كتبها الله عز وجل على العباد وذكرت الصلوات الخمس بلفظ المفرد ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ كما في قوله تعالى : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ٢١٣] أي : الكتب .

ويلتحق بالفرائض النوافل أيضًا عند أهل التقى والفضل وإن لم تكن واجبة ، والله أعلم .

* * *

س : ما حكم إقامة الصلاة (التي هي عقب الأذان) ؟ وهل على تاركها إعادة ؟

ج : إقامة الصلاة سنة عند الجمهور ، ولا إعادة على تاركها ؛ لأن النبي ﷺ قال في شأن الصلاة : « تحريمها التكبير »(٢) فعليه لا صلة للإقامة

= ولم يقل المصلي إلا في المنافقين ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] .. وذلك تنبيه على أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل . انتهى .
قلت (مصطفى) : وهذا يحتاج مني إلى مزيد تحرير ، والله المستعان .

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (١/١٢٣ ، ١٢٩) ، الترمذي (١/٣٧) ، وأبو داود (١/٤٩)، =

بصحة الصلاة أو بطلانها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأذانين في حديث رسول الله ﷺ « بين كل أذانين صلاة » ؟

ج : المراد الأذان والإقامة ، والعرب تطلق على الشيء إذا اقترن بشيء آخر اسم الشيء الآخر إذا غلب عليه (أي : على سبيل التغليب) .

- فيقولون مثلًا : رأيت الشمسين (ويقصدون الشمس والقمر) .
- ويقولون : جاء العُمران ، ويقصدون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، إلى غير ذلك والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في فضل الصلاة؟

ج : نورد من هذه الأحاديث ما يلي :

- قول النبي ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر »[(١)].
- وسئل النبي ﷺ أي العمل أفضل يا رسول الله؟ قال: «الصلاة لوقتها»[(٢)].
- وقوله عليه الصلاة والسلام : « أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل ترون أن ذلك يُبقي من درنه شيئًا ، فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله عز وجل بهن الخطايا »[(٣)] .

= والدارمي (١/٢٧٥) ، والبيهقي (٢/١٧٣ ، ٣٧٩) ، وابن ماجة (٢٧٥) من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم » وله شواهد يصح بها أوردها الدارقطني (١/٣٥٩، ٣٦١)

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٠) ، ومسلم (٨٥) وغيرهما .

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨) ، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « ابن آدم صلِ لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره »(١) .

● وقول النبي ﷺ : « يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ... - الحديث - ويجزىء عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »(٢).

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الصلاة لغة ؟

ج : **الصلاة تطلق على الدعاء** ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

● وقول النبي ﷺ : « ... وإن كان صائمًا فليصل »(٣) .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « اللَّهم صل على آل أبي أوفى »(٤) .

● ومنه أيضًا قول الشاعر :

تقول بنتي وقد قربت مُرتحلًا ... يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا

---

(١) أخرج أحمد (٥/٢٨٦) ، وأبو داود (٢/٦٣) من حديث نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أي : فليدع لأهل الوليمة ، وقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى (حديث ١٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دُعي أحدكم فليجب فإن كان صائمًا فليصل ، وإن كان مفطرًا فليطعم » .

(٤) أخرج البخاري (حديث ١٤٩٧) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : « اللهم صل على آل فلانٍ » فأتاه أبي بصدقته فقال : « اللهم صل على آل أبي أوفى » ، وأخرجه مسلم (حديث ١٠٧٨) .

● وتطلق الصلاة على القراءة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا ﴾[1] [الإسراء : ١١٠] .

● وتطلق على العبادة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية ﴾ [الأنفال : ٣٥] .

***

س : ما معنى (ينفقون) وما المراد بالنفقة في قوله تعالى : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [البقرة : ٣] ؟

ج : ينفقون معناها : يُخرجون ، والإنفاق هو إخراج المال من اليد نفقت الدابة خرجت روحها ، وأطلق على المنافق منافق ؛ لأنه يخرج من الإيمان ، وقولهم للمرأة : إنكِ نافقة أي : ستجدين من يتزوجك فتخرجين من بيت الوالد إلى بيت الزوج ، وأنفق القوم : فنى زادهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق ﴾ [الإسراء : ١٠٠] .

● أما المراد بالنفقة هنا فمن العلماء من يقول : إنها الزكاة المفروضة وقال بعض أهل العلم : إنها النفقة على الأهل ، وقيل : المراد صدقة التطوع والصحيح أنها عامة في كل أنواع الإنفاق فيدخل فيها صدقة الفرض وصدقة النفل

---

(١) أخرج البخاري (٤٧٢٢) ، ومسلم (٤٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قال : نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أي : بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلًا ﴾ وأخرج البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾، قالت : أنزل هذا في الدعاء .

قلت : ولا يمنع أن تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة ، والله أعلم .

والإنفاق على الأهل إلى غير ذلك من أنواع النفقة الواجبة والمستحبة ، وهذا الذي اختاره الطبري رحمه الله تعالى[1] ، **قال رحمه الله (١/٢٢٤) :** وأَوْلى التأويلات بالآية وأحقُّها بصفة القوم : أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم ، مُؤدِّين ، زكاةً كان ذلك أو نفقةَ مَنْ لزمتْه نفقتُه ، من أهل وعيال وغيرهم ، ممن تجب عليهم نَفَقتُه بالقرابة والمِلك وغير ذلك ؛ لأن الله جل ثناؤه عَمَّ وصفهم إذْ وصَفهم بالإنفاق مما رزقهم ، فمدحهم بذلك من صفتهم . فكان معلومًا أنه إذ لم يخصُصْ مدْحَهم ووصفَهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبُها دونَ نوعٍ بخبر ولا غيره - أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمودِ عليها صاحبُها من طيِّب ما رزقهم رَبُّهم من أموالهم وأملاكهم ، وذلك الحلالُ منه الذي لم يَشُبْهُ حرامٌ . والله تعالى أعلم .

***

س : هل يستحب الإنفاق على الدوام ؟

ج : الإنفاق[2] له فقه كسائر المسائل الشرعية التي تحتاج إلى فقه فأحيانًا يجب الإنفاق وأحيانًا يستحب وأحيانًا يباح وأحيانًا يكره وأحيانًا يحرم شأنه شأن أكثر المسائل .

وقد قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦ ، ٢٧] .

---

(١) انظر الخلف .

(١) هذا على تأويل الإنفاق بأنه عام (يشمل الفرض والنفل) .

● وقال الله سبحانه : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين .... ورجل آتاه الله مالًا فَسلِّط على هلكته في الحق .. »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك : «أمسك عليك بعض مالك»[٢] .

● وقد جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بماله كله فقال له النبي ﷺ : « ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر » قال : أبقيت لهم الله ورسوله[٣] .

● وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس »[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣) ، ومسلم (حديث ٨١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين رجلٌ آتاه الله مالًا فسلَّط على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٩) ، وأحمد (٣٨٧/٦) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عز وجل عليه وفيه أنه قال : قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : « أمسك عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك » .

(٣) أخرج أبو داود (حديث ١٦٦٢) ، والترمذي (٣٦٧٥) وقال : حديث حسن صحيح . والدارمي (٣٩١/١ - ٣٩٢) وغيرهم بإسناد حسن من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقلت : مثله قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله قلت : لا أسابقك إلى شيء أبدًا .

(٤) صحيح وسيأتي تخريجه في آية الوصية إن شاء الله تعالى .

● فهذه وغيرها نصوص يتحرك المؤمن في ضوئها فيعلم متى يُنفق ومتى يمسك وأين ينفق وأين يُمسك ، ومتى ينفق كل ماله ، ومتى يمسك بعض ماله وليعلم أن الاقتصاد غير البخل ، وأن الجود غير التبذير .

وأن المنع في محل الإعطاء مذموم ، والإعطاء في محل المنع مذموم كذلك ويعلم متي يُطبق حديث رسول الله ﷺ : « ابدأ بمن تعول »[1] ومتى يطبق قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر : ٩] ومتى ينزل حديث الصحابي الجليل وزوجته الصحابية الكريمة اللَّذين عجب الله عز وجل من صنيعهما مع الأضياف لما نوما صبيانهما وأطفأا مصباحهما وأوهما الضيف أنهما يأكلان[2]!! .

● ويعلم كذلك أين ينفق هل ينفق فيما يحبه الله ويرضاه ويبتغي بذلك وجه الله فيكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ [الروم : ٢٩] أما أنه ينفق أموالًا ثم تكون عليه حسرة .

● ويعلم كذلك لمن ينفق أولًا وهل الأقربين أولى بالإنفاق عليهم إذا

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ (انظر صحيح مسلم ص٧١٧ - ٧١٨) ترتيب محمد فؤاد .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٣٧٩٨) ، ومسلم (حديث ٢٠٥٤) ، والترمذي (٣٣٠٤)، وقال : حديث حسن صحيح . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (واللفظ للبخاري) أن رجلًا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من يضم - أو يضيف هذا - » فقال رجل من الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً فهيئت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : « ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما » فأنزل الله ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

كانوا أهل حاجة كما قال تعالى : ﴿ يتيمًا ذا مقربة ﴾ [البلد : ١٥] وكما قال تعالى : ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [البقرة : ٢١٥] أو أن المسكين ذا المتربة أولى لقوله تعالى : ﴿ أو مسكينًا ذا متربة ﴾ [البلد : ١٦] أو أن (في كل كبدٍ رطبةٍ أجر) ...

إلى غير ذلك من الضوابط التي تضبط بها مسائل الإنفاق ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من هم الموصوفون بقوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● أن هؤلاء هم الموصوفون قبل هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ﴾ وهم مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب .

● أن هؤلاء هم أهل الكتاب خاصة ، لأن مؤمنو العرب تقدم ذكرهم .

والراجح لديَّ – والله أعلم – أن الآية عامة فيدخل فيها المؤمن من العرب والمؤمن من أهل الكتاب ومن آمن من غيرهم كذلك .

وذلك لأن مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم ممن آمن كلهم يؤمنون بما أُنزل إلى الرسول ﷺ وما أُنزل من قبله .

● قال الله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ

آمـن بالله وملائكتـه وكتبـه ورسله لا نفـرق بين أحد من رسلـه ﴾
[البقرة : ٢٨٥].

● وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزَّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالًا بعيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

● وقال تعالى : ﴿ .. والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١٥٢] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قد تأتي (الواو) عاطفة لصفاتٍ على صفات اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى ﴾ [الأعلى : ١- ٤] فالموصوف واحد وكذلك قوله تعالى[1]: ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون .. ﴾ [البقرة : ٢ ، ٣] .

ومنه أيضًا قول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليـث الكتيبـة فـي المزدحـم

والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) على قولٍ لفريق من أهل العلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ .. وما أنزل من قبلك ﴾ ؟

ج : المراد – والله أعلم – ما نزل على الأنبياء قبل نبينا ﷺ وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف الأولى ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى: ١٩] إلى غير ذلك مما نزل على الأنبياء عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل الكتابي الذي آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ؟

ج : من هذه الآيات والأحاديث نورد ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ – ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

● وقال النبي ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين .. رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به .. »[1] الحديث . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم أن يكون أجر من آمن مِن أهل الكتاب أعظم من أجر مَن آمن من العرب ؟

ج : لا يلزم ذلك ، صحيح أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بالنبي محمد ﷺ » وقال تعالى : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ [القصص :٥٤] ولكن قد يكون هناك من العرب من آمن وحصل له من التصديق ما يفوق أضعاف إيمان الكتابي وتصديقه كما هو الشأن في أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح وبلال وعمار رضي الله عنهم أجمعين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ [البقرة : ٥] فيه رد على القدرية وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن القدرية يزعمون أنهم يخلقون إيمانهم وهداهم ، ففي قول الله عز وجل : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ ردٌّ عليهم فلم يقل أولئك على هدًى من أنفسهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم المفلحون ؟

ج : هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ..... ﴾ إلى قوله : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ والمفلح هو من فاز وظفر بما طلب

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٥٤) ، والبخاري (حديث ٩٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

ونجا مما هرب ، فالمفلحون هم الذين فازوا بالجنان ونجوا من النيران ، والعلم عند الله تعالى . والفلح أصله في اللغة الشق والقطع وفيه قول الشاعر :

قد علمت خيلك أني الصَحْصَح[1]   وأن الحـديـد بالحـديـد يُفلح

ويفُلح أي : يشق ، وفلاحة الأرض : شقها للحرث والأفلح هو الذي شقت شفته السفلى ، وحي على الفلاح : هلموا إلى الفوز ودخول الجنة .

* * *

س : هذه الآيات الكريمة ﴿ الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [البقرة : ١ - ٤] ذكرت فيها أوصاف للمتقين منها . يؤمنون بالغيب - يقيمون الصلاة- مما رزقهم الله ينفقون- يؤمنون بما أنزل إلى رسول الله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة، فهل تنحصر صفات المتقين في هذه الصفات؟

ج : تنحصر صفات المتقين في هذه الآيات إذا راعينا أن قوله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ [البقرة : ٤] عام فيدخل فيه كل ما أمر الله به وكل ما نهى الله عنه وكل خبر ...

ولكن إذا أردنا تفصيلًا فالمتقون لهم صفات ذكرت في آيات أخر كما في سورة آل عمران ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران : ١٣٤] وكما في قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ١٣٥] إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها صفات المتقين ، فالحاصل أن صفات المتقين تؤخذ من مجموع الآيات التي وردت في صفاتهم ،

---

(١) الصحصح هو الشديد الصلب ، والبيت ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه .

وكذلك سائر الأحكام الشرعية تؤخذ من مجموع الآيات والأحاديث التي وردت فيها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الآيات التسع عشرة من سورة البقرة انتظمت أصناف الناس الثلاثة ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن يقال : انتظمت هذه الآيات أصناف الناس الثلاثة وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون .

- فالآيات الأربع عقب قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ في المؤمنين وأوصافهم .
- وآيتان في وصف الكفار .
- وثلاث عشرة آية في وصف أهل النفاق ؛ والله أعلم .

❋ ❋ ❋

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
سواء – ختم – غشاوة ؟

ج :

الكلمة	معناها
سواء	يستوي أي : يستوي عندهم الإنذار وعدمه
ختم	غطّى
غشاوة	غطاء على العين يمنعها من الرؤية ، ومنه قول الشاعر : هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الكفر لغة ؟

ج : الكفر يطلق على التغطية والستر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ﴾ [الحديد : ٢٠] فالكفار هنا هم الزراع على قولٍ قويٍّ جدًّا لأهل العلم لأنهم يغطون الحبَّ .

● ومن هذا الباب قول الشاعر : في ليلة كفر النجومَ غمامُها .

ولذلك سُمِّي الليل كافرًا لتغطية ظلمته ما لبسته .

والكافر من الأرض هو ما بَعُد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر به أحد ومن حل بتلك المواضع فهو من أهل الكفور ، ويُقال الكفوْر : القرى(١) ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالكفر في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ومن المراد بالذين كفروا .. ؟

ج : المراد بالكفر هنا – والله أعلم –: الكفر الّذي هو ضد الإيمان ، ﴿ والذين كفروا ﴾ هنا هم الذين لم يؤمنوا بالغيب ولا برسالتك ولا بالحق الذي جئتهم به ، ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يوقنون بالآخرة وهم أيضًا الذين غطوا الحق وستروه(٢) .

❋ ❋ ❋

---

(١) ومنه قولهم في بعض البلاد بمصدر كفر كذا .. يقال لأنها كانت بعيدة عن العمران ، فالله أعلم .

(٢) وقد يأتي الكفر ويراد به جحود النعمة والإحسان كما في قوله عليه الصلاة والسلام في النساء : « يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر =

س : هل المراد بالكفار في هذه الآية الكريمة : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ﴾ [البقرة : ٦] صنف خاص من الكفار أم عموم الكفار ؟

ج : المراد – والله أعلم –: صنف خاص من الكفار(١)، أما من هذا الصنف الخاص من الكفار الذين أشير إليهم في الآية الكريمة فللعلماء فيهم أقوال أمثلها وأقواها هم الكفار الذين سبق في علم الله سبحانه وتعالى أنهم يموتون على الكفر وحقت عليهم كلمة العذاب ووجب عليهم الخلود في النار كأبي لهب وأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم من المشركين الذين ماتوا على شركهم ، وكذلك رؤساء اليهود الذين ماتوا على كفرهم كحييٍّ بن أخطب وغيره ، وكل من سبق في علم الله أنه يموت على الكفر ، عياذًا بالله .

والحامل لنا على هذا القول أن هناك من أهل الكفر كفار إذا أنذرتهم أسلموا ، وإذا ذكرتهم تذكَّروا ، وعموم أصحاب النبي ﷺ كانوا كفارًا

= كله ثم رأت منك شيئًا قالت : ما رأيت منك خيرًا قط ».

● وقال البغوي في تفسيره (معالم التنزيل ٦٤/١) :

والكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر عناد ، وكفر نفاق . فكفر الإنكار : أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به ، وكفر الجحود هو : أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود . قال الله تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] وكفر العناد هو : أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول :

وَلَقد عَلمْتُ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ ... مِن خَيْرِ أَدْيَانِ البَريَّة دينًا

لولا المَلامَةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدتَني سَمْحًا بذاكَ مُبينا

وأما كفر النفاق : فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب ، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له .

(١) وقد نقل ابن عطية رحمه الله تعالى (في كتابه المحرر الوجيز) الاتفاق على أنها (أي الآية) غير عامة لوجود كفارٍ قد أسلموا بعدها .

فهداهم اللَّه بنبيه محمد ﷺ فذكَّرهم فتذكروا وأنذرهم فآمنوا وصدقوا المرسلين ، واللَّه تعالى أعلم .

***

س : ما هو المراد بالإنذار وما الفرق بينه وبين الإشعار[1] ؟

ج : المراد بالإنذار : الإعلام والإبلاغ ، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز (أي لأخذ العدة والاحتياط) فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعارًا ولم يكن إنذارًا . قاله القرطبي رحمه اللَّه .

***

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ؟

ج : المعنى - واللَّه أعلم - : أن الكفار الذين كتبت عليهم الشقاوة وحقت عليهم كلمة العذاب يستوي ويتعادل عندهم الإنذار من عدمه فهم لا ينتفعون بإنذار ولا بغير إنذار ، واللَّه أعلم .

***

س : لماذا ننذر الكافرين ، وقد قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ٦] ؟

ج : ننذرهم لأمور منها .

● **الأول : أن اللَّه عز وجل أمرنا بإنذارهم** ، قال اللَّه عز وجل : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك[2] وإن لم تفعل فما بلغت

---

(١) من قولهم (أشعرته بكذا) وليس المراد إشعار البدن .

(٢) والمسلمون له تبع في هذا ﷺ .

رسالته .. ﴾ [المائدة : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر .. ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .

● وقال تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] .

● وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل : ١٢١] .

الثاني : أننا لا نعلم من الذي كتبت له الهداية والسعادة ممن كتبت له الغواية والشقاء ، فلو علمنا من الذي كتبت له الغواية والشقاء لتركنا إنذاره إذا أمرنا اللّٰه بذلك .

الثالث : أننا ننذرهم رجاء انتفاعهم كما قال الواعظون من بني إسرائيل : ﴿ معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ [الأعراف : ٧] .

الرابع : رجاء انتفاعنا قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى اللّٰه وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات تؤدي نفس المعنى الوارد في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة :٦] ؟

ج : من الآيات التي تؤدي معنى هذه الآية الكريمة ما يلي .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جآءتهم كل آية حتى يرو العذاب الأليم ﴾ [يونس :٩٦ ، ٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا

قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

* * *

س : ما هي الفائدة المرجوة من إعلام الله عز وجل نبيه ﷺ بقوله : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة: ٦] ؟

ج : الفائدة من ذلك – والله أعلم – : هي جلب الراحة النفسية لرسول الله ﷺ حتى لا تذهب نفسه عليهم حسرات ولا يهلكه الحزن بسبب استمرارهم على كفرهم وعنادهم كما قال الله تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا ﴾ [الكهف : ٦] وكما قال تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] وكما قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ [النحل : ١٢٧] وكما قال تعالى : ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴾ [لقمان : ٢٣] وإنما عليه ﷺ أن يؤدي ما عليه من البلاغ ويكل ما وراء ذلك إلى الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل : ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى : ٤٨] وكما قال سبحانه : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [العنكبوت : ١٨] وليس معنى ذلك أن الشخص يقصر في الدعوة إلى الله بل عليه أن يبذل قصارى جهده في ذلك كما قال نوح عليه السلام : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلًا ونهارًا فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا ... ثم إني دعوتهم جهارًا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارًا ... ﴾ [نوح : ٦ – ٩] .

* * *

س : كيف لا يحزن المسلم على كفر الكافر ، ونفس المؤمن مجبولة على حب الخير للعباد فلا يسمع المؤمن بكافر يُسلم إلا وفرح لذلك ، ولا يسمع عن مسلم ارتد إلى الكفر إلا وحزن لذلك ؟

ج : صحيح أن المسلم يحزن لكفر الكافر ، ويفرح لإسلام الكافر ، لكن كيف يوجه قوله تعالى : ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ [النحل : ١٢٧] يوجَّه بأن يقال: إن النهي عن الحزن إنما هو عن الحزن الشديد الذي يذهب بالنفس حسرات ويقطعها ويهلكها كما قال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] وكما قال سبحانه : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٣] ، واللَّه أعلم .

***

س : وضح مواطن الوقف التام في قوله تعالى : ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ [البقرة : ٧]؟

ج : الوقف التام عند قوله تعالى : ﴿ وعلى سمعهم ﴾ فيكون السياق ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ وتكون الجملة قد تمت ، قوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ جملة تامة أيضًا .

- فيكون الختم على القلوب وعلى الأسماع ، وتكون الغشاوة على الأبصار ، دلَّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله اللَّه على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

- فدلت الآية الكريمة على أن الختم يكون على السمع والقلب ، والغشاوة تكون على البصر .

وقد قال تعالى : ﴿ فإن يشأ اللَّه يختم على قلبك ﴾ [الشورى : ٢٤] فالختم هنا على القلب كذلك ، واللَّه تعالى أعلم .

***

س : البصر يكون عليه غشاوة كما ذكر اللَّه عز وجل في قوله :

﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ [البقرة :٧] **فهل يُطبع عليه أيضًا ؟**

ج : نعم يُطبع عليه ، ودليل ذلك قوله عز وجل : ﴿ أولئك الذين طبع اللّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ [النحل : ١٠٨] .

❋ ❋ ❋

س : من العلماء من قرأ ﴿ غشاوةً ﴾ بالنصب فعلى أي أساس نصبت ؟

ج : نصبت على معنى (وجعل) أي : ختم اللّه على قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوةً ، فيكون من الباب الذي مثل له بعض العلماء حيث أنشدوا .

علفتها تِبنًا وماءً باردًا   أي : علفتها تبنا وسقيتها ماءًا

● وكقول الشاعر :

يا ليت زوجك قد غدا   متقلدًا سيفًا ورمحًا

أي : متقلدًا سيفًا وحاملًا رمحًا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور العذاب ، ومما اشتق لفظ (العذاب) ؟

ج : من صور العذاب الضرب بالسياط والحرق بالنار والقطع بالحديد إلى غير ذلك مما يؤلم الإنسان ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ [النور : ٢] والعذاب مشتق من الحبس والمنع .

قال القرطبي رحمه اللّه : يُقال في اللغة :(أعذبه عن كذا) أي : أحبسه وأمنعه ، ومنه سمي عذوبة الماء ، لأنها قد أعذبت ، واستعذب بالحبس في الوعاء ليصفو ويفارقه ما خالطه وأورد أثرين عن علي رضي اللّه عنه: أعذبوا

نساءكم عن الخروج أي : احبسوهن .

والآخر قاله وقد شيَّع سرية فقال : أعذِبوا عن ذكر النساء فإن ذلك يكسركم عن الغزو .

* * *

س : ما هو المراد بالختم على السمع والقلوب ؟

ج : قال القرطبي رحمه اللّٰه : الختم مصدر ختمت الشيء ختمًا فهو مختوم ومختَّم شدِّد للمبالغة ، ومعناه : التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل إلى ما فيه ولا يوضع فيه غير ما فيه ، ثم قال : والختم يكون محسوسًا كما بينا ، ومعنىً كما في هذه الآية ، فالختم على القلوب : عدم الوعي عن اللّٰه سبحانه وتعالى مفهوم مخاطباته والفكر في آياته ، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تُلي عليهم أو دُعوا إلى وحدانيته ، وعلى الأبصار : عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته ، وإضافة إلى المعنى المتقدم نورد هنا قول الطبري رحمه اللّٰه .

قال الطبري رحمه اللّٰه في تفسيره :

وقال بعضهم : إنما معنى قوله : ﴿ ختم اللّٰه على قُلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] إخبار من اللّٰه جل ثناؤه عن تكبرهم ، وإعراضهم عن الاستماع لِمَا دُعُوا إليه من الحق ، كما يقال : إنَّ فلانًا لأصَمُّ عن هذا الكلام ، إذا امتنع من سَمَاعه ، ورفع نفسه عن تفهُّمه تكبرًا .

قال أبو جعفر : والحق في ذلك عندي ما صَحَّ بنظيره الخبرُ عن رسول اللّٰه ﷺ ، وهو ما : حدثنا به محمد بن بشار قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا ابن عَجْلان ، عن القَعْقَاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المؤمنَ إذا أذنب ذنبًا كانت نُكْتةٌ سوداءُ في قلبه،

فإن تاب ونَزَع واستغفر ، صَقَلت قلبه ، فإن زاد زادت حتى تُغْلق قلبه ، فذلك « الرَّانُ » الذي قال جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] » .

فأخبر ﷺ أنَّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الخَتْم من قبل اللَّه عز وجلَّ والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مَسْلك ، ولا للكفر منها مَخْلَص ، فذلك هو الطَّبع . والختم الذي ذكره اللَّه تبارك وتعالى في قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ، نظيرُ الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف ، التي لا يوصَل إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثمَّ حلها . فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وَصَف اللَّه أنه ختم على قلوبهم ، إلا بعد فضِّه خَاتمَه وحلِّه رباطَه عنها .

ويقال لقائلي القول الثاني ، الزاعمين أنَّ معنى قوله جل ثناؤه ﴿ ختم اللَّه على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ ، هو وَصْفُهم بالاستكبار والإعراض عن الذي دُعوا إليه من الإقرار بالحق تكبُّرًا : أخبرونا عن استكبار الذين وَصَفهم اللَّه جل ثناؤه بهذه الصفة ، وإعراضِهم عن الإقرار بما دُعوا إليه من الإيمان وسائر المعاني اللواحق به – أفعلٌ منهم ، أم فعلٌ من اللَّه تعالى ذكرهُ بهم ؟ .

فإن زعموا أنَّ ذلك فعلٌ منهم – وذلك قولهم – قيل لهم : فإنَّ اللَّه تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذي خَتم على قلوبهم وسمْعهم . وكيف يجوز أن يكون إعراضُ الكافرِ عن الإيمان ، وتكبُّره عن الإقرار به – وهو فعله عندكم – خَتمًا من اللَّه على قلبه وسمعه ، وختمهُ على قَلبه وسَمْعه ، فعلُ اللَّه عز وجل دُون الكافر ؟

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك – لأن تكبُّره وإعراضه كانا من ختم اللَّه على قلبه وسمعه ، فلما كان الختمُ سببًا لذلك ، جاز أن يسمى مُسَبِّبه به – تركوا قولَهم ، وأوجبوا أنَّ الختمَ من اللَّه على قلوب الكفار وأسماعهم ،

معنىً غيرُ كفْرِ الكافِرِ ، وغيرُ تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به . وذلك الدخولُ فيما أنكروه .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى ﴿ ختم اللّه على قلوبهم ﴾ [البقرة : ٧] ردٌّ على القدرية وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا الرد أن اللّه سبحانه وتعالى بيَّن في هذه الآية الكريمة أنه هو سبحانه هو الذي ختم على قلوب الذين كفروا ، والقدرية يزعمون خلاف ذلك فيزعمون أن العبد يختار لنفسه ما يشاء ولا تدخل للرب سبحانه وتعالى في أفعالهم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُفرد السمع وجُمع البصر وقدِّم السمع على البصر ؟

ج : يذكر بعض أهل العلم أن ذلك لفضل السمع على البصر ، قالوا : فالرجل يسمع من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن فوقه ومن تحته وفي النور وفي الظلمة أما البصر فليس كذلك ، فلهذا أفرد وقدم عليه السمع في هذه الآية ، وفي قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أخذ اللّه سمعكم وأبصاركم ﴾ [الأنعام : ٤٦] وفي قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ [السجدة : ٩] واللّه أعلم[١].

❋ ❋ ❋

---

(١) وعندي وجه ذكره لي بعض الأطباء ، ألا وهو أن كل الحبال التي توصل إلى الأعضاء المزدوجه على خطين فالبصر يأتيه خطان ، أما السمع فهو خط واحد إذا قطع فقد الشخص السمع بأذنيه معًا فلا يوجد رجل أصم بأذن ويسمع بأخرى (إلا إذا كان ذلك خارجيًّا) أما العمى فليس كذلك ، واللّه أعلم .

س : ما هو سبب الختم على قلوب الكافرين ؟

ج : من أسباب ذلك : الكفر والمعاصي واستحباب الدنيا على الآخرة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ بل طبع اللَّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا ﴾ [النساء : ١٥٥] وقال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن اللَّه لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ [النحل : ١٠٧ ، ١٠٨] .

● وروى الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى في مسنده عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين » الذي ذكر اللَّه عز وجل في القرآن ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين : ١٤] »[(١)] .

وأخرج الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالى من حديث حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنهما قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء ، وأي قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضَاء حتى يصيرَ على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السمواتُ والأرض ، والآخر أسودُ مربَادًا كالكوز مُجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه »[(٢)] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٧) وبتحقيق أحمد شاكر رحمه اللَّه رقم (٧٩٣٩) والطبري في تفسيره (٣٠٤) وغيرهم وإسناده حسن .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٤٤) .

والصفا : هو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء ، قال القاضي عياض : ليس تشبيهه بالصفا بيانًا لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل ، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء .

س : اذكر بعض الأوصاف التي وصف اللَّه عز وجل بها قلوب الكافرين ؟

ج : قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى (١/١٨٦) :

وقال أهل المعاني : وصف اللَّه تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف : بالختم والطبع والضيق والمرض والرَّيْن والموت والقساوة والانصراف والحَمِيَّة والإنكار . فقال في الإنكار : ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٢] . وقال في الحَمِيَّة : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَةَ ﴾ [الفتح : ٢٦] . وقال في الانصراف : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة :١٢٧] . وقال في القساوة : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] . وقال : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ [البقرة : ٧٤] . وقال في الموت : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . وقال : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْموتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٣٦] . وقال في الرَّيْن : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] . وقال في المرض : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة : ١٠] . وقال في الضيق : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . وقال في الطبع : ﴿ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣] . وقال : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] . وقال في الختم : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة : ٧] . وسيأتي بيانها كلها في مواضعها إن شاء اللَّه تعالى .

❋ ❋ ❋

وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

السفهاء – شياطينهم – يمدهم – طغيانهم – يعمهون – فما ربحت تجارتهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
السفهاء	ضعاف العقول
شياطينهم	رؤساؤهم في الكفر

الكلمة	معناها
يمدهم	يطيل لهم المدة ويمهلهم ويُملي لهم – يطيل أعمارهم وينعم عليهم حتى يزدادوا طغيانًا فيزيدهم عذابًا
طغيانهم	كفرهم وضلالهم
يعمهون	يعمون – يتحيرون في الكفر – يترددون – وقال البعض : إن العمى في العين والعمه في القلوب
فما ربحت تجارتهم	فما ربحوا في تجارتهم

❋ ❋ ❋

س : مم اشتقت كلمة الناس ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال أشهرها قولان :

الأول : أنها مشتقة من النَّوس وهو الحركة ، ومنه قول أم زرع تصف أبا زرع : (أناس من حلي أُذني) .

والثاني : أنها مشتقة من النسيان ، قال اللَّه تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] وقال رسول اللَّه ﷺ : « فنسي آدم فنسيت ذريته » .

ومنه قول الشاعر :

لا تنسين تلك العهود فإنما ... سُميت إنسانًا لأنك ناسي

ومنه أيضًا :

فإن نسيت عهودًا منك سالفة ... فاغفر فأول ناسٍ أول الناس

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : ٨] من هم هؤلاء الناس وأين كانوا يتواجدون على عهد رسول اللَّه ﷺ ؟

ج : هؤلاء هم المنافقون ، وكانوا يتواجدون في مدينة رسول اللَّه ﷺ والعتاة منهم كانوا بالبوادي .

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠] وقال تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ [التوبة : ١٠١] .

● وقال تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل اللَّه على رسوله ﴾ [التوبة : ٩٧] .

س : ما هو أصل الخدع في اللغة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن أصل الخدع الفساد ، ومنه قول الشاعر :

أبيض اللون لذيذ طعمه   طيب الريق إذا الريق خَدَعَ

فيخادعون الله – على هذا التأويل – يفسدون إيمانهم وأعمالهم فيما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى بالرياء ، لكن هذا الوجه ضعيف عندي .

● وقيل : أصله الإخفاء ، ومنه مخدع البيت الذي يحرز فيه الشيء ومنه قول النبي ﷺ : « صلاة المرأة في مخدعها خير من صلاتها في بيتها »[(1)] ومنه قول العرب : انخدع الضب في جحره .

فمعنى ﴿ يخادعون الله ﴾ : يظنون أنهم يُخفون حالهم عن الله سبحانه وتعالى ، والله عز وجل أعلم .

* * *

س : كيف يخادع المنافقون ربهم عز وجل ؟ وكيف يخادعون المؤمنين ؟

ج : هم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم كما قال تعالى : ﴿ وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [البقرة : ٩] ولكنهم لقلة علمهم بالله عز وجل يظنون أنهم يخدعونه فيظنون أنهم بإظهارهم ما أظهروا من الإيمان وحلفهم على كونهم مؤمنين – مع إسرارهم الكفر – أنهم يخادعون الله عز وجل بذلك وأن ذاك نافعهم عنده ، وأنه يروَّج عليه كما يروَّج على بعض المؤمنين ، ولا يدري هؤلاء الأغبياء البلهاء أن الله عز وجل يستوي عنده السر والعلن[(2)] ، وهو سبحانه مطلع

---

(١) أخرج أبو داود (حديث ٥٧٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (٩٥/٣) ، والبيهقي (١٣١/٣) وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حُجرتها ، وصلاتها في مُخدعها أفضل من صلاتها في بيتها » .

والمعنى الإجمالي لهذا الحديث له أحاديث تشهد له . والله أعلم .

(٢) أخرج البخاري (٤٨١٧) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٥) من حديث عبد الله بن

على ما في القلوب وسيجازيهم على ما فيها .

وخداعهم للمؤمنين إظهار الإيمان والشهادتين بألسنتهم وإظهار المحبة لأهل الإيمان واستبطان الكفر والعداوة .

وخداع اللّه والمؤمنين إياهم مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك ، وادخار العذاب الأليم والمآل الوخيم وسوء المغبة لهم ، وخزيهم في الدنيا لافتضاحهم بإخباره تعالى بالوحي عن حالهم ، واللّه تعالى أعلم .

***

س : ما هو نوع المرض الموجود في قلوب المنافقين ؟

ج : قيل : هو (**الشك**) وقال آخرون : هو (**الرياء**) وقيل : هو (**الغل والحقد والحسد**)[1] والأول رأي الأكثرين ، واللّه تعالى أعلم .

***

س : لأهل العلم قولان في تأويل قوله عز وجل : ﴿ فزادهم اللّه مرضًا ﴾ [البقرة : ١٠] فما هما ؟

ج : التأويل الأول : هو أن المراد الدعاء عليهم بزيادة المرض . التأويل الثاني : أنه إخبار من اللّه سبحانه وتعالى عن زيادة مرضهم كما قال عز وجل : ﴿ فزادتهم رجسًا إلى رجسهم ﴾ [التوبة : ١٢٥] والله أعلم .

= مسعود رضي الله عنه قال : اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم - فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل اللّه عز وجل ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ الآية [فصلت : ٢٢] .

(١) الغل والحقد والحسد لارتفاع راية المؤمنين وإعلاء كلمة الدين .

س : هل كان النبي ﷺ يعلم أعيان المنافقين ؟

ج : كان النبي ﷺ يعرف بعضهم ولا يعرف الآخرين .

أما الدليل على أنه كان يعرف بعضهم هو ما ورد في قصة صلاته ﷺ على عبد الله بن أُبي بن سلول(1) ، وكذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بن اليمان بأسماء كثير منهم - ، ولذلك أطلق على حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . من ذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بأسماء الأربعة عشر منافقًا في غزوة تبوك الذين هموا بقتل رسول الله ﷺ في ظلماء الليل عند عقبة هناك(2) أما الدليل على أنه ﷺ كان لا يعلم بعضهم فهو قوله تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ [التوبة : ١٠١] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لما تُوفي عبدُ الله بن أُبَيٍّ جاء ابنهُ عبدُ الله بن عبد الله إلى رسولِ الله ﷺ فأعطاه قميصه ، وأمَرهُ أن يكفّنَه فيه ، ثمَّ قامَ يُصلِّي عليه ، فأخذ عمرُ بن الخطاب بثوبِه فقال : تُصلِّي عليه وهو منافق ، وقد نَهاكَ اللّهُ أن تَستغفِرَ لهم ؟ ! قال : « إنما خيَّرني اللّه - أو أخبرني اللّه - فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تَستغفِر لهم ، إن تَستغفِر لهم سبعين مرَّةً فلن يَغفِر اللّه لهم ﴾ فقال : سأزيدُه على سبعين » . قال : فصلى عليه رسولُ اللّه ﷺ وصلَّينا معه ، ثم أنزلَ اللّهُ عليه ﴿ ولا تُصلِّ على أحد منهم مات أبدًا ، ولا تَقُمْ على قبرهِ ، إنهم كفروا باللّه ورسوله وماتوا وهم فاسِقون ﴾ » [التوبة :٨٤] .

(٢) أخرج مسلم (ص ٢١٤٤) من حديث أبي الطفيل قال: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاس . فَقَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ ! كَمْ كان أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ . قَل : كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ . وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحيَاة الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ . وَعَذَرَ ثَلاثَةً . قَالُوا : مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ . وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَىٰ فَقَالَ : إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ . فَلا يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ . فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ .

س : لماذا كف النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان كثيرٍ منهم ؟

ج : أجاب العلماء على ذلك بعدة أجوبة منها :

● أن الأحكام على الناس إنما تجري على الظاهر الذي ظهر منهم ، وأما ما وراء ذلك فعلمه عند الله تبارك وتعالى . وقد قال النبي ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله »[1].

● وقال النبي ﷺ : « إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس »[2].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥) ، ومسلم (حديث ٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٥١) ، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث عليٌّ بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ ، من اليمن ، بذهبةٍ في أديمٍ مقروظٍ[1] . لم تحصل من تُرابها[2] . قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصنٍ ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل[3] . فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤُلاء . قال : فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ألا تأْمنوني ؟ وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً » قال : فقام رجل غائرُ العينين . مشرف الوجنتين . ناشز الجبهة[4] . كثُّ اللحيةِ . محلوقُ الرأس . مشمر الإزار . فقال : يا رسول الله ! =

---

(١) (في أديم مقروظ) أي : في جلد مدبوغ بالقرظ . والقرظ حب معروف يخرج في غُلُف كالعدس من شجر العضاه .

(٢) (لم تحصل من ترابها) أي : لم تميز ولم تصفَّ من تراب معدنها .

(٣) (وإما عامر بن الطفيل) قال العلماء : ذكر عامر ، هنا ، غلط ظاهر . لأنه توفي قبل هذا بسنين . والصواب الجزم بأنه علقمة بن علاثة . كما هو مجزوم به في باقي الروايات .

(٤) (ناشز الجبهة) أي : مرتفعها .

● أن النبي ﷺ تركهم تأليفًا للقلوب حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه فيكون تحدثهم بذلك سببًا لتخلف كثيرٍ منهم عن الإسلام[1].

● أن النبي ﷺ فعل ذلك ليبين لأمته أن القاضي لا يقضي بعلمه، قال القرطبي رحمه الله تعالى: وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه، وإن اختلفوا في سائر الأحكام، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

= اتَّق الله. فقال: « ويلك! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله » قال: ثمَّ ولى الرجلُ. فقال خالدُ بن الوليد: يا رسول الله! أَلا أضرب عنقه؟ فقال: « لا. لعله أن يكون يصلي ». قال خالدٌ: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: « إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس[1]. ولا أشق بطونهم » قال: ثم نظر إليه وهو مقف[2] فقال: « إنه يخرج من ضئضىء هذا قومٌ يتلون كتاب الله. رطبًا لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ». قال: أظنه قال: « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود ».

(١) وأخرج البخاري حديث (٣٥١٨) من حديث جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثُروا، وكان من المهاجرين رجل لعابٌ فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاريُّ غضبًا شديدًا حتى تداعوا، وقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين. فخرج النبيُّ ﷺ فقال: « ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ » ثم قال: ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري. قال: فقال النبي ﷺ: « دعوها فإنها خبيثة ». وقال عبد الله بن أبي بن سلول: أقد تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ. فقال عمر: أَلا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث؟ لعبد الله. فقال النبيُّ ﷺ: لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه ».

(١) (لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس) أي: أفتش وأكشف. ومعناه: إني أمرت بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

(٢) (وهو مقف) أي: مولٍّ، قد أعطانا قفاه.

س : في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾[البقرة : ٨] رد على المرجئة وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه : أولًا أن معتقد هؤلاء هو أن الإيمان مجرد قول باللسان وإن لم يعتقد القلب ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [المائدة : ٨٥] ولم يقل بما عملوا وبقوله عليه الصلاة والسلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إلـٰه إلا الله ... » الحديث ، هذه حججهم .

ولكن في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ رد عليهم فها هم قوم قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر ، ونفى الله عز وجل عنهم الإيمان ، فقال سبحانه : ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ وكم من آية يذكر اللَّهُ سبحانه وتعالى فيها الذين آمنوا ويقيدها بالعمل الصالح فيقول : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [الكهف: ١٠٧] وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] ، وقال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع »(١).

وقال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .. ﴾ [البقرة : ٢٧٥] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب ، والله أعلم .

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه ، ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعًا ، وقال مسلم في آخره : قال ابن أبي عُمر : قال سفيان : يعني : قاطع رحم .

س : المنافق نفاق الاعتقاد ماذا يسمى بعد زمان رسول الله ﷺ ؟

ج : يسمى – عند بعض العلماء – : زنديق .

❋ ❋ ❋

س : من هو رئيس المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ؟

ج : رئيسهم : هو عبد الله بن أُبي بن سلول ، وهو الذي تولى كبر حديث الإفك[1].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى النفاق ، ومن هو المنافق ؟

ج : النفاق : هو إظهار الخير وإسرار الشر ، فالمنافق هو الذي يظهر الخير ويُسر الشر ، ويظهر الإيمان ويبطن الكفر ، وهو أيضًا الذي يخالف قوله فعله وسرُّه علانيته ، ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه .

❋ ❋ ❋

س : أين نزلت صفات المنافقين ؟ ولماذا ؟

ج : نزلت صفات المنافقين : في السور المدنية ، وذلك لأن مكة لم يكن بها نفاق ، بل كان الأمر في مكة على خلاف النفاق ، فكان كثير من أهل الإسلام بمكة يخفون إسلامهم ويسرون بإيمانهم خوف القتل من المشركين ، أما المدينة فلما كثر فيها المسلمون وقويت شوكتهم بدأ أهل الكفر يُظهرون

---

(١) حديث الإفك أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) ، وأحمد (١٩٤/٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧) ، وغيرهم ، وسيأتي الكلام عليه في محله ، إن شاء الله ، والشاهد منه هنا هو قول عائشة رضي الله عنها وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبي بن سلول .

الإسلام ويبطنون الكفر خوف السيف وكثر المنافقون بالمدينة ومن حولها من الأعراب ، كما قال الله تعالى : ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ... ﴾ [التوبة : ١٠١] أما المهاجرون من مكة فلم يُعلم فيهم أهل نفاق ، لأن المهاجر كان يهاجر فيترك أهله وماله وولده ابتغاء ما عند الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

* * *

س : إلى كم قسم ينقسم النفاق ؟

ج : ينقسم النفاق إلى نفاق اعتقاد ونفاق عمل .

● **أما نفاق الاعتقاد** فهو الذي يُخلِّد صاحبه في النار وهو أن يُبطن صاحبه الكفر ويُظهر الإسلام ، وأهله قال الله فيهم : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] .

● ٢ – **نفاق العمل** : وهو من الكبائر ، ومنه قول النبي ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »[١].

وقال فيه أيضًا عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[٢].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣) ، ومسلم (حديث ٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ٣٤) ، ومسلم (حديث ٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هو الإفساد المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ [البقرة : ١١] ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بالإفساد هنا الإفساد بالكفر وموالاة الكافرين ، وصد الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وعن الإيمان بالقرآن(١). ويعمدون إلى إلقاء الشُّبه والوشايات بين العباد . وقال فريق آخر من العلماء : إن الإفساد أعم مما ذكر فيدخل فيه ما ذُكر ويدخل فيه أيضًا العمل بالمعاصي والنميمة وإيقاع الشر وكل ما سماه الله أو سماه رسوله ﷺ فسادًا . والله تعالى أعلم .

***

س : كيف يُذم أهل النفاق وهم لا يشعرون أنهم مفسدين ؟

ج : أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها :

● أنهم (أي : أهل النفاق) كانوا يعملون الفساد سرًّا ويظهرون الصلاح ، وهم لا يشعرون أن الله سبحانه وتعالى يُطلع نبيه ﷺ على أفعالهم .

● والوجه الآخر أن يكون فسادهم في نظرهم إصلاحًا ، وهم لا يشعرون أن ذلك فساد(٢)، وقد عصوا الله ورسوله في تركهم إظهار

---

(١) ويؤيد هذا القول قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ [الأنفال : ٧٣] فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين . وقال تعالى أيضًا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا * إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ [النساء : ١٤٤ ، ١٤٥] .

(٢) ويكون هذا تزيين من الشيطان عياذًا بالله ، كما قال الله سبحانه : ﴿ أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسنًا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [فاطر : ٨] =

الحق وتبيينه واتباعه . والله أعلم .

***

س : بمَ يتعلل أهل النفاق لدفع وصف الإفساد عن أنفسهم ؟

ج : يتعللون بقولهم : ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾ أي : إننا بممالأتنا للكفار وصداقتنا معهم نريد بذلك الإصلاح بينهم وبين المؤمنين ، والله أعلم .

***

س : أهل الإجرام يفسدون في الأرض ويرتكبون الكبائر ويزعمون أنهم أهل صلاح ويصفون أهل الإيمان بالرذالة والفساد ، هل من أدلة على ذلك ؟

ج : نعم الأدلة على ذلك كثير .

● قال الله سبحانه وتعالى في شأن أهل النفاق : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ [البقرة : ١١ ، ١٢].

● وقالوا أيضًا : ﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ [البقرة : ١٣] .

● وقال فرعون لقومه : ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ [غافر : ٢٩] .

● وقال فرعون عن نبي الله موسى ﷺ : ﴿ إني أخاف أن يُبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ [غافر : ٢٦] .

● وقال قوم شعيب لشعيب عليه الصلاة والسلام : ﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت

= وكما قال سبحانه : ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ [النمل : ٢٤] ، وكما قال عز وجل : ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ﴾ [الكهف : ١٠٤] .

الحليم الرشيد ﴾[1] [هود :٨٧] .

وقال قوم نوح لنوحٍ عليه السلام : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] .

❋ ❋ ❋

س : من هو السفيه ؟ وعلى من يطلق السفه ؟

ج : السفيه : هو الجاهل ضعيف الرأي قليل المعرفة بما ينفعه ويضره . والسَّفه يطلق على الكفار كما قال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

● ويطلق على المنافقين كما قال تعالى : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٣] .

● ويطلق على الجاهل كقوله تعالى : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علمٍ .. ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

● ويطلق على من لا يحسن التصرف ، ومنهم النساء والصبيان كما قال عدد من المفسرين في قوله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا ... ﴾ [النساء : ٥] : إن السفهاء هنا هم النساء والصبيان ، والله أعلم .

أما أصل السَّفه فهو الخفة والرِّقة ، ومنه قول القائل : ثوبٌ سفيه إذا كان رديء النسج خفيفه ، أو كان باليًا رقيقًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحامل لأهل النفاق على قولهم : آمنًا عند لقاء المؤمنين ؟

ج : الحامل لهم على ذلك هو خوفهم السيف وطلبهم المصلحة في الدنيا ، وهذا يؤيد أن النفاق إنما يكون في الغالب إذا كان للمسلمين شوكة والله تعالى أعلم .

---

(١) يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ، ومرادهم : السفيه الضال .

س : ما المراد بالشياطين في قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم .. ﴾ [البقرة : ١٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالشياطين هنا رؤساء الكفر ، وقال آخرون : إنما هم الكهان ، وقال فريق ثالث : إنهم شياطين الجن ، وأقوى الأقوال لديَّ هو القول الأول أنهم رؤساء الكفر ومن على شاكلتهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل من الإنس شياطين ؟

ج : نعم من الإنس شياطين ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

● وقال تعالى في شأن المنافقين : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم[1] قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ [البقرة : ١٤] .

❋ ❋ ❋

س: قول المنافقين لشياطينهم: ﴿إنا معكم﴾ [البقرة: ١٤] معكم في ماذا؟

ج : معهم في الاعتقاد والموالاة والنصرة والمعاونة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الجزاء إنما يكون من جنس العمل دلِّل على ذلك بجملة أدلة ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى في شأن المنافقين لما استهزءوا بأهل الإيمان وقالوا لرؤساء

---

(١) والراجح لدينا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ هم رؤساء الكفر ، على ما قد بيناه ، والله أعلم .

الكفر : ﴿ إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ [البقرة : ١٤] ، قال سبحانه : ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [البقرة : ١٥] .

● ولما سخروا من المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ﴾ [التوبة: ٧٩] قال سبحانه : ﴿ سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [التوبة : ٧٩] .

● وقال تعالى : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

● وقال تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢].

● وقال تعالى : ﴿ .. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٥ ، ١٢٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] .

● وقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .. ﴾ الآية [البقرة : ١٩٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة: ٤٥].

وكذلك في مجال الخير :

قال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وقال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم﴾ [محمد: ١٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة »(١).

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢) ، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كُربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[1].

وقال عليه الصلاة والسلام : « ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته »[2].

* * *

س : ما هو أصل الطغيان ؟

ج : أصل الطغيان مجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] أي : ارتفع وعلا وتجاوز .

ومنه قوله سبحانه في شأن فرعون : ﴿ إنه طغا ﴾ [النازعات : ١٧] أي : تجاوز الحد في الظلم والكفر حين قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] وحين (ذبح الأبناء) .

* * *

س : اذكر بعض صور استهزاء الله عز وجل بالمنافقين يوم القيامة وخداعه لهم ؟

ج : منها إجمالًا قول الله عز وجل : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني

---

(١) إسناده ضعيف لكن معناه صحيح فلمعناه جملة شواهد ، وأما كون إسناده ضعيفًا فقد أخرجه أبو داود (حديث ٤٩٤١) ، والترمذي (حديث ١٩٢٤) وغيرهم من طريق أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا ، وأبو قابوس ضعيف ، لكن للمعنى شواهد كما قدمنا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ [الحديد : ١٣ ، ١٤] .

● ومنها ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري[٣] رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تضارُونَ في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا ؟ » قلنا : لا ، قال : « فإنكم لا تضارون في رؤية رَبِّكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما » ، ثم قال : « ينادي مناد لِيَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحاب الصَّليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كلِّ آلهة مع آلهتهم . حتى يبقى من كان يعبدُ الله من بر أو فاجر وغُبَراتٌ من أهل الكتاب ثمَّ يُؤتى بجَهَنَّم تعرضُ كأنها سرابٌ ، فيقال لليهود : ما كنتم تعبُدُون ؟ قالوا : كنَّا نعبُد عزَيرًا ابن الله ، فيقال : كذَبتم لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدونَ ؟ ، قالوا : نريد أن تسقِينَا فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيحَ ابن الله ، فيقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ ، فما تريدون ؟ فيقولون : نريدُ أن تسقينا ، فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ ؟ فيقولون : فارقناهم ونحن أحوَجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا مناديًا ينادي : ليلحق كلُّ قوم بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا . قال : فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورته التي رأوْه فيها أوَّلَ مرة ، فيقولُ : أنا ربكم فيقولون : أنت ربُّنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول : هل بينكم وبينَهُ آية تعرفونَه ؟ فيقولون : السَّاق . فيكشف عن ساقه ، فيسجدُ له كل مؤمن ، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجدَ فيعود ظهرهُ طَبَقًا واحِدًا » .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ [البقرة: ١٦]

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (حديث ١٨٣) .

وكيف اشتروها ؟

ج : المعنى – والله أعلم – محتمل لوجوه منها :

١ – أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

٢ – اشتروا الكفر بالإيمان كما قال تعالى : ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئًا ﴾ [آل عمران : ١٧٧] .

٣ – استحبوا الضلالة على الهدى كما قال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت : ١٧] .

● أمَّا كيف اشتروها فلذلك وجوه منها :

● أنهم فضلوا موالاة الكافرين ومجالستهم واتباع أقوالهم على موالاة رسول الله ﷺ ومجالسة أهل الإيمان واتباع القرآن ، هذا وجه .

ووجه آخر : أنهمَ بعد أن حصل لهم الإيمان بالله عز وجل ارتدوا على أدبارهم ورغبوا في الكفر كما قال تعالى : ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم ﴾ [محمد : ٢٥] . والله أعلم .

* * *

س :ما معنى قوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ؟ [البقرة : ١٦] .

ج : المعنى – والله أعلم – فما ربحوا في تجارتهم .

وهنا نورد بحثًا سريعًا للطبري رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله : فإن قال قائل : فما وجه قوله : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ؟ وهل التجارة مما تربح أو توكس ، فيقال : ربحت أو وضعت ؟

قيل : إن وجه ذلك على غير ما ظننت . وإنما معنى ذلك : فما ربحوا في تجارتهم – لا فيما اشتروا ، ولا فيما شروا . ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عربًا فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم ، مسلك خطاب بعضهم

بعضًا ، وبيانهم المستعمل بينهم . فلما كان فصيحًا لديهم قول القائل لآخر : خاب سعيك ، ونام ليلك ، وخسر بيعك ، ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله – خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام ، فقال : « فما ربحت تجارتهم » إذ كان معقولًا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة ، كما النوم في الليل . فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك ، عن أن يقال : فما ربحوا في تجارتهم ، وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

وشر المنايا ميتٌ وَسْطَ أهله كَهُلْكِ الْفَتَاةِ أَسْلَمَ الحَيَّ حاضره

يعني بذلك : وشر المنايا منية ميت وسط أهله ، فاكتفى بفهم سامع قِيلِهِ مرادَه من ذلك ، عن إظهار ما ترك إظهاره ، وكما قال رؤبة بن العجَّاج :

حَارِثُ ! قد فَرَّجْتَ عَنِّي هَمِّي فنـامَ لَيْلِـي وتَجَلَّـى غَمِّـي

فوصف بالنوم الليل ، ومعناه أنه هو الذي نام ، وكما قال جرير بن الخَطَفِي :

وأَعْوَرَ من نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُه فَأَعْمَى ، وأما ليلُه فبَصِيـرُ

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومراده وصف النبهانيِّ بذلك .

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

استوقد – صم – بكم – صيِّب – حذر الموت – محيط بالكافرين – يكاد .

ج :

الكلمـة	معناهـا
استوقد	أوقد ، كقوله : (استجاب بمعنى أجاب)
صمٌّ	لا يسمعون
بكمٌ	الأبكم هو الأخرس ، وقيل : الأبكم هو الذي لا يتكلم ولا يفهم فإن فهم ولم يتكلم فهو الأخرس
صيِّب	مطر
حذر الموت	خوف الموت
محيط بالكافرين	مُهلكهم، وشاهده ﴿إلا أن يُحاط بكم﴾ [يوسف: ٦٦] وقيل : عالمٌ بهم وشاهده ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .
يكاد	يقترب

س : لمن ضُرب هذا المثل ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : هذا المثل مضروب للمنافقين ، فالمنافق كمستوقد النار(١).

❋ ❋ ❋

س : وضح وجه الشَّبه بين المنافق ومستوقد النار في المثل المذكور ؟

ج : وجه الشَّبه في ذلك أن المنافق لما قال في أول أمره لا إلـٰه إلا الله وعرف الحلال والحرام كمستوقد النار لما أوقدها أضاءت له ما حوله فأبصر ما ينفعه مما يضره ، فلما أن ذهب نورها عنه بقي متحيرًا لا يدري أين يذهب ولا كيف يتحرك ، فقد رأى بعض أماكن الأمن وبعض مواطن الخطر فيخشى إن سار في الطريق الذي ظن أنه آمن كان خطرًا فبقي متحيرًا مترددًا لا يدري كيف يصنع .

فكذلك المنافق لما نقض لا إلـٰه إلا الله ضلَّ الطريق عن الحلال والحرام والتبست عليه أموره وبقي متحيرًا مترددًا شاكًّا كما قال الله تعالى : ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾(٢) [التوبة : ٤٥] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٣٩٠) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [البقرة : ١٧] وأن المنافق تكلم بـ (لا إلـٰه إلا الله) فأضاءت له الدنيا فناكحَ بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت سُلبها المنافق ؛ لأنه لم يكن له أصل في قلبه ولا حقيقة في علمه .

(٢) وقد نحا بعض المفسرين منحًا آخر فقالوا : هذا مثل ضربه الله عز وجل للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه ، والله أعلم .

س : كلمة الذي في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] هل هي للمفرد (على بابها) أم هي بمعنى الذين ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

● أحدهما أنها بمعنى (الّذين) في هذا الموطن ، وحجة أصحاب هذا القول أن (الذي) تقع للواحد وللجمع ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والذي[1] جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ [الزمر : ٣٣].

وأيضًا قول الشاعر :

إن الذي حانت بفلجٍ دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد

فالمعنى إذن عند هذا الفريق من العلماء : مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارًا .

● وقال آخرون : إن الذي هنا للمفرد ووحَّد (الذي) و (استوقد) ؛ لأن المستوقد كان واحدًا من الجماعة تولى الإيقاد لهم فلما ذهب الضوء رجع عليهم جميعًا ، فقال : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا عُبر في الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ؟

ج : هذا – والله أعلم – لبيان شدة الأذى والعذاب الذي لحق بالمنافق فنقضه (لا إلـٰه إلا الله) لم يُذهب الانتفاع بها فقط بل جلب له ضررًا فوق عدم الانتفاع به فكذلك مستوقد النار ، أوقد النار (والنار تحمل إشراقًا

(١) وليس من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ [التوبة : ٦٩] فمعنى : ﴿ خضتم كالذي خاضوا ﴾ خضتم خوضًا كالذي خاضوه . والله أعلم .

وإحراقًا فهي تضيء للناس وتُحرق أيضًا وتحمل دخانًا مؤذيًا كذلك فلما ذهب اللَّه بنور هذه النار بقي منها ما يُحرق ويؤذي فازداد المنافق همًّا إلى همِّه وغمًّا إلى غمه فيا ليته كان في ظلمات فقط بل جاء في هذه الظلمات ما هو أخطر منها وهو إحراق النار التي أوقدها بيديه ودخانها المؤذي فكان كل ذلك وبالًا عليه[1] ونفس البلية يقع فيها المنافقون في الآخرة لما يقسم النور فيعطى كلٌّ نوره فيطفىء نور المنافقين وهم أحوج ما يكونون إليه فيقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم .... .

***

س : لماذا قيل في الآية الكريمة ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ [البقرة : ١٧] ، ولم يقل ذهب نورهم ؟

(١) ونحوه ذكره ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في تفسيره القيم فقال(ص ١١٦): وتأمل قوله ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية فإن النار فيها إشراق وإحراق فذهب بما فيها من الإشراق–وهو النور– وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية ، وتأمل كيف قال : ﴿ بنورهم ﴾ ولم يقل بضوئهم مع قوله : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ﴾ ؛ لأن الضوء هو زيادة في النور ، فلو قال : ذهب اللَّه بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابًا للشيء وزيادته . وأيضًا فإنه أبلغ في النفي عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم ، وأيضًا فإن اللَّه سبحانه سمَّى كتابه نورًا ، ورسوله نورًا ، ودينه نورًا ومن أسمائه النور ، والصلاة نور فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله ، واللَّه أعلم .
وقال رحمه اللَّه (ص ١٢٥) : ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل بنارهم ؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق ، وأبقى عليهم ما فيها من الأذى والإحراق ، وكذلك حال المنافقين ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها اللَّه تعالى إياها يوم القيامة نارًا مؤصدة تطلع على الأفئدة .

ج : أجاب على ذلك ابن القيم رحمه الله[1] : وقال سبحانه وتعالى ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ولم يقل : ذهب نورهم ، وفيه سرٌّ بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى ، فإن الله تعالى مع المؤمنين و ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] .

فذهاب الله بذلك النور هو انقطاع المعية التي خصَّ بها أولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين ، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم ، فليس لهم نصيب من قوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] ولا من ﴿ كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ [الشعراء : ٦٢] والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا أفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : أفرد النور ؛ لكون الحق واحد وهو صراط الله المستقيم ، وجمعت الظلمات ؛ لأن طرق الباطل متعددة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

● وقال بعض العلماء : أُفرد النور لفضله ، وجمعت الظلمات لنقصها ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون ﴾ [النحل : ٤٨] فأفرد اليمين وجمعت الشمائل ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك

---

(١) في تفسيره القيم (ص ١١٥) .

وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ... ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ اللَّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ [البقرة : ٢٥٧] . واللَّه أعلم .

***

س : اذكر بعض الحكم التي اشتمل عليها هذان المثلان المضروبان للمنافقين ؟

ج : أورد العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى قدرًا كبيرًا من هذه الحكم العظيمة فقال[1] :

وقد اشتمل هذان المثلان على حكمٍ عظيمةٍ منها : أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه ، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة ، وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبةٍ بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار .

ومنها : أن ضياء النار يحتاج دوامه إلى مادة تحمله ، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان . فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، يقوم بها ويدوم بدوامها . فإذا لم توجد مادة الإيمان طفىء كما تطفأ النار بفراغ مادتها .

ومنها : أن الظلمة نوعان ، ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور ، وظلمة حادثة بعد النور . وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه . فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة ، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار ، الذي حصل في الظلمة بعد الضوء ، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط .

---

(١) التفسير القيم ص ١٢٠ .

ومنها : أن في هذا المثل إيذانًا وتنبيهًا على حالهم في الآخرة ، وأنهم يعطون نورًا ظاهرًا ، كما كان نورهم في الدنيا ظاهرًا . ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ، وبقوا في الظلمة على الجسر ، لا يستطيعون العبور . فإنه لا يمكن أحدًا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر . فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، وإلا ذهب اللَّه تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه . فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار ، وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم النور .

ومن ههنا يعلم السر في قوله تعالى ﴿ ذهب اللَّه بنورهم ﴾ ولم يقل : أذهب اللَّه نورهم .

فإن أردت زيادة بيان وإيضاح ، فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما ، وقد سئل عن الورود ؟ فقال : « نجيء نحن يوم القيامة على تَلٍّ فوق الناس . قال : فتدعَى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد : الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك ، فيقول : من تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا . فيقول : أنا ربكم . فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم يضحك ، قال : فينطلق بهم ، فيتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم – منافق أو مؤمن – نورًا ثم يتبعونه . وعلى جسر جهنم كلاليب وحَسَك ، تأخذ من شاء اللَّه تعالى . ثم يطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون . فتنجو أول زمرة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفًا لا يحاسبون . ثم الذين يلونهم ، كأضوإ نجم في السماء ، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء – وذكر باقي الحديث » .

فتأمل قوله « فينطلق فيتبعونه ، ويعطى كل إنسان منهم نور : المنافق

والمؤمن » ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ ذهب اللَّه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ وتأمل حالهم إذ أطفئت أنوارهم ، فبقوا في الظلمة ، وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل .

وتأمل قوله ﷺ في حديث الشفاعة :« لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده » والموحد حقيق بأن يتبع الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل .

وتأمل قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ [القلم : ٤٢] وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة في هذا الموضع ، وقوله في الحديث :« فيكشف عن ساقه » وهذه الإضافة تبين المراد بالساق المذكور في الآية .

وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه وتعالى بعد هذا . وذلك يفتح لك بابًا من أسرار التوحيد ، وفهم القرآن ، ومعاملة اللَّه سبحانه وتعالى لأهل توحيده الذين عبدوه وحده ، ولم يشركوا به شيئًا ، هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع معبودها ، فانطلق بها واتبعته إلى النار . وانطلق المعبود الحق واتبعه أولياؤه وعابدوه . فسبحان اللَّه رب العالمين . قرت عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة ، وفارقوا الناس فيه أحوج ما كانوا إليهم .

ومنها : أن المثل الأول متضمن لحصوله الظلمة ، التي هي الضلال والحيرة التي ضدها الهدى . والمثل الثاني : متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن . فلا أمن ولا هدى ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

قال ابن عباس وغيره من السلف : مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله ، فاتقى ما يخاف،

فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فبقي في ظلمته خائفًا متحيرًا . كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم ، وناكحوا المؤمنين ووارثوهم ، وقاسموهم الغنائم . فذلك نورهم . فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف . قال مجاهد : إضاءة النار لهم : إقبالهم إلى المسلمين والهدى ، وذهاب نورهم : إقبالهم إلى المشركين والضلالة . وقد فسرت تلك الإضاءة وذهاب النور : بأنها في الدنيا ، وفسرت بأنها في البرزخ وفسرت بيوم القيامة . والصواب : أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة ، فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في البرزخ وفي القيامة بمثل حالهم ، جزاء وفاقًا ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [فصلت : ٤٦] فإن المعاد يعود إلى العبد فيه ما كان حاصلًا منه في الدنيا . ولهذا يسمى يوم الجزاء ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] ﴿ ويزيد اللَّه الذين اهتدوا هدى ﴾ [مريم : ٧٦] ومن كان مستوحشًا مع اللَّه بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد . ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث ، فيموت العبد على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه . ويعود عليه عمله بعينه ، فينعم ظاهرًا وباطنًا ، فيورث من الفرح والسرور واللذة والبهجة ، وقرة العين والنعيم ، وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه — ما هو من أفضل النعيم ، وأجله وأطيبه وألذه ، وهل النعيم إلا طيب النفس ، وفرح القلب وسروره وانشراحه ، واستبشاره ؟!

هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه ، وتلذ عينه من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين ، ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه ، وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه ، فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار ،

وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده متبوعها والابتهاج بها ، والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال ومتبوعه فيها في هذه الدار .

وقد جعل اللَّه سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثرًا وجزاء ولذة ونعيمًا يخصه ، لا يشبه أثر الآخر وجزاءه . لهذا تنوعت لذات أهل الجنة ، وآلام أهل النار ، وتنوع ما فيها من الطيبات والعقوبات . فليست لذة كل من ضرب في كل مرضاة اللَّه بسهم وأخذ منها بنصيب كلذة من إنما سهمه ونصيبه في نوع واحد منها ولا ألم من ضرب في كل مساخط اللَّه بنصيب كألم من ضرب بسهم واحد في مساخطه .

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يستمتع به العبد من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما يقابله من الأعمال في الدنيا ، فقد رأى قِنْوًا من حَشَف معلقًا في المسجد للصدقة . فقال : « إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة » فأخبر أن جزاءه يكون من جنس عمله ، فيجزىء على تلك الصدقة بحشف من جنسها .

وهذا الباب يفتح لك أبوابًا عظيمة من فهم المعاد ، وتفاوت الناس في أحواله ، وما يجري فيه من الأمور .

***

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ؟

ج : ذكر هذا المعنى إجمالًا ابن القيم رحمه اللَّه تعالى فقال :

شبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار ، وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله ؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم ، وصيامهم معهم ، وسماعهم القرآن ،

ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره ، قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا . ولهذا قال تعالى في حقهم : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ إليه ؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا . فهم لا يرجعون إليه . وقال تعالى في حق الكفار : ﴿ فهم لا يعقلون ﴾ ، لأنهم لم يعقِلوا الإسلام ، ولا دخلوا فيه ، ولا استناروا به ، لا بل يزالون في ظلمات الكفر صم بكم عمي .

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا ، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا ، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا ، وإلى طريق الرشاد غاديًا . لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية ، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية . ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها . وتمكنت منها أيد الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها . وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام ، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل ، فلم تصغ بعد إلى الملام . ووُعظت بمواعظ أنكَى فيها من الأسنة والسهام ، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة ، وأسر الهوى والشهوة . وما لجرح بميت إيلام .

❋ ❋ ❋

س : هل يصح أن يضرب للجماعة مثلٌ بالواحد ؟

ج : نعم يصح ذلك ، فقد قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفسٍ واحدة ﴾ [لقمان : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة :٥].

● وقال تعالى : ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت ﴾ [الأحزاب : ١٩] واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الظلمات التي بقى فيها المنافق ؟

ج : هي ظلمات الشك والكفر والارتياب والنفاق .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [البقرة : ١٨] عن ماذا ؟

ج : ﴿ صمٌّ ﴾ عن استماع الحق[1] ﴿ بكم ﴾ عن النطق بالخير والإيمان فهم لا يتكلمون به ، ﴿ عمي ﴾ لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل .

فلما كانوا غير منتفعين بسمعهم وأبصارهم وألسنتهم وأفئدتهم وصفوا بأنهم صم بكم عمي ،وهذا كما قال اللّه سبحانه : ﴿ وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات اللّه وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ ، [الأحقاف : ٢٦] وكما قال تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

* * *

س : ما فائدة وصف مستوقد النار بكونه (أصم أبكم أعمي) ؟

ج : الفائدة بيان اجتماع الظلمات التي تراكمت عليه فهو يعيش فيها فإضافةً إلى ما هو فيه من ظلمات نشأت عن ذهاب النور ومهلكة بقاء إحراق النار ، فهو أيضًا مصاب بالعمى والصمم ثم هو أبكم أيضًا .

* * *

---

(١) لأنهم لم يقبلوه ، وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه ، والصمم الانسداد ، وقد قال الشاعر :

صمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكرت به   وإن ذكرت بسوء كلهم أذن

وأخرج الطبري رحمه اللّه تعالى (أثر ٤٠١) بإسناد حسن عن قتادة قال قوله : ﴿ صم بكم عمي ﴾ صم عن الحق فلا يسمعونه ، عمي عن الحق فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به .

س : قوله تعالى : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ [البقرة : ١٨] لا يرجعون إلى ماذا وعن ماذا ؟

ج : لا يرجعون عن ضلالتهم ونفاقهم ،ولا يرجعون إلى الحق والإسلام والهدى والإيمان ، ولا يرجعون إلى التوبة والاستغفار . والله أعلم .

***

س : ما هو توجيه العلماء للفظ (أو) في قوله تعالى ﴿ أو كصيب ﴾ ؟

ج : من العلماء من يقول : إن (أو) هنا بمعنى الواو ، فالمعنى على هذا أن للمنافقين مثلين مثل الذي استوقد نارًا ، ومثل أصحاب الصيب .

● وكون « أو » تأتي بمعنى الواو صحيح كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ .

وقال الشاعر :

وقد زعمت ليلى بأنِّي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وقال جرير :

نال الخلافة أو كانت له قدرًا كما أتى موسى ربه على قدر

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن (أو) هنا للتنويع فمن المنافقين من مثله مثل الذي استوقد نارًا ، ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب . والذي شجع على هذا القول أن المنافقين أصناف ، والكفار أصناف ، وأهل الإيمان قسمين[1] :

فأهل الإيمان منهم السابقون المقربون ، ومنهم الأبرار أصحاب اليمين ، كما

(١) وهذا على وجه الإجمال لكن على وجه التفصيل فالدرجات يوم القيامة متعددة متفاوتة كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله =

ذكرهم اللَّه سبحانه في سورة الواقعة فقال سبحانه : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ [الواقعة : ١٠ ، ١١] ثم قال تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ [الواقعة : ٢٧] وفي ختام السورة قال سبحانه : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ [الواقعة : ٨٨-٩١].

● وأهل الكفر ذكر اللَّه بعض شأنهم في سورة النور فقال سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جآءه لم يجده شيئًا ووجد اللَّه عنده فوفاه حسابه واللَّه سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ [النور : ٤٠] .

فهذه الآيات في كفار جهلة وكفار يحسبون أنهم يحسنون صنعًا (على ما سنبينه إن شاء اللَّه في سورة النور) وكذلك أهل النفاق هنا منهم من مثله كمثل الذي استوقد نارًا ومنهم من مثله كأصحاب الصيب(١) ، واللَّه أعلم ..

= للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »(١) .

وقال تعالى : ﴿ هم درجات عند اللَّه ﴾ [آل عمران : ١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا ﴾ [الإسراء : ٢١] إلى غير ذلك .

وكذلك الكفار دركات متعددة في جهنم ، وكذلك أهل النفاق ، واللَّه أعلم .

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى - بعد أن ذكر بعض الآثار والأقوال -: فإذا تقرر هذا صار الناس أقسامًا ، مؤمنون خلص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة ، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها ، ومنافقون وهم قسمان : خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ، ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالًا من الذين قبلهم ، وهذا المقام =

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

= يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله ، ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ﴾ الآية [النور :٣٩ :] ، ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ﴾ [النور : ٤٠] فقسم الكفار ههنا إلى قسمين : داعية ومقلد ، كما ذكرهما في أول سورة الحج ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [الحج : ٣] وقال : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ [الحج : ٨] وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها ، وفي سورة الإنسان إلى قسمين : سابقون وهم المقربون وأصحاب يمين وهم الأبرار .

فتلخَّص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار ، وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ، وأن المنافقين أيضًا صنفان : منافق خالص ، ومنافق فيه شعبة من نفاق ، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق . إما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية كما ذهب عليه طائفة من السلف وبعض العلماء كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله .

ثم قال رحمه الله ص ٨٨ :

وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وتكون أو في قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ بمعنى الواو كقوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] أو تكون للتخيير أي : اضرب لهم مثلًا بهذا وإن شئت بهذا ، قال القرطبي : أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري أن كلًّا منهما مساو للآخر =

س : وضح هذا المثل بشيء من التفصيل ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ [البقرة : ١٩] ؟

ج : مثل المنافقين مثل أصحاب الصيب (والصيب هو المطر) الذي نزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .

فالصيب	هو مثلُ	القرآن
الظلمات	هي مَثَلُ	الآيات المشتبهة
الرعد	هو مثل	آيات الإنذار والتهديد
البرق	هو مثل	الهداية والنور والحجج الباهرة في كتاب الله عز وجل

فحظ أهل النفاق من القرآن هو الآيات المشتبهة التي يتحيرون فيها ويترددون ، كما قال تعالى : ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ [التوبة :٤٥].

• وحظهم أيضًا آيات التهديد والإنذار فهم يحسبون كل صيحة عليهم .

• وحظهم من الهداية والنور البرق الذي يخشون منه أن يخطف أبصارهم من شدة ضوئه فكذلك هناك قاصرو النظر لا ينظرون إلى ما في الصيب من نفع عام على البلاد والعباد ولكن حظهم من الصيب الظلمات والرعد والبرق فكما قدمنا أن الصيب هو القرآن ، دل على ذلك قول النبي ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ... »(١).

فالصيب به تدب الحياة إلى البلاد والعباد بإذن الله ، ويفرح به عقلاء

= في إباحة الجلوس إليه ويكون معناه على قوله سواء ضربت لهم مثلًا بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم (قلت) وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة- ومنهم- ومنهم- ومنهم- يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال ، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، والله أعلم ، كما ضرب المثلين في سورة لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ [النور :٣٩] إلى أن قال : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾الآية [النور : ٤٠] فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب ، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين ، والله أعلم بالصواب .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٩) ، ومسلم (حديث ٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

الناس ؛ لما فيه من خير وصلاح للبلاد والعباد والشجر والدواب ، وهؤلاء العقلاء الذين حمدوا اللَّه عز وجل على ما منَّ به من هذا الصيِّب هم **أهل الإيمان** الذين قبلوا هدى اللَّه الذي جاء به نبي اللَّه محمد ﷺ .

أما أهل النفاق فعقولهم ضعيفة لا تدرك ما وراء هذا الصيب من نفع ، وغاية ما تدركه من الصيب أنه يلوِّث الأرض ويجلب إليها الوحل والطين ويُعطل المسافر عن سفره.. ونحو ذلك ، هذا غاية ما تدركه أبصار أهل النفاق هؤلاء .

● **وتنزيل هذا على كتاب اللَّه عز وجل :** أن المؤمن يعلم تمام العلم ويؤمن غاية اليقين أن ما جاءه من اللَّه تبارك وتعالى على لسان نبيه ﷺ كله خير فإذا أُمر بأمرٍ سمع وأطاع للَّه عز وجل ، وإذا نهي عن أمرٍ انتهى وانكف وإذا اشتبهت عليه آية قال: ﴿ آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران: ٧] .

● فإذا أمره بالحج والعمرة مثلًا علم ماذا أعد اللَّه للحجيج من مغفرة الذنوب وأن الحج يهدم ما كان قبله كما أخبر النبي ﷺ(١) ، وأن الحجيج يرجعون من حجهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وأن المتابعة بين الحج والعمرة تنفي الذنوب كما تنفي الكير خبث الحديد ، وأن الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة ، فيقدم على الحج بلا تردد ولا توان .

أما المنافق فحظه من ذلك أن يقول : لماذا أذهب وأطوف بأحجارٍ وأرمي أحجارًا وأهرق دماءً وأفارق الزوجة والولد وأُضيع أموالي وأفارق أوطاني ، وأزاحم الناس ويزاحموني .... .

هذا هو حظ المنافق الغبي من هذا الباب .

● وإذا أتينا إلى الجهاد مثلًا ، علم المؤمن ماذا أعد اللَّه للمجاهدين من الفضل وتكفير الذنوب والخطايا ، وتذكر فضائل الجهاد ، وأدرك ما فيه من عزة لأهل الإيمان ، وردع لأهل الكفر والظلم ، كما قال تعالى ﴿ ولولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا .

ومساجدُ يذكر فيها اسم اللَّه كثيرًا ولينصرن اللَّه من ينصره إن اللَّه لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٤٠] ، فيقدم حينئذ على الجهاد وتهون عليه نفسه للَّه سبحانه وتعالى وطلبًا لمرضاته ونيل جناته .

أما المنافق فحظه قوله كيف أشرَّد وأُجرح وأخرج من بيتي فأقتل وقد تقطع يدي وتُفقأ عيني وتذهب رجلي وتُرمل زوجتي وييتم أولادي فيدع الجهاد غافلًا عما وراءه من ثواب .

● ولو أتينا إلى الصوم مثلًا ، علم المؤمن ما فيه من فضل وأيقن بالثواب الوارد فيه ، وأن صاحبه ينادى من باب الريان ، وأن الصوم يورث التقوى ، وأن اللَّه عز وجل يرضى عن الصائم ولخلوف فم الصائم عند اللَّه أطيب من ريح المسك ... .

أما المنافق فيقول : لماذا أجوِّع نفسي وأمنعها شهواتها وأحرمها من لذيذ الطعام والشراب وحسان النساء ، ولا يدرك ببصره القاصر ما في الصوم من علو الدرجات وحط الخطيئات وإقالة العثرات و ... .

● وإذا عمدنا إلى الصلاة مثلًا : علم المؤمن ما أعد اللَّه عز وجل للمصلين من أجر وعلم كيف تتساقط خطاياهم واحدة تلو الأخرى وسائر ما في الصلاة من فضل .

أما المنافق فيقول : لماذا أُصلي وأرهق نفسي بالقيام والقعود والركوع والسجود وأصبُّ الماء البارد على جسمي يؤذيني ، وأضيع وقتي ولا يدري الجاهل أن البركة من اللَّه عز وجل ، ولا يُدرك الحائر أنه ربَّ دعوة دعا بها مُصل في صلاته دفع اللَّه بها عنه البلاء ورفع اللَّه عنه بها العناء وجعله اللَّه بها من السعداء .

وهكذا سائر العبادات .

فحظ المنافق من كتاب اللَّه ظلمات تُظلم عليه وتُخيم على عقله ، حظه

من كتاب اللّٰه الآيات المتشابهات (وهي الظلمات) ، فإذا سمع قوله تعالى عن شجرة الزقوم : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ [الصافات : ٦٤] قال بجهله : هذا يدل على الكذب إذ كيف تخرج شجرة في أصل الجحيم والنار تأكل الخشب ؟ ! ! ! ، ولا يدري الجاهل أن اللّٰه على كل شيء قدير ، وأن النار إنما تحرق ما تحرقه بإذن اللّٰه ، وقد قال اللّٰه عز وجل لها ﴿ يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾ [الأنبياء : ٦٩] فكانت كذلك بردًا وسلامًا عليه ﷺ ولا يدري الجاهل أن اللّٰه عز وجل جعل هذه الشجرة فتنة للظالمين كما قال سبحانه : ﴿ إنا جعلناها فتنةً للظالمين ﴾ [الصافات : ٦٣] .

وإذا مرَّ هذا المنافق الجاهل على آية كقوله تعالى - في بيان عدد خزنة جهنم - ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ [المدثر : ٣٠] يقول هذا الجاهل المنافق الكافر : تسعة عشر ؟ ! ! ! إذن نحن قادرون على سحقهم واحتلال الجنة بالقوة ، ويخفى على هذا الجاهل أن هذا العدد جعله اللّٰه فتنة لأهل الكفر كما قال سبحانه : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنونَ وليقولَ الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللّٰه بهذا مثلًا كذلك يضل اللّٰه من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [المدثر : ٣١] .

أما المؤمن فيعلم أن ملكًا واحدًا يقدر - بإذن اللّٰه - أن يدمر الأرض ومن عليها بل ويفعل أعظم من ذلك بإذن اللّٰه .

● يعمد الكافر المنافق الجاهل إلى الآية كقوله تعالى لما أسرى بنبيه ﷺ : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس ﴾ [الإسراء : ٦٠] فيقول المنافق: كيف يُسرى برجل من مكة إلى بيت المقدس ويرجع في نفس الليلة ولا يملك دابة تحمله لهذا المكان ، وكيف يعرج به إلى السماء السابعة ويصبح بين أظهرنا

هذا وجهة هذا الكافر المنافق لا يعلم أن الله على كل شيء قدير ، يقول للأمر إذا أراده كن فيكون .

يعمد المنافق إلى آية تحويل القبلة ، فيقول : لماذا هذا التردد ، ويخفى عليه قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيزة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] هذا حظ هذا المنافق من كتاب الله عز وجل ، حظه الآيات المتشابهة التي تزيده شكًّا وحيرة وترددًا لقلة علمه بالله سبحانه ويقينه به .

● حظه من كتاب الله عز وجل هذا الرعد ، فإذا سمع آية وعيد ظن أنها ستحل به فورًا ، إذا سمع قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ [فصلت : ١٣] ظن أن هذه الصاعقة ستنزل عليه .

إذا سمع آية تتحدث عن النفاق ظن أنها تفضحه ، وأن الناس كلهم يعلمون حاله كما قال تعالى : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ [المنافقون: ٤] يظن أن الآيات الكريمات كلها تفضحه وتظهر أمره للناس وتفشي سره ، كما أنزل الله أمرهم في سورة براءة وقال فيها : (ومنهم ،... ومنهم ،.... ومنهم) .

حظه من الهداية والنور الوارد في كتاب الله هذا البرق ، فكتاب الله نور ، وآياته كلها نور يستضاء به ويُبصر به المؤمن ، أما هذا المنافق فيخشى إن نظر في هذا النور الشديد الذي هو من شدته كالبرق أن يذهب بصره ويصاب بالعمى ، ويذهب هذا النور ببصره[1] ، فهو يكره النور ويحب

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : لأن البصر كلما كان أضعف كان النور أشد إذهابًا له كما قال الشاعر :

مثل النهار يزيد أبصار الورى ... نورًا ويعمي أعين الخفاش

وقال الآخر :

خفافيش أعماها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم

وبصائر الكفار والمنافقين في غاية الضعف فشدة ضوء النهار تزيدها عمى ، وقد =

الظلمات كالخفاش ضعيف البصيرة إذ قال الشاعر فيه :

خفافيش أعماها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم ص ١١٨ فما بعدها :

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلًا آخر مائيًّا . فقال تعالى : ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾ [البقرة : ١٩] فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب مستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها . فذهب نوره ، وبقي في الظلمات حائرًا تائهًا ، لا يهتدي سبيلًا ، ولا يعرف طريقًا ، وبنصيب أصحاب الصيِّب ، وهو المطر الذي يصوب ، أي : ينزل من عُلو إلى سُفل . فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيب ؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ، ولا نصيب له فيما وراء ذلك ، مما هو المقصود بالصيب ، من حياة البلاد والعباد ، والشجر والدواب ، فإن تلك الظلمات التي فيه ، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب . فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ، ولوازم ذلك : من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره ، وصانع عن صنعته ، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام ، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل

= صرح الله تعالى بهذا العمى في قوله : ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ [الرعد: ١٩] وقوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ فاطر: ١٩].

محبوب . وهذه حال أكثر الخلق ، إلا من صفت بصيرته . فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق ، والتعرض لإتلاف المهجة والجراحات الشديدة ، وملامة اللوام ، ومعاداة من يخاف معاداته . لم يقدم عليه ؛ لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة ، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون ، وفيها تنافس المتنافسون ، وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر ، ومفارقة الأهل والوطن ، ومقاساة الشدائد ، وفراق المألوفات ، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته . فإنه لا يخرج إليه ، ولا يعزم عليه . وحال هؤلاء حال الضعيف البصيرة والإيمان ، الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد ، والزواجر والنواهي ، والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات ، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه . والناس كلهم صبيان العقول ، إلا من بلغ مبلغ الرجال العقلاء الألباء ، وأدرك الحق علمًا وعملًا ومعرفة ، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ، ويعلم أنه حياة الوجود .

وقال الزمخشري : لقائل أن يقول : شبه دين الإسلام بالصيب ؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من تشبيه الكفر بالظلمة وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الأفزاع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى : أو كمثل ذوي صيب . والمراد : كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة ، فلقوا منها ما لقوا .

قال : والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه : أن المثلين جميعًا من جهة التمثيلات المتركبة ، دون المفرقة ، لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه .

وهذا القول الفحل ، والمذهب الجزل ، بيانه : أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولًا بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك . فتشبهها بنظائره ، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئًا واحدًا بأخرى مثلها . كقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] الغرض : تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة . وتساوي الحالين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر من ذلك إلا بما يزيده من الكد والتعب ، وكقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح ﴾ [الكهف : ٤٥] المراد : قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات . فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوية بعضها ببعض ، وتصييرها شيئًا واحدًا فلا كذلك ، لما وصف من وقوع المنافقين في ضلالتهم ، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة ، فشبه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل . وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة ، مع رعد وبرق وخوف من الصواعق .

قال : فإن قلت : أي المثلين أبلغ ؟

قلت : الثاني ؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ، وفظاعته . وكذلك أفرادهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ .

وقال أيضًا ص ١٢٧ (التفسير القيم) :

قول الله تعالى ذكره : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ﴾ [البقرة: ١٩] .

الصيب : المطر الذي يصوب من السماء أي : ينزل منها بسرعة ، وهو مثل للقرآن الذي به حياة القلوب ، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان . فأدرك المؤمنون ذلك منه ، وعلموا ما يحصل لهم به من الحياة التي لا خطر لها . فلم يمنعهم منها ما فيه من الرغد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات ، التي حذر الله بها من خالف أمره . وأخبر أنه منزلها على من كذب رسول الله ﷺ ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة ، كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي خلاف أهوائها ، فهي كالظلمات والرعد والبرق . ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق . بل يستأنس بذلك ويفرح به ، لما يرجو من ورائه من الحياة والخصب .

وأما المنافق فإنه قد عمي قلبه ، ولم يجاوز بصره الظلمة ، ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر ، ورعدًا عظيمًا وظلمة ، فاستوحش من ذلك وخاف منه . فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد ، وهاله مشاهدة ذلك البرق ، وشدة لمعانه ، وعظم نوره . فهو خائف أن يختطف بصره ؛ لأن بصره أضعف من أن يثبت معه . فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف ، ويرى ذلك البرق الخاطف . فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه . وإن فقد الضوء قام متحيرًا ، لا يدري أين يذهب ، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات ، وحياته هو في نفسه ، بل لا يدرك إلا رعدًا وبرقًا وظلمة ، ولا شعور له بما وراء ذلك . فالوحشة لازمة له . والرعب والفزع لا يفارقانه ، وأما من أنس بالصيب، وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنفع، وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم ، فإنه يستأنس بذلك ، ولا يستوحش منه ،

ولا يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب .

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ، ليحيي به القلوب والوجود أجمع ، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء ، حكمة بالغة ، وأسبابًا منتظمة ، نظمها العليم الحكيم . فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط . لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون ، وارتاب مما اطمأن به العالمون ، وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون . فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش في نحر الظهيرة ، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد . وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سماع الرعد . فإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة ، جالت فيها وصالت ، وقامت بها وقعدت ، واتسع فيها مجالها ، وكثر قيلها وقالها . فملأت الأسماع من هذيانها ، والأرض من دواوينها ، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم ، والقائمين بدعوتهم ، والمحامين عن حوزتهم ، والمقاتلين تحت ألويتهم ، والمكثِّرين لسوادهم . ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم – هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك ، وكشف أستارهم غاية الكشف ، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، ولم يزل عز وجل يقول : ومنهم ، ومنهم ، ومنهم حتى انكشف أمرهم وبانت حقائقهم ، وظهرت أسرارهم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ﴾ [البقرة : ١٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم كلما تليت عليهم آيات الكتاب العزيز

جعلوا أصابعهم في أذانهم لئلا يسمعوا القرآن فيؤمنوا به وبمحمد ﷺ وذلك عندهم كفر ، والكفر موت ، وهذا كما فعل قوم نوح إذا حكى نوح عليه السلام فعلهم معه فقال : ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا ﴾ [نوح : ٧] .

ومنه أيضًا تواصيهم بعدم الاستماع لهذا القرآن ، بل وباللغو عند تلاوته كما قال سبحانه : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦] والله تعالى أعلم .

***

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ [البقرة : ٢٠] ؟

ج : أوجز الشنقيطي رحمه الله تعالى الكلام في هذا المقام فقال[1]: ضرب الله في هذه الآية المثل للمنافقين إذا كان القرآن موافقًا لهواهم ورغبتهم عملوا به ، كمناكحتهم للمسلمين وإرثهم لهم . والقسم لهم من غنائم المسلمين ، وعصمتهم به من القتل مع كفرهم في الباطن ، وإذا كان غير موافق لهواهم . كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا . وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ [النور: ٤٨ ، ٤٩] .

وقال بعض العلماء : ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ أي : إذا أنعم الله عليهم بالمال والعافية قالوا : هذا الدين حق ما أصابنا منذ تمسكنا به إلا الخير ﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ أي : وإن أصابهم فقر أو مرض أو ولدت لهم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ص ٥٢ – ٥٣) .

البنات دون الذكور . قالوا : ما أصابنا هذا إلا من شؤم هذا الدين وارتدوا عنه . وهذا الوجه يدل له قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ [الحج : ١١] .

وقال بعض العلماء : إضاءته لهم معرفتهم بعض الحق منه وإظلامه عليهم ما يعرض لهم من الشك فيه .

* * *

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ [البقرة : ٢٠] يرجع إلى من ؟

ج : فيه قولان :

فمن قال : إنه يرجع إلى أصحاب المطر فالمعنى عنده ، ولو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق .

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى ولو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، والله أعلم .

* * *
* *
*

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا
فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ
ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ
رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ
وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

س : ما معنى هذه الكلمات :

أندادًا – وأنتم تعلمون – من مِثله – شهداءكم – من دون الله – أُتوا به متشابهًا – خالدون .

ج :

الكلمـة	معناهـا
أندادًا	أمثالًا – أكفاءً – نظراء – عدلاء ، قال حسان :

الكلمة	معناها
	أتهجوه ولست له بندٍّ
	فشر كما لخير كما الفداء
وأنتم تعلمون	تعلمون أنه لا ند له
من مِثله	من مثل القرآن – وقيل من مثل محمد ﷺ
شهداءكم	أعوانكم – أنصاركم
من دون الله	الآلهة التي تُعبد غير الله سبحانه وتعالى
أُتوا به متشابهًا	جيء إليهم بالثمار متشابهة في اللون مختلفة في الطعم
خالدون	الخلود هو البقاء

***

س : وضح معاني مفردات قوله تعالى : ﴿ يا أيها ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : (يا) حرف نداء ، (أي) منادى مفرد (ها) للتنبيه .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : أن المراد عموم الناس (الكفار والمؤمنون) ، فيكون الخطاب للمؤمنين باستدامة العبادة كما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله ... ﴾ [النساء: ١٣٦] .

ويكوِن الخطاب للكافرين لابتدائها .

و (الثاني) أن المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ﴾ الكفار الذين لم يعبدوه ، والقول الأول أقوى[1]، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة القول القائل بأن كل آية أولها ﴿ يا أيها الناس ﴾ إنما نزلت على رسول الله ﷺ بمكة ، وكل آية أولها ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فإنما نزلت بالمدينة ؟

ج : أما قوله : إن كل آية فيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ إنما نزلت بمكة فغير صحيح ، فإن سورة البقرة مدنية على ما بيناه ، ومع ذلك ففيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ وكذلك سورة النساء مدنية[2] وفيها ﴿ يا أيها الناس ﴾ .

● أما قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وكونها كلها نزلت بالمدينة

---

(١) إذ لا دليل على التخصيص ، والله أعلم .

(٢) وعلى وجه الخصوص قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم .. ﴾ [النساء: ١] .

فقد صححه القرطبي رحمه الله ، ولكنه يحتاج مني إلى تحرير ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نُص في الآية الكريمة : ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾ [البقرة : ٢١] ، على صفة الخلق دون غيرها من الصفات ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إنما نصَّ على صفة الخلق هنا ؛ لأن المشركين كانوا يعترفون أن الله خالقهم كما قال الله سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩]، فإذا كانوا مقرين بأن اللَّه عز وجل خالقهم فلا جرم أن يكون تذكيرهم بصفة الخلق حجة عليهم وتقريعًا لهم . واللَّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : المراد هنا – والله أعلم – الأمر بالتوحيد والتزام شرائع الدين[١].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ خلق ﴾ وهل تطلق على البشر ؟

ج : يطلق الخلق على الإنشاء والاختراع والإبداع ، ويطلق الخلق على التقدير ، ومنه ما ذكره القرطبي حيث قال : خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته

---

(١) وقد تقدم الكلام على تفسير العبادة في سورة الفاتحة بما فيه الكفاية .

قبل القطع ، والمعنى قدرت[1] الجلد الذي يكفي لصنع السقاء قبل أن أقطعه .

● أما إطلاقه على البشر فقد قال الله عز وجل في شأن المشركين : ﴿ وتخلقون إفكًا ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

***

س : إذا ثبت عند المشركين أن الله عز وجل خلقهم فقد خلق الذين من قبلهم ، فلماذا قال تعالى : ﴿ الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : جرى الكلام على التنبيه والتذكير ليكون أبلغ في العظة فذكرهم بمن قبلهم ليعلموا أن الذي أمات من قبلهم سيميتهم أيضًا وليفكروا فيمن قبلهم كيف كانوا وعلى أي الأمور مضوا من إهلاك من هلك ، وليعلموا أنهم يبتلون كما ابتلوا ، والله أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ... ﴾ [البقرة : ٢١] تضمن دعوة الخلق إلى عبادة الله عز وجل بطريقين وضحهما ؟

ج : هذان الطريقان اللذان تضمنتهما الآية الكريمة هما :

الأول : تذكير الناس بأن الله عز وجل خلقهم وخلق الذين من قبلهم ، فالذي خلق جديرٌ بأن يُعبد .

الثاني : امتنان الله عز وجل عليهم بذكر ما لله عز وجل عليهم من الحقوق

---

(١) قدرت أي : حددت .

فهو سبحانه قد أسدى إليهم أنواعًا من النعم من جعل الأرض فراشًا والسماء بناءً وإنزال المطر وإخراج الثمرات ؛ لأن المنعم يستحق أن يُعبد ويُشكر .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - لعلكم بعبادتكم ربكم عز وجل أن تجعلوا بينكم وبين النار وقاية ، وتجعلوا أيضًا بينكم وبين غضب الله عليكم وقاية .

***

س : ما معنى جعل في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا ﴾ [البقرة : ٢٢] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - صيَّر .

وكلمة (جعل) لها معان أُخر في غير هذا الموطن منها :

● خلق ، كما في قوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ [المائدة : ١٠٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] .

● ومنها سمَّى ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءًا ﴾ [الزخرف : ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] أي : سموهم .

وبعض العلماء يقولون : إن (جعل) قد تأتي زائدة أحيانًا ، كما قال الشاعر :

وقد جعلت أرى الاثنين أربعة

والواحد اثنين لما هدني الكبر

س : اذكر حديثين في معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ [البقرة : ٢١] ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ، ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »[1].

● والحديث الثاني أخرجه أحمد بإسناد صحيح من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه[2].

إن نبي الله ﷺ قال : « إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطىء فقال له عيسى : إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن ، فقال : يا أخيْ إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسفَ بي قال : فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم سره أن يكون عبده كذلك وإن الله عز وجل خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وآمركم بالصلاة فإن الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا وآمركم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧١٥) .

(٢) أخرجه أحمد (١٣٠/٤) بسند صحيح .

بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوُّ فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرًا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوُّ سراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل » قال : فقال رسول الله ﷺ : « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم » قالوا : يا رسول الله وإن صام وإن صلى ؟ قال : « وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض استدلالات العلماء من ناحية النظر والعقل على وجود الخالق سبحانه وتعالى ؟

ج : لهم استدلالات كثيرة على ذلك ، وقد ذكر بعضها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة ، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه .

كما قال بعض الأعراب ، وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ فقال : يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات

أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟

وحكى الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات .

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى ، فقال لهم : دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها ، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها ، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد ، فقالوا : هذا شيء لا يقوله عاقل فقال : ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع ، فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع ، فقال : هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم ، وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا ، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال : ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء ، وباطنه كالذهب الإبريز ، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح ، يعني بذلك : البيضة إذا خرج منها الدجاجة .

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تأمل في نبات الأرض وانظر　　إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات　　بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز :

فيا عجبًا كيف يعصى الإلـ   ـه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

وقال آخرون : من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت ، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها ، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب ، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى : ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٧ ، ٢٨] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأراييج والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه ، عليه توكلت وإليه أنيب ، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًّا .

* * *

س : اذكر بعض براهين البعث المستنبطة من هذه الآيات الكريمة ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢]؟

ج : ذكر هذه البراهين الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء

البيان فقال[1]:

قوله تعالى : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ [البقرة : ٢١ ، ٢٢] أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت وبيَّنها مفصلة في آيات أخر .

الأول : خلق الناس أولًا المشار إليه بقوله : ﴿ اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ﴾ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني ، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ [الروم: ٢٧] الآية وقوله : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وكقوله : ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ [الإسراء: ٥١] وقوله : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ [يس : ٧٩] وقوله : ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس ﴾ [ق : ١٥] الآية . وكقوله : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ [الحج : ٥] وكقوله : ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ [الواقعة : ٦٢] الآية ..

ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول ، كما في قوله : ﴿ وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه ﴾ [يس : ٧٨] الآية . وقوله : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيًّا * أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا ﴾ [مريم : ٦٦ ، ٦٧] ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله : ﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾ [مريم: ٦٨] الآية .. إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني : خلق السموات والأرض المشار إليه بقوله : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً ﴾ ؛ لأنهما من أعظم المخلوقات ، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى . وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض

---

(١) أضواء البيان (٥٣/١) .

أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر : ٥٧] وقوله : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ [يس : ٨١] وقوله : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى ﴾ [الأحقاف : ٣٣] وقوله : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ [الإسراء: ٩٩] وقوله : ﴿ ءأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها ﴾ [النازعات : ٢٧ ، ٢٨] الآية .. إلى غير ذلك من الآيات .

البرهان الثالث : إحياء الأرض بعد موتها ؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت ، كما أشار له هنا بقوله : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم ﴾ وأوضحه في آيات كثيرة كقوله : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربتْ إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ [فصلت : ٣٩] وقوله : ﴿ وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾ [ق : ١١] يعني : خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظامًا رميمًا . وقوله : ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ [الروم : ١٩] وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ [الأعراف: ٥٧] إلى غير ذلك من الآيات .

***

س : ما معنى فراشًا ، وبناءً في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً ﴾ [البقرة : ٢٢] ؟

ج : **فراشًا** أي : ممهدة كالفِراش ، وجعلها مستقرة كما في قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض قرارًا ﴾ [غافر: ٦٤] .

وبناءً معناها : سقفًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا وهم عن آياتها معرضون ﴾ [الأنبياء: ٣٢] . والله أعلم .

س : لماذا سميت السماء سماء ؟

ج : سميت بذلك لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء[1].

❋ ❋ ❋

س : ما هو أعظم ذنب يرتكبه الناس ؟

ج : أعظم ذنب هو أن تجعل لله ندًّا ، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فأجاب ، فسأله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – كما في الصحيحين[2] – أي الذنب أعظم يا رسول الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك » قال : قلت له : إن ذلك لعظيم ، قال : قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قال : قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تزاني حليلة جارك » .

---

(١) قال الطبري رحمه الله (١/٣٦٦) :
وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخرَ فهو لما تحته سَمَاءٌ . ولذلك قيل لسقف البيت : سَمَاوةٌ ؛ لأنه فوقه مرتفعٌ عليه . ولذلك قيل : سَمَا فلان لفلان ، إذا أشرف له وقَصدَ نحوه عَاليًا عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ اليَمَانِي وَأَهْلِهِ ... ونَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهْ

وكما قال نابغة بني ذُبيان :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ ، فرأَيْتُ منها ... تُحَيْتَ الخِدْرِ وَاضِعَةَ القِرَامِ

يريد بذلك : أشرفت لي نظرةٌ وبدت . فكذلك السماء سميت للأرض : سماءً ، لعلوها وإشرافها عليها .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٧) ، ومسلم (حديث ٨٦) ، وفي بعض الطرق في الصحيحين أيضًا : فأنزل الله عز وجل تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] .

س : ما هو حق الله عز وجل على عباده ، وما هو حق العباد على الله عز وجل ؟

ج : حق الله عز وجل على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يا معاذُ أتدري ما حق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا أتدري ما حقهم عليه ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قال : « أن لا يعذبهم »[(1)] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور جعل الأنداد لله عز وجل ؟

ج : من هذه الصور : قول القائل : ما شاء الله وشاء فلان ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان »[(2)] .

● ومنها قول القائل : مطرنا بنوء كذا ونوء كذا[(3)] .

---

(1) أخرجه البخاري (حديث ٧٣٧٣) ، ومسلم (ص ٥٩) وفي بعض الطرق « أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا » .

(2) أخرجه أبو داود (٥/٢٥٩) وابن ماجه (٢١١٨) ، وأحمد (٥/٧٢ و ٣٨٤ و ٣٩٨) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(3) أخرج البخاري (مع الفتح ٢/٥٢٢) ، ومسلم (٢/٥٩)، وأبو داود (٤/٢٢٧) وغيرهم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

● ومنها الحلف بغير الله عز وجل[1] .

● ومنها ما درج عليه العامة : لولا الكلب لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لما قبضنا على اللصوص[2] .

وقول الأطفال في بعض الدول (علي يا أبو مخ خلِّي الدنيا تُرخ ، علي يا أبو مركب خلِّي الدنيا تكركب) وكأن هذا مأخوذ من إحدى فرق الضلال الذين يزعمون أن عليًّا في السحاب يسيرها ويُجريها .

● ومنها السجود لغير الله عز وجل .

● ومنها تشريع شرعة غير شرعة الله عز وجل يُحكم بها العباد ويقضى عليهم بها قال تعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم

---

(١) أخرج الترمذي (٥/١٣٥ مع تحفة الأحوذي) وأبو داود (٣٢٥٧) والنسائي (١٩/٧) وابن ماجه (٢٠٩٨) وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » . وهو حديث يصح بشواهده .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٢٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادًا ﴾ قال : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلانة وحياتي ، ويقول : لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان .

لا تجعل فيها فلان فإن هذا كله به شرك .

وفي إسناده شبيب بن بشر .

قال الدوري عن ابن معين : ثقة ، قال : ولم يرو عنه غير أبي عاصم ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، حديثه حديث الشيوخ ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطىء كثيرًا.

والأثر أخرجه الطبري (٤٨٥) من طريق شبيب عن عكرمة ولم يصل به إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] .

● ومن أعظمها دعاء غير الله ، قال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] .

● ومنها محبة غير الله وطاعته كمحبة الله وطاعته ، قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبًّا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٢] ، الخطاب فيها لمن ؟ ويعلمون ماذا ؟

ج : قيل : الخطاب فيها للمشركين ، والمراد بالعلم هنا علمًا خاصًّا وهو أنهم يعلمون أن الله عز وجل خالقهم(١) ورازقهم وهو سبحانه أنزل من السماء ماءً وأنه سبحانه يجير ولا يجار عليه وبيده ملكوت كل شيء ، فيعلمون أنه سبحانه وتعالى المنعم عليهم دون الأنداد .

وقيل : المعنى تعلمون أنه الواحد الرزاق .

وقيل : إن الخطاب هنا للمؤمنين ، والمعنى : لا ترتدوا أيها المؤمنون وتجعلوا لله أندادًا بعد علمكم أن الله واحد لا شريك له والله أعلم .

* * *

(١) قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ [الزخرف : ٨٧].

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٢٣] ؟

ج : المعنى الإجمالي – والله تعالى أعلم – : إن كنتم في شك مما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله سبحانه وتعالى ، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك ولن تستطيعوه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ .. من مثل من ؟

ج : جمهور أهل العلم على أن ﴿ من مثله ﴾ أي : من مثل القرآن ، والقول الثاني ﴿ من مثله ﴾ أي : من مثل محمد ﷺ في كونه بشرًا ، وفي كونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك تلا هذا القرآن عليكم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات التي تحدى الله عز وجل فيها الكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن فقال سبحانه : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [الطور : ٣٤] وقال سبحانه : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله قال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه

قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [هود : ١٣] .

وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله قال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وتحداهم الله فرادى وتحداهم جماعات ، وتحداهم بمكة وبالمدينة ، فلم يعارض القرآن بشيء طائل من عهد رسول الله ﷺ إلى الآن .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض وجوه الإعجاز في هذا القرآن الكريم ؟

ج : من هذه الوجوه ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال[(١)]:

ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى ، قال الله تعالى : ﴿ آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى ، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء ، وأمر بكل خير ، ونهى عن كل شر كما قال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] أي : صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام ، فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها ، كما قيل في الشعر : إن أعذبه

---

(١) (٩٢/١) .

أكذبه ، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئًا إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح ، ثم تجد له فيه بيت أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته ، وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالًا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق عن كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] وقال : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ [الزخرف : ٧١] وقال في الترهيب : ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ﴾ [الإسراء : ٦٨] ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك : ١٦ ، ١٧] وقال في الزجر : ﴿ فكلًّا أخذنا بذنبه ﴾ [العنكبوت : ٤٠] وقال في الوعظ : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ [الشعراء: ٢٠٥] إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة ، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي ، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأرعها سمعك فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، ولهذا قال تعالى :

﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية ، وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم ، بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وزهدت في الدنيا ورغبت في الآخرة ، وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم . ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » - لفظ مسلم - وقوله ﷺ : « وإنما كان الذي أوتيته وحيًا » أي : الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم ، وله عليه الصلاة والسلام من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر ولله الحمد والمنة .

وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة ، فقال : إن كان هذا القرآن معجزًا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعى وهو المطلوب ، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلًا على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك ، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا إلا

أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر وإنا أعطيناك الكوثر .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ شهداءكم ﴾ [البقرة : ٢٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أعوانكم ونصراءكم ، وقيل : آلهتكم ، وقيل : هي على بابها ، والمعنى : ائتوا بشهداء يشهدون لكم أن ما أتيتم به يعادل القرآن أو يقاربه .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ [البقرة : ٢٤] علمٌ من أعلام النبوة وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه – والله أعلم – أنه لم يستطع أحد من الكافرين أن يأتي بأي سورةٍ مثل هذا القرآن ، لا في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده إلى الآن .

❋ ❋ ❋

س : بم يتقون النار ؟

ج : يتقونها بالإيمان بالله ورسله ، وطاعة الله ورسوله .

❋ ❋ ❋

س : من هم الناس ؟ وما هي الحجارة التي ذكر الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ [البقرة : ٢٤] ؟ وهل للنار وقود آخر غير ما ذكر في الآية الكريمة ؟

ج : أما المراد بالناس هنا – والله أعلم – فهم الكفار الذين يموتون على

الكفر ، أما الحجارة فقد قال بعض أهل العلم : إنها حجارة الكبريت .

وقال آخرون : إنها الأصنام ، كما قال تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

أما هل للنار وقود آخر غير ما ذكر: فنعم لها وقود غير ما ذُكر، منه فسقة الجن، قال الله تعالى : ﴿ .. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ﴾ [الجن : ١٥] .

***

س : هل الجنة والنار مخلوقتان الآن ؟

ج : نعم مخلوقتان الآن ، والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا ، نورد منها ما يلي :

- قول الله عز وجل – في شأن الجنة – : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ [الحديد : ٢١] .
- وقوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ واتقوا النار التي أُعدت للكافرين ﴾ [آل عمران:١٣١].
- وقوله تعالى: ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف: ٢٩].
- وقوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا ﴾ [الإنسان : ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣١] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .
- وقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٤٤) ، ومسلم (٣٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »[1] .

● ولما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : « إن له مرضعًا في الجنة »[2] .

● ومنها قول النبي ﷺ: « أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم »[3]

● ومنها قول رسول الله ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت ربِّ أكل بعضي بعضًا ، فأذن لها بنفسين نفسٍ في الشتاء ونفسٍ في الصيف فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير »[4] .

● ومنها قول النبي ﷺ : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلِّقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين »[5] .

● ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً[6] فقال النبي ﷺ : « تدرون ما هذا ؟ » قال : قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها »[7] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٥٥) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا وله طرق أخرى صحيحة في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٧٧) ، ومسلم (حديث ١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٦) وجبة أي : سقطة .

(٧) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٤) .

● وجملة أحاديث أخرى كثيرة جدًّا في هذا الباب تركنا ذكرها خشية الإطالة فمنها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعًا في عذاب القبر ونعيمه وفيه ... « أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ... » الحديث(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤) بإسناد صحيح مرفوعًا وفيه أن البراء قال :

خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنَّ على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثًا ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت =

• وحديث « لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها .. »[1] الحديث .

= توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة » .

(٣) أخرج أبو داود (٤٧٤٤) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفَّها بالمكاره ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ ، قال : فلما خلق الله النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها =

● وحديث « أرواحهم في حواصل طيرٍ خُضرٍ تسرح في الجنة ... »[1] .

● وحديث المعراج[2] .

● وحديث الرجل الذي خسف به فهو يتجلجل في النار .. الحديث .

***

س : ما معنى التبشير في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا ... ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟

ج : التبشير هو : الإخبار الذي يظهر أثره على البشرة – وهي ظاهر الجلد – لتغيرها بأول خبرٍ يرد عليك ، ويستعمل التبشير غالبًا في السرور مقيدًا بالخير المبشر به وغير مقيدٍ ، بمعنى أنه قد تأتي البشارة بالخير منصوصًا عليه كما في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم ﴾ [يونس : ٢] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وقد تأتي مطلقة غير مقيدة بنوع التبشير ، كما في قوله تعالى : ﴿ فبشر

= فحفَّها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دخلها » .

وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٥٦٠) ، والنسائي (٣/٧) ، وأحمد (٣٣٢/٢) ، والحاكم (٢٧/١) .

(١) وسيأتي بتمامه في تفسير آل عمران إن شاء الله تعالى فانظره هناك عند قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (حديث ١٦٣) وفي آخره قال أنس بن مالك فيما يرويه عن رسول الله ﷺ : « ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » .

عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... ﴾ [الزمر : ١٨] وكما في قوله تعالى : ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس : ٦٤] .

● وتستعمل البشرى في الغم والشر أحيانًا ، ولكنها تكون مقيدة كما في قوله تعالى : ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] ، وكما في قول النبي ﷺ : « وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار »[1] .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ ... وعملوا الصالحات ﴾ [البقرة : ٢٥] ردٌّ على فرقتين : المرجئة وطوائف من الصوفية وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا الرد يتمثل في أن الإيمان النافع قُيد بالعمل الصالح لقوله تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [البقرة : ٢٥] ، والمرجئة يقولون : إن لا إله إلا الله تنفع صاحبها بلا عمل ولا يشترط معها العمل ، والآية الكريمة - كما قدمنا - ربطت الإيمان بالعمل الصالح .

● ووجه الرد على طوائف من الصوفية أن بعضهم يزعم أن المجنون أعلى درجة وأرفع منزلة من المؤمن العاقل ، وهذا جهل منهم واضح ، فالمجنون - وإن قدر الله سبحانه له الجنة[2]- إلا أن المؤمن الذي يعمل الصالحات قد يفوقه بإذن الله ، وذلك لأن الله سبحانه قال : ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ ، وقال : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [الزخرف : ٧٢] والمجنون لم يعمل والله أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ جنات ﴾ ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

ج : الجنات هي البساتين والحدائق ، وسميت بهذا الاسم ؛ لأنها تُجنُّ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣) بإسناد يُحسَّن بمجموع طرقه ، والله أعلم .

وقد وردت أحاديث فيها أنه يختبر يوم القيامة وستأتي في محلها إن شاء الله تعالى .

من فيها (أي : تستره بأشجارها)[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟

ج : هذه الأنهار - والله تعالى أعلم - هي الأنهار المذكورة في سورة محمد قال الله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماءٍ غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرٍ لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات .. ﴾ [محمد : ١٥] .

❋ ❋ ❋

س : قولهم : ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ [البقرة : ٢٥] ؟ ما المراد به ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

الأول : أن المراد بقولهم : ﴿ من قبل ﴾ أي : في الحياة الدنيا ، ودليل هذا القول : قولهم في آية أخرى : ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ [الطور : ٢٦] فمعنى ﴿ قبل ﴾ هنا أي : في الحياة الدنيا .

الثاني : أن المراد بقولهم : ﴿ من قبل ﴾ أي : في الجنة لكن في وقت تقدم الوقت الذي قدمت لهم فيه الثمرة ، وذلك لأنهم في الجنة يرزقون ثم يرزقون فإذا أتوا بطعام وثمار في وقت فأكلوا منها ثم أُتوا بها في وقت آخر قالوا : ﴿ هذا الذي رزقنا من قبل ﴾ يعنون : أن هذا الذي أكلناه في مرة سابقة ، لكن يجدون طعمًا آخر وإن تشابه اللون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأُتوا به متشابهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] ما معناه ؟

(١) ولا يلزم في الجنات المُعدة عند الله أن تستر من فيها عن غيره ، فقد قال تعالى : ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ [المطففين : ٢٣] ، فأهل الجنة يرى بعضهم بعضًا ويتزاورون ... وإنما المراد بيان المعنى اللغوي .

ج : المراد - والله أعلم - يشبه بعضه بعضًا في المنظر لكن يختلف في المطعم . وقيل : يشبه بعضه بعضًا في الحسن ، بمعنى أن كل ما رزقوه حسن .

* * *

س : قال الله سبحانه وتعالى في شأن النار : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين ﴾ [البقرة : ٢٤] فهل النار لا يدخلها إلا الكافرون ؟

ج : النار يدخلها الكافرون ، ويدخلها أيضًا قوم من المسلمين ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فويلٌ للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ... ﴾ [الهمزة : ١] .

وقال النبي ﷺ : « أتدرون ما المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طرح في النار »[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب .

إلا أن المسلمين (من قدَّر الله عليه دخول النار منهم) يدخلونها ثم يخرجون كما أخبر بذلك النبي ﷺ[2].

أما قوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ فيحمل على وجوه :

● منها أن يُقال : إن هذه نار مخصوصة معدة للكافرين وهي التي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) وتأتي الأحاديث في ذلك في أبواب الشفاعة قريبًا إن شاء الله عند قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئًا ... ﴾ [البقرة : ٤٨]

وقودها الناس والحجارة .

● أن يقال : إن هذه النار مُعدَّة للبقاء الدائم للكافرين ومن ثمَّ كانوا هم أهلها وهي مُعدَّة لهم ليس كالعابر الذي يأتيها ثم يخرج منها والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الأنهار تجري من تحت الجنات حقيقة ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : إن المعنى أن الأنهار تجري من تحت أشجارها ولم تذكر الأشجار ؛ لأن الجنات دالة عليها .

ولقائل أن يقول : إن الآية على ظاهرها ، والله أعلم بصفة جري الأنهار . والعلم عند الله تعالى .

❋ ❋ ❋

س : النهر مأخوذ من ماذا ؟

ج : النهر مأخوذ من الاتساع ، وأنهرت أي : وسعت ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ... »[1] أي : ما وسَّع الذبح حتى يجري فيه الدم كالنهر .

وهل النهر هو الأخدود بما فيه من ماءٍ يجري ؟ أم هو الأخدود فقط ؟ للعلماء في ذلك قولان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الأفصح أن يقال : (زوج) أو (زوجة) ؟

ج : الأفصح أن يُقال : (زوج) وهو الأكثر استعمالًا في كتاب الله وسنة

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٣١/٩) ، ومسلم (مع النووي ١٢٢/١٣) ، وأحمد (١٤٠/٤ ، ١٤٢) وغيرهم من حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال : يا رسول الله ليس لنا مدًى ، فقال : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل ، ليس الظُّفر والسن ، أما الظفر فَمُدى الحبشة وأما السن فعظمٌ » .

رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ﴾ [الأحزاب : ٣٧] قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، وقال تعالى : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يس : ٥٦] ومنه ما ورد في كتب السنن والمسانيد (مما لا يكاد يحصى) قولهم عن (عائشة زوج النبي ﷺ) .

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما « ... وإن لزوجك عليك حقًّا »[١].

ويجوز أيضًا أن يقال : زوجة (بالتاء) ، قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[٢]، وفي رواية أخرى : (إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة)[٣].

وقال الفرزدق :

وإن الذي يسعى ليُفسد زوجتي   كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٥) ومسلم (ص ٨١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠) بإسناده إلى أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال : (لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه ، وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارًا يقول : إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي .

(٣) الرواية الأخرى في البخاري (٣٧٧٢) .

(٤) أسد الشرى : هي أشد الأسود شراسة وضراوة ، ويستبيلها معناه : يطلب بولها .

س : قوله تعالى : ﴿ أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الحيض ، والبول ، والبزاق ، والنفاس ، والمخاط ، والغائط ، والأحقاد ، والضغائن ، إلى غير ذلك .

قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان كلُّ واحدة منهما يُرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون ، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الألُوَّة » .

– قال أبو اليمان[1]: يعني : العود ، ورشحهم المسك[2].

---

(١) أحد رواة الحديث .

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (ص ٢١٨٠) قال ابن القيم رحمه الله : قول الله تعالى ذكره :

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كُلَّما رُزِقوا منها من ثَمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبل وأُتوا به مُتشابهًا ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٥] .

فتأمل جلالة المبشِّر ومنزلته وصدقه ، وعظمته وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة ، وقد بشرك به ، وضمنه لك ، وجعله أسهل شيء عليك وأيسره ، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات ، وما فيها من الأنهار والثمار ، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب ، وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد ، وعدم انقطاعه .

و (الأزواج) جمع زوج . والمرأة زوج للرجل ، وهو زوجها . هذا هو .

= الأفصح ، وهو لغة قريش . وبها نزل القرآن كقوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة : ٣٥] ومن العرب من يقول : زوجة ، وهو نادر ، لا يكادون يقولونه .

وأما(المطهرة) فإن جرى صفة على الواحد ، فيجري صفة على جمع التكثير إجراء له مجرى جماعة ، كقوله تعالى : ﴿ ومساكن طيبة ﴾ [الصف : ١٢] وقولهم : قُرًى ظاهرة ، ونظائره .

و (المطهرة) من طهرت من الحيض ، والبول ، والنفاس ، والغائط ، والمخاط ، والبصاق وكل قذر ، وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة ، والصفات المذمومة ، وطهر لسانها من الفحش والبَذاء ، وطهر طرفها من أن تطمح إلى غير زوجها ، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ . قال عبد الله بن المبارك : حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ : ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ من القذر ، وقال : « من الحيض والغائط والنخامة والبصاق » وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس (مطهرة : لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنجسن) وقال ابن عباس أيضًا (مطهرة من القذر والأذى ، لا يبلن ، ولا يتغوطن ، ولا يمذين ، ولا يمنين ، ولا يحضن ، ولا يبصقن ، ولا يتنخمن ، ولا يلدن) وقال قتادة : (مطهرة من الإثم والأذى ، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم) وقال عبد الرحمن بن زيد (المطهرة : التي لا تحيض ، وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ، ألا تراهن يدمين ، ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال : وكذلك خلقت حواء ، حتى عصت ، فلما عصت قال الله لها : إني خلقتك ، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة »[١] .

قول الله تعالى ذكره :

﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] .

فالرب تعالى كان يعلم ما في قلب إبليس من الكفر والكبر والحسد ما لا يعلمه الملائكة . فلما أمرهم بالسجود ظهر ما في قلوب الملائكة من الطاعة والمحبة .

❋ ❋ ❋

(١) لا أعلم له إسنادًا يقوم به .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

بعوضة – ينقضون – الميثاق – الخاسرون ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
بعوضة	صغيرة البق (فالبعوض صغار البق) ، وقيل : هي الناموسة المعلومة لدى الناس[1] .
ينقضون	النقض هو حل الشيء بعد عقده .
الميثاق	العهد المؤكد باليمين .
الخاسرون	الخسران هو النقصان ، والخاسرون هم الذين نقصوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله بمعصيتهم لله عز وجل

---

(١) وانظر ما سيأتي في سؤال خاص بها إن شاء الله .

س : هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : لم يصح لها سبب نزول ، والله أعلم .

* * *

س : الحياء لا ينبغي أن يصد عن الحق وتعلمه دلِّل على ذلك ؟

ج : ابتداءً فقد جاء في فضل الحياء جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ .

- **فقد قال عليه الصلاة والسلام :** « الحياء من الإيمان »[1] .
- **وقال ﷺ :** « الحياء لا يأتي إلا بخير »[2] .
- **وكان النبي ﷺ** أشد حياءً من العذراء في خدرها[3] .
- **وقال عليه الصلاة والسلام :** « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت »[4] .
- **وأثنى النبي ﷺ على عثمان لحيائه** فقال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »[5] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل الحياء .

- ولكن هذا الحياء لا ينبغي أن يصد عن معرفة الحق وتعلُّمه وتعليمه فالصحابة رضي الله عنهم أعقل الناس وأشدهم حياء بعد نبيهم ﷺ ومع ذلك لم يصدهم الحياء عن الفقه في الدين ، فقد جاءت أم سليم رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري ، ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٥) في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان رضي الله عنه : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » ؟!!!

عنها امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم إذا رأت الماء »[1].

● وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال : جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له – وعائشة عنده – : يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : « بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك » .

● وفي الباب أيضًا ما أخرجه مالك في الموطإ[2] من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هنالك وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق – وهو صائم – فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم ، فعائشة العالمة الفقيهة أم المؤمنين لم يمنعها الحياء أن تعلِّم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة .

● وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يُجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله ﷺ : « إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل » ، فلم يمنع النبيَّ ﷺ حياؤه من أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم .

● ونحوه في صحيح مسلم أيضًا من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون :

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مالك في الموطإ (١/٢٩٢) وإسناده صحيح .

لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء ، وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل ، قال : قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك فقمت فاستأذنت على عائشة رضي الله عنها فأُذِن لي ، فقلت لها : يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك ، فقالت : لا تستحِ أن تسألني عما كنت سائلًا عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك . قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت : على الخبير سقطت قال رسول الله ﷺ : « إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل » .

● فها هي أم المؤمنين الفقيهة العالمة عائشة رضي الله عنها تُعلِّم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك .

● وأيضًا فنعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياءُ من الفقه في الدين .

● وكذلك لا ينبغي أن تتمادى بالشخص مسائله حتى يخرج عن الحيِّز المباح إلى المحظور المذموم فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء حيث لا حاجة إليها ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، والله يؤتي الحكمة من يشاء .

❋ ❋ ❋

س : ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه بعدة أشياء اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الأشياء التي ضرب الله عز وجل بها المثل في كتابه ما يلي :

● **الذباب** قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم

الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٧٤] .

• **البعوضة** قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] .

• **العنكبوت** قال الله تبارك تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

• **الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة** ، قال الله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ [إبراهيم : ٢٤ - ٢٦] .

• **العبد المملوك** قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [النحل : ٧٥] .

• **الرجل الأبكم الذي لا يقدر على شيء** قال الله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ [النحل : ٧٦] .

• **العبد الذي فيه شركاء متشاكسون** ، قال الله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلًا رجلًا فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجلٍ هل يستويان مثلًا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٢٩] .

• **الريح التي فيها صرٌّ** قال الله تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه

الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [آل عمران : ١١٧] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد هذا المثل ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : ورد عن بعض أهل العلم أنهم قالوا – في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ – : هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت ، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك ، قال : ثم تلا ﴿ فلما نسوا ما ذكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[1] [الأنعام : ٤٤] .

❋ ❋ ❋

س : قال بعض العلماء : إذا سمعت المثل من كتاب الله فلم أفهمه حزنت على نفسي فما مستنده في ذلك ؟

ج : مستنده في ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣] فأفادت الآية الكريمة أن الذين يعقلون الأمثال هم العالمون فكونه لا يفهم المثل يعني أنه ليس من العالمين ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري (٥٥٥) ، (٥٥٦) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٧١) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ، وقد تكلم بعض العلماء في رواية أبي جعفر عن الربيع ، والله أعلم .

س : ما هو المراد بالبعوضة في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة .. ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : قال عدد من أهل العلم : إن المراد بالبعوضة هي صغيرة البق (أي : البق الصغير) ويطلق البعوض أيضًا على الناموس المعروف عند الناس(١) .

قال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقوله عز وجل : ﴿ بعوضة فما فوقها ﴾ أي : بعوضة فما زاد عليها في الجثة أو في الغرض المقصود من التمثيل كجناحها ، والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق ، والبق يطلق على حيوان صغير شديد اللسع منتن الرائحة ضعيف جدًّا قد يقتله مجرد اللمس ويكون بجدران بعض الدور وفي فُرُشها ، وإذا ضُغط عليه بضاغط انفجر دمًا ، كما يطلق البق على الناموس(٢) وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر ، وله ستة أرجل وأربعة أجنحة وذنب وخرطوم مجوَّف ، وهو مع صغره يغُوصُ خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى إن الجمل قد يموت من قرصته السامة أحيانًا .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ، ما المراد به ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

أحدهما : فما فوقها فما هو أكبر منها ، ودليله قول النبي ﷺ : « ما من مسلم يصِيبه أذى : شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته كما

---

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ : إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وقد سمعت أهل بعض البلدان يطلقون البق على الناموس الممتلئ دمًا .

تحط الشجرة ورقها »[1].

الثاني : فما فوقها أي : فما دونها في الحقارة ، كما يُقال مثلًا فلان جاهل فتقول هو فوق ذلك ، أي : أشد من الجاهل .

قال الفراء في معاني القرآن : فالذي (فوقها) يريد أكبر منها وهو العنكبوت والذباب ولو جعلت في مثله من الكلام (فما فوقها) تريد أصغر منها لجاز ذلك ولست أستحسنه لأن البعوضة كأنها في غاية الصغر فأحبُّ إليَّ أن أجعل (ما فوقها) أكبر منها ، ألا ترى أنك تقول : (يُعطى من الزكاة الخمسون فما دونها) والدرهم فما فوقه فيضيق الكلام أن تقول فوقه ، فيهما أو دونه فيهما ، وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل : إن فلانًا لشريف فيقول السامع : وفوق ذاك ، يريد المدح ، أو يقول : إنه لبخيل فيقول الآخر : وفوق ذاك يريد بكليهما معنى أكبر ، فإذا عرفت أنت الرجل فقلت دون ذلك فكأنك تحطه عن غاية الشرف أو غاية البخل ، ألا ترى أنك إذا قلت : إنه لبخيل وفوق ذاك تريد فوق البخل ، وفوق ذاك وفوق الشرف ، وإذا قلت دون ذاك فأنت رجل عرفته فأنزلته قليلًا عن درجته ، فلا تقولن وفوق ذاك إلا في مدحٍ أو ذمٍّ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله عز وجل لا يستحي أن يُمثل بأي شيءٍ كان صغيرًا أو كبيرًا .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨) ، ومسلم (٢٥٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

س : قوله تعالى : ﴿ يُضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] ، من قائله ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن قائله هو الله سبحانه وتعالى ، والمعنى لما قال الكفار ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلًا ﴾ فالإجابة عليهم قل إن الله يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ، أي : يهدي بهذه الأمثال أناسًا كثيرين ويضل بها أناسًا كثيرين .

ومما يؤيد هذا القول قوله تعالى في سورة المدثر : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون * وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [المدثر : ٣١] ، فقوله تعالى : ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ من قول الله عز وجل وهو كقوله سبحانه في سورة البقرة : ﴿ يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ﴾ .

والقول الثاني : أنه من قول الكافرين ، كأنهم قالوا : ما مراد الله سبحانه وتعالى بهذا المثل الذي يفرِّق به الناس إلى ضُلالٍ ومهتدين . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الأمثال في القرآن الكريم يُضل الله عز وجل بها فريقًا من الناس ويهدي بها فريقًا وضح ذلك ؟

ج : المثل إذا جاء في كتاب الله عز وجل ازداد به المؤمن هداية وتوفيقًا بإذن الله فإذا ضرب المثل صدق به المؤمن وعلم أنه من عند الله فيزيد الله المهتدي هدًى ويؤته تقواه أما الكافر أو المنافق والفاسق فإذا ضرب الله

عز وجل المثل ارتاب فيه وتحير وتردد في أمره واعترض فينصرف عن القرآن فيصرف الله قلبه كما قال تعالى : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

❋ ❋ ❋

س : من هم الفاسقون في قوله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة : ٢٦] ؟

ج : الفاسقون هم من سبق في علم الله عز وجل أنهم يموتون على الكفر . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الفسق لغة وشرعًا ؟

ج : الفسق أصله في كلام العرب الخروج عن الشيء.

يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها .

وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها .

وشرعًا هو الخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، ولذلك سمي الفاسق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما .

وقال الله جل ذكره في صفة إبليس : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [الكهف : ٥٠] يعني : خرج عن طاعته واتباع أمره ، هذا والفسق قد يكون بكفر وقد يكون بعصيان ، وهو الوارد في السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك فسق دون فسق ؟ اذكر أدلة على ما تقول ؟

ج : نعم هناك فسق دون فسق ، فهناك فسق بمعنى الكفر يخرج عن الملة ،

وفسق دون ذلك .

أما الأدلة على الفسق المخرج عن الملة فمنها :

● قوله تعالى في شأن قوم فرعون : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين ﴾ [الزخرف : ٥٤] فلا شك أن قوم فرعون كانوا كفارًا ، وقد قال الله فيهم : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] .

● وكذلك قوله تعالى : ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ [السجدة : ٢٠] ، فهذا فسق مكفر ، وذلك لأن الله جل ذكره قال في الكفار : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] .

وأما الفسق الذي هو كفرٌ دون الكفر فمنه قوله تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٤] فالفسق هنا أعم من كونه كفرًا فيدخل فيه القاذف المسلم ، ولا شك في ذلك .

● ومنه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جآءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات : ٦] فالفسق هنا عام أيضًا .

● ومنه قول النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[(١)] فالفسق هنا غير مكفر ، ولا شك ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٧٠٧٦) ، وكذلك أخرجه مسلم (٦٤) ، والنسائي (١٢٢/٧) ، وابن ماجة (٦٩) .

س : ما معنى ﴿ ينقضون ﴾ [البقرة : ٢٧] ؟

ج : النقض هو إفساد ما أُبرم (من بناء أو حبل أو عهد أو غير ذلك) ومنه نقضت المرأة ضفائرها أي : حلتها بعد أن ضفرتها .

***

س : ما هو العهد الذي نقضه هؤلاء الفاسقون ؟

ج : لأهل العلم في تأويل ذلك العهد وجوه منها :

١ – أنه العهد الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من صلبه كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .. ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

٢ – أنه وصية الله تعالى إلى خلقه وأمرهم بطاعته ونهيهم عن معصيته .

٣ – أنه العهد الذي أُخذ عليهم على لسان أنبيائهم عليهم السلام أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ إذا بُعث فيهم كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ٨١] .

٤ – أنه العهود التي تكون بين الناس .

وثمَّ أقوال أُخر ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما مدى صحة الأثر الوارد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي فيه أنه حمل قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ﴾ [البقرة : ٢٧] ، على الخوارج وكيف يوجه هذا الأثر في حالة صحته ؟

ج : الأثر صحيح ، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير [١] من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه[٢] رضي الله عنه قال : الحرورية الذين قال الله : ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ [البقرة: ٢٧].

● أما بالنسبة لتوجيه الأثر : فكما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : إنه تفسير على المعنى لا أن الآية أُريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ بالنهروان ، فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام ، والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضًا .. انتهى الغرض مما ذكره رحمه الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي أمر الله به أن يوصل وقطعه هؤلاء الفاسقون ؟

ج : أمر الله عز وجل بأن يوصل الآتي :

١ - التصديق بجميع أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فأمرنا الله أن نؤمن بهم جميعًا ولا نكفر بواحدٍ منهم ، قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] فمن كذَّب واحدًا من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨ ، ٢٩٣) .

(٢) وأبوه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

المرسلين فقد كذبهم جميعًا ، قال الله تعالى : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٢٣] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٤١] ، وهم إنما كذبوا نبيهم .

٢ - أمر الله عز وجل أن توصل عبادته في الأرض فيعبده كل جيل في كل زمان ومكان ويقيمون شرائعه ويحفظون حدوده .

٣ - أمر الله عز وجل بوصل القول بالعمل .

٤ - أمر الله عز وجل أن توصل الأرحام فقال سبحانه : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ [محمد : ٢٢ ، ٢٣] .

فقطع المفسدون في الأرض هذا كله ، فأشركوا بالله عز وجل ما لم ينزل به سلطانًا ، وناقض عملُهم قولَهم ، وقطعوا الأرحام وآمن بعضهم ببعض النبيين وكفر ببعض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة الإفساد في الأرض المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ويفسدون في الأرض ﴾ [البقرة : ٢٧] ؟

ج : للإفساد في الأرض صور منها :

● عبادة غير الله عز وجل ، والجور في الأفعال ، وارتكاب الكبائر وإحداث البدع والإسراف في المعاصي وسفك الدماء .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز نقض العهد مع الكفار أو الفساق ؟

ج : لا يجوز نقض العهد مع الكفار ولا مع الفساق ولا مع المؤمنين .

● قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [المائدة : ١] .

● وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ [النحل : ٩١ ، ٩٢] .

● وقال تعالى : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلًا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلًا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [النحل : ٩٤ ، ٩٥] .

● وأمر الله نبيه ﷺ إذا خاف من قوم خيانة أن ينبذ إليهم عهدهم قال تعالى : ﴿ وإما تخافن من قومٍ خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

● وقال النبي ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه ... »(١) .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا ، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ منها حديث ابن عمر في الصحيحين (عند البخاري ٣١٨٨) ، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تكفرون بالله – استوى – فسواهن – عليم ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
تكفرون بالله	تجحدون وجوده – تعبدون معه غيره .
استوى	علا وارتفع – وقيل : أقبل وقصد ، لتعديها بإلى ، والله أعلم .
فسواهن	سوى سطوحهن بالإملاس فلا اعوجاج ولا صدوع فيهن ولا فطور ، وقيل : قضاهن كما في قوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ [فصلت: ٢]
عليم	عالم تمام العلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] ؟

ج : في معناها قول الله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ [غافر : ١١] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم .. ﴾ [البقرة : ٢٨] استفهام ما هو المراد به ؟

ج : المراد من هذا الاستفهام التوبيخ والتعجب والتقرير فيُتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجج ، ويوبخوا لذلك ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] فيه موتتان وإحياءان وضحهما ؟

ج : أرجح الأقوال لديَّ في ذلك – والله تعالى أعلم – ما يلي :

- أن الموتة الأولى هي قبل خروجهم إلى الدنيا من بطون أمهاتهم وقت أن كانوا عدمًا أو وقت أن كانوا خاملي الذكر لا يذكرون كما قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ [الإنسان : ١] .
- الإحياء الأول هو خلقهم .
- والموتة الثانية هي عند انقضاء آجالهم .
- والإحياء الثاني هو إحياؤهم يوم القيامة[1]، والله تعالى أعلم .

---

(١) واختار نحوه الطبري رحمه الله تعالى : وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بيَّنَّا – =

فإن قيل : هذا لم يشتمل على الحياة التي تكون في القبر ، فالإجابة على ذلك أنها لم تذكر في هذه الآية الكريمة ؛ لأنها في حكم الحياة الدنيا أو لعلها لم يعتد بها في هذا المقام ، والله أعلم .

= بتأويل قول الله جل ذكره : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ الآية القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أن معنى قوله : ﴿ وكنتم أمواتًا ﴾ أموات الذكر خمولًا في أصلاب آبائكم نطفًا لا تُعرفون ولا تُذكرون فأحياكم بإنشائكم بشرًا سويًّا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتًا لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك كما قال : ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٨] لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب كما قال جل ذكره : ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ [المعارج : ٤٣] ، وقال : ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ [يس : ٥١] .

وعلَّل ابن جرير رحمه الله تعالى إختياره لهذا القول بقوله (قبل أن يورده) : ١ ص ٤٢١ فأما وجه تأويل من تأول قوله : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ﴾ أي : لم تكونوا شيئًا فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس ، والأمر الخامل الذكر : هذا شيء ميت ، وهذا أمر ميت يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودُرُوس أثره من الناس ، وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه : هذا أمر حيٌّ ، وذكر حيٌّ يراد بوصفه ذلك أنه نابه متعالم في الناس كما قال أبو نُخيلة السعدي :

فأحييت لي ذكري وما كنت خاملًا ولكن بعض الذكر أنبَهُ من بعض

يريد بقوله : (فأحييت لي ذكري) أي : رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار مذكورًا حيًّا بعد أن كان خاملًا ميتًا فكذلك تأويل قول من قال في قوله : ﴿ وكنتم أمواتًا ﴾ لم تكونوا شيئًا أي : كنتم خمولًا لا ذكر لكم ، وذلك كان موتكم فأحياكم فجعلكم بشرًا أحياء تُذكرون وتُعرفون ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم كالذي كنتم قبل أن يحييكم من دروس ذكركم وتعفِّي آثاركم وخمول أموركم ثم يحييكم بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ونفخ الروح فيها وتصييركم بشرًا كالذي كنتم قبل الإماتة تتعارفون في بعثكم وعند حشركم . والله أعلم .

وثَمَّ أقوال أخر في تفسير الإماتتين والإحياءين نورد بعضها .

- منها أن الموتة الأولى هي أثناء وجودهم في ظهر آدم عليه السلام .

والإحيـــاء الأول إخراجهم من ظهره

- والموتة الثانية هي الموت بعد أن يعيشوا ما كتبه الله لهم من عمر في الحياة الدنيا .

- والإحياء الثاني هو البعث للحساب .

- ومنها أن الموتـة الأولـى نُطفًا في أصلاب الرجال

والإحيـــاء الأول	نقلهم من الأرحام
والموتة الثانية	الموت في الدنيا بعد انقضاء الأجل
الإحياء الثاني	الإحياء في القبر للمسألة
والموتة الثالثة	هي إماتتهم في القبر
والإحياء الثالث	حياة النشر إلى الحشر

فعلى هذا القول الثاني هي ثلاث إماتات وثلاث إحياءات .

وإذا انضم إليها كونهم في صلب آدم وإخراجهم من ظهره والشهادة عليهم فهي على هذا الأخير أربع موتات وأربع إحياءات .

وأضاف إليهم البعض (موتة وإحياء ليس عليهما دليل صحيح) وهما أنه سبحانه خلقهم قبل آدم كالهباء ثم أماتهم (فهي خمس إذا أضيف إليها هذا القول الذي ليس عليه دليل) وثَمَّ موتة سادسة وهي للعصاة من أمة محمد ﷺ .

إذا دخلوا النار يميتهم الله عز وجل فيها إماتة ثم يحييهم[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم =

س : ما مدى صحة حديث خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ؟

ج : الراجح في هذا الحديث أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وقد أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى (حديث ٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ ، لكن رجَّح الإمام البخاري رحمه اللَّه أنه من حديث أبي هريرة عن كعب الأحبار (وليس عن رسول الله ﷺ) وهذا هو الصحيح والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خلق الله لنا ما في الأرض جميعًا ؟

ج : فريق من أهل العلم يقولون : خلق اللَّه لنا ما في الأرض لنعتبر ونتعظ ونوقن بالموت وبالجزاء وبالحساب .

- ومن العلماء من يقول : خلقها اللَّه عز وجل للانتفاع بها .
- ومن العلماء من يقول : (لتتقووا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته) .

= لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » فقال رجل من القوم : كأن رسول اللَّه ﷺ قد كان بالبادية .

• والصواب في ذلك عندي – واللَّه أعلم – أن كل ذلك وارد فمما خلقه اللَّه لنا أشياء للانتفاع ، ومما خلقه اللَّه لنا أشياء للاعتبار والاتعاظ ، ومما خلقه اللَّه لنا أشياء لنتقوى بها على طاعته سبحانه وننزجر بها عن معصيته واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يرى أن الأصل في الأشياء المخلوقة هو الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل هل من دليل يشهد لهم على صحة ما ذهبوا إليه ؟

ج : الدليل هو قوله تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه ﴾ [الجاثية : ١٣] واللَّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أيهما خُلق أولًا الأرض أم السماء ؟

ج : نورد هنا أولًا – بمشيئة اللَّه تعالى – جملة الآيات التي يمكن أن يُستدل بها في هذا الباب .

الآية الأولى • قال اللَّه تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] .

الآية الثانية • قول اللَّه تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى

السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيـا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ [فصلت : ٩ - ١٢] .

الآية الثالثة ● وقال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ [النازعات : ٢٧ - ٣٣] .

الآية الرابعة ● وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض ﴾ [إبراهيم : ٣٢] .

الآية الخامسة ● وقال تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

هذا غاية ما يمكن أن يُستدل به في هذا المقام ، وبالنظر في مجمل هذه الأدلة لم يتضح لي منها أيهما خُلق أول على وجه التحديد الدقيق فغاية ما يستفاد منها لدي ما يلي :

الآية الأولى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] يُستفاد منها أن خلق ما في الأرض جميعًا كان قبل تسوية السموات(١) .

الآية الثانية: وهي قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم

(١) وهذا إذا اعتبرنا أن (ثمَّ) هنا تفيد الترتيب الزمني .

استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصلت : ٩ - ١١] .

تُفيد هذه الآية الكريمة أن خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كان قبل الاستواء إلى السماء وهي دخان .

● لكن لنا عند هذه الآية الكريمة وقفة تتلخص في الآتي :

● أن الأرض خلقت في يومين كما قال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ .

● أن جعل الرواسي من فوقها والبركة فيها وتقدير الأقوات فيها كل ذلك كان في أربعة أيام كما قال تعالى : ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقَدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ .

لكن ينشأ هنا سؤال ألا وهو : هل الأربعة أيام تبدأ من ابتداء خلق الأرض أم بعد اليومين اللذين خلق اللَّه عز وحل فيهما الأرض ؟

● فإن قلنا بالأول فيستقيم لنا القول إلى حدٍّ ما فيكونُ خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كل ذلك في أربعة أيام .

وقضاء السموات السبع كان في يومين فيكون الإجمالى ستة أيام ، وقد قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

● وإن قلنا بالثاني تكون الأرض خلقت في يومين ، وتقدير الأقوات في أربعة أيام ثم يأتي قضاء السموات في يومين فيكون الإجماليّ ثمانية أيام ، وهذا لا يوجد له مستند صحيح - فيما علمت - بل المستند يعارضه وهو قوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ إلا أن يُقال : إن خلق السموات وكونها كانت دخانًا كان قبل خلق الأرض لقوله تعالى :

﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ فهذا له وجه والله أعلم .

الآية الثالثة : وهي قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها ... ﴾ [النازعات : ٢٧] تُفيد أن بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وإغطاش ليلها وإخرج ضحاها كان قبل دحو الأرض .

أما الآية الرابعة : فليس فيها دليل واضح يُحدد أيتهما خلق أول .

والآية الخامسة : تفيد أنهما كانتا رتقًا (أي : ملتصقتين) .

هذا غاية ما ظهر لي من أدلة من كتاب الله عز وجل يمكن أن يستشهد بها وهذه أوجه الاستشهاد التي ظهرت لي منها وها هي أيضًا أقوال بعض العلماء في هذا الباب ، وبالله التوفيق .

● أخرج البخاري[1] في صحيحه من طريق المنهال عن سعيد قال : **قال رجل لابن عباس :** إني أجد في القرآن أشياء يختلف عليَّ ، قال : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

وقال : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ، ﴿ ولا يكتمون الله حديثًا ﴾ [النساء : ٤٢] ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ [الأنعام : ٢٣] فقد كتموا في هذه الآية وقال : ﴿ أم السماء بناها – إلى قوله دحاها ﴾ [النازعات : ٢٧–٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال : ﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين – إلى طائعين ﴾ [فصلت : ٩ –١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى ﴿ وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ٩٦] ﴿ عزيزًا حكيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] ﴿ سميعًا بصيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] فكأنه كان ثم مضى فقال ﴿ فلا أنساب بينهم ﴾ في النفخة الأولى ، ثم يُنفخ في الصور ﴿ فصعق من في

---

(١) وصله البخاري رحمه الله تعالى بعد إيراد الحديث وذلك (مع الفتح ٨/٥٥٥ – ٥٥٦) .

السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللّٰه ﴾ [الزمر : ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة ﴿ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور : ٢٥] ، وأما قوله : ﴿ ما كنا مشركين ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ ولا يكتمون اللّٰه ﴾ فإن اللّٰه يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين فختم على أفواههم فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عُرف اللّٰه لا يكتم حديثًا ، وعنده ﴿ يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأرض ﴾ [النساء : ٤٢] ، وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودَحوُها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿ دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] ، وقوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ [فصلت : ٩] فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين ﴿ وكان اللّٰه غفورًا رحيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥] سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله أي لم يزل كذلك ، فإن اللّٰه لم يُرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلًّا من عند اللّٰه .

● **وذكر الحافظ ابن كثير رحمه اللّٰه جملة الآيات ثم قال : وفي** هذا دلالة على أنه ابتدأ بخلق الأرض أولًا ثم خلق السموات سبعًا ، وهذا شأن البناء أن يُبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك ، وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء اللّٰه ، فأما قوله تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقًا أما السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم ﴾ [النازعات : ٢٧ - ٣٣] فقد قيل : إن ثمَّ ههنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر .

قل لمن ساد ثم ساد أبوه   ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقيل : إن الدحي كان قبل خلق السموات .

ثم قال ابن كثير رحمه اللَّه بعد أن ذكر قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ... ﴾ [فصلت : ١١] وقوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ... ﴾ [فصلت : ٩] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء ، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض ، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها ﴾ قالوا : فذكر خلق السماء قبل الأرض **وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء ، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء ، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا و حديثًا** ، وقد حررنا ذلك في سورة النازعات ، وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل لما أكملت سورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحى بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كانت مودعًا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها ، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم .

• **أما القرطبي رحمه اللَّه تعالى** فذكر أقوالًا وختمها بقوله : فقد اختلفت فيه الأقاويل وليس للاجتهاد فيه مدخل ، واللَّه أعلم بما فعل .

وقال ابن جزي الكلبي في تفسيره : فائدة : هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض ، وقوله تعالى ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾

ظاهره خلاف ذلك والجواب من وجهين : أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض ، والآخر تكون ثم لترتيب الأخبار والله أعلم .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى في فتح القدير : وقد استدل بقوله تعالى : ﴿ ثم استوى ﴾ على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء ، وكذلك الآية التي في حم السجدة[1] وقال في النازعات : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها ﴾ فوصف خلقها ثم قال : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ فكأن السماء على هذا خلقت قبل الأرض ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾ [الأنعام : ١] وقد قيل: إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ، ودحوها متأخر، وقد ذكر نحو هذا جماعة من أهل العلم ، وهذا جمع جيد لا بد من المصير إليه ولكن خلق ما في الأرض لا يكون إلا بعد الدحو[2] ، والآية المذكورة هنا دلت على أنه خلق ما في الأرض قبل خلق السماء ، وهذا يقتضي بقاء الإشكال وعدم التخلص منه بمثل هذا الجمع .

● **وقد أورد صديق حسن خان في كتابه (فتح البيان)** قول الشوكاني هذا ثم قال : ذكر رحمه الله في السورتين المذكورتين أن (ثمَّ)[3] للتراخي الرتبي لا للتراخي الزماني ، أو أن (بعد) بمعنى مع

---

(١) يعني فصلت والمراد بالآية قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ... ﴾ الآيات .

(٢) لا يلزم ذلك فالله على كل شيء قدير .

(٣) **قال الرازي رحمه الله تعالى (التفسير الكبير ٢ / ١٤٣) :** الصحيح أن قوله (ثم) ليس للترتيب ههنا وإنما هو على جهة تعديد النعم ، مثاله قول الرجل لغيره : أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك ، ولعل بعض ما أخره في الذكر قد تقدم فكذا ههنا ، =

كما في قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٣] أو أنها بمعني قبل كقوله : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] أي : من قبل الذكر فيزول ما ذكره رحمه اللّٰه تعالى من بقاء الإشكال .

وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقد ظن بعض الناس في قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ حسبوا أنه يدل على أن الأرض مخلوقة بعد السماء ، وهو فهم خاطىء لأن قوله عز وجل ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] أي مع ذلك لأن قوله هنا بعد ذلك فبعد تستعمل بمعانٍ منها (مع) الذي هو المراد هنا وكأنه يقول إن في خلق السموات والأرض آيةٌ بينةٌ كافية شافية في قدرة اللّٰه على كل شيء ، ومع ذلك فقد خلق الأرض فهي آية أخرى كافية شافية وقد استعمل[1] القرآن كلمة بعد بمعنى (مع) في قوله عز وجل : ﴿ عتلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم: ١٣]، أي غليظ جافٍ ومع ذلك فهو زنيمٌ أي: دَعِيٌّ، ولا شك أن هذا الوصف بكونه زنيمًا عرف فيه قبل وصفه بالأوصاف السابقة إذ نسب إلى ذلك عندما جاءت به أمه لعنه اللّٰه[2] وصريح القرآن ناطق بأن اللّٰه خلق الأرض قبل خلق السموات في

= والله أعلم .

● **وقال الزمخشري في الكشاف** : (ثمَّ) ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله تعالى : ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ [البلد : ١٧] .

(١) كلمة (استعمل القرآن) ، أو (يقول القرآن) لم أعهدها مستعملة في قول النبي ﷺ ولا في أصحابه رضي الله عنهم ، فالذي أراه – والله أعلم – أنها تبدل بالوارد في السنة وفعل الصحابة رضي الله عنهم كأن يقول قال الله في كتابه الكريم ونحو ذلك ، والله أعلم .

(٢) سيأتي بيان ما في هذا في محله إن شاء الله .

أكثر من مقامٍ في الذكر الحكيم .

قلت : وثم قول آخر يتألق بدليله ألا وهو أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين فانفصلت إحداهما عن الأخرى ، انفصلت السماء على أنها دخان ، والدليل على هذين قوله تعالى : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ [الأنبياء : ٣٠] وكما قال تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت : ١١] فتمت بعض الأعمال في الأرض ثم استوى ربنا سبحانه إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات ، وبعد ذلك دُحيت الأرض ، والله أعلم بما فعل وأحكم ، ورد العلم إليه أولى وأسلم .

❋ ❋ ❋

س : استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] على تحريم أكل الطين فما هو وجه استدلالهم وما مدى صحته ، وما هو حكم أكل الطين على الصحيح ؟

ج : أما وجه استدلالهم فهو أنهم قالوا : إن الله تعالى خلق لنا ما في الأرض دون نفس الأرض ، ولكن هذا الاستدلال ضعيف عندي .

أما حكم أكل الطين فهو محرم – والله أعلم – لكونه مضرٌّ بالصحة ، ولأنه ليس من الطيبات من الرزق .... إلى غير ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (استوى) في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ ؟

ج : ابتداء من أهل العلم من سكت عن تفسير الاستواء في هذه الآية

الكريمة ، فقال هذا الفريق من أهل العلم : **نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها** ، ونقل عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه قال – وقد سأله رجل عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] قال مالك : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[1]، أخرجوه .

بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى تأويلها والتماس معانيها ، ولهؤلاء جملة أقوال في تفسيرها أشهرها قولان :

الأول : استوى هنا بمعنى علا وارتفع واستدل أصحاب هذا القول بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] وبقوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ... ﴾ [الزخرف : ١٣] .

. وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى وعددٍ من المفسرين .

● وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره : قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : أي : ارتفع إلى السماء .

الثاني : أن استوى هنا معناه قصد ، وهذا اختيار طائفة من أهل العلم منهم الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] أي : قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدِّي بإلى .

● وذكر الماوردي رحمه الله في تفسيره (النكت والعيون) أربعة معان أخر للاستواء .

---

(١) نقله عنه غير واحد منهم الطبري رحمه الله .

● وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره : (استوى) ترد في القرآن على ثلاثة معان فتارة لا تعدى بالحرف فيكون معناها الكمال والتمام كما في قوله عن موسى ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ [القصص : ١٤] وتارة تكون بمعنى (علا) ، و (ارتفع) وذلك إذا عُدِّيت بـ (على) كقوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ، و ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ [الزخرف : ١٣] وتارة تكون بمعنى (قصد) كما إذا عُدِّيت بـ (إلى) كما في هذه الآية ، أي : لما خلق الله تعالى الأرض قصد إلى خلق السموات فسواهن سبع سموات فخلقها وأحكمها وأتقنها .

ويجدر بنا أن ننقل قول الطبري رحمه الله تعالى في هذا المقام(١) .

قال رحمه الله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله : « ثم استوى إلى السَّماء » .

فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلًا على فلان ، ثم استوى عليَّ يشاتمني – واستوى إلي يشاتمني . بمعنى أقبل عليَّ وإليَّ يشاتمني . واستُشْهِد على أنَّ الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر :

أَقُولُ وقد قَطَعْنَ بِنَا شَرَوْرَى سَوَامِدَ، واسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ(٢)

---

(١) وهذه الإطالة لأن كلمة (استوى) ستكرر كثيرًا فحتى لا أرجع إلى الإطالة في تأويلها أطلت في هذا المقام وما توفيقي إلا بالله .

(٢) البيت لتميم بن أبي بن مقبل (معجم ما استعجم : ٧٩٥ ، ٨٥٧) ، وروايته « ثواني » مكان « سوامد » . وشرورى : جبل بين بني أسد وبني عامر ، في طريق مكة إلى =

فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضَّجوع ، وكان ذلك عندهم بمعنى : أقبلن . وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله : « واستوين من الضجوع » ، استوين على الطريق خارجات ، بمعنى استقمن عليه .

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوُّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ، ثم تحوَّل إلى الشام . إنما يريد : تحوَّل فِعله . [وقال بعضهم : وله : « ثم استوى إلى السماء » يعني به : استوت] .

كما قال الشاعر :

أقولُ له لمَّا استَوى في تُرَابه   عَلَى أَيِّ دِين قتَّل النَّاس مُصْعبُ

وقال بعضهم : « ثم استوى إلى السماء » ، عمدَ لها . وقال : بل كلُّ تارك عملًا كان فيه إلى آخر ، فهو مُستوٍ لما عمدَ له ، ومستوٍ إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلوُّ هو الارتفاع . وممن قال ذلك الربيع بن أنس .

حُدِّثت بذلك عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « ثم استوى إلى السماء » . يقول : ارتفع إلى السماء[1] .

ثم اختلف متأوِّلو الاستواء بمعنى العلوِّ والارتفاع ، في الذي استوى إلى السماء . فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقُها

= الكوفة . والضجوع – بفتح الضاد المعجمة – : موضع أيضًا بين بلاد هذيل وبني سليم . وقوله : « سوامد » جمع سامد . سمدت الإبل في سيرها : جدت وسارت سيرًا دائمًا ، ولم تعرف الإعياء . وسوامد : دوائب لا يلحقهن كلال . والنون في « قطعن » للإبل . قاله أحمد شاكر رحمه الله.

(١) ضعيف لقوله حُدثت .

ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخانُ الذي جعله الله للأرض سماء .

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاءُ شباب الرجل وقوَّته ، فيقال إذا صار كذلك : قد استوى الرَّجُل . ومنها : استقامة ما كان فيه أَوَدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمرُه . إذا استقام بعد أَوَدٍ ، ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حَكيم :

طالَ على رَسْمِ مَهْدَدٍ أَبَدُهْ وعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُه

يعني : استقام به . ومنها : الإقبال على الشيء يقال : استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بَعد الإحسان إليه . ومنها : الاحتياز والاستيلاء ، كقولهم : استوى فلانٌ على المملكة . بمعنى : احتوى عليها وحازَها . ومنها : العلوّ والارتفاع ، كقول القائل : استوى فلان على سريره . يعني به : علوَّه عليه .

وأَوْلى المعاني بقول الله جل ثناؤه : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن ﴾ ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهنَّ بقدرته ، وخلقهنَّ سبع سموات .

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع ، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه – إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك – أن يكون إنما علَا وارتفع بعد أن كان تحتها – إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر . ثم لم يَنْجُ مما هرَب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله « استوى » أقبَلَ ، أفكان مدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أنَّ ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقُلْ : علا عليها علوَّ مُلْك وسُلْطان ، لا علوَّ انتقال وزَوال . ثم لن يقول في شيء من ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد

قول كل قائل قال في ذلك قولًا ، لقول أهل الحق فيه مخالفًا . وفيما بينا منه ما يُشرِف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فسواهن ﴾ ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال متقاربة ، منها :

● سوى سطوحهن بالإملاس .

● وقيل : جعلهن سواء .

● وقيل : قضاهن ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] .

● وقيل : عدل خلقهن فلا اعوجاج فيها ولا فطور[1] ولا صُدوع .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله تعالى : ﴿ فسواهن ﴾ فإنه يعني : هيأهن وخلقهن ودبَّرهن وقوَّمهن ، والتسوية في كلام العرب التقويم والإصلاح والتوطئة كما يقال : سوَّى فلان لفلانٍ هذا الأمر إذا قوَّمه وأصلحه ووطَّأه له ، فكذلك[2] تسوية الله جل ثناؤه سماواته تقويمه إياهن على مشيئته وتدبيره لهن على إرادته وتفتيقهن بعد ارتتاقهن ، والله أعلم .

***

س : ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم عدة آيات تُفيد أن السموات سبع منها قوله تعالى : ﴿ فسواهن سبع سموات ﴾ [البقرة : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقًا ﴾ [الملك : ٣] وقال تعالى :

---

(١) الفطور : التشققات ، ومنه تفطرت قدماه ... ، وقوله تعالى : ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ [الملك : ٣] .

(٢) كذا قال ، وهي مع الفارق ولا شك .

﴿ **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم** ﴾ [المؤمنون : ٨٦] **إلى غير ذلك من الآيات وكذلك من الأحاديث في حديث المعراج ما يشهد لكون السموات سبع إلى غير ذلك من الأحاديث ، فهل من دليل يفيد أن الأرضين سبع ؟**

ج : أما من كتاب الله عز وجل فلا أعلم دليلًا صريحًا على أن الأرضين سبع إلا أن يكون قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] وهذا إذا أريد بالمثلية هنا المماثلة في العدد .

● أما من السنة فمن الأدلة التي تشير إلى ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ظلم من الأرض شيئًا طُوِّقه من سبع أراضين »(١) .

❋ ❋ ❋

س : أين الله ؟ اذكر الأدلة على ما تقول .

ج : الله سبحانه وتعالى في السماء مستوٍ على العرش ، أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة منها أدلة من كتاب الله وأدلة من سنة رسول الله ﷺ أما الأدلة من الكتاب العزيز فمنها ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك : ١٦، ١٧] .

● قوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٢) ، ومسلم (١٦١٠) .

● قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [النحل : ٥٠] .

● قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ .. ثم استوى على العرش الرحمن ﴾ [الفرقان: ٥٩] .

● قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

● قوله تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ [السجدة : ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ [النحل : ٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

● وقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

أما الأدلة من السُّنة ففي غاية الكثرة أيضًا نورد منها :

● قول النبي ﷺ : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً ... » الحديث[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري =

● ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى حديث (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » ، قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه ، قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : **زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .**

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي » . أخرجه البخاري (٧٤٢٢) ، ومسلم (٢٧٥١) .

● وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري رحمه الله تعالى (٧٤٢٣) عن النبي ﷺ قال : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يُدخله الجنة هاجر في سبيل الله

= رضي الله عنه قال : بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ ، من اليمن ، بذهبةٍ في أديم مقروظ. لم تحصل من ترابها . قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن حصنٍ ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن عُلاثة وإما عامر بن الطفيل . فقال رجلٌ من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤُلاء . قال : فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « ألا تأمنوني ؟ وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً » قال : فقام رجلٌ غائر العينين . مشرف الوجنتين . ناشز الجبهة . كث اللحية . محلوق الرأس . مشمر الإزار . فقال : يا رسول الله ! اتق الله . فقال : « ويلك ! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله » قال : ثم ولى الرجل . فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله ! ألا أضرب عنقه ؟ فقال : « لا . لعله أن يكون يُصلي » . قال خالدٌ : وكم من مصل يقولُ بلسانه ما ليس في قلبه . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني لم أُومر أن أَنْقُبَ عن قلوب الناس . ولا أشق بطونهم » قال : ثم نظر إليه وهو مقفٍّ فقال : « إنه يخرج من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يتلون كتاب الله . رطبًا لا يجاوز حناجرهم . يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . قال : أَظنه قال : « لئن أدركتهم لأَقتلنهم قتل ثمود » .

أو جلس في أرضه التي ولد فيها » ، قالوا : يا رسول الله أفلا ننبىء الناس بذلك قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة[1] وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة » .

● قول النبي ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

● قول النبي ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » . أخرجه البخاري (حديث ٥٥٥) ، ومسلم (٦٣٢) .

● قول النبي ﷺ للجارية : « أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله فقال النبي ﷺ : « أعتقها فإنها مؤمنة » . أخرجه مسلم (حديث ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه به .

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (ص ١٠٦٠) وفيه أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها (وفي رواية : إلى فراشه) فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها » .

أخرج مسلم[2] حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حجة النبي

---

(١) ومن المعلوم أن الجنة في السماء وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله بما فيه كفاية .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال : ... « وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه **السبابة يرفعها إلى السماء** وينكتها إلى الناس « **اللهم اشهد اللهم اشهد** » **(ثلاث مرات ...)** الحديث .

● وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لعـائشة رضي الله عنها ... : وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين[1] ... الحديث .

● وأخرج البخاري[2] رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب **ولا يصعد** [3] **إلى الله إلا الطيب** فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل » .

● وأخرج مسلم في صحيحه[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ » [المؤمنون : ٥١] .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة: ١٧٢]

● ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد **يديه إلى السماء**

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) .

(٣) هكذا في هذه الرواية للبخـاري ، وفي رواية البخاري الأخـرى ورواية مسلـم (١٠١٤) : « ولا يقبل » .

(٤) حديث (١٠١٥) .

يا رب يا رب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك » .

● وأخرج مسلم(١) رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور (وفي رواية النار) لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

● ومنها حديث مالك بن صعصعة(٢) رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلًا بين الرجلين - فَأُتيتُ بطستٍ من ذهب ملآن حكمةً وإيمانًا ، فَشُقَّ من النحر إلى مراق البطن ، ثم غسل البطن بماءِ زمزم ، ثم ملىء حكمةً وإيمانًا وأُتيت بدابةٍ أبيض دون البغل وفوق الحمار : البراق ، فانطلقت مع جبريل ، حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ؛ ولنعم المجيءُ جاء . فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من ابن ونبي . فأتينا السماء الثانية . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك . قال : محمد ﷺ ، قيل : أُرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيءُ جاء . فأتيت على عيسى ، ويحيى ، فقالا : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٩) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (حديث ١٦٤) .

نعم . قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء. فأتيت على يوسف فسلمت ، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي . فأتينا السماء الرابعة ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فأتينا السماء الخامسة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، ولنعم المجيء جاء . فأتينا على هارون ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ . فأتينا على السماء السادسة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به ، نعم المجيء جاء . فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ . فلما جاوزت بكى ، فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب ، هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي . فأتينا السماء السابعة ، قيل : من هذا ؟ : قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من ابنٍ ونبيٍّ . فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يومٍ سبعون ألف ملكٍ ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم . ورفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول ، في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران . فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات . ثم فرضت علي خمسون صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلت : فرضت علي خمسون صلاة . قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، وإن أمتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله . فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين ، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل

عشرًا فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسًا فأتيت موسى فقال : ما صنعت ، قلت : جعلها خمسًا فقال مثله قلت : فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرًا » .

وأخرج البخاري (حديث ٦٤٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم عز وجل - وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال : تقول : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك . قال : فيقول : كيف لو رأوني : قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا . قال : يقول : فما يسألوني ؟! قال : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا ،وأشد لها طلبًا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم » .

وأخرج البخاري[1] رحمه الله تعالى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٨٠٠) .

خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – ووصف سفيان بكفه فحرَفها وبدد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء » .

وأخرج البخاري (حديث ١١٤٥) وفي عدة مواطن من صحيحه ومسلم حديث (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ » .

* * *

س : وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالعلم في جملة آيات اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا ﴾ [النساء : ١٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله عالم غيب السموات والأرض ﴾ [فاطر : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ [هود : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ [الرعد : ٨] .

●وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ [القصص : ٦٩] .

● وقال تعالى : ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل : ١٩] .

● وقال تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين ﴾ [الأعراف : ٧].

***

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [البقرة : ٢٩] ؟

ج : أوجز الطبري رحمه الله تعالى القول في هذا فقال في تفسيره ص٤٣٧ : فمعنى الكلام إذًا : هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الأرض جميعًا وسخره لكم تفضلًا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغًا في دنياكم ومتاعًا إلى موافاة آجالكم ودليلًا لكم على وحدانية ربكم ثم علا إلى السموات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه ، وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه .

***

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
٣٠

س : اذكر معاني هذه الكلمات : جاعل – يسفك الدماء – نسبح بحمدك – نقدس لك ؟

ج :

الكلمة	معناها
جاعل	خالق
يسفك الدماء	السفك هو الصب ولا يكون إلا في الدماء – والمراد بسفك الدماء : القتل والله أعلم
نسبح بحمدك	ننزهك عن كل ما لا يليق بك ونحمدك إذ وفقتنا له أو نقول : (سبحانك اللهم وبحمدك) أو سبحان الله وبحمده ، نمزج الحمد بالتسبيح – نسبحك ونحمدك
نقدس لك	نطهرك من كل ما يصفك به أعداؤك من كل ما لا يليق بك .

❋ ❋ ❋

س : ما هو اتصال هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .... ﴾ [البقرة : ٣٠] بالآيات التي قبلها ؟

ج : قال القاسمي رحمه اللَّه تعالى في محاسن التأويل في الفوائد المستنبطة من هذه الآية : الرابع : تسلية النبي ﷺ عن تكذيب الناس ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا ، فإذا كان الملأ الأعلى قد مُثلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين ، وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل اللَّه الملائكة المقربين ، أي فعليك يا محمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين وترشد المسترشدين وتأتي أهل الدعوة بسلطان مبين ، وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب(١) ، وكونه لا ريب فيه ، والرسول ، وكونه يُبلغ وحي اللَّه تعالى ويهدي به عباده واختلاف الناس فيها .

❋ ❋ ❋

س : هل يلزم أن يكون هناك ترابط بين معنى الآية والآية التي تليها ، وتكون هناك مناسبة لذكر آية بعد آية ؟

ج : قد يلزم ذلك في بعض الأحيان ويكون هناك صلة قوية ومناسبة لائقة لإيراد آية بعد آية تمم معناها وتوضح مبناها وتفسر ما غمض منها وتزيل ما أشكل فيها إلى غير ذلك من المناسبات التي تربط الآيات بعضها ببعض هذا في كثير من الأحيان ، لكن لا يستلزم أن يكون هذا موجودًا في كل الأحيان فأحيان تكون الآية الجديدة تبدأ بمعنى جديد لا علاقة له بالمعنى الذي سبقه ، ولندع المجال للشوكاني رحمه الله حيث ذكر في فتح القدير ما نصُّه(٢) .

---

(١) أي القرآن ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] .

(٢) فتح القدير (٧٢/١) .

اعلم أن كثير من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأى المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب اللّٰه سبحانه ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد الأهمّ من التأليف ، كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدّمه حسبما ذكر في خطبته ، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرَّقًا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم إلى أن قبضه اللّٰه عزّ وجل إليه ، وكل عاقل فضلًا عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها ، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالًا ، وتحليل أمر كان حرامًا ، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله ، وتارة يكون الكلام مع المسلمين ، وتارة مع الكافرين ، وتارة مع من مضى ، وتارة مع من حضر ، وحينًا في عبادة ، وحينًا في معاملة ، ووقتًا في ترغيب ، ووقتًا في ترهيب ، وآونة في بشارة ، وآونة في نذارة ، وطور في أمر دنيا ، وطورًا في أمر آخرة ، ومرة في تكاليف آتية . ومرة في أقاصيص ماضية ؛ وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف ، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها ، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي ، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض ، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور ، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع أي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف ، تقرَّر عنده أن هذا أمر لا بد منه ،

وأنه لا يكون القرآن بليغًا معجزًا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة ، وتبين الأمر الموجب للارتباط ؛ فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك ، فوجده تكلفًا محضًا ، وتعسفًا بينًا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة ، هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتبًا على هذا الترتيب الكائن في المصحف ؛ فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب ، وأيسر حظ من معرفته يعلم علمًا يقينًا أنه لم يكن كذلك ، ومن شك في هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول ، المطلعين على حوادث النبوَّة ، فإنه ينثلج صدره ، ويزول عنه الريب ، بالنظر في سورة من السور المتوسطة ، فضلًا عن المطوَّلة لأنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوداث مختلفة ، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب ، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أوَّل ما نزل - ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [العلق : ١] - وبعده - ﴿ يا أيها المدثر ﴾ [المدثر : ١] - ﴿ يا أيها المزمل ﴾ [المزمل : ١] - وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف ؟ وإذا كان الأمر هكذا ، فأيُّ معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعًا أنه قد تقدَّم في ترتيب المصحف ما أنزله اللَّه متأخرًا ، وتأخر ما أنزله اللَّه متقدمًا ، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن ، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدَّى لذلك من الصحابة ، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته ، وأحقر فائدته ، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس ، وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته ، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحًا وأخرى هجاء ، وحينًا نسيبًا وحينًا رثاء ، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة ، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ، ثم تكلف تكلفًا

آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك ؛ وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك ، لعدَّ هذا المتصدي لمثل هذا مصابًا في عقله متلاعبًا بأوقاته عابثًا بعمره الذي هو رأس ماله ؛ وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة ، وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر ، فكيف تراه يكون في كلام اللَّه سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب ، وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربيٌّ ، وأنزله بلغة العرب ، وسلك فيه مسالكهم في الكلام ، وجرى به مجاريهم في الخطاب . وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة ، وطرائق متابينة فضلًا عن المقامين ، فضلًا عن المقامات ، فضلًا عن جميع ما قالهٰ ما دام حيًّا ، وكذلك شاعرهم . ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحتها كثير من المحققين ، وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام ههنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام ، فإذا قال متكلف : كيف ناسب هذا ما قبله ؟ قلنا : لا كيف .

فدع عنك نهبًا صيح في حجراته وهات حديثًا ما حديث الرواحل

❋ ❋ ❋

س : ما هو العامل في (إذ) عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : العامل فيها (واذكر)(١) ، والمعنى : واذكر يا محمد إذ قال ربك

(١) هذا هو رأي الأكثر ، وبعض العلماء يقول : العامل فيه : وابتدأ خلقكم بقوله سبحانه للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وثم قول ثالث وهو اعبدوا ربكم الذي خلقكم .. إذ قال للملائكة .... واللَّه أعلم .

للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قال صديق حسن خان في فتح البيان بعد أن أورد ما ذكرته : وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله ، وقيل : إذ زائدة والأول أوجه[1] قلت : يعني رحمه الله : أن كل ما فيه (إذ ..) فالعامل فيه واذكر ، وهذا الذي ذكره صديق حسن خان رحمه الله هو قول البغوي رحمه الله في تفسيره .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (إذ) وما الفرق بين (إذ) ، و (إذا) ؟

ج : قال البغوي رحمه الله تعالى في تفسيره : و (إذ) ، و (إذا) حرفا توقيت إلا أن (إذ) للماضي ، و (إذا) للمستقبل ، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر ، قال المبرد : إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضيًا كقوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ [الأنفال: ٣٠] يريد (وإذ مكروا) ، وإذا جاء (إذا) مع الماضي كان معناه مستقبلًا كقوله : ﴿ فإذا جاءت الطامة ﴾ [النازعات : ٣٤] ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ [النصر : ١] أي : يجيء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الملائكة ؟

ج : هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ،

---

(١) هكذا تلطَّف صديق حسن خان رحمه الله مع من قال : إنها زائدة يعني : (إذ) بينما اشتد نكير غيره على من قال : إنها زائدة ، قال القرطبي رحمه الله : وأنكر هذا القول (أي : القول بأن (إذ) زائدة) الزَّجاجُ والنحاس وجميع المفسرين ، قال النحاس : وهذا خطأ لأن (إذ) اسم وهي ظرف زمان ليس مما تزاد ، وقال الزجاج : وهذا اجترام من أبي عبيدة (قلت) ورده الطبري أيضًا واستفاض في الرد ، وقال ابن عطية : وكذلك رد عليه جميع المفسرين .

يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، خلقهم اللّٰه عز وجل من (نور) كما قال النبي ﷺ[(1)] .

● خلقهم الله عز وجل أقوياء أمناء كما قال سبحانه عن جبريل (وهو أحدهم) : ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ ، ٢٠] .

● وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ - قال في شأن جبريل -: « لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين - رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض »[(2)] .

● وأخرج البخاري ومسلم[(3)] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « جاءني جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال : يا محمد فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين » ، فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا » .

● والملائكة أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع فمنها ما له جناحان ومنها ما له ثلاث ومنها ما له أربع كما قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلًا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ [فاطر : ١] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٩٤) ، وأحمد (١٥٣/٦ و ١٦٨) وغيرهما من حديث عائشة رضي اللّٰه عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٧) ، والبخاري (٤٨٥٥) وغيرهم وتعني بالمرتين المرتان المذكورتان في قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلةً أُخرى ﴾ .

(٣) البخاري حديث (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥) .

• والملائكة في أعمالهم متخصصون فمنهم من يحف مجالس الذكر ، ومنهم ملك الجبال ، ومنهم ملائكة موكلة بحفظ أعمال العباد من خيرٍ أو شرٍّ ، ومنهم خزنة السماء ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم ملائكة تبلغ رسول الله ﷺ صلاة من صلى عليه وتسليم من سلم عليه ، ومنهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم رسل الله إلى عباده المرسلين ، ومنهم من يقبض الأرواح ، ومنهم من وكِّل بالنفخ في الصور ، ومنهم من يقاتل ، ومنهم من يؤيد المقاتلين المسلمين .. إلى غير ذلك من الأعمال ، والله تعالى أعلم .

***

س : من هو الخليفة المذكور في قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : المراد بالخليفة هنا – واللَّه أعلم – آدم عليه السلام ، وهذا رأي أكثر أهل العلم ، حتى قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى : والمعني بالخليفة هنا – في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام ، وهو خليفة اللَّه في إمضاء أحكامه وأوامره أما الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى فاعترض على ما ذكره القرطبي رحمه اللَّه فقال : إني جاعل في الأرض خليفة أي : قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرنٍ وجيلًا بعد جيل كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [فاطر : ٣٩] وقال : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ [النمل : ٦٢] وقال : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ [الزخرف : ٦٠] وقال : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ [مريم : ٥٩] وقرئ في الشاذ (إني جاعل في الأرض خليقة) حكاها الزمخشري وغيره ، ونقله القرطبي عن زيد بن علي ، وليس المراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين ، وعزاه القرطبي إلى ابن

عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر ، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره وغيره ، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا إذ لو كان ذلك لما حسُن قول الملائكة[1] : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية ... إلى آخر ما قال رحمه اللَّه ، قلت : فيتحصل : أن المراد بالخليفة لأهل العلم فيه قولان .

أشهرهما أنه آدم ﷺ فهو خليفة اللَّه في أرضه في تنفيذ أوامره[2] وهذا قول الأكثرين ، والثاني : أن خليفة (مفرد) أريد به الجمع ، والمفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مرادًا به الجمع كقوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ [القمر : ٥٤] يعني : وأنهار[3] بدليل قوله تعالى : ﴿فيها أنهار من ماء غير آسنٍ ﴾ [محمد : ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] وقوله تعالى : ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [النساء : ٤] وقول العباس بن مرداس السلمي :

فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد سلمت من الأرض الصدور

وأنشد له سيبويه قول علقمة بن عبدة التميمي :

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

وقول الآخر :

كلوا في بعض بطنكم تعفو ... فإن زمانكم زمن خميص

---

(١) وهذا تعليل ضعيف من الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى .

(٢) وسيأتي لذلك مزيد .

(٣) ذكره الشنقيطي رحمه اللَّه تعالى (أضواء البيان ص١/٥٧) وقال بعد ذكره : ونظيره من كلام العرب قول عقيل بن علَّفة المري :

وكان بنو فزارة شر عمٍّ ... وكنت لهم كشرِّ بني الأخينا

س : قوله تعالى : ﴿ خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] يقتضي أن هذا الخليفة يخلف غيره في الأرض ، فمن الذي يخلفه الخليفةُ في الأرض ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

- أنه خليفة اللَّه عز وجل في أرضه في تنفيذ أوامره .
- وقيل : إنه خليفة لقومٍ من الجن كانوا يسكنون الأرض قبله .
- وقيل : إنه خليفة لقوم من الملائكة كانوا يسكنون الأرض ، وأولى هذه الأقوال هو الأول لأنه لم يرد لنا نص من كتاب اللَّه أو من سنة رسول اللَّه ﷺ يفيد أن هناك جنًّا أو ملائكة كانوا يسكنون الأرض قبل آدم عليه السلام ، وإنما هي أخبار إسرائيلية[1]، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س : هل يجب نصب خليفة للناس ؟

ج : رأى أكثر العلماء وجوب نصبه ، وقال القرطبي رحمه اللَّه تعالى : ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم .. ، ثم قال رحمه اللَّه تعالى : ودليلنا قول اللَّه : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة: ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٣٢٢) من طريق علي بن محمد الطنافسي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد اللَّه بن عمرو قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث اللَّه جندًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فقال اللَّه تعالى للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ قال تعالى : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] ، والذي يظهر لي أن هذا من الإسرائيليات ، واللَّه تعالى أعلم .

خليفة في الأرض﴾ [ص : ٢٦] وقال : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ [النور : ٥٥] أي : يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآيات .

وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم : إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من كفار قريش ، ورووا لهم الخبر في ذلك فرجعوا وأطاعوا لقريشٍ ، فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها ، ولقال قائل : إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمرٍ غير واجب ، ثم إن الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة ولم يقل له أحد هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك ، فدلَّ على وجوبها وأنها ركنٌ من أركان الدين الذي به قوام المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

قلت : فتتلخص الأدلة على وجوب نصب الخليفة في الآتي .

● أولًا : إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك ، ومنهم الخلفاء الراشدون مع قول النبي ﷺ : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين »[1].

● ثانيًا : آيات يُستأنس بها مثل قوله تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ [ص : ٢٦] .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث ٤٦٠٧) ، وابن ماجه (حديث رقم٤٢) ، والترمذي (حديث ٢٦٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (١٢٦/٤) ، وابن أبي عاصم في السُّنة (حديث ٥٤ و ٥٥) ، والدارمي (٤٤/١ – ٤٥) ، وابن حبان (موارد الظمآن ١٠٢) ، والحاكم (٩٥/١ – ٩٦) وقال : هذا حديث صحيح ليس له علة .

● ثالثًا : حاجة الناس إلى الخليفة لإقامة فرائض الله عز وجل وحدوده وأمور الدين ومصالح العباد ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُختار الإمام ؟

ج : ذكر العلماء لذلك أمورًا منها :

● ورود نصٍّ عن رسول اللَّه ﷺ في تحديده .

● اكتمال خصال الإمامة فيه واختيار أهل الحل والعقد له .

● أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

● أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذٍ من شق عصا المسلمين وإراقه دمائهم .

❋ ❋ ❋

س : هل نص رسول اللَّه ﷺ على استخلاف أحدٍ بعده ؟

ج : لا نعلم نصًّا صريحًا عن رسول اللَّه ﷺ في هذا الباب .

● وقد احتج قوم لكون رسول اللَّه ﷺ أوصى لأبي بكر رضي اللَّه عنه بأدلة منها :

● قول النبي ﷺ : « مروا أبا بكر فليصل بالناس »[1] .

● قول النبي ﷺ للمرأة التي جاءت تسأله حاجة فقال لها : « ائتيني من

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨) ، ومسلم (حديث ٤٢٠) ، وأحمد (٤/٤١٢– ٤١٣) وغيرهم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال : مُروا أبا بكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس ، قال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » فعادت فقال : « مُري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف »، فأتاه الرسول[1] فصلى بالناس =

---

(١) يعني : الرسول الذي أرسله إليه رسول اللَّه ﷺ .

العام المقبل ، قالت : إن لم أجدك يا رسول اللَّه ؟ قال : « ائتي أبا بكر »[1] .

● قول النبي ﷺ لعائشة : « ادعي لي أباك وأخاك .. إني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن ويأبى اللَّه والمؤمنون إلا أبا بكر »[2] .

وكل هذه الأدلة ليست صريحة في استخلاف أبي بكر رضي اللَّه عنه .

● واحتج قوم لكون النبي ﷺ أوصى لعلي رضي اللَّه عنه بأدلة منها حديث : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه »[3] .

= في حياة النبي ﷺ .

● وأخرج البخاري (٦٧٩) ، ومسلم (٤١٨) من طرق عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : إن رسول اللَّه ﷺ قال في مرضه : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » قالت عائشة : قلت : إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمُر عمر فليصل للناس .... الحديث .

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٦٥٩) ، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه قال : أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدْك كأنها تقول الموت – قال ﷺ : « إن لم تجديني فأتي أبا بكر » .

(٢) أخرج البخاري (٥٦٦٦) ، ومسلم مختصرًا (٢٣٨٧) واللفظ للبخاري من طريق القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضي اللَّه عنها : وارأساه فقال رسول اللَّه ﷺ : « ذاكِ لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك » ، فقالت عائشة : واثكلياه ، واللَّه إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرِّسًا ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ : « بل أنا وارأساه لقد هممت – أو أردت – أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون » ، ثم قلت : يأبى اللَّه ويدفع المؤمنون أو يدفع اللَّه ويأبى المؤمنون .

وهذا الإسناد ظاهره الإرسال لكن له شاهد عند أحمد (٢٢٨/٦) ولمزيد بحث انظر كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة .

(٣) صحيح أخرجه أحمد (٣٦٦/٥) ، والنسائي في الخصائص (٨٣) وغيرهم ، وله جملة طرق انظرها في المسند للإمام أحمد (٨٤/١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢) والسنة لابن أبي عاصم (٦٠٤/٢) .

● وقول النبي ﷺ لعلي أيضًا : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى »[1] .

● وإرسال رسول اللّه ﷺ عليًّا بعد أبي بكر يؤذن في الناس ببراءة وكل هذه أيضًا ليست صريحة في استخلاف علي رضي اللّه عنه ، وأقواها من ناحية الاستدلال حديث : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » ، إلا أنه كان استخلافًا خاصًّا على المدينة لما خرج رسول اللّه ﷺ للغزو ، والنبي ﷺ استخلف على المدينة غيره أيضًا في غزوات أخر .

● والأمر على ما ذكره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قالوا له في مرض موته - بعد أن طُعن - : استخلف يا أمير المؤمنين ، قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني أبو بكر رضي الله عنه ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ[2] . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي شروط الإمامة (الإمامة العظمى للمسلمين) ؟

ج : ذكرها القرطبي رحمه الله تعالى فقال : وهي أحد عشر :

الأول : أن يكون من صميم قريش لقوله ﷺ : «الأئمة من قريش»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) ، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٨) ، وأحمد (١/١٨٢) وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) ومن المعلوم أن عمر رضي الله عنه لم ينص على أحد بعينه كخليفة من بعده ، ولكنه ترك الأمر شورى في ستة مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض : علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) صحيح بمجموع طرقه فله عدة طرق أشار إليها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (١٣/١٢٢) .

وقد اختلف في هذا[1] .

الثاني : أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيًا من قضاة المسلمين مجتهدًا لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث[2]، وهذا متفق عليه .

---

(١) تعقب الشنقيطي رحمه الله تعالى هذه الفقرة فقال (أضواء البيان ١/٦١) : الاختلاف الذي ذكره القرطبي في اشتراط كون الإمام قرشيًّا ضعيف ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على تقدم قريش في الإمامة على غيرهم وأطبق عليه جماهير العلماء من المسلمين ، وحكى غير واحدٍ عليه الإجماع ، ودعوى الإجماع تحتاج إلى تأويل ما أخرجه الإمام أحمد عن عمر بسندٍ رجاله ثقات أنه قال : (إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته) فذكر الحديث ، وفيه : (فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل) ومعلوم أن معاذًا غير قرشي ، وتأويله بدعوى انعقاد الإجماع بعد عمر أو تغيير رأيه إلى موافقة الجمهور ، فاشتراط كونه قرشيًّا هو الحق .

لكن النصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم في الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله ، فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع الله تعالى وينفذ أوامره أولى منهم ، فمن الأدلة الدالة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه قال : (باب الأمراء من قريش) حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يُحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفدٍ من قريش أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك قحطان فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه قد بلغني أن رجالًا منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ[1] وأولئك جهالكم ، فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين »[2] .

(٢) هذا مما لا أعلم دليلًا عليه ، وقد كان أمير المؤمنين عمر ، وقبله أبو بكر رضي الله عنهما يسألان الصحابة كثيرًا عن كثير من المسائل التي تعرض لهما ، والله أعلم .

---

(١) قلت : بل هذا الحديث مأثور عن رسول الله ﷺ وهو في الصحيح : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » ، وانظره في كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٩) .

الثالث : أن يكون ذا خبرة[1] ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسدِّ الثغور وحماية البيضة وردع الأمة والانتقام من الظالم والأخذ للمظلوم .

الرابع : أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأبشار ، والدليل على هذا كله إجماع الصحابة رضي الله عنهم لأنه لا خلاف بينهم أنه لا بد من أن يكون ذلك كله مجتمعًا فيه ، ولأنه هو الذي يولي القضاة والحكام وله أن يباشر الفصل والحكم ويتفحص أمور خلفائه وقضاته ، ولن يصلح لذلك كله إلا من كان عالمًا بذلك كله قيمًا به ، والله أعلم .

الخامس : أن يكون حرًّا[2] ولا خفاء باشتراط حرية الإمام ، وإسلامه وهو **السادس** .

---

(١) إلا أنه يجوز في هذا الجانب إمامة المفضول على الفاضل فقد كان عمر رضي الله عنه إمامًا وفي القوم من هو أعلم بتدبير أمور الحرب منه كخالد وأبي عبيدة رضي الله عنهما وغيرهم من الصحابة .

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (أضواء البيان ١/٦٥) : من شروط الإمام كونه حرًّا فلا يجوز أن يكون عبدًا ولا خلاف في هذا بين العلماء فإن قيل : ورد في الصحيح ما يدل على جواز إمامة العبد فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) ، ولمسلم من حديث أم الحصين : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله » ، ولمسلم أيضًا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي أن أطيع وأسمع وإن كان عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف ، فالجواب من أوجه :

الأول : أنه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود ، فإطلاق العبد الحبشي لأجل المبالغة في الأمر بالطاعة ، وإن كان لا يتصور شرعًا أن يلي ذلك ، ذكر ابن حجر هذا الجواب عن الخطابي ، ويشبه هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد =

السابع : أن يكون ذكرًا[1] سليم الأعضاء وهو الثامن .

التاسع والعاشر : أن يكون بالغًا عاقلًا ، ولا خلاف في ذلك .

الحادي عشر : أن يكون عدلًا[2] لأنه لا خلاف بين الأمة في أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق ، ويجب أن يكون أفضلهم في العلم[3] .

* * *

= فأنا أول العابدين ﴾ [الزخرف : ٨١] على أحد التفسيرات .

الوجه الثاني : أن المراد باستعمال العبد الحبشي أن يكون مُؤمَّرًا من جهة الإمام الأعظم على بعض البلاد ، وهو أظهرها فليس هو الإمام الأعظم .

الوجه الثالث : أن يكون أطلق علية اسم العبد نظرًا لاتصافه بذلك سابقًا مع أنه وقت التولية حرٌّ ، ونظيره إطلاق اليتيم على البالغ باعتبار اتصافه به سابقًا في قوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ [النساء : ٢] وهذا كله فيما يكون بطريق الاختيار ، أما لو تغلب عبدٌ حقيقة بالقوة فإن طاعته تجب إخمادًا للفتنة وصونًا للدماء ما لم يأمر بمعصية كما تقدمت الإشارة إليه ، والمراد بالزبيبة في هذا الحديث واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جفَّ ، والمقصود من التشبيه التحقير وتقبيح الصورة لأن السمع والطاعة إذا وجبا لمن كان كذلك دل ذلك على الوجوب على كل حال إلا في المعصية كما يأتي ، ويشبه قوله ﷺ : « كأنه زبيبة » قول الشاعر يهجو شخصًا أسود :

دنس الثياب كأن فروة رأسه ... غرست فأنبتت جانباها فلفلا

(١) لقول النبي ﷺ : « لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

(٢) لقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

(٣) لقوله تعالى في شأن طالوت : ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

س : إذا طرأ على الإمام فسق هل يُخرج عليه ؟

ج : الراجح من أقوال أهل العلم أنه لا يُخرج عليه إلا إذا رؤي عليه كفرٌ بواح فيه من الله عندنا برهان ، وقد أوجز الشنقيطي رحمه الله القول في هذا أجمل إيجاز وأحسنه فقال في أضواء البيان(١) :

إذا طرأ على الإمام الأعظم فسق أو دعوة إلى بدعة . هل يكون ذلك سببًا لعزله والقيام عليه أو لا ؟

قال بعض العلماء : إذا صار فاسقًا أو داعيًا إلى بدعة جاز القيام عليه لخلعه ، والتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا يجوز القيام عليه لخلعه إلا إذا ارتكب كفرًا بواحًا عليه من الله برهان .

فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . قال : « إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان » .

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » قال : قلنا : يا رسول الله : أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة . إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله تعالى ولا ينزعن يدًا من طاعة »(٢) .

وفي صحيح مسلم أيضًا : من حديث أم سلمة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برىء ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع » . قالوا : يا رسول الله أفلا

---

(١) أضواء البيان (٦٧/١) .

(٢) أخرجه مسلم (ص١٨٤٢) وعنده: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة».

نقاتلهم ؟ قال : « لا ما صلوا » . أخرجه مسلم (١٨٥٤) .

وأخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر ؛ فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية » . أخرجه البخاري (٧٠٥٣)[١] ، ومسلم (ص١٤٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[٢] .

والأحاديث في هذا كثيرة . فهذه النصوص تدل على منع القيام عليه ، ولو كان مرتكبًا لما لا يجوز ، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أنه كفر بواح ، أي : ظاهر بادٍ لا لبس فيه .

وقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة ، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك . ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فأبطل المحنة ، وأمر بإظهار السنة .

واعلم أنه أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى . وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها ولا مطعن . كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا

---

(١) ولفظه في المصدر المشار إليه : « من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهلية » .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

سمع ولا طاعة »[1] أخرجه الشيخان وأبو داود .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في السرية الذين أمرهم أميرهم أن يدخلوا في النار : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا ؛ إنما الطاعة في المعروف »[2] . وفي الكتاب العزيز : ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

***

س : هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل عن الآخر ؟

ج : أيضًا أجمل الشنقيطي القول فقال[3] :

هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل دون الآخر ؟ . في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : قول الكرامية بجواز ذلك مطلقًا محتجين بأن عليًا ومعاوية كانا إمامين واجبي الطاعة كلاهما على من معه . وبأن ذلك يؤدي إلى كون كل واحد منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه .

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٢) ، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١٤٥) ، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه وفيه أنه قال : بعث النبي ﷺ سرية وأمَّر عليهم رجلًا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبًا ثم أوقدوا نارًا فلما هموا بالدخول فقاموا بعضهم ينظر إلى بعض فقال بعضهم : إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها ؟! فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي ﷺ فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف » .

(٣) أضواء البيان (٦٩/١) .

وبأنه لما جاز بعث نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك إلى إبطال النبوة كانت الإمامة أولى .

القول الثاني : قول جماهير العلماء من المسلمين : إنه لا يجوز تعدد الإمام الأعظم ، بل يجب كونه واحدًا ، وأن لا يتولى على قطر من الأقطار إلا أمراؤه المولون من قبله ، محتجين بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما »[1] .

ولمسلم أيضًا : من حديث عرفجة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه »[2] .

وفي رواية : « فاضربوه بالسيف كائنًا من كان » .

ولمسلم أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » ، ثم قال : سمعته أذناي من رسول الله ﷺ ووعاه قلبي[3] .

وأبطلوا احتجاج الكرامية بأن معاوية أيام نزاعه مع علي لم يدع الإمامة لنفسه ، وإنما ادعى ولاية الشام بتولية من قبله من الأئمة . ويدل لذلك :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (ص١٤٨٠) في طرق حديث (١٨٥٢) .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٨٤٤) .

إجماع الأمة في عصرهما على أن الإمام أحدهما فقط لا كل منهما .

وأن الاستدلال بكون كل منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه ، وبجواز بعث نبيين في وقت واحد ، يرده قوله ﷺ : « فاقتلوا الآخر منهما » ولأن نصب خليفتين يؤدي إلى الشقاق وحدوث الفتن .

القول الثالث : التفصيل فيمنع نصب إمامين في البلد الواحد والبلاد المتقاربة ، ويجوز في الأقطار المتنائية كالأندلس وخراسان .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه : لكن إن تباعدت الأقطار وتباينت كالأندلس وخراسان ، جاز ذلك على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . انتهى منه بلفظه .

والمشار إليه في كلامه: نصب خليفتين. وممن قال بجواز ذلك: الأستاذ أبو إسحاق كما نقله عنه إمام الحرمين . ونقله عنه ابن كثير والقرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة .

وقال ابن كثير : قلت : وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق ، والفاطميين بمصر ، والأمويين بالمغرب .

❋ ❋ ❋

س : من الذي أعلم الملائكة أن هناك من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء حتى سألوا سؤالهم هذا ﴿أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠]؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة منها :

● أن الله تعالى أعلمهم أن من ذرية هذا الخليفة من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء .

● الثاني: أن قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠]. سؤال محض للاستفسار[١] (أي : هل سيفسد فيها ويسفك الدماء ؟) .

---

(١) وهو اختيار الطبري رحمه الله تعالى ، فاختار رحمه الله أن ذلك من الملائكة استخبار =

● الثالث : أنهم توقعوا أن هذا الذي سيستخلف في الأرض قد يُفسد فيها ويسفك الدماء .

● الرابع : – على رأي من اعتمد الأخبار الإسرائيلية في هذا المقام – أنهم علموا من حال من كان يسكن الأرض أنه أفسد فيها وسفك الدماء فقالوا : هذا يتوقع منه ما كان من سالفه ، والله أعلم .

***

س : في قول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] عطفٌ لخاصٍّ على عام وضحه وبين سبب هذا العطف ؟

ج : إيضاحه أن الإفساد في الأرض عام يدخل فيه المعاصي والكبائر وغير ذلك وأحد أفراد ذلك سفك الدماء فهو خاص (أي : سفك الدماء) فعطف سفك الدماء (الذي هو نوع خاص من المعاصي والكبائر) على الإفساد

= لربها بمعنى : أعلمنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض من هذه صفته ، وتارك أن تجعل خلفاءك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل ، وإن كانت قد استعظمت لما أُخبرت بذلك أن يكون لله خلق يعصيه ، والله أعلم .

وأورد الرازي رحمه الله تعالى في المقصود من سؤال الملائكة أمورًا فذكر عددًا وقال : وسابعها : قال القفال : يحتمل أن الله تعالى لما أخبرهم أنه يجعل في الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها ، أي : ستفعل ذلك فهو إيجاب خرج مخرج الاستفهام ، قال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أي : أنتم كذلك ، ولو كان استفهامًا لم يكن مدحًا ، ثم قالت الملائكة : إنك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك ونقدس لما أنا نعلم أنك لا تفعل إلا الصواب والحكمة فلما قالوا ذلك قال الله تعالى لهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠] كأنه قال والله أعلم نعم ما فعلتم حيث لم تجعلوا ذلك قادحًا في حكمتي فإني أعلم ما لا تعلمون ، فأنتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل ، وما علمتم باطنهم ، وأنا أعلم ظاهرهم وباطنهم فأعلم من بواطنهم أسرارًا خفية وحكمًا بالغة تقتضي خلقهم وإيجادهم .

في الأرض الذي هو عام ، أما لماذا عطف هذا الخاص على ذلك العام فلبيان خطورة سفك الدماء وحرمة القتل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل في قول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] تزكية[1] منهم لأنفسهم ؟

ج : الذي يظهر – والله تعالى أعلم – أنهم قدموا هذا مع سؤالهم إذعانًا منهم لربهم عز وجل فكأنهم قالوا نحن لسنا معترضين على فعلك يا ربنا ولسنا محيطين بعلمك فها نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فأخبرنا يا ربنا هل سيفسد هذا الخليفة فيها ويسفك الدماء ؟ فهم طلبوا من ربهم عز وجل بيان الحكمة لهم من الخليفة في الأرض ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى التسبيح ؟ وما المراد بقول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : أما معنى التسبيح فهو التنزيه وهو مشتق من الجري

---

(١) من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢] ، ولكن تجوز تزكية النفس أحيانًا إذا كان هناك أمرٌ يحتاج إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿ فأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ١١] ، وقال يوسف عليه السلام : ﴿ إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : ٥٥] ، وقال النبي ﷺ للأنصار : « ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ... » الحديث ، وأثنى رسول الله ﷺ على عددٍ كبير جدًّا من الصحابة وزكاهم ، انظر ذلك في كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة . وسيأتي إن شاء الله لهذا مزيدٌ من الفقه في أبوابه ، وبالله التوفيق .

والذهاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن لك في النهار سبحًا طويلًا ﴾ [المزمل : ٧] ، فالمسبح جارٍ في تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه والتبرئة له من ذلك كما قال أعشى بني ثعلبة .

أقول لمَّا جاءني فخـرُه سبحان من علقمة الفاخِرِ

يريد : سبحان الله من فخر علقمة أي : تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار . على وجه النكير منه لذلك[1] .

● **وقال الماوردي في التفسير** (النكت والعيون ١/٩٦) : والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم - ثم ذكر بيت شعر الأعشى ، وقال :

ولا يجوز أن يُسبح غير الله وإن كان منزهًا لأنه صار علمًا في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا الله تعالى .

وقال ابن عطية : (ومعنى نسبح بحمدك) : ننزهك عما لا يليق بك وبصفاتك .

● **أما المراد بقول الملائكة : ﴿ نحن نسبح بحمدك ﴾** [البقرة : ٣٠] فلأهل العلم فيه أقوال منها :

الأول : أننا نخلط التسبيح بالحمد ونصله به .

الثاني : أن كلمة (بحمدك) اعتراضية بين كلامين فكأنهم قالوا ،

---

(١) الطبري (١/٤٧٤) .

ونحن نسبح ونقدس ثم اعترضوا على جهة التسليم أي : وأنت المحمود في الهداية على ذلك قاله ابن عطية في المحرر .

قلت : أي أن معنى الكلام – والله أعلم – أننا نسبح وتسبيحنا هذا إنما هو فضلٌ منك تفضلت به علينا إذ وفقتنا له وأعنتنا عليه وألهمتنا إياه فأنت المحمود على هدايتك وإلهامك .

وهذه الآية قريبة الشبه من قوله تعالى : ﴿ فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ [الطور : ٢٩] يعني – والله أعلم – : أنك من فضل الله عليك لست بالكاهن ولا بالمجنون ، وهذه من نعمة ربك عليك أن جنبك الكهانة والجنون ، والله أعلم .

الثالث : أن معنى قول الملائكة : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ﴾ ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك .

الرابع : أننا نعظمك بالحمد لك والشكر لك .

الخامس : أننا نقول : سبحانك وبحمدك أو سبحان الله والحمد لله أو سبحان الله وبحمده .

السادس : نصلي لك . والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال :

الأول : نعظمك ونمجدك .

الثاني : نطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون ، وقيل : نطهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك (هذا على قول من قال : نقدس

لك أي : نتطهر لك ، والقول المتقدم على قول من قال : نقدس لك أي : نقدسك) فالمقدس هو المطهر ، ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ [المائدة : ٢١] أي المطهرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ [طه : ١٢] وبيت المقدس الذي يتقدس فيه من الذنوب أي : يتطهر .

الثالث : نقدس لك أي : نصلي لك ، وأشهر الأقوال هو القول الثاني ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل (سبحان الله وبحمده) ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول رسول الله ﷺ لأبي ذر : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله » قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال : «إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده »[(١)] .

● ومنها حديث رسول الله ﷺ : « من قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »[(٢)] .

● ومنها قول النبي ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »[(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ج١٧/ص٤٨) .
(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٠٦/١١) ومسلم (مع النووي ١٧/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .
(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٣٧/١٣) ، ومسلم (١٩/١٧) من حديث =

● ومنها قول عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »(١) . إلى غير ذلك من الأحاديث والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : علام يحمل قوله تعالى : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة: ٣٠] في هذا المقام ؟

ج : يُحمل – والله تعالى أعلم – على أنه سبحانه وتعالى يعلم هل كل الملائكة صالحون كما قالوا : ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة: ٣٠]؟ أم فيهم من هو عاص حاسد لا يعلمونه والله يعلمه ويعلم كذلك هل هذا الخليفة الذي سيجعله في الأرض يكون سفاكًا للدماء أم أنه عابد ومطيع ، وكما أن من ذريته من يسفك الدماء فمنهم أيضًا أتقياء علماء أنبياء ، وكل هذا كان لا يخفى على الملائكة عليهم السلام فظهر منهم إبليس المعترض على أمر الله العاصي الحاسد الكذاب المتكبر وظهر من ذرية آدم – غير المفسدين – قوم أتقياء صالحون(٢) ، والله تعالى أعلم .

= أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٢٨١) ، ومسلم (مع النووي ٤/٢٠١) ، وغيرهما .

(٢) تنبيه : ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى في الحديث القدسي لملائكته (الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر) : « كيف تركتم عبادي فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يصلون » توبيخ لمن قال منهم : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] وأقول ، وبالله التوفيق : إن هذا إلى المباهاة أقرب منه إلى التوبيخ ، والملائكة لما سألها ربها عن أسماء المسميات قالوا : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [البقرة : ٣٢] ، ففيه إنابتهم إلى الله عز وجل ، والله هو الغفور الودود . وقد جاءت نصوص عدة عن رسول الله ﷺ في مباهاة الرب عز وجل ملائكته بعباده الصالحين والذاكرين فعليه فليحمل هذا الحديث ، والله أعلم .

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أنبئوني – سبحانك – تبدون ؟

ج :

الكلمة	معناها
أنبئوني	أخبروني
سبحانك	تنزيهًا لك من أن نعلم شيئًا غير ما علمتنا(١)
تبدون	تُظهرون وتُعلنون

(١) قال الزجاج : ولا نعلم اختلافًا بين أهل اللغة أن التسبيح هو التنزيه عن كل سوء (نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير) .

س : لماذا سُمي آدم بآدم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ - أن الله عز جل هو الذي سماه بذلك ولا حاجة بنا إلى تعليل التسمية .

٢ - أنه سُمِّي آدم ؛ لأنه خلق من أديم الأرض وهو وجهها[١] .

٣ - أن آدم من الأُدمة وهي السُّمرة .

***

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في خلق آدم ﷺ ؟

ج : من هذه الأحاديث قول رسول الله ﷺ : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له : اذهب فسلِّم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فزادوه رحمة الله قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن »[٢] .

وأخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما صوَّر الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به وينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لم يتمالك »[٣] .

---

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله . وقد صح عن سعيد بن جبير (كما عند الطبري ٦٤٢ ، ٦٤٣) أنه قال : إنما سُمِّي آدم ؛ لأنه خلق من أديم الأرض .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦) ، ومسلم (٢٨٤١) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٦١٠) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[(١)] .

• وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك »[(٢)] وتقدمت الإشارة إلى حديث « خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه .. »[(٣)] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦) ، ويعني بقوله مما وصف لكم أي : ومما وصف لنا في كتاب الله عز وجل وقد وصف آدم عليه السلام أنه خلق من تراب ،ووصف أنه خلق من طين ومن طين لازب ، ومن عجل ، ومن صلصال من حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار ، ويأتي توجيه هذا في بابه وقد ذكر بعض العلماء أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب الأرض وبلها بالماء فصارت طينًا ثم مرت عليها مدة حتى تحجرت فصارت صلصالًا لأن الصلصال هو الطينْ المتحجر لأن الطين إذا طبخ بالنار سُمي فخارًا ، وإذا لم يطبخ بالنار لكن ترك حتى تحجر يسمى صلصالًا ، فقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ [الرحمن : ١٤] أي : من طين تحجر حتى أصبح شبيهًا بالفخار وهو المطبوخ بالنار في تحجره وصلصلته إن قلنا : إنه من صلصل بمعنى صوت ، وإن قلنا : إنه من صلَّ بمعنى تغير فإن الطين إذا مضت عليه مدة انتن واسود فيصير حمأ مسنونًا أي : أسود متغيرًا له رائحة خاصة فإذا يبس وتحجر صار كالفخار والطين اللازب هو اللاصق ، ويُقال أيضًا : لزب الطين إذا صلب .

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٠٠ ، ٤٠٦) ، وأبو داود (في السنة باب في القدر حديث ٤٦٩٣) والترمذي في التفسير سورة البقرة (٢٩٥٥) ، والحاكم (٢/٢٦١ ، ٢٦٢) ، وغيرهم .

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (٣٢٢) ، وأحمد (٣/١١٦) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا . =

س : في أي يوم خلق آدم ﷺ ؟ وهل خلق داخل الجنة أم خارجها ؟

ج : خلق آدم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة وخلق خارج الجنة ثم

= تنبيه : في هذه الأحاديث وخاصة أولها - وهو خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] وفي قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ﴾ [الإسراء : ٧٠] وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ [الانفطار : ٦ - ٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب ما يقطع بكذب الأفاك الأثيم والمجرم اللعين والملحد المبين المسمى بـ (داروين) ويبطل نظريته الباطلة الإلحادية في (التطور والارتقاء) التي يزعم فيها أن الإنسان أصله قرد !!! وقد ذهبت - والحمد لله - نظريته أدراج الرياح وكانت هباءً منثورًا بشهادة الملاحدة من أمثاله فضلًا عن أهل الصلاح ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم فرعون اللعين ، والطاغية أبا لهب ما ذكرنا شيئًا عن هذا الأفاك الأثيم (داروين) ولا أضعنا هذه السطور في شأنه ، فلعنة الله على الظالمين تصبح معهم وعليهم حيث أصبحوا وتُمسي عليهم حيث أمسوا ، وتقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون ، في الحياة الدنيا ملعونين وفي القبور معذبين ويوم القيامة هم من المقبوحين .

ورحمة الله وبركاته على أهل الإسلام والإيمان وأهل التقى والرشاد فسلام الله على هؤلاء العباد المصطفين الأخيار المتقين الأبرار ، جعل الله حياتهم زيادة في فضائل أعمالهم وأنار الله بهم البلاد وأوضح بهم سبل الرشاد للعباد ، وأفسح الله لهم في قبورهم ونورها لهم وأسكنهم الله في الآخرة الغرف وأظلهم بالظلل وكساهم الحلل وأعطاهم ما تقر به الأعين وتلذ وتشتهيه الأنفس وتود .

سلام الله على كل من ذبَّ عن دينه ودافع وتمسك بكتاب ربه واستعصم به وعنه نافح ، سلام الله عليهم في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

أُدخل فيها يدل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة وفيه أُخرج منها »[1] والله أعلم .

***

س : ما هي الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم عليه السلام ؟

ج : أمثل الأقوال[2] في ذلك - والله أعلم - أنها أسماء الأشياء كلها فيدخل فيها أسماء الملائكة وأسماء النبيين وأسماء ذرية آدم وأسماء البحار والأشجار والأحجار والأواني والقدور وسائر أسماء الأشياء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] وقول الناس لآدم عليه السلام حينما يذهبون للاستشفاع به : « .. خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء ».

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي علمه الله لآدم عليه السلام هو أسماء الملائكة وأسماء ذريته فقط محتجًّا باحتجاج لغوي وهو الضمير في قوله تعالى :﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ [البقرة : ٣١] فقالوا : إن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة ، وضعف هذا القول آخرون وقولهم الراجح لعموم قوله تعالى : ﴿ الأسماء كلها ﴾ .

● وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المراد بالأسماء كلها ما لا غنى لآدم عنه مما يحتاج إلى معرفته وذهب إلى أن ﴿ كلها ﴾ في هذا الموطن كما في قوله تعالى : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : ٢٥][1] وكما في قوله تعالى :﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣][2] ، وهذا التقييد لا وجه له هنا ، والأولى ما ذكرناه أعلاه ، والله أعلم .

---

(١) وهي الريح التي أرسلت على قوم عاد .

(٢) وهي ملكة سبأ .

س : من هو أول من تكلم بالعربية ؟

ج : قال بعض أهل العلم هو آدم ﷺ ، وعللّوا ذلك بأن الله عز وجل قال : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] وقال النبي ﷺ في حديث الشفاعة : « وعلمك أسماء كل شيء » الحديث وقد تقدم ، والله أعلم .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ [البقرة : ٣١] عرض ماذا ؟

ج : عرض المسميات (أي الأشياء التي علم آدم أسماءها) .

* * *

س : قال الله تعالى : ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٣١] صادقين في ماذا ؟

ج : قيل : صادقين في دعواكم أن الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء والله أعلم .

* * *

س : في قول الملائكة : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ [البقرة : ٣٢] أدب للعالم ولطالب العلم ، وضح ذلك ؟

ج : هذا الأدب الجليل المأخوذ من هذه الآية الكريمة هو أن الواجب على من سئل عن شيء لا يعلمه أن يكل العلم إلى الله سبحانه وتعالى ويمسك عن القول بغير علم فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ ولا تقف ما ليس

لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

● وعتب الله عز وجل على موسى عليه السلام لما سئل عن أعلم أهل الأرض فقال : أنا فقال الله عز وجل :« بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك »[1] .

● وقال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

● وقال الله عز وجل لنوح عليه السلام لما قال : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ [هود : ٤٥] قال سبحانه : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [هود : ٤٦،٤٧] .

● ولما سئل النبي ﷺ (أي البقاع خير ؟) قال : « لا أدري حتى أسأل »[2] ... الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه أحمد (٨١/٤) ، بإسناد فيه عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أي البلدان شر ؟ قال : « لا أدري » فلما أتاه جبريل عليه السلام قال:« أي البلدان شر ؟ قال : لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل فانطلق جبريل عليه السلام ... » فذكر الحديث وفيه وإني سألت ربي عز وجل فقال « أسواقها » .

وله شاهد عند الحاكم (٧/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا فالحديث =

● وكان أصحاب النبي ﷺ يُسألون مرارًا من رسول الله ﷺ فيقولون : الله ورسوله أعلم[1] .

= حسن بمجموع طريقيه والله أعلم .

هذا وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها » .

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى قولًا جيدًا في هذا الباب ننقله لما فيه من الفائدة قال رحمه الله (١/٢٨٥ - ٢٨٧) :

الثانية : الواجب على مَن سُئل عن علم أن يقول إن لم يعلم : الله أعلم ، ولا أدري ، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء ، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم ؛ فيبقى ناس جُهال يُستفتون فيفتون برأيهم فَيَضِلُّون وَيُضِلُّون . وأما ما ورد من الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فروى البُستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ : أي البقاع شر ؟ قال : « لا أدري حتى أسأل جبريل » فسأل جبريل ؛ فقال : لا أدري حتى أسأل ميكائيل ؛ فجاء فقال : « خير البقاع المساجد ، وشرها الأسواق » . وقال الصِّديق للجدة : ارجعي حتى أسأل الناس . وكان علي يقول : وأبردها على الكبد ؛ ثلاث مرات . قالوا : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يُسئل الرجلُ عما لا يعلم فيقول : الله أعلم . وسأل ابن عمر رجل عن مسئلة فقال : لا علم لي بها ؛ فلما أدبر الرجل . قال ابن عمر : نعم ما قال ابن عمر سُئل عما لا يعلم فقال : لا علم لي به ! ذكره الدارمي في مسنده . وفي صحيح مسلم عن أبي عقيل يحيى ابن المتوكل صاحب بُهَيَّةَ[1] قال : كنت جالسًا عند القاسم بن عبيد الله ويحيى بن سعيد ، فقال يحيى للقاسم : يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن يُسأل عن شيء من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه عِلم ولا فرج ، أو عِلم ولا مخرج ؟ فقال له القاسم : وعم ذاك ؟ قال : لأنك ابن إمَامَيْ هُدى : ابن أبي بكر وعمر[2] . قال يقول =

---

(١) بهية (بالتصغير) : مولاة أبي بكر رضي الله عنه ، تروي عن عائشة . وروى عنها أبو عقيل المذكور .

(٢) القاسم هذا ، هو ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وأم القاسم هي أم عبد الله بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأبو بكر جدُّه الأعلى لأمه ، وعمر جدُّه الأعلى لأبيه ، وابن عمر جدُّه الحقيقي لأبيه . رضي الله عنهم أجمعين (عن شرح النووي على صحيح مسلم) .

= له القاسم : أقبح من ذاك عند مَن عقَل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة . فسكت فما أجابه . وقال : مالك بن أنس : سمعت ابن هُرْمُز يقول : ينبغي للعالم أن يُوَرث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلًا في أيديهم ؛ فإذا سُئل أحدهم عما لا يدري قال : لا أدري . وذكر الهَيْثَم بن جميل قال : شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري .

قلت : ومثلُه كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين ، وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسةُ وعدم الإنصاف في العلم . قال ابن عبد البر : من بركة العلم وآدابه الإنصافُ فيه ، ومن لم يُنصف لم يفهم و لم يتفهم . روى يونس بن عبد الأعلى قال : سمعت ابن وَهْب يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف .

قلت : هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام ! وطُلب فيه العلم للرياسة لا للدِّراية ، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يُقسي القلب ويُورث الضغن ؛ وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى . أين هذا مما رُوي عن عمر رضي الله عنه وقد قال : لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أُوقيَّة ولو كانت بنت ذي العَصَبة – يعني : يزيد بن الحُصيْن الحارثي – فمن زاد أُلقيت زيادته في بيت المال ، فقامت امرأة من صَوْب النساء طويلة فيها فَطَس[1] فقالت : ما ذلك لك ! قال : و لم ؟ قالت : لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَآتَيتم إحْداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا ﴾ [النساء : ٢٠] فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ ! وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال : سأل رجل عليًّا رضي الله عنه عن مسئلة فقال فيها ؛ فقال الرجل : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا ؛ فقال عليٌّ : أصبتَ وأخطأتُ ، وفوق كل ذي عِلْمٍ عليم . وذكر أبو محمد قاسم بن أَصبغَ قال : لما رحلت إلى المشرق نزلت القَيْروان فأخذت على بكر بن حماد حديثَ مُسدد ، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس ، فلما انصرفت عدتُ إليه لتمام حديث مسدد ، فقرأت عليه فيه يومًا حديث النبي ﷺ : أنه قدم =

(١) الفطس (بالتحريك) : انخفاض قصبة الأنف وتطامنها وانتشارها .
قاله المعلق على القرطبي .

س : على المسلم أن يتواضع لله عز وجل ويشكره على ما منَّ به من علم ، فالعلم الذي هو فيه إنما هو بتعليم الله عز وجل إياه ، اذكر أدلة توضح أن المُعَلَّم من علمه الله ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ وعلَّم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] .

= عليه قوم من مُضَرَ مِن مُجتابي[١] النمار ، فقال : إنما هو مجتابي النمار فقلت : إنما هو مُجتابي النمار ؛ هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق ، فقال لي : بدخولك العراق تُعارضنا وتفخر علينا ! أو نحو هذا . ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك الشيخ – لشيخ كان في المسجد – فإن له بمثل هذا علمًا ، فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال : إنما هو مُجتابي النمار ، كما قلت . وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة[٢] ، جيوبهُم أمامَهم . والنمار جمع نمرة[٣] . فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه : رَغِم أنفي للحق ، رَغم أنفي للحق . وانصرف . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأحسن :

إذا ما تحدثتُ في مجلس ... تناهى حديثي إلى ما عَلمتُ
ولم أَعْدُ علمي إلى غيره ... وكان إذا ما تناهى سَكتُّ

الثانية – قوله تعالى : ﴿ سُبْحانكَ ﴾ [البقرة : ٣٢] « سبحان » منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه ، يؤدى عن معنى نُسَبحك تسبيحًا . وقال الكسائيّ : هو منصوب على أنه نداء مضاف . و ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] فعيل للمبالغة والتكثير في المعلومات في خلق الله تعالى . و ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] معناه : الحاكم ، وبينهما مزيد المبالغة . وقيل : معناه المُحكم ويجيء الحكيم على هذا من صفات الفعل ، صُرف عن مُفْعِل إلى فَعِيل ، كما صُرف عن مُسْمِع إلى سَميع ومُؤلمِ إلى أليم .

---

(١) مجتابي النمار ؛ أي : لابسها . يقال : اجتبت القميص والظلام : دخلت فيهما .
(٢) مشققة : مخططة .
(٣) وهي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب ؛ كأنما أخذت من لون النمر .

● قوله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ [النساء : ١١٣] .

● قول الله تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ [الإسراء : ٨٦] .

● قوله تعالى : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

● قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاَ تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ [النحل : ٧٨] .

● قوله تعالى : ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ [الأنعام : ٩١] .

● قوله تعالى : ﴿ الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [القلم : ٤ ، ٥] .

● قوله تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن ﴾ [الرحمن : ١ ، ٢] .

● قوله سبحانه : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● دعاء النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل »[١] .

● وقوله تعالى : ﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٢٨/١ ، ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٣٥) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٢ ، ١٢٢٧٣) ، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن .

● وقول الخضر عليه السلام لموسى : « يا موسى إني على علمٍ من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه »(١) .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ العليم الحكيم ﴾ [البقرة : ٣٢] ؟

ج : أما العليم فهو مَن قد كمل في علمه ، والحكيم هو مَن قد كمل في حكمه ، هذا قول ، وأصل الإحكام المنع ، والحكمة هي التي تمنع صاحبها من الجهل ، وأحكم الشيء إذا أتقنه ، والحَكَمَة هي التي تمنع الفرس من الجري على غير قصدٍ ، فالحكيم يطلق على المانع من الفساد ، ومنه قول جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكيم في الآية الكريمة – والله أعلم – هو الذي يفعل الشيء لحكمة أو لعلة ، والله أعلم . والحكمة أيضًا هي وضع الشيء في موضعه .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ... ﴾ [البقرة : ٣٣] دليل على فضل العلم وأهله وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه – والله أعلم – أن الله عز وجل أظهر فضيلة آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم الذي آتاه الله إياه(٢).

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠) وغيرهم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : أي : تخضع وتتواضع ، وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عيال الله ؛ لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام فتأدبت بذلك =

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم وحملته ؟

ج : هي آيات وأحاديث في غاية الكثرة ، نقتصر منها على الآتي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة : ١١] .

● قول الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] .

● قول الله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

● قول الله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أُنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [الرعد : ١٩] .

● قول الله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

● قوله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

● قول يوسف عليه السلام مثنيًا على الله عز وجل بنعمه : ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ [يوسف : ١٠١]

= الأدب ، فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت إعظامًا للعلم وأهله ورضي منهم بالطلب له والشغل به ، هذا في الطلاب فكيف بالأحبار فيهم ، والربانيين منهم ، جعلنا الله منهم وفيهم إنه ذو فضل عظيم .

● قال الطيبي (كما نقل عنه صديق حسن خان في فتح البيان) : أفادت هذه الآية علم اللغة فوق التخلي بالعبادة فكيف بعلم الشريعة .

ولا يخفى على اللبيب أن جمال يوسف عليه السلام كان سببًا في سجنه ، وعلمه كان سببًا في إخراجه من السجن وجعله عزيزًا وقد تجشم موسى عليه السلام الصعاب والمشاق لما أخبره الله عز وجل بأن الخضر هو أعلم منه فسأل موسى عليه السلام ربه السبيل إلى لُقيه على ما ورد في قصتهما عليهما السلام .

● وقال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨] ، فقرن الله سبحانه شهادة أولي العلم مع شهادته سبحانه وتعالى .

● وقد أباح الله سبحانه وتعالى صيد الكلاب المعلمة والصقور المعلَّمة ، فقال تعالى : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلبين ﴾ [المائدة : ٤] .

● أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها :

● قوله عليه السلام : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين »[١] .

● قوله عليه الصلاة والسلام : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٢] .

● قوله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره »[٣] .

● وقوله عليه السلام : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح٩/٧٤) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) صحيح متواتر ، وسيأتي الحديث عليه إن شاء الله .

(٤) أخرجه أبو داود (٢/١٥٣) ، والترمذي (٨/٢٣٢) ، وأحمد (٢/١٩٢) وغيرهم بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين »[1] .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمنٍ كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، **ومن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده** ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[2] .

● وقال النبي ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها »[3] .

● وقال رسول الله ﷺ : « إن لله عز وجل أهلين من الناس » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨١٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا .
(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٢١/١٧) .
(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦٥/٩) ، ومسلم (مع النووي ٨٣/٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .
(٤) أخرجه أحمد (١٢٧/٣) من حديث أنس رضي الله عنه بإسناد حسنٍ مرفوعًا ، والله تعالى أعلم .

س : ما هو الذي أبدوه وما هو الذي كتموه في قوله تعالى : ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة : ٣٣] ؟

ج : بعض العلماء يقولون : هذا عام ، فالله سبحانه وتعالى يعلم جميع ما يبدونه وما يكتمونه ، يعلم – سبحانه – ظواهرهم وبواطنهم ، يعلم ذلك أجمع ولا يخفى على الله من أمرهم شيء .

● **والقول الثاني** : أن المراد في هذا المقام بالذي أبدوه هو قولهم : ﴿ أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة : ٣٠] ، والذي كتموه هو ما كتمه بعضهم(١) وهو إبليس ، كتم العداوة والحسد لآدم عليه السلام .

● **وقول ثالث** : أن الذي أظهروه هو السجود لآدم عليه السلام ، والذي كتموه هو قولهم : لن يخلق الله خلقًا أكرم عليه منا(٢) ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الظاهر والخفي في علم الله سواء ، والسر والعلن كذلك ، اذكر عدة أدلة تؤكد ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [البقرة : ٣٣] .

---

(١) وهذا يستلزم تنزيل قوله تعالى : ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ على الواحد – وهو إبليس – مع أن لفظه لفظ الجمع ، لكن أجاب البعض على هذا بأن قالوا : إن هذا وارد في لغة العرب كما في قوله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [الحجرات : ٤] والمنادي كان واحدًا ، والله تعالى أعلم .

(٢) وهذا يحتاج إلى دليل وليس ثمَّ دليل عليه ، والله تعالى أعلم .

• وقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴾ [الرعد : ٩] .

• وقوله تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ﴾ [الزمر : ٤٦] .

• وقوله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [الملك : ١٣ ، ١٤] .

• وقوله تعالى : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ [طه : ٧] .

• وقوله تعالى : ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل : ١٩] .

• وقوله تعالى : ﴿ وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين ﴾ [النمل : ٧٥] .

• وقوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾ [التوبة : ٧٨] .

• وقوله تعالى : ﴿ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ﴾ [النحل : ٢٣] .

• وقوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ [الحشر : ١٨] .

• وقوله تعالى : ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٥] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله

خيرًا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذًا لمن الظالمين ﴾ [هود : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ [النحل : ٧٧] .

● وقال عيسى عليه السلام : ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ [المائدة : ١١٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ [الرعد : ١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ [النور : ٣٥] .

❋ ❋ ❋

س : هل الملائكة أفضل أم الصالحون من بني آدم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن الملائكة أفضل ، ومن أدلة هذا القول : قوله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء : ١٧٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ [يوسف: ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك .. ﴾ [هود : ٣١] .

● وقوله تعالى في الحديث القدسي : « من ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم .. » .

والثاني : أن الصالحين من بني آدم أفضل ، ومن أدلته ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ [البينة : ٧] .

● قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] .

● قول النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع » .

● مباهاة الرب عز وجل بالحجيج وغيرهم ملائكته . والله أعلم بالصواب .

***

س : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .. ﴾ [البقرة: ٣١-٣٤] سياق هذه الآيات الكريمة فيه أن قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ بعد تعليم آدم الأسماء كلها (وهذا في سياق الكتاب العزيز) فهل صحيح أن تعليم آدم الأسماء كلها قبل الأمر بالسجود ؟

ج : الجواب أن لا ، وسياق الآيات الكريمة ، وإن كان يفيد ذلك إلا أنه من المعلوم أن سياق الآيات لا يفيد ترتيبًا زمنيًا ، والصحيح أن الأمر بالسجود قبل تعليم آدم الأسماء كلها ، بل قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، والدليل على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين * فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] .

● وقوله سبحانه : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمإٍ مسنون * فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [الحجر : ٢٨ ،٢٩] فدلت هاتان الآيتان على أن قوله تعالى للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] كان قبل خلق آدم ﷺ . إلا أن يقول قائل : إن الأمر بالسجود تكرر قبل خلق آدم ، وبعد خلق آدم ، والله تعالى أعلم .

* * *

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾
قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

أبى – رغدًا – فأزلهما – مستقر – متاع – تلقَّى – فإما يأتينكم – هدى – كفروا – آياتنا .

ج :

الكلمـة	معناهـا
أبى	امتنع
رغدًا	واسعًا هنيئًا ، لا عناء ولا تعب فيه
فأزلهما	استزلهما أي : أوقعهما في الزلل وهو الخطأ ، ومنه زلت قدم فلان إذا أخطأ ، وقرىء أزلهما أي : نحاهما

الكلمـة	معناهـا
مستقر	موضعٌ يُستقر فيه
متاع	ما يستمتع به من المأكول والمشروب ونحوه
تلقَّى	تلقَّن - فهم - فطن - أخذ ما علمه الله إياه
فإما يأتينكم	فإن يأتكم
هـدى	بيان ورشد - رسل ، وأنبياء ، وكتب - توفيق للهداية
كفروا	جحدوا بآياتي وكذبوا رسلي
آياتنا	القرآن والحجج البينة التي فيه

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس .. ﴾ [البقرة : ٣٤] مع سائر قصة إبليس مع آدم إذ امتنع عن السجود صلة بدعوة بني إسرائيل ؟

ج : نعم – والله أعلم – لها صلة ، ففي القصة بيان عقوبة الكبر والتعالي على أمر الله عز وجل والتعالي على الانقياد له سبحانه واتباع رسوله ﷺ ، فلما اعترض إبليس على أمر الله سبحانه كان عاقبته أن طُرد من الجنة وخرج منها مذمومًا مدحورًا ، ووعد الجحيم وعدًا لن يتخلف ، فكذلك أنتم يا معشر يهود يا من علمتم صفة محمد ﷺ واستكبرتم وتعاليتم على الإيمان هذا جزاؤكم إن متم على ما أنتم عليه من كبر وعناد ، والله أعلم ، ونورد هنا ما ذكره الطبري رحمه الله ، قال رحمه الله (١/٥١٠) :

وتأويل قوله : ﴿ أبى ﴾ [البقرة : ٣٤] ، يعني جل ثناؤه بذلك : إبليس، أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له . ﴿واستكبر﴾ [البقرة :٣٤]، يعني بذلك : أنه تعظَّم وتكبَّر عن طاعة الله في السجود لآدم . وهذا وإن كان من الله جل ثناؤه خبرًا عن إبليس ، فإنه تقريعٌ لضُربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم – اليهودُ الذين كانوا بين ظهرانَي مُهاجَر رسول الله ﷺ ، وأحبارُهم الذين كانوا برسول الله ﷺ وصفته عارفين ، وبأنه لله رسولٌ عالمين . ثم استكبروا – مع علمهم بذلك – عن الإقرار بنبوته ، والإذعان لطاعته ، بَغْيًا منهم له وحسدًا . فقرَّعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدًا له وبغيًا ، نظيرَ فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله ﷺ ونبوته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدًا وبغيًا .

ثم وَصَف إبليس بمثل الذي وصف به الذي ضربَه لهم مثلًا في الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمرَه الله بالخضوع له ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وكان ﴾ [البقرة : ٣٤] – يعني : إبليس – ﴿ منَ الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] – من الجاحدين نعمَ الله عليه وأياديَه عنده ، بخلافه عليه فيما أمرَه به من السجود لآدم ، كما كفرت اليهود نعمَ ربِّها التي آتاها وآباءَها قبلُ : من إطعام الله أسلافَهم المنَّ والسلوى ، وإظلال الغمام عليهم ، وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم ، خصوصًا ما خصَّ الذين أدركوا محمدًا ﷺ بإدراكهم إياه ، ومشاهدتهم حجةَ الله عليهم ، فجحدت نبوته بعد علمهم به ، ومعرفتهم بنبوته حسدًا وبغيًا . فنسبه الله جل ثناؤه إلى « الكافرين » ، فجعله من عِدَادهم في الدين والملة ، وإن خالفهم في الجنس والنسبة . كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض ، لاجتماعهم على النفاق ، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم ، فقال : ﴿ الْمُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] يعني بذلك : أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال . فكذلك قوله في إبليس : ﴿ كان من الكافرين ﴾ ، كان منهم في الكُفر بالله ومخالفتِه أمرَه ، وإن كان مخالفًا جنسُه أجناسَهم ونسبُه نسبهم . ومعنى قوله : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] : أنه كان – حين أَبى عن السجود – من الكافرين حينئذ .

* * *

س : لماذا قيل : ﴿ وإذ قلنا ﴾ [البقرة : ٣٤] ولم يقل : (وإذ قلت) ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : هذا للتفخيم والتعظيم والإشادة بذكره سبحانه وتعالى .

* * *

س : ما هي الحكمة من الأمر بالسجود لآدم ﷺ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

- تكريم آدم ﷺ[1] .
- ومنها اختبار للملائكة ، وقد ظهر كبر إبليس لعنه الله بامتناعه عن السجود لآدم ﷺ .
- ومنها أن الملائكة لما استعظموا[2] بتسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة ؟

ج : لم يكن سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة ، وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى الاتفاق على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال نوح لقومه ﴿ ... ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ﴾ [هود : ٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في حصر العبادة لله سبحانه وتعالى وقصرها عليه سبحانه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] ما المراد به ؟

ج : هو سجود لآدم ﷺ بأمر الله عز وجل ، وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء رحمهم الله تعالى ، وهذه بعض أقوالهم :

---

(١) ويستفاد هذا من حديث الشفاعة الطويل ، وفيه أن المؤمنين يقولون لآدم عليه السلام : « خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته » .

(٢) هذا على رأي فريق من العلماء .

● قال البغوي رحمه الله :

وقوله : ﴿ اسجدوا ﴾ [البقرة : ٣٤] فيه قولان الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره ، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة ، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل : ﴿ وخرُّوا له سجدًا ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

● وروى الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن(١) عن قتادة قال في قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] : فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته .

● وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : قال أهل العلم : السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه ، وهذا إجماع كل من يسمع قوله .

● وقال بعض العلماء : معنى اسجدوا لآدم أي : اسجدوا إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ [الإسراء : ٧٨] ، ولكن الرأي الأول الذي قدمناه أرجح ، وبه قال الأكثر ، والله تعالى أعلى وأعلم .

* * *

س : هل كان هذا السجود خاصًّا بآدم عليه السلام فلا يجوز لغيره – من جميع الخلق – إلا لله سبحانه وتعالى أم أنه كان جائزًا بعده ؟

ج : ذهب بعض العلماء إلى أن هذا النوع من السجود جاز بعده إلى زمن نبينا ﷺ فنهى عنه نبينا عليه الصلاة والسلام فقال :« لو كنت آمرًا

---

(١) الطبري (٧٠٧) . وقال الطبري قبله : وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم . ثم ذكر أثر قتادة رحمه الله .

أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »[1] .

أما كونه كان جائزًا بعده فقد قال الله عز وجل بشأن يوسف ﷺ : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] والرؤيا التي رآها مذكورة في قوله : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] .

***

س : ما هي صفة سجود الملائكة لآدم عليه السلام ؟

ج : لم ترد صفة لسجود الملائكة لآدم ﷺ ، والظاهر أنه سجود كالسجود المعهود ، إذ هو الظاهر المتبادر المعروف من السجود ، وليس هناك ما يدفع كونه هذا السجود المعهود .

ومن العلماء من قال : إن المراد به الانحناء ، والله تعالى أعلم .

***

س : إبليس مشتق من ماذا ؟

ج : إبليس مشتق من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن ، أبلس إذا أُبعد عن الخير ﴿ فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام : ٤٤] مبعدون عن الخير آيسون منه ، والله أعلم .

***

---

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وأخرجه الترمذي (١١٥٩) ، وابن حبان (موارد الظمآن) (١٢٩١) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٩١/٧) ، وانظره في كتابي جامع أحكام النساء (١٧٥/٢) .

س : إبليس هل هو من الجن أم من الملائكة ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة ، وهم جمهور العلماء[1] ومن أدلتهم قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة : ٣٤][2] .

---

(١) نقله عنهم غير واحد منهم ابن عطية والقرطبي وغيرهم .

(٢) وأجاب الجمهور على قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [الكهف : ٥٠] أي : عمل عملهم فكان منهم في هذا ، أو على أن الملائكة تسمى جنًّا لاستتارها كما قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وذلك لقول قريش عن الملائكة : إنهم بنات الله .

ومن القائلين : إنه كان من الجن . **سعيد بن المسيب** رحمه الله تعالى ، فقد أخرج الطبري (أثر ٦٩٢) ، بإسناده إلى سعيد بن المسيب رحمه الله قال : (كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا) .

● وأخرج أيضًا (أثر ٦٥٣) بإسناد حسن إلى **قتادة** قال في قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴾ [الكهف : ٥٠] : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم : الجن .

بينما صح عن **الحسن البصري** رحمه الله تعالى أنه قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . أخرجه الطبري بإسناد صحيح (أثر ٦٩٦) .

● وقال القاسمي في محاسن التأويل :الصواب التفصيل في هذه المسألة وأن القولين في الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصليه ، كان أصله من نار ، وأصل الملائكة من نور . فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتوارد على محل واحد ، وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية ، وقيل : إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سُمُّوا (جنًّا) لاستتارهم عن الأعين فإبليس كان منهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وهو قولهم : الملائكة بنات الله ، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية .

● **ومن العلماء من قال : إنه من الجن ،** ومن أدلتهم ما يلي :

● قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف: ٥٠] .

● قوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ [الكهف : ٥٠] وليس للملائكة ذرية(١) .

● قول النبي ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »(٢)، وقال تعالى : ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ [الرحمن : ١٥] فبضميمة هذا مع قول إبليس عن نفسه : ﴿ خلقتني من نار ﴾ [ص : ٧٦] يظهر أن إبليس من الجن ، وأجاب هذا الفريق من أهل العلم على دليل الجمهور : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة : ٣٤] بأن قالوا : إن هذا الاستثناء (إلا إبليس) استثناء منقطع ، كقوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] ، فاتباع الظن ليس بعلم في الحقيقة .

وكقول الشاعر :

ليس عليك عطش ولا جوع   إلا الرقاد والرقاد ممنوع

فالرقاد ليس من العطش والجوع .

● **والراجح لدينا في هذا الباب - والله تعالى أعلم - هو القول بأن إبليس كان من الجن .**

---

(١) ذكر عن الشعبي أنه سئل هل لإبليس زوجة ؟ قال : ذلك عرسٌ لم أشهده : قال : ثم قرأت هذه الآية يعني ﴿ أفتتخذونه وذريته ﴾ [الكهف : ٥٠] فعلمت أنه لا يكون له ذُرية إلا من زوجة فقلت : نعم .

قال (مصطفى) : ومما يؤيد أن له زوجة قوله عليه السلام إذا دخل الخلاء : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » ، والخبث : ذكران الشياطين ، والخبائث : إناثهم ، والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

س : ما معنى (استكبر) ؟

ج : الاستكبار : الاستعظام فاستكبر استعظم وترفع على أمر الله عز وجل[1] .

***

س : ما معنى كان في قوله : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] ؟

ج : لأهل العلم هنا أقوال منها :

---

(١) قال القرطبي رحمه الله (١/ ٢٩٦) ، ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة : ٣٤] الاستكبار : الاستعظام ؛ فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه في حق آدم ، فكان ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته ، وعن هذا الكِبر عبر عليه السلام بقوله : « لا يدخل الجنة مَن [كان] في قلبه مثقالُ حبة من خَرْدَل من كبر» . في رواية فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حَسنًا ونعله حسنَة . قال : « إن الله جميل يحب الجمال الكِبر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس » . أخرجه مسلم . ومعنى بطر الحق : تسفيهه وإبطاله . وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم . ويروى : « وغمص » بالصاد المهملة ، والمعنى واحد ؛ يقال : غمَصه يَغمصه غَمْصًا واغتمصه ؛ أي : استصغره ولم يره شيئًا . وغَمِص فلان النعمة إذا لم يشكرها . وغَمَصتُ عليه قولًا قاله ، أي : عبته عليه . وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [ص : ٧٦] ﴿ ءَأَسْجدُ لمن خَلقْتَ طينًا ﴾ [الإسراء : ٦١] ﴿ لَمْ أَكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ [الحجر : ٣٣] فكفره الله بذلك . فكل من سفه شيئًا من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله عليه السلام كان حُكْمُه حُكْمَه ، هذا ما لا خلاف فيه . وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال : بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد إبليس آدم ، وشح آدم في أكله من الشجرة . وقال قتادة : حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال : أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ . وكان بدء الذنوب الكبر ، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة ، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه .

● أن (كان) بمعنى (صار) أي : صار إبليس بامتناعه عن السجود من الكافرين ، وهي على هذا التأويل كقوله تعالى في شأن نوح وولده : ﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾[1] [هود : ٤٣] .

● أن (كان) هنا على معناها المعهود ، والمعنى أنه كان مكتوبًا عند الله عز وجل من الكافرين فلذلك كفر .

● أنه كان قبله قوم كفار وكان منهم . وهذا القول الأخير لا دليل عليه فيما علمت ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان كفر إبليس كفر جحود ؟

ج : لم يكن كفر إبليس كفر جحود ، فقد كان إبليس يقرُّ بأن الله عز وجل خالقه ويقر بأن الله عز وجل هو الذي أغواه ، وذلك واضح من قوله : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ [الأعراف : ١٦] وقال أيضًا : ﴿ أنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ [الأعراف : ١٤] وقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [ص :٨٢ ، ٨٣] ولكنه كفر باعتراضه على أمر الله ورده له وتعاليه عليه قبل كفره بالامتناع عن

(١) قال البغوي رحمه الله و(كان) أي : صار من الكافرين ، وقال أكثر المفسرين : وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة .

قلت : وهنا يرد سؤال : هل كان إبليس منافقًا وقت العبادة أم أنه كان مؤمنًا ثم كفر ؟ حكى القاسمي في محاسن التأويل قولين **أحدهما** أنه وقت العبادة كان منافقًا **والثاني** : أنه كان مؤمنًا ثم كفر ، وهذا قول الأكثرين .

السجود[1] وهذا يدل على أنه ليس كل من اعترف بوجود الله يُعدُّ مؤمنًا ، فالمشركون كانوا يقرون بوجود الله سبحانه وأنه خالقهم ورازقهم وأن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، بل ويدعونه كما قال تعالى : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ... ﴾ [الأنفال : ٣٢] ويحجون ويلبون قائلين : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ... ولكنهم يزيدون فيقولون : (إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك) وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر : ٣] إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن المشركين كانوا يقرون بوجود الله عز وجل وأنه خالقهم ورازقهم ... ، وهذا الذي يسميه العلماء توحيد الربوبية ، والله تعالى أعلم .

***

س : لماذا استكبر إبليس وامتنع من السجود لآدم عليه السلام ؟

ج : استكبر إبليس احتقارًا لآدم إذ خُلق من طين وتعاليًا في نفسه ؛ لأنه خلق من نار ، قال الله سبحانه وتعالى في شأن إبليس : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نارَ وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٢] ، وقال سبحانه : ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ [الحجر : ٣٣] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) قال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل ١/١٠٤) : وقال جمهور الناس : كفر إبليس ؛ لأنه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد أنه محق في تمرده ، واستدل بـ ﴿ أنا خير منه ﴾ [الأعراف : ١٢] ، كما يأتي فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته ، وهذا الكبر عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » كذا في كتاب الاستعاذة للإمام ابن مفلح الحنبلي رحمه الله .

س : من هو أول من استعمل القياس الفاسد ؟ وكيف كان ذلك ؟ وضح فساد هذا القياس ؟

ج : أما أول من استعمل القياس الفاسد فهو إبليس وكان ذلك بأن قاس نفسه على عنصره الذي هو النار ، وقاس آدم على عنصره الذي هو الطين ، وفضل النار على الطين ، ومن ثمَّ فضل نفسه على آدم عليه السلام ومن ثمَّ امتنع عن السجود لآدم عليه السلام .

● وفساد هذا القياس بالدرجة الأولى لمخالفته النص الصريح وهو الأمر بالسجود لآدم ، فلا قياس مع النص ، ونزيد هنا إيضاحًا فننقل ما ذكره الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (١/٧٣) . فقال رحمه الله تعالى :

تنبيه : مثل قياس إبليس نفسه على عنصره ، الذي هو النار وقياسه آدم على عنصره ، الذي هو الطين واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه ، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ [البقرة : ٣٤] يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار . وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود :

والخلف للنص أو إجماع دعا   فساد الاعتبار كل من وعى

فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس ، وقياس إبليس هذا لعنه الله باطل من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه فاسد الاعتبار ؛ لمخالفة النص الصريح كما تقدم قريبًا .

الثاني : أنا لا نسلم أن النار خير من الطين ، بل الطين خير من النار ؛ لأن طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق ، وطبيعته الرزانة والإصلاح فتودعه الحبة فيعطيكها سنبلة ، والنواة فيعطيكها نخلة .

وإذا أردت أن تعرف قدر الطين فانظر إلى الرياض الناضرة وما فيها من

الثمار اللذيذة ، والأزهار الجميلة ، والروائح الطيبة . تعلم أن الطين خير من النار .

الثالث : أنا لو سلمنا تسليمًا جدليًّا أن النار خير من الطين : فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم ؛ لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع ، بل قد يكون الأصل رفيعًا والفرع وضيعًا . كما قال الشاعر :

إذا افتخرت بآباء لهم شرف   قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وقال الآخر :

وما ينفع الأصل من هاشم   إذا كانت النفس من باهله

* * *

س : هل ندم إبليس على طاعته لله إذ أمره بالسجود لآدم عليه السلام ؟

ج : ورد ما يفيد ذلك ، وهو ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله – وفي رواية : يا ويلي – أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأُمرت بالسجود فأبيت فليَّ النار »[1] .

* * *

س : اذكر بعض ما يستفاد من أمر الله عز وجل ملائكته بالسجود لآدم وامتناع إبليس من ذلك ؟

ج : يُستفاد من هذا جملة أمور منها ما يلي :

- عقوبة الكبر الذي هو بطر الحق والاستعلاء على أمر الله عز وجل ،

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٢/ ٦٩) ، حديث (١٣٣) .

فقد أودى هذا بإبليس إلى الكفر .

● إن القلوب والبواطن يعلمها الله عز وجل ، فنحن وإن حكمنا على الناس بظاهر ما بدا منهم – وهذا هو المشروع لنا[1] – لكن قد يكون هناك وراء هذا الظاهر أمور أخرى تخالفه ، فهذا إبليس كان ظاهره الصلاح وأنه في عداد الملائكة لكن لما أُمر بالسجود ظهرت حقيقته ، وحقيقة مادته .

● فضل امتثال أمر الله عز وجل والتواضع له فلما أطاعت الملائكة أمر ربها وسجدت رفع الله قدرهم وأعلى الله منزلتهم ، ووصفهم الله عز وجل بأنهم مقربون، قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء : ١٧٢]، وقال تعالى : ﴿بل عباد مكرمون ... ﴾ [الأنبياء : ٢٦] .

● **ويستفاد أيضًا أن الأعمال بالخواتيم** ، فقد قال النبي ﷺ :- فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[2]- « فوالله إن أحدكم – أو الرجل – ليعمل بعمل أهل النار[3] حتى ما يكون بينه وبينها غيرُ باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » .

● وكانت خاتمة إبليس – لعنه الله – خاتمة سيئة عياذًا بالله من سوء الخاتمة .

● **ويستفاد أيضًا أن المقدر سيقع** لقوله تعالى في شأن إبليس : ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] ، فلما سبق في علم الله أن إبليس

---

(١) وقد قال النبي ﷺ : « إنكم تختصمون لدي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقتطع له قطعة من نار ، فإن شاء أخذها وإن شاء تركها » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩٤) ومسلم (حديث ٢٦٤٣) .

(٣) في حديث سهل بن سعد عند البخاري (٤٢٠٢) مرفوعًا : «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

سيموت على الكفر تحقق فيه ما أخبر به الله سبحانه وتعالى .

● **ويستفاد أيضًا عقوبة الحسد** فالحسد حمل إبليس على الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام ومن ثمَّ أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة ذكر أنت في قوله تعالى : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة : ٣٥] ألم يكن يكفي اسكنْ وزوجك الجنة ؟

ج : فائدة ذكر (أنت) التأكيد للمضمر الذي في قوله (اسكن) ، وهي كما قال تعالى حاكيًا عن بني إسرائيل قولهم لموسى عليه السلام : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ [المائدة : ٢٤] .

❋ ❋ ❋

س : هل ورد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء ؟

ج : لم يرد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء لكن ورد قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ليسكن إليها .. ﴾ [الأعراف : ١٨٩] أي : ذكرت بلفظ (زوج) أما في سنة رسول الله ﷺ ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها »[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : أين توجد الجنة وما الدليل على ذلك ؟

ج : الجنة في السماء لقوله تعالى : ﴿ عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ﴾ [النجم : ١٤ ، ١٥] وسدرة المنتهى في السماء (بعد السماء السابعة)

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٣٠) ، ومسلم (حديث ١٤٨٠) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

كما في حديث المعراج[1] .

وأيضًا كون الجنة في السماء لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

***

س : هل الجنة التي سكنها آدم عليه السلام هي جنة الخلد ؟

ج : نعم هي جنة الخلد عند جمهور أهل السنة والجماعة ، واعترضت طائفة من المعتزلة على ذلك واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ [الحجر : ٤٨] قالوا : وقد أُخرج آدم ﷺ وزوجه منها : وليس في هذه الآية دليل لهم ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ في شأن من سيدخلونها يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى ﴿ رغدًا ﴾ [البقرة : ٣٥] ؟

ج : الرَّغد هو الواسع من العيش الهنيء الذي لا يعنِّي صاحبه ، يقال : أرغد فلان إذا أصاب واسعًا من العيش الهنيء كما قال امرؤ القيس بن حُجر :

بينما المرؤ تراه ناعمًا ... يأمن الأحداث في عيش رَغَدْ

قاله الطبري رحمه الله .

(١) أخرجه مسلم (١٦٢) ، من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه : ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك قال : محمد ﷺ قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى .

س : ماهي الشجرة التي نهى الله عز وجل آدم عليه السلام عن الأكل منها ؟

ج : قيل في ذلك جملة أقوال منها : أنها شجرة التين ، ومنها أنها شجرة الكرم (العنب) ، ومنها أنها السنبلة ، إلى غير ذلك من الأقوال ، وكلها أقوال تفتقر إلى دليل صحيح ، وليس ثَمَّ دليل صحيح في تسميتها ، ولو كان في تسميتها خير ومنافع للعباد لسماها الله تبارك وتعالى وقد قال الطبري رحمه الله تعالى قولًا حسنًا في ذلك فقال رحمه الله (١/ ٥٢٠ – ٥٢١) :

والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها ، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها ، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ، وأشار لهما إليها بقوله : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها ، بنصٍّ عليها باسمها ، ولا بدلالة عليها . ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أيٍّ رضًا ، لم يخل عباده من نَصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضًا .

فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلًا على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة فأنَّى يأتي ذلك ؟ وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك علم ، إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم

يضره جهلهُ به[1]

✵ ✵ ✵

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ [البقرة : ٣٥]؟

ج : المراد بالظلم ابتداءً وضع الشيء في غير موضعه ، هذا أصل تعريف (الظلم) في كلام العرب .

أما المراد بقوله تعالى : ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ فقد قال الطبري رحمه الله تعالى : فإنه يعني فتكونا من المتعدِّين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه، وإنما عنى بذلك : أنكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تَعدَّى حُدودي وعَصى أمري واستحلَّ محارمي لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين .

وقال غيره : يعني : إن أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما .

✵ ✵ ✵

س : في قوله تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ نوع ابتلاء وضحه ؟

ج : يوضحه ما قاله قتادة بن دِعامة رحمه الله حيث قال قوله: ﴿ يا آدم اسكن

---

(١) فائدة : قال الطبري رحمه الله (١/٥١٦) : والشجر في كلام العرب كل ما قام على ساق ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] يعني بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت ، وبالشجرة ما استقل على ساق .

قلت : ومراده بالنجم ما هو مثل الحشيش الذي ينبت بدون ساق ونحوه ، وسيأتي هل هو المراد أم لا عند قوله تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ إن شاء الله.

أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ﴾ [البقرة : ٣٥] ثم إن البلاء الذي كتب على الخلق كتب على آدم كما ابتلي الخلق قبله أن الله جل ثناؤه أحل له ما في الجنة أن يأكل منها رغدًا حيث شاء غير شجرة واحدة نُهي عنها وقُدِّم إليه فيها فما زال به البلاء حتى وقع بالذي نهي عنه[1] .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] سدٌّ للذرائع، وضح ذلك واذكر الأدلة الواردة في باب سد الذرائع ؟

ج : وجه ذلك أن النهي عن الاقتراب من الشجرة يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى ، فنهى عن الاقتراب سدًّا للذريعة حتى لا يتوصل بالاقتراب من الشجرة إلى الأكل منها .

أما الأدلة على سد الذرائع فكثيرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ [الإسراء : ٣٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ [الأنعام : ١٥١] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ٩٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .
- وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه »[2] .
- وقول النبي ﷺ : « يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن (٧١٧) ، عن قتادة .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم .. »[(١)].

● ومنها النهي عن إشارة الرجل إلى أخيه بالسلاح[(٢)].

---

(١) صحيح ، وسيأتي إن شاء الله .

(٢) كما في الصحيحة ، وهذا بحث ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في سد الذرائع في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين : قال رحمه الله تعالى :

فصـل

في سد الذرائع

لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها ، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها ، ووسائل الطاعات والقُرُبات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها ، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل .

فإذا حَرَّم الربُّ تعالى شيئًا ، وله طرق ووسائل تفضي إليه ، فإنه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقًا لتحريمه ، وتثبيتًا له ، ومنعًا أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم ، وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك ، فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعُدَّ متناقضًا ، ولحصل من رعيته وجنده ضدَّ مقصوده .

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه ، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه . فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال ؟ ومن تأمل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ونهى عنها ، والذريعة ؛ ما كان وسيلة وطريقًا إلى الشيء .

ولا بد من تحرير هذا الموضع قبل تقريره ليزول الالتباس فيه ، فنقول : الفعل أو القول المفضي إلى المفسدة قسمان :

أحدهما : أن يكون وضعه للإفضاء إليها كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر ، وكالقَذْف المفضي إلى مفسده الفرية ، والزنا المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش ، ونحو ذلك أفعال وأقوال وضعت مفضية لهذه المفاسد وليس لها ظاهر غيرها .=

= والثاني : أن تكون موضوعة للإفضاء إلى أمر جائز أو مستحب ، فيتخذ وسيلة إلى المحرم إمَّا بقصده أو بغير قصد منه .

فالأول : كمن يعقد النكاح قاصدًا به التحليل ، أو يعقد البيع قاصدًا به الربا أو يخالع قاصدًا به الحنث ، ونحو ذلك .

والثاني : كمن يُصَلي تطوعًا بغير سبب في أوقات النهي ، أو يسب أرباب المشركين بين أظهرهم ، أو يصلي بين يدي القبر لله ، ونحو ذلك .

ثم هذا القسمُ من الذرائع نوعان : أحدهما : أن تكون مصلحة الفعل أرجَحَ من مفسدته .

والثاني : أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته ؛ فهاهنا أربعة أقسام :

الأول : وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة .

الثاني : وسيلة موضوعة للمُبَاح قصدَ بها التوسل إلى المفسدة .

الثالث : وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوسل إلى المفسدة لكنها مُفَضية إليها غالبًا ، ومفسدتها أرجح من مصلحتها .

الرابع : وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضي إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها ، فمثال القسم الأول والثاني قد تقدم ، ومثال الثالث : الصلاةُ في أوقات النهي ، ومَسَبَّة آلهة المشركين بين ظَهْرَانيهم ، وتزين المتوفى عنها في زمن عِدتها ، وأمثال ذلك .

ومثال الرابع : النظر إلى المخطوبة والمُسْتامة والمشهود عليها ومَن يطؤها ويعاملها ، وفعل ذوات الأسباب في أوقات النهي وكلمة الحق عند ذي سلطان جائر ونحو ذلك ، فالشريعة جاءت بإباحة هذا القسم أو استحبابه أو إيجابه بحسب درجاته في المصلحة ، وجاءت بالمنع من القسم الأول كراهة أو تحريمًا بحسب درجاته في المفسدة ، بقي النظر في القسمين الوسط : هل هما مما جاءت الشريعة بإباحتهما أو المنع منهما ؟ فنقول :

الدلالة على المنع من وجوه :

الوجه الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِين يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فيسبُّوا الله عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

فحرم الله تعالى سَبَّ آلهة المشركين مع كون السب غيظًا وحمية لله وإهانة لآلهتهم لكونه ذريعةً إلى سبهم لله تعالى ، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من =

= مصلحة سبنا لآلهتهم ، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سببًا في فعل ما لا يجوز .

الوجه الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] فمنعهن من الضرب بالأرجُلِ ، وإن كان جائزًا في نفسه ، لئلا يكون سببًا إلى سَمْع الرجال صوتَ الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهنَّ .

الوجه الثالث : قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّها الذين آمَنُوا لِيستأْذِنكُمُ الَّذين مَلكَتْ أيمانكم، والَّذينَ لَمْ يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُمْ ، ثلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ الآية [النور : ٥٨] .

أمر تعالى مماليكَ المؤمنين ومن لم يبلغ منهم الحلم أن يستأذنوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة لئلا يكون دخولهم هجمًا بغير استئذان فيها ذريعةً إلى اطلاعهم على عَوْراتهم وقت إلقاء ثيابهم عند القائلة والنوم واليقظة ، ولم يأمرهم بالاستئذان في غيرها ، وإن أمكن في تركه هذه المفسدة لنُدُورها وقلة الإفضاء إليها فجعلت كالمقدمة .

الوجه الرابع : قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لا تَقُولوا رَاعِنا ، وقُولوا : انظُرْنَا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة مع قصدهم بها الخير لئلا يكون قولهم ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم ، فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويقصدون بها السبَّ ، يقصدون فاعلًا من الرعونة ، فنُهِيَ المسلمون عن قولها ؛ سدًّا لذريعة المشابهة ؛ ولئلا يكون ذلك ذريعة إلى أن يقولها اليهود للنبي ﷺ تشبهًا بالمسلمين ، يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون ، [ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدًا] .

الوجه الخامس : قوله تعالى لكليمه موسى وأخيه هارون : ﴿ اذْهَبا إلى فِرْعونَ إنَّهُ طَغَى ، فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَينًا لَعلَّه يَتَذكرُ أَوْ يَخْشى ﴾ [طه : ٤٤] ، فأمر تعالى أن يُلينا القولَ لأعظم أعدائه وأشدهم كفرًا وأعتاهم عليه ؛ لئلا يكون إغلاظُ القول له مع أنه حقيق به ذريعةً إلى تنفيره وعدم صبره لقيام الحجة ، فنهاهما عن الجائز لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى .

الوجه السادس : أنه تعالى نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد ، وأمرهم بالعفو والصفح ، لئلا يكون انتصارهم ذَريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدةً من مفسدة الإغضاء واحتمال الضيْم ، ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة . =

= الوجه السابع : أنه تعالى نهى عن البيع وقت نداء الجمعة ، لئلا يتخذ ذريعة إلى التشاغل بالتجارة عن حضورها .

الوجه الثامن : ما رواه حُمَيْد بن عبد الرحمن عن عَبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » ، قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسبُّ أبا الرجلِ فَيُسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » متفق عليه .

ولفظ البخاري : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه » قيل : يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه » .

فجعل رسول الله ﷺ الرجل سابًّا لاعنًا لأبويه بتسببه إلى ذلك ، وتوسُّله إليه لم يقصده .

الوجه التاسع : أن النبي ﷺ كانَ يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة ؛ لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم : إن محمدًا يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومَنْ لم يدخل فيه ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .

الوجه العاشر : أن الله تعالى حرم الخمر لما فيها من المفاسد الكثيرة المترتبة على زوال العقل ، وهذا ليس مما نحن فيه ، لكن حرَّم القطرة الواحدة منها ، وحرَّم إمساكها للتخليل ونجسها ؛ لئلا تتخذ القطرة ذريعة إلى الحَسْوَة[1] ، ويتخذ إمساكها للتخليل ذريعة إلى إمساكها للشرب .

ثم بالغ في سد الذريعة ، فنهى عن الخَليطين ، وعن شرب العصير بعد ثلاث ، وعن الانتباذ في الأوْعية التي قد يتخمر النبيذ فيها ، ولا يعلم به ، حسمًا لمادة قربان المسكر ، وقد صرح ﷺ بالعلة في تحريم القليل فقال : « لو رخصت لكم في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه » .

الوجه الحادي عشر : أنه ﷺ حرم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن ، والسفر بها ، ولو في الحج وزيارة الوالدين ، سدًّا لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع .

الوجه الثاني عشر : أن الله تعالى أمر بغضِّ البصر وإن كان إنما يقع على =

---

(١) الحُسوة بضم الحاء : الجرعة من الشراب بقدر ما يحسى مرة واحدة ، والحسوة بفتحها : المرة .

= محاسن الخلقة والتفكر في صنع الله ؛ سدًّا لذريعة الإرادة والشهوة المُفْضِية إلى المحظور .

الوجه الثالث عشر : أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ، ولعن مَنْ فعل ذلك ، ونهى عن تجصيص القبور ، وتشريفها ، واتخاذها مساجد ، وعن الصلاة إليها وعندها ، وعن إيقاد المصابيح عليها ، وأمر بتسويتها ، ونهى عن اتخاذها عيدًا ، وعن شد الرحال إليها ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا والإشراك بها ، وحرم ذلك على مَنْ قصده ، ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدًّا للذريعة .

الوجه الرابع عشر : أنه ﷺ نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، وكان من حكمة ذلك أنهما وقْتُ سجود المشركين للشمس ، وكان النهي عن الصلاة لله في ذلك الوقت سدًّا لذريعة المشابهة الظاهرة ، التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بُعد هذه الذريعة ، فكيف بالذرائع القريبة ؟!

الوجه الخامس عشر : أنه ﷺ نهى عن التشبُّه بأهل الكتاب في أحاديث كثيرة ، كقوله : « إن اليهود والنصارى لا يَصبغونَ ، فخالفوهم » .

وقوله : « إن اليهود لا يُصلُّون في نعالهم فخالفوهم » .

وقوله في عاشوراء : « خالفوا اليهود ، صُومُوا يومًا قبله ويومًا بعده » ، وقوله : « لا تَشبهُوا بالأعاجم » .

وروى الترمذي عنه : « ليس منا من تشبه بغيرنا » .

وروى الإمام أحمد عنه : « مَنْ تشبه بقوم فهو منهم » .

وسر ذلك أن المشابهة في الهَدْي الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل .

الوجه السادس عشر : أنه ﷺ حَرَّمَ الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ، وقال : « إنكم إذا فعلتم ذلك قطَعْتم أرحامكم » حتى لو رضيت امرأة بذلك لم يجز ؛ لأن ذلك ذريعة إلى القطيعة المحرمة ، كما علل به النبي ﷺ .

الوجه السابع عشر : أنه حرم نكاح أكثر من أربع ؛ لأن ذلك ذريعة إلى الجور ، وقيل : العلة فيه أنه ذريعة إلى كثرة المؤنة المُفْضِية إلى أكل الحرام ، وعلى التقديرين فهو من باب سد الذرائع ، وأباح الأربع وإن كان لا يؤمن الجورُ في اجتماعهن ؛ لأن حاجته قد لا تندفع بما دونهن ، فكانت مصلحة الإباحة أرجح من مفسدة الجور المتوقعة .

الوجه الثامن عشر : أن الله تعالى حرم خِطْبَةَ المُعْتدَّة صريحًا ، حتى حرم ذلك =

= في عدة الوفاة ، وإن كان المرجع في انقضائها ليس إلى المرأة ، فإن إباحة الخِطبَة قد تكون ذريعة إلى استعجال المرأة بالإجابة والكذب في انقضاء عدتها .

الوجه التاسع عشر : أن الله تعالى حرم عقد النكاح في حال العدة وفي الإحرام وإن تأخر الوطء إلى وقت الحل ؛ لئلا يتخذ العقد ذريعة إلى الوطء ، ولا ينتقض هذا بالصيام ، فإن زمنه قريب جدًّا ، فليس عليه كلفة في صبره بعضَ يوم إلى الليل .

الوجه العشرون : أن الشارع حَرم الطِّيبَ على المحرم لكونه من أسباب دواعي الوطء ، فتحريمه من باب سد الذريعة .

الوجه الحادي والعشرون : أن الشارع اشترط للنكاح شروطًا زائدة على العقد تَقْطَع عنه شُبَهَ السِّفاح ، كالإعلام ، والوَلي ، ومَنَع المرأة أنْ تليه بنفسها ، وندب إلى إظهاره حتى استحب فيه الدف والصوت والوليمة .

وكان أصل ذلك في قوله تعالى : ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافحين ﴾ [المائدة : ٥] ، و﴿مُحْصَنَاتٍ غيْر مُسافحاتٍ ، ولا متَّخِذاتِ أَخْدانٍ ﴾ [النساء : ٢٥] ؛ لأن في الإخلال بذلك ذريعة إلى وقوع السِّفاح بصورة النكاح ، وزوال بعض مقاصد النكاح من جحْد الفراش ، ثم أكد ذلك بأن جعل للنكاح حريمًا من العِدَّة تزيد على مقدار الاستبراء ، وأثبت له أحكامًا من المصاهرة وحرمتها ومن الموارثة زائدة على مجرد الاستمتاع .

فعلم أن الشارع جعله سببًا ووُصْلَة بين الناس بمنزلة الرحم كما جمَع بينهما في قوله : ﴿ وجَعَلَهُ نسبًا وصِهرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] ، وهذه المقاصد تمنع شَبَهَهُ بالسفاح ، وتبين أن نكاح المحلل بالسفاح أشبهُ منه بالنكاح (حيث كانت هذه الخصائص غير متيقنة فيه) .

الوجه الثاني والعشرون : أن النبي ﷺ نَهى أن يجمع الرجل بين سَلِف وبيع ، وهو حديث صحيح .

ومعلوم أنه لو أفرد أحدَهما عن الآخر صح ؛ وإنما ذاك لأن اقتران أحدهما بالآخر ذريعة إلى أن يُقْرِضهُ ألفًا ، ويبيعه سلعة تساوي ثمانمائة بألف أخرى ، فيكون قد أعطاه ألفًا وسلعة بثمانمائة ليأخذ منه ألفين ، وهذا هو معنى الربا .

فانظر إلى حمايته الذريعة إلى ذلك بكل طريق ، وقد احتج بعض المانعين لمسألة مُدِّ عَجْوَة بأن قال : إن مَنْ جَوَّزها يجوز أن يبيع الرجل ألف دينار في منديل بألف وخمسمائة مفردة ، قال : وهذا ذريعة إلى الربا ، ثم قال : يجوز =

= أن يقرضه ألفًا ويبيعه المنديل بخمسمائة .

وهذا هو بعينه الذي نَهَى عنه رسول الله ﷺ ، وهو من أقرب الذرائع إلى الربا ، ويلزم مَنْ لم يسدَّ الذرائعَ أن يخالف النصوص ويجيز ذلك ، فكيف يترك أمرًا ويرتكب نظيره من كل وجه ؟ .

الوجه الثالث والعشرون : أن الآثار المتظاهرة في تحريم العِينَةِ عن النبي ﷺ ، وعن الصحابة تدل على المنع من عَوْدِ السلعة إلى البائع ، وإن لم يتواطئا على الربا ، وما ذاك إلا سدًّا للذريعة .

الوجه الرابع والعشرون : أن النبي ﷺ مَنَعَ المُقْرِضَ من قبوله الهدية ، وكذلك أصحابه ، حتى يحسبها من دَيْنه ؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تأخير الدين لأجل الهدية فيكون ربًا ، فإنه يعود إليه مالُه وأخذ الفضْل الذي استفاده بسبب القرض .

الوجه الخامس والعشرون : أن الوالي والقاضي والشافع ممنوع من قبول الهدية ، وهو أصل فسادِ العالم ، وإسنادِ الأمر إلى غير أهله ؛ وتولية الخونة والضعفاء والعاجزين ، وقد دخل بذلك من الفساد ما لا يحصيه إلا الله ، وما ذاك إلا لأن قبول الهدية ممن لم تجر عادته بمهاداته ذريعة إلى قَضاء حاجته ، وحُبُّكَ الشيء يُعْمي ويُصِمُّ ، فيقوم عنده شهوة لقضاء حاجته مكافأة له مقرونة بشَرَة وإغماض عن كونه لا يصلح .

الوجه السادس والعشرون : أن السنة مَضَتْ بأنه ليس للقاتل من الميراث شيء : إما عمدًا كما قال مالك ، وإما مباشرة كما قال أبو حنيفة ، وإما قتلًا مضمونًا بقصاص أو دية أو كفارة ، وإما قتلًا بغير حق ، وإما قتلًا مطلقًا كما هي أقوال في مذهب الشافعي وأحمد ، والمذهب الأول ، وسواء قصد القاتل أن يتعجل الميراث أو لم يقصده ، فإن رعاية هذا القصد غير معتبرة في المنع وفاقًا ؛ وما ذاك إلا أن توريث القاتل ذريعة إلى وقوع هذا الفعل ، فسدَّ الشارعُ الذريعة بالمنع .

الوجه السابع والعشرون : أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وَرَّثوا =

= المطلقة المبتوتة في مرض الموت حيث يُتَّهم بقصد حرمانها الميراث بلا تردد وإن لم يقصد الحرمان ؛ لأن الطلاق ذريعة ، وأما إذا لم يُتَّهم ففيه خلاف معروف مأخذه أن المرض أوجب تعلّق حقها بماله ، فلا يمكّنُ من قطعه أو سدًّا للذريعة بالكلية ، وإن كان في أصل المسألة خلاف متأخر عن إجماع السابقين .

الوجه الثامن والعشرون : أن الصحابة وعامة الفقهاء اتفقوا على قتل الجميع بالواحد وإن كان أصل القصاص يمنع ذلك ؛ لئلا يكون عدمُ القصاص ذريعةً إلى التعاون على سَفْك الدماء .

الوجه التاسع والعشرون : أن النبي ﷺ نهى أن تقطع الأيدي في الغَزْو ؛ لئلا يكون ذريعة إلى إلحاق المحدود بالكفار ، ولهذا لا تقام الحدود في الغزو كما تقدم .

الوجه الثلاثون : أن النبي ﷺ نَهَى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلا أن تكون له عادة توافق ذلك اليوم ، ونهى عن صوم يوم الشك ؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذريعةً إلى أن يلحق بالفرض ما ليس منه .

وكذلك حرم صوم يوم العيد تمييزًا لوقت العبادة عن غيره لئلا يكون ذريعة إلى الزيادة في الواجب ، كما فعلت النصارى ، ثم أكد الغرض باستحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور ، واستحباب تعجيل الفطر في يوم العيد قبل الصلاة ، وكذلك ندَب إلى تمييز فرض الصلاة عن نفلها ، فكره للإمام أن يتطوع في مكانه ، وأن يستديم جلوسَهُ مستقبل القبلة ، كل هذا سدًّا للباب المفضِي إلى أن يزاد في الفرض ما ليس منه .

الوجه الحادي والثلاثون : أنه ﷺ كره الصلاة إلى ما قد عُبِدَ من دون الله تعالى ، وأحبَّ لمن صلى إلى عود أو عمود أو شجرة أو نحو ذلك أن يجعله على أحد جانبيه ، ولا يَصْمُدُ إليه صَمْدًا ، قطعًا لذريعة التشبه بالسجود إلى غير الله تعالى .

الوجه الثاني والثلاثون : أنه شرع الشُّفعة ، وسَلَّط الشريك على انتزاع الشِّقْصِ من يد المشتري سدًّا لذريعة المفسدة المتعلقة بالشريك والقسمة . =

= الوجه الثالث والثلاثون : أن الحاكم منهيٌّ عن رفع أحد الخصمين على الآخر ، وعن الإقبال عليه دونه ، وعن مشاورته والقيام له دون خصمه ؛ لئلا يكون ذريعة إلى انكسار قلب الآخر وضعفه عن القيام بحجته وثقل لسانه بها .

الوجه الرابع والثلاثون : أنه ممنوع من الحكم بعلمه ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى حكمه بالباطل ويقول : حكمت بعلمي .

الوجه الخامس والثلاثون : أن الشريعة منعت من قبول شهادة العدو على عدوه ؛ لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى بلوغ غرضه من عدوه بالشهادة الباطلة .

الوجه السادس والثلاثون : أن الله تعالى منع رسوله حيث كان بمكة من الجَهْرِ بالقرآن ، حيث كان المشركون يسمعونه فيسبون القرآن ، ومَنْ أنزله ومَنْ جاء به ، ومن أُنزل عليه .

الوجه السابع والثلاثون : أن الله تعالى أوجب الحدود على مرتكبي الجرائم التي تتقاضاها الطباع وليس عليها وازع طبعِي ، والحدود عقوبات لأرباب الجرائم في الدنيا كما جعلت عقوبتهم في الآخرة بالنار إذا لم يتوبوا ، ثم إنه تعالى جعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فمن لقيه تائبًا توبة نصوحًا لم يعذبه مما تاب منه .

وهكذا في أحكام الدنيا إذا تاب توبة نصوحًا قبل رفعه إلى الإمام سقط عنه الحد في أصح قَولِي العلماء ، فإذا رفع إلى الإمام لم تسقط توبته عنه الحدَّ [وإن غلب على ظنه أنه لا يعود إليها] لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تعطيل حدود الله ، إذ لا يعجز كل من وجب عليه الحدُّ أن يُظهر التوبة ليتخلص من العقوبة ، وإن تاب توبة نصوحًا سدًّا لذريعة السكوت بالكلية .

الوجه الثامن والثلاثون : أن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى ، وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف ، مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن ؛ وذلك سدًّا لذريعة التفريق والاختلاف والتنازع ؛ وطلبًا لاجتماع القلوب وتألُّف الكلمة ، وهذا من أعظم مقاصد الشرع ، وقد سد الذريعة إلى ما يُناقضه بكل طريق ، حتى في تسوية الصف في الصلاة ؛ لئلا تختلف القلوب ، وشواهِدُ ذلك أكثر من أن تذكر .

الوجه التاسع والثلاثون : أن السنة مَضَتْ بكراهة إفراد رجب بالصوم ، وكراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم وليلتها بالقيام ، سدًّا لذريعة اتخاذ شرْع لم يأذن به الله من =

= تخصيص زمان أو مكان بما لم يخصه به ؛ ففي ذلك وقوعٌ فيما وقع فيه أهل الكتاب .

الوجه الأربعون : أن الشروط المضروبة على أهل الذمة تضمنت تمييزهم على المسلمين في اللباس والشعور والمراكب وغيرها ؛ لئلا تفضي مشابهتهم إلى أن يُعامل الكافر معاملة المسلم ، فسدت هذه الذريعة بإلزامهم التميز عن المسلمين .

الوجه الحادي والأربعون : أن النبي ﷺ أمر ناجية بن كعب الأسلمي وقد أرسل معه هديه إذا عطب منه شيء دون المحل أن ينحره ويصبغ نعله التي قلده بها في دمه ويخلي بينه وبين الناس ، ونهاه أن يأكل منه هو أو أحد من أهل رفقته .

قالوا : وما ذاك إلا لأنه لو جاز أن يأكل منه أو يطعم أهل رفقته قبل بلوغ المحل فربما دعاه ذلك إلى أن يقصر في علفها وحفظها لحصول غرضه من عطبها دون المحل كحصوله بعد بلوغ المحل من أكله هو ورفقته وإهدائهم إلى أصحابهم ، فإذا أيس من حصول غرضه في عطبها كان ذلك أدعى إلى حفظها حتى تبلغ محلها ، وأحسم لمادة هذا الفساد ، وهذا من ألطف أنواع سد الذرائع .

الوجه الثاني والأربعون : أن النبي ﷺ أمر الملتقط أن يشهد على اللقطة ، وقد علم أنه أمين ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة الطمع والكتمان ، فإذا بادر وأشهد كان أحسم لمادة الطمع والكتمان ، وهذا أيضًا من ألطف أنواعها .

الوجه الثالث والأربعون : أنه ﷺ قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد » ، وذم الخطيب الذي قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن عصاهما فقد غوى ؛ سدًّا لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ ، وحسمًا لمادة الشرك حتى في اللفظ ؛ ولهذا قال للذي قال له : ما شاء الله وشئت : « أجعلتني لله ندًّا ؟» فحسم مادة الشرك وسد الذريعة إليه في اللفظ كما سدها في الفعل والقصد ، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها ، وأعمها .

الوجه الرابع والأربعون : أنه ﷺ أمر المأمومين أن يُصلوا قعودًا إذا صلى إمامهم قاعدًا ، وقد تواتر عنه ذلك ، ولم يجيء عنه ما ينسخه ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة مُشابهة الكفار حيث يقومون على ملوكهم وهم قعود ، كما علله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وهذا التعليل منه يبطل قول من قال : إنه منسوخ ، مع أن ذلك دعوى لا دليل عليها . =

= الوجه الخامس والأربعون : أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر المصلي بالليل إذا نعس أن يذهب فليرقد ، وقال : « لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » ، فأمره بالنوم ؛ لئلا تكون صلاته في تلك الحال ذريعة إلى سبه لنفسه ، وهو لا يشعر لغلبة النوم .

الوجه السادس والأربعون : أن الشارع صلوات الله عليه نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يستام على سوم[1] أخيه أو يبيع على بيع أخيه ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى التباغض والتعادي ؛ فقياس هذا أنه لا يستأجر على إجارته ، ولا يخطب ولاية ولا منصبًا على خطبته ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى وقوع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه .

الوجه السابع والأربعون : أنه نهى عن البول في الجحر ، وما ذاك إلا لأنه قد يكون ذريعة إلى خروج حيوان يؤذيه، وقد يكون من مساكن الجن فيؤذيهم بالبول، فربما آذوه .

الوجه الثامن والأربعون : أنه نهى عن البراز في قارعة الطريق والظل والموارد ، لأنه ذريعة لاستجلاب اللعن كما علل به ﷺ بقوله : «اتقوا الملاعن الثلاث»، وفي لفظ : «اتقوا اللاعنين»، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : « الذي يتخلى في طريق الناس ، وفي ظلهم » .

الوجه التاسع والأربعون : أنه نهاهم إذا أقيمت الصلاة أن يقوموا حتى يروه قد خرج ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قيامهم لغير الله ، ولو كانوا إنما يقصدون القيام للصلاة ، لكن قيامهم قبل خروج الإمام ذريعة ، ولا مصلحة فيها ، فنهوا عنه .

الوجه الخمسون : أنه نهى أن توصل صلاة بصلاة الجمعة ، حتى يتكلم أو يخرج ؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى تغيير الفرض ، وأن يزاد فيه ما ليس منه . قال السائب بن يزيد : صليت الجمعة في المقصورة ، فلما سلم الإمام قمت في مقامي فصليت ، فلما دخل معاوية أرسل إليَّ ، فقال : لا تعد لما فعلت ، إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج ، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر بذلك ألا توصل الصلاة حتى يتكلم أو يخرج .

الوجه الحادي والخمسون : أنه أمر من صلى في رحله ثم جاء المسجد أن يصلي مع الإمام وتكون له نافلة ؛ لئلا يتخذ قعوده والناس يصلون ذريعة إلى إساءة الظن به ، وأنه ليس من المصلين . =

---

(١) المساومة : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة ، وفصل ثمنها ، يقال : سام يسوم سومًا ، ومساوم واستام . والمنهي عنه أن يتساوم المتبايعان في السلعة ويتقارب الانعقاد ، فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ، ويخرج من يد المشتري الأول بزيادة على ما استقر عليه الأمر بين المتساومين ، ورضيا به قبل الانعقاد . قاله المعلق على إعلام الموقعين .

= الوجه الثاني والخمسون : أنه نهى أن يسمر بعد العشاء الآخرة إلا لمصل أو مسافر ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ، وما ذاك إلا لأن النوم قبلها ذريعة إلى تفويتها ، والسمر بعدها ذريعة إلى تفويت قيام الليل ، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره .

الوجه الثالث والخمسون : أنه نهى النساء إذا صلين مع الرجال أن يرفعن رءوسهن قبل الرجال ؛ لئلا يكون ذريعة منهن إلى رؤية عورات الرجال من وراء الأزر كما جاء التعليل بذلك في الحديث .

الوجه الرابع والخمسون : أنه نهى الرجل أن يتخطى المسجد الذي يليه إلى غيره ، كما رواه بقية عن المجاشع بن عمرو عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ : « ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه ، ولا يتخطاه إلى غيره » .

وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه وإيحاش صدر الإمام ، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة ، أو يرمى ببدعة ، أو يعلن بفجور ، فلا بأس بتخطيه إلى غيره .

الوجه الخامس والخمسون : أنه نهى الرجل بعد الأذان أن يخرج من المسجد حتى يصلي ؛ لئلا يكون خروجه ذريعة إلى اشتغاله عن الصلاة جماعة كما قال عمار لرجل رآه قد خرج بعد الأذان : أما هذا فقد عصى أبا القاسم .

الوجه السادس والخمسون : أنه نهى عن الاحتباء[1] يوم الجمعة ، كما رواه أحمد في مسنده من حديث سهل بن معاذ عن أبيه : نهى رسول الله ﷺ عن الاحتباء يوم الجمعة ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى النوم .

الوجه السابع والخمسون : أنه نهى المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب أو تصيب بخورًا ؛ وذلك لأنه ذريعة إلى ميل الرجال وتشوفهم إليها ، فإن رائحتها وزينتها وصورتها وإبداء محاسنها تدعو إليها ، فأمرها أن تخرج تفلة وأن لا تتطيب ، وأن تقف خلف الرجال ، وأن لا تسبح في الصلاة إذا نابها شيء ، بل تصفق ببطن كفها على ظهر الأخرى ، كل ذلك سدًّا للذريعة وحماية عن المفسدة .

الوجه الثامن والخمسون : أنه نهى أن تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ، ولا يخفى أن ذلك سد للذريعة ، وحماية عن مفسدة وقوعها في قلبه ، وميله إليها =

(١) الاحتباء : هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره أو يشده عليهما ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب .

= بحضور صورتها في نفسه ، وكم ممن أحب غيره بالوصف قبل الرؤية .

الوجه التاسع والخمسون : أنه نهى عن الجلوس بالطرقات ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى النظر إلى المحرم ، فلما أخبروه أنه لا بد لهم من ذلك ، قال : « أعطوا الطريق حقه » ، قالوا : وما حقه ؟ قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام » .

الوجه الستون : أنه نهى أن يبيت الرجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحًا ، أو ذا رحم محرم ، وما ذاك إلا لأن المبيت عند الأجنبية ذريعة إلى المحرم .

الوجه الحادي والستون : أنه نهى أن تباع السلع حيث تباع حتى تنقل عن مكانها ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى جحد البائع البيع وعدم إتمامه إذا رأى المشتري قد ربح فيها ، فيغره الطمع ، وتشح نفسه بالتسليم كما هو الواقع . وأكد هذا المعنى بالنهي عن ربح ما لم يضمن ، وهذا من محاسن الشريعة وألطف باب لسد الذرائع .

الوجه الثاني والستون : أنه نهى عن بيعتين في بيعة ، وهو الشرطان في البيع في الحديث الآخر ، وهو الذي لعاقده أوكس البيعتين ، أو الربا في الحديث الثالث ، وذلك سد لذريعة الربا فإنه إذا باعه السلعة بمائة مؤجلة ، ثم اشتراها منه بمائتين حالة فقد باع بيعتين في بيعة ، فإن أخذ بالثمن الزائد أخذ بالربا ، وإن أخذ بالناقص أخذ بأوكسهما .

وهذا من أعظم الذرائع إلى الربا ، وأبعد كل البعد من حمل الحديث على البيع بمائة مؤجلة أو خمسين حالة ، وليس ها هنا ربا ولا جهالة ولا غرر ولا قمار ولا شيء من المفاسد ، فإنه خيره بين أي الثمنين شاء ، وليس هذا بأبعد من تخييره بعد البيع بين الأخذ والإمضاء ثلاثة أيام .

وأيضًا فإنه فرق بين عقدين كل منهما ذريعة ظاهرة جدًّا إلى الربا ، وهما السلف والبيع والشرطان في البيع ، وهذان العقدان بينهما من النسب والإخاء والتوسل بهما إلى أكل الربا ما يقتضي الجمع بينهما في التحريم ، فصلوات الله وسلامه على من كلامه الشفاء والعصمة والهدى والنور .

الوجه الثالث والستون : أنه أمر أن يفرق بين الأولاد في المضاجع ، وأن لا يترك الذكر ينام مع الأنثى في فراش واحد ، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى نسج الشيطان بينهما المواصلة المحرمة بواسطة اتحاد الفراش ، ولا سيما مع الطول ، والرجل قد يعبث في نومه بالمرأة في نومها إلى جانبه وهو لا يشعر ، وهذا أيضًا من ألطف أنواع سد الذرائع . =

= الوجه الرابع والستون : أنه نهى أن يقول الرجل : خبثت نفسي ، ولكن ليقل : لقست[1] نفسي ؛ سدًّا لذريعة اعتياد اللسان للكلام الفاحش وسدًّا لذريعة اتصاف النفس بمعنى هذا اللفظ ، فإن الألفاظ تتقاضى معانيها وتطلبها بالمشاكلة والمناسبة التي بين اللفظ والمعنى ، ولهذا قل من تجده يعتاد لفظًا إلا ومعناه غالب عليه ، فسد رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ذريعة الخبث لفظًا ومعنى ، وهذا أيضًا من ألطف الباب .

الوجه الخامس والستون : أنه نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته : عبدي وأمتي ، ولكن يقول : فتاي ، وفتاتي ، ونهى أن يقول لغلامه : وضِّئ ربك ، أطعم ربك ، سدًّا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى ، وإن كان الرب ها هنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل ، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة ، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد ، حماية لجانب التوحيد ، وسدًّا لذريعة الشرك .

الوجه السادس والستون : أنه نهى المرأة أن تسافر بغير محرم ، وما ذلك إلا أن سفرها بغير محرم قد يكون ذريعة إلى الطمع فيها والفجور بها .

الوجه السابع والستون : أنه نهى عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فيما يحدثون به ، لأن تصديقهم قد يكون ذريعة إلى التصديق بالباطل ، وتكذيبهم قد يكون ذريعة إلى التكذيب بالحق ، كما علل به في نفس الحديث .

الوجه الثامن والستون : أنه نهى أن يسمي عبده بأفلح ونافع ورباح ويسار ، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى ما يكره من الطيرة بأن يقال : ليس ها هنا يسار ، ولا رباح ، ولا أفلح ، وإن كان إنما قصد اسم الغلام ، ولكن سدًّا لذريعة اللفظ المكروه الذي يستوحش منه السامع .

الوجه التاسع والستون : أنه نهى الرجال عن الدخول على النساء ؛ لأنه ذريعة ظاهرة .

الوجه السبعون : أنه نهى أن يسمى باسم برة ؛ لأنه ذريعة إلى تزكية النفس بهذا الاسم ، وإن كان إنما قصد العلمية .

الوجه الحادي والسبعون : أنه نهى عن التداوي بالخمر ، وإذ كانت مصلحة التداوي راجحة على مفسدة ملابستها ؛ سدًّا لذريعة قربانها واقتنائها ومحبة النفوس =

---

(١) لقست : غثت ، واللقس : الغثيان .

= لها ، فحسم عليها المادة حتى في تناولها على وجه التداوي ، وهذا أبلغ سد الذرائع .

الوجه الثاني والسبعون : أنه نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث ؛ لأن ذلك ذريعة إلى حزنه وكسر قلبه وظنه السوء .

الوجه الثالث والسبعون : أن الله حرم نكاح الأمة على القادر على نكاح الحرة إذا لم يخش العنت ، لأن ذلك ذريعة إلى إرقاق ولده ، حتى لو كانت الأمة من الآيسات من الحبل والولادة لم تحل له سدًّا للذريعة ، ولهذا منع الإمام أحمد الأسير والتاجر أن يتزوج في دار الحرب خشية تعريض ولده للرق ، وعلله بعلة أخرى ، وهي أنه قد لا يمكن منع العدو من مشاركته في زوجته .

الوجه الرابع والسبعون : أنه نهى أن يورد ممرض على مصح ؛ لأن ذلك قد يكون ذريعة إما إلى إعدائه، وإما إلى تأذيه بالتوهم والخوف ، وذلك سبب إلى إصابة المكروه له.

الوجه الخامس والسبعون : أنه نهى أصحابه عن دخول ديار ثمود إلا أن يكونوا باكين ؛ خشية أن يصيبهم مثل ما أصابهم ، فجعل الدخول من غير بكاء ذريعة إلى إصابة المكروه .

الوجه السادس والسبعون : أنه نهى الرجل أن ينظر إلى من فضل عليه في المال واللباس ، فإنه ذريعة إلى ازدرائه نعمة الله عليه واحتقاره بها ، وذلك سبب الهلاك .

الوجه السابع والسبعون : أنه نهى عن إنزاء الحمر على الخيل ؛ لأن ذلك ذريعة إلى قطع نسل الخيل أو تقليلها ، ومن هذا نهيه عن أكل لحومها إن صح الحديث فيه ، إنما كان لأنه ذريعة إلى تقليلها ، كما نهاهم في بعض الغزوات عن نحر ظهورهم لما كان ذريعة إلى لحوق الضرر بهم بفقد الظهر .

الوجه الثامن والسبعون : أنه نهى من رأى رؤيا يكرهها أن يتحدث بها ، فإنه ذريعة إلى انتقالها من مرتبة الوجود اللفظي إلى مرتبة الوجود الخارجي ، كما انتقلت من الوجود الذهني إلى اللفظي ، وهكذا عامة الأمور تكون في الذهن أولًا ، ثم تنتقل إلى الذكر ، ثم تنتقل إلى الحس ، وهذا من ألطف سد الذرائع وأنفعها ، ومن تأمل عامة الشر رآه متنقلًا في درجات الظهور طبقًا بعد طبق من الذهن إلى اللفظ إلى الخارج .

الوجه التاسع والسبعون : أنه سُئِل عن الخمر تتخذ خلًّا ، فقال : « لا » . مع إذنه في خل الخمر الذي حَصَل بغير التخليل ، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة إمساكها بكل =

= طريق ، إذ لو أذن في تخليلها لحبسها أصحابها لذلك ، وكان ذريعة إلى المحذور .

الوجه الثمانون : أنه نهى أن يتعاطى السيف مسلولًا ، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى الإصابة بمكروه ، ولعل الشيطان يعينه ، وينزع في يده فيقع المحذور ويقرب منه .

الوجه الحادي والثمانون : أنه أمر المار في المسجد بنبال أن يمسك على نصلها بيده ؛ لئلا يكون ذريعة إلى تأذي رجل مسلم بالنصال .

الوجه الثاني والثمانون : أنه حرم الشياع وهو المفاخرة بالجماع ؛ لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس والتشبه ، وقد لا يكون عند الرجل من يغنيه من الحلال فيتخطى إلى الحرام ، ومن هذا كان المجاهرون خارجين من عافية الله . وهم المتحدثون بما فعلوه من المعاصي ، فإن السامع تتحرك نفسه إلى التشبه ، وفي ذلك من الفساد المنتشر ما لا يعلمه إلا الله .

الوجه الثالث والثمانون : أنه نهى عن البول في الماء الدائم ، وما ذاك إلا أن تواتر البول فيه ذريعة إلى تنجيسه ، وعلى هذا فلا فرق بين القليل والكثير وبول الواحد والعدد ، وهذا أولى من تفسيره بما دون القلتين أو بما يمكن نزحه ، فإن الشارع الحكيم لا يأذن للناس أن يبولوا في المياه الدائمة إذا جاوزت القلتين أو لم يمكن نزحها ، فإن في ذلك من إفساد مياه الناس ومواردهم ما لا تأتي به شريعة ؛ فحكمة شريعته اقتضت المنع من البول فيه ، قل أو كثر سدًّا لذريعة إفساده .

الوجه الرابع والثمانون : أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، فإنه ذريعة إلى أن تناله أيديهم ، كما علل به في نفس الحديث .

الوجه الخامس والثمانون : أنه نهى عن الاحتكار ، وقال : لا يحتكر إلا خاطىء ، فإنه ذريعة إلى أن يضيق على الناس أقواتهم ، ولهذا لا يمنع من احتكار ما لا يضر الناس .

الوجه السادس والثمانون : أنه نهى عن منع فضل الماء ، لئلا يكون ذريعة إلى منع فضل الكلأ ، كما علل به في نفس الحديث ، فجعله بمنعه من الماء مانعًا من الكلإ ، لأن صاحب المواشي إذا لم يمكنه الشرب من ذلك الماء لم يتمكن من المرعى الذي حوله .

الوجه السابع والثمانون : أنه نهى عن إقامة حد الزنا على الحامل حتى تضع ؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قتل ما في بطنها ، كما قال في الحديث الآخر : « لولا ما في =

= البيوت من النساء والذرية لأمرت فتياني أن يحملوا معهم حزمًا من حطب فأخالف إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » فمنعه من تحريق بيوتهم التي عصوا الله فيها بتخلفهم عن الجماعة كون ذلك ذريعة إلى عقوبة من لم يجب عليه حضور الجماعة من النساء والأطفال .

الوجه الثامن والثمانون : أنه نهى عن إدامة النظر إلى المجذومين ، وهذا – والله أعلم – لأنه ذريعة إلى أن يصابوا بإيذائهم ، وهي من ألطف الذرائع ، وأهل الطبيعة يعترفون به ، وهو جار على قاعدة الأسباب ، وأخبرني رجل من علمائهم أنه أجلس قرابة له يكحل الناس ، فرمد ثم برىء ، فجلس يكحلهم فرمد مرارًا ، قال : فعلمت أن الطبيعة تنتقل ، وأنه من كثرة ما يفتح عينيه في أعين الرُّمد نقلت الطبيعة الرمد إلى عينيه ، وهذا لا بد معه من نوع استعداد ، وقد جبلت الطبيعة والنفس على التشبه والمحاكاة .

الوجه التاسع والثمانون : أن النبي ﷺ نهى الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه ، كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة ، بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلًا ، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه ، ثم يرفع رأسه من الركوع .

كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات ، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها ، وأولئك ركوعها .

وطائفة ثالثة قيامها ، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة فتقاسمت الفرقُ الثلاث أجزاء الصلاة .

والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدًّا لذريعة الشرك ، كما نهى عن السجود لغير الله ، كما نهاهم أن يقوموا في الصلاة على رأس الإمام وهو جالس ، مع أن قيامهم عبادة لله تعالى ، فما الظن إذا كان القيام تعظيمًا للمخلوق عبودية له ؟ فالله المستعان .

الوجه التسعون : أنه حرم التفريق في الصرف وبيّن الربوي بمثله قبل القبض ؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى التأجيل الذي هو أصل باب الربا ، فحماهم من قربانه باشتراط التقابض في الحال ، ثم أوجب عليهم فيه التماثل ، وأن لا يزيد أحد العوضين على =

= الآخر إذا كان من جنس واحد حتى لا يباع مد جيد بمدين رديئين ، وإن كانا يساويانه ، سدًّا لذريعة ربا النساء الذي هو حقيقة الربا ، وأنه إذا منعهم من الزيادة مع الحلول حيث تكون الزيادة في مقابلة جودة أو صفة أو سكة أو نحوها ، فمنعهم منها حيث لا مقابل لها إلا مجرد الأجل أولى .

فهذه هي حكمة تحريم ربا الفضل التي خفيت على كثير من الناس ، حتى قال بعض المتأخرين : لا يتبين لي حكمة تحريم ربا الفضل ، وقد ذكر الشارع هذه الحكمة بعينها ؛ فإنه حرمه سدًّا لذريعة ربا النساء ، فقال في حديث تحريم ربا الفضل : « فإني أخاف عليكم الرَّماء » هو الربا .

فتحريم الربا نوعان : نوع حرم لما فيه من المفسدة ، وهو ربا النسيئة ، ونوع حرم تحريمًا للوسائل وسدًّا للذرائع ، فظهرت حكمة الشارع الحكيم وكمال شريعته الباهرة في تحريم النوعين ، ويلزم من لم يعتبر الذرائع ولم يأمر بسدها أن يجعل تحريم ربا الفضل تعبدًا محضًا لا يعقل معناه كما صرح بذلك كثير منهم .

الوجه الحادي والتسعون : أنه أبطل أنواعًا من النكاح الذي يتراضى به الزوجان سدًّا لذريعة الزنا ؛ فمنها النكاح بلا ولي ؛ فإنه أبطله سدًّا لذريعة الزنا ؛ فإن الزاني لا يعجز أن يقول للمرأة : أنكحيني نفسك بعشرة دراهم ويشهد عليها رجلين من أصحابه أو غيرهم ، فمنعها من ذلك سدًّا لذريعة الزنا .

ومن هذا تحريم نكاح التحليل الذي لا رغبة للنفس فيه في إمساك المرأة واتخاذها زوجة بل له وطر فيما يقضيه بمنزلة الزاني في الحقيقة ، وإن اختلفت الصورة .

ومن ذلك تحريم نكاح المتعة الذي يعقد فيه المتمتع على المرأة مدة يقضي وطره منها فيها ، فحرم هذه الأنواع كلها سدًّا لذريعة السفاح ، ولم يبح إلا عقدًا مؤبدًا يقصد فيه كل من الزوجين المقام مع صاحبه ، ويكون بإذن الولي وحضور الشاهدين أو ما يقوم مقامها من الإعلان ؛ فإذا تدبرت حكمة الشريعة وتأملتها حق التأمل رأيت تحريم هذه الأنواع من باب سد الذرائع ، وهي من محاسن الشريعة وكمالها .

الوجه الثاني والتسعون : أنه منع المتصدق من شراء صدقته ولو وجدها تباع في السوق سدًّا لذريعة العود فيما خرج عنه لله ولو بعوضه ، فإن المتصدق إذا منع من تملك بعوضها فتملكه إياها بغير عوض أشد منعًا وأفطم للنفوس عن تعلقها بما خرجت =

= عنه لله ، والصواب ما حكم به النبي ﷺ من المنع من شرائها مطلقًا .

ولا ريب أن في تجويز ذلك ذريعة إلى التحيل على الفقير بأن يدفع إليه صدقة ماله ثم يشتريها منه بأقل من قيمتها ، ويرى المسكين أنه قد حصل له شيء – مع حاجته – فتسمح نفسه بالبيع ، والله عالم بالأسرار ، فمن محاسن هذه الشريعة الكاملة سد الذريعة ومنع المتصدق من شراء صدقته ، وبالله التوفيق .

الوجه الثالث والتسعون : أنه نهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها ؛ لئلا يكون ذريعة إلى أكل مال المشتري بغير حق إذا كانت معرضة للتلف ، وقد يمنعها الله ، وأكد هذا الغرض بأن حكم للمشتري بالجائحة إذا تلفت بعد الشراء الجائز ، كل هذا لئلا يظلم المشتري ويؤكل ماله بغير حق .

الوجه الرابع والتسعون : أنه نهى الرجل بعد إصابة ما قدر له أن يقول : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان ، فإنه لا يجدي عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور واعتقاد أنه كان يمكنه دفع المقدور لو فعل ذلك ، وذلك يضعف رضاه وتسليمه وتفويضه وتصديقه بالمقدور وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وإذا أعرض القلب عن هذا انفتح له عمل الشيطان .

وما ذاك لمجرد لفظ « لو » بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان ، بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له وهو الإيمان بالقدر والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية وأنه ما شاء الله كان ولا بد ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط ، فصلوات الله وسلامه على من كلامه شفاء للصدور ، ونور للبصائر وحياة للقلوب ، وغذاء للأرواح ، وعلى آله ، فلقد أنعم به على عباده أتم نعمه ، ومن عليهم به أعظم منة ، فللّه النعمة ، وله المنة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن .

الوجه الخامس والتسعون : أنه ﷺ نهى عن طعام المتباريين ، وهما الرجلان كل منهما مباراة الآخر ومباهاته ، إما في التبرعات كالرجلين يصنع كل منهما دعوة يفتخر بها على الآخر ويباريه بها ، وإما في المعاوضات كالبائعين يرخص كل منهما سلعته لمنع الناس من الشراء من صاحبه ، ونص الإمام أحمد على كراهية الشراء من هؤلاء .

وهذا النهي يتضمن سد الذريعة من وجهين ، أحدهما : أن تسليط النفوس =

= على الشراء منهما وأكل طعامهما تفريج لهما وتقوية لقلوبهما وإغراء لهما على فعل ما كرهه الله ورسوله ، والثاني : أن ترك الأكل من طعامهما ذريعة إلى امتناعهما وكفهما عن ذلك .

الوجه السادس والتسعون : أنه تعالى عاقب الذين حفروا الحفائر يوم الجمعة فوقع فيها السمك يوم السبت ، فأخذوه يوم الأحد ، ومسخهم الله قردة وخنازير ، وقيل : إنهم نصبوا الشباك يوم الجمعة وأخذوا الصيد يوم الأحد ، وصورة الفعل الذي فعلوه مخالف لما نهوا عنه ، ولكنهم لما جعلوا الشباك والحفائر ذريعة إلى أخذ ما يقع فيها من الصيد يوم السبت نزلوا منزلة من اصطاد فيه ، إذ صورة الفعل لا اعتبار بها ، بل بحقيقته وقصد فاعله ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن لا يحرم مثل هذا كما صرحوا به في نظيره سواء ، وهو لو نصب قبل الإحرام شبكة فوقع فيها صيدٌ وهو محرم جاز له أخذه بعد الحل ، وهذا جارٍ على قواعد من لم يعتبر المقاصد ولم يسد الذرائع .

الوجه السابع والتسعون : قال الإمام أحمد : نهى رسول الله ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة ، ولا ريب أن هذا سد لذريعة الإعانة على المعصية ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن يُجَوِّز هذا البيع كما صرحوا به ، ومن المعلوم أن هذا البيع يتضمن الإعانة على الإثم والعدوان .

وفي معنى هذا كل بيع أو إجارة أو معاوضة تعين على معصية الله كبيع السلاح للكفار والبغاة وقطاع الطريق ، وبيع الرقيق لمن يفسق به أو يؤاجره لذلك ، أو إجارة داره أو حانوته أو خانه لمن يقيم فيها سوق المعصية ، وبيع الشمع أو إجارته لمن يعصي الله عليه ، ونحو ذلك مما هو إعانة على ما يبغضه الله ويسخطه .

ومن هذا عصر العنب لمن يتخذه خمرًا ، وقد لعنه رسول الله ﷺ هو والمعتصر معًا ، ويلزم من لم يسد الذرائع أن لا يلعن العاصر ، وأن يجوز له أن يعصر العنب لكل أحد ، ويقول : القصد غير معتبر في العقد ، والذرائع غير معتبرة ، ونحن مطالبون في الظواهر ، والله يتولى السرائر ، وقد صرحوا بهذا ، ولا ريب في التنافي بين هذا وبين سنة رسول الله ﷺ .

الوجه الثامن والتسعون : نهيه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة – وإن ظلموا أو جاروا – ما أقاموا الصلاة ، سدًّا لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه ، والأمة =

س : إذا أسكن رجلٌ رجلًا مسكنًا على شرط فنقض الساكن الشرط هل يجوز لصاحب السكن إخراجه ، اذكر دليلًا على ذلك ؟

ج : نعم يجوز ذلك ، واستدل له بعض أهل العلم بأن الله عز وجل[1] أسكن آدم الجنة وأباح له الأكل من شجرها إلا شجرة فلما خالف آدم وعصى ربَّه وأكل من الشجرة أخرجه الله عز وجل من الجنة . وثَمَّ أدلة أُخر في هذا الباب[2] ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل الأنبياء عليهم السلام معصومون ؟

ج : لأهل العلم في ذلك تفصيلات منها ما يلي .

أولًا بالنسبة لتبليغهم الرسالة فهم عليهم الصلاة والسلام معصومون ، قال الله تعالى في شأن نبيه محمد ﷺ : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علَّمه شديد القوى ﴾ [النجم : ٣ - ٥] .

= في بقايا تلك الشرور إلى الآن ، وقال : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » ؛ سدًّا لذريعة الفتنة .

الوجه التاسع والتسعون : جمع عثمان المصحف على حرف واحد من الأحرف السبعة ؛ لئلا يكون ذريعة إلى اختلافهم في القرآن ، ووافقه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم .

ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة تفاؤلًا بأنه من أحصى هذه الوجوه ، وعلم أنها من الدين وعمل بها دخل الجنة ؛ إذ قد يكون قد اجتمع له معرفة أسماء الرب تعالى ومعرفة أحكامه ؛ ولله وراء ذلك أسماء وأحكام .

قلت : (القائل مصطفى) وقد أفاد العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وأجاد وخدم المسألة بما لا تكاد تراه لغيره ، بل لم أقف لغيره على مثل هذا الذى ذكر ، لكن لنا تحفظ على بعض الأمثلة التى ذكرها ، وكذلك لنا تحفظ على بعض الأحاديث التى استدل بها من ناحية صحتها وعلى كل فالقاعدة التى أراد بناءها سلمت له من عدة أدلة صحيحة ذكرها فجزاه الله خيرًا ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) ولله المثل الأعلى .

(٢) منها : « المؤمنون عند شروطهم » .

وقال الرازي رحمه الله في تفسيره : أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ ، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء .

ثانيًا : بالنسبة للكبائر ، فالذي يظهر لي أنهم بعد البعثة معصومون منها عليهم الصلاة والسلام ، فلا أعلم نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أتى كبيرة بعد بعثته ، بل ولا قبل بعثتهِ ، اللهم إلا قوله سبحانه وتعالى في شأن موسى ﷺ : ﴿ وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم وفتناك فتونًا ﴾ [طه : ٤٠] .

ويقول موسى عليه السلام يوم القيامة : « نفسي نفسي ، إني قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها » .

وقد نقل القرطبي رحمه الله عن عددٍ من العلماء الاتفاق على أنه لم تصدر من الأنبياء عليهم السلام كبائر .

أما بالنسبة للصغائر : فقد تصدر منهم صغائر على سبيل الخطإ في الاجتهاد أو تعليم أممهم أو تأويل مثلًا ، ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

● أكل آدم عليه السلام من الشجرة بعد أن نهاه الله عز وجل عن الأكل منها .

● قول نوح ﷺ : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾[1] [هود : ٤٥] ، فقال له ربه سبحانه وتعالى : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [هود : ٤٦] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها

---

(١) وإن كان هذا ليس بصريح في أنه ذنب .

من دابة ﴾ [النحل : ٦١] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة .. ﴾ [عبس : ١ - ١١] .

● قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح : ٢] .

● قول النبي ﷺ :« كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر .. »[١] .

● قول النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيُغفرُ لهم »[٢] .

● قول الله تعالى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

● قوله تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾[٣] [الأنفال : ٦٧ ، ٦٨] .

● قوله تعالى : ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرَّ راكعًا وأناب ﴾ [ص : ٢٤] .

● قوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام : ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣١] .

● وقد سئل موسى عليه السلام: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٢١٢) ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) وسبب نزولها قبول الفدية من أسارى بدر .

عليه إذ لم يرد العلم إليه ، وقال له : بل عبدنا خضر ، هو أعلم منك .... الحديث ، فكل هذا يؤيد أنهم عليهم السلام قد تصدر منهم صغائر لكنها تُغمر في بحر فضائلهم ، وإنما تصدر منهم - بإذن الله - بيانًا لأقوامهم وتعليمًا لأممهم[1] ، والله أعلم .

وقد أحسن القرطبي رحمه الله تعالى إذ قال : **وإن كان قد شهدت النصوص لوقوع ذنوب منهم فلم يُخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم ، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكّاهم واختارهم واصطفاهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .**

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ فأزلهما ﴾ فمعناه - و الله أعلم - : استزلهما ، أي : أوقعهما في الزلل وهو الخطأ .

قال الطبري رحمه الله تعالى : من قولك : زلَّ الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزلَّهُ غيره إذا سبب له ما يزل من أجله في دينه أو دنياه .انتهى المراد منه .

قد قرئ فأزالهما أي : نحاهما .

أما قوله : ﴿ عنها ﴾ فقيل : إن المراد به (عن الجنة) ، وقيل : عن (الشجرة) .

فعلى القول بأن عنها : (الجنة) فالمعنى : نحاهما الشيطان عن الجنة ، وعلى القول بأن عنها : (الشجرة) فالمعنى : أزلهما الشيطان بسببها (أي : بسبب أكلهما منها) ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ [الذاريات : ٩] أي :

---

(١) هذا وقد استفاض الرازي في تفسيره الكبير في هذا الباب استفاضة زائدة ، فمن شاء راجعها ٣/(٧ - ٨) إلى ما بعدها .

يُصرف بسببه من هو مأفوك ، والله تعالى أعلم .

***

س : كيف كانت وسوسة إبليس لآدم وحواء عليهما السلام ؟

ج : كانت الوسوسة بالإغراء والقسم .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور ... ﴾ [الأعراف : ٢٠ - ٢٢] .

***

س : أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ اخرج منها مذمومًا مدحورًا ﴾ [الأعراف : ١٨] ، فكيف وسوس إلى آدم ، وآدم في الجنة ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة .

منها : أنه دخل الجنة في فم الحيَّة ، وهذا القول لا مستند له من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ ، وإن قال به عدد من المفسرين .

ومنها : أنه مُنع من دخولها مكرمًا ،أما على وجه الإهانة فلا يمتنع أن يدخلها مهانًا زيادة في إذلاله وإهانته ، وهذا القول يحتاج إلى دليل(١) .

---

(١) ويشابه هذا القول من بعض وجوهه قوله تعالى في شأن يونس ﷺ : ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ [القلم : ٤٩] ، وقال تعالى : ﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ [الصافات : ١٤٥] ، فيونس عليه السلام نبذ بالعراء ، لكنه لم ينبذ بالعراء وهو مذموم ، بل نبذ وقد استجاب الله له لما دعا فقال : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، والله تعالى أعلم .

ومنها : أنه وسوس إلى آدم وهو خارج باب الجنة .

ويحتمل أنه وسوس لهما وهو بالأرض ، والله تعالى أعلم بالصواب .

***

س : ما مدى صحة التعليل الذي يذكره البعض حيث يقولون : إن العلة من قتل الحية أن إبليس دخل الجنة في فمها ليوسوس إلى آدم ﷺ فكانت العداوة بينها وبين بني آدم لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٦] .

وأن العلة من قتل الوزغة أنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه السلام .

وأن العلة من قتل الغراب أنه خان نوحًا عليه السلام فلما بعثه نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض (ونوح في السفينة) ترك أمر نوحٍ وأقبل على جيفةٍ .

وأن العلة من قتل الفأرة أنها عمدت إلى حبال سفينة نوح فقطعتها ؟

ج : أما كون إبليس دخل الجنة في فم حية أو في جوفها ليوسوس إلى آدم عليه السلام ، فهذا قد ذكره بعض المفسرين ، لكن لا أعلم له أصلًا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ في خبر ثابت عنه .

أما الوزغة فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام »[1] ، لكن هل هذا هو علة قتلها أم لا ؟ الله أعلم ، أما الغراب والفأرة فصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بقتلهما ، لكن هل قطعت الفأرة حبال سفينة نوح ؟ وهل أقبل الغراب على الجيفة وترك أمر نوح

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٣٥٩) ، ومسلم (حديث ٢٢٣٧) من حديث أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ ، وقال : « كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام » .

عليه السلام ؟ هذا مما لا أعلم فيه شيئًا ثابتًا في الكتاب ولا في السنة ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل أكل آدم من الشجرة ناسيًا ؟

ج : بعض أهل العلم يرى ذلك محتجًّا بقوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] ، وهذا القول عندي ضعيف لوجوه :

أولًا : أن الله عز وجل قال : ﴿ فعصى آدم ربَّه فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، والناسي لا يكون عاصيًا ، وكذلك قال النبي ﷺ : « فعصى آدم فعصت ذريته ... » .

ثانيها : أن النسيان يُطلق على الترك أحيانًا ، قال تعالى في شأن الكفار : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة : ٦٧] ، وقال سبحانه : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ [طه : ١٢٦] .

الثالث: أن آدم وحواء عليهما السلام قالا: ﴿ربنا ظلمْنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف: ٢٣] ، والناسي لا يكون ظالمًا لنفسه .

الرابع : أن الناسي لا يؤاخذ[1] ولا يعاقب ، فالنسيان شيء لا يتحكم فيه الشخص ، والذي يظهر أن آدم عليه السلام طمع في جنة الخلد فلذلك أكل من الشجرة ، كما أفادت ذلك الآيات ، منها قول إبليس : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وقاسمهما

---

(١) إلا أن يقال : إن النسيان شيء كانت تؤاخذ به الأمم قبل أمة محمد ﷺ ، وقد قال المؤمنون من أمة محمد ﷺ : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله : « قد فعلت » .

إني لكما لمن الناصحين ﴾ [الأعراف : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ فدلَّاهما بغرور ﴾ [الأعراف : ٢٢] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ذكر بعض أهل العلم أن حواء هي التي أغوت آدم عليهما السلام حتى أكل من الشجرة فهل ورد دليل صحيح صريح يفيد ذلك ؟

ج : لا نعلم في هذا الباب دليلًا صحيحًا صريحًا يفيد ذلك ، والحديث الذي احتج به البعض على ذلك ليس بصريح وإن كان صحيحًا ألا وهو حديث ﴿ لولا حواء لم تخن أنثى زوجها .. ﴾ الحديث وقد قال تعالى : ﴿ فعصى آدم ربه فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، وقد قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على ابن كثير (عمدة التفسير ١/١٣٦) :

وقد دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب بما حرفوا وكذبوا ثم اجترأوا واجترأت الصحف الماجنة والمجلات الداعرة على السخرية بآدم وحواء وتصويرهما في صورٍ قبيحة منكرة جرأة منهم على الدين واستهزاء بأول النبيين ، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقوله أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون .

❋ ❋ ❋

س : هل شاركت حواء في الأكل من الشجرة ؟

ج : لا شك في ذلك ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ۞ قالا ربنا ظلمنا

أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف: ٢٢،٢٣] والله أعلم.

* * *

س : ما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ؟

ج : لأهل العلم في بيان هذه الكلمات- أقوال أمثلها وأقواها – والله أعلم – هي قوله مع زوجه : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] وذلك لأن الله عز وجل ناداهما بعد أكلهما من الشجرة كما قال سبحانه : ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ [الأعراف : ٢٢] قالا : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] فقولهما : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا .. ﴾ عقب عتاب الله عز وجل لهما .

هذا وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب وما قدمناه هو المعتمد عند كثير من أهل العلم فإن من شأن المذنب أن يستغفر قال ذو النون عليه السلام : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] وذلك بعد ذهابه مغاضبًا والتقام الحوت له .

وقال نوح عليه السلام : ﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [هود : ٤٧] .

هذا ولا يمتنع أن يكون آدم وحواء عليهما السلام ذكرا كلمات أخر مع الكلمات التي ذكرناها والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] ؟

ج : أصل التوبة الرجوع ، فالتوبة من آدم رجوعه عن المعصية ، وهي

من الله تعالى رجوعه عليه بالرحمة ، والتوَّاب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله قال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير :

وقال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] يعني : رزقه التوبة من خطيئته ، والتوبة معناها : الإنابة إلى الله ، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته . والله أعلم ، وقال الطبري أيضًا : وتأويل قوله : ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ٣٧] أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه ، وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته ، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه ، فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويئوب إليه من غضبه عليه إلى الرضا عنه ، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه .

وأما قوله : ﴿ الرحيم ﴾ فإنه يعني : أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ، ورحمته إياه إقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جُرمه .

* * *

س : لماذا لم تذكر حواء في قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ [البقرة : ٣٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

أن حواء داخلة في الخطاب ؛ لأنها من آدم عليهما السلام ، قال الله تعالى : ﴿ الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [النساء : ١] .

ومنها أن ذكرها حذف اختصارًا وإيجازًا كما في قوله تعالى : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة : ٦٢] وكما في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] وكما قال تعالى : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة

فتشقى ﴾ [طه : ١٢٣] ، والله أعلم .

***

س : عرِّف الحين وبيِّن المراد بالحين في قوله تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : أمثل ما قيل في الحين أنه اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان طالت أم قصرت .

فيطلق على المدة كما قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾ [الإنسان : ١] .

ويطلق على القطعة من الدهر ، قال الله تعالى : ﴿ فذرهم في غمرتهم حتى حين ﴾ [المؤمنون : ٥٤] .

ويطلق على الغدوة والمساء كما قال تعالى : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون ﴾ [الروم : ١٧ ، ١٨] والأظهر لي أن حين هنا بمعنى وقت . والله أعلم .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ﴾ [الزمر : ٥٨] .

ويطلق على السنة أو على فصولها ، قال تعالى : ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٥] .

أما المراد بالحين في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] فقيل : إلى الموت ، وقيل : إلى قيام الساعة ، وقد فصَّل البعض القول في ذلك فقالوا : المتاع لآدم إلى موته ، والمتاع لذرية آدم غايته إلى قيام الساعة ، والمتاع لإبليس إلى قيام الساعة كذلك لقوله : ﴿ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين

إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ [ص: ٧٩ - ٨١] ، والله أعلم .

* * *

س : من المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ﴾ [البقرة : ٣٦] الآية ؟

ج : ابتداءً فآدم وحواء عليهما السلام داخلان في هذه الآية بالإجماع[١] أي : داخلان في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ أما على العموم فيدخل فيها آدم وحواء وإبليس وذرية هؤلاء ، وبعض أهل العلم يدخل معهم الحيَّة[٢] .

* * *

س : ما مدى صحة ما ذكره بعض المفسرين من أن المراد بقوله تعالى : ﴿ اهبطوا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٨] خطاب لآدم وحواء خاصة ، وعُبر بالجمع في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ لاستتباعهما الذُّرية ؟

ج : هذا القول خطأ[٣] فإنه وإن حدثت عداوة بين بعض بني آدم أو بين آدم وحواء فإن هذه العداوة من نزغات الشيطان كما قال يوسف ﷺ : ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [يوسف : ١٠٠] وكما قال تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

وقد قال تعالى في شأن الزوجين : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم : ٢١] .

---

(١) نقل هذا الإجماع الطبري رحمه الله تعالى (في تفسيره ١/٥٣٥) .

(٢) بناءً على ما قرره قائل هذا القول من أن إبليس دخل إلى الجنة في فم الحية .

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى (التفسير القيم ص١٣٤) : قول الله تعالى ذكره : =

....

= ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعًا ﴾ [البقرة : ٣٨] .

قد ظن الزمخشري أن قوله : ﴿ اهبطوا منها جميعًا ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة ، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما . قال : والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [طه : ١٢٣] قال : ويدل على ذلك قوله : ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهمَ ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة:٣٨ ، ٣٩] وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ، ومعنى قوله : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضًا .

وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية . فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما ، كما قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان ، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو . وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها له ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة . فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته ، والعدواة بين الشيطان والإنسان . وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس ، وهم ثلاثة ، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور ، مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه ؟ مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئًا .

وأما قوله تعالى في سورة طه ﴿ قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو ﴾ [طه : ١٢٣] فهذا خطاب لآدم وحواء . وقد جعل بعضهم لبعض عدوًّا ، فالضمير في قوله : ﴿ اهبطا منها ﴾ إما أن يرجع إلى آدم وزوجته ، وإما أن يرجع إلى آدم وإبليس ، ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له .

وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط ، وهما آدم وإبليس ، فالأمر ظاهر .

وأما على الأول – وهو رجوعه إلى آدم وزوجه– فتكون الآية قد اشتملت على أمرين : =

= أحدهما : أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط .

والثاني : إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه ، وبين إبليس . ولهذا أتى بضمير الجمع في الثاني ، دون الأول . ولابد أن يكون إبليس داخلًا في حكم هذه العداوة قطعًا . كما قال تعالى : ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ [طه: ١١٧] وقال لذريته : ﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوًّا ﴾ [فاطر : ٦] .

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع ، دون التثنية .

وأما الإهباط : فتارة يذكر بلفظ الجمع ، وتارة بلفظ التثنية . وتارة بلفظ الإفراد ، كقوله في سورة الأعراف : ﴿ قال اهبطوا ﴾ [الأعراف : ٢٤] وكذلك في سورة ص ، وهذا لإبليس وحده . وحيث ورد بصيغة الجمع ، فهو لآدم وزوجه وإبليس ، إذ مدار القصة عليهم . وحيث ورد بلفظ التثنية ، فإما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية . وإما أن يكون لآدم وإبليس ، إذ هما أبوا الثقلين ، وأصلا الذرية . فذكر حالهما ومآل أمرهما ، ليكون عظة وعبرة لأولادهما . وقد حكيت القولين في ذلك والذي يوضح أن الضمير في قوله : ﴿ اهبطا منها جميعًا ﴾ [طه : ١٢٣] لآدم وإبليس : أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم ، دون زوجه . فقال ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * قال : اهبطا منها جميعًا ﴾ [طه ١٢١ – ١٢٣] وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم وإبليس الذي زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعًا . فإن المقصود إخبار الله تعالى الثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر ، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنسان فقط . وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم ، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة . فعلم أن حكم الزوجة كذلك ، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم . وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريدها إلى ذكر أبي الإنس وأمهم ، فتأمله .

وبالجملة فقوله : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة : ٣٦] ظاهر في الجمع ، فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله : ﴿ اهبطا ﴾ من غير موجب .

قول الله تعالى ذكره: ﴿وقالوا قلوبنا غلف ، بل لعنهم الله بكفرهم﴾ [البقرة : ٨٨]. =

أما العداوة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ [البقرة:٣٦] فهي بالدرجة الأولى بين آدم وذريته من ناحية وبين إبليس وذريته من ناحية أخرى ، وكذلك بين بني آدم والحيات(١) ، قال الله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا ﴾ [فاطر : ٦] ، وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [يسٓ : ٦٠] ، ولا يمنع أن يكون هناك عداوات بين البشر أنفسهم والمتسبب فيها إبليس ، والأمور كلها بقدر الله ، والله أعلم .

***

المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : الأدلة على ذلك في غاية الكثرة نورد منها ما يلي :

١ - أُخرج آدم ﷺ وزوجه حواء عليها السلام من الجنة بمعصيتهما لله

= قد اختلف في معنى قولهم : ﴿ قلوبنا غلف ﴾ [البقرة : ٨٨] .

فقالت طائفة : المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم . فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به ؟ أو لا تحتاج إليك ؟ وعلى هذا فيكون ﴿ غلف ﴾ جمع غلاف والصحيح : قول أكثر المفسرين : إن المعنى قلوبنا لا تفقهه ، ولا تفهم ما تقول وعلى هذا فهو جمع أغلف ، كأحمر وحمر . قال أبو عبيدة : كل شيء في غلاف فهو أغلف ، كما يقال : سيف أغلف ، وقوس أغلف ، ورجل أغلف ، غير مختون .

(١) وقال النبي ﷺ في شأن الحيات : « ما سالمناهن منذ حاربناهن » ، وكان النبي ﷺ يأمر بقتل الحيات .

● وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان » .

عز وجل وأكلهما من الشجرة وتعريا بعد سترٍ كانا فيه .

قال تعالى : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٦] .

● وقد قال موسى لآدم عليهما السلام : « أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا بخطيئتك من الجنة » .

● وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللَّه كثيرًا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [الأعراف: ٩٦].

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللَّه فأذاقها اللَّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ [النحل : ١١٢ ، ١١٣] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عن ما نهوا

عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٥، ١٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا اللّٰه ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ [التوبة : ٧٦ ، ٧٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

● وقال تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم ﴾ [القلم: ١٧-٢٠].

● وقال تعالى : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد الله لهم عذابًا شديدًا ... ﴾ [الطلاق : ٨ - ١٠] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا تكرر ذكر الإهباط في قوله تعالى : ﴿ اهبطوا ... ﴾ [البقرة : ٣٦] ؟

ج : للعلماء فيه أقوال :

١ - تكرر ذكر الإهباط لأن معنى ما بعده يتعلق به في السياقين .

٢ - وقيل : تكرير وتأكيد .

٣ - وقيل : إن الإهباط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني

من السماء الدنيا إلى الأرض وهذا القول لا أعلم دليلًا عليه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم ﴾ [البقرة : ٣٨] ؟

ج : معناها – والله أعلم – : إن يأتكم .

قال الطبري رحمه الله : وتأويل قَوله : ﴿ فإما يأتينكم ﴾ فإن يأتكم و (ما) التي مع (إن) توكيدٌ للكلام ولدخولها مع (إن) أُدخلت النون المشددة في ﴿ يأتينكم ﴾ تفرقةً بدخولها بين (ما) التي تأتي بمعنى توكيد الكلام – التي تسميها أهل العربية صلة وحشوًا – وبين (ما) التي تأتي بمعنى الذي فتؤذن بدخلوها في الفعل أنَّ (ما) التي مع (إن) التي بمعنى الجزاء توكيد ، وليست (ما) التي بمعنى (الذي) .

❋ ❋ ❋

س : ما هو تأويل قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدًى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : فإما يأتينكم يا معشر من أُهبط إلى الأرض من سمائي وهو آدم وزوجته وإبليس – كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها – إما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ورشاد إلى سبيلي وديني فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن قد سلف منهم قبل ذلك إلي معصية وخلافٌ لأمري وطاعتي ، يعرِّفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه ، والرحيم لمن أناب إليه كما وصف نفسه بقوله : ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ٣٧] .... ثم قال رحمه الله : وقوله : ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ [البقرة : ٣٨] يعني : فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهداه وسبيله ولا هم يحزنون يومئذٍ

على ما خلَّفوا بعد وفاتهم في الدنيا .

❋ ❋ ❋

س : هل ينال المسلم خوف أو حزن يوم القيامة ؟

ج : من أهل العلم من ينفي ذلك مطلقًا ، ومنهم من يُثبته ويؤول الآية : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] بأن مآلهم يكون إلى السلامة وإلى الأمن ، وها هي أدلة كل فريق :

أولًا : بعض أدلة القائلين بنفي الخوف والحزن عن المؤمن يوم القيامة :

● قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٣٨] .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [الأحقاف : ١٣] .

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلًا من غفورٍ رحيم ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

● قوله تعالى : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] .

ثانيًا : بعض أدلة القائلين بأن المؤمنين ينالهم شيء من الفزع يوم القيامة :

● منها حديث الشفاعة ، وفيه : (أن الناس يبلغ بهم من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون) .

• ومنه قول النبي ﷺ : « يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك ربنا وسعديك فينادَى إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »(1) الحديث .

• ومنه قول النبي ﷺ : « إنكم محشورون إلى اللَّه عز وجل حفاة عراة غرلًا كما بدأنا أول خلق نعيده ... » الحديث ، وفيه أن عائشة قالت : يا رسول اللَّه الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك »(2) .

• **قال القرطبي رحمه اللَّه تعالى :** قوله تعالى : ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما وصفه اللَّه تعالى ورسوله من شدائد يوم القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين ، وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا ، واللَّه أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٣٩] ؟

ج : قال الطبري رحمه اللَّه تعالى : يعني : والذين جحدوا آياتي وكذّبوا رسلي ، وآيات اللَّه حُججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها ، وقد بينا أن معنى الكفر التغطية على الشيء .

﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ [البقرة : ٣٩] يعني أهلها الذين هم أهلها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤١) ، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٧) ، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

دون غيرهم المخلدون فيها أبدًا إلى غير أمدٍ ولا نهاية .... ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوامًا أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أُذن لهم في الشفاعة »[1].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) وقد تقدم .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ
أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي
ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ
وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : ارهبون – اتقون – لا تلبسوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
ارهبون	اخشونِ
اتقون	اجعلوا بينكم وبين غضبي وعقابي وقاية بطاعتكم لي وبُعدكم عن معصيتي
لا تلبسوا	لا تخلطوا

✵ ✵ ✵

س : من هو إسرائيل ؟ وهل لإسرائيل معنى ؟

ج : إسرائيل هو يعقوب ﷺ ، وقد نقل الشوكاني الاتفاق على ذلك[1] ، وسيأتي لذلك مزيد في آل عمران إن شاء الله .

أما إسرائيل فذهب بعض العلماء إلى أنه اسم كسائر الأسماء ، ومنهم من قال : هو مركب من إسر بمعنى (عبد) وإيل بمعنى (الله) فعليه فإسرائيل هو عبد الله كما أن جبرائيل عبد الله ، وميكائيل كذلك ، وإسرافيل كذلك ... ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ [البقرة : ٤٠] فائدة في كيفية الدعوة إلى الله عز وجل وضحها ؟

ج : هذه الفائدة فحواها أننا نستجيش الناس بما نعلم فيهم من صلاح وخير وإحسان ، فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ أي : يا أولاد يعقوب ، ومن المعلوم أن يعقوب نبي كريم فكأنه قيل لهم : يا أولاد النبي الكريم يعقوب كونوا صالحين كرماء أتقياء كأبيكم ، ونحوه قول الله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ [الإسراء : ٣] أي : يا ذرية الصالحين المحمولين مع نوح ، (فما حُمل مع نوح إلا مؤمن) كونوا صالحين كآبائكم ، ونحوه قول قوم مريم لمريم : ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيًّا ﴾ [مريم : ٢٨] .

فوجه الاستفادة في الدعوة إلى الله أننا نخاطب الناس فنقول : يا ابن الشجاع بارز الأبطال ، يا ابن الحسن تصدق ، يا ابن العالم تعلَّم ، ونحو ذلك من وجوه الاستجاشة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر فتح القدير .

س : خاطب الله عز وجل بني إسرائيل بجملة آيات يستفاد منها في الدعوة إلى الله ، اذكر بعض هذه الفوائد ؟

ج : استعملت مع بني إسرائيل وسائل في دعوتهم منها التذكير بالنعمة عليهم وعلى آبائهم ومنها التخويف ، ومنها التوبيخ على سوء الأفعال ، وقد أوجز ذلك ابن جزي الكلبي في تفسيره فقال : (يا بني إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عمومًا وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصًا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب ﴿ سيقول السفهاء ﴾ [البقرة : ١٤٢] فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهي : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾ [البقرة : ٤٩] ، و ﴿ إذ فرقنا بكم البحر ﴾ [البقرة : ٥٠] ، و ﴿ بعثناكم من بعد موتكم ﴾ [البقرة : ٥٦] ، ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن السلوى ﴾ [البقرة : ٥٧] ، و ﴿ عفونا عنكم ﴾ [البقرة : ٥٢] ، و ﴿ تاب عليكم ﴾ [البقرة: ٥٤] ، و ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾ [البقرة: ٥٨]، و ﴿ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] ، و ﴿ انفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ﴾ [البقرة : ٦٠] ، وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم : ﴿سمعنا وعصينا﴾ [البقرة : ٩٣] ، و ﴿ اتخذتم العجل ﴾ [البقرة : ٩٢]، و ﴿ قالوا أرنا الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] ، و ﴿ بدل الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ٥٩] ، و ﴿لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ، و ﴿ يحرفونه ﴾ [البقرة : ٧٥] ، و ﴿ توليتم من بعد ذلك ﴾ [البقرة : ٦٤] ، و ﴿ قست قلوبكم ﴾ [البقرة : ٧٤] ، و ﴿ كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾ [النساء : ١٥٥] ، وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ﴿ ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ [البقرة : ٦١] ، و ﴿ يعطوا الجزية ﴾ [التوبة : ٢٩] ، و ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤] ، و ﴿ كونوا قردة﴾ [البقرة : ٦٥] ، و ﴿أنزلنا عليهم رجزًا من السماء﴾ [الأعراف : ١٦٢] ،

و ﴿ أخذتكم الصاعقة ﴾ [البقرة : ٥٥] ، و ﴿ جعلنا قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة : ١٣] ، ﴿ وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر ، وهي : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به و ﴿ يحرفون الكلم ﴾ [المائدة : ١٣] و ﴿ يقولون : هذا من عند الله ﴾ [البقرة : ٧٩] ، و ﴿ تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر ، وقولهم : ﴿نحن أبناء الله﴾ [المائدة : ١٨]، وقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] .

***

س : قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ [البقرة : ٤٠] هل الذكر بالقلب أو باللسان في هذا المقام ؟

ج : الذكر هنا – والله تعالى أعلم – هو الذكر الذي هو ضد النسيان بمعنى اذكروا ما أنعمت به عليكم واشكروه ولا تنسوا شكره والعمل بمقتضى ذلك الشكر . ولا يبعد أيضًا أن يدخل فيه الذكر باللسان لقوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾[1] [الضحى : ١١] .

***

س : اذكر بعض النعم التي أنعمها الله عز وجل على بني إسرائيل ؟

ج : من هذه النعم ما يلي :

● فضلهم الله عز وجل على عالمي زمانهم كما قال سبحانه : ﴿ وأني

---

(١) وهذا عند من لا يخشى من ورائه الحسد ، أما من يخشى منه الحسد فلا يُتحدث عنده بالنعمة ، قال يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام : ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا﴾ [يوسف: ٥] وقال النبي ﷺ : «إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث بها من يحب».

فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] وكما قال سبحانه ﴿ ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين ﴾ [الدخان : ٣٢] .

- نجاهم الله عز وجل من آل فرعون إذ كانوا يسومونهم سوء العذاب كما قال سبحانه : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يُذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

- أغرق الله عز وجل عدوهم فرعون وهم ينظرون كما قال سبحانه : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ [البقرة : ٥٠] .

- عفا عنهم بعد اتخاذهم العجل إلهًا لما تابوا كما قال تعالى : ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٢] .

- آتاهم الله الكتاب والفرقان كما قال سبحانه : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] .

- بعثهم الله بعد موتهم لعلهم يشكرون .

- ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .

- فجَّر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينًا .

- كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي خلَّفه آخر[1] كما قال النبي ﷺ .

- جعل الله فيهم أنبياء وجعلهم ملوكًا وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

---

(١) أخرج البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلَّفه نبي وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث .

● وقوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ [القصص : ٥ ، ٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ [البقرة : ٤٠] ؟

ج : قيل : إن العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ [البقرة : ٤٠] هو عام في كل العهود التي أخذها الله تبارك وتعالى عليهم على لسان أنبيائهم ، فمن هذه العهود ما أخذه الله عليهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ إذا بُعث ، كما قال تعالى :

● ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١].

● ومنها ما ذكره الله في كتابه : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

● وما ذكره سبحانه في كتابه : ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [المائدة : ١٢] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه

مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الأعرف : ١٥٦ ، ١٥٧] ، فعلى ذلك فعهد الله هو عام في كل ما أخذه عليهم وعهدهم هو ما ذكره الله سبحانه حيث قال : ﴿ لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [المائدة : ١٢] فهو تكفير السيئات وإدخال الجنات ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ﴾ [البقرة : ٤١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – :أن القرآن مصدق للتوراة التي بأيديهم فآمنوا بهذا القرآن الذي قد علمتم أنه مصدق لما معكم ، ووجه تصديقه لما معهم في الآتي :

١ – أنهم أُخبروا به في كتبهم ثم ظهر كما أُخبروا به ، فصدَّق هذا القرآن ما كان موجودًا في كتبهم .

٢ – أن النبي ﷺ أخبر (بما في كتاب الله) أنهم أنبياء وأُنزلت عليهم الكتب فهو مصدق لهم أي : شاهد بصدقهم .

٣ – أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرع ، فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف يقال لليهود : ﴿ ولا تكونوا أول كافرٍ به ﴾ [البقرة : ٤١] وقد كفر قبلهم مشركو مكة ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا تكونوا أول فريق كافرٍ به من أهل الكتاب .

❋ ❋ ❋

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا أول كافرٍ به ﴾ [البقرة : ٤١] ؟

ج : يرجع إلى القرآن الكريم .

❋ ❋ ❋

س : هل يقتضي قوله تعالى : ﴿ولا تكونوا أول كافرٍ به﴾ [البقرة : ٤١] إباحة الكفر في ثاني الحال ؟

ج : لا يقتضي هذا بحال من الأحوال ، وذلك لأن النهي عن الكفر مطلقًا جاء صريحًا في عدة آيات ، وهذا يسميه العلماء مفهوم معطل ، وجاء التقييد بأول كافرٍ به لكون أول كافر يسن الكفر لمن بعده فيكون إثمه أعظم والعقوبة عليه أغلظ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآيات المرادة بقوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٤١] ، وما هو الثمن القليل ؟

ج : قيل : إن الآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ ، والثمن القليل هو ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم ونحو ذلك فكتموا الآيات التي فيها صفة محمد ﷺ مقابل الحرص على جاههم ورئاستهم .

● وقيل أعم من ذلك بمعنى : أن كل ما فيه مال أو جاه يقدمونه وإن كان خلاف الآيات فيخفون الآيات ، كما قال تعالى : ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها

وتخفون كثيرًا ﴾ [الأنعام : ٩١] مقابل المتاع الفاني .

● وقيل : إنهم كانوا يأخذون الأجر على تعليم الدين .

● وقيل : كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه لشرف الشريف ونحو ذلك ، كما جاء عن رسول الله ﷺ :« إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » .

وكل هذا وارد ومحتمل ، والعلم عند الله تبارك وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن ؟

ج : ذهب الجمهور إلى جواز ذلك لحديث : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله »(١) ، فقالوا : إن الحديث وإن كان قد ورد في أخذ الأجر على الرقية لكن لفظه عام .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماءٍ(١) فيهم لديغ(٢) أو سليم فعرض لهم(٣) رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راقٍ ، إن في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا ، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ(٤) فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك ، وقالوا : أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرًا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » .
وقد ورد الحديث مطولًا عند البخاري في عدة مواضع منها (٢٢٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضًا .

---

(١) أي : على أهل ماء .
(٢) سليم : بمعنى لديغ ، والعرب تطلق على اللديغ (سليم) تفاؤلًا بالشفاء ، كما يقولون في : (الأعمى) البصير صنع كذا وكذا .
(٣) في بعض الروايات أن أصحاب النبي ﷺ سألوهم أن يقروهم (أي : يضيفوهم) فأبوا .
(٤) أي : مقابل عددٍ من الشياه .

● واحتجوا أيضًا بحديث : « زوجتكها بما معك من القرآن »[1] ، فجعل تعليمها القرآن عوضًا عن الصداق في حال انعدامه ، وثمَّ أدلة أخر .

بينما ذهب آخرون إلى أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن لقوله تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا﴾ [الفرقان : ٥٧]، وقوله تعالى : ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد .... ﴾ [سبأ : ٤٧] ، ونحو ذلك من الآيات .

وكذلك بعض الأحاديث مثل حديث : « اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به .... »[2] ، وحديث : « اقرءوا فكلٌّ حسن ، فسوف يأتي قوم يتعجلونه ولا يتأجلونه .... » إلى غير ذلك ، والذي تطمئن إليه النفس أن التعليم إذا لم يكن فرض عين على المعلم جاز له أن يأخذ أجرًا عليه وخاصة إذا

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣١/٩) ، ومسلم (مع النووي ٢١١/٩) من حديث سهل بن سعد مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه أحمد (٤٤٤/٣) ، (٤٢٨/٣) ، وأبو يعلى (٣/١٥/٨) ، والطحاوي (١٨/٣) ، وابن أبي شيبة (٤٠٠/٢) ، والطبراني في الأوسط (١٩٩٧/٣) من حديث عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه مرفوعًا .

والحديث عندهم مداره على يحيى بن أبي كثير ، فرواه مرة عن أبي راشد الحبراني عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا ، ومرة عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا كذلك ، ومرة عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن شبل بدون ذكر أبي راشد ، وهو اختلاف غير مؤثر ، فالذين رووه عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل ثقات أثبات ، فالحديث صحيح ، والله أعلم .

وقد ورد للحديث طريق آخر معلول شاذ وهو من رواية أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، رواه عنه أبو سلمة وعن أبي سلمة يحيى بن أبي كثير فرجع الحديث إلى يحيى بن أبي كثير .

ورواية أبي هريرة حكم عليها عدد من أهل العلم بالوهم منهم الدارقطني رحمه الله ، والله أعلم .

كان من أهل الاحتياج وكان متفرغًا لذلك ، أما إذا كان فرض عين عليه فطلب منه رجل مثلًا أن يعلمه الفاتحة يصلي بها وامتنع عن أن يعلمه إلا بأجر فإنه – والحال هذه يأثم – والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ لا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ [البقرة : ٤٢] ، وما هي صور ذلك ؟

ج : أما (اللبس) فهو الخلط ، (الحق بالباطل) هو الصدق بالكذب ، ومن صور ذلك :

- أنهم يخلطون التوراة المنزلة على موسى بالأكاذيب والتحريفات التي يسطرونها بأيديهم ، ويقولون : هذا من عند الله ، وما هو من عند الله .
- أنهم يخلطون النصرانية واليهودية بالإسلام .
- أنهم يؤمنون ببعض ما في أيديهم ويكفرون ببعض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٤٢] ، تعلمون ماذا ؟

ج : تعلمون أنكم لابسون الحق بالباطل وكاتمون للحق ، فأنتم تلبسون الحق بالباطل عن علم وليس عن جهل ، وهذا أشد قبحًا وأعظم جُرمًا ولا شك .

ومحتمل أيضًا : وأنتم تعلمون عقوبة من لبس الحق بالباطل والوعيد الشديد الوارد في حقه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر الأحاديث الواردة في فضل صلاة الجماعة والحث عليها

والترهيب من تركها ؟

ج : روى **البخاري ومسلم في صحيحيهما** من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة »[1] ،، **كما روى البخاري ومسلم** واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلاةُ الرجل في جماعة تُضعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خَمْسًا وعشرين ضِعْفًا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوُضُوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخْرِجه إلا الصلاة لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رُفعَتْ له بها دَرَجة وَحُطَّتْ عنه بها خطيئةٌ ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مُصلاه ما لم يُحْدِثْ تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة »[2]، كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بِحَطبٍ فَيُحْتَطَبَ ثم آمُرَ بالصلاة فَيُؤَذَّنَ لها ثم آمُرَ رجلًا فَيَؤُمَّ الناس ثم أخالف إلى رجال فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهم »[3]، كما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادَى بهنَّ ، فإن الله شرع لنبيكم سُنَن الهُدى وإنهن من سُنَن الهُدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رَأَيْتُنَا وما يتخلف عنها إلا منافق معلومُ النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٥) ، ومسلم (حديث ٦٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٧) ، ومسلم (حديث ٦٤٩) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٤) ، ومسلم (حديث ٦٥١) .

(٤) أخرجه مسلم (ص٤٥٣ عقب حديث ٦٥٤) ، وفي رواية لمسلم (٦٥٤) : قال عبد الله : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض ، إن كان =

● وأخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » قال : نعم قال : « فأجب » .

● وأخرج مسلم[2] من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كلَّه » .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خصَّ الركوع في قوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ [البقرة : ٤٣] ؟

ج : خصَّ الركوع – كما ذكر بعض أهل العلم – لأنه كان أثقل عليهم من كل فعل ، وقيل : إنه الانحناء لغة ، وذلك يعم الركوع والسجود ، وقد كان الركوع أثقل شيء على القوم في الجاهلية حتى قال بعض من أسلم للنبي ﷺ : على ألا أخرَّ إلا قائمًا ، فمن تأوله على ألا أركع فلما تمكن الإسلام من قلبه اطمأنت نفسه بذلك .

● وقيل : إن المراد بقوله : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أي : صلُّوا مع المصلين (ففيه على هذا القول : الحث على الجماعة).

● وقيل : إن صلاة اليهود لا ركوع فيها فأُمروا بالصلاة التي فيها ركوع ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

= المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة ، وقال : إن رسول الله ﷺ علمنا سن الهُدى ، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه .

(١) حديث (٦٣٥) .

(٢) حديث (٦٥٦) .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات والجُمل :

تنسون أنفسكم – تتلون – واستعينوا – وإنها لكبيرة – الخاشعين – يظنون

ج :

الكلمة	معناها
تنسون أنفسكم	تتركونها ولا تأمرونها بالبر .
تتلون	تقرءون وتدرسون ، وأصل التلاوة الاتباع، تلوته إذا تبعته .
واستعينوا	اطلبوا العون .
وإنها لكبيرة	مشقة ثقيلة – ومنه قوله تعالى : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [الشورى : ١٣] وقوله عليه الصلاة والسلام : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء » .
الخاشعين	المتواضعين الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده ، والخاشع هو الذي يُرى عليه أثر الذُّل والانكسار– خشعت الأصوات أي: سكنت
يظنون	يتيقنون ، فالظن هنا بمعنى اليقين ، ومنه ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] .

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟ وما هو الكتاب المشار إليه في الآية الكريمة ؟

ج : المخاطبون بهذه الآية الكريمة هم اليهود بالدرجة الأولى ، والكتاب المشار إليه هو التوراة ، ويلتحق بهم كل من أمر بالبر ونسي نفسه من نصارى وأهل نفاق ، ومن قال ما لم يعمل وهو قادر على العمل وإن كان من المسلمين .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المراد من الاستفهام التقريع والتوبيخ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالبر في قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر .. ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : ابتداء كل طاعة لله عز وجل تسمى برًّا[1]، لكن المراد بالبر في هذه الآية الكريمة ، لأهل العلم فيه أقوال منها ما يلي :

١ – أن المراد بالبر هنا التمسك بالتوراة ، فكان بنو إسرائيل يأمرون الناس بالتمسك بها ولا يتمسكون بها هم أنفسهم .

٢ – أن المراد بالبر اتباع محمد ﷺ ، فكان الرجل من اليهود يوصي أقاربه سرًّا باتباع محمد ﷺ ويقول له : إنه هو الرسول الحق – ولا يتمسك هو

---

(١) ونقل الطبري رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك (٢/٧ بتحقيق أحمد شاكر) .

بذلك[1] .

٣ – أن المراد بالبر هنا الصدقة ، فقد كان علماء اليهود يأمرون بها ولا يتصدقون .

٤ – أن المراد بالبر الحث على اتباع النبي ﷺ ، فقد كان جماعة من اليهود يخبرون الناس بخروج النبي ﷺ ويحثونهم على اتباعه قبل أن يبعث فلما بُعث رسول الله ﷺ كفروا به وجحدوا نبوته وأعرضوا عن دينه[2].

٥ – أن المراد بالبر عموم الطاعات ، فكان الأحبار يحضون أتباعهم على طاعة الله عز وجل وتقواه ويواقعون هم المعاصي ويقترفونها : فالمعنى أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه .

وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب ، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب –

---

(١) وقد أخرج البخاري (حديث ١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » ، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار » .

(٢) أخرج ابن إسحاق في السيرة من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت الآيات من البقرة : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ [البقرة : ٨٩] (انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢١١) .

والله تعالى أعلم – هو آخرها لأن كل الأقوال التي قبله داخلة فيه هذا ، وقد يأتي البر بمعنى متسع كما في قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذي صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ (١) [المائدة : ٢] ، وقد يأتي البر بمعنى أضيق بعض الشيء كما في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وكما قال النبي ﷺ : « ... فإن الصدق يهدي إلى البر... » (٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق ... » (٣).

● هذا والآية الكريمة : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ... ﴾ وإن كان سياقها في اليهود إلا أن معناها عام فيدخل فيها كل من أمر بالبر وترك نفسه ، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالنسيان في قوله تعالى : ﴿ ... وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿... وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة : ٤٤] الترك

---

(١) وسيأتي مزيد لهذا البحث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (ص٢٠١٣ حديث ٢٠٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

فالمعنى : أتأمرون الناس بالبر وتتركون أنفسكم لا تأمرونها ولا تعملون به ، وذلك لأن النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر لا يؤاخذ صاحبه، وذلك لأن المؤمنين قالوا : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قال الله : (قد فعلت) ، وفي رواية : (نعم)[١] .

هذا ، والنسيان بمعنى الترك يأتي كثيرًا في كتاب الله عز وجل .

- قال الله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾[٢] [التوبة : ٦٧] .
- وقال تعالى : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .
- وقال تعالى : ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ [الأعراف : ٥١] .
- وقال تعالى : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه : ١٢٦] .
- وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ... ﴾ الآية [الأنعام : ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أفلا تمنعون أنفسكم من الوقوع في هذه الحالة المخزية وهي أمر الناس بالبر ونسيان النفس . فالعقل : المنع ، ومنه عقال البعير ؛

---

(١) وسيأتي تخريج هذا في أواخر سورة البقرة بتمامه إن شاء الله تعالى ، وهو في صحيح مسلم (١٤٥/٢) .

(٢) وقد قال موسى عليه السلام : ﴿ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ [طه : ٥٢] ، فتبين بذلك أن المراد بالنسيان ليس النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر ، والله أعلم .

لأنه يمنعه من الحركة ، وقولهم : فلان معتقل أي : محبوس ممنوع من التصرف.

وأيضًا معنى قوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] : أفلا تفهمون وتفقهون ؟! .

***

س : هل يترك الإنسان الأمر بالبر حتى يفعله ، أو أن للإنسان أن يأمر بالبر وإن لم يفعله ؟

ج : لا يترك الإنسان الأمر بالبر ، بل عليه أن يأمر بالبر وإن لم يفعله ، فالآية الكريمة ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ﴾ [البقرة : ٤٤] حوت ثلاث فقرات :

الفقرة الأولى : أمر الناس بالبر في قوله : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ .

الفقرة الثانية : نسيان النفس في قوله تعالى : ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ .

الفقرة الثالثة : تلاوة الكتاب في قوله تعالى : ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ .

ولا شك أن الذم في الآية الكريمة وكذلك التوبيخ والتقريع منصبٌّ على الفقرة الثانية بالدرجة الأولى ، فأمر الناس بالبر مستحب وقد يصل إلى الوجوب في بعض الأحيان ، وكذلك تلاوة الكتاب .

فمن نسي نفسه وأمر الناس بالبر وتلا الكتاب خير(١) ممن نسي نفسه وترك تلاوة الكتاب ،وترك أمر الناس بالبر ، وكذلك فهو خير ممن نسي نفسه وأمر بالمنكر وترك تلاوة الكتاب وبنحو هذا جاءت أقوال العلماء رحمهم الله تعالى(٢).

---

(١) وإن لحقه الإثم .

(٢) **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى** : والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، فإن الأمر بالمعروف معروف =

= وهو واجب على العالم ، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم ، كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [هود : ٨٨] ، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف ، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعصية لا ينهى غيره عنها ، وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية ، فإنه لا حجة لهم فيها ، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، قال مالك عن ربيعة : **سمعت سعيد بن جبير** يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر .

قال مالك : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء ؟

قلت : (القائل هو الحافظ ابن كثير رحمه الله) : لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم .

وقال السعدي رحمه الله تعالى : (في تفسيره تيسير الكريم المنان) : فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله ، أو نهاه عن الشر فلم يتركه دلَّ على عدم عقله وجهله خصوصًا إذا كان عالمًا بذلك قد قامت عليه الحجة ، وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل فهي عامة لكل أحدٍ لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين ، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها ، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر ، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين والنقص الكامل أن يتركهما ، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر فليس في رتبة الأول ، وهو دون الأخير ، وأيضًا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله ، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة .

س : اذكر بعض الآيات والأَحاديث وأيضًا بعض الأشعار في ذم من يأمر بالمعروف ولا يأتيه ، وينهى عن المنكر ويأتيه ؟

ج : أما الآيات الكريمات فمنها :

● قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ ؟!! [البقرة : ٤٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] .

● وقول شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾ [هود : ٨٨] .

● وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

● أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها : ما أخرجه البخاري[(١)] من طريق أبي وائل قال : قيل لأسامة : لو أتيت فلانًا[(٢)] فكلمته ، قال : إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟!! إني أكلمه في السِّر دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه ، ولا أقول لرجلٍ أن كان عليَّ أميرًا إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول :« يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧) .

(٢) هذا الفلان هو عثمان رضي الله عنه ، كما هو واضح في سائر الروايات .

● أما من الأشعار فنورد هنا ما ذكره القرطبي رحمه الله ، نقلًا عن غيره .

قال رحمه الله : وقال منصور الفقيه فأحسن :

إن قـومًـا يـأمـرونـنـا	بـالـذي لا يفـعلـونـا
لمجانيـن وإن هـم	لم يكونـوا يصرعـونـا

وقال أبو العتاهية :

وصفت التُّقى حتى كأنك ذو تقى	وريحُ الخطايا من ثيابك تستطعُ

وقال أبو الأسود الدُّؤَلي :

لا تَنْهَ عن خُلقٍ وتأتِيَ مثلَه	عار عليك إذا فعلتَ عظيمُ
وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها	فإن انتهتْ عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُقَبل إن وَعظتَ ويُقتدى	بالقول منك وينفع التعليـمُ

وقال أبو عمرو بن مطر : حضرت مجلس أبي عثمان الحِيري الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير ، فسكت حتى طال سكوته ؛ فناداه رجل كان يُعرف بأبي العباس : ترى أن تقول في سكوتك شيئًا ؟ فأنشأ يقول :

وغير تَقِيٍّ يأمر الناس بالتُّقَى	طبيبٌ يداوي وَالطبيبُ مريضُ

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج .

الرابعة - قال إبراهيم النَّخَعِي : إني لأكره القَصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿ أَتأْمُرُونَ الناس بالبر ﴾ الآية [البقرة : ٤٤] ، وقوله : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢] ، وقوله : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [هود : ٨٨] . وقال سلم بن عمرو :

ما أقبح التزهيد من واعظٍ	يزهـد النـاس ولا يـزهـد
لو كان في تزهيده صادقًا	أضحى وأمسى بيته المسجد

إن رفض الدنيا فما بالُهُ   يَستمنح الناس ويسترفد
والرزق مقسوم على من ترى   يناله الأبيض والأسود

❋ ❋ ❋

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ... ﴾ الآية [البقرة : ٤٥] ؟

ج : المخاطبون بذلك هم بنو إسرائيل ، والمؤمنون لهم تبع في هذا الخطاب أما قولنا : إن المخاطبين هم بنو إسرائيل فذلك لأن سياق الكلام فيهم ابتداءً من قوله : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ [البقرة : ٤٠] .

أما قولنا : إن المؤمنين لهم تبعٌ ، في هذا الخطاب فذلك لأن العبرة بالعموم والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يُطلب من بني إسرائيل الاستعانة بالصبر والصلاة ؟

ج : يطلب منهم الاستعانة على طاعة الله عز وجل بصفة عامة وعلى ما يُذهب عنهم شهوة الرئاسة فقد كانوا ذوي جاهٍ ورئاسةٍ فقيل : لهم استعينوا بالصبر والصلاة لتذهب عنكم شهوة الرئاسة والجاه .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يطلب المؤمنون العون من الله تبارك وتعالى ؟

ج : إجمالي القول في ذلك أن يقال : إن الاستعانة مطلوبة لفعل ما

يرضي الله سبحانه وتعالى وتجنب ما يسخطه عز وجل ، وببعض التفصيل :

• **فهي مطلوبة لتحمل المصائب والصبر على أقدار الله عز وجل .**

• وكذلك فعل الخليل إبراهيم عليه السلام لما دخلت سارة على الجبار قام إبراهيم عليه السلام يصلي[١] .

• فكذلك ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾[٢] [البقرة : ٤٥] .

وكذلك خُبيب قام يصلي بين يدي القتل[٣] .

• **والاستعانة مطلوبة لدفع البلاء كذلك** فعند كسوف الشمس تشرع الصلاة حتى تنجلي ، ومن المعلوم أن كسوف الشمس أو القمر آيتان

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال .... الحديث وفيه أن إبراهيم عليه السلام قام إلى الصلاة لما أدخلت سارة على الجبار ، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٠٨٤) مرفوعًا ومطولًا موقوفًا (٢٣٥٨) وسيأتي بطوله في آل عمران عند سؤال تسليط قوم على قوم .

(٢) أخرجه الطبري (رقم ٨٥٢) بإسناد صحيح .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه .. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت .

يخوف الله عز وجل بهما عباده ، وقد قال النبي ﷺ : « إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره »[1] الحديث .

● وقد قال الله تعالى في شأن نبيه يونس عليه السلام : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ [الصافات : ١٤٣، ١٤٤] .

وقوله : ﴿ من المسبحين ﴾ فسرها بعض العلماء بـ (المصلين) ، والله أعلم .

● **والاستعانة بالصلاة مطلوبة للحفظ ودفع الشرور** ، قال الله تعالى : ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

● **وكذلك الاستعانة مطلوبة للتوفيق إلى أعمال الخير** كما في صلاة الاستخارة ، فإننا نركع ركعتين ثم ندعو الله عز وجل بالدعاء المذكور[2] .

● **وكذلك الاستعانة مطلوبة لجلب الرزق** ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ [طه : ١٣٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/٥٤٥) ، ومسلم (٦/٢١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) حديث الاستخارة أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال - في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به ، ويسمي حاجته » .

س : ما معنى الصبر لغة ؟

ج : الصبر يطلق على الحبس ، ومنه قولهم : قتل فلان صبرًا أي أُمسك وحُبِس حتى قُتِل ، وقوله : صبرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها عليه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالصبر في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر ... ﴾ [البقرة : ٤٥] ؟

ج : الصبر هنا عام يدخل فيه كل أنواع الصبر ، فمنه صبر على طاعة الله عز وجل (أي : حبس النفس وإلزامها طاعة ربها عز وجل) .

- ومنه الصبر عن محارم الله عز وجل (أي : منع النفس عن المحارم) .
- وصبر على أقدار الله سبحانه وتعالى (من السراء والضراء) .
- ومن الصبر الصوم كذلك ، وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] : إنهم الصائمون(١) .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الاستعانة بالصلاة ؟

ج : وجه ذلك أن الصلاة يتلى فيها ما يرغِّب في الآخرة ويزهِّد في الدنيا ، وفي إقبال العبد عليها اعتراف من العبد بأنه سيلقى ربه عز وجل فتهون عليه المصائب وتسهل عليه الطاعات ، والله أعلم .

---

(١) ومستندهم في ذلك أن الله عز وجل قال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] . وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « والحسنة بعشر أمثالها ، وكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » .
ومن ثمَّ أطلق على رمضان شهر الصبر كذلك ، والله أعلم .

س : لماذا عُقب قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ بقوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة : ٤٦] ؟

ج : وجه ذلك - والله أعلم - أن العبد إذا أيقن بالمعاد وبالجزاء وبلقاء الله عز وجل سهلت عليه الطاعات وتيسر عليه عمل الخير ، فالذي خفف عليهم الطاعات وأوجب لهم التسلي في المصيبات وزجرهم عن فعل السيئات هو ما قذفه الله عز وجل في قلوبهم من يقين بأنهم ملاقو ربهم عزَّ وجل وأنهم إليه راجعون .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة : ٤٥] ، يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال .

● **منها أن الضمير يرجع إلى الصلاة [1] وحدها لأنها أقرب مذكور** في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة : ٤٥] ، ومن المعلوم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا إذا جاء دليل على التعميم .

ويَرِد على هؤلاء القائلين بأن الضمير يرجع إلى الصلاة وحدها سؤال وهو لماذا لم يقل في الصبر : إنه كبير أيضًا ؟

فأجاب أهل هذا القول بأجوبة منها :

أولًا : أن الضمير رجع إلى الصلاة وحدها لأهمية الصلاة فاقتصر على

---

(١) ويشهد له قول النبي ﷺ : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء ... » الحديث .

الصلاة لأهميتها ، كما اقتصر على ذكر التجارة في قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] ، لأن الحامل الأصلي على الانفضاض هو التجارة .

الثاني : أن الصبر داخل في الصلاة .

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة : ٦٢] ، لأن رضا رسول الله ﷺ داخل في رضا الرب سبحانه وتعالى .

الثالث : قيل : تغليبًا ، كما في قوله : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها[1] في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] .

الرابع : قيل : اختصارًا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ [المؤمنون : ٥٠] ، ولم يقل : وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية .

• **ومنها أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وإنها لكبيرة ... ﴾ راجع إلى الوصية بالاستعانة بالصبر والصلاة كما في قوله تعالى :** ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيم ﴾ [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] أي : وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا .

• ونحوه في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ [القصص : ٨٠] أي : هذه الوصية لا يلقاها إلا الصابرون .

• **ومنها أن الضمير يرجع إلى الاستعانة نفسها** أي : أن الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين ، وهذا القول قريب من الذي قبله .

---

(١) بعض العلماء يقول : إن الضمير في قوله تعالى : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ راجع إلى الأشياء المكنوزة ، والله تعالى أعلم .

● ومنها أن الضمير يرجع إلى الأوامر التي كلف بها بنو إسرائيل ، وتبدأ من قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ... ﴾ [البقرة : ٤٠] الآيات ، ثم قال تعالى : ﴿ وإنها ﴾ (أي : هذه الأوامر والتكاليف التي كلفتم بها ﴿ كبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ، والله تعالى أعلم) .

***

س : هل في قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ... ﴾ [البقرة : ٤٦] ، دليل صريح على رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة ؟ وهل يرى المؤمنون ربهم عز وجل يوم القيامة ؟

ج : نعم يرى المؤمنون ربهم عز وجل يوم القيامة(١)، أما هذه الآية الكريمة ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ [البقرة : ٤٦] ففيها دليل إلا أنه ليس بصريح ، أما عدم صراحته فلأن اللقاء لا يستلزم الرؤية ، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ : « من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » وقد يحلفها كافر ، والكافر لا يرى ربه لقوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٥] .

● وقال الله عز وجل : ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ [البقرة : ٢٢٣] وهذا عام .

● وقال تعالى في شأن المنافقين : ﴿ فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في محله من التفسير إن شاء الله تعالى . وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢] ، وقال النبي ﷺ كما ثبت عنه في الصحيح : « إنكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة ... » الحديث ، وسيأتي مزيد لذلك في أبوابه إن شاء الله .

يلقونه ﴾ [التوبة : ٧٧] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بالظن في قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم .. ﴾ [البقرة : ٤٦] ؟

ج : المراد بالظن هنا اليقين لأن الله سبحانه وتعالى قال في شأن المتقين : ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ . وليس المراد بالظن هنا الشك ، فإن الله عز وجل قال في شأن الكافرين : ﴿ بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شكٍّ منها بل هم منها عمون ﴾ [النمل : ٦٦] ، فالشك في الآخرة كفر ، والعياذ بالله .

- وكون الظن يطلق على اليقين فهو جائز بل ووارد بكثرة .
- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا ﴾ [الكهف : ٥٣] .
- وقال تعالى : ﴿ ... إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] .
- وفي الحديث القدسي : « ... أفظننت أنك ملاقي » .

❋ ❋ ❋

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ
عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
لا تجزي - عدلٌ - يُنصرون ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
لا تجزي	لا تغني - لا تقضي
عـدل	فدية (فداء)
يُنصرون	يُمنعون من عذاب الله

❋ ❋ ❋

س : من المعلوم أن بني إسرائيل الذين وجه إليهم الخطاب في قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى ، فإن قال قائل : بماذا فضل هؤلاء على العالمين ؟ فكيف الجواب عليه ؟

ج : الجواب يتلخص في أن الذين فضلوا هم آباؤهم الأولين ، فشرف آبائهم شرف لهم ، ومجد آبائهم مجدٌ لهم ، والدليل على أن بني إسرائيل الذين فضلوا هم الآباء وليسوا الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ وما جاورها ، قوله تعالى : ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون ...﴾ الآيات [البقرة : ٤٩]، وهم لم يروا فرعون بل الذين رأوه هم آباؤهم[1] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ، فيه عطف للخاص على العام ، وضح ذلك ؟

ج : توضيح ذلك أن يقال : إن قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ يجمع النعم التي أنعم الله عز وجل بها على بني إسرائيل ، وضمن هذه النعم تفضيل الله عز وجل إياهم على العالمين ، فكونه يكرر : ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ فمعناه : أنه سبحانه ذكر أحد أفراد النعم بعد أن

---

(١) هذا وتمام التفضيل خاص بمن انتفع بنعم الله منهم وأطاع الله سبحانه وتعالى ، أما من عصاه منهم فكانوا قردة خاسئين وكانوا من المغضوب عليهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] .

ذكرها مجتمعة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا كرر التذكير بقوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ... ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : كرر التذكير للتأكيد عليهم وبيان كمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعم التي أنعم الله عز وجل بها عليهم ، وكرر كذلك ليربط بعده من الوعد الشديد به لتتم الدعوة بطريقتي الترغيب والترهيب في قوله : ﴿ واتقوا يومًا .... ﴾ [البقرة : ٤٨] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل فضلت بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ ؟

ج : لم تفضل بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ ، وقد قال الله تبارك وتعالى في شأن أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] . وقال النبي ﷺ : « إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »(١) .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالعالمين في قوله تعالى : ﴿ وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : المراد عالمي زمانهم ، وقيل : إنه تفضيل عام لكن بوجهٍ من الوجوه مخصوص ألا وهو كثرة أنبيائهم ، كما قال النبي ﷺ : « كانت بنو إسرائيل

---

(١) حديث حسن ، وسيأتي تخريجه مع مزيد من الأدلة التي تشهد لهذا المعنى في آل عمران إن شاء الله تعالى .

تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث[1] .

لكن القول الأول (وهو أنهم فُضِّلوا على عالمي زمانهم) عليه جمهور أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [البقرة : ٤٧] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ [الجاثية : ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين ﴾ [المائدة : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين ﴾ [الذخان : ٣٢] .

* * *

س : اذكر بعض النعم التي فضل الله بها بني إسرائيل على العالمين ؟

ج : من هذه النعم كثرة الأنبياء فيهم – كما تقدم عن رسول الله ﷺ : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم[2] الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ... » .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا .
(٢) أي : تقودهم .

- جعلهم الله عز وجل ملوكًا[1] بما أغدق عليهم من النعم .
- ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .
- أنزل الألواح على نبيهم موسى ﷺ .

وثَمَّ نعم أخر يعرف بعضها البشر ، والبعض الآخر لا يحصيه إلا الخالق سبحانه وتعالى .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ، وما هو اليوم المراد ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : واحذروا يومًا أو واخشوا يومًا ، وقيل : هنا إضمار ، والمعنى : واتقوا عذاب يومٍ ، والمقصود من اتقاء اليوم الخوف من أهواله وعظائمه ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يومًا يجعل الولدان شيبًا * السماء منفطر به كان وعده مفعولًا ﴾ [المزمل : ١٧، ١٨] .

وكما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج : ١ ، ٢] .

أما اليوم المراد فهو يوم القيامة .

***

س : ما هو المراد بالنفس في قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : النفس الكافرة ، فهذا من العام الذي أريد

(١) وسيأتي إن شاء الله تعالى تفسير الملوك في بابه من سورة المائدة .

به الخصوص .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ، النفس الكافرة لا كل نفس .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات : قوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾ [عبس : ٣٤ - ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ [لقمان : ٣٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ [فاطر : ١٨] .

❋ ❋ ❋

س : هل المراد من قوله تعالى : ﴿ ولا يقبل منها شفاعة ﴾ [البقرة : ٤٨] نفي الشفاعة مطلقًا ؟ أم ماذا ؟

ج : ليس المراد من الآية الكريمة نفي الشفاعة مطلقًا إلا إذا أُريد الكافرين كما هو الصحيح في الآية(١) ، فالشفاعة فيهم ومنهم مرفوضة منفية تمامًا(٢) ، أما شفاعات أهل الإيمان في أهل الإيمان بإذن الله عز وجل فثابتة ، كما قال تعالى:

---

(١) أعني تفسير النفس في الآية بأنها النفس الكافرة كما تقدم .

(٢) باستثناء أبي طالب ، فشفاعة رسول الله ﷺ خفف الله عنه بها بعض العذاب ، وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله .

﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولا يؤخذ منها عدل ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ وإن تعدل كل عدلٍ لا يؤخذ منها ﴾ [الأنعام : ٧٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ [الحديد : ١٥] .
- وقوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به ﴾ [آل عمران : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٣٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [الرعد : ١٨] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ [الطارق : ١٠]

وقوله تعالى : ﴿ ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [الصافات : ٢٥ ، ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانًا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ﴾ [الأحقاف : ٢٨] .

* * *

س : من هم الذين لا تقبل فيهم الشفاعة ؟ ولا تقبل منهم ؟

ج : هم الكفار ، ودليل ذلك قولهم : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] ، وقوله تعالى: ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ [المدثر : ٤٨] .

* * *

س : الشفاعة مأخوذة من ماذا ؟ وما معنى استشفعه إلى فلان ؟

ج : الشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان ، والشفع ضد الوتر ، فالوتر واحد والشفع اثنان ، تقول : كان وترًا فشفعته ، فالشفاعة هي ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال منفعة للمشفوع .

قال الطبري رحمه الله تعالى : و (الشفاعة) مصدرٌ من قول الرجل : (شفع لي فلان إلى فلان شفاعة) وهو طلبه إليه في قضاء حاجته ، وإنما قيل للشفيع : شفيع وشافع لأنه ثنَّى المستشفع به فصار به شفعًا ، فكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به في حاجته فردًا فصار صاحبه له فيها شافعًا وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة ، ولذلك سمي الشفيع في الدار وفي الأرض (شفيعًا) لمصير البائع به شفعًا .

قلت : والمشفِّع هو الذي يقبل الشفعة ، والمشفَّع هو الذي تُقبل

شفاعتـه ، والشفاعة كذلك التوسط للتجاوز عن الذنوب والجرائم وأيضًا التوسط لجلب خيرٍ أو لدفع ضُرٍّ عن أحدٍ من الناس .

أما معنى استشفعه إلى فلان أي: سأله أن يشفع له إليه ، ومنه القول المنقول عن الأعشى :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلًا ... يارب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا
واستشفعت من سَرَاةِ الحي ذا ثقةٍ ... فقد عصاها أبوها والذي شفعا

ومنه أيضًا :

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

* * *

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾[البقرة : ٤٨] ؟

ج : أمثل ما قرأته في تأويلها إجمالًا هو قول الطبري رحمه الله فقال : واتقوا يومًا لا تقضي نفس عن نفسٍ حقًّا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره ، ولا يقبل الله منها شفاعة شافع فيترك لها ما لزمها من حق .

وتأويل قوله[1] : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] يعني : أنهم لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية ، بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرُّشى والشفاعات وارتفع[2] بين القوم التعاون والتناصر وصار الحكم إلى العدل الجبار الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنُّصراء فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه : ﴿ وقفوهم إنهـم

---

(١) هذا أيضًا قول الطبري رحمه الله تعالى .

(٢) أي : ذهب وانقضى .

مسئولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون ﴾ [الصافات : ٢٤ - ٢٦] ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي نفت الشفاعة والشفيع مطلقًا ؟

ج : من هذه الآيات :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئًا ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ [البقرة : ٤٨] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾ [الأنعام : ٥١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ، وإن تعدل كل عدلٍ لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [يونس : ١٨] .

● وقول أهل النار : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١] .

● وقوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام

ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ [السجدة : ٤] .

● وقول بعض الصالحين : ﴿ أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرٍّ لا تغني عني شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون ﴾ [يس : ٢٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾ [الزمر : ٤٣ ، ٤٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين مِن حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي أثبتت الشفاعة والشفيع ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفعُ عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

● وقوله تعالى : ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ [البقرة : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيتهِ مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ – ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا * فيذرها قاعًا صفصفًا * لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا * يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا * يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولًا * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا ﴾ [طه : ١٠٥ – ١٠٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد

بالحق وهم يعلمون ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٨٦] .

وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود .

***

س : كيف تجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها ؟

ج : يجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها بالآتي :

أولًا : لا بد أن يُعلم أن أمر الشفاعة كله موكولٌ إلى الله تبارك وتعالى لقوله عز وجل : ﴿ قل لله الشفاعة جميعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] .

ثانيًا : لا شفاعة في كافر[(١)] لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] .

ولقول الكافرين : ﴿ فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم ﴾ [الشعراء : ١٠٠، ١٠١] ، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) ويستثنى من هذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ ، فقد أخرج البخاري (٣٨٨٥) ، ومسلم (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ – وذكر عنده عمه أبو طالب – فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » ، وقد جاء هذا مجزومًا به في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : « هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » ، أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩) ، فأبو طالب مستثنى ، ثم إن الشفاعة لم تخرجه من النار ، وقد يقال : إن الكافر الداعي إلى كفره ليس كالكافر الذي =

عن النبي ﷺ قال : « يلقى إبراهيم أباه فيقول : يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عز وجل : إني حرمت الجنة على الكافرين »[(1)] .

ثالثًا : أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

رابعًا : أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله سبحانه وتعالى ، لقوله عز وجل : ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

خامسًا : أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها ، قال الله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [يونس : ١٨] .

= لا يدعو إلى الكفر وهذا صحيح ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ [العنكبوت : ١٢ - ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين * ليحملوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ [النحل : ٢٤ ، ٢٥] .

فأبو طالب كان كافرًا لكنه لم يكن داعيًا إلى الكفر بل كان منافحًا عن رسول الله ﷺ فمن ثم خُفف عنه .

لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ حيث قال :« ولولا أنا ... » أقوى من هذا المفهوم ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٩) .

● وقال تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق[1] وهم يعلمون ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

● وقال تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

● وقال سبحانه : ﴿ قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له .... ﴾ [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] والله أعلم .

* * *

س : اذكر أنواع الشفاعات مع (بيان أمثلة لكل نوعٍ منها) ؟

ج : الشفاعات على وجه الإجمال تحصل لي أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي :

● شفاعات في الآخرة .

● شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا .

● شفاعات بين أهل الدنيا في دنياهم .

أما على وجه التفصيل **فبالنسبة لشفاعات الآخرة** فنذكر منها الآتي :

١ - **الشفاعة العظمى** (والشافع فيها هو رسول الله ﷺ[2] بإذن

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : هذا استثناء منقطع أي : لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له . وسيأتي لهذا مزيد في تفسير الآية المذكورة إن شاء الله .

(٢) وهي التي ذكرها النبي ﷺ في حديث: « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت =

ربه) وهي لأمور ثلاثة :

أ) للتفريج عن الناس مما هم فيه من الغم والكربات التي لا يطيقونها ولا يحتملونها لما يجمعهم الله عز وجل في صعيدٍ واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس من رءوسهم .

ب) لإدخال أقوامٍ الجنة .

ج) لإخراج أقوام من النار .

وها هي بعض الأحاديث الواردة في بيان هذه الشفاعة العظمى :

= بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم و لم تحلَّ لأحد قبلي **وأعطيت الشفاعة** ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (حديث ٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وهي التي أخرَّها النبي ﷺ لأمته فقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه (حديث ٨٢٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضبت عرقًا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقًا فقال لي : « يا أبي أُرسل إليَّ أنِ اقرأ القرآن على حرف . فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثانية . اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردَّةٍ رددتكها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي **وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ** » .

● وأخرج البخاري (٧٤٧٤) ، ومسلم (حديث ١٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

● حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (حديث ١٩٤) واللفظ له ، وفيه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : « أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحمٍ . فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه . فنهس منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة . وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد . فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون . وما لا يحتملون . فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم . فيأتون آدم . فيقولون : يا آدم ! أنت أبو البشر . خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله . إنه نهاني عن الشجرة فعصيته . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري . اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ! أنت أول الرسل إلى الأرض . وسماك الله عبدًا شكورًا . اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله . وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي . نفسي اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ . فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض . اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى ﷺ فيقولون : يا موسى ! أنت رسول الله . فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب

اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها . نفسي . نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ! أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه . فاشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . ولم يذكر له ذنبًا . نفسي . نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتوني فيقولون : يا محمد ! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء . وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي . ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي . ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك . سل تعطه . اشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول : يارب ! أمتي أمتي . فيقال : يا محمد ! أدخل الجنة من أمتك ، من لا حساب عليه ، من الباب الأيمن من أبواب الجنة . وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمدٍ بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجرٍ أو كما بين مكة وبصرى » .

● حديث أنس رضي الله تعالى عنه[1] وفيه أن أنسًا رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، علمك أسماء كل شيء ، اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناك - ويذكر لهم خطيئته التي أصاب - ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤١٠) ، ومسلم (حديث١٩٣) .

إلى أهل الأرض . فيأتون نوحًا فيقول : لست هناك - ويذكر خطيئته التي أصاب - ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم - ويذكر لهم خطاياه التي أصابها - ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا . فيأتون موسى فيقول : لست هناكم - ويذكر لهم خطيئته التي أصابها- ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه . فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتونني ، فأنطلق ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال لي : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع ، فيحد لي حدًّا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد قل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول : يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » ، فقال النبي ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة » .

● وهذا سياق آخر لحديث أنس رضي الله تعالى عنه مع حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[1] ، فقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم (١٨٢/١ ترتيب محمد فؤاد) .

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه . فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال : يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى . فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني فأقول : أنا لها ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي ! فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجدًا فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتي فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار من النار ، فأنطلق فأفعل » ، فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا : لو مررنا بالحسن وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة فحدثنا بما

حدثنا أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له : يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك ، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة ، فقال : هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع ، فقال : هيه ، فقلنا : لم يزد لنا على هذا فقال : لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلموا ، فقلنا : يا أبا سعيد فحدثناه فضحك ، وقال : خلق الإنسان عجولًا ، ما ذكرته إلا وأنا أريد أحدثكم حدثني كما حدثكم به ، قال : « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ، ثم أخر له ساجدًا ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله » .

● ومنها حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه ومعه أبو هريرة رضي الله عنه قالا[١] : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس . فيقوم المؤمنون حتى تزلف[٢] لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ! لست بصاحب ذلك واذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله . قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك . إنما كنت خليلًا من وراء وراء[٣] . اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا فيأتون موسى ﷺ فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذلك . فيأتون محمدًا ﷺ . فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم[٤] فتقومان جنبتي

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٥) .

(٢) (تزلف) : أي تقرب. كما قال الله تعالى : ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ أي : قربت .

(٣) (من وراء وراء) قال الإمام النووي : قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه . وقال : الفتح صحيح .وتكون الكلمة مؤكدة كَشَذَرَ مَذَرَ وَشَغَرَ بَغَرَ وسقطوا بين بين فركبهما وبناهما على الفتح .

(٤) (وترسل الأمانة والرحم) إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما . فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى .

الصراط[1] يمينًا وشمالًا فيمر أولكم كالبرق » قال : قلت : بأبي أنت وأمي ! أي شيء كمر البرق ؟ قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح . ثم كمر الطير وشد الرجال[2] . تجري بهم أعمالهم[3] ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب ! سلم سلم . حتى تعجز أعمال العباد . حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا». قال: «وفي حافتي الصراط[4] كلاليب معلقة . مأمورة بأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج ومكدوس[5] في النار » .

والذي نفس أبي هريرة بيده ! إن قعر جهنم لسبعون خريفًا .

٢ - الشفاعة لأهل الكبائر [6] ، وعليها أدلة كثيرة منها ما هو خاص ومنها ما هو عام .

أما الخاص فحديث رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[7].

---

(١) (جنبتي الصراط) معناهما : جانباه ، ناحيتاه اليمنى واليسرى .

(٢) (وشد الرجال) الشد هو العَدْوُ البالغ والجري .

(٣) (تجري بهم أعمالهم) هو تفسير بقوله ﷺ: فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره.

(٤) (حافتي الصراط) هما جانباه .

(٥) (ومكدوس) قال في النهاية : أي مدفوع . وتكدَّس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط .

(٦) ليس المقصود قصر الشفاعة على أهل الكبائر وحصرها منهم ، بل المراد - والله أعلم أن الشفاعة تنفع أكثر ما تنفع أهل الكبائر ، وذلك لأن الكبيرة يعذب عليها صاحبها - إلا أن يشاء الله أن تغفر له - فإذا أذن الله عز وجل لنبيه ﷺ في الشفاعة في صاحب الكبيرة فقد ارتفع عن صاحب الكبيرة العذاب ومن ثمَّ حصل له الانتفاع ، والحامل على هذا القول أن هناك أنواعًا من الشفاعات لرسول الله ﷺ كما بيناه وتنبيته إن شاء الله ، والله أعلم .

(٧) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه ، فله عن رسول الله ﷺ طرق منها حديث أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد (٢١٣/٣) وأبو داود (في كتاب السُّنة من سننه أبواب الشفاعة حديث ٤٧٣٩) من طريق سليمان بن حرب ثنا بسطام بن حريث عن أشعث الحداني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وله طرق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا وله أيضًا طرق أخرى عن غير أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ كجابر بن عبد الله وغيره من الصحابة ، انظر هذا كله بتفصيل في كتاب الشفاعة .

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي :

● حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أنه قال لرسول الله ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه »(١) .

● الأحاديث التي قدمناها عند ذكر الشفاعة العظمى وفيها : « فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود » ، وقول النبي ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة».

● وفي الأحاديث المتقدمة أيضًا «... فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ...- إلى أن قال: فيقول (أي الرب سبحانه وتعالى)-: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار من النار فأنطلق فأفعل ...» الحديث .

● وفي الحواشي المتقدمة كذلك قول النبي ﷺ : « وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

ومنها قول النبي ﷺ : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة »(٢) .

فيدخل في هذا أهل الكبائر أيضًا .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٩٩ ، ٦٥٧٠) .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٩٩/٨) ، وأبو داود (٣٦٢/١) وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

٣ - الشفاعة لإدخال قومٍ الجنة بغير حساب .

● تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيما ذكرناه من أحاديث في أبواب الشفاعة العظمى أن النبي ﷺ قال : « فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » .

● وعن رفاعة[١] الجهني رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال : بقديد فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم فيأذن لهم فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال رجال يكون شق الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشق الآخر » فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيًا فقال رجل إن الذي يستأذنك بعد هذا السفيه فحمد الله وقال حينئذ : « أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة قال : وقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوّؤا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة وقال إذا مضى نصف الليل أو قال ثلثا الليل ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري من ذا يستغفرني فأغفر له من الذي يدعوني أستجيب له من ذا الذي يسألني أعطيه حتي ينفجر الصبح » .

٤ - الشفاعة في خروج الموحدين من النار .

● عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هل تُمارونَ في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دُونَهُ سَحابٌ ؟ » قالوا : لا يا رسولَ الله . قال : « فهل تُمارونَ في الشَّمسِ ليسَ دونَها سحابٌ ؟ » قالوا : لا . قال : « فإنكم تَرونهُ كذلك ، يُحشَرُ الناسُ يومَ القِيامِة فيقولُ :

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٦) .

(٢) أخرجه البخاري حديث (٨٠٦) ومسلم (١/١٦٣ ، ١٦٤) .

مَن كانَ يَعبُدُ شيئًا فَلْيتَّبِعْ ، فمنهم مَن يتَّبعُ الشَّمسَ ، ومنهم مَن يتَّبعُ القمرَ ، ومنهم مَن يتَّبعُ الطواغِيتَ ، وتبقَى هٰذهِ الأُمَّة فيها مُنافِقوها ، فيأْتيهمُ اللهُ فيقولُ : أَنا ربُّكم ، فيقولون : هذا مكانُنا حتى يأْتِينَا ربُّنا ، فإِذا جاءَ ربُّنا عرفناه . فيأْتيهمُ اللهُ فيقولُ : أَنا ربُّكم فيقولونَ : أَنتَ ربُّنا ، فيدعوهم فيضرَبُ الصِّراطُ بينَ ظهرانَيْ جَهنَّم ، فأَكونُ أَوَّلَ مَن يَجوزُ منَ الرُّسُلِ بأُمَّتِهِ ، ولا يتكلَّمُ يومَئِذٍ أَحدٌ إِلَّا الرُّسُل ، وكلامُ الرُّسُلِ يومَئِذٍ : اللَّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . وفي جَهنَّم كَلاليبُ مِثلُ شَوكِ السَّعدان هل رَأَيتمْ شَوكَ السَّعدانِ ؟ » قالوا : نعم . قال : « فإِنها مثلُ شوكِ السعدانِ ، غيرَ أَنَّه لا يَعلمُ قَدْرَ عِظَمِها إِلَّا اللهُ ، تَخْطَفُ الناسَ بأَعمالِهِمْ ، فمنهم مَن يُوبَقُ بعَمِلِه ، ومنهم مَن يُخرْدَلُ ثمَّ يَنجو . حتى إذا أَرادَ اللهُ رحمةَ مَن أَرادَ مِن أَهلِ النَّارِ أَمَرَ اللهُ الملائكةَ أَن يُخرِجوا مَن كان يَعبُدُ اللهَ ، فيُخرِجونهمْ ، وَيَعرِفونَهم بآثارِ السُّجودِ ، وحرَّمَ اللهُ عَلَى النارِ أَن تأْكلَ أَثرَ السجودِ . فيخرُجونَ منَ النارِ ، فكلُّ ابنِ آدمَ تأْكلُه النارُ إِلَّا أَثَرَ السجودِ ، فيخرُجونَ مِنَ النَّار قِد امتَحشوا ، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ ، فينبتُونَ كما تنبُت الحبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ . ثمَّ يَفرُغُ اللهُ مِنَ القضاءِ بينَ العبادِ ، ويَبقَىٰ رَجُلٌ بينَ الجنَّةِ والنار – وهو آخرُ أَهلِ النارِ دخُولًا الجَنَّةَ – مُقبِلٌ بوَجههِ قِبَلَ النارِ ، فيقول : يا ربِّ اصرفْ وَجهي عن النار ، قد قَشبَنِي رِيحُها وأَحرَقَني ذَكاؤُها . فيقولُ : هلْ عَسيتَ أَنْ فُعلَ ذٰلك بكَ أَن تَسأَلَ غيرَ ذٰلكَ ؟ فيقول : لا وعزَّتِك . فيُعطِي اللهَ ما يَشاءُ مِن عَهدٍ وميثاقٍ ، فيصرِفُ اللهُ وَجهَهُ عنِ النارِ ، فإذا أَقبَلَ به على الجنَّةِ رأَى بهجَتها ، سَكتَ ما شَاءَ اللهُ أَن يَسكُت ، ثم قال : يا ربِّ قدِّمْني عندَ بابِ الجنَّةِ . فيقولُ اللهُ له : أَليسَ قد أَعطيتَ العُهود والميثاقَ أَنْ لا تَسأَل غيرَ الذي كنتَ سأَلتَ ؟ فيقول : يا رب ، لا أَكونُ أَشقَىٰ خَلقِكَ . فيقول : فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيُعطي ربَّهُ ما شاءَ من عهد وَميثاقٍ ، فيُقَدِّمُهُ إلى بابِ الجَنَّةِ، فإذا بَلَغَ بابَها فرأى زهرتَها وما فيها

مِنَ النَّضرَةِ والسُّرور فيسكُتُ ما شاءَ الله أَن يسكُتَ ، فيَقولُ : يا ربِّ أَدخِلني الجَنَّة . فيقولُ اللَّهُ : وَيحَكَ يا ابنَ آدَمَ ، ما أَغْدَرَكَ ! أَليسَ قد أَعطيت العهودَ والميثاقَ أن لا تسأَلَ غيرَ الذي أُعطيتَ ؟ فيقولُ : يا ربِّ لا تجعلني أَشقىٰ خَلقك . فيَضحَكُ اللَّهُ عز وجلَّ منه ، ثمَّ يأْذَنُ لهُ في دُخولِ الجنَّةِ ، فيقولُ : تمنَّ ، فيَتَمنَّىٰ . حتى إِذا انقَطَعَ أُمنيَّتُهُ قال الله عزَّ وَجلَّ : مِن كذا وكذا - أَقبَلَ يُذَكِّرُهُ ربُّهُ - حتى إذا انْتهَتْ بهِ الأَمانيُّ قال اللَّهُ تعالىٰ : لَك ذلك وَمِثلُهُ مَعَهُ » . قال أَبو سعيدٍ الْخُدرِيُّ لأَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهما : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « قال اللَّهُ : لَك ذلكَ وَعشْرَةُ أَمثالِه » . قال أَبو هُريرةَ : لمْ أَحفَظْ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلا قَولَهُ : « لكَ ذٰلكَ ومِثلُهُ معهُ » . قال أَبو سعيد : إِني سمعتُهُ يقول : « ذٰلك لكَ وعشرَةُ أَمثالِه » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال[1] : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : «هل تضارُونَ في رؤية الشمس والقَمر إذا كانت صَحوًا ؟» قلنا: لا ، قال : «فإنكم لا تضارُون في رؤية ربِّكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ، ثم قال : ينادى مناد ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحاب الصليبِ مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتم . حتى يبقى من كان يعبدُ الله من بر أو فاجر وغُبراتٌ من أهل الكتاب ثمَّ يؤتى بجهَنَّم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنَّا نعبُدُ عُزَيرًا ابن الله ، فيقال : كذَبتم لم يكنْ للّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ، قالوا : نريد أن تسقِينَا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيحَ ابن الله ، فيقال كذبتم لم يكن للّه صاحبة ولا ولدٌ ، فما تريدون فيقولون نريدُ أن تسقينا ، فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ فيقولون :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) .

فارقناهم ونحن أَحوجُ منا إليه اليومَ ، وإنا سمعنا مناديًا ينادِي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا . قال : فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة ، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون السَّاق : فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ثمَّ يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم » قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « مَدحضةٌ مَزِلةٌ عليها خَطاطيف وكلاليبُ وحسكةٌ مفلطَحَةٌ لها شوكةٌ عقَيفاء تكون بنَجد يقال لها السعدانَ ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيْل والركاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يَمرَّ آخرهُم يُسحب سحبًا فما أنتم بأشَدَّ لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار ، وإذا رأوْا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربَّنا إخواننا الذين كانوا يصلون معَنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى : اذهبوا فمنْ وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من إيمان فأخِرجوه ، ويحِّرمُ الله صوُرَهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غَاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيهِ فيخرِجون مَن عَرفوا ثم يَعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه فيخرِجون من عَرفِوا » ، قال أبو سعيد فإن لم تصدَّقوني فاقرءوا : ﴿ إن الله لا يظلمُ مثقال ذرَّة ، وإنْ تك حسنَةً يُضاعفها ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فَيشَفَعُ النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبارُ بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيُخرجُ أقوامًا قد امتُحشوا فيلقْون في نهر بأفواهِ الجَّنةِ يقال له ماء الحياة فينبُتون في حافَتَيه كما تنبت الحبَّةُ في حميل السَّيْل قد رأيتموها إلى جانب الصَّخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضرَ ، وما كان منها إلى الظل كان أبيضَ فَيخرجُون كأنهم اللؤلؤ فيُجعلُ في رقابهم

الخواتيمُ فيدخلون الجنَّة فيقول أهلُ الجنةِ هؤلاء عتقَاء الرحمن أدخلَهمُ الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدمَّوه ، فيقال لهم لكم ما رأيتمُ ومثلهُ معه » .

وعن أنس(١) رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « يُحبَس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمُّوا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحُنا من مكانِنا ، فيأتون آدمَ فيقولون أنت آدم أبو الناس ، خلقَكَ اللَّه بيده وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكتَه ، وعلمك أسماء كل شيء ، لتشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيقول لستُ هُناكم ، قال : ويذكر خطيئتهُ التي أصاب أكله من الشجَرة وقد نُهَي عنها ، ولكنِ ائتوا نوحًا أوَّل نبي بعثهُ اللَّه تعالى إلى أهلِ الأرض . فيأتون نوحًا ، فيقول لستُ هُناكم ، ويذكر خَطيئتهُ التي أصاب سُؤاله ربَّه بغير علم ، ولكن ائتوا إبراهيم خليلَ الرحمن ، قال : فيأتون إبراهيمَ ، فيقول : إني لستُ هناكُم ، ويذكر ثلاث كذبات كذَبَهُن ، ولكن ائتوا موسىٰ عبدًا آتاه اللَّه التوراةَ وكلمةُ وقرَّبه نجيًّا ، قال فيأتون موسىٰ فيقول إني لستُ هناكُم ، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفسَ ، ولكن ائتوا عيسىٰ عبد اللَّه ورسولِه ، وروحَ اللَّه وكلمته ، قال : فيأتون عيسىٰ فيقول لستُ هناكمُ ، ولكن آئتوا مُحمدًا ﷺ عبدًا غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ، فيأتوني فأستأذنُ على ربِّي في داره ، فيؤُذَن لي عليه ، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا ، فيدَعني ما شاء اللَّه أن يدَعني ، فيقول ارفعْ محمدُ وقلْ يُسمعْ ، وآشفعْ تُشفَّعْ ، وسلْ تُعط ، قال : فأرفعُ رأسي فأثني على ربِّي بثناء وتحميد يُعلمنيه ، فيُحدَّ لي حدًّا فأخرُج فأدخلهم الجنَّة » . قال قتادة : وسمعتهُ أيضًا يقول : « فأخُرجُ فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيأذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعتُ ساجدًا ، فيَدَعني ما شاء اللَّه أن يدَعَني ، ثم يقول ارفعْ محمدُ ، وقُلْ يُسمعْ، واشفعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعطهَ، قال : فأرَفُع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٤٤٠) .

يُعلِّمنيه ، قال : ثم أشفَعُ فيُحدُّ لي حدًّا فأخرُجُ فأدخِلُهم الجنَّة » ، قال قتادة : « وسمعتُه يقول فأخرُجُ فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنَّة ثم أعود الثالثةَ فأستأذن على ربِّي في دارِه فيؤَذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدَعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع محمدُ وقلْ يسمعْ ، واشفعْ تُشفعْ ، وسلْ تُعطهْ ، قال : فأرفعُ رأسي ، فأثني على ربي بثناء وتحميد يُعلِّمنيه ، قال : ثم أشفعُ فيحُدُّ لي حدًّا فأخرج ، فأدخلهم الجنَّة » . قالَ قتادة : وقد سمعتهُ يقول « فأخرج فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا مَن حبسه القرآنُ ، أي وجب عليه الخلود ، ثم تلا الآية : ﴿ عسى أن يبعثكَ رَبُّكَ مقامًا محمودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، قال : وهذا المقامُ الذي وُعِدَهُ نَبيكم ﷺ » .

٥ - الشفاعة لدخول الجنة .

● وفي ذلك حديث أنس رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا »[(١)] وفي رواية عن أنس أيضًا قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك»[(٢)].

٦ - شفاعة النبيين .

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : « .... فيشفع النبيون » .

٧ - شفاعة الملائكة .

● قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ وكم من ملك لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٢٦] .

● وتقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « .... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون .... » الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٦) .

(٢) أخرجه مسلم أيضًا (حديث ١٩٧) .

٨ - شفاعة المؤمنين .

● تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي .الله عنه أن النبي ﷺ قال : « .... فما أنتم بأشدَّ لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول اللَّه تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من إيمان فأخرجوه ، ويُحرِّم اللَّه صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخُرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ فأخرجوه فيخرجونَ من عرفوا ثم يعودون ، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا»، قال أبو سعيد فإن لم تصدقوني فاقرءوا ﴿ إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة وإن تكُ حسنةً يضاعفها ﴾ [النساء : ٤٠] ، « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ... » .

٩ - شفاعة الاباء لأبنائهم المؤمنين .

قال اللَّه تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ [الطور : ٢١] .

١٠ - شفاعة الشهداء .

● عن المقدام بن معديكرب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « للشهيد عند اللَّه ست خصال: يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة[١]، ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين **ويشفع في سبعين من أقاربه** »[٢] .

١١ - شفاعة الجبار عزَّ وجل .

● تقدم في حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه أن النبي ﷺ

---

(١) هذه كلها واحدة (يغفر له عند أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة) .
(٢) صحيح وسيأتي أخرجه الترمذي وسيأتي في آل عمران إن شاء اللَّه .

قال : « ... فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضةً من النار فيخُرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبَّةُ في حميل السَّيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خيرٍ قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه » .

شفاعة الأطفال لآبائهم يوم القيامة .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها :

● ما أخرجه مسلم (٢٦٣٥) من طريق أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة إنه قد مات لنا ابنان فما أنت[1] مُحدِّثي عن رسول اللَّه ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال بيده – كما آخذ أنا بصنفةِ ثوبك هذا ، فلا يتناهى أو قال : فلا ينتهي حتى يدخله اللَّه وأباه الجنة » .

● وأخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه (المسند ١٠٥/٤) بإسناد حسن من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ : « يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال : فيأتون قال : فيقول اللَّه عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين ادخلوا الجنة » قال : فيقولون يا رب آباؤنا وأمهاتنا ، قال فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم » .

---

(١) وفي رواية عند مسلم أيضًا : فهل سمعت من رسول اللَّه ﷺ شيئًا تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ .

شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب[1].

وقد تقدم في بعض الحواشي السابقة الحديثُ عنها وفيه أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال « هو في ضحضاح من نارٍ ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » متفق عليه . وفي رواية في الصحيحين أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه . فقال : « لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » .

شفاعة القرآن وخاصة سورة البقرة وآل عمران .

● أخرج مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه[2] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[3] أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان[4] من طيرٍ صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها

---

(١) من المعلوم أن أبا طالب عم رسول الله ﷺ قد مات على الكفر فكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب ، وقد نزل فيه قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ [التوبة : ١٣٣] ونزل فيه أيضًا ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [القصص : ٥٦].

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٨٠٤) .

(٣) المراد سحابتان ، والله أعلم .

(٤) الفِرق هو الجماعة أو القطعة .

بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَةُ »[1] .

● وفي صحيح مسلم أيضًا[2] من حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدُمُه سورة البقرة وآل عمران » . وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد – قال : « كأنهما غمامتان أو ظلَّتان سوداوان بينهما شَرْقٌ[3] أو كأنهما حزقان[4] من طير صوافَّ تحاجان[5] عن صاحبهما » .

شفاعات من أقوام أحياء لأقوام قد ماتوا لرفع درجاتهم .

● ويدخل فيها عموم الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ لمن مات ومنها الوارد في أدعية الصلاة على الجنائز ، ونحو ذلك ، وها هي بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب .

● أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[6] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما فَرَغ النبيُّ ﷺ من حُنَين بَعث أبا عامرٍ على جيش إلى أوطاس ، فلقيَ دُرَيدَ بن الصِّمَّة ، فقُتِلَ دُرَيدَ ، وهزم الله أصحابه . قال أبو موسى : وبَعثني معَ أبي عامر ، فرُمي أبو عامر في ركبتهِ ، رَماه جُشميٌّ بسهمٍ فأثبتَه في ركبتِه فانتهيتُ إليهِ فقلتُ : يا عمِّ مَن رماكَ ؟ فأشارَ إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني ، فقَصَدتُ له ، فلحِقته ، فلما رآني ولى ، فاتبعتُهُ وجعلت أقولُ له : ألا تستحي ، ألا تثبت فكفَّ . فاختَلَفنا ضربتَين بالسيف فقتلتُه ، ثم قلتُ لأبي عامر :

---

(١) البطلة هم السحرة .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٥) .

(٣) شرق أي ضياء ونور .

(٤) الحزق الجماعة أو القطعة .

(٥) تحاجان تدافعان وقال بعض العلماء تحاجان الجحيم والزبانية .

(٦) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (ص ١٩٤٣ - ١٩٤٤)

قتَلَ اللّه صاحبكَ . قال : فانزع هذا السهمَ ، فنزَعتهُ فنزل منه الماء . قال : يا ابنَ أخي ، أقْرِىء النبي ﷺ السلام وقل له : استغفِرْ لي . واستَخلفني أبو عامر على الناس . فمكثَ يسيرًا ثم مات . فرجعتُ فدخلت على النبيِّ ﷺ في بيته على سرير مُرمَلٍ ، وعليه فراشٌ قد أثَّر رمالُ السرير بظهره وجَنبيَه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال : قل له استغفرْ لي ، فدَعا بماء فتوضأ ، ثم رفعَ يدَيه فقال : « اللهمَّ اغفرْ لعُبيدٍ أبي عامر » ، ورأيتُ بياضَ إبطيْه . ثم قال : « اللهمَّ اجعَلْهُ يومَ القيامةِ فوق كثيرٍ من خلقكَ منَ الناس » . فقلتُ : ولي فاستغفر . فقال : « اللهمَّ اغفر لعبد اللّه بن قَيسٍ ذنْبهَ ، وأدخله يومَ القيامةِ مُدخَلًا كريمًا » . قال أبو بُردةَ : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأخرى لأبي موسى » .

● وأخرجه مسلم من حديث أم سلمة رضي اللّه عنها قالت : دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ . فَأَغْمَضَهُ . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ » . فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ . فَقَالَ : « لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ . فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ » . ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ . وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يا رَبَّ الْعَالَمِينَ . وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ . وَنَوِّرْ لَهُ فِيه » .

شفاعة المصلين على الميت .

● أخرج مسلم[1] من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال : تقول هم أربعون ؟ قال : نعم ، قال : أخرجوه ، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « ما من رجل مسلمٍ يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون باللّه شيئًا إلا

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٥٥ حديث رقم ٩٤٨) .

شفعهم اللَّه فيه » .

● وأخرج مسلم[(١)] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ قال : « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » .

شفاعة الأبناء لآبائهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك »[(٢)] .

***

س : هل يجوز أن أطلب الشفاعة من المخلوق الحي فيما يقدر عليه ؟

ج : نعم يجوز ذلك فقد أخرج الإمام أحمد[(٣)] رحمه اللَّه تعالى في مسنده من حديث عثمان بن حنيف رضي اللَّه عنه أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع اللَّه أن يعافيني ، قال : « إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير » ، فقال : ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوَّجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضي لي اللهم شفَّعه فيَّ .

***

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤/٢ حديث رقم ٩٤٧) وفيه بعض الانتقاد ويشهد له ما قبله والمسلمون في الحديث الثاني لا يشركون باللَّه شيئًا .

(٢) أخرجه أحمد (٥٠٩/٢) بإسناد حسن .

(٣) المسند (١٣٨/٤) ، وهو صحيح .

س : اذكر بعض أسباب جلب الشفاعات ؟

ج : **منها :- قراءة القرآن والعمل به** ، وقد تقدم في ذلك حديث رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه .... » الحديث .

٢ - **سكنى مدينة رسول الله ﷺ والصبر على لأوائها** فقد أخرج مسلم في صحيحه[١] من طريق أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرَّة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال ويحك لا آمرك بذلك إني سمعت رسول الله يقول : « لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا » .

وأخرج مسلم نحوه أيضًا من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم[٢] .

٣ - **الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكرير ما يقوله المؤذن** فقد أخرج مسلم[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

٤ - **الصلاة على الميت** ، وقد تقدم في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه مسلم ص ١٠٠٢ .

(٢) حديث (١٣٧٧) ، (١٣٧٨) .

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤) .

٥ - **كثرة السجود** فقد أخرج أحمد في مسنده[1] من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو امرأة ، قال : كان النبي ﷺ مما يقول للخادم : « ألك حاجة » قال : حتى كان ذات يوم فقال : يا رسول الله حاجتي ، قال : « وما حاجتك ؟ » قال : أن تشفع لي يوم القيامة . قال : « ومن دلك على هذا ؟ » قال : ربي . قال : « أما لا فأعني بكثرة السجود » .

***

س : متى يمنع المسلم من أن يشفع ؟

ج : إذا أكثر من اللعن ، فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة »[2] .

***

الشفاعات الدنيوية

س : هل تشرع الشفاعات الدنيوية ؟

ج : من الشفاعات الدنيوية ما هو مشروع ومنها ما هو محرم قال الله تبارك وتعالى : ﴿ من يشفع شفاعة حسنةً يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئةً يكن له كفلٌ منها وكان الله على كل شيءٍ مقيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٥٠٠) من طريق عفان ثنا خالد يعني الواسطي (قال مصطفى وهو خالد الطحان) قال ثنا عمرو بن يحيى الأنصاري عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي ﷺ ... وهذا إسناد صحيح . وقد أخرج مسلم (حديث ٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : « سل » فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة قال : « أو غير ذلك » قلت : هو ذاك قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٠٦) .

س : اذكر نماذج للشفاعات الدنيوية المشروعة ؟

ج : منها ما ورد في حديث رسول الله ﷺ أنه كان إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال : « اشفعوا تؤجروا » ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء[1]، أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

● وأخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له : مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : « يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثًا » ؟ فقال النبي ﷺ : « لو راجعته » قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : « إنما أنا أشفع » قالت : لا حاجة لي فيه . أخرجه البخاري (٥٢٨٣) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر مثالًا للشفاعات الدنيوية المحرمة ؟

ج : من أمثلة ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص .

أخرج البخاري[2] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أَهَمَّتْهُمْ المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلم رسول الله ﷺ فقال : أتشفع في حدٍّ من حدود الله » ؟ ثم قام فخطب فقال : « يا أيها الناس إنما

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢) ، وفي غير موطن من صحيحه ، ومسلم (٢٦٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٨) ، ومسلم (حديث ١٦٨٨) .

ضلَّ[1] من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

ويدخل في الشفاعات المحرمة الواسطة التي تذهب بحقوق أناس إلى آخرين لا حقَّ لهم .

***

---

(١) في رواية إنما هلك .

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : نجيناكم – يسومونكم سوء العذاب – يستحيون نساءكم – لعلكم تشكرون – الفرقان ؟

ج :

الكلمة	معناها
نجيناكم	أخلصناكم
يسومونكم سوء العذاب	يذيقونكم أسوأ العذاب أو أشد العذاب أو العذاب الذي يسيء صاحبه
يستحيون نساءكم	يتركونهن أحياء
لعلكم تشكرون	لتشكروني
الفرقان	ما يفرق به بين الحق والباطل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم ﴾ ؟ [البقرة : ٤٩].

ج : العامل فيها هو قوله ﴿واذكروا﴾ فالمعنى- والله أعلم- واذكروا إذ نجيناكم.

***

س : من المراد بالخطاب في قوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ... ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : الخطاب موجه للموجودين من بني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ ، والمراد من سلف من آبائهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] ، أي حملنا آباكم .

وقيل إن الخطاب للأبناء ، وذلك لأن نجاة الآباء كانت سببًا في ميلاد هؤلاء الموجودين ، والله أعلم .

***

س : ما معنى : ﴿ نجيناكم ﴾ ، [البقرة : ٤٩] ؟

ج : المعنى – أنقذناكم وأخلصناكم ، والمعنى الأصلي ألقيناكم على نجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها هذا هو الأصل في تعريف النجاة ثم سُمِّيَ كل فائزٍ ناجيًا ، فالناجي من خرج من ضيق إلى سعة ، والله تعالى أعلم .

***

س : في أي يوم أنجى الله عزَّ وجل بني إسرائيل من فرعون وأغرق فرعون وآله .. ؟

ج : كان ذلك في يوم عاشوراء ، فقد أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : « ما هذا » قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم » . فصامه وأمر بصيامه) .

---

(١) هو عند البخاري (حديث ٢٠٠٤) ، ومسلم (١١٣٠) .

س : فرعون عَلم ، على كل من حكم مصر وكان كافرًا من العماليق ومن غيرهم[1] ، فما هو العَلم لكل من حكم الفرس والروم والأحباش واليمنيين والهنود ؟

ج : أما من حكم الفرس كافرًا فيطيق عليه (كسرى) .

- ومن حكم الروم كافرًا فيطلق عليه (قيصر) وكذلك يطلق عليه (هرقل) .
- ومن حكم اليمن يطلق عليه (تُبَّع) وجمعه تبابعة .
- ومن حكم الحبشة يطلق عليه (النجاشي) .
- ومن حكم الهند يطلق عليه (بطليموس) ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بآل فرعون ؟

ج : هم أهل دينه من قومه وأشياعه وأتباعه[2].

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ يسومونكم ﴾ ، [البقرة : ٤٩] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - يولونكم - يدعون عذابكم - يذيقونكم يوردونكم ، وكل هذا صحيح .

وأصل السوم الدوام ، ومنه قيل للغنم سائمة لمداومتها الرعي .

ومن المعاني المتقدمة « يذيقونكم » وقال الشاعر (عمرو بن كلثوم) :

إذ ما الملك سام الناس خسفًا[3] أبينا أن نقرَّ الخسف فينـا

❋ ❋ ❋

---

(١) وكذلك كلُّ عاتٍ وظالم فرعون، ويقال: تفرعن، وهو ذو فرعنة أي: دهاء ومكر.

(٢) وتفسير الآل بتفصيل سيأتي في سورة آل عمران إن شاء الله .

(٣) الخسف المراد به هنا النقيصة والإذلال .

س : ما هو سوء العذاب الذي أنجى الله عز وجل منه بني إسرائيل ؟

ج : فُسر سوء العذاب في باقي الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالنساء في قوله تعالى : ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : من العلماء من قال إن المراد بالنساء هنا الأطفال الإناث وعبر عنهن بالنساء (مع كونهن أطفالًا) باعتبار المآل (أي باعتبار ما سيئول إليه أمر الطفلة فأمرها سيئول إلى أن تكون من النساء إذا كبرت) وليذكرهم بالاسم الذي في وقته سيستخدمن ويمتهن ، ونفس الاستحياء ليس عذابًا ولكن العذاب فيما يأتي من وراء هذا الاستحياء من امتهان ... ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا اتجه فرعون إلى قتل الأبناء واستحياء النساء ؟

ج : بعض أهل العلم يذكر لذلك سببًا وهو خوف فرعون من زوال ملكه على يد بعض بني إسرائيل ، وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره(١) بإسناد صحيح إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعَد إبراهيم خليله - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالًا معهم الشِّفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه ففعلوا فلما ، رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عامًا كل مولودٍ ذكر فتقل أبناؤهم ، ودعوا عامًا .

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٩٨) ، وهو صحيح إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه لكن صحة المتن علمها عند الله سبحانه وتعالى ، وليس للأثر حكم الرفع فقد يكون متلقى من أهل الكتاب ، والله تعالى أعلم .

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة حتى إذا كان القابل حملت بموسى[٢] .

س : ما هو المراد بالبلاء في قوله تعالى : ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن المراد بالبلاء هنا ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء وهذا هو قول جمهور العلماء ، قالوا البلاء ها هنا في الشر والقول الثاني أن المراد بالبلاء هنا نعمة فالمعنى وفي ذلكم نعمة عظيمة من ربكم إذ أنجاكم من آل فرعون ، وحجة أصحاب هذا القول أن البلاء يطلق على الخير كما يطلق على الشر ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وليُبلي المؤمنين منه بلاء حسنًا ﴾ [الأنفال : ١٧] وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقال

(٢) وقال القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره (محاسن التأويل) ص١٢٢ : وسبب سومه بني إسرائيل سوء العذاب من تذبيح أبنائهم – وعلى ما روي في التوراة[١] خوفه من نموهم وكثرة توالدهم ، وكانت أرض مصر امتلأت منهم ، فإن يوسف عليه السلام لما استقدم أباه وإخوته وأهلهم من أرض كنعان إلى مصر أعطاهم ملكًا في أرض مصر في أفضل الأرض كما أمره ملك مصر ، وكان لهم في مصر مقام عظيم بسبب يوسف عليه السلام فتكاثروا وتناسلوا ، ولما توفي يوسف عليه السلام والملك الذي اتخذه وزيرًا عنده انقطع ذلك الاحترام عن بني إسرائيل إلى أن قام على مصر أحد ملوكها الفراعنة فرأى نمو الإسرائيليين فقال لقومه : أضحى بنو إسرائيل شعبًا أكثر منا وأعظم فهلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من أرضنا ، فسلط عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم ، وكانوا كلما اشتد تعبدهم ازدادوا كثرة وشدة فشق على المصريين كثرتهم واختشوا منهم فجعل أهل مصر يستعبدونهم جورًا ويمررون عليهم حياتهم بالعمل الشديد بالطين واللبن وكل فلاحة الأرض ، وكل الأفعال التي استعبدوهم بها بالمشقة ، وأمر فرعون بذبح أبنائهم كما قصّه الله تعالى ، ولم يزل الأمر في هذه الشدة عليهم حتى نجاهم سبحانه بإرسال موسى عليه السلام .

(١) الله أعلم بصحة ذلك .

سبحانه : ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ [الأعراف : ١٦٨] قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : والعرب تسمي الخير (بلاءً) ، والشر بلاءً غير أن الأكثر في الشر أن يُقال (بلوته أبلوه بلاءً) وفي الخير (أبليته أُبْليه إبلاء وبلاءً) ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

جزى الله بالإحسان ما فعَلا بكم وأبلاهُما خير البَلاَء الذي يَبْلو

فجمع بين اللغتين لأنه أَراد : فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده .

* * *

س : ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية الكريمة ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم .. ﴾ [البقرة : ٤٩] دليل على أن كل من باشر القتل وإن كان بأمر غيره أو تحت قهر غيره يُعد قاتلًا وضح ذلك ؟

ج : وجه قول هذا الفريق من أهل العلم هو أن آل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب ويقتلون الأبناء ويستحيون النساء وهذا كله كان بأمر فرعون ، لكن نسب الربُ سبحانه وتعالى هذه الأفعال إليهم لأنهم باشروها بأنفسهم .

● قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : فبين بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حي بنفسه ، وإن كان عن أمره غيره ففاعله المتولي ذلك هو المستحق إضافة ذلك إليه ، وإن كان الآمر قاهرًا الفاعل المأمور بذلك - سلطانًا كان الآمر أو لصًّا خارجًا أو متغلبًا فاجرًا كما أضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم إلى آل فرعون دون فرعون وإن كانوا بقوة فرعون وأمره إياهم بذلك فعلوا ما فعلوا مع غلبته إياهم وقهره

لهم فكان كل قاتلٍ نفسًا بأمر غيره ظلمًا فهو المقتول عندنا به قصاصًا ، وإن كان قتله إياها بإكراه غيره له على قتله .

قلت : وقد أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره خلافًا للعلماء على ثلاثة أقوال لهم في هذه المسألة ، إن شئت فراجعه عند تفسير الآية الكريمة هناك ، وبالله التوفيق .

* * *

س : ما معنى ﴿ فرقنا بكم البحر ﴾ [البقرة : ٥٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ﴿ فرقنا بكم البحر ﴾ فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا ففرق البحر اثني عشر طريقًا فسلك كل سبط منهم طريقًا منها فذلك فرق الله عز وجل بهم البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثني عشر . انتهى .

فذهب ابن جرير رحمه الله تعالى إلى أن البحر كان فيه اثنا عشر طريقًا بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أنه كان طريقًا واحدا مرَّ عليه بنو إسرائيل جميعًا مع موسى عليه السلام .

والدليل يشهد للقول الثاني ، فقد قال الله تعالى : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا ﴾ [طه : ٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم ﴾ [الشعراء: ٦٣] .

هذا وأصل الفلق والفصل ، ومنه فرق الشعر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه ﴾ [الإسراء : ١٠٦] أي فصلناه ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا سُمي البحر بحرًا ؟

ج : سُمي البحر بحرًا لاتساعه ، ومنه قول النبي ﷺ في شأن فرس

أبي طلحة : « وإن وجدناه لبحرًا »[1] أي واسع الجري .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في فضل صوم يوم عاشوراء ؟

ج : أخرج مسلم رحمه الله تعالى من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه حديثًا فيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال كيف تصوم .. الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال : « وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله »[2] .

❋ ❋ ❋

س : الإنجاء من القوم الظالمين نعمة يتغافل عنها الكثيرون وقد ذكرنا الله عز وجل بها في جملة آيات من كتابه العزيز حتى نشكره عليها اذكر بعض هذه الآيات ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ .. وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

● وقوله تعالى لأمة محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٢٠) ، وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (حديث ٢٣٠٧) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١١٦٢) وفي رواية عند مسلم : وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال : « يكفر السنة الماضية » .

ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .

● وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [المائدة : ١١] .

● وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

***

س : لماذا واعد الله عز وجل موسى عليه السلام أربعين ليلة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

الأول : أنه سبحانه واعده أربعين ليلة لإنزال التوراة عليه وأخذ الألواح أي أن التوراة ستنزل عليه بعد أربعين ليلة .

الثاني : أن هذه المواعدة كانت للتكليم (كي يكلمه ربه عز وجل) .

***

س : متى كانت هذه المواعدة ؟ وما معنى ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : جمهور المفسرين يذكرون أن هذا بعد إغراق فرعون وآله في اليم وإنجاء موسى ومن معه من بني إسرائيل ، فبعد أن أنجاهم الله عز وجل ذكر

بعض المفسرين أن بني إسرائيل سألوا موسى (أو أن موسى وعد بني إسرائيل) كتابًا فجاءت المواعدة بذلك والله أعلم .

أما معنى ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] واعدناه انقضاء أربعين ليلة . وانظر السؤال التالي .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الليالي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : لا أعلم دليلًا من كتاب الله عز وجل أو من سنة رسول الله ﷺ يُحدِّدُ هذه الليالي بالضبط ما هي . إلا أن جمهور المفسرين يذكرون أنها شهر ذي القعدة والعشر الأُول من ذي الحجة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

❋ ❋ ❋

س : هل كانت المواعدة أربعين ليلة من بداية الأمر ؟

ج : البعض يرى أنها كانت على مرحلتين لقوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربِّه أربعين ليلة ﴾ [الأعراف : ١٤٢] وفريق من أهل العلم يرى أن المواعدة أربعين ليلة كانت مجتمعة من أول الأمر وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ﴾ [الأعراف : ١٤٢] أنها كقوله تعالى : ﴿ .. فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذكرت الليالي دون الأيام في قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ ؟

ج : بعض العلماء يعوِّل في ذلك على أن عادة العرب التأريخ بالليالي لأن

أول الشهر ليلة ، واعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعًا لليالي ، والله أعلم .

● وقال بعض العلماء إن الليالي أسبق من الأيام ، والله أعلم .

***

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] ، من الآية الكريمة ؟

ج : موقعها – والله تعالى أعلم – وأنتم تعلمون بظلمكم قد قامت عليكم الحجة ، ومن المعلوم أنهم في هذه الحالة التي يعبدون فيها العجل والحجة قائمة عليهم أعظم جرمًا وأكبر إثمًا من الذي يعبد على جهل لم تصله الحجة ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض صفات موسى ﷺ الخلقية ؟

ج : كان موسى ﷺ وجيهًا كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

● وأخرج البخاري(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضَرْبٌ رَجِلٌ(٢) كأنه من رجال شنوءة » .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٣٩٤) .

(٢) أي دهين الشعر مسترسله .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : (فتح الباري ٦/٤٩٤) : قوله : « كأنه من =

س : ما هو المضمر في قوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٥١] ؟

ج : المضمر هو إلهًا أو معبودًا فالمعنى ثم اتخذتم العجل إلهًا ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ... فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ [طه : ٨٧ ، ٨٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة :٥١ ، ٥٢] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أن من نعم الله عز وجل عليكم أن عفا عنكم بعد اتخاذكم العجل إلهًا تعبدونه لتتجهوا إليه سبحانه بالشكر على عفوه عنكم إذ العفو يوجب الشكر عند أهل اللبِّ والعقل ، والله أعلم .

= رجال شَنُوْءة » بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو بعدها همزة ثم هاء التأنيث حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله ، والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو ، قال ابن قتيبة : سمي بذلك من قولك رجل أي والتقزز[1] بقاف وزايين التباعد من الأدناس ، قال الداودي رجال الأزد معروفون بالطول . انتهى .

ووقع في حديث ابن عمر عند المصنف بعد (كأنه من رجال الزط) وهم معروفون بالطول والأدمة .

---

(١) كأن في الكلام سقط ، والله أعلم .

س : ما معنى ﴿ عفونا عنكم ﴾ [البقرة : ٥٢] ، وما هو الفرق بين العفو والغفران ؟

ج : عفونا عنكم معناها محونا ذنوبكم ، أما بالنسبة للفرق بين العفو والغفران أن الغفران لا يكون معه عقوبة ، بينما العفو قد يكون بعد العقوبة أو قبلها ومما يدل على أن العفو قد يكون معه بعض المؤاخذة قوله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، مع أن القائل عُفي عنه ولم يقتل لكنه مع ذلك لزمته الدِّية(١) والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بالكتاب وما هو المراد بالفرقان في قوله تعالى : ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ٥٣] ؟

ج : أما **الكتاب** فهو التوراة ، وقد نقل عدد من أهل العلم الإجماع على ذلك في هذا الموطن .

أما **الفرقان** فلأهل العلم فيه أقوال :.

- منها أن **الفرقان** هو **التوراة** وأعيد ذكره باسمين تأكيدًا .

وذلك كقول الشاعر :

وقددت(٢) الأدِيم(٣) لِرَاهِشَيْهِ(٤) وألفَى قولها كذبًا ومَينًا

فالكذب هو المين .

---

(١) إلا أن يعفو أهل القتيل عفوًا آخر عن الدية كذلك ، والله تعالى أعلم .

(٢) في سياق آخر للبيت (وقدَّمت) . أما القدُّ فهو القطع .

(٣) الأديم هو الجلد .

(٤) الراهشان : عرقان في بطن الذراع .

● وأيضًا قول الشاعر :

ألا حبـذا هنـدٌ وأرضٌ بهـا هنـدٌ   وهندٌ أتى من دونها النأى والبعدُ

فالنأى هو البعد .

● ومن العلماء من قال إن الفرقان هو النصر الذي نصر الله عز وجل به موسى عليه السلام وبني إسرائيل كما قال تعالى في يوم بدر : ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ [الأنفال : ٤١] فعليه الفرقان هو الفصل بين الحق والباطل .

● ومن العلماء من يقول إن الفرقان هنا هو انفلاق البحر ، وهذا راجع إلى القول الثاني .

وسيأتي للفرقان مزيد من التفسير في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم .

* * *

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

بارئكم – لن نؤمن لك – جهرة – الصاعقة – ظللنا عليكم الغمام – المن – السلوى ؟

ج :

الكلمـة	**معناهـا**
بارئكم	خالقكم ، والبريَّة الخلق
لن نؤمن لك	لن نصدقك – لن نتابعك
جهرة	عيانًا (يكشف ما بيننا وبينه) علانية[1]

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن (٩٥٠) ، عن قتادة قال (جهرة) عيانًا .

معناهـا	الكلمـة
قيل : هي نار ، وقيل : رجفة (ودليله : فلما أخذتهم الرجفة) : وقيل الموت	الصاعقة
الغمام هو السحاب ، وظللنا عليكم الغمام جعلناه فوقكم كالظلة تقيكم حر الشمس مصدر يعم جميع ما منَّ الله به على عباده من الطعام والشراب من غير تعب ولا كد ، وقيل : هو طعام كالعسل	ظللنا عليكم الغمام
طائر السُّماني ، وهو طائر طيب اللحم	السلوى

❋ ❋ ❋

س : هل القوم يدخل فيهم النساء ؟

ج : كثير من أهل العلم يرون أن القوم مختصة بالرجال لأنهم هم الذين يقومون بالأمور ، واستدلوا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ﴾ [الحجرات : ١١] واحتجوا أيضًا بقول زهير :

وما أدري وسوف أخال أدري أقومٌ آل حصن أم نساء

وقول الشاعر الآخر :

قومي هم قتلوا أُميم أخي فإذا رميتُ يُصيبني سهمي

واحتجوا أيضًا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسبرفون ﴾ [الأعراف : ٨٠ ، ٨١] فالمراد بالقوم الرجال ؛ والله أعلم .

● واعترض على هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ [نوح : ١] ونوح عليه السلام كان مرسلًا للرجال والنساء ولما كذبته امرأته كفرت[1] ، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ... ﴾ [غافر : ٤١] لكن أجاب أهل القول الأول على هذا بأن قالوا : إن القوم في قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة ... ﴾ [غافر : ٤١] يدخل فيه الرجال والنساء بلا شك لكن دخول النساء فيه من باب الاستتباع أي لأنهم تبع للرجال فأطلق على الرجال والنساء قوم تغليبًا[2] . والله تعالى أعلم .

***

(١) قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ...﴾ [التحريم : ١٠].

(٢) ولقائل أن يقول إن القوم يدخل فيها الرجال والنساء ويجيب على قوله تعالى : =

س : هل اعترف بنو إسرائيل أنهم أخطأوا بعبادتهم للعجل ؟

ج : نعم اعترفوا بذلك ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ١٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى بارئكم ؟ ولماذا عُبِّر بهذه الصفة من صفات الله عز وجل في هذا المقام ؟

ج : بارئكم خالقكم ، وعُبِّر بهذه الصفة – والعلم عند الله تعالى – لبيان عظيم جرمهم وكبر ذنبهم ، فالمعنى توبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض أهل العلم يقولون هنا محذوف لا بد أن يقدر في قوله تعالى : ﴿ اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ٥٤] فما هو هذا المحذوف الذي يُقدر ؟

ج : المحذوف هو (فامتثلتم) فالمعنى اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فامتثلتم ما أمركم الله به ، فتاب عليكم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف كانت توبة الله عز وجل على بني إسرائيل ؟

ج : ظاهر الكتاب العزيز فيه ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم

= ﴿ لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ... ﴾ [الحجرات : ١١] بأن هذا من باب عطف الخاص على العام لكن الأول عليه أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ٥٤] وهذا الظاهر يفيد أنهم أمروا بقتل أنفسهم ، لكن لما كان من المعلوم أن النفس في كثير من الأحيان تُطلق ولا يراد بها نفس الشخص المخاطب كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] أي لا يلمز بعضكم بعضًا ، وكما في قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] أي ظنوا بإخوانهم خيرًا ، وكما في قوله تعالى : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] فعلى هذا يحتمل – وهو احتمال قوي جدًّا – أن يكون قوله : ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤] معناه فليقتل بعضكم بعضًا[(١)] ، ويتأيد هذا بأمور منها :

● قول القرطبي رحمه الله تعالى : وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحدٍ من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده .

● أخرج ابن أبي حاتم في التفسير[(٢)] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[(٣)]:... فقال الله تبارك وتعالى إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والدٍ أو ولدٍ فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن فتاب أولئك الذين كان قد خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أُمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول .

● وأخرج ابن جرير الطبري رحمه الله وابن أبي حاتم رحمه الله[(٤)]

---

(١) أثر رقم (٥٣١) .

(٢) وبعض العلماء يقولون : يقتل من لم يعبد العجل مَن عبد العجل ، والله أعلم .

(٣) هو جزء من حديث الفتون .

(٤) أخرجه ابن جرير (أثر ٩٣٥) ، وابن أبي حاتم (أثر ٥٣٢) ، وهذا رجاله ثقات إلا أن حجاج بن محمد وإن كان ثقة إلا أنه تغير لما قدم بغداد – والله أعلم .

في تفسيريهما من طريق حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدًا قالا قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضًا ، لا يحنُّ رجل على رجلٍ قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل ، وإن الله أوحى إلى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه .

***

س : ما هو المراد بالصاعقة في قوله تعالى : ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ [البقرة : ٥٥] ؟

ج : قيل إن الصاعقة هي الموت وقيل إن الصاعقة هي الرجفة لما ورد في قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي .... ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

● وقيل إن الصاعقة هي نار .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : وأصل الصاعقة كل أمرٍ هائل رآه المرءُ أو عاينه أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب ، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتًا كان ذلك أو زلزلة أو رجفًا ، ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقًا وهو حي غير ميت قول الله عز وجل : ﴿ وخرَّ موسى صعقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] يعني مغشيًّا عليه ومنه قول جرير بن عطية :

وهل كان الفـرزدق غير قـردٍ أصابته الصواعق فاستـدارا[1]

فقد عُلم أن موسى لم يكن – حين غشي عليه وصعق – ميّتًا لأن الله

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وعزا هذا البيت لجرير في ديوانه (٢٨١) والنقائض (٢٥١) وبعده في هجاء الفرزدق وهو من أشده . =

تعالى أخبر عنه أنه لما أفاق قال ﴿ تبت إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ولا شبه جريرُ الفرزدق ، وهو حي بالقرد ميتًا ، ولكن معنى ذلك ما وصفنا .

***

س : قوله تعالى : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ [البقرة: ٥٥] كيف أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ؟

ج : قال بعض العلماء صُعق بعضهم والبعض الآخر ينظر ، ثم بُعث الذين صعقوا ، وصعق الآخرون ثم بُعثوا فقال الله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لعلكم تشكرون .﴾[1] [البقرة : ٥٥ ، ٥٦]

● وقال بعضهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التي أصابتكم ، يقول أخذتكم الصاعقة عيانًا جهارًا وأنتم تنظرون إليها .

وهذا الأخير قول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى .

= وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدار قومٍ رحلت بخزيةٍ وتركتَ عارًا

وما أشد ما قال ! وقال في النقائض في شرح البيت « ولغته – يعني جريرًا – الصواقع . فاستدار أي استدار إنسانًا بعد أن كان قردًا[1] » وكأنه أخطأ المعنى فإنه أراد مسخ قردًا على هيئته التي كان عليها قبل أن يكون إنسانًا . فقوله (استدار) عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه) ومن ذلك قوله ﷺ في حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» أي عاد كما بدأ، فهو يقول: كان الفرزدق في أصل نشأته قردًا ثم تحوَّل إنسانًا فلما أصابته صواعق شعري عاد كما كان في أصل نشأته قردًا صريحًا .

(١) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (٥٤٠) ، بإسناد صحيح إلى عروة بن رويم قال سأل بنو إسرائيل موسى فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخبرهم أنهم لن يطيقوا ذلك فأبوا فسمعوا من كلام الله فصعق بعضهم ، وبعضهم ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء ، وفي رواية ثم بعُث الذين صعقوا وصعق الآخرون ثم بعثوا فقال الله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ .

---

(١) لا يعني ما يعنيه الملاحدة من أن الإنسان أصله قرد ، فالله سبحانه يقول : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] ويقول سبحانه : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم ◦ الذي خلقك فسواك فعدلك ... ﴾ [الانفطار : ٦ ، ٧] ويقول النبي ﷺ : « خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعًا ... » ولكن قول جرير من أقوال الشعراء الظلمة الذي خرج هجاؤهم إلى القبح .

س : هل مات الإسرائيليون من الصاعقة ؟

ج : نعم ماتوا من الصاعقة لقوله تعالى : ﴿ ..ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يذكر أن موسى قام يدعو ربه عز وجل لما صعق من قومه مَن صُعق فهل من دليل على ذلك ؟

ج : أما الدليل على ذلك فهو قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ... ﴾ [الأعراف : ١٥٥ ، ١٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل يؤخذ من الآية الكريمة ﴿ ..فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ... ﴾ [البقرة : ٥٤] ، مشروعية قتال المرتدين ؟

ج : قتال المرتدين مشروع لكنه لا يؤخذ من هذه الآية الكريمة فالذي في هذه الآية الكريمة حكم خاص ببني إسرائيل ثم أنهم أيضًا كانوا قد تابوا قبل أن يؤمروا بقتل بعضهم البعض على ما قدمناه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : متى سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل

جهرة ، وما هو السبب الحامل لهم على ذلك ؟

ج : بعض العلماء يذكرون أن ذلك حدث لما تاب الإسرائيليون من عبادة العجل فاختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلًا يخرجون معه لميقات ربه عز وجل حتى يعلموا يقينًا أنهم قد تيب عليهم(١) وذكر البعض من العلماء لسؤالهم رؤية الله جهرة أسبابًا منها أنهم أرادوا أن يتأكدوا أن الذي يكلمهم هو الله سبحانه وتعالى ، ولكن ليس معنا نص من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ يوضح سبب ذلك(٢) ، ومن ثم قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بعد أن أورد أسبابًا لذلك نقلها بإسناده إلى بعض أهل العلم : ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى ، تقوم به حجة فيُسلم له ، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه فإذ كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يُقال : إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له : ﴿ يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] كما أخبر عنهم أنهم قالوه ، وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخًا لهم في كفرهم بمحمد ﷺ ، وقد قامت حُجَّته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك ، وقد قال الذين

(١) وسياق آيات سورة الأعراف يشهد لشيء من ذلك ، قال تعالى : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين * والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم * ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمه للذين هم لربهم يرهبون * واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ... ﴾ [الأعراف : ١٥٢ - ١٥٥] ، وهذا ليس بصريح كذلك .

(٢) إلا أنه من المعروف أن من صفات بني إسرائيل التعنت .

أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقًّا كما قال .

***

س : من الأدلة التي تساق في كتاب الله عز وجل لإثبات البعث إحياء الله عز وجل لبعض الأنفس بعد موتها ، اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : من أمثلة ذلك ما يلي :

• قوله تعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ٥٥ ، ٥٦] .

• وقوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ [البقرة : ٧٢ ، ٧٣] .

• وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

• وقوله تعالى : ﴿ ..أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

• وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال

أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

● ومن المعلوم أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله ، وكما قال الله سبحانه عن عيسى : ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ [آل عمران : ٤٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وإذ تخرج الموتى بإذني ... ﴾ [المائدة : ١١٠] .

❋ ❋ ❋

س : هل يرى الناس ربهم عزَّ وجل في الدنيا ؟

ج : لن يرى الناس ربهم عز وجل في الدنيا ، وقد قال الله عز وجل لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام – لما سأله الرؤية – : ﴿ لن تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وقال النبي ﷺ : « تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه عز وجل حتى يموت »(١) .

❋ ❋ ❋

س : هل سؤال رؤية الرب عز وجل في الدنيا جائز ؟

ج : الذي يظهر أنه لا يجوز فقد سأل موسى عليه السلام ربه فقال : ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فلم يُجب إلى ذلك ، فقال الله تعالى له : ﴿ لن تراني ﴾(٢) ولما علق بنوا إسرائيل إيمانهم لموسى على رؤية الله

(١) أخرجه مسلم ص (٢٢٤٥) من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ .

(٢) وقد يقول قائل إن موسى عليه السلام لم يعتب عليه الله عز وجل إذ سأله ذلك ، فالإجابه على هذا أن الله قال له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، فهذا يحمل نهيًا عن سؤال الرؤية ثم الآيات التي استدللنا بها أعلاه يُفهم منها المنع ، والله أعلم .

عز وجل جهرة أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، وأيضًا :

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ [النساء : ١٥٣] .

● وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا ﴾ [الفرقان : ٢١] فظهر بهذه الأدلة المنع من سؤال رؤية الرب عز وجل في الدنيا ، لكن يسأل العبد ربه أن يراه في الآخرة ، والله أعلم .

***

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ [البقرة : ٥٤] يرجع إلى ماذا ؟

ج : يرجع الضمير إما إلى القتل أي أن قتلكم أنفسكم يا بني إسرائيل خير لكم عند بارئكم ، أو يرجع إلى التوبة أي توبتكم خير لكم عند بارئكم ، أو يقال : توبتكم بقتل أنفسكم خير لكم عند بارئكم[١] .

***

س : كيف يُردُّ على من قال : إن الرب لا يرى يوم القيامة لأن (لن) تفيد التأبيد، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿ لن تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣]؟

ج : الجواب أن لن لا تفيد التأبيد في كل الأحوال ، وهي وإن أفادته في بعض الأحوال لا تفيده في هذا الموطن في الآخرة لورود الأحاديث الصريحة برؤية الرب عز وجل في الآخرة[٢] .

---

(١) وهذا كما تقدم خاص ببني إسرائيل .

(٢) منها قول النبي ﷺ : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة .. » ، وسيأتي في بابه إن شاء الله .

ومن الأدلة على أن لن لا تفيد التأبيد قوله تعالى في شأن اليهود : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ [الجمعة : ٦ ، ٧] فقال تعالى : ﴿ ولا يتمنونه أبدًا ﴾ مع أن اليهود سيتمنون الموت يوم القيامة ، فهم داخلون في جملة الكفار الذين يقولون : ﴿ يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ [الزخرف : ٧٧] ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى الغمام ؟

ج : الغمام هو السحاب(١) ، وسمي السحاب غمامًا لأنه يغم السماء أي يغطيها ويواريها ويسترها ، ومنه قولهم غُمَّ الهلال إذا غطاه الغيم ، فالغمام كل ما غمَّ السماء فغطاها من سحاب وقتام وكل مغط فهو غمام ، والله تعالى أعلم .

***

س : أين كان تظليل الغمام على بني إسرائيل ؟

ج : كان ذلك في التيه الذي ضربه الله عز وجل عليهم وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ...فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ [المائدة : ٢٦] ، لكن أين كان هذا التيه ، الله تعالى أعلم ، ولم نقف على خبر ثابت يوضح لنا أين كان .

وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس : .. ثم ظلل عليهم الغمام في التيه .

***

(١) وخصه بعضهم بالسحاب الأبيض .

س : ما هو المن ؟ وما هي السلوى ؟

ج : أما السلوى فأكثر العلماء على أنها طائر السُّماني ، وهو طائر طيب اللحم ، أما المن ففيه أقوال :

- منها أنه طلٌّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلًا ويجفف جفاف الصمغ وقيل : هو الترنجبين .
- ومنها أنه العسل .
- ومنها أنه شراب حلو مثل العسل .
- ومنها أنه خبز الرقاق .
- وقيل : إنه مصدر يعم جميع ما مَنَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ولا عمل ولا كد طعامًا كان أو شرابًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » ؟ وما معناه ؟

ج : الحديث ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ وقد أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين » ، وفي بعض روايات مسلم : « الكمأة من المن الذي أنزل الله على موسى وماؤها شفاء للعين » ، وفي رواية أخرى : « الكمأة من المن الذي أنزل الله عز وجل على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين » .

أما الكمأة فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[2]: والكمأة نبات لا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٨ ، ٤٦٣٩ ، ٥٧٠٨) ، ومسلم حديث (٢٠٤٩) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) فتح الباري (١٧٣/١٠) .

ورق لها ولا ساق توجد في الأرض من غير أن تُزرع ، قيل : سميت بذلك لاستتارها ، يُقال : كمأ الشهادة إذا كتمها ، ومادة الكمأة من جوهرٍ أرضي بخاري يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء وينميه مطر الربيع فيتولد ويندفع متجسدًا ، ولذلك كان بعض العرب يسميها جدري الأرض تشبيهًا لها بجدري مادة وصورة ، لأن مادته رطوبة دموية تندفع غالبًا عند الترعرع وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة ومشابهتها له في الصورة ظاهر .

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة : أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : الكمأة جدري الأرض ، فقال النبي ﷺ : «الكمأة من المن» الحديث . وللطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر قال : كثرت الكمأة على عهد رسول الله ﷺ ، فامتنع قوم من أكلها وقالوا : هي جدري الأرض ، فبلغه ذلك فقال : « إن الكمأة ليست من جدري الأرض ، ألا إن الكمأة من المن » والعرب تسمي الكمأة أيضًا بنات الرعد لأنها تكثر بكثرته ثم تنفطر عنها الأرض . وهي كثيرة بأرض العرب ، وتوجد بالشام ومصر ، فأجودها ما كانت أرضه رملة قليلة الماء ، ومنها صنف قتال يضرب لونه إلى الحمرة . وهي باردة رطبة في الثانية رديئة للمعدة بطيئة الهضم ، وإدمان أكلها يورث القولنج والسكتة والفالج وعسر البول ، والرطب منها أقل ضررًا من اليابس ، وإذا دفنت في الطين الرطب ثم سلقت بالماء والملح والسعتر وأُكلت بالزيت والتوابل الحارة قل ضررها ، ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف بدليل خفتها ، فلذلك كان ماؤها شفاء للعين .

قوله : (من المن) قيل في المراد بالمن ثلاثة أقوال : أحدها : أن المراد أنها من المن الذي أنزل على بني إسرائيل ، وهو الطلّ الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوًا ، ومنه الترنجبين فكأنه شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوًا بغير علاج. قلت: وقد تقدم بيان ذلك واضحًا في تفسير سورة البقرة، وذكرت من زاد في متن هذا الحديث « الكمأة من المن الذي

أنزل على بني إسرائيل » . والثاني : أن المعنى أنها من المن الذي امتن الله به على عباده عفوًا بغير علاج ، قاله أبو عبيد وجماعة ، وقال الخطابي : ليس المراد أنها نوع من المن أنزل على بني إسرائيل ، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر ، وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي ، فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فيقع على الشجر ، فيتناولونه . ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني إسرائيل كان أنواعًا ، منها ما يسقط على الشجر ، ومنها ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه ، وهذا هو القول الثالث وبه جزم الموفق عبد اللطيف البغدادي ومن تبعه فقالوا : إن المن الذي أنزل على بني إسرائيل ليس هو ما يسقط على الشجر فقط بل كان أنواعًا مَنَّ الله عليهم بها من النبات الذي يوجد عفوًا ، ومن الطير التي تسقط عليهم بغير اصطياد ، ومن الطلّ الذي يسقط على الشجر . والمن مصدر بمعنى المفعول أي ممنون به ، فلما لم يكن للعبد فيه شائبة كسب كان مَنًّا محضًا ، وإن كانت جميع نعم الله تعالى على عبيده مَنًّا منه عليهم ، لكن خص هذا باسم المن لكونه لا صُنع فيه لأحد ، فجعل سبحانه وتعالى قوتهم في التيه الكمأة وهي تقوم مقام الخبز ، وأدمهم السلوى وهي تقوم مقام اللحم ، وحلواهم الطل الذي ينزل على الشجر ، فكمل بذلك عيشهم . ويشير إلى ذلك قوله ﷺ : « من المن » فأشار إلى أنها فرد من أفراده ، فالترنجبين كذلك فرد من أفراد المن ، وإن غلب استعمال المن عليه عرفًا اهـ . ولا يعكر على هذا قولهم : ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ؛ لأن المراد بالوحدة دوام الأشياء المذكورة من غير تبدل وذلك يصدق على ما إذا كان المطعوم أصنافًا لكنها لا تتبدل أعيانها .

قوله : (وماؤها شفاء للعين) كذا للأكثر وكذا عند مسلم ، وفي رواية المستملي : « من العين » أي شفاء من داء العين ، قال الخطابي : إنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة ؛ لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ،

ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر ، والعكس بالعكس . قال ابن الجوزي : في المراد بكونها شفاء للعين قولان : أحدهما : أنه ماؤها حقيقة ، إلَّا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنه لا يستعمل صرفًا في العين ، لكن اختلفوا كيف يصنع به على رأيين : أحدهما : أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها ، حكاه أبو عبيد ، قال : ويصدق هذا الذي حكاه أبو عبيد أن بعض الأطباء قالوا : أكل الكمأة يجلو البصر ، ثانيهما : أن تؤخذ فتشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ، ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها ، لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة ويبقى النافع منه ، ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع ، وقد حكى إبرهيم الحربي عن صالح وعبد الله ابني أحمد بن حنبل أنهما اشتكت أعينهما فأخذا كمأة وعصراها واكتحلا بمائها فهاجت أعينهما ورمدا . قال ابن الجوزي : وحكى شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي أن بعض الناس عصر ماء كمأة فاكتحل به فذهبت عينه . والقول الثاني : أن المراد ماؤها الذي تنبت به ، فإنه أول مطر يقع في الأرض فتربى به الأكحال حكاه ابن الجوزي عن أبي بكر بن عبد الباقي أيضًا ، فتكون الإضافة إضافة الكل لا إضافة جزء . قال ابن القيم : وهذا أضعف الوجوه . قلت : وفيما ادعاه ابن الجوزي من الاتفاق على أنها لا تستعمل صرفًا نظر ، فقد حكى عياض عن بعض أهل الطب في التداوي بماء الكمأة تفصيلًا ، وهو إن كان لتبريد ما يكون بالعين من الحرارة فتستعمل مفردة ، وإن كان لغير ذلك فتستعمل مركبة ، وبهذا جزم ابن العربي فقال : الصحيح أنه ينفع بصورته في حال ، وبإضافته في أخرى ، وقد جُرب ذلك فوجد صحيحًا . نعم جزم الخطابي بما قال ابن الجوزي فقال : تربى بها التوتياء وغيرها من الأكحال ، قال : ولا تستعمل صرفًا فإن ذلك يؤذي العين . وقال الغافقي في « المفردات » : ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به ، فإنه يقوي الجفن ، ويزيد الروح الباصر حدة

وقوة ، ويدفع عنها النوازل . وقال النووي : الصواب أن ماءها شفاء للعين مطلقًا فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه ، قال : وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجردًا فشفي وعاد إليه بصره ، وهو الشيخ العدل الأمين الكمال بن عبد الدمشقي صاحب صلاح ورواية في الحديث ، وكان استعماله لماء الكمأة اعتقادًا في الحديث وتبركًا به فنفعه الله به . قلت : الكمال المذكور هو كمال الدين بن عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر يعرف بابن عبد بغير إضافة الحارثي الدمشقي من أصحاب أبي طاهر الخشوعي ، سمع منه جماعة من شيوخ شيوخنا ، عاش ثلاثًا وثمانين سنة ومات سنة اثنتين وسبعين وستمائة قبل النووي بأربع سنين . وينبغي تقييد ذلك بمن عرف من نفسه قوة اعتقاد في صحة الحديث والعمل به كما يشير إليه آخر كلامه ، وهو ينافي قوله أولًا مطلقًا ، وقد أخرج الترمذي في جامعه بسند صحيح إلى قتادة قال : حدثت أن أبا هريرة قال : أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمسًا أو سبعًا فعصرتهن فجعلت ماءهن في قارورة فكحلت به جارية لي فبرئت . وقال ابن القيم : اعترف فضلاء الأطباء أن ماء الكمأة يجلو العين ، منهم المسبحي وابن سينا وغيرهما . والذي يزيل الإشكال عن هذا الاختلاف أن الكمأة وغيرها من المخلوقات خلقت في الأصل سليمة من المضار ، ثم عرضت لها الآفات بأمور أخرى من مجاورة أو امتزاج أو غير ذلك من الأسباب التي أرادها الله تعالى ، فالكمأة في الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من الله ، وإنما عرضت لها المضار بالمجاورة ، واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ، ويدفع الله عنه الضرر بنيته ، والعكس بالعكس ، والله أعلم .

***

س : لماذا قيل في المن والسلوى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ٥٧] مع أن الأطعمة الحلال كلها من رزق الله سبحانه وتعالى ؟

ج : هذا – والله أعلم – ليبين أنه أتى إليهم من غير جهد ولا مشقة .

* * *

س : هل بدَّل كل بني إسرائيل القول الذي كلِّفوا به ؟

ج : الظاهر أن منهم من بدَّل ومنهم من لم يبدل بل امتثل الأمر ، والشاهد على ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا منهم .. ﴾ [الأعراف : ١٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٥٩] ، والله أعلم .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [البقرة : ٥٧] واذكر بعض الآيات وحديثًا في معناها ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أنهم ما ظلمونا بمعصيتهم لنا وإنما ظلموا أنفسهم بمقابلتهم النعم بالمعاصي ، فطاعتهم لنا لا تنفعنا ، ومعصيتهم لنا لا تضرنا إنما كل ذلك إما لهم وإما عليهم كما قال الله سبحانه : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ﴾ [يونس : ٢٣] ، وكما قال سبحانه في الحديث القدسي[1] « ... يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ....» الحديث ، وفيه أيضًا : « ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت =

وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا » .

* * *

= الظلم على نفسي[1] وجعلته بينكم محرمًا . فلا تظالموا[2] . يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته[3] . فاستهدوني أهدكم يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته . فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي ! كلكم عارٍ إلا من كسوته . فاستكسوني أكسكم . يا عبادي ! إنكم تخطئون[4] بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعًا . فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني . ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم . ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته . ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم . ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

---

(١) (إني حرمت الظلم على نفسي) قال العلماء : معناه تقدست عنه وتعاليت . وأصل التحريم في اللغة المنع . فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا ، لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء .

(٢) (فلا تظالموا) أي : لا تتظالموا . والمراد لا يظلم بعضكم بعضًا .

(٣) (كلكم ضال إلا من هديته) قال المازريُّ : ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال ، إلَّا من هداه الله تعالى . وفي الحديث المشهور : « كل مولود يولد على الفطرة » . فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا . وهذا الثاني أظهر .

(٤) (إنكم تخطئون) الرواية المشهورة : تُخطئون ، بضم التاء . وروي بفتحها وفتح الطاء . يقال : خطئ يخطأ إذا فعل ما يأثم به ، فهو خاطئ . ومنه قوله تعالى : ﴿ استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ﴾ [يوسف : ٩٧] . ويقول في الإثم أيضًا : أخطأ . فهما صحيحان . من التعليق على مسلم .

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
حطة - رجزًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
حطة	دخولنا الباب سجدًا حطةٌ يحط الله بها خطايانا (فحطة مصدر حط يحط حطة)
رجزًا	عذابًا ، وقيل : إن العذاب هو الطاعون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي القرية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : الجمهور من العلماء على أن هذه القرية ، **هي بيت المقدس** ودليلهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسين ﴾ [المائدة : ٢١ - ٢٦] .

فأُمِروا بدخول الأرض المقدسة فامتنعوا فضرب عليهم التيه ، وظُلِّل عليهم الغمام وأُنزل عليهم المن والسلوى في هذا التيه وبعدها قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية .... ﴾ [البقرة : ٥٨] ، فدل ذلك على أنها الأرض المقدسة ولكن هل هي بيت المقدس ؟ قال ذلك الجمهور .

● ومن العلماء من يقول إنها (أريحاء) ، واحتج أصحاب هذا القول على أنه لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المقدس ؛ لأن الفاء في قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ٥٩] تقتضي التعقيب فوجب أن يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا الأمر في حياة موسى عليه السلام ، لكن موسى مات في أرض التيه[1] ولم يدخل بيت المقدس فثبت أنه ليس المراد من هذه القرية بيت المقدس ، وأجاب الأولون بأنه ليس في هذه الآية أنا قلنا لهم ادخلوا هذه القرية على لسان موسى أو على لسان يوشع ، وإذا حملناه على لسان يوشع زال الإشكال .

---

(١) ومما يدل على أن موسى عليه السلام لم يمت في الأرض المقدسة ما أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٣٩ ، ٢٤٠٧) ، ومسلم (ص١٨٤٣) (واللفظ له) من طريق معمر عن همام قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله ﷺ : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام » . فقال له : أجب ربك . قال : « فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها » . قال : « فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت . وقد فقأ =

• وثمَّ قول ثالث (تالف لا دليل عليه البتة) وهو أن هذه القرية (مصر) . والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا سميت القرية بالقرية ؟

ج : سميت القرية بالقرية لاستقرار الناس فيها وتطلق القرية – في الأصل – على مجموعة البيوت المستقرة (سواء كانت قرية بالمعنى الاصطلاحي الموجود الآن أم كانت مدينة) ، وقد أطلق الله سبحانه وتعالى على مكة قرية فقال سبحانه : ﴿ لتنذر أُم القرى ومن حولها ﴾ [الشورى : ٧] .

• وقال سبحانه : ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ [محمد : ١٣] .

= عيني » . قال : « فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إلى عبدي فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شعرة . فإنك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب . رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجرٍ » . قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق ، عند الكثيب الأحمر » .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٣/٢٤٦) : ويحتمل أنْ يكون سر ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم ، و لم يدخلها معه أحدٌ ، ممن امتنع أولًا أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء ، ومات هارون ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا فكأن موسى لمَّا لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها طَلب القرب منها ؛ لأن ما قارب الشيء يُعطى حكمه .. ، والله أعلم .

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمرت بقريةٍ تأكل القرى ، يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس[2] كما ينفي الكير خبث الحديد » . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : متى قيل لهم : ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : قيل لهم ذلك بعد خروجهم من التيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى سجدًا في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا ﴾ [البقرة : ٥٨] ؟

ج : للعلماء في ذلك أقوال منها :

- ركعًا[3] .
- ومنها منحنين كالراكعين .
- ومنها متواضعين شاكرين خاضعين متذللين ، والحامل على هذا الانصراف عن ﴿ سجدًا ﴾ هو أنه لا يتيسر لأحد المشي وهو ساجد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أمروا بدخول الباب سُجدًا ؟

ج : الله أعلم بالحكمة من وراء ذلك ، ولعله ابتلاء من الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٧١) ، ومسلم (حديث ١٣٨٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٤/١٠٥) : المراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده .

(٣) صح عن ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن جرير الطبري (١٠٠٧ ، ١٠٠٨) وابن أبي حاتم (التفسير رقم ٥٨٠) قال : أمروا أن يدخلوا ركعًا (وفي رواية من باب صغير) .

لهم[1] ثم إن بعض العلماء يشير إلى أن هذا من مستلزمات شكر النعمة فلما أنعم الله عز وجل عليهم بدخول الأرض المقدسة بعد التيه الذي ضربه الله عز وجل عليهم أربعين سنة - لزمهم شكر هذه النعمة بأن يدخلوا الباب (باب القرية) متواضعين خاضعين ذليلين لله عز وجل شاكرين لنعمائه عليهم ، وسجود الشكر مشروع في شريعتنا[2] وقد سجده النبي ﷺ وسجده أصحابه[3] ، وعند الفتح أيضًا صلى النبي ﷺ ثمان ركعات بمكة[4] ، والله تعالى أعلم وعند دخول الناس في دين الله أفواجًا يشرع التسبيح بحمد الرب سبحانه والاستغفار كما في قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ [النصر : ١ - ٣] فرأى بعض الصحابة أن المراد كثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر ، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بأنه نُعي إلى رسول الله ﷺ أجله فيها[5] ، وأقرَّه على ذلك عمر ، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك ونُعي إليه روحه الكريمة أيضًا .

---

(١) وبعض العلماء يقولون : (أمروا أن يخضعوا لله عند الفتح بالقول والفعل) .

(٢) وقد قال النبي ﷺ في شأن سجدة (ص) كما عند النسائي : « سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرًا » .

وقد سجد النبي ﷺ في (ص) كما عند البخاري (مع الفتح ٥٤٤/٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرج أبو داود بإسناد حسن لشواهده (٢١٦/٣) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا جاءه أمر سرورٍ أو بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٦٩/١) ومسلم (٢٨/٤ ، ٢٣١/٥ مع النووي) من حديث أم هانىء رضي الله عنها مرفوعًا .

(٥) أخرج البخاري (حديث ٤٩٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه فقال: لمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم فما رئيتُ أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُريهم ، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم =

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وقولوا حطة ﴾ ﴿ البقرة : ٥٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● حطة مغفرة[1] ، والمعنى : دخولنا الباب سجد حطة أي مغفرة يغفر الله عز وجل بها عنا خطايانا .

● وقيل : معناها لا إله إلا الله .

● وقيل : حط عنا خطايانا .

● وقيل : أُمروا أن يستغفروا .

● وحطةٌ بالرفع أي مسألتنا حطة .

● وهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى واحد ألا وهو أنهم أمروا أن يقولوا قولًا يحط الله عز وجل بهم عنهم خطاياهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

= أعلم منها إلا ما تقول .

● وقد أخرج مسلم رحمه الله تعالى ما يؤيد وجهة الصحابة الذين سألهم عمر فأخرج مسلم رحمه الله (ص٣٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يُكثر من قول : « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » قالت : فقلت : يا رسول الله أراك تكثر من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، قال : « خبَّرني ربي أني سأرى علامةً في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فتح مكة ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ » [النصر : ١ - ٣] .

(١) أخرج هذا ابن جرير الطبري رحمه الله (١٠١٢) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥٨٤) قال : مغفرة استغفروا .
وفي رواية لابن جرير عن ابن عباس (أمروا أن يستغفروا) .

س : قوله تعالى : ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ [البقرة : ٥٨] سنزيدهم من ماذا ؟

ج : سنزيدهم إحسانًا إلى إحسانهم ، وقيل : نزيدهم ثوابًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف بدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم ؟

ج : بدلًا من أن يدخلوا الباب سجدًا ويقولوا حطة دخلوا يزحفون على أستاههم قائلين حبة في شعرة ، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « قيل لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ فبدَّلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة » .

وقد أخرج الطبري (١٠٢٥) ، وابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٥٩٤) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : أمروا أن يدخلوا ركعًا ويقولوا حطة قال : أمروا أن يستغفروا ، قال : فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون حنطة يستهزءون فذلك قوله : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم ﴾ [البقرة : ٥٩] وهذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما ، والمرفوع إلى رسول الله ﷺ أولى أي : أنهم قالوا : حبة في شعرة ، إلا أن يجمع بين الروايتين فيقال : بعضهم قال : حنطة وبعضهم قال : حبة في شعرة أو بأن يقال : إنهم جميعًا قال هذا وذاك[٢] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤١) ، ومسلم (حديث ٣٠١٥) .

(٢) وقد وقع في رواية للبخاري (٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ .... أنهم قالوا : حِطة حبَّة في شعرة .

س : ما معنى ﴿ رجزًا ﴾ [البقرة : ٥٩] ؟

ج : معناها : عذابًا ، وقيل الرجز هنا هو الطاعون .

وقيل الرجز الغضب ، وقيل العقوبة ، وكلها يرجع إلى معنى العذاب ، وأما من قال إن المراد بالرجز هنا الطاعون فحجته ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الطاعون رجسٌ(٢) أُرسل على طائفة من بني إسرائيل – أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه » .

فهذا يقوي رأي من قال : إن المراد بالعذاب هنا (أي المراد بالرجز) هو الطاعون ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : المعاصي سبب لنزول المصائب وزوال النعم اذكر عدة أدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذين قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [النحل : ١١٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٣) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٢٢١٨) .

(٢) وفي رواية : « رجزٌ » .

● وقوله تعالى : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور * فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل * ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ [سبأ : ١٥ - ١٩] .

● وقال سبحانه في شأن أصحاب القرية ﴿ ... إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم ﴾ [القلم : ١٧ - ٢٠] .

● وقال تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧] .

● وقال عز وجل : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : ١١] .

● وقال عز وجل : ﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا * أعد الله لهم عذابًا شديدًا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرًا .. ﴾ [الطلاق : ٨ - ١٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل

إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم من تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٥ ، ٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

● وقال تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾ ....إلى قوله تعالى : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ [القصص : ٧٦ - ٨١] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

● وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

● وقال سبحانه : ﴿ واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعًا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خلالهما نهرًا * وكان له ثمر ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها .... ﴾ [الكهف : ٣٢ - ٤٢] .

● وكذلك فرعون وقومه لما تمردوا وتجبروا وبغوا في الأرض قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين ﴾ [الزخرف : ٥٥ ، ٥٦] .

● وقال سبحانه في شأنهم أيضًا : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأرثناها بني إسرائيل ﴾ [الشعراء : ٥٧ - ٥٩].

وكذلك كل الأمم الظالمة من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين

والمؤتفكات وغيرهم من أهل البغي والظلم والفساد .

● ومن عصى من المسلمين أيضًا حل عليه شؤم معصيته : (إلا أن يسترها الله سبحانه ويغفرها) فأصحاب نبينا ﷺ لما خالفوا أمر نبيهم ﷺ يوم أحد حلَّ بهم ما حل من قتل وجراح وذهاب غنيمة وجرح نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشج رأسه وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام[1] .

● وآدم ﷺ أسكنه الله عز وجل الجنان وقال له : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ [طه : ١١٨ ، ١١٩] فلما وسوس له الشيطان وأغواه وجرأه على الأكل من الشجرة باليمين الكاذبة[2] والوعود الباطلة الذاهبة[3] فلما أكل منها آدم أُخرج عليه السلام من الجنة وطفق هو وزوجه يخصفان عليهما من ورق الجنة وغوى آدم عليه السلام ، لكن تفضل الله عز وجل عليه بالهداية والاجتباء كما قال سبحانه : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

● وقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .. ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

***

(١) وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في سورة آل عمران .
(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ [الأعراف : ٢١] .
(٣) كما في قوله : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] .

س : لماذا كرر لفظ الذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ فبدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] ؟ واذكر أمثلة للتكرير ؟

ج : كرر لفظ الذين ظلموا تأكيدًا لظلمهم وإلصاقًا للظلم بهم أما أمثلة التكرير لتغليظ الفعل وتأكيده فهي كثيرة في الكتاب العزيز منها قوله تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] فقال في الآية الكريمة : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم ﴾ ولم يقل فويل لهم مما كتبوا . وكرر الويل تغليظًا لفعلهم وتقبيحًا لأمرهم .

ومنه أيضًا قول الخنساء :

تعرقنـي الدهـر نهسًا وحـزًّا وأوجعني الدهر قرعًا وغمزًا(١)

وهذا كله تكرير بعد تمام الكلام ، وقد يأتي التكرير قبل تمام الكلام .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الحاقة * ما الحاقة ﴾ [الحاقة : ١ ، ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ [الواقعة : ٨] فكررت الحاقة تعظيمًا لشأنها وبيانًا لهولها ، وكرر ذكر أصحاب الميمنة تفخيمًا لما ينالهم من الثواب ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل يجوز رواية الحديث بالمعنى ؟

ج : ذهب فريق من العلماء إلى المنع مستدلين بأدلة منها :

١ - أن الله عز وجل ذم بني إسرائيل وأنزل عليهم رجزًا من السماء لما بدلوا ما أمرهم به وقالوا : حبة في شعرة وقد أُمروا أن يقولوا : حطة .

٢ - قول النبي ﷺ : « نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه

---

(١) تريد أن الدهر أوجعها بكبريات نوائبه وصغارها ، ومن المعلوم أن الدهر لا يفعل ذلك بل الأمور كلها من عند الله سبحانه وتعالى .

غيره .. »[1].

٣ – رد النبي ﷺ على البراء بن عازب رضي الله عنهما لما علمه النبي ﷺ الذكر الذي يُقال عند النوم قال له فيه : « ... ونبيك الذي أرسلت » فقال البراء لما عاد الحديث على رسول الله ﷺ يستذكره : « ... وبرسولك الذي أرسلت » فقال له النبي ﷺ : « لا ، قل وبنبيك الذي أرسلت »[2] بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى جواز رواية الحديث بالمعنى إذا كان الذي يرويه عالمًا بالألفاظ ومدلولاتها فاهمًا لمعانيها متقنًا لما يحيل المعنى عن معناه ، كل هذا بشرط المطابقة للمعنى بكماله ، واستثنى هذا الفريق من العلماء الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها ، فهذه الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها تنقل كما هي ، والله تعالى أعلم .

وأجاب هذا الفريق من العلماء على استدلالات الفريق الأول بالآتي :

قالوا : إن قول بني إسرائيل : (حبة في شعرة) لم يكن من باب الرواية بالمعنى ولا السمع والطاعة بالمعنى إنما كان على سبيل العناد والتبديل كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٩] فجمعت الآية الكريمة ثلاثة أوصاف لهم :

١ – أنهم بدَّلوا ٢ – أنهم ظلموا ٣ – أنهم فسقوا .

---

(١) صحيح متواتر ، وهو بهذا اللفظ عند أحمد في المسند (٥/١٨٣) وأخرجه كذلك الدارمي (١/٧٥) وابن حبان (موارد الظمآن ٧٢، ٧٣) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج البخاري (١١/١٠٩) ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول » ، فقلت أستذكرهن : وبرسولك الذي أرسلت ، قال : « لا وبنبيك الذي أرسلت » .
وأخرجه أيضًا مسلم (مع النووي ١٧/ ٣٢) .

وأجابوا عن الدليل الثاني أنه الأفضل والأكمل لكن لا ينفي ما سواه ، وأيضًا فهذا الحديث نفسه : « نَضَّر الله امرأ .... » روي بعدة ألفاظٍ عن النبي ﷺ .

٣ – وأجابوا عن الدليل الثالث (حديث البراءَ) أن هذا من النوع الذي يتعبد به فيروى كما هو .

ثم استظهروا لأقوالهم بأن قالوا إنَّ جُلَّ الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ رويت بالمعنى وكذلك القصص التي ذكرت في كتاب الله تكرر كثيرٌ منها بألفاظ تؤدي نفس المعنى ، وأيضًا لما جاز نقل الأحاديث إلى غير العربية بمعناها فكان نقلها من العربية إلى العربية من باب أولى .

وها هو بحث للإمام القرطبي رحمه الله تعالى في ذلك .

قال رحمه الله : استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن تبديل الأقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يخلو أن يقع التعبُّد بلفظها أو بمعناها ؛ فإن كان التعبُّد وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها ؛ لذمّ الله تعالى من بدل ما أمره بقوله . وإن وقع بمعناها جاز تبديلها بما يؤدي إلى ذلك المعنى ؛ ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه .

وقد اختلف العلماء في هذا المعنى ؛ فحكي عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم أنه يجوز للعالم بمواقع الخطاب البصير بآحاد كلماته نقل الحديث بالمعنى لكن بشرط المطابقة للمعنى بكماله ؛ وهو قول الجمهور . ومنع ذلك جمع كثير من العلماء منهم ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة . وقال مجاهد : انقص من الحديث إن شئت ولا تزد فيه . وكان مالك بن أنس يشدّد في حديث رسول الله ﷺ في التاء والياء ونحو هذا . وعلى هذا جماعة من أئمة الحديث لا يرون إبدال اللفظ ولا تغييره حتى إنهم يسمعون ملحونًا ويعلمون ذلك ولا يغيرونه . وروى أبو مجلز عن

قيس بن عُبَاد قال : قال عمر بن الخطاب : من سمع حديثًا فحدث به كما سمع فقد سلم . وروي نحوه عن عبد الله بن عمرو وزيد بن أرقم . وكذا الخلاف في التقديم والتأخير والزيادة والنقصان ؛ فإن منهم من يعتد بالمعنى ولا يعتد باللفظ ، ومنهم من يشدد في ذلك ولا يفارق اللفظ . وذلك هو الأحوط في الدين والأتقى والأولى ؛ ولكن أكثر العلماء على خلافه . والقول بالجواز هو الصحيح إن شاء الله تعالى ؛ وذلك أن المعلوم من سيرة الصحابة رضي الله عنهم هو أنهم كانوا يروون الوقائع المتحدة بألفاظ مختلفة ، وما ذاك إلا أنهم كانوا يصرفون عنايتهم للمعاني ولم يلتزموا التكرار على الأحاديث ولا كتبها . وروي عن واثلة بن الأسقع أنه قال : ليس كل ما أخبرنا به رسول الله ﷺ نقلناه إليكم ؛ حسبكم المعنى . وقال قتادة عن زرارة بن أوفى : لقيت عدة من أصحاب النبي ﷺ فاختلفوا عليَّ في اللفظ واجتمعوا في المعنى . وكان النخعي والحسن والشعبي رحمهم الله يأتون بالحديث على المعاني . وقال الحسن : إذا أصبت المعنى أجزأك . وقال سفيان الثوري رحمه الله : إذا قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ؛ إنما هو المعنى . وقال وكيع رحمه الله : إن لم يكن المعنى واسعًا فقد هلك الناس . واتفق العلماء على جواز نقل الشرع للعجم بلسانهم وترجمته لهم ؛ وذلك هو النقل بالمعنى . وقد فعل الله ذلك في كتابه فيما قص من أنباء ما قد سلف ، فقص قصصًا ذكر بعضها في مواضع بألفاظ مختلفة والمعنى واحد ، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربي وهو مخالف لها في التقديم والتأخير ، والحذف والإلغاء ، والزيادة والنقصان . وإذا جاز إبدال العربية بالعجمية فلأن يجوز بالعربية أولى . احتج بهذا المعنى الحسن والشافعي ، وهو الصحيح في الباب .

فإن قيل : فقد قال النبي ﷺ : « نَضَّرَ الله امرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها » وذكر الحديث . وما ثبت عنه ﷺ أنه أمر رجلًا أن يقول عند مضجعه في دعاء علمه : « آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي

أرسلت » ؛ فقال الرجل : ورسولك الذي أرسلت ؛ فقال النبي ﷺ : « ونبيك الذي أرسلت » . قالوا : أفلا ترى أنه لم يسوغ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ وقال : « فأداها كما سمعها » . قيل لهم : أما قوله : « فأدَّاها كما سمعها » فالمراد حكمها لا لفظها ؛ لأن اللفظ غير معتَّد به . ويدلك على أن المراد من الخطاب حكمه قوله : « فُرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » . ثم إن هذا الحديث بعينه قد نقل بألفاظ مختلفة والمعنى واحد ؛ وإن أمكن أن يكون جميع الألفاظ قول النبي ﷺ في أوقات مختلفة ؛ لكن الأغلب أنه حديث واحُد نقل بألفاظ مختلفة ؛ وذلك أدل دليل على الجواز . وأما رده عليه السلام الرجل من قوله : « ورسولك – إلى قوله – ونبيك » ؛ لأن لفظ النبي ﷺ أمدح ؛ ولكل نعت من هذين النعتين موضع . ألا ترى أن اسم الرسول يقع على الكافة ، واسم النبي لا يستحقه إلا الأنبياء عليهم السلام ! وإنما فضل المرسلون من الأنبياء لأنهم جمعوا النبوة والرسالة . فلما قال : « ونبيك » ، جاء بالنعت الأمدح ، ثم قيده بالرسالة بقوله : « الذي أرسلت » . وأيضًا فإن نقله من قوله : « ورسولك – إلى قوله – ونبيك » ليجمع بين النبوة والرسالة . ومستقبح في الكلام أن تقول : هذا رسول فلان الذي أرسله ، وهذا قتيل زيد الذي قتله ؛ لأنك تجتزي بقولك : رسول فلان ، وقتيل فلان عن إعادة المرسل والقاتل ، إذ كنت لا تفيد به إلا المعنى الأول . وإنما يحسن أن تقول : هذا رسول عبد الله الذي أرسله إلى عمرو ، وهذا قتيل زيد الذي قتله بالأمس أو في وقعة كذا . والله ولي التوفيق .

فإن قيل : إذا جاز للراوي الأول تغيير ألفاظ الرسول عليه السلام جاز للثاني تغيير ألفاظ الأول ، ويؤدي ذلك إلى طمس الحديث بالكلية لدقة الفروق وخفائها . قيل له : الجواز مشروط بالمطابقة والمساواة كما ذكرنا ؛ فإن عُدمت لم يجز . قال ابن العربي : الخلاف في هذه المسألة إنما يتصور

بالنظر إلى عصر الصحابة والتابعين لتساويهم في معرفة اللغة الجبلية الذوقية ؛ وأما من بعدهم فلا نشك في أن ذلك لا يجوز ؛ إذ الطباع قد تغيرت ، والفهوم قد تباينت ، والعوائد قد اختلفت ؛ وهذا هو الحق . والله أعلم .

قال بعض علمائنا : لقد تعاجم ابن العربي رحمه الله ؛ فإن الجواز إذا كان مشروطًا بالمطابقة فلا فرق بين زمن الصحابة والتابعين وزمن غيرهم ؛ ولهذا لم يفصل أحد من الأصوليين ولا أهل الحديث هذا التفصيل . نعم ، لو قال : المطابقة في زمنه أبعد كان أقرب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الزيادة في الدين والابتداع فيه وكذلك التبديل جرم كبير عظيم الخطر وضح من الآيات الكريمة ما يفيد ذلك ؟

ج : وجه ذلك أن بني إسرائيل لما غيَّروا وبدلوا قوله تعالى : ﴿ حطة ﴾ [البقرة : ٥٨] فقالوا مكانها : (حبة في شعرة) ولما تمردوا على أمر الله إذ قال لهم الله : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا ﴾ [البقرة : ٥٨] فدخلوا يزحفون على أستاههم لقوا من البلاء ما لقوا ووصفهم الله عز وجل بالظلم وبالفسق وأنزل عليهم رجزًا من السماء كل ذلك لتبديل كلمة أمرهم الله عز وجل بها وفعلٍ أمرهم الله به فكيف بمن بدَّل عموم الشريعة كفرًا وأحل قومه دار البوار ؟؟؟

❋ ❋ ❋

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

س : ما معنى هذه الكلمات :

استسقى – لا تعثوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
استسقى	طلب الماء للقوم من ربِّه عز وجل
لا تعثوا	لا تفسدوا – لا يشتد إفسادكم

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ استسقى ﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : استسقى أي طلب السقي لقومه (أي طلب الماء لهم) كقوله تعالى في الحديث القدسي : « استطعموني » أي : اطلبوا مني أن أطعمكم ، و « استغفروني » اطلبوا مني أن أغفر لكم ، و « استكسوني » اطلبوا مني أن أكسكم .

● وقال ابن عطية في تفسيره : و ﴿ استسقى ﴾ معناه : طلب السُّقيا ، وعرف استفعل طلب الشيء ، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى : ﴿ واستغنى الله ﴾ [التغابن : ٦] أي غني ، وكقولهم : (استعجب) أي : عجب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أين استسقى موسى لقومه ؟

ج : استسقى موسى لقومه وهم في البرِّية أثناء فترة (التيه) التي ضربها الله عز وجل عليهم ، وكانوا قد شكوا إلى موسى عليه السلام الظمأ .

وقد أخرج ابن جرير الطبري[١] رحمه الله بإسنادٍ صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : ذلك في التيه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ وجُعل بين ظهرانيهم حَجر مربع ، وأُمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحيةٍ منه ثلاث عيون لكل سبط عين ، ولا يرتحلون مَنقلةً[٢] إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان به معهم في المنزل الأول .

● وأخرج ابن جرير[٣] أيضًا بإسنادٍ حسن إلى قتادة قوله : ﴿ وإذ

---

(١) هو عند الطبري (١٠٤٤) .
(٢) المنقلة هي المرحلة من مراحل السفر والجمع مناقل .
(٣) هو عند ابن جرير رقم (١٠٤٣) .

استسقى موسى لقومه ﴾ [البقرة : ٦٠] الآية ، قال : كان هذا إذ هم في البرِّية اشتكوا إلى نبيهم الظمأ فأُمروا بحجر طُوريٍّ أي من الطور – أن يضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا لكل سبطٍ عين معلومة مستفيضٌ ماؤها لهم .

● وقال الرازي في تفسيره (٣/٨٨) : جمهور المفسرين على أن هذا الاستسقاء كان في التيه ؛ لأن الله تعالى لما ظلَّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش فأعطاهم الله الماء من ذلك الحجر ، وأنكر أبو مسلم حمل هذه المعجزة على أيام مسيرهم إلى التيه فقال : بل هو كلام مفردٌ بذاته ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء ؟

ج : الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء إما دعاءٌ ، يدعو به الإمام في خطبة الجمعة ، أو يخرج الإمام إلى المصلى فيستقبل القبلة ويدعو الله عز وجل ويصلي ركعتين على ما ورد في الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ذلك ، وعلى ما ورد تفصيله في كتب الفقه ، أما بالنسبة للأحاديث الواردة في ذلك فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[(١)] من حديث عباد بن تميم عن عمه (وهو عبد الله بن زيد رضي الله عنه) قال : رأيت النبي ﷺ لما خرج[(٢)] يستسقي قال فحوَّل إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو ثم حوَّل رداءه ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة . ففي هذا الحديث أن النبي

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٥) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٨٩٤) .

(٢) في طرق هذا الحديث في الصحيحين أيضًا (خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى يستسقي ...) الحديث .

ﷺ خرج إلى المصلى يستسقي ، ولكن الخروج إلى المصلى ليس بشرط فقد استسقى النبي ﷺ في المسجد كذلك .

أخرج البخاري(١) ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ذكر أن رجلًا دخل يوم الجمعةِ من بابٍ كان وِجاهَ المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا فقال : يا رسولَ الله هَلكتِ المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . قال فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت . قال : والله ما رأينا الشمس سبتًا . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة – ورسول الله ﷺ قائم يخطب – فاستقبله قائمًا فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها . قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب ، والأودية ومنابت الشجر » . قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى(٢): وقد اتفق فقهاء الأمصار على مشروعية صلاة الاستسقاء وأنها ركعتان إلا ما روي عن أبي حنيفة أنه قال : يبرزون للدعاء والتضرع وإن خطب لهم فحسن ، ولم يعرف الصلاة هذا هو المشهور عنه ، ونقل أبو بكر الرازي عنه التخيير بين الفعل والترك ، وحكى ابن عبد البر الإجماع على استحباب الخروج إلى المصلى والبروز إلى ظاهر المصر لكن حكى القرطبي عن أبي حنيفة أنه لا يستحب الخروج وكأنه اشتبه عليه بقوله في الصلاة .

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٣) ، ومسلم (٨٩٧) .

(٢) فتح الباري (٥٧١/٢) .

قلت (لفظ القرطبي) : سنة الاستسقاء الخروج إلى المصلى - على الصفة التي ذكرنا[(١)] - والخطبة والصلاة وبهذا قال جمهور العلماء ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس من سنته صلاة ولا خروج وإنما هو دعاء لا غير واحتج بحديث أنس الصحيح أخرجه البخاري ومسلم ولا حجة له فيه .

فإن ذلك كان دعاءً عُجلت إجابته فاكتفي به عما سواه ولم يقصد بذلك بيان سنة ، ولما قصد البيان بيَّن بفعله حسب ما رواه عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحوَّل رداءه ثم صلى ركعتين .

قلت : ومن السنة أن يرفع الإمام يديه في الاستسقاء ، فقد أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان نبي الله ﷺ لا يرفع يديه[(٣)] في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء[(٤)] حتى يُرى بياض إبطيه .

***

---

(١) أي التي ذكرها القرطبي رحمه الله .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣١) وفي عدة مواطن من صحيحه ، ومسلم (٨٩٥) واللفظ لمسلم .

(٣) في رواية لمسلم فأشار بظهر كفيه إلى السماء .

(٤) ظاهره يفيد نفي رفع اليدين في كل موطن يُدعى فيه إلا في الاستسقاء ، لكن هذا معارض فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في عدة مواطن ، وقد ذكرنا بعضها في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة ، أما حديث أنس هذا فلأهل العلم في توجيهه قولان :

● أحدهما : أن المثبت مقدم على النافي فمن أثبت أن النبي ﷺ رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في مواطن آخر غير الاستسقاء قدم قوله على قول أنس رضي الله عنه لأن كلًّا منهما حكى علمه في هذا الباب .

● والثاني : أن يكون أنسًا رضي الله عنه روى صفة مخصوصة من الرفع عند الدعاء للاستسقاء ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٢/٦٠١) : =

س : الله سبحانه وتعالى قادر على أن يُفجر الماء لموسى دون أن يضرب بعصاه الحجر فلماذا ضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه ؟

ج : قال بعض أهل العلم إن ذلك لربط الأسباب بالمسببات حكمة منه سبحانه وتعالى للعباد في وصولهم للمراد وليترتب على ذلك الثواب والعقاب في المعاد ، وقد قال الله تبارك وتعالى لمريم عليها السلام : ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًّا ﴾ [مريم : ٢٥] ، والله عز وجل قادر على أن يُسقط عليها الرطب الجني دون أن تهز إليها جذع النخلة .

● وكذلك اجتهد النبي ﷺ وأصحابه في حفر الخندق يوم أن تكالبت عليهم الأحزاب ، والله جل وعلا قادر على أن ينصرهم بدون أن يُجهدوا أنفسهم في الحفر ، إلى غير ذلك من الوقائع التي لا تنتهي في هذا الباب

= قوله : (إلا في الاستسقاء) ظاهره نفي الرفع في كل دعاء غير الاستسقاء ، وهو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع في غير الاستسقاء وقد تقدم أنها كثيرة ، وقد أفردها المصنف بترجمة في كتاب الدعوات وساق فيها عدة أحاديث ، فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى ، وحمل حديث أنس على نفي رؤيته وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره . وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس المذكور لأجل الجمع بأن يحمل النفي على صفة مخصوصة أما الرفع البليغ فيدل عليه قوله : (حتى يرى بياض إبطيه) ويؤيده أن غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد به مد اليدين وبسطهما عند الدعاء ، وكأنه عند الاستسقاء مع ذلك زاد فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه وبه حينئذ يرى بياض إبطيه ، وأما صفة اليدين في ذلك فلما رواه مسلم من رواية ثابت عن أنس : (أن رسول الله ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء) ولأبي داود من حديث أنس أيضًا : (كان يستسقي هكذا ومد يديه – وجعل بطونهما مما يلي الأرض – حتى رأيت بياض إبطيه) قال النووي : قال العلماء : السنة في كل دعاء لرفع البلاء أن يرفع يديه جاعلًا ظهور كفيه إلى السماء ، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء . انتهى . وقال غيره : الحكمة في الإشارة بظهور الكفين في الاستسقاء دون غيره للتفاؤل بتقلب الحال ظهرًا لبطن كما قيل في تحويل الرداء ، أو هو إشارة إلى صفة المسئول وهو نزول السحاب إلى الأرض .

كالدعاء والتداوي والضرب في الأرض للبحث عن الرزق والإصلاح بين الناس ، و .. والله سبحانه قادر على أن يفعل كل ما يريد ، ولكن التأويل على ما ذكرناه ، والعلم عند الله .

***

س : قال بعض أهل العلم : (إنه ما من معجزة أوتاها نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي نبينا ﷺ معجزة من جنسها وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن موسى ﷺ لما ضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا كانت تلك معجزة لموسى ﷺ ، ونبينا محمد ﷺ أوتي معجزة من نفس الجنس وهي تفجر الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام كما ثبت ذلك في الصحاح وغيرها ، وهذه المعجزة لنبينا ﷺ لا شك أقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في هذا الجانب وذلك لأن من الحجارة أصلًا ما يتفجر منه الأنهار لكن ليس من الأصابع ما يتفجر من بينها الماء .

● ومن ذلك أيضًا أن سليمان عليه السلام سُخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ونبينا ﷺ سُخِّر له البراق فانطلق به من مكة إلى بيت المقدس ، وكذلك عُرِج برسول الله ﷺ إلى السموات و لم يحدث هذا لسليمان عليه السلام .

● وموسى عليه السلام كلمه ربه بجانب الطور ، ونبينا ﷺ كلمه ربه بعد السماء السابعة ..

● وسليمان عليه السلام سخرت له الجن ، والجن على عهد رسول الله ﷺ منهم من آمن به ، ومنهم من كفر ، ومن كفر وذهب يتسمع إلى الملأ الأعلى لحقه شهاب ثاقب كما قالت الجن : ﴿ ... وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا ﴾ [الجن : ٩].

• وأفضل من الجن وهم الملائكة وأفضل الملائكة وهو جبريل ﷺ يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، وكذلك ميكائيل يقاتل ، وملك الجبال يقول لرسول الله ﷺ : لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت .

• وداود عليه السلام كانت الجبال تسبح معه والطير ، ونبينا ﷺ كان الحجر يسلم عليه ، والشجر يذعن إليه ، والجبل يحبه ، والطعام يسمع له تسبيح وهو يؤكل على عهده ﷺ .

• وعيسى عليه السلام كان يبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله .

• وبعض المسلمين من أمة محمد ﷺ كان به برص فدعا الله عز وجل فشفاه[1]، وهذا ببركة اتباعه لرسول الله ﷺ ، وأيضًا نبينا ﷺ رد إلى محمد بن مسلمة رضي الله عنه رجله لما كسرت في الحال بإذن الله ، وبصق في عين عليٍّ وهو أرمد فبرأ بإذن الله .

• وعيسى ﷺ كان يحيي الموتى بإذن الله ، ونبينا عليه الصلاة والسلام حن له الجذع وسمع له صوت كصوت العشار لما فارقه النبي ﷺ وتحوَّل إلى المنبر يخطب عليه ، وصوت الجمادات أعظم إعجازًا من صوت الحي الذي قد مات .

• وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ألقي في النار ولم تضره ونبينا ﷺ رأى من نور الله عز وجل ما لو رآه بشرٌ لاحترق ، وشرب بعض أتباعه السم فلم يضره ، وأنجاه الله عز وجل من القتل المحقق مرارًا ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : هل من حكمة في تفجير الحجر إلى اثنتي عشرة عينًا ؟

ج : قال جمهور أهل العلم : إن هذا على عدد أبناء يعقوب عليه السلام

---

(١) وهو أويس القرني ، وحديثه بذلك ثابت في صحيح مسلم .

فقد كانوا اثني عشر كما ذكر الله عز وجل في كتابه : ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] ، فالأحد عشر هم إخوة يوسف وهو ثاني عشر لهم ، وقد قال الله تبارك وتعالى في شأن بني إسرائيل : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالأناس في قوله تعالى : ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : المراد : كل سبط من أولاد يعقوب ﷺ ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : أما المشرب فهو موضع الشرب الذي يشربون منه ، وقيل : إنه المشروب ، والمعنى الإجمالي : كل قد علم كل سبط (أي كل قبيلة) العين الخاصة به التي يشرب منها حتى لا يتشاحنوا ولا يتنازعوا على الماء .

وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن[1] إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : وأُعْلِم كُلُّ سبطٍ منهم عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول .

❋ ❋ ❋

س : قسمة الماء هل تشرع أم أن المسلمين شركاء كلهم فيه ؟

ج : المسلمون شركاء في الماء ، كما ورد عن رسول الله ﷺ[2] لكن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٨) بسند حسن .

(٢) ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » =

هذا لا يمنع من تقسيم الماء إذ دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك ، فقد قال النبي ﷺ للزبير لما حدث نزاع بينه وبين الأنصاري في شراج الحرَّة : « اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى الأنصاري »(١) .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ [الشعراء : ١٥٥] .

وقال عز وجل : ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ﴾ [القمر : ٢٨] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [البقرة : ٦٠] ؟

ج : أولًا : العثو : هو شدة الفساد ، وقال بعض أهل العلم : العثو في

= وذلك عند أبي داود (حديث ٣٤٧٧) وأحمد (٥/٣٦٤) والبيهقي (السنن الكبرى ٦/١٥٠) من طريق حريز بن عثمان عن أبي خداش (وهو حبان بن زيد الشرعي) عن رجل من المهاجرين .. به مرفوعًا .

وحبان بن زيد الشرعي لم أقف على من وثقه إلا ابن حبان ولكن ذكر أبو داود أن شيوخ حريز كلهم ثقات (وعلى هذا القول تحفظ عندي) .

وأخرج ابن ماجة (٢٤٧٣) بإسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا ثلاث لا يُمنعن الماء والكلأ والنار .

(١) أخرج البخاري (٢٧٠٨) من حديث عروة بن الزبير أن الزبير كان يُحدِّث أنه خاصم رجلًا من الأنصار قد شهد بدرًا إلى رسول الله ﷺ في شراجٍ من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله ﷺ : « اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك » فغضب الأنصاري فقال : يا رسول الله أن كان ابن عمتك ؟ فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال : « اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر » فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه ، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري ، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم ، قال عروة والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [النساء : ٦٥] .

والحديث أخرجه مسلم من طريق عبد الله بن الزبير أيضًا .

الأصل يطلق على الاعتداء ثم غلب إطلاقه على الفساد . وقيل : لا تعثوا : لا تسيروا .

ثانيًا : فإن قال قائل : فلماذا كرر ذكر الإفساد إذا قلنا : إن لا تعثوا لا تفسدوا فيكون المعنى : (لا تفسدوا في الأرض مفسدين) فالإجابة من وجوه : أولها : أن التكرير حدث للتأكيد كما في قوله تعالى : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ [التوبة : ٢٥] .

قال الراغب (كما نقل عنه القاسمي في « محاسن التأويل » ص١٣٦) : فإن قيل : فما فائدة قوله : ﴿ مفسدين ﴾ والعثو ضرب من الإفساد ؛ قيل : قد قال بعض النحويين : إن ذلك حال مؤكدة ، وذكر ألفاظًا مما يشبه ، وقال بعض المحققين : إن العثو ، وإن اقتضى الفساد فليس بموضوعٍ له ، بل هو كالاعتداء ، وقد يوجد في الاعتداء ما ليس بفساد وهو مقابلة المتعدي بفعله نحو : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[1] [البقرة : ١٩٤] ، وهذا الاعتداء ليس بفساد بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدل ، ولولا كونه جزاءً لكان إفسادًا ، فبين تعالى أن العثو المنهي عنه هو المقصود به الإفساد فالإفساد مكروه على الإطلاق ، ولهذا قال : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، وقد يكون في صورة العثو والتعدي ما هو صلاح وعدل كما تقدم وهذا ظاهر ، والله أعلم .

قلت : والآية الكريمة نحو قوله تعالى : ﴿ لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

هذا وقد يقول قائل إن من معنى الآية الكريمة – وإن دب بينكم بعض

---

(١) وقريب من المعنى قوله تعالى : ﴿ ما قطعتم مِن لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ [الحشر : ٥] .

نزاع لاختلافكم في مواضع الشرب فلا تتمادوا في هذا النزاع بل احسموا مادة النزاع بأن يرجع كل أناس إلى مشربهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في الآية الكريمة : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [البقرة : ٦٠] محذوفات دل عليها السياق اذكر بعضها ؟

ج : من هذه المحذوفات التي دل عليها سياق الكلام : محذوفٌ يقدر بأنه لفظ الجلالة (إما الله أو ربه) في قوله تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى ﴾ فالمعنى : (وإذ استسقى موسى ربه ..) أي : طلب السقيا من ربه عز وجل .

● ومنها : (فضربه) في قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾ فالمعنى : (فقلنا لموسى اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت) .

● ومنها : (منهم) في قوله تعالى : ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ [البقرة : ٦٠] أي : قد علم كل أناس من بني إسرائيل مشربهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يُردُّ على الجاهل المنكر لمثل هذه المعجزة (تفجر اثنتا عشر عينًا من الحجر) ؟

ج : يرد عليه ابتداء بأن الله عز وجل على كل شيء قدير يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون .

هذا وقد قال الراغب[1]: وأنكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده ، وهذا

---

(١) نقلًا من « محاسن التأويل » للقاسمي (ص١٣٦) .

المنكر مع أنه لم يتصور قدرة الله تعالى في تغيير الطبائع والاستحالات الخارجة عن العادات ، فقد ترك النظر على طريقته إذ قد تقرر عندهم أن حجر المغناطيس يجر الحديد ، وأن الحجر المنفر للنحل ينفره ، والحجر الحلاق يحلق الشعر(١)، وذلك كله عندهم من أسرار الطبيعة وإذا لم يكن مثل ذلك منكرًا عندهم فغير ممتنع أن يخلق الله حجرًا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض اهـ .

❋ ❋ ❋

س : هل كان الحجر الذي ضربه موسى حجرًا معينًا ؟

ج : قال ابن عطية رحمه الله تعالى : ولا خلاف أنه كان حجرًا منفصلًا مربعًا تطرد(٢) من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى ، وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون .

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) بسند صحيح عن ابن عباس (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاث عيون) .

وقد تقدم عن قتادة أنه كان حجرًا طوريًّا (من جبل الطور) .

● ونقل ابن كثير عن الحسن : لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه ، قال : وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة ، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فييبس ... إلى آخر ما قاله رحمه الله .

---

(١) ومن الأحجار ما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

وقد ضرب موسى الحجر الذي فر وعليه ثوب موسى وموسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر !!! وهو في الصحيح .

(٢) تطرد أي تجري بتتابع ، ومنه قولهم : نهران يطردان أي : يجريان .

(٣) التفسير (أثر رقم ٦٠٦) .

قلت : وليس هناك كبير فائدة في تحديد نوع الحجر وخاصة أنه لم يذكر لتحديده منفعة في الكتاب ولا في السنة فيما علمنا ، والله أعلم .

* * *

س : هل هناك فرق بين قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ فانفجرت ﴾ [البقرة : ٦٠] وبين قوله عز وجل : ﴿ فانبجست ﴾ [الأعراف : ١٦٠] في سورة الأعراف ؟

ج : بعض أهل العلم يقول : إنهما يؤديان نفس المعنى ؛ لأن القصة واحدة وبعضهم يُفرِّق بينهما ، قال أبو حيان في « البحر المحيط » : وجاء هنا (انفجرت) وفي الأعراف (انبجست) فقيل : هما سواء انفجر وانبجس وانشق مترادفات ، وقيل : بينهما فرق وهو أن الانبجاس هو أول خروج الماء والانفجار اتساعه وكثرته ، وقيل : الانبجاس خروجه من الصلب ، والانفجار خروجه من اللين ، وقيل : الانبجاس هو الرشح والانفجار هو السيلان ، وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة .

* * *

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

بقلها - فومها - الذي هو أدنى - ضربت عليهم - الذّلة - المسكنة - باءوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
بقلها	كل نبات ليس له ساق - وقيل : هو البقول كالكراث والفجل ونحو ذلك
فومها	الحنطة (البر)[1] - الثُّوم - الحبوب التي تُخبز بصفة عامة[2] - الخُبز[3]
الذي هو أدنى	الذي هو أخس وأردأ

(١) روي ذلك بإسناد صحيح عند الطبري (١٠٦٧) عن أبي مالك

(٢) روي ذلك بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٠٦٥) .

(٣) روي ذلك بأسانيد تصح بمجموعها عن عطاء ومجاهد عند الطبري (١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤) .

الكلمـــة	معناهـــا
ضربت عليهم	كتبت عليهم وألزموها
الذلة	مأخوذة من الذل ، وقيل : الجزية
المسكنة	الفقر والمهانة (فترى اليهود وإن كانوا مياسير إلا أنهم كأنهم فقراء وهم الآن وإن كانت لهم دولة إلا أن التسول في دمائهم وطلب المعونات ديدن لهم)
باءوا	رجعوا – انصرفوا – استمعوا

❋ ❋ ❋

س : كيف قالوا : ﴿ يا موسى لن نصبر على طعام واحدٍ ﴾ [البقرة : ٦١]وهم يأكلون صنفين المن والسلوى ؟ وهل الشراب يدخل في الطعام ؟

ج : مقصدهم - والله أعلم - أن الطعام يتكرر فلا يتغير ولا يتبدل ، ومن ثم أطلق عليه طعام واحد .

أما كون الشراب يدخل في الطعام ، فقد يذكر الطعام أحيانًا ويدخل في ثناياه الشراب ، وقد يطلق الطعام على الشراب خاصة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا ... ﴾ الآية [المائدة : ٩٣] .

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنها في الخمر قبل التحريم .

● وقال رسول الله ﷺ في شأن زمزم : « إنها طعام طعم »[١]، والله تعالى أعلم .

***

س : ما هو المراد بقول بني إسرائيل : ﴿ لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : المراد - والله أعلم - لن نحبس أنفسنا على طعام واحد .

***

س : ما المراد بالبقل في قوله تعالى : ﴿ .... من بقلها ﴾ [البقرة : ٦١]؟

ج : قيل : البقل كل ما أنبته الله عز وجل من الخضر .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

وقيل : هو كل نبات ليس له ساق ، والشجر هو كل نبات له ساق .

وقيل أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : هو استفهام استنكاري .

❋ ❋ ❋

س : اذكر قومًا كانوا في نعمة من الله سبحانه وتعالى فطلبوا أدنى منها كما فعل بنو إسرائيل ؟

ج : هؤلاء القوم هم سبأ ، قال الله عز وجل فيهم : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور – إلى قوله تعالى – وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾[1] [سبأ : ١٥ – ١٩] .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٥٣٣/٣) في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير .. ﴾ [سبأ : ١٨] :

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد ، والبلاد المرضية ، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا ، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم =

س : ما هو المراد بمصر في قوله تعالى ﴿ اهبطوا مصرًا ﴾ [البقرة : ٦١] ، وما معنى قوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : لأهل العلم فيها قولان مشهوران :

الأول : هو أن المراد بمصر مصر من الأمصار (يعني بلدة من البلدان) .

= ولهذا قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ [سبأ : ١٨] قال وهب بن منبه : هي قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة ، وقال العوفي عن ابن عباس : القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفي عنه أيضًا : هي قرى عربية بين المدينة والشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أي : بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى : ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ أي : جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿ سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين ﴾ أي : الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ وقرأ آخرون ﴿ بعد بين أسفارنا ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منٍّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ، ولهذا قال لهم : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ [البقرة : ٦١] وقال عز وجل : ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ [القصص : ٥٨] وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [النحل : ١١٢]. وقال تعالى في حق هؤلاء : ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴾ أي بكفرهم ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾ أي : جعلناهم حديثًا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد .

الثاني : هو مصر المعروفة لدى الناس الآن .

والقول الأول ذكره عدد من أهل العلم منهم قتادة[1] وغيره والقول الثاني نُقل عن مالك رحمه الله[2] وغيره .

وحجة أهل القول الثاني أن الله عز وجل قال في شأن قوم فرعون : ﴿ فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ [الشعراء : ٥٧ - ٥٩] .

● ومن أقوى حجج القول الأول التنوين في قوله تعالى : ﴿ مصرًا ﴾ ، وذكر الطبري رحمه الله تعالى حجج الفريقين ثم ختمها بقوله والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر ، وأهل التأويل متنازعون تأويله فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله عز وجل في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قرارًا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه ، وجائز أن يكون ذلك القرار (مصرَ) وجائز أن يكون (الشام) .

فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين ﴿ اهبطوا مصرًا ﴾ وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القرأة على ذلك ، ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضًا بينها .

قلت : أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا الذي سألتموه

---

(١) روي بإسناد حسن عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨١) .

(٢) قال ابن عطية في تفسيره : وقال أشهب : قال لي مالك : هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون .

ليس بأمرٍ عزيز بل هو كثير في أي بلدٍ دخلتموها وجدتموه فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه ، ولهذا قال : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ماسألتم ﴾ [البقرة : ٦١] أي : ما طلبتم ، ولما كان سؤالهم هذا من باب الأشر والبطر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه(١) ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ ضربت عليهم ﴾ [البقرة : ٦١] ؟

ج : المعنى فرضت عليهم وكتبت عليهم وألزموها وجعلت محيطة بهم ، ومنه قولهم : ضرب الإمام الجزية أي فرضها مأخوذ من ضرب القباب ومنه قول الفرزدق يهجو جريرًا :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها　　　وقضى عليك به الكتاب المنزل

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] وهل هناك حق يستدعي أن تقتل الأنبياء به ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ويعني بقوله ﴿ ويقتلون النبيين بغير

---

(١) كذا قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إنهم لم يجابوا إليه ، فإن قصد رحمه الله تعالى أن موسى لم يدع ربه لهم بما أرادوه فله وجه ، وإن قصد أنهم لم يجابوا إلى طلبهم بنيل البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل فلا وجه له عندي ، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى : فتأويل الآية إذًا : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ ، قال لهم موسى : أتستبدلون الذي هو أخس وأردأ من العيش بالذي هو خير منه ، فدعا لهم موسى ربه أن يعطيهم ما سألوه فاستجاب الله له دعاءه فأعطاهم ما طلبوا وقال الله لهم : ﴿ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم ﴾ ، والله أعلم .

الحق ﴾ [البقرة : ٦١] أنهم كانوا يقتلون رسل الله بغير إذن[1] الله لهم بقتلهم منكرين رسالتهم جاحدين نبوتهم .

قلت : وليس المراد من الآية الكريمة أن قتل النبيين ينقسم إلى قتلٍ بحق وقتلٍ بغير حق ، بل كل ما وقع من قتلهم إنما وقع بغير حق ، لأن النبي معصوم من أن يأتي أمرًا يستحق عليه القتل وإنما جاء هذا القيد ﴿ بغير الحق ﴾ على سبيل التشنيع لفعلهم والتقبيح لعملهم وسوء صنيعهم معهم .

ولقائل أن يقول أيضًا : إن هذا التقييد ﴿ بغير الحق ﴾ ذكر لبيان أن قتلة الأنبياء ليست عندهم أدنى شبهة في بطلان صنيعهم إذ قتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلو سألهم سائل لم قتلتم أنبياءكم ؟ لم يجدوا أي وجهٍ يجيبون به على سائلهم ، فقد يفعل الشخص كبيرة أو يتقلد قولًا باطلًا لشبهة عنده ، أما هؤلاء فليست عندهم أي شبهة يجيبون بها عن سوء صنيعهم مع أنبيائهم عليهم السلام ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما مدى صحة حديث : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين » ؟

ج : أخرجه أحمد في المسند (٤٠٧/١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هي الآيات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال :

---

(١) المراد بالإذن هنا الإذن الشرعي الديني وليس الإذن الكوني القدري ، والله أعلم .

منها : أنها الآيات التسع التي أيد الله عز وجل بها موسى ﷺ ، وذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات.. ﴾ [الإسراء: ١٠١] .

ومنها : أنها التوراة بكل ما فيها .

ومنها : أنها كل ذلك (التوراة والمعجزات التي أيد الله عز وجل بها موسى ﷺ) . والله أعلم .

***

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾(١) [المجادلة : ٢١] وبين قوله تعالى : ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ ولماذا يُخلي الله عز وجل بين الكفار وأنبيائهم حتى يتمكن هؤلاء الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام ؟

ج : أما الجمع فمن وجوه :

منها : أن الله عز وجل ما أمر نبيًّا بالحرب إلا نصره فلم يُقتل ، وإنما خلَّى بين الكفار وبين من لم يؤمر بقتالٍ من الأنبياء ، هذا الوجه نقل عن الحسن رحمه الله تعالى .

ومنها : أن النصر بالحجة والبيان والبرهان وكذلك الغلبة .

ومنها : أن المراد الأخذ بثأر الأنبياء عليهم السلام ممن بغى عليهم وغدر بهم ونالهم بشيء من السوء والأذى ، والله أعلم .

أما لماذا خلَّى الله عز وجل بين الكفار وبين أنبيائهم حتى يتمكن الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام فذلك – والله أعلم – لينالوا من أعالي الدرجات ورفيع المنازل ما لا ينالونه إلا بالقتل ، وليس ذلك بخذلان للأنبياء عليهم

---

(١) وفي معناها قوله تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [الصافات : ١٧١ - ١٧٣] .

الصلاة والسلام ، بل الأمر كما ذكره الله جل ذكره في عدة مواطن من كتابه الكريم : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ [محمد : ٤ - ٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ [آل عمران : ١٤٠ - ١٤١] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما حكم من أكل المستلذات من الطعام وشرب ما طاب من الشراب واستمتع بالحسناوات من النساء ؟

ج : كل ذلك إذا كان من الحلال الطيب بدون إسراف ولا تبذير ولا أشر ولا بطر فهو جائز بل مستحب بشرط أن يؤدي ما عليه فيه من حق من شكر النعم والعمل بطاعة الله عز وجل ، وذلك لما يلي :

● أنعم الله عز وجل على بني إسرائيل بالمن والسلوى فلما طلبوا تبديلها بالذي هو أدنى منها (من البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل) عتب الله عز وجل عليهم في ذلك وقال لهم نبيهم موسى عليه السلام : ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة .. ﴾ ، [البقرة : ٦١] .

وكذلك قوم سبأ لما ﴿ قالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ [سبأ : ١٩] جعلهم الله أحاديث ومزقهم كل ممزق .

وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

● وقال الله جل ذكره : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ١١] .

● وقال سبحانه وتعالى لقارون : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ... ﴾ [القصص : ٧٧] .

● وجمع النبي ﷺ بين تسع نسوة وكان عموم نسائه رضي الله عنهن حسناوات .

● وكان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل[١] .

● وقال عليه الصلاة والسلام لما قرب إليه طعام دون اللحم وكان قد رأى اللحم دخل : « ألم أر البرمة ؟ »[٢] كل هذا وغيره يشعر بأن الشخص إذا وسع الله عز وجل عليه يوسع ولا يضيق على نفسه ولا يكون بائسًا متبائسًا ، وإذا قدر عليه رزقه فينفق بحسبه وقد قال تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها .. ﴾ [الطلاق : ٧] ، والله تعالى أعلم[٣] .

❋ ❋ ❋

س : في تعاملات بني إسرائيل مع نبيهم موسى ﷺ الغاية من سوء الأدب وضح طرفًا من ذلك ؟

ج : هذا واضح جلي في تصرفهم مع موسى ﷺ وخطابهم معه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦١٤) ومسلم (ص ١١٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٧) ومسلم (ص ١١١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) وفقه هذه المسألة يحتاج إلى شرح أوسع لعله يأتي بعد ، إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك قولهم : يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ؛ ويا موسى لن نصبر على طعام واحد .

دون أي توقير في الخطاب مع النبي الكريم موسى ﷺ ، فيخاطبون موسى ﷺ كأنه رجل منهم[1] .

ومن ذلك اشتراطهم للإيمان بموسى ﷺ شروطًا !!! (أن يروا الله جهرة) .

ومن ذلك سوء أدبهم في قولهم : ﴿ ادع لنا ربك ﴾[2] وكأنه ليس بربهم وهذا كقولهم السيئ لموسى عليه السلام في سورة المائدة ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ [المائدة : ٢٤] .

هذا فضلًا عن الطامَّات الجسام والكبائر العظام والشرك الأعظم الذي يقترفونه من عبادة العجل وإتخاذه إلهًا جاحدين في ذلك نعم الله السابغة وآلائه الظاهرة عليهم .

❋ ❋ ❋

(١) وقد قال تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا ﴾ [النور : ٦٣] ، وسيأتي تفسيرها إن شاء الله .

(٢) وإن كان يجوز الخطاب بذكر (ربك) لكن ليس على هذا الوجه الذي استعمله هؤلاء الظلمة من بني إسرائيل .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

س : ما معنى كل مما يلي :

هادوا – الصابئون ؟

ج :

الكلمة	معناها
هادوا	تابوا – مالوا ، والمراد بهم هنا اليهود.
الصابئون	قوم لا دين لهم ، وقيل : قوم يعبدون الملائكة

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا خوف عليهم فيما هو آتٍ ولا يحزنون على ما تركوه خلفهم من ذرِّية وأموال وأزواج وأهلين ونحو ذلك[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٦٢] فيه تساؤلات منها :

١ – من المراد بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾ ؟ .

٢ – كيف يقال : ﴿ إن الذين آمنوا .. ﴾ ويقال بعدها : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا ﴾ فكيف يؤمن المؤمن ؟

ج : في المراد بـ ﴿ الذين آمنوا ﴾ للعلماء جملة أقوال :

الأول منها : أنهم المؤمنون بالله ورسوله محمد ﷺ ، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن يُقال إن قوله : ﴿ من آمن ﴾ معناه ثباته على الإيمان وتركه تبديله والحرص على الموت عليه وأيضًا ازدياده من الإيمان كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] .

الثاني : أنهم المؤمنون قبل بعثة رسول الله ﷺ الموحدون ربهم عز وجل كزيد بن عمرو بن نفيل وأمثاله ، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن من

(١) وقيل أيضًا : لا يحزنون يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

آمن بالله وكان موحدًا حنيفًا وجاءه رسول الله ﷺ فآمن به أيضًا وعمل صالحًا فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن .

الثالث : أن المراد بالذين آمنوا في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا ... ﴾ هم من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه وهؤلاء أهل النفاق فمن تاب عن نفاقه منهم وصدق بالله وباليوم الآخر وآمن برسول الله ﷺ من قلبه فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بـ ﴿ الذين هادوا ﴾ [البقرة : ٦٢] ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم ؟

ج : المراد بـ ﴿ الذين هادوا ﴾ اليهود وأطلق عليهم هذا الاسم لأمور ذكرها العلماء :

منها : لأنهم قالوا : ﴿ إنا هدنا[1] إليك ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

ومنها : أنهم ينسبون إلى أحد أولاد يعقوب ﷺ وهو (يهوذا) .

ومنها : أنهم يتهودون عند قراءة التوراة (أي : يتمايلون) .

* * *

س : وضح معنى ﴿ النصارى ﴾ [البقرة : ٦٢] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره :

القول في تأويل قوله عز وجل : ﴿ والنَّصَارَى ﴾

قال أبو جعفر : و « النصارى » جمع ، واحدهم نصران ، كما واحد السكارى سكران ، وواحد النشاوى نشوان . وكذلك جمع كل نعت كان واحده على « فعلان » فإن جمعه على « فعالى » . إلا أن المستفيض من كلام

---

(١) وانظر تفسير الهداية في سورة الفاتحة .

العرب في واحد « النصارى » « نصراني » . وقد حكي عنهم سماعًا « نصران » بطرح الياء ، ومنه قول الشاعر :

تـراه إذا زار الـعشي محنفًـا ويضحي لديه وهو نصران شامس[(١)]

وسمع منهم في الأنثى : « نصرانة » ، قال الشاعر :[(٢)]

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف[(٣)]

يقال : أسجد ، إذا مال[(٤)] . وقد سمع في جمعهم « أنصار » ، بمعنى النصارى .

قال الشاعر :

لما رأيت نبطًـــا أنصارًا شمرت عن ركبتـي الإزارا

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : (تراه إذا دار العشا متحنفًا) .
والبيت في صفة الحرباء . و « محنفًا » : قد تحنف ، أو صار إلى الحنيفية . ويعني أنه مستقبل القبلة . وقوله : « لديه » ، أي لدى العشي ، ويريد قبل أن يستوي العشي أو لدى الضحى ، ويكون قد ذكره في بيت قبله . وقوله : « شامس » ، يريد مستقبل الشمس ، قبل المشرق . يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني ، وهو كقول ذي الرمة في صفة الحرباء أيضًا :
إذا جول الظل العشي رأيتــه حنيفًا ، وفي قرن الضحى يتنصر

(٢) هو أبو الأخزر الحماني .

(٣) سيبويه ٢ : ٢٩ ، ١٠٤ ، واللسان (حنف) ، يصف ناقتين ، طأطأتا رءوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة في طأطأتها ، برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى . قال حميد بن ثور ، يصف نوقًا :
فلمـا لويـن على مـعصم وكـف خضيب وأسوارهـا
فضول أزمتها أسجـــدت سجـود النصارى لأحبارهـا

(٤) بيان الطبري عن معنى « أسجد » ليس بجيد .

كنت لهم من النصارى جارًا[1]

وهذه الأبيات التي ذكرتها ، تدل على أنهم سموا « نصارى » لنصرة بعضهم بعضًا ، وتناصرهم بينهم . وقد قيل : إنهم سموا « نصارى » ، من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها « ناصرة » .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على النصارى نصارى ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

١ - لأن عيسى عليه السلام لما قال للحواريين من أنصاري إلى الله ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ [الصف : ١٤] .

٢ - نسبة إلى قرية يقال لها : ناصرة كان ينزلها عيسى بن مريم عليهما السلام[2] .

٣ - تسموا بذلك لنصرة بعضهم بعضًا ، وهذا القول عندي ضعيف واهٍ ، فإن الله سبحانه وتعالى قال في أهل الكتاب ، ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] وقال سبحانه : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة : ١٤] .

---

(١) لم أعرف صاحب الرجز . والأبيات ، في معاني القرآن للفراء (١ : ٤٤) أمالي ابن الشجري (١ : ٧٩ ، ٣٧١) ، أنشده شاهدًا على حذف واو العطف : أي « وكنت لهم من النصارى جارًا » ، ثم أنشده في الموضع الآخر شاهدًا على حذف الفاء العاطفة أي « فكنت لهم ... » .

(٢) أخرج الطبري (١٠٩٧) بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال : إنما سمُّوا نصارى لأنهم كانوا بقرية يُقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مرُيم فهو اسم تسمَّوا به ولم يؤمروا به .

والقول الأول وكذلك الثاني كلاهما له وجه قوي ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو الصابئ ؟

ج : الصابئ : هو من ترك دينه ودخل دينًا غير دينه وصبأ فلان أي ترك دينه ودخل دينًا آخر .

❋ ❋ ❋

س : من هم الصابئون المعنيون في قوله تعالى : ﴿ ... والصابئين ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المعنيين هنا هم قوم لا دين لهم (ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس)[(١)] .

وقال بعض أهل العلم إنهم قوم يعبدون الملائكة فروى الطبري رحمه الله تعالى بإسناد صحيح[(٢)] عن الحسن قال : حدثني زياد[(٣)] أن الصابئين يُصلُّون إلى القبلة ويصلون الخمس ، قال : فأراد أن يضع عنهم الجزية ، قال فخبِّرٌ بعد أنهم يعبدون الملائكة أخرج الطبري بإسناد حسن[(٤)] عن قتادة أيضًا : قوله ﴿ والصابئين ﴾ قال : الصابئون قوم يعبدون الملائكة يُصلُّون إلى القبلة ويقرأون الزَّبور .

---

(١) وزاد ابن زيد وكما روى ذلك عنه ابن جرير بإسناد صحيح (١١٠٧) : إنهم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون : لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله ، قال : ولم يؤمنوا برسول الله ﷺ ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون لرسول الله ﷺ وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم .

(٢) أخرجه الطبري (١١٠٨) .

(٣) زياد هو (زياد بن أبيه) والي العراق في زمن معاوية رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الطبري (١١٠٩) .

وقال بعض أهل العلم إنهم طائفة من المجوس وقال غيرهم هم طائفة من أهل الكتاب ، وثمَّ أقوال أُخر وأشهر الأقوال القول الأول والثاني الذين قدمناهما ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا ... ﴾ الآية ما هو المراد من إيمان اليهودي هنا وإيمان النصراني والصابىء ؟

ج : المراد من إيمان اليهودي هنا تصديقه ما في التوراة ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ وما جاء به رسول الله ﷺ إذ صفة رسول الله ﷺ قد جاءت بها التوراة .

وكذلك إيمان النصراني تصديقه بالإنجيل ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ إذ قد جاء الإنجيل بصفة رسول الله ﷺ وصفة ما جاء به رسول الله ﷺ .

أما إيمان الصابىء فيكون بأن يدخل الصابىء في دين الإسلام ويتبع سبيل المؤمنين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اشترط لصحة قبول العمل شرطان ما هما ؟

ج : الشرط الأول : هو (الإيمان) والشرط الثاني : هو (العمل الصالح) وهو ما يصيغه بعض العلماء بقوله : (أن يكون خالصًا صوابًا) وكونه خالصًا أي خالصًا من شوائب الشرك والرياء ، ويكون صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ وهو نحو الوارد في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربِّه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ .. من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ أفرد في الآية الكريمة ﴿ من ﴾ وجمع ﴿ فلهم ﴾ فما وجه ذلك ؟

ج : أُجيب على ذلك بأن ﴿ مَن ﴾ لفظها لفظ الواحد لكنها تقع على الواحد والاثنين والجمع والتذكير والتأنيث فيحمل الكلام على لفظها فيوحد ويُذكر ويُحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى :

فإن قال قائل : وكيف قال : ﴿ فلهم أجرُهم عند ربهم ﴾ ، وإنما لفظ ﴿ من ﴾ لفظ واحد ، والفعل معه موحد ؟

قيل : ﴿ من ﴾ ، وإن كان الذي يليه من الفعل موحد ، فإن له معنى الواحد والاثنين والجمع ، والتذكير والتأنيث ، لأنه في كل هذه الأحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير . فالعرب توحد معه الفعل - وإن كان في معنى جمع - للفظه ، وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ [يونس : ٤٢ ، ٤٣] .

فجمع مرة مع ﴿ من ﴾ الفعل لمعناه ، ووحد أخرى معه الفعل لأنه في لفظ الواحد كما قال الشاعر :

ألما بسلمى عنكما إن عرضتما وقولا لها: عوجي على من تخلفوا[1]

---

(١) في ديوان لامرئ القيس ، منسوب إليه من قصيدة عدتها ٢٣ بيتًا ، وفيه : « ويقال إنها لرجل من كندة » وأولها :

ديار بها الظلمان والعين تعكف وقفت بها تبكي ودمعك يذرف

والأضداد لابن الأنباري : (٢٨٨) ، قال : أنشده الفراء ، وروايته صدره :

(ألما بسلمى لمة إذ وقفتما) =

فقال : « تخلفوا » ، وجعل ﴿ من ﴾ بمنزلة « الذين » ، وقال الفرزدق :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان[1]

فثنى « يصطحبان » لمعنى ﴿ من ﴾ . فكذلك قوله : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ ، وحد ﴿ آمن وعمل صالحًا ﴾ للفظ ﴿ من ﴾، وجمع ذكرهم في قوله : ﴿ فلهم أجرهم ﴾، لمعناه، لأنه في معنى جمع .

* * *

= والذي في رواية الطبري من قوله : « عنكما » زائدة في الكلام ، والعرب تقول : « سر عنك » ، و « انفذ عنك » أي : امض ، وجز - لا معنى ل « عنك » . وفي حديث عمر رضي الله عنه : أنه طاف بالبيت مع يعلى بن أمية ، فلما انتهى إلى الركن الغربي الذي يلي الأسود ، قال له : ألا تستلم ؟ فقال : انفذ عنك ، فإن النبي ﷺ لم يستلمه . وفي الحديث تفسيره : أي دعه وتجاوزه . وقوله « عرضتما » من قولهم : عرض الرجل : إذا أتى العروض (بفتح العين) ، وهي مكة والمدينة وما حولهما .
والتعليق للشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(١) قوله : تعال فإن عاهدتني ... أبيات من قصيدة للفرزدق[1] قالها لما خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب فلما عرسوا من آخر الليل عند الغريين وعلى بعيرٍ لهم مسلوخة كان اجتزرها ثم أعجله المسير فسار بها فجاء الذئب فحرَّكها وهي مربوطة على بعير فذعرت الإبل وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق فأبصر الذئب ينهسها فقطع رجل الشاة فرمى بها إلى الذئب فأخذها وتنحى ثم عاد فقطع اليد فرمى بها إليه فلما أصبح القوم خبرَّهم الفرزدق بما كان وأنشأ يقول :

وأطلس[2] عسالٍ ، وما كان صاحبًا دعوت بناري موْهنًا فأتاني

إلى أن قال :

تعشَّ فإن واثقتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان

---

(١) نقلًا من ديوان الفرزدق قصيدة « أنت والغدر أخيَّان » ص٦٢٨ .
(٢) الأطلس : الذئب الأغبر المائل إلى السواد ، والعسَّال : المضطرب في جريه ، موهنًا : الموهن الليل قاله المعلق على الديوان .

وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

س : اذكر معنى هذه الكلمات :

آتيناكم – بقوةٍ – الخاسرين – علمتم – اعتدوا – كونوا – الخاسئين – نكالًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
آتيناكم	أعطيناكم – أمرناكم به في التوراة
بقوةٍ	بجد واجتهاد
الخاسرين	المراد بها هنا – والله أعلم – الهالكين في الدنيا والآخرة
علمتم	عرفتم
اعتدوا	الاعتداء هو تجاوز الحد الذي حدَّه الله عز وجل ، وكل متجاوز حدِّ شيءٍ إلى غيره فقد تعداه إلى ما جاوز إليه
كونوا	صيروا
الخاسئين	الخاسيء هو المُبعد المطرود – خاسئين مُبعدين مطرودين – أذلاء صاغرين

الكلمـــة	معناهـــا
نكالًا	النكال عبرة تنكل المعتبر بها ، عبرٌ مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا وقيل: النكال الزاجر بالعقاب ، والنكل والنكال قيود الحديد ، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل

❋ ❋ ❋

س : ما هو الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل ؟

ج : لأهلِ العلم فيه أقوال :

● منها : أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله[1] وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● ومنها : أن هذا الميثاق هو العمل بالتوراة والإيمان بما جاء فيها .

● ومنها : أن هذا الميثاق هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ٨١ ، ٨٢] ، والعلم عند الله تعالى .

❋ ❋ ❋

---

(١) روى ابن جرير الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متكلم فيه قال : لما رجع موسى من عند ربه بالألواح . قال لقومه بني إسرائيل : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهرة ، حتى يطلع الله إلينا فيقول : هذا كتابي فخذوه ! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى ، فيقول =

س : ما هو الطور ؟

ج : لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال :

● منها : أن الطور هو الجبل (أيُّ جبل كان)(١) .

● ومنها : أنه نوع مخصوص من الجبال وهي الجبال التي تنبت دون ما لا ينبت من الجبال .

● ومنها : أنه الجبل الذي ناجى الله سبحانه وتعالى موسى ﷺ عليه ، ويشهد لهذا الأخير قوله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] وقوله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ [القصص : ٤٦] وقوله تعالى : ﴿ ... آنس من جانب الطور نارًا .. ﴾ [القصص : ٢٩] إلا أن يقال إن الذي ناجى الله عز وجل عليه موسى هو الطور لا شك لكن لا ينفي ما سواه فلهذا القول وجه ، والله تعالى أعلم .

* * *

= هذا كتابي فخذوه ؟ قال : فجاءت غضبة من الله ، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم ، فماتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله بعد موتهم ، فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . قال : أي شيء أصابكم ؟ قالوا : متنا ثم حيينا . قال : خذوا كتاب الله . قالوا : لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم ، فقيل لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطور ! قال : خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم . قال : فأخذوه بالميثاق ، وقرأ قول الله : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا ﴾ حتى بلغ ﴿ وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ٨٣ - ٨٥] ، قال : ولو كانوا أخذوه أول مرة ، لأخذوه بغير ميثاق .

(١) روى ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (١١١٨) بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ﴾ [البقرة : ٦٣] قال : الطور : الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٦٣] فأقروا بذلك .

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ [البقرة : ٦٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – ظاهره ، فالله سبحانه وتعالى رفع الجبل فوق بني إسرائيل كما أخبر عز وجل بقوله : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ [الأعراف : ١٧١] فالجبل اقتلع من أصله ورفع عليهم كأنه ظلة .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٦٣] هل فيه إضمار ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن فيه إضمار ، والمعنى ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة وإلا قذفناه عليكم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ [البقرة : ٦٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – اذكروا ما فيه من الوعد والوعيد ، وتدبروه واعملوا بمقتضاه ، ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم من بعد ذلك ﴾ [البقرة : ٦٤] من بعد ماذا ؟

ج : من بعد أخذ الميثاق عليكم وإقراركم به ، ومن بعد البرهان الذي أقمناه عليكم والترهيب الذي رهبناكم به ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل من رابط بين قوله تعالى : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ﴾ وبين

قوله تعالى : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ... ﴾ ؟

ج : نعم بينهما رابط ، وهذا الرابط فيه وجهان عند أهل العلم أولهما : أخذنا عليهم الميثاق فلما نقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل .

الثاني : أخذ عليهم الميثاق عند رفع الطور فوقهم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى (زاد المسير) : وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل فوقهم لإبائهم التوراة .

***

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ [البقرة : ٦٤] ؟

ج : أما المراد بفضل الله ورحمته ، فإمهاله لكم وعفوه عنكم وتوفيقكم للتوبة والإنابة إليه ، والله تعالى أعلم .

***

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا .. ﴾ [البقرة : ٦٥] لمن ؟

ج : الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ .

***

س : ما هي صورة هذا الاعتداء الذي فعله بنو إسرائيل ؟

ج : لأهل العلم فيه وجهان[1]:

الوجه الأول : أنهم اصطادوا الحيتان وأخذوها يوم السبت على سبيل

---

(١) أخرج الطبري رحمه الله تعالى (١١٤٠) بإسناد حسن إلى قتادة : قوله : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] : أُحلت لهم الحيتان وحُرِّمت عليهم يوم السبت بلاءً من الله ليعلم من يطيعه ممن =

الاستحلال والمخالفة لأمر الله عز وجل بمنعهم الصيد في السبت .

الوجه الثاني : أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المقصود بالسبت في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ [البقرة : ٦٥] ، وما هو أصل معنى كلمة السبت ؟

ج : المراد بالسبت في الآية الكريمة يوم السبت الذي يلي يوم الجمعة أما أصل السبت فقد ورد في لسان العرب السَّبت والسُّبات : الدهر ، والسَّبْتُ أيضًا برهة من الدهر ، والسَّبْتُ كذلك الراحة ، وسبت استراح وسكن .

وقال الطبري رحمه الله : وأصل (السبت) الهدوء والسكون في راحة ودعة ولذلك قيل للنائم (مسبوت) لهدوِّه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه : ﴿ وجعلنا نومكم سُباتًا ﴾ [النبأ : ٩] أي : راحة لأجسادكم وهو مصدر من قول القائل : (سبت فلان يسبت سبتًا) .

● وقد قيل : إنه سمي (سبتًا) لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم الذي قبله من خلق جميع خلقه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه التحذير لبني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم

= يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف : فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية ، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومَرَدَ على المعصية فلما أبوا إلَّا الاعتداء إلى ما نهوا عنه قال الله لهم : ﴿ كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] فصاروا قردة لها أذناب ، تَعاوَى بعد ما كانوا رجالًا ونساءً .

الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] ؟

ج : وجهه أن الله سبحانه وتعالى ذكر بني إسرائيل بما صنع أسلافهم وأجدادهم من نقض العهود والمواثيق ، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى وقد كانت العهود أخذت عليهم ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [النساء : ١٥٤] فلما خالفوا أمر الله تبارك وتعالى مسخهم الله عز وجل قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه : ﴿ ... فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] فأنتم يا معشر يهود يا من بعث محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة ، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به ، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم منَ التوراة ، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم ، فعليكم حينئذٍ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولًا ﴾ [النساء : ٤٧] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ... ﴾ [البقرة : ٦٥] قول مجمل فما هي الآيات التي فصلت ذلك ؟

ج : هي آيات من سورة الأعراف ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا

شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٣- ١٦٦] .

* * *

س : هل مُسخ الذين اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة ؟

ج : نعم مسخوا قردة على الحقيقة ، وهذا ظاهر كلام الله عز وجل فالله جل ذكره قال : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [البقرة : ٦٥] والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يسٓ : ٨٢] .

● وقد قال جل ذكره أيضًا : ﴿ ... قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرٌّ مكانًا وأضلُّ عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] وهذا رأي جمهور المفسرين ، رأيهم أن المعتدين في السبت مسخوا قردة على الحقيقة ، وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رحمه الله وتعقبه الطبري تعقبًا قويًّا في تفسيره وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره ، والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ابتلي أصحاب محمد ﷺ بمثل ما ابتلي به بنو إسرائيل فنجح أصحاب محمد ﷺ وخسر بنو إسرائيل وضّح ذلك باختصار ؟

ج : ابتلي بنو إسرائيل كما تقدم بأن حرَّم الله عز وجل عليهم الصيد يوم السبت كما قال جل ذكره : ﴿ ... وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم

ميثاقًا غليظًا ﴾ [النساء : ١٥٤] ولكنهم خالفوا أمر الله ونقضوا العهود والمواثيق على ما بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه .

وكذلك أصحاب محمد ﷺ فقال الله عز وجل لهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٩٤] فحفظوا - في عمومهم - أمر الله عز وجل وانتهوا عما نهاهم الله عز وجل عنه فهنيئًا لهم بطاعة الله وهنيئًا لهم بالدرجات العلى والنعيم المقيم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى: ﴿ فجعلناها ﴾ [البقرة : ٦٦] يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، فمنهم من يقول : إن الضمير يرجع إلى العقوبة (التي هي المسخ)[١] .

ومنهم من قال : يرجع إلى القرية (والمراد أهلها)[٢] .

ومنهم من قال : إنها الحيتان وثم أقوال أُخر وأقوى هذه الأقوال القول الأول والثاني .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ نكالًا ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : النكال معناه الزجر بالعقاب ، والنكل والنكال قيود الحديد ، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل ، قاله ابن عطية .

❋ ❋ ❋

(١) واختاره كثير من أهل العلم .

(٢) واختاره الحافظ ابن كثير وصححه .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ لما بين يديها وما خلفها ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم . وما خلفها الذين كانوا قد بقوا منهم .

● ومنها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق وما خلفها القرى المحيطة بها .

● ومنها أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان[1] فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر .

والمؤدى واحد وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا وفي هذه عبرة لكل معتبر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا خُصَّ المتقون بالموعظة في قوله تعالى : ﴿ ... وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟ ومن المراد بالمتقين هنا ؟

ج : لأن المتقين هم المنتفعون بالموعظة .

أما المراد بالمتقين فقيل : هم الذين يتقون عقوبة الله عز وجل ويحذرونها وقيل : إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ .

● وقيل : إن المتقين هنا هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله .

والقول الذي ينتظمها جميعًا هو أن المتقين تشمل كل من تقدموا ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) روى الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١١٥٧) أنه قال : قال الله تعالى : ﴿ فجعلناها نكالًا لما بين يديها ﴾ من ذنوب القوم ، ﴿ وما خلفها ﴾ أي : للحيتان التي أصابوا .

س : ما فائدة التذييل بقوله تعالى : ﴿ ... وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم[١]: وفائدة تذييل قوله عز وجل : ﴿ فجعلناها نكالًا لما بين يديها وما خلفها ﴾ بقوله عز وجل : ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ [البقرة : ٦٦] تأكيد ولفت انتباه إلى وجوب الحرص على تقوى الله عز وجل وملازمة الخوف منه والوقوف عند حدوده بتحليل ما أحلَّ وتحريم ما حرَّم .

❋ ❋ ❋

س : الممسوخ[٢] هل يتناسل ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن الممسوخ لا يتناسل وذلك لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم وغيره ، وفيه أن ابن مسعود قال :... فقال رجل : يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مُسخَ ؟ فقال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل لم يُهلك قومًا أو يعذِّب قومًا فيجعل لهم نسلًا ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك »[٣] .

❋ ❋ ❋

(١) قائله عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره « تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل » (ص١/١٦٤) .

(٢) أي من مسخ من إنسان إلى قردٍ مثلًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٣) ، وفي رواية لمسلم « إن الله لم يجعل لمسخٍ نسلًا ولا عقبًا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » .

هذا وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى بحثًا مختصرًا في ذلك فقال رحمه الله : (٢/٤٤١ ، ٤٤٢) : ولم يبق لهم نسل ؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب ، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام . قال ابن عباس : لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل . =

= قال ابن عطية : وروي عن النبيِّ ﷺ وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام .

قلت : هذا هو الصحيح من القولين . وأما ما احتج به ابن العربي وغيره على صحة القول الأول من قوله ﷺ : « فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته » . رواه أبو هريرة ، أخرجه مسلم ، وبحديث الضب رواهِ مسلم أيضًا عن أبي سعيد وجابر ؛ قال جابر : أُتي النبي ﷺ بضبٍّ فأبى أن يأكل منه ؛ وقال : « لا أدري لعله من القرون التي مسخت » فمتأول على ما يأتي . قال ابن العربي : وفي البخاري عن عمرو بن ميمون أنه قال : رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم . ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها ، وثبت في نص الحديث « قد زنت » وسقط هذا اللفظ عند بعضهم .

قال ابن العربي : فإن قيل : وكأن البهائم بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو ؟ قلنا : نعم كذلك كان ؛ لأن اليهود غيَّروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيَّروه ، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحبارهم ومسوخهم ، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون ، ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون ، وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون .

قلت : هذا كلامه في الأحكام ، ولا حجة في شيء منه ، وأما ما ذكره من قصة عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين : حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأودي في الصحيحين حكاية من رواية حُصين عنه قال : رأيت في الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قِرَدة فرجموها فرجمتها معهم . كذا حكى أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري من كتابه ؛ فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها ؛ فذكر في كتاب أيام الجاهلية . وليس في رواية النعيمي عن الفربري أصلًا شيء من هذا الخبر في القردة ؛ ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري . والذي قال البخاري في التاريخ الكبير : قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال : رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم . وليس فيه « قد زنت » . فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري =

= دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية و لم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية . وذكر أبو عمر في الاستيعاب عمرو بن ميمون وأن كنيته أبو عبد الله « معدود في كبار التابعين من الكوفيين ، وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك ؛ لأن رواته مجهولون . وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأودي مختصرًا قال : رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها – يعني القردة – فرجمتها معهم . ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرًا . وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان ؛ وليسا ممن يحتج بهما . وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنى إلى غير مكلف ، وإقامة الحدود في البهائم . ولو صح لكانوا من الجن ؛ لأن العبادات في الإنس والجن دون غيرهما » . وأما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة : « ولا أراها إلا الفأر » وفي الضب : « لا أدري لعله من القرون التي مسخت » وما كان مثله ، فإنما كان ظنًا وخوفًا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ ، وكان هذا حدسًا منه ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلًا ؛ فلما أوحى إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف ، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ لمن سأله عن القردة والخنازير : هي مما مسخ ؟ فقال : « إن الله لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلًا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » . وهذا نص صريح صحيح رواه عبد الله بن مسعود ، رواه مسلم في كتاب القدر . وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر ؛ فدل على صحة ما ذكرنا . وبالله توفيقنا . وروي عن مجاهد في تفسير هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط ، وردّت أفهامهم كأفهام القردة . ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

فهــرس الآيــات

*** انتهى بحمد الله ***

فهـرس الأحـاديــث

باب الباء

باب التاء

باب الدال

باب الراء

باب الزاي

باب السين

باب الكاف

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

الموقوف من الأحاديث

✹ ✹ ✹

فهرس الموضوعات

✵ انتهى والحمد لله ✵

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة البقرة من آية « ٦٧ » حتى آية « ١٧٦ »

الجزء الثاني

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل

لتأويل التنزيل

الطبعـــة الأولــى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

أتتخذنا هزوًا – فارض – بكر – عوان – صفراء فاقع لونها – تشابه – لا ذلول – تثير الأرض – مُسلَّمة – لا شية فيها – وما كادوا

يفعلون - ادارأتم - ما كنتم تكتمون - غافل ؟

ج :

الكلمة	معناها
أتتخذنا هزوًا	أتهزأ بنا وتسخر منا ؟
فارض	هرمة مُسنة
بكر	البكر هي الصغيرة التي لم يفتحلها الفحل
عوان	وسط (أي وسط بين الفارض والبكر) وقال بعض العلماء هي التي ولدت مرة أو مرتين
صفراء فاقع لونها	شديد الصفرة
تشابه	اختلط
لا ذلول	لم يذللها العمل
تثير الأرض	تقلبها للحرث (والمعنى أنها لا تثير الأرض أي ليست ذلولًا لأنها لا تثير الأرض)
مُسلمة	صحيحة سليمة من العيوب
لا شية فيها	ليس فيها بياض ولا سواد[1] ولا حمرة (أي صفراء لا يخالطها لون آخر) والشيُّ هو من وشيِّ الثوب وهو تحسينه بالألوان
وما كادوا يفعلون	كادوا أن لا يفعلوا
ادارأتم	اختلفتم - تنازعتم - تخاصمتم
ما كنتم تكتمون	ما كنتم تسرونه من أمر القاتل وقاتله
غافل	الغفلة هي ترك الشيء على وجه السهو

(١) ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : لا شية فيها أي : لا سواد فيها كما في (مرويات الإمام أحمد في التفسير) .

س : ما هي مناسبة قول موسى عليه السلام لقومه : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ؟

ج : مناسبته – والله أعلم – أنهم سألوه عن رجل منهم قُتل فاختلفوا في قاتله من الذي قتله[١] .

وذكر الطبري رحمه الله تعالى بأسانيده إلى عددٍ من السلف – وأجمل القول – فقال : فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي ، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى كان أخا المقتول ، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه وقال بعضهم بل كانوا جماعة وَرَثة استبطأوا حياته[٢] إلا أنهم جميعًا مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه عن أمر الله إياهم[٣]

(١) شاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها .. ﴾ [البقرة : ٧٢] وقد أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (أثر ١١٧٢) وابن أبي حاتم في التفسير (٦٩٥) بإسناد صحيح إلى عبيدة السلماني رحمه الله تعالى قال : كان في بني إسرائيل رجل عقيم – أو عاقر – قال : فقتله وليه ، ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه . قال : فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح . قال : فقال أولو النهى : أتقتتلون وفيكم رسول الله ؟ قال : فأتوا نبي الله . فقال : اذبحوا بقرة . فقالوا : أتتخذنا هزوًا ، قال : ﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ [البقرة : ٦٧ – ٧١] قال : فضُرب ، فأخبرهم بقاتله . قال : ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهبًا ، قال : ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك.

(٢) قلت : وكل هذا خلاف لا يضر فالعبرة حاصلة وكائنة وعلى أي وجه كان القاتل أو المقتول ، والله أعلم .

(٣) صوَّب الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى هذه اللفظة فقال : الأجود أن يكون (عن أمر الله إياه بذلك) وما صوَّبه الشيخ هو الراجح لدي ، والله أعلم .

بذلك فقالوا له : وما ذبح البقرة ؟ يبين لنا خصومتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتل من قتل فادُّعي على بعضنا أنه القاتل ؟

❋ ❋ ❋

س : البقرة اسم للأنثى من البقر فما اسم ذكرها ؟

ج : ذَكَرُها هو الثور .

❋ ❋ ❋

س : البقر أخذ من ماذا (من ناحية اللغة) ؟

ج : بَقَرَ أي شقَّ فالبقر مأخوذ من البَقْر وهو الشق فالبقرة تشق الأرض للحراثة فمن ثم أطلق عليها بقرة ، وأبو جعفر الباقر (وهو محمد بن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين) أطلق عليه الباقر لأنه بقر العلم وعرف أصله (قاله بعض العلماء)[1] .

❋ ❋ ❋

س : البقر يُذبح كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ فهل تُنحر البقر أيضًا ، وما هو الأولى في الغنم والإبل والخيل ؟

ج : البقر يذبح ، وينحر كذلك لقول النبي ﷺ : « رأيت بقرًا تُنحر »[2] الحديث ، ولقول النبي ﷺ : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ليس السن والظفر ... »[3] وبعض أهل العلم يفضل للبقر الذبح لأنه المذكور في كتاب الله عز وجل وأيضًا لم يرد أن النبي ﷺ نحر بقرًا .

---

(١) نقلًا عن القرطبي .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (٧/٤٣٦) : وعند أحمد والنسائي وابن سعد من حديث جابر بسند صحيح في هذا الحديث « ورأيت بقرًا منحرة ... » الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٩٨) ومسلم (١٩٦٨) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه مرفوعًا .

● أما الغنم فالأولى فيها الذبح ، والإبل الأولى فيها النحر[(١)] .

● أما الخيل فالذي يظهر لي أن الأولى فيها النحر لحديث أسماء رضي الله عنها نحرنا فرسًا على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه[(٢)] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا تعوَّذ موسى عليه السلام بالله عندما قالوا له ﴿ أتتخذنا هزوا ﴾ [البقرة : ٦٧] ؟

ج : تعوَّذ موسى عليه السلام ، لأن السخرية أثناء تبليغ دعوة الله عز وجل ، جهل وسفه[(٣)] ، فلم يكن لهم أن يظنوا بنبيهم ﷺ غير الحق وهو يبلغهم عن الله عز وجل .

---

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى : لا خلاف بين العلماء أن الذبح أولى في الغنم ، والنحر أولى في الإبل والتخيير في البقر ، وقيل : الذبح أولى لأنه هو الذي ذكره الله .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥١٠) ، ومسلم (١٩٤٢) من حديث أسماء رضي الله عنها ، وقد ورد بلفظ (ذبحنا ...) وجنح إلى ترجيح (نحرنا) فريق من أهل العلم ، والله أعلم .

(٣) ولم يكن موسى ﷺ مازحًا كذلك لما قال لهم : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ وإن كان هناك فرق بين المزاح والاستهزاء إلا أن موسى عليه السلام لم يكن في هذا ولا ذاك بسبيل ﷺ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى (١/٤٤٧) :

مسئلة – في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه ، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد . وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل ؛ ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح والأئمة بعده . قال ابن خويز منداد : وقد بلغنا أن رجلًا تقدم إلى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال : جبتك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش ؟ فقال له : لا تجهل أيها القاضي ! فقال له عبيد الله : وأين وجدت المزاح جهلًا ! فتلا عليه هذه الآية ؛ فأعرض عنه عبيد الله ؛ لأنه رآه جاهلًا لا يعرف المزح من الاستهزاء ، وليس أحدهما من الآخر بسبيل .

س : من العلماء من قال إن قوله تعالى : ﴿ صفراء ﴾ [البقرة : ٦٩]، **في وصف البقرة المطلوب ذبحها يعني به سوداء، ما مدى صحة هذا القول ؟**

ج : هذا القول ، وإن ورد عن بعض أهل العلم إلا أنه ليس بصحيح وظاهر كتاب الله يرده ثم أقوال جمهور المفسرين على خلافه(١) .

❋ ❋ ❋

س : أيهما أصح في الوقف عند قوله تعالى : ﴿ إنها بقرة لا ذلول ﴾ أو ﴿ إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ﴾ [البقرة : ٧١] **فهل الوقف الأصح عند لا ذلول أو عند الأرض ؟**

ج : الجمهور من العلماء على أن الوقف عند الأرض والمعنى أنه سبحانه وتعالى نفى عنها إثارة الأرض ، كسياق الآية الكريمة : ﴿ لا ذلول تثير الأرض ﴾ أي : لم يُذلها العمل بإثارة الأرض فهي لم تذل بإثارة الأرض ولا بسقي الحرث ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى (٢/٢٠٠ ، ٢٠١) : وأحسب أن الذي قال في قوله : « صفراء » ، يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السود : « هذه إبل صفر ، وهذه ناقة صفراء » يعني بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ، لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، ومنه قول الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي ... هن صفر ، أولادها كالزبيب

يعني بقوله : « هن صفر » ، هن سود وذلك إن وصفت الإبل به ، فليس مما توصف به البقر . مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد – إذا وصفته بالشدة – بالحلوكة ونحوها ، فتقول : « هو أسود حالك وحانك وحلكوك ، وأسود غربيب ودجوجي » – ولا تقول : هو أسود فاقع . وإنما تقول : « هو أصفر فاقع » . فوصفه إياه بـ « الفقوع » ، من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله : ﴿ إنها بقرة صفراء فاقع ﴾ المتأول ، بأن معناه سوداء شديدة السواد .

س : لماذا كادوا ألا يذبحوا البقرة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● منها : أنه لغلاء ثمن البقرة التي انطبقت عليها تلك المواصفات التي ذكرها لهم نبي الله موسى ﷺ ، وقد ذكر البعض أن أصل ثمنها كان قليلًا[1] إلا أن صاحبها رفع ذلك الثمن .

● ومنها : أنهم كادوا ألا يذبحوها خوفًا من الفضيحة التي ستحل بالقاتل وقومه .

ولا مانع من أن يكون المانع لهم من المبادرة إلى الذبح الأمران معًا (أي غلاء الثمن وخوف الفضحية) وهذا هو الذي جنح إليه الطبري رحمه الله تعالى ، فقال رحمه الله تعالى في تفسيره :

والصواب من التأويل عندنا أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلَّتين كلتيهما إحداهما غلاء ثمنها ، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها ، والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار نبي الله موسى - صلوات الله عليه وأتباعه - على قاتله أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فصوَّب ما أورده من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ [البقرة : ٧١] يقول : كادوا لا يفعلون ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا ألا يذبحوها وهذا الذي أورده ابن كثير عن ابن عباس ضعيف الإسناد عن ابن عباس[2] قال ابن كثير رحمه الله في شرح « أثر ابن عباس » رضي الله عنهما : يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة

---

(١) أما كون ثمنها كان قليلًا فروى الطبري (١٢٨٨) ، وابن أبي حاتم (٧٤٩) بإسناد صحيح إلى عكرمة قال : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

(٢) فقد أخرجه الطبري (١٢٧٧) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا إسناد ضعيف فضلًا عن انقطاعه .

والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا ذمٌّ لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها .

قلت : وهذا استنادًا إلى « أثر ابن عباس » الضعيف ، وأيضًا يظهر لي – والله أعلم – أن في قولهم وإنا إن شاء الله لمهتدون ، ما يرد هذا الذي ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها ﴾ [البقرة : ٧٢] مؤخر في التلاوة ومعناه متقدم ، فما هو وجه تأخيره ؟

ج : وجه تأخيره أنه لغة للعرب الذين جاء القرآن بلسانهم ، وشاهده من التنزيل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا * قيمًا ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] ، فالظاهر أن المعنى : قيمًا ولم يجعل له عوجًا فأخر المقدم وقدّم المؤخر(١) .

وقال الألوسي في روح المعاني : وقدّم(٢) لاستقلاله بنوع من مساوئهم التي قصد نعيها عليهم ، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك

---

(١) قاله ابن الجوزي في زاد المسير ، وأورد قول الفرزدق :

إن الفرزدق صخرة ملمومة   طالت فليس تنالها الأوعالا

قال : أراد طالت الأوعالا .

وقول جرير :

طاف الخيال وأين منك لماما   فارجع لزورك بالسلام سلاما

قال : أراد طاف الخيال لمامًا وأين هو منك .

وقول الآخر :

خير من القوم العصاة أميرهم   ياقوم فاستحيوا النساء الجلَّس

أراد خير من القوم العصاة النساء فاستحيوا من ذلك .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ .

المسارعة إلى الامتثال ، ولو أجرى على النظم لكانت قصة واحدة ولذهبت تثنية التقريع .

وبنحوه قال بعض المعاصرين من المفسرين .

قال وهبة الزحيلي في تفسيره[1] : إنما أخره بالذكر عن ذكر موقفهم الاستهزائي العنادي اهتمامًا واستهجانًا وتقريعًا لموقف العناد وتشويقًا إلى معرفة سبب ذبح البقرة .

* * *

س : رجل وُجد يتشحط في دمه وقال : فلان قتلني هل يؤخذ بقوله ؟

ج : الصحيح أنه لا يؤخذ بقوله إلا بالقرائن المحتفة إن كان لها وجه قبول كإقرار القاتل مثلًا أو وجود شهود أو نحو ذلك فالقرائن قد تقضي بصحة ما قال وقد تقضي ببطلانه ، وقد أخرج البخاري في صحيحه[2] من حديث أنس رضي الله عنه أن يهوديًا رضَّ رأس جارية بين حجرين ، فقيل لها : من فعل أفلان أو فلان حتى سمى اليهودي فأُتي به النبي ﷺ فلم يزل به حتى أقرَّ فرُضَّ رأسه بالحجارة .

* * *

(١) « التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج » .

(٢) حديث (٦٨٧٦) ، وقد بوَّب له البخاري رحمه الله تعالى بباب : سؤال القاتل حتى يقر والإقرار في الحدود .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١٢/ ٢٠٨) ، وقال النووي ذهب مالك إلى ثبوت قتل المتهم بمجرد قول المجروح ، واستدل بهذا الحديث ، ولا دلالة فيه بل هو قول باطل لأن اليهودي اعترف كما وقع التصريح به في بعض الطرق ونازعه بعض المالكية فقال : لم يقل مالك ولا أحد من أهل مذهبه بثبوت القتل على المتهم بمجرد قول المجروح وإن قالوا : إن قول المحتضر عند موته فلان قتلني لوثٌ يوجب القسامة فيقسم اثنان فصاعدًا من عصبته بشرط الذكورية ، وقد وافق بعض المالكية الجمهور .

س : هل في قوله تعالى : ﴿ ... فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ... ﴾ [البقرة : ٧٣] دليل على أن المقتول إذا قال : قتلني فلان أُخذ بقوله ؟

ج : الذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذه معجزة خاصة لا تتطرق إلى ما سواها لأنه لم يكن الرجل ليحييه الله عز وجل بعد أن أماته ثم يكذب على الناس وفيهم نبي الله موسى ﷺ[١] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى القسامة ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٢] : القسامة (بفتح القاف وتخفيف المهملة) اليمين ، وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الإثبات أو النفي ، وقيل : هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين .

وقال أيضًا[٣] : وهي الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم أو على المدعى عليهم الدم ، وخصَّ القسم على الدم بلفظ القسامة .

● وقال القرطبي رحمه الله: لا يحلف في القسامة أقل من خمسين يمينًا لقول النبي ﷺ في حديث حويصة ومحيصة: « يقسم خمسون منكم على رجل منهم ».

قلت : ولتوضيح معنى القسامة وبيانها نسوق بعض ما ورد فيها من أحاديث : أخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[٤] من حديث سهل ابن أبي حثمة رضي الله عنه أن نفرًا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها

---

(١) وبنحو ذلك قال بعض المفسرين ، فقال ابن جُزي الكلبي رحمه الله تعالى في تفسيره : وقصته معجزة لنبي فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره .

(٢) « الفتح » (٧/ ١٩٢) .

(٣) « الفتح » (١٢/ ٢٤٠) .

(٤) حديث (٦٨٩٨) .

ووجدوا أحدهم قتيلًا ، وقالوا للذي وجد فيهم : قد قتلتم صاحبنا ، قالوا : ما قتلنا ولا علمنا قاتلًا فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلًا ، فقال : الكُبر الكُبر . فقال لهم : تأتون بالبينة على من قتله ؟ قالوا : ما لنا بينة . قال : فيحلفون . قالوا : لا نرضى بأيمان اليهود ، فكره رسول الله ﷺ أن يُطَلَّ دمه فوداه مائةً من إبل الصدقة .

وأخرج البخاري أيضًا (٦٨٩٩) من طريق أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يومًا للناس ثم أذن لهم فدخلوا ، فقال : ما تقولون في القسامة ؟ قالوا : نقول القسامة القود بها حق وقد أقادت بها الخلفاء . قال لي : ما تقول يا أبا قلابة ؟ ونصبني للناس ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عندك رءوس الأجناد وأشراف العرب ، أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى ولم يروه أكنت ترجمه ؟ قال : لا . قلت : أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه ؟ قال : لا . قلت : فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحدًا قط إلا في إحدى ثلاث خصال : رجل قتل بجريرة نفسه فقتل ، أو رجل زنى بعد إحصان ، أو رجل حارب الله ورسوله وارتد عن الإسلام فقال القوم : أو ليس قد حدث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قطع في السرق وسمر الأعين ثم نبذهم في الشمس ؟ فقلت : أنا أحدثكم حديث أنس ، حدثني أنس أن نفرًا من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام ، فاستوخموا الأرض فسقمت أجسامهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، قال : أفلا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من ألبانها وأبوالها ؟ قالوا : بلى ، فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فصحوا فقتلوا راعي رسول الله ﷺ وأطردوا النَّعم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل في آثارهم فأدركوا ، فجيء بهم ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا . قلت : وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء ؟ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا فقال عنبسة بن سعيد : والله إن سمعت كاليوم قط ،

فقلت : أترد عليَّ حديثي يا عنبسة ؟ قال : لا ؛ ولكن جئت بالحديث على وجهه والله لا يزال هذا الجند بخير ما عاش هذا الشيخ بين أظهرهم . قلت : وقد كان في هذا سنة من رسول الله ﷺ : دخل عليه نفر من الأنصار فتحدثوا عنده ، فخرج رجل منهم بين أيديهم فقتل ، فخرجوا بعده فإذا هم بصاحبهم يتشحط في الدم ، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، صاحبنا كان تحدث معنا فخرج بين أيدينا فإذا نحن به يتشحط في الدم ، فخرج رسول ﷺ فقال : بمن تظنون – أو ترون – قتله ؟ قالوا : نرى أن اليهود قتلته . فأرسل إلى اليهود فدعاهم فقال : آنتم قتلتم هذا ؟ قالوا : لا . قال : أترضون نفل خمسين من اليهود ما قتلوه ؟ فقالوا : ما يبالون أن يقتلونا أجمعين ثم ينتفلون . قال : أفتستحقون الدية بأيمان خمسين منكم ؟ قالوا : ما كنا لنحلف . فوداه من عنده . قلت : وقد كانت هذيل خلعوا خليعًا لهم في الجاهلية ، فطرق أهل بيت من اليمن بالبطحاء فانتبه له رجل منهم ، فحذفه بالسيف فقتله ، فجاءت هذيل فأخذوا اليماني فرفعوه إلى عمر بالموسم وقالوا : قتل صاحبنا . فقال : إنهم قد خلعوه . فقال : يقسم خمسون من هذيل : ما خلعوه قال : فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلًا ، وقدم رجل من الشام فسألوه أن يقسم فافتدى يمينه منهم بألف درهم فأدخلوا مكانه رجلًا آخر فدفعه إلى أخي المقتول فقرنت يده بيده ، قالوا : فانطلقا والخمسون الذين أقسموا ، حتى إذا كانوا بنخلة أخذتهم السماء ، فدخلوا في غار في الجبل فانهجم الغار على الخمسين الذين اقسموا ، فماتوا جميعًا وأفلت القرينان واتبعهما حجر فكسر رجل أخي المقتول ، فعاش حولًا ثم مات . قلت : وقد كان عبد الملك بن مروان أقاد رجلًا بالقسامة ثم ندم بعد ما صنع ، فأمر بالخمسين الذين أقسموا فمحوا من الديوان وسيرهم إلى الشام » .

وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إن أول قسامة كانت في الجاهلية لفينا بني هاشم : كان رجل من بني هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ أخرى فانطلق معه في إبله ، فمر به رجل من بني هاشم قد انقطعت عروة جوالقه فقال : أغثني بعقال أشد به عروة جوالقي لا تنفر الإبل فأعطاه عقالًا فشد به عروة جوالقه . فلما نزلوا عقلت الإبل إلا بعيرًا واحدًا ، فقال الذي استأجره : ما شأن هذا البعير لم يعقل من بين الإبل ؟ قال : ليس له عقال . قال : فأين عقاله ؟ قال : فحذفه بعصًا كان فيها أجله . فمر به رجل من أهل اليمن ، فقال : أتشهد الموسم ؟ قال : ما أشهد وربما شهدته . قال : هل أنت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر ؟ قال : نعم . قال : فكتب إذا أنت شهدت الموسم فناد يا آل قريش ، فإذا أجابوك فناد يا آل بني هاشم ، فإن أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبره أن فلانًا قتلني في عقال . ومات المستأجر . فلما قدم الذي استأجره أتاه أبو طالب فقال : ما فعل صاحبنا ؟ قال : مرض فأحسنت القيام عليه ، فوليت دفنه . قال : قد كان أهل ذاك منك . فمكث حينًا ثم إن الرجل الذي أوصى إليه أن يبلغ عنه وافى الموسم فقال : يا آل قريش ، قالوا : هذه قريش . قال : يا بني هاشم ، قالوا : هذه بنو هاشم . قال : أين أبو طالب ؟ قالوا : هذا أبو طالب . قال : أمرني فلان أن أبلغك رسالة أن فلانًا قتله في عقال . فأتاه أبو طالب فقال له : اختر منا إحدى ثلاث : إن شئت أن تؤدي مائة من الإبل فإنك قتلت صاحبنا ، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله ، وإن أبيت قتلناك به . فأتى قومه فقالوا : نحلف . فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له فقالت : يا أبا طالب أحب أن تجيز ابني هذا برجل من الخمسين ولا تصبر يمينه حيث تصبر الأيمان ، ففعل . فأتاه رجل منهم فقال : يا أبا طالب

---

(١) حديث (٣٨٤٥) .

أردت خمسين رجلًا أن يحلفوا مكان مائة من الإبل ، يصيب كل رجل بعيران ، هذان بعيران فاقبلهما مني ولا تصبر يميني حيث تصبر الأيمان فقبلهما . وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا . قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده ما حال الحول ومن الثمانية وأربعين عين تطرف) .

❋ ❋ ❋

س : هل يُعمل بالقسامة ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : اختلف العلماء في الحكم بالقسامة ، فروي عن سالم وأبي قلابة وعمر بن عبد العزيز والحكم بن عتيبة التوقف في الحكم بها ، وإليه مال البخاري لأنه أتى بحديث القسامة في غير موضعه .

● وقال الجمهور الحكم بالقسامة ثابت عن النبي ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : ماهو الموجب للقسامة ؟

ج : الموجب للقسامة هو اللوث ولا بد منه ، واللوث أمارة تغلب على الظن صدق مدعي القتل كشهادة العدل الواحد على رؤية القتل أو يرى المقتول يتشحط في دمه والمتهم نحوه أو قربه عليه آثار القتل[1] قاله القرطبي رحمه الله .

---

(١) وقال القرطبي عقب الكلام المذكور : وقد اختلف في اللوث والعمل به فقال مالك : هو قول المقتول دمي عند فلان ، والشاهد العدل لوث ، كذا في رواية ابن القاسم عنه وروى أشهب عن مالك أنه يقسم مع الشاهد غير العدل ومع المرأة . وروى ابن وهب أن شهادة النساء لوث . وذكر محمد عن ابن القاسم أن شهادة المرأتين لوث دون شهادة المرأة الواحدة قال القاضي أبو بكر بن العربي : اختلف في اللوث اختلافًا كثيرًا ؛ مشهور المذهب أنه الشاهد العدل . وقال محمد : هو أحب إلي . قال : وأخذ به ابن القاسم وابن عبد الحكم . وروي عن عبد الملك بن مروان : أن المجروح أو المضروب إذا قال : دمي عند فلان ومات كانت القسامة . وبه قال مالك والليث بن سعد . واحتج مالك بقتيل بني إسرائيل أنه قال : قتلني فلان . وقال =

س : قوله تعالى : ﴿ اضربوه ببعضها ﴾ [البقرة : ٧٣] ما هو هذا البعض الذي أمر الله عز وجل أن يُضرب به الميت ؟

ج : ليس في الآية الكريمة شيء واضح يبين ما هو هذا البعض الذي أمر الله عز وجل أن يُضرب به الميت ، ولا نعلم شيئًا من سنة رسول الله ﷺ يوضح هذا البعض كذلك ، ولم يُطبق المفسرون على شيءٍ واحدٍ في هذا الباب أيضًا .

● وكما قال الطبري رحمه الله تعالى : ولا يُضِرُّ الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله .

● وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا البعض أي شيءٍ كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به ، وخرق العادة به كائن ، وقد كان معينًا في نفس الأمر فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا ، ولكن أبهمه ولم يجىء من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله تعالى .

= الشافعيُّ : اللَّوْث الشاهد العدل ، أو يأتي ببيِّنة وإن لم يكونوا عدولًا . وأوجب الثوريُّ والكوفيون القسامة بوجود القتيل فقط وآستغنوا عن مراعاه قول المقتول وعن الشاهد ، قالوا : إذا وجد قتيل في مَحلَّة قومٍ وبه أثرٌ حلف أهل ذلك الموضع أنهم لم يقتلوه ويكون عَقْلُه عليهم ؛ وإذا لم يكن به أثر لم يكن على العاقلة شيء إلا أن تقوم البيِّنة على واحد . وقال سفيان : وهذا مما أُجمع عليه عندنا ؛ وهو قول ضعيف خالفوا فيه أهل العلم ، ولا سلف لهم فيه ، وهو مخالف للقرآن والسُّنة ؛ ولأن فيه إلزام العاقلة مالًا بغير بيِّنة ثبتت عليهم ولا إقرار منهم . وذهب مالك والشافعيُّ إلى أن القتيل إذا وجد في مَحلَّة قومٍ أنه هَدَر ، لا يؤخذ به أقرب الناس دارًا ؛ لأن القتيل قد يُقتل ثم يُلقى على باب قوم ليلطخوا به ، فلا يؤاخذ بمثل ذلك حتى تكون الأسباب التي شرطوها في وجوب القسامة . وقد قال عمر بن عبد العزيز : هذا مما يؤخر فيه القضاء حتى يقضي الله فيه يوم القيامة .

قلت : والأمر كما قال العالمان الجليلان الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى ، وعلى هذا المنوال نسير في مثل هذه المواطن التي سكت عنها ربنا سبحانه ولم يبينها نبينا ﷺ ، فثمَّ خلافات لا طائل لها في مسائل ليس من وراء معرفتها كبير فائدة ولا صغيرها يضيع فيها كثيرٌ من المفسرين أوقات ويسودون بها صفحات ، ولا طائل من وراء هذا التضييع وذاك التسويد ، ومن أمثلة هذا مثلًا أوقاتًا يضيعها بعض المفسرين في تسمية كلب أهل الكهف وتسمية حمار العزير ، وتسمية امرأة العزيز ، وتسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، وعدد أصحاب الكهف وصفتهم ، و ... إلى غير ذلك من الأمور التي لا يُرجى من ورائها فائدة ، إذ لو كان من وراء معرفتها فائدة لبينها لنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم الذي ما فرط فيه من شيء ، ولأوضحها لنا نبينا ﷺ .

***

س : الأمر يفيد الوجوب عند كثير من أهل العلم ، اذكر دليلًا من قصة موسى عليه السلام مع قومه لما أمرهم بذبح البقرة يفيد ذلك ، ودليلًا آخر من غيرها من السور ؟ ودليلًا من السنة ؟

ج : أما الدليل الأول فهو قول موسى عليه السلام لقومه : ﴿ فافعلوا ما تؤمرون ﴾ [البقرة : ٦٨] .

أما الدليل الآخر فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر : ٧] .

● ومن السُّنة قول النبي ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت »[١] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح ، انظر سنن الترمذي (حديث ٣٠٥٥) وتفسير الطبري (٥٣/٧) .

س : بعض أهل العلم يستنبط من قصة قوم موسى في شأن البقرة أن حكم الله عز وجل يكون على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن إلا أن يأتي دليل من الكتاب أو السنة يخصص هذا العموم وهذا الظاهر وضح ذلك ، واذكر قائله ؟

ج : أما قائله فهو ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى ، قاله في تفسيره وهاك بيان قوله :

قال رحمه الله : وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه – من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم ، من قولهم ، إنَّ بني إسرائيل لو كانوا أخذُوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدَّد الله عليهم – من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أنَّ حكم الله ، فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رَسُوله ﷺ ، على العموم الظاهر ، دون الخصوص الباطن ، إلا أن يخص بعضَ ما عمَّه ظاهر التنزيل ، كتابٌ من الله أو رسولُ الله ؛ وأن التنزيل أو الرسول ، إن خصَّ بعض ما عمَّه ظاهرُ التنزيل بحكمٍ خلاف ما دلَّ عليه الظاهر ، فالمخصوص من ذلك خارجٌ من حكم الآية التي عمَّت ذلك الجنس خاصة ، وسائرُ حُكم الآية على العموم ؛ على نحو ما قد بيناه في كتابنا « كتاب الرسالة » من لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام – في قولنا في العموم والخصوص ، وموافقةِ قولهم في ذلك قولَنا ومذهِبهم مذهبَنا ، وتَخطئتهم قولَ القائلين بالخصوص في الأحكام ، وشهادَتهم على فساد قول من قالَ : حُكمْ الآية الجائية مجيء العموم على العموم ، مالم يُختصَّ منها بعض ما عمَّته الآية . فإن خُص منها بعضٌ ، فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما خُصَّ منها ، وسائر ذلك على العموم .

وذلك أن جميع مَنْ ذكرنا قوله آنفًا – ممن عابَ على بني إسرائيل مسألتَهم نبيَّهم ﷺ عن صِفة البقرة التي أمروا بذبحها وسِنِّها وحِليتها – رأوا أنهم

كانوا في مسألتهم رسول الله ﷺ مُوسى ذَلك مخطئين ، وأنهم لو كانوا استعرضَوا أدْنى بقرة من البقر - إذْ أمِروا بذبحها بقوله : ﴿ إن الله يأمركم أن تَذْبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ، فذَبحوها - كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤدِّين ، وللحق مُطيعين ، إذ لم يكن القوم حُصروا على نوع من البقر دون نوع ، وسنٍّ دون سنٍّ .

ورأوا مع ذلك أنَّهم - إذْ سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها ، وحَصرهم منها على سنٍّ دون سن ونوع دون نوع ، وخصَّ من جميع أنواع البقر نوعًا منها - كانوا في مسألتهم إيَّاهُ في المسألة الثانية ، بعد الذي خصَّ لهم من أنواع البقر ، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إيَّاه المسألةَ الأولى .

وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية ، وأن اللازمَ كان لهم في الحالة الأولى ، استعمالُ ظاهر الأمر ، وَذبح أيِّ بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة .

وكذلك رأوا أنَّ اللازم كان لهم في الحال الثانية ، استعمالُ ظاهر الأمر وذبح أي بَهيمة شَاءوا مما وقع عليها اسم بقرة عَوَان لا فارض ولا بكر ، ولم يَروا أنَّ حكمهم - إذ خُصَّ لهم بعض البقر دون البعض في الحالة الثانية - انتقل عن اللازم الذي كان لهم في الحالة الأولى ، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص .

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك - مع الرواية التي رويناها عن رسول الله ﷺ بالموافقة لقولهم - دليلٌ واضح على صحَّة قولنا في العموم والخصوص ، وأنَّ أحكام الله جل ثناؤه في آي كتابه - فيما أمر ونهى - على العموم ، ما لم يَخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له . وأنه إذا خُصّ منه شيء ، فالمخصوص منه خارجٌ حكمه من حكم الآية العامَّة الظاهرِ ، وسائر حُكم

الآية على ظاهرها العام - ومؤيدٌ حقيقةَ ما قلنا في ذلك ، وشاهدٌ عدلٌ على فساد قول من خالف قولنا فيه .

وقد زعم بعض من عظمت جهالته ، واشتدت حيرتُه ، أنَّ القوم إنما سألوا مُوسى ما سَألوا بَعد أمر الله إياهم بذبح بَقرةٍ من البقر ، لأنَّهم ظَنوا أنهم أمِروا بذبح بقرة بعينها خُصَّت بذلك ، كما خُصَّت عصَا موسى في معناها ، فسألوه أن يحلِّيها لهم ليعرفوها .

ولو كان الجاهل تدبَّر قوله هذا ، لسهل عليه ما استصعب من القول . وذلك أنه استعظَمَ من القوم مسألتهم نبيَّهم ما سألوه تشددًا منهم في دينهم ، ثم أضافَ إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكرهُ أن يكون كان منهم . فزعم أنهم كانوا يَرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضًا ، ويتعبدهم بعبادة ، ثم لا يبيِّن لهم ما يفرض عليهم ويتعبدهم به ، حتى يسألوا بيانَ ذلك لهم ! فأضاف إلى الله تعالى ذكرُه ما لا يجوز إضافته إليه ، ونَسب القومَ من الجهل إلى ما لا يُنسَب المجانين إليه ! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض ، فنعوذ بالله من الحَيْرة ، ونسأله التوفيق والهداية .

***

س : قاتل العمد هل يرث من المال شيئًا ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : ولا خلاف بين العلماء أنه لا يرث قاتل العمد من الدِّية ولا من المال إلَّا فرقة شذت عن الجمهور كلهم أهل بدع[1] .

***

(١) قلت : إن كان استدلاله بقصة بقرة بني إسرائيل وما ورد فيها من آثار فهي آثار لا تقوم بها حجة على هذه المسألة ، وقد قال ابن جُزي الكلبي في تفسيره : واستدلوا =

س : التعمق في سؤال الأنبياء والعلماء عن المسكوت عنه مذموم ومن شدد شدد الله عز وجل عليه ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن الله عز وجل أمر بني إسرائيل بذبح بقرة في قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] ، ولم يبين لهم سبحانه وتعالى شروطًا لها فلو ذبحوا أي بقرة أجزأتهم وكانوا قد امتثلوا أمر الله تعالى ، فلما طلبوا بيانًا عن سنِّها بقولهم : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي .. ﴾ [البقرة : ٦٨] كان هذا منهم تشديدًا على أنفسهم فشدِّد عليهم ثم تعنتوا تعنتًا آخر فقالوا : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ﴾ [البقرة : ٦٩] ... ثم تعنتًا ثالثًا بقولهم : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا ﴾ [البقرة : ٧٠] فكل هذا منهم تشديدٌ على أنفسهم(١) .

= أيضًا بها على أن القاتل لا يرث ، ولا دليل فيها على ذلك .

هذا وتحتاج المسألة مني إلى تحرير أسأل الله أن ييسره ، وإن شاء الله يأتي في بابه .

(١) وقد قال عبيدة السلماني رحمه الله : فلو لم يعترضوا البقرة لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشُدِّد عليهم . وتقدم الأثر عنه في ذلك وقال عكرمة رحمه الله (عند الطبري ١٢٣٩ بإسناد صحيح) : لو أخذ بنوا إسرائيل بقرة لأجزأت عنهم ، ولولا قولهم ﴿ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ [البقرة : ٧٠] لما وجدوها .

● وصح عن ابن عباس كذلك (عند الطبري ١٢٣٥) أنه قال : لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها ، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم .

وكذلك روي نحو هذا القول عن عددٍ كبير من أهل العلم .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى (ص١٨٩/٢) : .. لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرةٍ من البقر – أي بقرة شاءُوا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوعٍ منها دون نوع أو صنف دون صنف فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم وتكلُّف ما قد وضع الله عنهم مؤونته تعنتًا منهم لرسول الله ﷺ .. فذكر بأسانيده إلى السلف ... ﴿ ادع لنا ربك ﴾ وقال ص١٩٨ .

ومعنى ذلك : قال قومُ موسى لموسى : ادْع لنا ربك يُبين لنا ما لونها ؟ أي لون البقرة التي أمرتنا بذبحها . وهذا أيضًا تعنُّت آخر منهم بعد الأول ، وتكلُّف طلب ما قد =

= كُفُوه في المرة الثانية والمسألة الآخرة . وذلك أنهم لم يكونوا حُصِروا في المرة الثانية – إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمروا بذبحها ، فأبوا إلا تكلف ما قد كُفُوه من المسألة عن صفتها ، فحُصِروا على نوع دون سائر الأنواع ، عقوبةً من الله لهم على مَسألتهم التي سألوها نبيَّهم ﷺ ، تعنُّتًا منهم له . ثم لم يحصُرهم على لون منها دون لون ، فأبَوْا إلا تكلف ما كانوا عن تكلُّفه أغنياء ، فقالوا – تعنُّتًا منهم لنبيهم ﷺ ، كما ذكر ابن عباس – : ﴿ ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ﴾ ، فقيل لهم عقوبةً لهم : ﴿ إنها بقرةٌ صفراء فاقعٌ لونها تسر الناظرين ﴾ . فحُصِروا على لون منها دون لون . ومعنى ذلك : أنَّ البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراءُ فاقعٌ لونها .

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « قالوا » قال قوم مُوسى – الذين أُمِروا بذبح البقرة – لموسى فترك ذكر مُوسى ، وذكر عائد ذكره ، اكتفاءً بما دل عليه ظاهرُ الكلام . وذلك أن معنى الكلام : قالوا له : ادعُ رَبك . فلم يذكر « له » لما وصفنا .

وقوله : ﴿ يبيِّن لَنا ما هي ﴾ ، خبرٌ من الله عن القوم بجَهْلةٍ منهم ثالثة . وذلك أنهم لو كانوا إذْ أمروا بذبح البقرة ، ذبحوا أيَّتها تيسرت مما يقع عليه اسمُ بقرة ، كانت عنهم مجزئة ، ولم يكن عليهم غيرها ، لأنهم لم يكونوا كلِّفوها بصفة دون صفة . فلما سألوا بيانها بأيِّ صفة هي ، بيَّن لهم أنها بسن من الأسنان دون سَنٍّ سائر الأسنان ، فقيل لهم : هي عوان بَين الفارض والبكر والضرع . فكانوا – إذ بيِّنت لهم سنُّها – لو ذبحوا أدنى بَقرة بالسنِّ التي بُيِّنت لهم ، كانت عنهم مُجزئة ، لأنهم لم يكونوا كُلِّفوها بغير السن التي حُدتْ لَهم ، ولا كانوا حُصِروا على لون منها دون لون . فلما أبوا إلا أن تكون معرَّفَة لهم بنعوتها ، مبينةً بحدودها التي تفرِّق بينها وبين سائر بهائم الأرض ، فشدَّدوا على أنفسهم – شَدَّد الله عليهم بكثرة سُؤالهم نبيَّهم واختلافِهم عليه .

ولذلك قال نبينا ﷺ لأمته : –

« ذرُوني ما تركتُكم ، فإنما أُهلِك من كان قَبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه ما استطعتم » .

● وقد قال النبي ﷺ لأصحابه : « ذروني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم »[1] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبد لكم .. ﴾ [المائدة : ١٠١] وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء فحرِّم من أجل مسألته .. »[2] .

وقد قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل كره لكم كثرة السؤال .. »[3] والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى (أو) في قوله تعالى ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ؟

ج : ابتداءً فقد أجمع العلماء أن (أو)[4] في هذا الموطن ليست على الشك ثم التمسوا لها تأويلات .

● فمن العلماء من قال إن (أو) هنا بمعنى (بل) كما في قوله

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧) ص (١٨٣٠) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٨٩) ، ومسلم (حديث ٢٣٥٨) من حديث سعد رضي الله عنه مرفوعًا .
(٣) أخرج البخاري (حديث ٧٢٩٢) ، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب (.. كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) .
(٤) نقل هذا الإجماع الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

تعالى : ﴿ وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون ﴾ [الصافات : ١٤٧] ، فالمعنى – والله أعلم – بل يزيدون .

● ومن أهل العلم من قال إن (أو) هنا بمعنى الواو كما قوله تعالى : ﴿ ولا تطع منهم آثما أو كفورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] فالمعنى – والله أعلم – ولا تطع منهم آثمًا وكفورًا ، وكقوله تعالى : ﴿ عذرًا أو نذرًا ﴾ [المرسلات : ٦] فالمعنى – والله أعلم – عذرًا ونذرًا وكما في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .... أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق .. ﴾ [البقرة : ١٧ ، ١٩] فمنهم – والله أعلم – من مثله كمثل الذي استوقد نارًا ... ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق .... ، فالمعنى هنا على هذا التأويل أن منهم من قلبه في قسوته كالحجارة ومنهم من قلبه أشد قسوة من الحجارة[1] . والله أعلم .

***

(١) وقد بسط الطبري رحمه الله تعالى القول في هذا في تفسيره فقال رحمه الله :
فإن سأل سائل فقال : وما وجه قوله : ﴿ فهي كالحجارة أو أشدُّ قَسوة ﴾ ، و « أو » عند أهل العربية ، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك ، والله تعالى جل ذكره غيرُ جائز في خبره الشك ؟

قيل : إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته ، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية ، أنها – عند عباده الذين هُم أصحابها ، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله – كالحجارة قَسوةً أو أشد من الحجارة ، عندهم وعند من عرف شأنهم .

وقد قال في جماعة من أهل العربية أقوالًا . فقال بعضهم : إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله ﴿ فهي كالحجارة أو أشدُّ قَسوةً ﴾ ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي =

. . . .

= بـ « أو » كقوله ﴿ وأَرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧]، وكقول الله جل ذكره : ﴿ وإنا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدى أَوْ فِي ضَلالٍ مبين ﴾ [سورة سبإ : ٢٤] — [الإبهام عَلى من خاطبه] ، فهو عالمٌ أيُّ ذلك كان . قالوا : ونظير ذلك قول القائل : (أكلتُ بُسرة أو رُطَبة) ، وهو عالمٌ أيُّ ذَلك أكل ، ولكنه أبهم على المخاطب ، كما قال أبو الأسْود الدُّؤلي) :

أُحِـبُّ مُحمَّـدًا حُبًّـا شَدِيـدًا وَعَبَّاسًـا وَحمْـزَةَ وَالوَصِيَّـا
فإن يَكُ حُبُّهُـمْ رَشَدًا أُصِبْـه وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إنْ كَانَ غَيًّا

قالوا : ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكًّا في أن حُبَّ من سَمَّى - رَشدٌ ، ولكنه أبهم على من خاطبه به . وقد ذُكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له : شككت ! فقال : كلا والله ! ثم انتزع بقول الله عز وجل : ﴿ وإنا أو إياكمْ لَعلى هُدى أَوْ في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] ، فقال : أو كان شاكًّا - من أخبر بهذا - في الهادي من الضلال .

وقال بعضهم : ذلك كقول القائل : (ما أطعمتك إلا حُلوًا أو حامضًا) ، وقد أطعمه النوعين جميعًا . فقالوا : فقائل ذلك لم يكن شاكًّا أنه قد أطعم صاحبَه الحلوَ والحامضَ كليهما ، ولكنه أراد الخبر عَمَّا أطْعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين . قالوا فكذلك قوله : ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ إنما معناه : فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثالين ، إما أن تكون مِثْلا للحجارة في القسوة ، وإما أن تَكون أشدَّ منها قسوة . ومعنى ذلك على هذا التأويل : فبعضُها كالحجارة قسوةً ، وبعضُها أشدُّ قسوة من الحجارة .

وقال بعضهم : « أو » في قوله : ﴿ أو أشدَّ قسوة ﴾ ، وأشد قَسوة ، كما قال تبارك . وتعالى : ﴿ ولَا تُطِعْ مِنْهُم آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [سورة الإنسان : ٢٤] بمعنى : وَكفُورًا ، وكما قال جرير بن عطية :

نَالَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

يعني : نال الخلافة ، وكانت له قَدَرًا ، وكما قال النابغة : =

= قَالَتْ : أَلَا لَيْتَمَا هذا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا ، أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

يريد : ونصفه .

* * *

وقال آخرون ، « أو » في هذا الموضع بمعنى « بل » ، فكأن تأويله عندهم : فهي كالحجارة بل أشد قسوة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وأَرْسَلناه إلى مِئَة ألفٍ أو يزِيدُون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧] ، بمعنى : بل يزيدون .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك فهي كالحجارة ، أو أشد قسوةً عندكم .

* * *

قال أبو جعفر : ولكلٍّ مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجهٌ وَمخرج في كلام العرب . غيرَ أن أعجبَ الأقوال إليَّ في ذلك ما قلناهُ أوّلا ، ثم القولُ الذي ذكرناه عمن وجَّه ذلك إلى أنه بمعنى : فهي أوجُهٌ في القسوة : إما أن تكون كالحجارة ، أو أشدَّ ، على تأويل أن منها كالحجارة ، ومنها أشدُّ قسوةً . لأن « أو » ، وإن استُعملت في أماكنَ من أماكن « الواو » حَتى يلتبس مَعناها ومعنى « الواو » ، لتقارب معنيهما في بعض تلك الأماكن - فإنَّ أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين . فتوجيهها إلى أصلها - ما وَجدْنا إلى ذلك سبيلًا - أعجبُ إلي من إخراجها عن أصلها ، ومعناها المعروف لها .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الرفع في قوله : « أو أشد قسوة » ، فمن وجهين :

أحدهما : أن يكون عطفًا على معنى « الكاف » في قوله : « كالحجارة » ، لأن معناها الرفع . وذلك أن معناها معنى « مثل » ، [فيكون تأويله] : فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة .

س : من العلماء من يقول إن الله عز جل أعطي بعض الحجارة المعرفة والفهم فهي تعقل طاعة الله عز وجل وتطيعه ما مدى صحة هذا القول ؟

ج : هذا القول عندي صحيح ، ومستند ذلك ما يلي .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ [الحشر : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلَّا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

● وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب ... ﴾ [الحج : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصلت : ١١] .

● وقوله جل ذكره : ﴿ .. ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربُّه للجبل جعله دكًّا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

● وقال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

● وقال تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [الرحمن : ٦] .

● وقال تعالى ﴿ .. وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة : ٧٤][1] .

---

(١) صح عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم في التفسير (٧٦٧) أنه قال في قوله : ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ [البقرة : ٧٤] قال إن الحجر ليقع إلى الأرض فلو =

- وقال النبي ﷺ : « إني أعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ » .
- وقال عليه الصلاة والسلام : « أحدٌ جبل يحبنا ونحبه » .
- وقد حن الجذع لرسول الله ﷺ .
- وقد سبح الحصى في يد رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ٧٤] ، خبر عن الله سبحانه وتعالى ما هو المراد منه ؟

ج : المراد – والله أعلم – من هذا الخبر التهديد والتحذير من مخالفة أمر الله عز وجل[1] .

❋ ❋ ❋

= اجتمع عليه فئام من الناس ما استطاعوا به ، وإنه ليهبط من خشية الله .

وقد أعله المعلق على ابن أبي حاتم بأحد رجاله وهو (عبيد الله بن موسى) ولا يوافق المعلق على الإعلال في مثل هذا الموطن ، فعبيد الله بن موسى من رجال الجماعة . والأمر فيه يحتاج إلى تفصيل أوسع مما ذكره المعلق حفظه الله ، وهو يروي الحديث عن إسرائيل وقد قال الحافظ ابن حجر فيه : (هو أثبت في إسرائيل من أبي نعيم) وهذا التعليق يحتاج إلى إطالة ليس محلها هذا التفسير ، وبالله التوفيق .

(١) قال القاسمي في « محاسن التأويل » : وقوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ٧٤] فيه التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى ، فإن الله عز وجل إذا كان عالمًا بما يعملونه مطلعًا عليه غير غافل عنه ، كان لمجازاتهم بالمرصاد .

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾

س : اذكر معاني الكلمات :-
يؤمنوا لكم - كلام الله - يُحرفونه - عقلوه - فتح - يحاجوكم - أمّيون - أماني - فويلٌ ؟

ج :

الكلمـــة	معناهـــا
يؤمنوا لكم	يصدقوكم بما جآءكم به نبيكم ﷺ - يتابعونكم على دينكم وهي كقوله تعالى ﴿ فآمن له لوط ﴾ [العنكبوت : ٢٦]

الكلمـــة	معناهـــــا
	وقوله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه .. ﴾ [يونس : ٨٣] وقول اليهود لموسى ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة : ٥٥] وقول اليهود ﴿ لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٧٣] وقول الكافرين لنوح ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ، وقول موسى ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ [الدخان : ٢١]
كلام الله	قيل هي التوراة ، وقيل هي كلام الله مع موسى عليه السلام لما خرج لميقات ربه ومعه السبعون رجلًا كما قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف : ١٥٥]
يُحرفونه	يغيرونه – يبدلون معناه ويؤولونه على غير وجهه ، والله أعلم .
عقلوه	عرفوه – فهموه
فتح	فتح تأتي بمعان منها حكم ، وقضى ، ونصر ، وفرَّق بين شيئين ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ [الأعراف : ٨٩] أي اقض ، واحكم ، والفتاح : القاضي وقوله تعالى ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾ [سبأ : ٢٦] ويأتي بمعنى النصر كما في

الكلمــة	معنــاهـــــا
	قوله تعالى ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] أي يقولون سيخرج نبي فنتبعه وننتصر عليكم
يحاجوكم	يُخاصموكم – يعيِّروكم – يجادلوكم
أميون	جمع أُميٍّ [1] وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ومنه قول النبي ﷺ «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»
أماني	ظنون وأكاذيب باطلة وتوهمات وتمنيات لا أساس لها
ويلٌ	الويل هو العذاب والهلاك والدمار – وقيل جبل في النار وقيل واد في جهنم ، والله تعالى أعلم

❋ ❋ ❋

(١) قال الطبري رحمه الله : وأرى أنه قيل للأمي (أمي) نسبة له بأنه لا يكتب إلى أُمِّه لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه .

قلت : وقال بعض أهل العلم : إن الأميين نسبة إلى الأمة ، قال بعضهم : وما عليه العامة فمعنى الأمي العامي الذي لا تمييز له .

وقال بعض أهل العلم في حديث رسول الله ﷺ : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » أي أن ديننا لا يحتاج إلى أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صلاتهم وصومهم بكتاب وحساب . وهذا الحمل وإن كان له وجه من ناحية إلا أنه إذا فهم منه أن رسول الله ﷺ كان يكتب أو يحسب فهذا خطأ ، ويؤيده نفي الكتابة والحساب في الحديث (إنا أمةٌ أمية لا نكتب ولا نحسب) وقوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآيتنا إلا الظالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٨] والله تعالى أعلم .

س : الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أفتطمعون ﴾ [البقرة: ٧٥] ما نوعه ؟

ج : هو استفهام إنكاري الغرض منه الاستبعاد ، والله أعلم .

* * *

س : من هم المخاطبون بقوله تعالى ﴿ أفتطمعون ﴾ ؟ وما هو المضمر في قوله تعالى : ﴿ يؤمنوا لكم ﴾ [البقرة : ٧٥] ؟

ج : المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ أفتطمعون ﴾ هم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون ، والمضمر في قوله تعالى : ﴿ يؤمنوا لكم ﴾ هم اليهود[١] .

* * *

س : من هو هذا الفريق الذي كان يسمع كلام الله ثم يحرفه ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المراد فريق من علماء اليهود سواء المعاصرين لرسول الله ﷺ أو الذين تقدَّموه .

الثاني : أنهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه عز وجل كما قال تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف :١٥٥] .

* * *

س : اذكر صور تحريف اليهود للتوراة ؟

ج : من هذه الصور كتمان ما في التوراة من حق وإظهار ما عندهم من باطل فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ » فقالوا نَفْضَحُهُم ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام رضي الله

---

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٣٢٧) قال : هم اليهود .

عنه كذبتم إن فيها الرجم فأتَوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة[1].

● وقد قال الله تعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٩١] .

● ومنها ما أخرجه الطبري رحمه الله تعالى بإسناده (١٣٣١) إلى ابن زيد[2] في قوله تعالى : ﴿ يسمعون كلام الله ﴾ [البقرة : ٧٥] قال : التوراة التي أنزلها عليهم يُحرفونها يجعلون الحلال فيها حرامًا ، والحرام فيها حلالًا ، والحق فيها باطلًا ، والباطل فيها حقًّا إذا جآءهم المحقُّ برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جآءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق ، وإن جاء أحدٌ يسألهم شيئًا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فقال لهم ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٤٤] .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ وهم يعلمون ﴾ ؟

ج : فائدته بيان عظم جرمهم ، وهو أنهم لم يحرفوا المعنى بجهلٍ وخطأ وإنما حرَّفوه بعد ما علموه يقينًا وعلموا وجه الصواب فيه وتأكدوا ثم عمدوا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٤١) ، ومسلم (حديث ١٦٩٩) .

(٢) صحيح إلى ابن زيد ، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ولكن بقي النظر في ابن زيد نفسه فهو ضعيف .

إلى اللفظ فحرفوه أو إلى وجه الصواب فأوَّلوه وصرفوه عن وجهه والله أعلم .

ومن أهل العلم من يقول : قوله : ﴿ وهم يعلمون ﴾ أي يعلمون عقوبة تحريفه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أفتطمعون يا أصحاب محمد أن يصدقكم هؤلاء اليهود ويتابعوكم على دينكم وقد كان أسلافهم يحرفون كلام الله عز وجل عن عمدٍ وقصد وعلى علم منهم بأن هذا تحريف وأن فاعله معاقب .

● وقال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره « تيسير الكريم المنان » : هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب ، أي فلا تطمعوا في إيمانهم ، وأخلاقهم لا تقتضي الطمع فيهم فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه فيضعون له معاني ما أرادها الله ليوهموا الناس أنها من عند الله وما هي من عند الله فإذا كانت حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدُّون به الناس عن سبيل الله فكيف يرجى منهم إيمان لكم ؟ فهذا من أبعد الأشياء .

قلت : وثمَّ وجه آخر في تفسير الآية الكريمة ، وهو أن الفريق المذكور في قوله تعالى : ﴿ وقد كان فريق منهم ﴾ هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام كما قدمنا ، وعلى هذا فالمعنى كيف تطمعون يا أصحاب محمد ﷺ في تصديق هؤلاء اليهود لكم واتباعهم سبيلكم وإذعانهم لنبيكم ولكتابكم ، وقد كان أجدادهم – الذين خرجوا مع موسى عليه السلام –

يسمعون كلام الله عز وجل بلا واسطة[1] وهم مع نبيهم موسى ثم ما هي إلا مسافة طريق الرجوع من الطور إلى بلادهم حتى يحرفون الكلم الذي سمعوه عن مواضعه عامدين لذلك متعمدين له عالمين به ، فهؤلاء الموجودون بينكم أحرى وأجدر بهم أن يجحدوا الحق الذي جئتموهم به كما جحد أسلافهم ، فكذبهم على الله قديم وعداوتهم لرسل الله قديمة .

---

(١) ولكن هل في كتاب الله عز وجل ما يفيد أن الله جل ذكره كلَّم هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه كما في قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلًا لميقاتنا ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، أم أن الله عز وجل اختص نبيهم موسى فقط بالتكليم ثم أخبرهم موسى عليه السلام بالذي أراده الله منهم ؟ لأهل العلم هنا قولان ففريق يرى أن ربهم عز وجل كلمهم ثم حرفوا الكلام على ما ذكر ، وفريق أنكر ذلك إنكارًا شديدًا .

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره « المحرر الوجيز » (١/٢٦٧) : وفي هذا القول ضعف ومن قال إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم .

ونقل ابن الجوزي في « زاد المسير » عن الحكيم الترمذي (صاحب النوادر) أنه أنكر تكليم الرب للسبعين إنكارًا شديدًا وقال : إنما خص بالكلام موسى وحده ، وإلا فأي ميزة ، وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذابًا .

وقال القرطبي في تفسيره .. وإنما الكلام شيء خُصَّ به موسى من بين جميع ولد آدم فإن كان كلَّم قومه أيضًا حتى أسمعهم كلامه فما فَضْلُ موسى عليهم ، وقد قال وقوله الحق ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا واضح.

قلت : قوله تعالى ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، سيأتي الحديث عليه في بابه إن شاء الله ، ولكن هل هذه الآية الكريمة ﴿ إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، هل تنفي أن الله عز وجل كلم غير موسى عليه السلام ؟ هذا أيضًا سيأتي في بابه إن شاء الله لكننا نشير هنا إلى أن الله عز وجل كلم آدم وحواء عليهما السلام بقوله ﴿ فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [الأعراف : ١٩] وقال تعالى : ﴿ فناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة .. ﴾ [الأعراف : ٢٢] . =

س : من المساعدات على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أن يفهم الشخص شيئًا عن الذي يدعوه ويعرف أحواله وظروفه وملابسات أخلاقه وأفعاله .. إلى غير ذلك وضح هذا ؟

ج : نعم فإن هذا أقرب إلى سداد الداعي في كثير من الأحيان إذ يعرف كيف يشخص المرض وكيف يعالج ومن أين يأتي إلى المدعو ، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن : « إنك سوف تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله عز وجل فإن هم

= ● وكلَّم الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ كما في ليلة المعراج التي فيها فُرضت الصلوات .

وكلَّم الله عز وجل إبراهيم فقال سبحانه : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ [الصافات : ١٠٤، ١٠٥] .

● ونادى ربنا سبحانه وتعالى نبيه أيوب لما أمره أن يضرب برجله فخرج الماء وقال الله له : ﴿ هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [ص : ٤٢] ، وأرسل إليه جرادًا من ذهب وجرادًا من فضة فجعل أيوب عليه السلام يحثو في ثوبه فناداه ربُّه يا أيوب ألم أكن أغنيتك قال بلى يا رب ، ولكن وعزتك لا غنى لي عن بركتك(١) .. إلى غير ذلك والله أعلم .

---

(١) أخرج ابن حبان بإسناد صحيح (موارد الظمآن) (٢٠٩١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ... » الحديث وفيه وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [ص : ٤٢]، فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان ..» الحديث وفيه وكان له أبدران أبدر القمح وأبدر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أبدر (وفي رواية أندر) القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، وأفرغت الأخرى على أبدر الشعير الورِق حتى فاضت .

أطاعوك فأخبرهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة»[1] الحديث .

فهنا لما علم الشخص من سيدعوهم بدأ بالأهم الذي يحتاجون إليه وقدمه على غيره وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أحوال بني إسرائيل من إعراضهم عن المرسلين ، وليس إعراضًا منهم فقط بل كذبهم على الله عز وجل ، وتحريفهم الكلم عليه سبحانه فقال عز وجل : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ٧٥] ، فهذا يجعل الشخص متزنًا في دعوته إلى الله وخاصة إذا رأى من قومٍ عدم استجابة وكان أسلافهم كذلك فلا تذهب نفسه عليهم حسرات ، والله أعلم .

* * *

س : من المراد بقوله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ [البقرة : ٧٦] ؟

ج : المراد بهم في هذه الآية الكريمة طائفةٌ من اليهود ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو الذي فتحه الله عليهم ؟

ج : فيه ثلاثة أقوال :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم (حديث ١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن قال له : « إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذ أقروا بذلك فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموال الناس » .

(١) العقوبات التي أنزلها الله عز وجل على أسلافهم من المسخ إلى قردة وخنازير والتوبة بقتل بعضهم البعض ونحو ذلك .

(٢) هو معرفتهم صفة محمد ﷺ في التوراة التي بين أيديهم ، ومعرفتهم صدق ما جاء به .

(٣) أوجه الإنعام التي أنعم الله بها على بني إسرائيل لما صدقوا موسى وتبعوه ، وأوجه العقوبات التي حلّت بهم لما خالفوه والله أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ [البقرة: ٧٦]؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن بعض اليهود كانوا إذا التقوا بالمؤمنين قالوا لهم آمنا بما معكم وصدقنا أن هذا نبيٌّ لأن صفته في كتابنا وقد أُخذ علينا الميثاق أن نؤمن به ، ثم إن هذا النبي يُخبرنا بالذي حكم الله علينا به من التصديق بنبيه إذا بعث ، ويخبرنا هذا النبي أيضًا بما عاقب الله به أسلافنا من المسخ وجعل المعتدين منهم قردة وخنازير ، ويخبرنا بالذي كان من أسلافنا من أمر عبادتهم للعجل و إلى غير ذلك ثم إذا انصرف هذا الفريق من اليهود إلى إخوانهم اليهود عاتبهم إخوانهم بقولهم : ﴿ أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ﴾ [البقرة : ٧٦] ، أي كيف تحدثوا هؤلاء المسلمين بما قضى الله به عليكم – أي على أجدادكم – من العقوبات وما ألزمكم الله به من الإيمان بنبيهم إذا بُعث ، فإنكم بحديثكم هذا لهم تجعلوهم يحتجون عليكم به عند ربكم وتجعلونهم أكثر ثباتًا على الإيمان ، والله أعلم .

***

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ عند ربكم ﴾ في قوله تعالى ﴿ ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ [البقرة : ٧٦] ؟

ج : قيل إن المراد الآخرة أي أن المراد عند السؤال يوم القيامة فيكون ذلك من باب التوبيخ وإظهار الفضيحة .

وقيل عند ربكم أي في حكم ربكم وقضاء ربكم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ [النور : ١٣] وكما يقال فلان عندي عالم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [البقرة : ٧٧] يرجع إلى من ؟

ج : الضمير يرجع إلى اليهود الذين لاموا إخوانهم لما حدثوا المؤمنين بما حكم الله به عليهم وقضى عليهم به ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [البقرة : ٧٧] ؟

ج : الاستفهام معناه هنا التوبيخ والإنكار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى ﴿ ومنهم أميون ﴾ [البقرة : ٧٨] مِنْ مَنْ ؟ وضح المعنى ؟

ج : مِن اليهود ، والمعنى أن من اليهود من هم أهل علمٍ لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه على علمٍ منهم بذلك التحريف وبعقوبته ، ومنهم أهل نفاق ﴿ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .. ﴾ [البقرة : ٧٦] ومنهم أميون ، والمراد بهم هنا العوام الجهلة .

س : ما هو الكتاب المراد في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب ﴾ [البقرة : ٧٨] وما معنى قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ ؟

ج : المراد بالكتاب التوراة ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ لا يعلمون الكتاب ﴾ أي لا يعلمون عن الكتاب وعن ما فيه من أحكام وفرائض وحدود وحلال وحرام ومع ذلك يدعون أنهم مقرون بالكتاب وهم لا يدرون عما فيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأماني في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالأماني أقوال منها :

١ – أنها جمع أمنية ، وهي أماني كاذبة يتمنونها ويغرون بها أنفسهم ويوهمونها بها كقولهم ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ﴾(١) وقولهم ﴿ لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وقولهم ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

فعلى ذلك فالأماني هنا هي الأوهام والأكاذيب التي يوهمون بها أنفسهم .

٢ – أن الأماني هي التخرصات والظنون الباطلة التي يعتقدونها .

٣ – أن الأماني هي القراءات أي : قراءات يقرءونها ولا يفهمون معناها

---

(١) قال تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم ﴾ [البقرة : ١١١] وقال تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يُجْز به ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] .

ومن ورود الأمنية بمعنى القراءة قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج : ٥٢] .

فتمنى في الآية الكريمة بمعنى (قرأ) ، ومن ورود التمني بمعنى القراءة قول الشاعر .

تمنى كتاب الله آخر ليله تمني داود الزبور على رسل

وقوله :

تمنى كتاب الله أول ليله وفي آخره لا في حمام المقادر

فعلى ذلك ، فمعنى الآية على هذا التأويل : ومنهم أميون لا يعلمون شيئًا عن حقيقة الكتاب ، والمراد به ، اللهم إلا قراءات يقرءونها ولا يحفظون معناها ويرددونها كالببغاوات .

ولكن هذا التأويل هنا ضعيف ، أعني تأويل الأماني بالقراءة في هذا الموطن وذلك لأن الله سبحانه وتعالى وصفهم بأنهم أميون ، والأُمي لا يقرأ ولا يكتب .

والوجه الأول عندي أصح ، وعليه فمعنى الآية ، ومن اليهود قوم أميون (لا يقرءون ولا يكتبون) لكن يظنون بأنفسهم ظنونًا باطلة ويختلقون إفكًا وزورًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى (إن) في قوله تعالى ﴿ وإن هم إلا يظنون ﴾ [البقرة: ٧٨]؟

ج : (إن) هنا بمعنى (ما النافية) والمراد : وما هم إلا يظنون .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ [إبراهيم : ١١] أي ما نحن إلا بشر مثلكم .

● وكقوله تعالى ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾ [الملك : ٢٠] ، أي ما الكافرون إلا في غرور .

✵ ✵ ✵

س : ما معنى إلا في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] وما هو نوع الاستثناء في الآية الكريمة ؟

ج : إلا في قوله تعالى : ﴿ إلا أماني ﴾ معناها لكن ، أي لكن أماني أما الاستثناء في هذا الموطن فهو استثناء منقطع[1] ، وهو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كأن تقول حضر القوم إلا الباخرة لم تحضر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] ، فاتباع الظن ليس من جنس العلم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ [الليل : ١٩ ، ٢٠] .

✵ ✵ ✵

س : من المعلوم أن الكتابة لا تكون إلا بالأيدي فما هو وجه قوله تعالى : ﴿ يكتبون الكتاب بأيديهم) [البقرة : ٧٩] ؟

ج : وجه ذلك تأكيد كتابتهم للكتاب فقد يأمر الشخص غيره بالكتابة

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره (٢/٢٦٤) ما حاصله : أن الاستثناء المنقطع يكون في كل موضعٍ حَسُن أن يوضع فيه مكان (إلا) « لكن » فيعلم حينئذٍ انقطاع معنى الثاني عن معنى الأول ، ألا ترى إنك إذا قلت ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة : ٧٨] ، ثم أردت وضع لكن مكان (إلا) وحذف (إلا) وجدت الكلام صحيحًا معناه صحته وفيه (إلا) وذلك إذا قلت : ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أماني يعني لكنهم ، يتمنون ، وكذلك قوله : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ [النساء : ١٥٧] لكن اتباع الظن بمعنى لكنهم يتبعون الظن ، وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا والله أعلم .

فيكتب ويسمى الآمر كاتبًا ، أي أنهم لم يأمروا غيرهم بكتابته بل باشروا الكتابة بأنفسهم وزوّروها بأيديهم فهو بيان لجرمهم وإثبات لتحريفهم وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] ومن المعلوم أن الطيران يكون بالجناح ، وكقوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] والقول لا يكون إلا بالأفواه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ يكتبون الكتاب ﴾ [البقرة : ٧٩] ؟

ج : المعنى يغيرون ما في الكتاب ويحرفونه ويبدلونه وأيضًا كتبوا كتابًا بأيديهم وقالوا هذا من عند الله افتراء وكذبًا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تقرعونه غضًّا لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيَّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا أفلا ينهاكم ما جآءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] ، هل إذا اشتروا به ثمنًا كثيرًا جاز ؟

ج : لا يجوز تحريف الكتاب من أجل الثمن القليل ولا من أجل الثمن الكثير ، والمراد بقوله تعالى : ﴿ ثمنًا قليلًا أي عرضًا من أعراض الدنيا سواء كان قليلًا أو كثيرًا ، فكل متاع الدنيا قليل كما قال سبحانه : ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [التوبة : ٣٨] والله تعالى أعلم .

س : لماذا كرر الويل في قوله تعالى : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] ؟

ج : كرر الويل للتوبيخ والتقريع وتقبيح الجريمة ، جريمة التحريف والافتراء ، والله أعلم .

* * *

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

س : ما معنى :– معدودة ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
معدودة	أي يعدها العاد ، والمراد أيامًا قليلة كما في قوله تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف : ٢٠] أي دراهم قليلة وكما في قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤] أي قليلة على رأي لبعض العلماء ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأيام المعدودة في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النّار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] ؟

ج : قيل إنها بعدد الأيام التى عبدوا فيها العجل ، فقيل هي سبعة أيام وقيل أربعون يومًا وقيل غير ذلك ، فالله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسيئة في قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ؟

ج : السيئة – في قول أكثر أهل العلم – في هذا الموطن المراد بها الشرك[(١)] والله أعلم .

---

(١) وقد أخرج الطبري (١٤٢١) بإسناد حسن عن أبي وائل أنه قال في تفسير السيئة في هذا الموطن إنها الشرك .

وكذلك روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنها الشرك أيضًا (أثر ١٤٢٤) ، وعن غيرهم كذلك أنها الشرك .

قال الطبري رحمه الله تعالى (٢/٢٨٢) : وإنما قلنا إن (السيئة) التي ذكر الله جل ثناؤه أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدين فيها في هذا الموضع إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامًّا لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار ، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها ، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان ، فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، قوله : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨٢] ، فكان معلومًا بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان .

وقال القاسمي في « محاسن التأويل » (٢/١٧٧) : تنبيه : ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الخلود في النار إنما هو للكفار المشركين لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار ، فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك ، ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود ، والله أعلم .

س : اصطلاح السيئة قد يأتي في الكتاب العزيز ويُراد به الشرك ، وقد يأتي أحيانًا ويُراد به الكبيرة ، وقد يأتي أحيانًا أخرى ويُراد بها الصغيرة دلِّل على ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك أن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها في الكتاب العزيز ، ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه ، ومن هذا كلمة السيئة .

● فتأتي أحيانًا بمعنى الشرك كما في هذه الآية الكريمة ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] ، وذلك لأنه لا يخلد في النار إلا المشرك ومن على شاكلته من الملاحدة ومنافقي نفاق الاعتقاد .

ومن هذا أيضًا قوله تعالى : ﴿ ومن جاء بالسيئة فكُبت وجوههم في النار ﴾ [النمل : ٩٠] .

● وتأتي السيئة أحيانًا بمعنى الكبيرة كما قال تعالى في شأن قوم لوط : ﴿ .. ومن قبل كانوا يعملون السيئات ﴾ [هود : ٧٨] .

● وتأتي أحيانًا بمعنى الصغيرة كما في قوله تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ [النساء : ٣١] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ [البقرة : ٨١] ؟

ج : قال كثير من أهل العلم : إن معناها (ومات على الكفر) .

● وبعضهم قال : غلبت سيئاته حسناته فأذهبتها ومحقتها ، فالمحيط بالشيء، يكون أعظم من الشيء المحُاط به ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها ﴾ [الكهف : ٢٩] وقوله تعالى : ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ [التوبة : ٤٩] .

● وبعض العلماء يقول : اجتمعت عليه سيئاته حتى أهلكته كقوله تعالى : ﴿ إلا أن يحُاط بكم ﴾ [يوسف : ٦٦] أي تهلكوا والله تعالى أعلم .

● ومن العلماء من يقول إن الخطيئة هنا هي الكبيرة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل مرتكب الكبيرة لا بد أن يُعذب وإن تاب منها وكيف يكون حاله إذا لم يتب منها ؟

ج : أما قول القائل : (لا بد أن يُعذب إن تاب أو لم يتب) فخطأ ظاهر ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨] .

● وقال النبي ﷺ بعد أن ذكر جملة من الكبائر : « فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه »(١) .

وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

● وقال تعالى : ﴿ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون ﴾ [العنكبوت : ٢١] .

● وقال تعالى : ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف : ١٥٦] إلى غير ذلك من الأدلة .

فمرتكب الكبيرة لا يُستطاع القطع في حقه بأنه سيعذب سواءًا تاب منها أم لم يتب منها .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٨) ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه – وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة – أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك.

لكنه إن تاب منها فتوبته أرجى لكشف العذاب عنه ، قال تعالى : ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ [الزمر : ٥٤].

وقال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانًا * إلا من تاب ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠] .

● وقال نوح لقومه : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا ﴾ [نوح : ١٠ ، ١١] .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين الذي أتمهم وقتل العابد فأكمل به المائة لما توجه بقلبه إلى الله تعالى تائبًا تلقته ملائكة الرحمة(١) .

● وفي الحديث القدسي : « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم ... »(٢) .

* * *

س : صاحب الكبيرة إن قدر الله عليه العذاب هل يُخلد في النار ؟

ج : لا يُخلد في النار ، بل يأخذ ما قدره الله عز وجل عليه من العذاب ثم يكون مآله إلى الجنة فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ففي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : « ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » ، قلت : وإن زنى وإن سرق » قال : « وإن زنى وإن سرق » ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ومسلم (حديث ٢٧٦٦) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث ٢٥٧٧) ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (... فذكره) .

قال : « وإن زنى وإن سرق » ؟ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر »[1] ؟

● وفي الصحيح[2] أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودُّوا فيلقون في نهر الحيا » – أو الحياة – شك مالك (أحد رواة الحديث) « فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية كريمة وحديثًا نبويًّا شريفًا في معنى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] ؟

ج : أما الآية الكريمة فهي في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ ، ٢٤] .

● أما الحديث النبوي فقد أخرجه البخاري[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لما فُتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم في الإيمان (١٥٣ ، ١٥٤) ، وفي الزكاة (٣٢ ، ٣٣) ، وفي رواية (أتاني آت من ربي فأخبرني – أو قال بشرني – أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ، فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال: « وإن زنى وإن سرق » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٢) ، ومسلم (حديث ١٨٤) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) حديث (٣١٦٩) .

النبي ﷺ اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود فجُمعوا له ، فقال : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه » فقالوا : نعم ، قال لهم النبي ﷺ : « من أبوكم » قالوا : فلان ، فقال : « كذبتم بل أبوكم فلان » ، قالوا : صدقت ، قال : « فهل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألت عنه » ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم : « مَن أهل النار » قالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها . فقال النبي ﷺ : « اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ثم قال : « هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : « هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا » ؟ قالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك » ؟ قالوا : إن كنت كاذبًا نستريح ، وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

❋ ❋ ❋

س : ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الأيام) لا يضاف إلا إلى العشرة فما دونها فيقال مثلًا عشرة أيام ، تسعة أيام ... ثلاثة أيام ولا يقال إحدى عشر أيام بل يقال إحدى عشر يومًا وهذا واضح ، ومن ثمَّ بنى بعض الأحناف على هذا رأيًا فقهيًّا حاصله أن أقل مدة للحيض ثلاثة أيام وأكثر مدة للحيض عشرة أيام مستدلين بحديث رسول الله ﷺ للمرأة لما حاضت : « دعي الصلاة أيام أقرائك » فهل يسلم لهم هذا الاستدلال ؟

ج : لا يسلم لهم هذا الاستدلال ، وذلك لأن الأيام أحيانًا قد يوصف بها ما فوق العشرة كما قال تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيامًا معدودات ﴾ [البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤] والأيام المعدودات هي شهر رمضان بتمامه ، وهو فوق العشرة بلا شك .

❋ ❋ ❋

وأيضًا فإن سلم لهم الاستدلال من جانب فهو محمول على الأغلب ، بمعنى أن أغلب النساء حيضتهن تتراوح مدتها ما بين الثلاثة أيام إلى العشرة أيام ، والقلة منهن اللواتي يزدن في مدة حيضهن عن العشرة أيام ، وقليل منهن من تنقص مدة حيضتها عن ثلاث ، والحكم يكون للأغلب ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا قيل في هذه الآية الكريمة : ﴿ أيامًا معدودة ﴾ وقيل في سورة آل عمران ﴿ أيامًا معدودات ﴾ والموصوف شيء واحد وهو الأيام ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي في تفسيره بقوله[1] : إن الاسم إذا كان مذكرًا فالأصل في صفة جمعه التاء ، يقال كوز وكيزان مكسورة ، وثياب مقطوعة ، وإن كان مؤنثًا كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء يُقال جرة وجرار مكسورات وخابية وخوابي مكسورات إلا أنه قد يوجد الجمع بالألف والتاء فيما واحده مذكر في بعض الصور نادرًا نحو حمام وحمامات وجمل سبطر وسبطرات ، وعلى هذا ورد قوله تعالى : ﴿ في أيام معدودات ﴾ [البقرة : ٢٣] و ﴿ في أيام معلومات ﴾ [الحج : ٢٨] فالله سبحانه تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله : ﴿ أيامًا معدودة ﴾ وفي آل عمران بما هو الفرع والله تعالى أعلم .

* * *

(١) التفسير الكبير (١٣٠/٣) .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

اليتيم – المسكين – حُسنًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
اليتيم	هو من مات أبوه وهو صغير لم يحتلم .
المسكين	هو المتذلل المتخشع من الفاقة والحاجة – الذي أسكنه الفقر وأسكنته الحاجة ، وهو أيضًا العاجز عن الكسب أو الذي يكتسب ولكن يكتسب ما لا يكفيه .
حُسنًا	قولًا معروفًا لينًا حَسنًا طيبًا جميلًا ، ومن القول الحسن بذل السلام للناس وتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم والبشاشة في وجوههم والابتعاد عن الفحش من القول والبذاءة والشتم والسباب .

س : ما هو هذا الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل في قوله تعالى ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ... ﴾ ؟ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : قال كثير من العلماء : هذا ميثاق مأخوذ عليهم في التوراة ، والله أعلم .

***

س : اذكر بعض الآيات الواردة في الأمر بالإحسان إلى الوالدين والحث على ذلك وكذلك بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد مع بيان بعض صور الإحسان إليهما ؟

ج : أما الآيات الوادرة في هذا الباب فكثيرة ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعبادته التي هي توحيده ، والبراءة من الشرك اهتمامًا به وتعظيمًا له ، فمن الآيات في هذا الباب ما يلي :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .
- وقال تعالى : ﴿ واعبدو الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ﴾ [النساء : ٣٦] .
- وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا اتل ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالولدين إحسانًا ﴾ [الأنعام : ١٥١] .
- وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .
- وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا وإن جاهداك لتشرك

بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [العنكبوت : ٨] .

● وقال تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليَّ ..﴾ [لقمان : ١٣ ، ١٥] .

● وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ [الأحقاف : ١٥ - ١٦] .

● وأثنى الله عز وجل على نبيه يحيى عليه السلام فقال : ﴿ وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًّا ﴾ [مريم : ١٤] .

● وقال عيسى ﷺ وهو في المهد يتكلم : ﴿ وبرًّا بوالدتي ﴾ [مريم :٣٢] .

● أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها :

● ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ : أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « برُّ الوالدين » ، قلت : ثم أيُّ ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[١] .

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٠) ، ومسلم (٨٥) ، والنسائي (١/٢٩٢) ، والترمذي (١٧٣) وقال : حديث حسن صحيح .

● وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ ، فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى ، فقال : « هل لك من والديك أحد حيٌّ » ؟ قال : نعم بل كلاهما ، قال : « فتبتغي الأجر من الله تعالى » ؟ قال : نعم : قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » ، واللفظ لمسلم .

وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أيضًا قال : جاء رجل فاستأذنه في الجهاد قال : « أحي والداك » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد »[(1)] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَغِمَ أنف ثم رَغِمَ أنف ثم رَغِمَ أنف » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة »[(2)] .

● وسئل النبي ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ، قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمك » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أبوك »[(3)] .

● وفي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة وأغلقت عليهم الغار ، فتوسل أحدهم ببره لوالديه ففرج الله عز وجل عنهم[(4)] .

● وفي الباب كذلك حديث أويس القرني الذي عدَّه رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/١٤٠) ، ومسلم (٥/٤١١) وأبو داود (٢٥٢٩) والنسائي (٦/١٠) ، والترمذي (١٦٧١) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٥/٤١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠١) ومسلم (مع النووي ٥/٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٤) ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

خير التابعين لبره بأمه[1] .

● وفي الباب أيضًا استجابة دعوة أم جريج على ولدها لما قالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المياميس لما أقبل على صلاته ولم يلتفت لأمه[2] .

ومن صور الإحسان إلى الوالدين برُّهما والعطف عليهما والنزول عند رأيهما فيما لا معصية فيه ، ودعوتهما إلى الله عز وجل[3] ، والحج عنهما إذا لم يكونا قد حجا وكذلك الاعتمار ، وكذلك الوفاء بنذورهما ، والصدقة عنهما ، والاستغفار لهما بعد موتهما وصلة أهل وُدهما ، وإلانة القول لهما وخفض الجناح إليهما والتزام الأدب الوارد عن رسول الله ﷺ في التعامل معهما مُسلمين كانا أو كافرين .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور الإحسان لذي القربى ؟

ج : من صور الإحسان لذي القربى معرفة حقهم وقرابتهم ووصل الرحم لهم كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمرو بن العاص قال : سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول : « إن آل أبي (يعني فلانا) ليسوا لي بأولياء إنما وليِّ الله وصالح المؤمنين »[4] . زاد عنبسة بن عبد الواحد (كما عند البخاري) عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص

---

(١) حديث أويس أخرجه مسلم (مع النووي ٥/٤٠٣) وقصته هناك بتفصيل .

(٢) قصة جريج في البخاري (مع الفتح ٦/٤٧٦) ، ومسلم (٥/٤١٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وأوله « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة .... » .

(٣) كما كان إبراهيم الخليل يفعل فيقول : ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا سويًّا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا * يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا ﴾ [مريم : ٤٢ - ٤٥] .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٠) ، ومسلم (حديث ٢١٥) والزيادة عند البخاري ، وهي معلقة كما ترى وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٤٢٢) من وصلها .

قال سمعت النبي ﷺ : « ولكن لهم رحم أبلها ببلالها » يعني : أصلها بصلتها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو حد اليتم ؟

ج : حد اليتم[١] هو البلوغ (أي : الاحتلام) عند كثير من العلماء ومنهم من حدَّه بالإنبات (إنبات شعرٍ حول العانة) لما حدث يوم بني قريظة من أن الصحابة كانوا ينظرون فمن نبت له شعر حول العانة قُتل وإلا تُرك[٢] .

● ومنهم من حدَّه بخمس عشر سنة لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أُحد (وهو ابن أربع عشرة سنة) فرده النبي ﷺ ثم عُرض عليه وهو يوم الخندق (وهو ابن خمس عشرة سنة) فأجازه النبي ﷺ[٣] والأول أصح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) قال ابن عطية رحمه الله : واليتيم في بني آدم من فقد الأب ، وفي البهائم من فقد الأم .

(٢) صحيح فقد أخرج أحمد في المسند (٣١٠/٤ ، ٣٨٣) ، وأبو داود في سننه (حديث ٤٤٠٤) ، والترمذي (١٥٨٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي (١٥٥/٦) ، (٩٢/٨) ، وابن ماجه (حديث ٢٥٤١) ، والحاكم (١٢٣/٢) وغيرهم من طريق عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال : عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قُتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فَخُلِّي سبيلي .

● وقد توبع عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي كما عند الحاكم (١٢٣/٢) ، والحميدي (٨٨٩) ، والنسائي في الكبرى (٨٦١٩) تابعه مجاهد بن جبر عن عطية القرظي .

● وتابعه أيضًا كثير بن السائب قال : حدثني ابنا قريظة أنهم عرضوا على رسول الله ﷺ يوم قريظة فمن كان محتلمًا أو نبتت له عانته قتل ومن لم يكن محتلمًا أو لم تنبت عانته تُرك .

وبالجملة فالحديث يثبت بهذه الطرق ، والله أعلم .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (حديث٤٠٩٧) ، ومسلم حديث (١٨٦٨) .

س : اذكر حديثًا في فضل كافل اليتيم ، وحديثًا في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ؟

ج : أما الحديث الوارد في فضل كافل اليتيم فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئًا[1] .

● أما الحديث الوارد في فضل الساعي على الأرملة والمسكين ففي الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار »[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة استدلال من استدل بقوله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حُسنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] على أننا نبدأ اليهود والنصارى بالسلام ؟

ج : هذا استدلال غير جيد ؛ لأن النبي ﷺ قال : « لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ... »[3] ، ثم إن القول الحسن لا يستلزم الابتداء بالسلام .

والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٣٠٤) ومسلم في « الزهد » (حديث ٢٩٨٣) .

(٢) أخرجه ا لبخاري (حديث ٥٣٥٣) ، ومسلم في « الزهد » (٢٩٨٢) .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٤/ ١٤٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » .

س : القولِ الحسن هل هو مطلوب مع المؤمنين فقط أم مع عموم الناس ؟

ج : القول الحسن مطلوب مع عموم الناس ولا يُخرج عنه إلى غيره إلا إذا بدر ممن تتعامل معه سوء فحينئذ يجوز لك نوع من الانتصار بقدر المظلمة .

أما الأدلة على أن القول الحسن عام فمنها ما يلي :

● عموم قوله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

● قول الله عز وجل لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون : ﴿ فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] .

● قول الله عز وجل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

● قوله تعالى : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

● قوله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كرامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

● وقال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [الممتحنة : ٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم ﴾ [فصلت : ٣٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

● قول النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

وفي رواية : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف ، وما لا يُعطي على ما سواه »[1].

وفي رواية : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »[2] .

● وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله »[3] .

● أما الشدة فتجوز أحيانًا إن احتيج إليها كما قال سبحانه :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] فحيث لا ينفع معهم إلا الغلظة استعملت الغلظة معهم .

● وقال تعالى : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ [النساء : ١٤٨] .

● وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾ [الشورى : ٤٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه لينصرنه الله ﴾ [الحج : ٦٠] فحيثما دعت الحاجة إلى اللين ألان الشخص القول وأحسن الوعظ وهو الأصل وإذا دعت الحاجة إلى الشدة اشتد الشخص يبتغي بذلك وجه الله فالرفق في موطن يحتاج إلى شدة نوع من الضعف

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) ، واللفظ له والبخاري (٦٠٢٤) ، (٦٩٢٦) ، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (جديث ٢٥٩٤) ، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا .

والخور ، والشدة في موطن يحتاج إلى لين طيش وجهل وسفه ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم القليل المذكورون في قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : هم الذين قال الله فيهم : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٥] أي : أنهم القائمون بأمر اللَّه عز وجل الحافظون لحدوده .

● وهم أيضًا الذين لم يحرفوا ولم يُبدلوا ، وهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ لما بُعث .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ، معرضون عن ماذا ؟

ج : معرضون عن الميثاق الذي أخذ عليكم ، وقيل : معرضون عن كتاب الله عز وجل واللَّه تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : فسر بعض العلماء التولي بأنه الإعراض فما فائدة التكرار في قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : لأهل العلم على ذلك أجوبة ، منها :

● أن ذلك لتأكيد الإعراض والتولي كما قال تعالى : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ [التوبة : ٢٥] .

● ومنهم من قال إن التولي يكون بالجسم والإعراض يكون بالقلب والمعنى أن هناك من يتولى وفي نيته الرجوع ، ومنهم من يتولى وليس في نيته الرجوع ، فهؤلاء قد تولوا وليس لهم نية ولا رغبة في الرجوع .

● ومنهم من قال : إن قوله تعالى : ﴿ ثم توليتم ﴾ خطاب لهم والمراد أسلافهم من آبائهم وأجدادهم الذين تولوا ، وقوله تعالى : ﴿ وأنتم معرضون ﴾ انتقل الخطاب إلى المعاصرين للنبي ﷺ من اليهود ، فالمعنى على ذلك ثم تولى آباؤكم ، وأنتم كذلك معرضون والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم توليتم إلا قليلًا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة : ٨٣] ؟

ج : أجمل الطبري رحمه الله تعالى القول فقال[1]: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره ، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات ويصلوا الأحارم ويتعطفوا على الأيتام ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم ، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ويؤتوا زكاة أموالهم فخالفوا أمره في ذلك كله وتولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه .

* * *

---

(١) ٢/ ٢٩٨ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
أقررتم – تظاهرون – الإثم – العدوان – أُسارى – تفادوهم – خزيٌ ؟

ج :

الكلمـة	معناهـــا
أقررتم	اعترفتم
تظاهرون	تتعاونون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولو كان بعضهم

الكلمـــة	معنــاهـــــا
	لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] وقوله تعالى : ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم: ٤]
الإثم	المعصية والذنب ، وهو أيضًا الفعل الذي يستحق فاعله الذم
العدوان	الظلم والاعتداء وتجاوز الحد
أسارى	جمع أسير
تفادوهم	تدفعون المال عن أسرهم لتخلصوهم من يده وتردوهم إليكم
خزي	ذلة وصغار ، ويتمثل ذلك في فرض الجزية عليهم كما قال تعالى : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] ويتمثل في قتل مقاتلتهم كما فعل ببني قريظة ، وكذلك سبي نسائهم ، وكذلك في إخراج بني النضير من ديارهم لأول الحشر كما ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم ويطلق الخزي أيضًا على الفضيحة والعار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ... ﴾ [البقرة : ٨٤] ، الآية ؟

ج : المخاطبون هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ ، والمراد بالميثاق : الميثاق المأخوذ على آبائهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ثم أقررتم ﴾ [البقرة : ٨٤] أقررتم بماذا ؟

ج : أقررتم أنتم يا معشر اليهود من ساكني مدينة رسول الله ﷺ والمحيطين بها أن هذا الميثاق قد أُخذ فعلًا على آبائكم وأسلافكم والتزمتموه أنتم كذلك ولم تنكروه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ [البقرة : ٨٤] ، تشهدون ماذا أو على ماذا ؟

ج : قيل : تشهدون بقلوبكم على هذا ، وقيل : تشهدون على أننا أخذنا الميثاق على أوائلكم ، وقيل : إن قوله تشهدون توكيد للإقرار ، وقيل : تشهدون أي تحضرون سفك الدماء والإخراج من البيوت ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كان القوم يقتلون أنفسهم ويُخرجونها من الديار حتى قيل لهم : ﴿ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ... ﴾ [البقرة : ٨٤] ؟

ج : ليس الأمر كذلك ، ولكن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة .

● كما قال النبي ﷺ في شأن أمته : « مثل المؤمنين في توادهم

وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[1] .

● وكما قال تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] أي : لا يلمز بعضكم بعضًا .

● وكما قال سبحانه : ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] ، أي : على إخوانكم .

● وكما قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] أي بإخوانهم ونحو ذلك[2] ، هذا قول وهو أقوى الأقوال في هذا الباب ، وثم أقوال أُخر منها ما ذكره الطبري رحمه الله تعالى حيث قال : وقد يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، أي : لا يقتل الرجلُ منكم الرجلَ منكم فيقاد به قصاصًا فيكون بذلك قاتلًا نفسه ؛ لأنه كان الذي سبَّب لنفسه ما استحقت به القتل ، فأضيف بذلك إليه ، قتلُ ولي المقتول إياه قصاصًا بوليِّه كما يُقال للرجل يركب فعلًا من الأفعال يستحق به العقوبة فيعاقب العقوبة (أنت جنيت هذا على نفسك) .

● وذكره نحوه القرطبي رحمه الله فقال : وقيل المراد القصاص ، أي : لا يقتل أحد فيُقتل قصاصًا فكأنه سفك دمه ، وكذلك لا يزني ولا يرتد ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري (١٤٦٤) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، قال : أي لا يقتل بعضكم بعضًا ، ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ [البقرة : ٨٤] ، ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك .

فإن ذلك يبيح الدم ، ولا يُفسد فيُنفى فيكون قد أخرج نفسه من دياره ، وهذا تأويل فيه بُعد وإن كان المعنى صحيحًا .

● ونقل القرطبي قولًا ثالثًا عن ابن خُويز مِنداد – ونحوه ذكره الرازي في تفسيره – قال : وقد يجوز أن يُراد به الظاهر ، لا يقتل الإنسان نفسه ولا يخرج من داره سفهًا كما تقتل الهند أنفسها ، أو يقتل الإنسان نفسه من جهدٍ وبلاءٍ يصيبه ، أو يَهيم في الصحراء ولا يأوي البيوت جهلًا في ديانته وسفهًا في حِلمه فهو عموم في جميع ذلك والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٨٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – ثم أنتم يا هؤلاء المعاصرون لنبينا محمد ﷺ من بني إسرائيل تقتلون إخوانكم .. فهؤلاء – على هذا – منادى حذفت أداة ندائه كما في قوله تعالى : ﴿ يوسف أعرض عن هذا ... ﴾ [يوسف : ٢٩] أي : يا يوسف أعرض عن هذا .

● وقال بعض العلماء : إن المعنى .... ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم ، واعتُرض بين ثمَّ و (أنتم) بكلمة هؤلاء كما يقال : أنا ذا أقوم ، وأنا ذا أجلس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشيء الذي آمنت به بنوا إسرائيل وما هو الشيء الذي كفروا به حتى وبَّخهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ؟

ج : أمرت بنو إسرائيل بأشياء ونهوا عن أشياء :

● فنهوا عن قتل بعضهم البعض ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ﴾ [البقرة : ٨٤] .

• ونهوا عن إخراج إخوانهم من ديارهم كما قال تعالى : ﴿ .... ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ [البقرة : ٨٤] .

وأُمروا بفداء الأسرى منهم ، فإذا أُسر أحدهم وجب عليهم أن يفادوه فآمنوا ببعض[١] (وهو فداء الأسارى) وكفروا بالبعض الآخر فكانوا يقتلون إخوانهم ويخرجونهم من ديارهم ويتعاونون مع عدوهم عليهم .

فكان اليهود ثلاث طوائف : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، فكان بنو قينُقاع حلفاء الخزرج ، وكان بنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حروب اقتتلوا كل طائفة من اليهود تقاتل في صف حليفها فيقتل القينقاعي أخاه القرظي والنضيري ، والعكس بالعكس فإذا وضعت الحرب أوزارها سعى النضيري في فداء أخيه الأسير القينقاعي والعكس بالعكس ، ويقولون : حرام علينا أن نتركهم أسارى بدون فداء ، فوبخهم الله عز وجل على سوء صنيعهم ، فكما أنه حرام عليكم أن تتركوهم بدون فداء فحرام عليكم كذلك أن تقاتلوهم وتخرجوهم من ديارهم بل إن قتالهم وإخراجهم من ديارهم أشد حرمة منْ تركهم بدون فداء فمن ثمَّ قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] وعلى هذا جمهور المفسرين ، وقد جاء فيه أثر عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه كلام[٢] إلا أن سياق الآية الكريمة يقتضي تصحيح ما

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٤٧٥) قال : والله إن فداءهم لإيمان وإن إخراجهم لكفر ، فكانوا يخرجونهم من ديارهم ، وإذا رأوهم أُسارى في أيدي عدوهم افتكوهم .

(٢) أخرج الطبري (١٤٧١) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ [البقرة : ٨٥] إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم قال : أنَّبهم الله على ذلك من فعلهم وقد حرَّم عليهم في التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء =

ذُكر ، وإن كان قوله تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ، يتنزل على أشياء فعلها الإسرائيليون أكثر مما ذكر كإيمانهم ببعض التوراة وكفرهم بصفة محمد ﷺ التي فيها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم فداء الأسرى في الإسلام ؟

ج : قال عدد من أهل العلم : إنه واجب .

● قال القرطبي رحمه الله تعالى : فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد .

● قال ابن خويز منداد : تضمنت الآية وجوب فك الأُسرى وبذلك

= أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة حلفاء الأوس ، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يُظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا نارًا ولا بعثًا ولا قيامة ولا كتابًا ولا حرامًا ولا حلالًا ، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقًا لما في التوراة وأخذًا به بعضهم من بعض يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس ، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلُّون[1] ما أصابوا من الدماء وقتلى من قُتلوا منهم فيما بينهم مظاهرةً لأهل الشرك عليهم ، يقول الله تعالى ذكره حين أنَّبهم بذلك ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ، أي تُفادونه بحكم التوراة وتقتلونه ، وفي حكم التوراة ألا يقتل ولا يُخرج من داره ولا يُظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عَرَضٍ من عَرَضِ الدنيا .

● قلت : وفي الإسناد محمد بن أبي محمد وهو مجهول ، وفيه محمد بن حميد وهو الرازي ضعيف لكن في الغالب أنه متابع ، والله أعلم .

---

(١) أطل دمه : أهدره وأبطله ، ومنه قول الأعرابي . في حديث المرأة التي رمت الأخرى بحجر في بطنها فأسقطت الجنين فقضى النبي ﷺ بغرة عبد أو أمة - كيف أودي من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يُطل .

وردت الآثار عن النبي ﷺ[1] أنه فك الأسرى وأمر بفكّهم وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع ، ويجب فك الأسارى من بيت المال ، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين ، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين .

● وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٦/ ١٩٣) : قال ابن بطال : فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور .

❋ ❋ ❋

س : ما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض كأن يقول الدين يقتصر على العبادات (من صلاة وصيام وزكاة وحج) ولا دخل للدين في الحياة من أمور الاقتصاد والحكم والحدود والمعاملات والأخلاق ونحو ذلك ؟

ج : جزاؤه كما قال تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ٨٥] .

● قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى (عمدة التفسير ١/١٧٥) : ومما يملأ النفس ألمًا وحزنًا أن صار أكثر الأمم التي تنتسب للإسلام إلى هذا الوصف المكروه ووقعوا في مثل هذا العمل الذي ذمَّ الله اليهود من أجله وجعل جزاء من يفعله خزيًا في الحياة الدنيا وردًّا في الآخرة

---

(١) من هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري (٣٠٤٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فكّوا العاني - يعني الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض » ..

وأخرج البخاري (حديث ٣٠٤٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر .

إلى أشد العذاب ، فنرى أكثر الأمم المنتسبة للإسلام يعتقدون صحة القرآن ويشهدون بذلك ويعرفونه ويزعمون القيام بأمره ثم هم يخالفونه في التشريع في شئونهم المالية والجنائية والخلقية ولا يستحون أن يعلنوا أن تشريعه وتشريع رسول الله ﷺ في سنته لا يوافق هذا العصر ، ويجعلون من حقهم أن يشرعوا ما شاءوا ، وافق الكتاب والسنة أم خالفه ، ويصطنعون قوانين أوربة الوثنية الملحدة ويشربونها في قلوبهم يزعمونها أهدى وأنفع للناس مما أُنزل إليهم من ربهم ولا يتعظون بما أنذرهم به من المثل بالأمم قبلهم .

***

س : قال سبحانه وتعالى في الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض : ﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وقال سبحانه في شأن قوم فرعون : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ [غافر : ٤٦] ، وقال تعالى في شأن أصحاب المائدة : ﴿ فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ﴾ [المائدة : ١١٥] ، وقال النبي ﷺ في المصورين : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون » . فكيف تجمع بين هذا كله ؟

ج : أن كل المذكورين يكونون في أشد العذاب ، والله تعالى أعلم[١] .

***

(١) وثمَّ إجابة أوسع ستأتي في بابها إن شاء الله .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات .

قفينا – أيدناه – روح القدس – تهوى ؟

ج :

الكلمة	معناها
قفينا	أردفنا – أتْبعنا
أيدناه	قوَّيناه[1] – أعنَّاه
روح القدس	جبريل عليه السلام
تهوى	تُحب

✹ ✹ ✹

(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٨٨٨) بإسناده إلى ابن عباس قال : أيدناه قويناه .

س : ما هو الكتاب الذي آتاه الله عز وجل موسى عليه السلام ؟

ج : هذا الكتاب هو التوراة .

❋ ❋ ❋

س : من هم الرسل المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ [البقرة : ٨٧] ؟

ج : هم الأنبياء الذين جآءوا إلى بني إسرائيل بعد موسى ﷺ على منهاجه وشريعته يحثون الناس على التوراة والعمل بما فيها إلى أن جاء عيسى عليه السلام ، فعلى ذلك هم الذين أرسلوا في الفترة ما بين موسى إلى عيسى ﷺ[(١)] ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [المائدة : ٤٤] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي البينات التي آتاها الله عز وجل نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام ؟

ج : هذه البينات تتمثل في الآيات التي أيد الله عز وجل بها عيسى ابن مريم عليه السلام وأجراها على يديه ، ومنها إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله ، وإخباره قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله ، والمائدة التي أنزلها الله عز وجل عليه ، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله والنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله ، والإنجيل الذي آتاه الله

---

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ : « كانت بنوا إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم كلما مات نبي خلفه آخر .... الحديث » .

عز وجل إياه إلى غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما المراد بروح القدس وما معنى هذا الاسم ؟

ج : لأهل العلم في روح القدس أقوال :

● أصحها وأشهرها أن المراد بروح القدس جبريل[1] عليه الصلاة والسلام ويؤيده قوله تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ... ﴾ [النحل : ١٠٢] .

● وقول النبي ﷺ لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين : « اهجهم وجبريل معك »[2] ، وفي رواية « اللهم أيده بروح القدس »[3] .

● من العلماء من قال : إن روح القدس هو الإنجيل ، واستدل بقول الله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ﴾ [الشورى : ٥٢] فسمى الله عز وجل كتابه روحًا ، وكذلك الإنجيل فليكن .

وهذا القول ضعيف ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المَهْدِ وكهلًا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني ﴾ [المائدة : ١١٠] فذكر الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة الإنجيل بعد أن ذكر روح القدس فدل على أنه غيره .

● ومن العلماء من قال : إن روح القدس هو اسم الله الأعظم الذي

---

(١) وأخرج ابن أبي حاتم (٨٩٠) عن ابن مسعود أنه قال : روح القدس هو جبريل عليه السلام .

(٢) أخرجه البخاري (٤١٢٣) ومسلم (٢٤٨٦) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١٢) ومسلم (٢٤٨٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

كان عيسى عليه السلام يذكره عند إحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص ولا دليل على هذا القول ، والله تعالى أعلم .

أما القدس فقال بعض العلماء : إنه القدوس ، وهو اسم من أسماء الله تعالى .

● قال الطبري رحمه الله : وإنما سمى الله تعالى جبريل (روحًا) وأضافه إلى القدس ؛ لأنه كان بتكوين الله له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده فسماه بذلك « رُوحًا » وأضافه إلى (القدس) والقدس هو الطهر كما سُمي عيسى ابن مريم روحًا ، من أجل تكوينه له رُوحًا من عنده من غير ولادة والد ولده ، وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن معنى (التقديس) التطهير ، و (القدس) الطهر من ذلك ، وقد اختلف أهل التأويل في معناه في هذا الموضع نحو اختلافهم في الموضع الذي ذكرناه ، .... ثم نقل عن العلماء قولهم الذي يدور على تفسير القدس بالبركة ، وتفسيره بأن المراد فيه الرب سبحانه وتعالى .

● هذا وقد قال بعض أهل العلم إن معنى روح القدس أي الروح المقدسة أي المطهرة كما تقول رجل صدق والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو نوع الإضافة في قوله تعالى : ﴿روح القدس﴾ [البقرة: ٨٧]؟

ج : الإضافة : إضافة تشريف ، كما قال الله سبحانه وتعالى في شأن الناقة : ﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ﴾ [الشمس : ١٣] فكل النوق لله سبحانه وتعالى ، ولكن قوله : ﴿ ناقة الله ﴾ في شأن ناقة صالح عليه السلام للتشريف وكذلك قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ،

مع أن الأرض ومن عليها كلها لله[1] ، ولكن قيل : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ، للتشريف وكما قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١][2] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُطلق على جبريل روح ؟ ولماذا أُطلق على عيسى عليه السلام روح ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه ينزل بالوحي الذي هو بمنزلة الروح للأبدان .

وقيل : لأنه خلق من غير ولادة ، أما عيسى عليه السلام فكذلك سمي روحًا ؛ لأنه يحيي الموتى بإذن الله وقيل : لأنه ولد من غير أب ، كما قال تعالى في شأن مريم عليها السلام : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾ [التحريم : ١٢] .

❋ ❋ ❋

س : جبريل نزل على الأنبياء عليهم السلام بالوحي فلماذا اختص عيسى عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ [البقرة : ٨٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه نفخ في أمه كما قال تعالى : ﴿ فنفخنا

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

(٢) فالبشر كلهم تُنفخ فيهم الروح كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة .. ثم يأتي الملك فينفخ فيه الروح ... » الحديث والله تعالى أعلم .

فيها من روحنا ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

وقيل : إن عيسى تكلم بالوحي في صغره حيث قال : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا ﴾ [مريم : ٣٠] ، وقيل : لأن الله أيده به لما رفعه الله إليه، ولا أعلم مستندًا صحيحًا لذلك والله تعالى أعلم .

***

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ... ﴾ [البقرة : ٨٧] لمن ؟

ج : الخطاب في الآية الكريمة لليهود من بني إسرائيل .

***

س : لماذا قيل في قوله تعالى : ﴿ فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] ، بصيغة المضارع في « تقتلون » ولم يقل وفريقًا قتلتم ؟

ج : لأن قوله تعالى : ﴿ وفريقًا تقتلون ﴾ يفيد استمرارهم في قتل النبيين ومن ذلك وضعهم السمَّ في الشاة وتقديمها إلى رسول الله ﷺ(١) وقد قال

---

(١) أخرج البخاري (٥٧٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌّ ، فقال رسول الله ﷺ : « أجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود » ، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ : « إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان ، فقال رسول الله ﷺ : « كذبتم بل أبوكم فلان » فقالوا : صدقت وبررت ، فقال : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها ، فقال لهم رسول الله : « اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبدًا » ثم قال لهم : « هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم ، فقال : « هل جعلتم في =

النبي ﷺ : « ما زلت أجد ألم السم الذي وضع في الشاة فهذا أوان انقطاع أبهرى » . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء والصالحين أسوأ معاملة وأبشع معاملة دلّل على ما تقول ووضح سبب هذه المعاملة السيئة ؟

ج : أما سبب هذه المعاملة السيئة فهو أن الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم كانوا يأتون بني إسرائيل بوحي الله عز وجل ويبلغونهم رسالاته التي تخالف أهواءهم وأمزجتهم الشريرة الفاسدة فلا يرضون من الأنبياء بذلك فيقتلون فريقًا ويُكذبون الآخر كما قال تعالى : ﴿ أفلكما جآءكم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

● وسبب هذه المعاملات السيئة أيضًا الاعتقادات الفاسدة التي اعتقدوها كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ ، ٢٤] فالاعتقاد الفاسد أدى إلى فساد العمل ، فكانوا يعرضوا عن كتاب الله وينقضوا المواثيق كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم والله تعالى أعلم .

= هذه الشاة سُمًّا » فقالوا : نعم ، فقال : « ما حملكم على ذلك » فقالوا : أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك وإن كنت نبيًّا لم يضرك .

وأخرج البخاري معلقًا حديث (٤٤٢٨) وفيه : قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : « يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت يوم خيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السُّم » ، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري (٧٣٧/٧) من وصله ، ولم يسعفني الوقت للبحث فيه (أي في هذا المعلق) .

س : قال تعالى : ﴿ فريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] ، اذكر بعض من كذبوه وبعض من قتلوه ؟

ج : ممن قتلوه - كما قال جمهور العلماء - زكريا ويحيى عليهما السلام ، وممن كذَّبوه عيسى ومحمد عليهما السلام ، والله تعالى أعلم .

* * *

وَقَالُوا

قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟

مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم

مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ

ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ

فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ

﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ

أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا

لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

غُلف - لعنهم - يستفتحون - لعنة الله على الكافرين - بئس - اشتروا به أنفسهم - بغيًا - باءوا - مهين - بما وراءه .

ج :

الكلمة	معناها
غُلْف	جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء

الكلمـــة	معنـاهـــــا
	كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف ، وقولهم قلوبنا غُلف أي في أكنة وغطاء ، وهو نحو قول الكافرين ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ [فصلت : ٥] وقيل : معنى غُلُف لا تفقه . وبعضهم يقول غُلُف جمع غلاف كحُجُب جمع حجاب أي قلوبنا أوعية للعلم والذكر ، أي مملوءة علمًا لا تحتاج لمحمد ﷺ .
لعنهم	اللعن هو الطرد والإبعاد ، ولعنهم طردهم وأبعدهم
يستفتحون	يستنصرون أي : يطلبون النصر
لعنة الله على الكافرين	خزي الله وإبعاده الجاحدين على ما قد عرفوا من الحق وطرده لهم
بئس	بئس أصلها من البؤس ثم استعملت للذم والتوبيخ
اشتروا به أنفسهم	باعوا به أنفسهم ، قال الطبري رحمه الله : شريت بمعنى بعت ومنه قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس﴾ [يوسف : ٢٠]، واشتريت بمعنى (ابتعت) ولكن قد تستعمل اشتريت

الكلمـــة	معنـاهــــــا
	بمعنى بعت، وشريت بمعنى ابتعت أحيانًا، والأصل ما قدمنا .
بغيًا	حسدًا
باءوا	رجعوا – استحقوا
مهين	المهين المُذل لصاحبه
بما وراءه	بما بعده[1] ، وقيل : بما سواه ، ودليله قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون : ٧] وقوله تعالى : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ [النساء : ٢٤] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٥٥٦) .

س : ما هو وجه قول بني إسرائيل ﴿ قلوبنا غُلْف ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : يعتذرون بقولهم قلوبنا غلف عن الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبما يدعوهم إليه ، فيقولون : قلوبنا غلف ، أي : عليها أغلفة فلا تستطيع أن تفهم الذي تدعوها إليه ولا ما تريده منها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : لأهل العلم في تأويلها قولان مشهوران :

- **أحدهما :** أن المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ قلة[(١)] .

- الثاني : أن القدر الذي آمنوا به قليل والذي كذبوا به كثير ، وهذا الوجه اختاره الطبري رحمه الله تعالى ، وقال : ولعل قائلًا أن يقول هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون من الإيمان قليل أو كثير فيقال فيهم ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

قيل إن معنى (الإيمان) هو التصديق ، وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدِّق بوحدانية الله ، وبالبعث والثواب والعقاب وتكفر بمحمد ﷺ ونبوته ، وكلُّ ذلك كان فرضًا عليهم الإيمان به ، لأنه في كتبهم ومما جآءهم به موسى ، فصدقوا ببعض – وذلك هو القليل من إيمانهم – وكذَّبوا ببعض فذلك هو الكثير الذي

---

(١) وهذا واضح فمن تتبع عدد المؤمنين من أهل الكتاب برسول الله ﷺ يجدهم قلة قليلة بينما من آمن من أهل الشرك عددهم كبير ، والله تعالى أعلم .

وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٥١٤) قال قوله ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون ﴾ فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب ، إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير .

أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به .

وقد قال بعضهم : إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء[1]، وإنما قيل : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب « قلما رأيت مثل هذا قط » وقد روي عنها سماعًا منها (مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكرَّاث والبصل) يعني : ما تنبت غير الكراث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بـ (القلة) والمعنى فيه نفي جميعه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – هو ما ذكره الطبري حيث قال : وقالت اليهود : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه يا محمد ، فقال الله تعالى ذكره : ما ذلك كما زعموا ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها ، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله فقليلًا ما يؤمنون . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الكتاب المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ٨٩] ؟ وما هو الذي معهم ؟

❋ ❋ ❋

(١) قلت : وهذا الوجه عندي ضعيف ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] فأثبت الله عز وجل لهم الإيمان ببعض ، وكان منه كما تقدم فداء أسراهم من أيدي عدوهم ، والله تعالى أعلم .

ج : أما الكتاب المذكور فهو القرآن الكريم[1] ، والذي معهم هو التوراة والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] ، من هم الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا ، ومن المراد بالذين كفروا هنا ، وما معنى هذا الاستفتاح ؟

ج : الذين كانوا يستفتحون على الذين كفروا هم اليهود .

والمراد بالذين كفروا في الآية الكريمة : مشركو العرب وهذا الاستفتاح حاصله أن اليهود كانوا يستنصرون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ويقولون للذين كفروا سيخرج نبي صفته كذا وكذا نتبعه ونقتلكم[2] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو جواب قوله تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم .. ﴾ [البقرة : ٨٩] ؟

---

(١) أخرج الطبري (١٥١٧) بإسناد حسن عن قتادة « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم » وهو القرآن الذي أُنزل على محمد مصدقٌ لما معهم من التوراة والإنجيل .

(٢) أخرج الطبري (١٥٢٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ [البقرة : ٨٩] كانت اليهود تستفتح بمحمد ﷺ على كفار العرب من قبل ، وقالوا : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجدهُ في التوراة يُعذبهم ويقتلهم ! فلما بعث الله محمدًا ﷺ فرأوا أنه بُعث من غيرهم كفروا به حسدًا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] .

ج : بعض العلماء يقولون : حذف الجواب لدلالة السياق عليه ، وهذا وارد في كتاب الله عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كلِّم به الموتى .. ﴾ [الرعد : ٣١] أي لسيرت بهذا القرآن وحذف الجواب لدلالة السياق عليه .

● ومن أهل العلم من يقول : إن جواب قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ [البقرة : ٨٩] ، هو قوله تعالى : ﴿ كفروا به ﴾ [البقرة : ٨٩] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض ما يكون به الاستفتاح[1] في أمة محمد ﷺ ؟

ج : يكون الاستفتاح بدعاء الصالحين ، وكذلك بالضعفاء ، أما الضعفاء فلقول النبي ﷺ لسعد : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » .

أما الصالحون فلما أخرجه البخاري[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمان فيغزو فئام[3] من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم نعم فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم فيُفتح لهم » ، والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) المراد بالاستفتاح هنا : الاستنصار أي طلب النصر .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٤٩) ومسلم (٢٥٣٢) وأحمد (٣/٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) الفئام : الجماعة .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ [البقرة : ٩٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : معنى الآية بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى – من نبوة محمد ﷺ والأمر بتصديقه واتباعه – من أجل أن أنزل الله من فضله – وفضله حكمته وآياته ونبوته – على من يشاء من عباده – يعني به على محمد ﷺ – بغيًا وحسدًا لمحمد ﷺ من أجل أنه كان من ولد إسماعيل ولم يكن من بني إسرائيل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى الآية الكريمة ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيًا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ [البقرة : ٩٠] ، تدل على حسد اليهود للنبي ﷺ ؟

ج : هذه الآية ضمن قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا ۞ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرًا ۞ أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا ۞ **أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا ۞ فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيرًا ﴾ [النساء : ٥١ – ٥٥] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفضل في قوله تعالى : ﴿ أن يُنزل الله من فضله على من

يشاء من عباده ﴾ ؟

ج : فضل الله هنا المراد به – والله أعلم – القرآن ، والحكمة والرسالة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] ، ما هو سبب الغضب الأول عليهم وما هو سبب الغضب الثاني ؟

ج : أما الغضب الثاني فسببه كفرهم بمحمد ﷺ بعد أن عرفوا صفته وتيقنوا من لغته وأنه النبي المبعوث ﷺ .

● أما الغضب الأول فسببه كفرهم بعيسى ﷺ قبل النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، ويدخل في أسباب الغضب الأول عليهم أيضًا عبادتهم العجل ، وتضييعهم التوراة ، وقولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة ، وقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ... إلى غير ذلك من أنواع الكفر التي ارتكبوها ، والله تعالى أعلم[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالكافرين في قوله تعالى : ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ [البقرة : ٩٠] ؟

ج : الكافرون في الآية الكريمة : هم الجاحدون لنبوة محمد ﷺ والقرآن

---

(١) أخرج الطبري (١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩) من طريق سفيان الثوري عن أبي بكير عن عكرمة قال : (فباءوا بغضب على غضب) قال كفر بعيسى ، وكفرٌ بمحمد ﷺ .

● وأخرج بإسناد حسن عن قتادة (١٥٥١) قوله ﴿ فباءوا بغضب على غضب ﴾ [البقرة : ٩٠] ، غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى ، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ .

الذي نزل عليه ، والله أعلم .

***

س : هل كان بنو إسرائيل صادقين فعلًا في قولهم : ﴿ نؤمن بما أُنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] ؟

ج : لم يكونوا صادقين في ذلك ، فإن الله عز وجل أخذ عليهم فيما أنزل عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

- ومما يدل على كذبهم في قولهم : ﴿ نؤمن بما أُنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] أيضًا قوله تعالى : ﴿ فلـمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] فلم ينزل عليهم في كتبهم أن يقتلوا أنبياء الله عليهم السلام .

- ومما يدل على كذبهم كذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] والله تعالى أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] ، مؤمنين بماذا ؟

ج : مؤمنين بما أُنزل على موسى ﷺ في التوراة أي : إن كنتم حقًّا مؤمنين بالتوراة فلم تقتلون أنبياء الله من قبل وليس في التوراة الأمر بقتلهم ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : لماذا عوتب بنو إسرائيل الموجودون على عهد رسول الله ﷺ بقوله تعالى : ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : ٩١] ، وهم لم يباشروا قتل نبي ؟ ولماذا عُبر بقوله تعالى : ﴿ تقتلون ﴾ ولم يقل قتلتم ؟

ج : لأنهم أقروا قتل الأنبياء وتولوا من قتلهم ولم يستنكروا أفعالهم قال الله تعالى : ﴿ ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرًا منهم فاسقون ﴾ [المائدة : ٨٠ ، ٨١] .

● وقد قال تعالى عن قوم ثمود : ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ [الشمس : ١٤] مع أن الذي عقرها شخص واحد منهم .

● وأيضًا لأن هؤلاء الموجودين على عهد رسول الله ﷺ حاولوا قتل رسول الله ﷺ كما قدمناه ، والله أعلم .

● أما لماذا عبر بـ ﴿ تقتلون ﴾ ولم يُعبر بـ (قتلتم) فلما ذُكر من قبل أنهم حاولوا قتل رسول الله ﷺ ، وقال بعض أهل العلم : إنه يجوز سوق الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي ، قال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

✵ ✵ ✵

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾
قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
البينات – سمعنا وعصينا – أُشربوا في قلوبهم العجل – خالصة – بمزحزحه – بصيرٌ ؟

ج :

الكلمــة	معناهــا
البينات	الآيات الواضحات الجليات
سمعنا وعصينا	سمعنا قولك وعصينا أمرك

الكلمة	معناها
أشربوا في قلوبهم العجل خالصة	دخل حب العجل قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها خاصة
بمزحزحه	بمبعده – بمنحيه
بصيرٌ	قال بعض أهل العلم إن أصل البصير المبصر ، يعني ذو إبصار قال ابن القيم : وهو البصير يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصّوان ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عُروق بياضها بعيان ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان ● وبعض العلماء يستعمل البصير أحيانًا بمعنى العالم فيقول بصير بالطب وبصير بالفقه وبصير بملاقاة الرجال ، وأورد القرطبي قول الشاعر : فإن يسألوني بالنساء فإنني بَصيرٌ بأدواء النساء طبيب ● وقال الطبري : ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ٩٦] والله ذو إبصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها وأصل بصير مبصر ... والله أعلم .

س : في قوله تعالى : ﴿ ولقد جآءكم موسى بالبينات ﴾ [البقرة : ٩٢] عدة تساؤلات هي :

- بينات على ماذا ؟
- ما هي هذه البينات ؟
- لماذا أطلق عليها بينات ؟

ج : ● هي بينات على صدقه وصحة نبوته

● وهي التي ذكرها الله في كتابه حيث قال : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ [الإسراء : ١٠١] .

● وهي العصا التي ألقاها فإذا هي ثعبان مبين وضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا وضرب بها الحجر لما طار بثوبه وإن بالحجر لندبًا .

● ويده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين من غير سوء .

● والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم تلك الآيات المفصلات التي أرسلها الله على قوم فرعون كي يؤمنوا بموسى عليه السلام ويرجعوا عن كفرهم .

● وكذلك أخذ الله عز وجل آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذكرون وهذا تأييد لموسى عليه السلام كذلك .

● وتظليل الغمام على بني إسرائيل ، وإنزال المن والسلوى عليهم وفوق ذلك كله الألواح وما كُتب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء ، والله تعالى أعلم .

● أما لماذا أطلق عليها بينات لأنها واضحات ظاهرات جليات، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] مقدر محذوف فما هو ؟

ج : هذا المقدر المحذوف هو (إلهًا) أي ثم اتخذتم العجل إلهًا .

وأيضًا عقب قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ أي ظالمون لأنفسكم ، على قول ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ من بعده ﴾ [البقرة : ٩٢] من بعد من ؟

ج : من بعد موسى ﷺ ، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد أن فارقهم موسى ﷺ ماضيًا إلى ميقات ربه عز وجل .

● ومن العلماء من يقول : ﴿ من بعده ﴾ أي من بعد مجيء موسى عليه السلام إليكم بالبينات . والأول أظهر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] ظالمون لمن ، وظالمون في ماذا ؟

ج : ظالمون لأنفسهم لكونهم أشركوا بالله عز وجل ما لم يُنزل به سلطانًا وعبدوا العجل واتخذوه إلهًا وهذا أفحش الظلم وأعظمه ، قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسمع في قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : هو السمع المضمن معنى الإجابة فالمعنى اسمعوا وأطيعوا ، وهذا قول

الجمهور .

ومن العلماء من قال : إنه أمر بمجرد السمع لأنه قد تقدمه قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [البقرة : ٩٣] .

● وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى[١] : قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ [البقرة : ٩٣] قال بعض العلماء : هو من السمع بمعنى الإجابة ومنه قولهم سمعًا وطاعة أي إجابة وطاعة ، ومنه سمع الله لمن حمده في الصلاة ، أي أجاب دعاء من حمده[٢] ، ويشهد لهذا المعنى قوله : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ [النور : ٥١] وهذا قول الجمهور ، وقيل : إن المراد بقوله : ﴿ اسمعوا ﴾ أي بآذانكم ولا تمتنعوا من أصل الاستماع .

ويدل لهذا الوجه أن بعض الكفار بما امتنع من أصل الاستماع خوف أن يسمع كلام الأنبياء كما في قوله تعالى عن نوحٍ مع قومه : ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارًا ﴾ [نوح : ٧] .

وقوله عن قوم نبينا محمد ﷺ : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [فصلت : ٢٦] ، وقوله : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ [الحج : ٧٢] ، وقوله : ﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾ [البقرة : ٩٣] لأن السمع الذي لا ينافي العصيان هو السمع بالآذان دون السمع بمعنى الإجابة ، والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) أضواء البيان (٨١/١) .

(٢) هذا على قولٍ من الأقوال .

س : ما نوع الباء في قوله تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : الباء هنا سببية ، والمعنى أنهم بسبب كفرهم سُقُوا حب العجل كما قال تعالى : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ [النساء : ١٥٥] .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – بئس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم إن كنتم مصدقين إذا كان هذا التصديق يأمركم بعبادة العجل واتخاذه إلهًا ، ويأمركم بالعصيان وقول سمعنا وعصينا ، وقتل النبيين بغير حق وتكذيب الأنبياء ، ونقض العهود والمواثيق فبئس هذه الأفعال والأوامر التي تصدر عن هذا الإيمان المزعوم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم أشربوا حب العجل حتى خلص إلى قلوبهم وتمكن منها وتغلغل فيها(١) ، فحذف المضاف وهو (حبُّ) وأقيم المضاف إليه (وهو العجل) مقامه ، وهذا وارد في كتاب الله عز وجل في مواطن منها :

---

(١) كما قال الشاعر ، وقد عتب على زوجته (عثمة) في بعض الشؤون وطلقها وازداد بها ولهًا :

تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
أكاد إذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أن إنسانًا يطير

● قول الله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي وقت الحج أشهر معلومات .

● وقوله تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ﴾ [التوبة : ١٩] أي صاحب سقاية الحاج .

● وقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] أي أصحاب القرية .

● وقوله تعالى : ﴿ إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ [الإسراء : ٧٥] أي ضعف عذاب الحياة .

● وقوله تعالى : ﴿ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ﴾ [الحج : ٤٠] أي بيوت صلوات(١) .

● وقوله تعالى : ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ [سبأ : ٣٣] أي مكركم في الليل والنهار .

● وقوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ [العلق : ١٧] أي فليدع أهل ناديه .

● وقول الشاعر : وشر المنايا ميت بين أهله

أي شر المنايا منية ميت بين أهله .

على ما ذكره بعض أهل العلم ، والله تعالى أعلم .

● هذا ومن العلماء من سلك في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] مسلكًا آخر فقال : « إن موسى أبرد العجل بالمبرد ثم ذرَّاه » (أي طرحه في اليم على هيئة التذرية) وأمرهم بالشرب منه فمن بقي فيه شيء من حب العجل ظهرت سحابة الذهب على شاربه .

---

(١) على ما ذكره بعض أهل العلم .

وهذا القول يحتاج إلى دليل ، والذي في كتاب الله عز وجل أن الله قال : ﴿ ... وانظر إلى إلهك الذي ظَلت عليه عاكفًا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفًا ﴾ [طه : ٩٧] أما كونهم شربوا من اليم بعد تذرية العجل فيه فليس هناك دليل على ذلك ، بل ويرده قوله تعالى : ﴿ في قلوبهم ﴾ ؛ والله تعالى أعلم .

* * *

س : صوَّر الله عز وجل الخُلُق الذي تخلَّق به الإسرائيليون أجلى تصوير وأوضحه أوضح بيان حيث ذكر مقالتهم الشنيعة : ﴿سمعنا وعصينا﴾[1] [البقرة : ٩٣] يقولونها لربهم عز وجل ولنبيهم ﷺ، هل من آية في نفس المعنى وكذلك حديث ؟

ج : أما الآية فقوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وعصينا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلَّا قليلًا ﴾ [النساء : ٤٦] .

وقد تقدم من السُّنة أنهم لما قيل لهم : ﴿ ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة ﴾ [البقرة : ٥٨] دخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة .

عنادًا واستكبارًا والعياذ بالله .

* * *

س : لماذا عُبرِّ بالشرب دون الأكل في قوله تعالى ﴿ وأُشربوا في قلوبهم العجل ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟

ج : قال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان ١/ ٢٢٥) : وإنما عبر

---

(١) ومعنى قولهم : ﴿ سمعنا وعصينا ﴾ سمعنا قولك وعصينا أمرك ، والله أعلم .

عن حب العجل بالشرب دون الأكل ، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها ، والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها قال أبو السعود : ﴿ في قلوبهم ﴾ [البقرة : ٩٣] بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى ﴿ إنما يأكلون في بطونهم نارًا ﴾ [النساء : ١٠] ، والله أعلم .

* * *

س : هل كان اليهود يدَّعون أن الدار الآخرة لهم ؟

ج : نعم كانوا يدَّعون ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] .

وقال سبحانه : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾(١) [البقرة : ٨٠] .

* * *

س : ما المراد بالدار الآخرة في قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة .. ﴾ [البقرة : ٩٤] ومعنى خالصة ؟

ج : المراد بالدار الآخرة في هذه الآية (الجنة) ومعنى خالصة أي خاصة ، فالمعنى إن كنتم تزعمون أن الجنة لكم ولن يشرككم فيها أحد فتمنوا

---

(١) أخرج الطبري (١٥٧٢) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ [البقرة : ٩٤] وذلك أنهم قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] وقالوا : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] فقيل لهم : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] .

الموت إن كنتم صادقين ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا أضيفت الأعمال إلى اليد في قوله تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم ﴾ [البقرة : ٩٥] دون سائر الجوارح ؟

ج : لأن أكثر الجنايات التي يرتكبها الإنسان تكون بيده فأضيفت سائر أعمال الجوارح إلى اليد تغليبًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا امتنع اليهود عن تمني الموت ؟

ج : امتنعوا لما قدمته أيديهم واقترفوه من ذنوب وكبائر وجرائم عظام من تكذيب رسل الله وجحد آياته وكتمان الحق والبغي والحسد فكيف يواجهون ربهم عز وجل في الآخرة ، وقد حملوا هذه الأوزار وخاصة وأنهم يؤمنون بالبعث والجنة والنار والحساب ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو وجه محاجة اليهود بقوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ ؟

ج : في هذه الآية حجة عظيمة للمسلمين على اليهود تدفع باطلهم وتُزهقه ووجه هذه المحاجة أن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من البقاء في هذه الحياة الدنيا لما يصير إليه من نعيم في الآخرة ولما يتركه من كدر الحياة الدنيا وأذاها فلو كنتم صادقين يا معشر اليهود بأن الدار الآخرة خالصة لكم والجنة خاصة بكم دون سواكم فتمنوا الموت ، فأحجموا عن ذلك التمني فرقًا من عذاب الله وخوفًا من سوء العاقبة لقبح أعمالهم وسوء

صنيعهم ، فظهر بامتناعهم بطلان قيلهم من أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي صورة تمني الموت التي أمر الله بها بني إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] ؟

ج : لأهل العلم قولان :

أحدهما : ﴿ تمنوا الموت ﴾ أي اطلبوه من ربكم عز وجل واسألوه إياه .

الثاني : ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب (أي على الكاذب من الفريقين منا نحن المسلمين ، ومنكم معشر اليهود) وذلك على نحوٍ من المباهلة .

❋ ❋ ❋

س : ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن تمني الموت فكيف يأمرهم بأمرٍ وقد نهي عنه في شريعته ؟

ج : على رأي من قال : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ فتمنوا الموت ﴾ هو ادعوا على أي الفريقين أكذب كما في المباهلة فلا إشكال في الآية الكريمة ويكون معناها كالمعنى الموجود في قوله تعالى : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] أي من كان ضالًّا فزاده الله ضلالًا .

● أما على قول من قال : ﴿ تمنوا الموت ﴾ أي اطلبوه واسألوه فهذا على سبيل المحاجة وإقامة البرهان على بطلان دعواهم ، ثم إن نهي النبي ﷺ عن تمني الموت ليس على إطلاقه ، فنهيه عليه السلام العبد عن تمني الموت

كما قال : « إما محسنًا فيزداد أو مسيئًا فيستعتب »(١) ، وقال عليه السلام : « خيركم من طال عمره وحسن عمله »(٢) أما من خشي على نفسه أن يفتن في دينه فحينئذ يُشرع له تمنى الموت كما قال النبي ﷺ : « وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون »(٣) .

وكما قال عليه الصلاة والسلام : « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني ما علمت الوفاة خيرًا لي »(٤) .

● وأيضًا فقد قال النبي ﷺ في مرض موته : « اللهم الرفيق الأعلى »(٥) .

وكذلك لم يرد لنا أن اليهود نُهوا في شريعتهم عن تمني الموت، والله أعلم(٦) .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٦٧٣) ، والنسائي (٤/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يدخل أحدًا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضلٍ ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب » .

(٢) « خيركم من طال عمره وحسن عمله » ، صحيح أخرجه أحمد (١٨٨/٤ - ١٩٠) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » .

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد صحيح ولمزيد من البحث حوله انظر كتابي الصحيح المسند من الأحاديث القدسية .

(٤) أخرجه النسائي (٥٤/٣) ، وأحمد (٢٦٤/٤) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٥) صحيح أخرجه البخاري (٥٦٧٤) ، ومسلم (٢١٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٦) هذا وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (١٧٩/١ ، ١٨٠) : ثم هذا الذي =

= فسر به ابن عباس(*) الآية ، هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى ، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [الجمعة : ٦ – ٨] فهم عليهم لعائن الله تعالى ، لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، قالوا : لن يدخل الجنة إلا من كانوا يهودًا أو نصارى ، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين ، لما نكلوا عن ذلك ، علم كل أحد إنهم ظالمون ، لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه ، لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا ، عُلم كذبهم وهذا كما دعا رسول الله وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة ، فقال : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ [آل عمران : ٦١] فلما رأوا ذلك ، قال بعض القوم لبعض : والله لئن باهلتم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف ، فعند ذلك جنحوا للسلم ، وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فضربها عليهم ، وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح أمينًا ، ومثل هذا المعنى أو قريب منه قول الله تعالى لنبيه أن يقول للمشركين : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] أي من كان في الضلالة منا ومنكم فزاده الله مما هو فيه ومد له واستدرجه ، كما سيأتي تقريره في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

أما من فسر الآية على معنى ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٩٤] أي في دعواكم ، فتمنوا الآن الموت ، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة ، كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم ، ومال إليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول ، فإنه قال : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ [البقرة : ٩٤] الآية ، فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره ، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله تعالى أمر نبيه إلى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من الخلاف ، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من =

(*) هو مروي من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

= النصارى إذ خالفوه في عيسى ابن مريم عليه السلام ، وجادلوه فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة ، فقال لفريق اليهود : إن كنتم محقين فتمنوا الموت ، فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله لكم لكي يعطيكم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم ، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون ، من أن الدار الآخرة لكم خاصة دوننا ، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا ، وانكشف أمرنا وأمركم لهم ، فامتنعت اليهود من الإجابة إلى ذلك لعلمها ، أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها ، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها ، كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي ﷺ في عيسى إذ دعوا للمباهلة من المباهلة .

فهذا الكلام منه أوله حسن ، وآخره فيه نظر ، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل ، إذ يقال : إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم ، أنهم يتمنون الموت ، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت ، وكم من صالح لا يتمنى الموت ، بل يود أن يعمر ليزداد خيرًا وترتفع درجته في الجنة ، كما جاء في الحديث : « خيركم من طال عمره ، وحسن عمله » ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا : فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت ، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم ؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى ، فأما على تفسير ابن عباس : فلا يلزم عليه شيء من ذلك ، بل قيل لهم كلام نَصَف : إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس ، وأنكم أبناء الله وأحباؤه ، وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار ، فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم ، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة ، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه ، نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويتحققونه ، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، وسميت هذه المباهلة تمنيًا ، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره ، وكانت المباهلة بالموت ، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ أي على طول =

س : قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم ﴾ [البقرة : ٩٦] الضمير فيها لمن ؟ وما موقع اللام هنا ، وكذلك النون ؟

ج : أما الضمير فلليهود (أي لتجدن اليهود) ، واللام بعض أهل العلم يقولون : إنها لام القسم ، والمعنى والله لتجدنهم ، والنون للتوكيد ، والله أعلم .

* * *

س : هل للتنكير في قوله تعالى : ﴿ على حياة ﴾ [البقرة : ٩٦] فائدة ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن هذا يدل على حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ، فهم أي اليهود أحرص الناس على حياة طويلة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بالذين أشركوا في قوله تعالى : ﴿ ومن الذين أشركوا يود أحدهم ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : المراد بالذين أشركوا فيه للعلماء ثلاثة أقوال :

- **منها أنهم الأعاجم** ، لأنهم الحريصين على طول الحياة كما قدمنا أن تحيتهم عش ألف سنة أو عشرة آلاف سنة .
- **وقيل : إنهم مشركو العرب** الذين لا يُقرون بالبعث ، بل يقولون :

= العمر لما يعلمون من مآلهم السيء ، وعاقبتهم عند الله الخاسرة ، لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم وهذا من باب عطف الخاص على العام .

﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [الجاثية : ٢٤]

ويقول شاعرهم :

تمتع من الدنيا فإنك فانٍ   من النشوات[١] والنساء الحسان

● وقيل : إن المراد بالذين أشركوا عمومِ المشركين الذين لا يُقرون بالبعث ، والله تعالى أعلم .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ﴾ [البقرة : ٩٦] عطف لخاص على عام ، وضحه وبيِّن فائدته ؟

ج : أما الخاص فهو : ﴿ الذين أشركوا ﴾ والعام هو ﴿ الناس ﴾ فالمشركون داخلون في عموم الناس فلما أُعيد ذكرهم بالتنصيص عليهم كان من عطف الخاص على الناس ، وفائدته هنا زيادة توبيخ لليهود فالمعنى أن اليهود أحرص الناس على الحياة ، حتى إنهم أحرص من الذين أشركوا الذين لا يقرون بالبعث ففائدة هذا العطف زيادة توبيخ لليهود ، والله تعالى أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] يرجع إلى من ؟

ج : كثير من أهل العلم يرى أنه يرجع إلى المشركين[٢] وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ قال : هو قول الأعاجم : (سال زه نوروز مهرجان حر)[٣] .

---

(١) النشوات (جمع نشوة) وهي السُّكر وعزا بعض العلماء البيت إلى امرىء القيس .
(٢) وذكر بعضهم أنه يرجع إلى اليهود ، والأول أصح وعليه الأكثر ، والله أعلم .
(٣) أخرجه الطبري (١٥٩١) .

● وفي رواية[1] عنه هو كقول الفارسي : زه هزار سال ، يقول : عشرة آلاف سنة فمن شدة حب الأعاجم للدنيا أنهم جعلوا تحيتهم فيما بينهم (عشرة آلاف سنة) أي عش عشرة آلاف سنة ، وعش ألف سنة .

* * *

س : لماذا خصَّ الألفَ بالذكر في قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : خص الألف بالذكر لأن العرب كانت تُعبر به عند إرادة المبالغة ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ وما هو بمزحزحه ﴾ [البقرة : ٩٦] يرجع إلى من ؟

ج : قيل : يرجع إلى طول البقاء والتعمير أي وما تعميره وطول حياته بمزحزحه من العذاب وقيل : يرجع إلى الشخص المذكور في قوله تعالى : ﴿ يود أحدهم ﴾ أي وما الشخص منهم بمزحزحه أن يُعمَّر ألف سنة ، والمعنى قريب ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ٩٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – والله لتجدن أشد الناس حرصًا على طول الحياة وطول العمر والبقاء اليهود فهم أشد الناس حرصًا عليها حتى إنهم أشد

(١) أخرجها ابن أبي حاتم في « التفسير » (٩٥٣) .

حرصًا عليها من الذين أشركوا المنكرين للبعث الذين يطمع أحدهم أن يعيش ألف سنة ، وما هذا التعمير وطول البقاء بمزحزح صاحبه عن العذاب ومنحيه عنه . انتهى .

وزيادة في التوضيح فالمشركون لا يقرون ببعث ولا بجنة ولا بنار ولا بحساب ومن ثم كان مطمعهم في الحياة الدنيا ورغبتهم في طول البقاء فيها شديدة فغلبهم اليهود في الحرص على الحياة الدنيا رغم أن اليهود يقرون بالبعث وبالجنة وبالنار ، وما حملهم على هذا الحرص في طول الحياة إلا سوء أعمالهم التي يخشون من جرائها النار ، وعظيم كبائرها التي يتوقعون لها سوء القرار وتكذيب الأنبياء الذي لا يجدون من جزائه فررًا ، والله تعالى أعلم .

***

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

س : ما معنى ما يلي .

بإذن الله – هدى – نبذه ؟

ج :

الكلمة	معناها
بإذن الله	بأمر الله
هدى	دليل وبرهان
نبذه	طرحه – نقضه[١]

(١) أخرج الطبري (١٦٤٥) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴾ [البقرة : ١٠١] يقول : نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴿ كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ أي أن القوم كانوا يعلمون ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا .

وأخرجه مختصرًا ابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٩٨٦) .

س : ما هي أشهر القراءات في (جبريل) ؟ وما معناها ؟

ج : في جبريل عدة قراءات بلغ بها بعض العلماء إلى ثلاث عشرة ، أشهرها .

● (جِبْرِيل) بكسر الجيم والراء وبالتخفيف (وجَبْرَئيل) بفتح الجيم والراء والهمزة[1] .

● أما معنى (جبر) فمعناها – على ما ذكره بعض أهل العلم[2] – عبد ، وأما (إيل) فهو (الله) فمعنى جبريل : عبد الله وميك معناها عبيد ، وإيل هو الله فميكائيل هو عُبيدُ الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ... ﴾ [البقرة : ٩٧] الآية ؟

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٧٧٠) من طريق عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت عائشة أم المؤمنين : بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

لكن هذا الحديث أعله الهروي رحمه الله في كتاب علل الأحاديث من أجل أنه من رواية عكرمة عن يحيى ، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها ، والله تعالى أعلم .

وأنشد بعضهم شعر جرير وفيه .

عبدوا الصليب وكذَّبوا بمحمدٍ　　　وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

(٢) ذكره الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره ، ونقله عن بعض أهل العلم ، والله أعلم .

ج : سبب نزولها[1] أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ مَنْ وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك قال : فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليُّه ، قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليَّك سواه من الملائكة تابعناك وصدَّقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا فأنزل الله عز وجل : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٨] إلى قوله : ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٠١] .

***

س : اذكر دليلًا آخر على عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ؟

ج : أخرجه البخاري[2] من حديث أنس رضي الله عنه قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهن جبريل آنفًا » . قال جبريل ؟ قال : « نعم » قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية : ﴿ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك ﴾ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماءُ الرجل ماء المرأة نزع الولدُ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ،

---

(١) قال الطبري رحمه الله (٣٧٧/١) : أجمع أهل العلم بالتأويل . جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٠) .

قال : « أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ » فقالوا : أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، قال : فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

❋ ❋ ❋

س : لماذا كره اليهودُ جبريلَ عليه السلام ؟

ج : كره اليهود جبريل عليه السلام لنزوله بالوحي على رسول الله ﷺ ويُشعر بذلك سياق الآية الكريمة وهي : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ فإنه نزله ﴾ [البقرة : ٩٧] الهاء الأولى ترجع إلى من والثانية ترجع إلى من ؟

ج : أما الهاء في قوله تعالى : ﴿ فإنه ﴾ فترجع إلى جبريل عليه السلام والهاء في قوله تعالى : ﴿ نزله ﴾ ترجع إلى القرآن ، وإنما حُذف القرآن لدلالة السياق عليه ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ما ترك على ظهرها من دآبة ﴾ [النحل : ٦١] فحذفت الأرض لدلالة السياق عليها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو جزاء الشرط في قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله ﴾ [البقرة : ٩٧] ؟

ج : فيه وجوه :

الوجه الأول : أن من عادى جبريل **فينبغي ألا يعاديه إذ لا وجه لعداوته ؛** لأنه إنما أنزل الكتاب بإذن الله ولم يتصرف من عند

نفسه ثم ينبغي أيضًا ألا يعاديه لأنه نزل بالقرآن الذي هو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة فينبغي أن يُشكر ويُحب .

الوجه الثاني : أن من عادى جبريل فهو مبطل ، وحق للمبطل أن يعادي جبريل لأن جبريل عليه السلام نزل بالكتاب برهانًا على نبوتك يا محمد ومصداقًا لصدقك ، وهم يكرهون ذلك فكيف لا يبغضون جبريل وقد نزل بما يفضحهم ويكشف أكاذيبهم .

الوجه الثالث : أن الجواب محذوف وهو (فليمت) أي من عادى جبريل فليمت بغيظه ، والله أعلم .

* * *

س : هل كان القرآن ينزل على قلب رسول الله ﷺ دون أن يقرأه ويسمعه ، أم كان يسمعه ويقرؤه أولًا ؟

ج : ورد في بعض الآيات ما يُفيد أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] .

● ولكن بُيِّن في مواطن أُخر أن معنى ذلك أن الملك كان يقرؤه عليه حتى يسمعه منه فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه ، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه كما قال سبحانه : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة : ١٦ – ١٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه ﴾ [طه : ١١٤] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : الناس في شأن الملائكة على أقسام وضح هذه الأقسام ؟ .

ج : من الناس من ينكر وجود الملائكة أصلًا وهم قوم من أهل الكفر والإلحاد .

● **ومن الناس من يسبُّون بعض الملائكة كاليهود وطائفة من الروافض** ، فاليهود قالوا عن جبريل عليه السلام إنه عدو اليهود من الملائكة ، وطائفة من الروافض وصفوه بالخيانة وأنه نزل بالرسالة على محمد ﷺ وكان الأحق بها عليٌّ بزعمهم .

● **وطائفة من أهل الشرك عبدوهم** كما قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ [سبأ : ٤٠ ، ٤١] .

● **وطائفة وهم أهل الحق توسطوا في شأن الملائكة** فاعتقدوا أنهم عباد لله مكرمون كما قال تعالى : ﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ - ٢٨] كما قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا ﴾ [النساء : ١٧٢] وكما قال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦] .

* * *

س : ما فائدة قول الله تعالى : ﴿ بإذن الله ﴾ عقب قوله : ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله ﴾ [البقرة : ٩٧] ؟

ج : فائدتها بيان أن جبريل لم ينزل من عند نفسه بل نزل بإذن الله فما لعداوتكم يا معشر اليهود لجبريل عليه السلام وجه يُذكر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مصدقًا لما بين يديه ﴾ [البقرة : ٩٧] وما هو الذي بين يديه ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن معانيه توافق معانيها في الأمر بالتوحيد واتباع محمد ﷺ .

والذي بين يديه هو التوراة والإنجيل على قول لبعض أهل العلم(١) .

● وبعض أهل العلم يقولون : ما قبله أن من كتب الأنبياء الذين تقدموه على وجه العموم ولا معنى لتخصيص كتاب دون كتاب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :هل يجوز التسمي بأسماء الملائكة ؟

ج : لا أعلم مانعًا من ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ [الزخرف : ٧٧] فمالك هو خازن النار ، وهو ملك من الملائكة بلا شك ، وقد أقرَّ النبي ﷺ اسم مالك في أصحابه و لم ينكره فكان من الصحابة مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، وأنس بن مالك كذلك وغيرهم من التابعين مالك بن أوس بن الحدثان وغيرهم .

---

(١) رواه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٦٣١) .

• ومن السلف من تسمى بجبريل أيضًا و لم نعلم أن أحدًا أنكر عليه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من عادى ملكًا من الملائكة فقد عادى الله عز وجل والملائكة جميعًا ومن كذب رسولًا فقد كذب الرسل جميعًا دلّل على هذا القول بأدلة ؟

ج : أما الأدلة على هذا فمنها ما يلي :

• قول الله تبارك وتعالى : ﴿ من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [البقرة : ٩٨] فالواو هنا بمعنى (أو) والمعنى من كان عدوًّا لله أو ملائكته أو رسله أو جبريل أو ميكال فإن الله عدو للكافرين .

• وقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

• وقول الله تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾ [الفرقان : ١٧] وإنما أُرسل إليهم نوح فقط .

• وقال تعالى : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٢٣] وأرسل إليهم هود فقط .

• وقال تعالى : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٤١] وقال سبحانه : ﴿ كذبت ثمود بالنذر ﴾ [القمر : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٦٠] ، وقال سبحانه : ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر ﴾ [القمر : ٣٣] فمن كفر برسول وكذَّبه فقد كفر بالرسل

جميعًا وكذبهم ، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله ، لأن جبريل لا يَنزل إلَّا بأمر الله قال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠٢] وقال تعالى : ﴿ قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإن اللّه ... ﴾ [البقرة : ٩٧] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد ذكر الملائكة في قوله تعالى : ﴿ من كان عدوًّا للّه وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [البقرة : ٩٨] ؟

ج : خُصا بالذكر تشريفًا لهما وبيانًا لفضلهما ، فهو عطف للخاص على العام لبيان شرفهما وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر وعلي رضي الله عنهما يوم بدر : « مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال » .

● وقيل خُصًّا بالذكر ، لأن اليهود ذكروهما ، وفرقوا بينهما في المحبة فقالوا : جبريل عدو اليهود من الملائكة ، وميكال هو وليهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل جبريل أفضل أم ميكائيل عليهما السلام ؟

ج : رأى عدد من أهل العلم أن جبريل أفضل واستدل له الرازي بوجوه منها :

● **الأول :** أن الله تعالى قدم جبريل عليه السلام في الذكر ، وتقديم المفضول على الفاضل في الذكر مستقبح عُرفًا فوجب أن يكون مستقبحًا شرعًا .

● وثانيها : أن جبريل عليه السلام ينزل القرآن والوحي والعلم وهو مادة

بقاء الأرواح وميكائيل ينزل بالخصب والأمطار وهي مادة بقاء الأبدان ، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل .

● **وثالثها :** قوله تعالى في صفة جبريل : ﴿ مطاع ثَمَّ أمين ﴾ [التكوير : ٢١] ذكره بوصف المطاع على الإطلاق ، وظاهره يقتضي كونه مطاعًا بالنسبة إلى ميكائيل فوجب أن يكون أفضل منه والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقع الواو في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا .. ﴾ [البقرة : ١٠٠] ؟

ج : الواو هي واو العطف ، دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة : ٥٠] وقوله تعالى : ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ [يونس : ٤٢] وكما في قوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ [الكهف : ٥٠] وكما تدخل على ثمَّ كما في قوله تعالى : ﴿ أثمَّ إذا ما وقع آمنتم به ﴾ [يونس: ٥١] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم ﴾ وما هو العهد الأخير الذي نقضوه ؟

ج : المراد – والله أعلم – الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه وتوبيخهم على هذا الصنيع أما العهد الأخير الذي نقضوه في قوله تعالى : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم ﴾ [البقرة : ١٠٠] فهو ما كانوا يقولونه قبل

مبعث رسول الله ﷺ لئن خرج نبي اتبعناه .

❋ ❋ ❋

س : هل كل اليهود نابذون للعهود أو أكثرهم أو أقلهم ؟

ج : ليسوا كلهم لقوله تعالى : ﴿ نبذه فريق منهم ﴾ [البقرة : ١٠٠] ولكن أكثرهم نابذون للعهود والمواثيق كما قال تعالى : ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] .

● ولقوله تعالى : ﴿ ولا تزال تطلع على خائنةٍ منهم إلا قليلًا منهم ﴾ [المائدة : ١٣] .

● وقال تعالى : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ١١٠] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : يجب الحذر غاية الحذر من اليهود فإن من دأبهم الغدر ومن شيمهم نقض العهود والمواثيق ، دلل على هذا ؟

ج : أخبرنا الله عز وجل عن حال اليهود فقال سبحانه : ﴿ أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] ، وقال سبحانه : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ [المائدة : ١٣] وقال عز وجل ﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلًا منهم ﴾ [المائدة : ١٣] .

❋ ❋ ❋

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

اتبعوا – تتلوا – على ملك سليمان – فتنة – بإذن الله – لمن اشتراه – خلاق – شروا به أنفسهم – لو كانوا يعلمون ؟

ج :

الكلمة	معناها
اتبعوا	اتبعوا الشيء ساروا وراءه وفضّلوه

الكلمـــة	معنـاهـــــا
تتلوا	تحدث وتروي – تقرأ – تتقول
على ملك سليمان	في عهد مُلك سليمانِ – (عن ملك سليمان) أي ما تفتريه عن ملك سليمان
فتنة	ابتلاء واختبار
بإذن الله	بقضاء الله
لمن اشتراه	لمن اختار السحر
خلاق	نصيب
شروا به أنفسهم	باعوها
مثوبة	من الثواب أي الثواب خير لهم ، فالمثوبة الثواب والجزاء والأجر ، ومعنى لمثوبة أي لأثيبوا مثوبة أي لنالوا أجرًا
لو كانوا يعلمون	لو كانوا ينتفعون بالعلم

✵ ✵ ✵

س : قال تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١٠١] من هو الرسول ، وما هو كتاب الله الذي نبذوه ؟

ج : الرسول هو محمد ﷺ والكتاب الذي نبذوه هو التوراة ، والمعنى لما جآءهم رسول الله ﷺ موافقًا للتوراة وأوصافه موافقه للأوصاف التي فيها وأفعاله وأقواله كذلك نبذوا التوراة لذلك ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من ترك الحق ابتلي باتباع الباطل اذكر دليلًا على ذلك ؟

ج : أما الدليل فهو أن بني إسرائيل لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان كما أخبر بذلك الله عز وجل فقال سبحانه : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ... ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] .

* * *

س : من هم الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ؟

ج : هم فريق اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] .

● **قال ابن جرير الطبري رحمه الله** : يعني بقوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى

وراء ظهورهم تجاهلًا منهم وكُفرًا بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزلٌ من عنده على نبيه ﷺ ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه ، وذلك هو الخسار والضلال المبين .

● **وقال القرطبي رحمه الله :** هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضًا وهم اليهود .

❋ ❋ ❋

س : هل اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان أم أسلافهم ؟

ج : الجواب أن الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم هم الذين اتبعوا ما تلته الشياطين على ملك سليمان سواء كانوا من اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ أم من أسلافهم الذين تقدموهم .

● فاليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ حاججوه بالتوراة وخاصموه بها فلما رأوا أن التوراة موافقة للقرآن وفيها صفة رسول الله ﷺ وصفة مبعثه وصفة ما جاء به نبذوا التوراة وراء ظهورهم وذهبوا يتحاكون افتراءات افترتها الشياطين على ملك سليمان وأكاذيب اختلقتها الشياطين عليه .

● وأسلافهم من اليهود كذلك فشا فيهم السحر اتباعًا منهم لما تلته الشياطين على ملك سليمان وتركًا للتوراة وللعمل بها .

وهذا القول بالعموم هو الذي اختاره الطبري رحمه الله تعالى فقال : والصواب من القول في تأويل قوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين

أدركوا رسول الله ﷺ فجحدوا نبوته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله وهجرهم العمل به ، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى فأغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وإنما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود ، ولا دلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله : ﴿ واتبعوا ﴾ بعضًا منهم دون بعض إذ كان جائزًا فصيحًا في كلام العرب إضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ إلى أخلافهم بعدهم ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول ولا حجة تدل عليه فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال : كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية على النحو الذي قلنا ، والله أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

ج : المعنى باختصار أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته على ملك سليمان وقيل: إن المعنى واتبعوا ما تلته الشياطين[١] في عهد ملك سليمان فقال هذا الفريق: إن (على) تأتي بمعنى (في) ، و (في) تأتي بمعنى (على) أحيانًا

(١) أي الشياطين الموجودون على عهد ملك سليمان عليه السلام فالحاصل أن من العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان عليه السلام ومن العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان عليه السلام وقالوا : هذه الشعوذات وصنوف السحر هي التي كان يحكم بها سليمان ويسخر بها الجن .

كما في قول فرعون : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ [طه : ٧١] أي على جذوع النخل .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي تلته الشياطين على ملك سليمان عليه السلام ؟ اذكر بعض الآثار في ذلك ؟

ج : تدور أكثر أقوال المفسرين على أن الذي تلته الشياطين على ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ونسبوها إلى سليمان عليه السلام ، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن ، على تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهاتٍ لهم ، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلى قائليها .

● أثر ابن عباس رضي الله عنهما

أخرجه الطبري(١) من طريق أبي السائب السوائي قال : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يُقال لها جَرادَة ، وكانت من أكرم نسائه عليه ، قال : فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدًا ، قال : وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئًا من نسائه أعطى الجرادة خاتمه فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يومٍ خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي فأخذه فلبسه ، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس ، قال : فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي ! فقالت: كذبت لست بسليمان ! قال: فعرف سليمان

---

(١) هو عند الطبري (١٦٦٠) ، وأبو السائب السوائي هو سلم بن جنادة .

أنه بلاء ابتلي به قال : فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرأوها على الناس وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ! قال فبرىء الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمدًا ﷺ فأنزل جل ثناؤه : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ [البقرة : ١٠٢] فأنزل الله عز وجل عذره وهذا إسناد حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما .

● ومن طريق[1] أبي أسامة عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أيضًا قال : كان[2] آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا من كل سطرين سحرًا وكفرًا وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل بها ، قال : فأكفره جهال الناس وسبوه ، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبوه حتى أنزل الله على محمد ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ... ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● أثر قتادة رحمه الله

أخرج الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قوله : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ من الكهانة والسحر ، وذكر لنا - والله أعلم - أن الشياطين ابتدعت كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيم ثم أفشوه في الناس

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في « التفسير » (٩٨٨) .
(٢) في الأصل (قال) والصواب ما أثبتناه .
(٣) الطبري (١٦٥٢) .

وعلموهم إياه .

• أثر أبي مجلز رحمه الله

أخرج الطبري بإسناد صحيح[1] إلى أبي مجلز رحمه الله قال : أخذ سليمان من كل دابة عهدًا فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد خُلِّي عنه فرأى الناس السَّجع والسحر ، وقالوا : هذا كان يعمل به سليمان ، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وهذه الآثار كما رأيت ثابتة إلى قائليها لكن الله أعلم من أين أخذها قائلوها والظاهر أنهم تلقوها من الروايات الإسرائيلية المنقولة عن أهل الكتاب، والله أعلم .

* * *

س : ما هو وجه نفي الكفر عن سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

ج : ذلك لأن اليهود – عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة – وصفوا سليمان عليه السلام بأنه ساحر واتهموه بالسحر ، ونسبوا السحر الذي اختلقته الشياطين إليه ، ومن ثم كفَّروه ، فبرأه الله عز وجل من ذلك ونفى عنه هذا الكفر الذي قذفوه به ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل كان هناك سحر قبل عهد سليمان عليه السلام ؟ ولماذا خصَّ سليمان عليه السلام بالذكر في قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ ؟

ج : نعم كان هناك سحر قبل سليمان عليه السلام ، فقد كان السحر

---

(١) أخرجه الطبري (١٦٦١) بإسناد صحيح عنه .

متفشيًّا على عهد موسى ﷺ قال تعالى : ﴿ وجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ [الشعراء : ٣٩] ، وقبل قوم فرعون أيضًا كان السحر موجودًا فقد وصف الكفار من قوم نوح نوحًا عليه السلام بأنه ساحر .

● أما لماذا خصَّ سليمان عليه السلام بالذكر ، فهذا لأن اليهود نسبوا السحر إليه فأراد الله عز وجل تبرئته وإظهار أنهم اتبعوا السحر المختلق في عصره والمنسوب إليه كذبًا وزورًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف السحر ؟

ج : السحر عند كثير من أهل العلم عبارة عن التمويه والتخييل والخداع لإظهار الشيء على خلاف ما هو عليه بأمور يفعلها الساحر وحركات يصطنعها ، وها هي بعض الأقوال لأهل العلم في تعريفه .

قال الطبري رحمه الله تعالى[1] : واختلف في معنى « السحر » . **فقال بعضهم** : هو خُدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر ، حتى يُخيَّل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به ، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته . وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا ، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه . قالوا : فكذلك المسحور ذلك صفته : يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر ، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته ، كالذي : -

حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع ، قالا : حدثنا يحيى بن

---

(١) تفسير الطبري (٤٣٦/٢) .

سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن النبي ﷺ لما سُحر ، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء و لم يفعله .

حدثنا ابن وكيع[١] قال : حدثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : سَحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله .

حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يُحدِّثان : أن يهود بني زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله ﷺ ، فجعلوها في بئر حزم ، حتى كان رسول الله ﷺ ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا فأرسل رسول الله ﷺ إلى بئر حزم التي فيها العقد فانتزعها . فكان رسول الله ﷺ يقول : سحرتني يهود بني زريق[٢] .

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته ، واستسخار شيء من خلق الله – إلَّا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم – أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخداع المتخيلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التي وصفنا . وقالوا : لو كان في وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هي به من الهيئات ، لم يكن بين الحق والباطل فصل ، ولجاز أن يكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها . قالوا : وفي وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله : ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [طه : ٦٦] ، وفي خبر عائشة عن رسول الله ﷺ أنه كان إذ سُحر يخيل

(١) ابن وكيع (وهو سفيان بن وكيع) متكلم فيه لوراق السوء الذي كان عنده ، لكن الحديث ثابت صحيح وسيفرد له سؤال مستقل إن شاء الله .

(٢) هذا مرسل وسيأتي خبر سحر رسول الله ﷺ عن قريب إن شاء الله .

إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين - أن الساحر ينشىء أعيان الأشياء بسحره ، ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بني آدم ، كالموات والجماد والحيوان - وصحة ما قلنا .

وقال آخرون : قد يقدر الساحر بسحره أن يحوِّل الإنسان حمارًا ، وأن يسحر الإنسان والحمار ، وينشىء أعيانًا وأجسامًا، واعتلوا في ذلك بما : -

حدثنا به الربيع بن سليمان قال ، حدثنا ابن وهب قال ، أخبرنا بن أبي الزناد قال ، حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك[1] ، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به . قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها[2] ! كانت تبكي حتى إنِّي لأرحمها ! وتقول : إني لأخاف أن أكون قد هلكت ! كان لي زوج فغاب عني ، فدخلت عليَّ عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ما آمرك به ، فأجعله يأتيك ! فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل[3] فإذا برجلين

---

(١) يقال : « كان ذلك في حدثان كذا وكذا » (بكسر فسكون) ، و « في حداثته » : أي على قرب عهد به .

(٢) يشفيها : أي يجيبها بما يبلغ بها سكينة القلب فتبرأ من حيرتها . ومنه : « شفاء العي السؤال » والجهل والحيرة مرض يسقم القلوب والنفوس .

(٣) في ابن كثير ١ : ٢٦٠ : « فلم يكن شيء » ، والصواب ما هنا وفي « الدر المنثور » (١ : ١٠١) وقولها : « فلم يكن كشيء » عبارة جيدة ، بمعنى : لم يكن ما مضى كشيء يعد ، بل أقل من القليل والعرب تقول : تأخرت عنك شيئًا ، أي قليلًا . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة . =

معلَّقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلَّمُ السحر ! فقالا : إنما نحن فتنةٌ ، فلا تكفري وارجعي . فأبيت وقلت : لا . قالا : فَاذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه[1] فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ قلت : نعم ، فقالا : فهل رأيت شيئًا ؟ قلت : لم أر شيئًا ! فقالا لي : لم تفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأرببتُ وأبيتُ[2] ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه فذهبت فاقشعرَرْت ، ثم رجعت إليهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟ فقلت : لم أر شيئًا . فقالا : كذبت لم تَفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري ، فإنك على رأس أمرك[3] ! فأرببتُ وأبيتُ ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه . فذهبت إليه فبلت فيه ، فرأيت فارسًا مُتقنعًا بحديد خرج مني حتى ذَهب في السماء ، وغاب عني حتى ما أراه . فجئتهما فقلت : قد فعلت ! فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : فارسًا متقنعًا خرجَ منِّي فذهب في السماء حتى ما أراه[4]. فقالا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك ، اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئًا ! وما قالا لي شيئًا فقالت : بلى ، لن تريدي شيئًا إلا كان ! خذي هذا القمح فابذري فبذرت ، وقلت : أطلعي ! فأطلعت ، وقلت : أحقلي !

= وَقَالَتْ لَهُنَّ: آرْبَعْنَ شَيْئًا، لعلَّنِي وَإِنْ لَامَنِي فِيمَا ارتأَيْتُ مُليم
أي قفن قليلًا . ويقولون في مثل ذلك أيضًا : « لم يكن إلا كلًّا ولا » ، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة .

(١) في المطبوعة : « فقالا ، اذهبي .... » ، وأثبت ما في الدر المنثور وابن كثير ، فهي أجود .

(٢) في المطبوعة : « فأبيت » بحذف « فأرببت » . وأرب بالمكان لزمه و لم يبرحه والزيادة من ابن كثير في الموضعين . قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(٣) يقال : أنت على رأس أمرك ، وعلى رئاس أمرك : أي في أوله وعلى شرف منه . وزعم الجوهري أن قولهم : « على رأس أمرك » من كلام العامة ، وهذا الخبر ينقض ما قال .

(٤) في تفسير ابن كثير والدر المنثور : « فرأيت فارسًا » ، وما هنا صواب جيد .

فأحقلت ، ثم قلت : أفرِكِي ! فأفركت ، ثم قلت : أيبسي ! فأيبست ، ثم قلت : أطحني ! فأطحنت ، ثم قلت : أخبزي ، فأخبزت[1] . فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان ، سُقط في يدي وندمتُ والله يا أم المؤمنين ! والله ما فعلتُ شيئًا قط ولا أفعله أبدًا[2] !

---

(١) في هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة ، سأذكرها في مدرج شرحها . « أطلعي فأطلعت » أي أخرجي شطأك ، من قولهم : أطلع الزرع ، إذا بدا أول نباته من الأرض . « أحقلي فأحقلت » . أي أخرجي حقلك . والحقل : الزرع إذا استجمع خروج نباته . أحقل الزرع : تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه . « أفركي فأفركت » أي كوني فريكًا . وهو حب السنبلة إذا اشتد وصلح أن يفرك . أفرك السنبل : صار فريكًا ، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل . و « أيبس فأيبست » أي كوني حبًا يابسًا ، أيبس البقل : يبس وجف . « أطحني فأطحنت » . أي كوني طحينًا . ولم يرد في كتب اللغة : « أطحن » ، ولكنها أتبعت هذا الحرف ما مضى من أخواته ، وهي عربية سليمة ماضية على سنن اللغة في هذا الموضع « أخبزي فأخبزت » ، أي كوني خبزًا يؤكل ، وهذه أيضًا لم ترد في كتب اللغة ، ولكنها عريقة كأختها السالفة . وقد قال ابن كثير : أن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة ، وأن الحاكم صححه ، فإن كان ذلك كما قالا ، فلا شك في عربية هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضًا .

(٢) الخبر : ١٦٩٥ – مضت قطعة منه ، بإسناد آخر إلى ابن أبي الزناد : ١٦٩١ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير (١ : ٢٦٠ ، ٢٦١) ، بطوله ، عن الطبري . وقدم له بكلمة ، قال : « وقد ورد في ذلك أثر غريب ، وسياق عجيب في ذلك . أحببنا أن ننبه عليه » . ثم قال بعد نقله :

« فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها » . وذكر أنه رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان ، بأطول منه .

وذكره السيوطي (١ : ١٠١) ، ونسبه أيضًا للحاكم وصححه . والبيهقي في سننه .

وهي قصة عجيبة ، لا ندري أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة ؟ أما عائشة فقد صدقت في أن المرأة أخبرتها . والإسناد إلى عائشة جيد ، بل صحيح .

الربيع بن سليمان : هو المرادي المصري المؤذن ، صاحب الشافعي وراوية كتبه ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم (٤٦٤/٢/١) . ابن أبي الزناد : هو « عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان » ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة ، في روايته عن أبيه ، وفي رواية البغداديين عنه . والحق أنه ثقة ، وخاصة في حديث =

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا ، واعتلُّوا بما ذكرنا ، وقالوا : لولا أن الساحر يقدرُ على فعل ما ادَّعى أنه يقدر على فعله ، ما قَدر أن يُفرِّق بين المرء وزوجه قالوا : وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يَتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه . وذلك لو كان على غير الحقيقة ، وكان على وجه التخييل والحُسبان ، لم يكن تفريقًا على صحة ، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة .

وقال آخرون : بل « السحر » أخذٌ بالعين .

وقال البغوي رحمه الله تعالى [1] : قيل معنى السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى : ﴿ وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾ [الزخرف : ٤٩] أي العالم ، **والصحيح** أن السحر عبارة عن التمويه والتخييل ، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة وعليه أكثر الأمم ولكن العمل به كفر .... ثم قال رحمه الله: وقيل إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة حمار ويجعل الحمار على صورة الكلب ، والأصح أن ذلك تخييل ، قال الله تعالى : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ [طه : ٦٦] لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون ، وللكلام تأثير في الطباع والنفوس ، وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحمي ويغضب ، وربما يُحم منه ، وقد مات قوم سمعوه فهو بمنزلة العوارض

= هشام بن عروة . فقد قال ابن معين – فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره – « أثبت الناس في هشام بن عروة : عبد الرحمن بن أبي الزناد » . وقد وثقه الترمذي وصحح عدة من أحاديثه ، بل قال في السنن (٣ : ٥٩) ، في حديث له صححه ، وفيه حرف لم يروه غيره ، فقال : « وإنما ذكره عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو ثقة حافظ » .

قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى قلت : وإطلاق القول بتوثيق ابن أبي الزناد فيه نظر ، ولكن من صحح روايته عن هشام بن عروة فله سلفٌ قوي كما أشار إليه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(١) تفسير البغوي (١٢٨/١) .

والعلل التي تؤثر في الأبدان .

وقال القرطبي رحمه الله :

الثالثة – السحر ؛ قيل : السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني ، فُيخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به ؛ كالذي يرى السراب من بعيد فيُخيَّل إليه أنه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه . وقيل : هو مشتق من سَحرتُ الصَبيَّ إذا خدعته ، وكذلك إذا علَّلته . والتسحير مثله ؛ قال لَبيد .

فإنْ تسألينا فيم نحن فإننا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّرِ

آخر .

أُرانا مُوضعين لأمر غيبٍ ونسْحَرُ بالطعام وبالشراب
عصافير وذبَّانٌ ودُودٌ وأجرأ من مُجلِّحة الذئاب

وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت من المسحرين ﴾ [الشعراء : ١٨٥] يقال المسحر الذي خُلق ذا سحر ، ويُقال من المعلِّلين أي ممن يأكل الطعام ويشرب الشراب .

وقيل أصله الخفاء ، فإن الساحر يفعله في خفية ، وقيل أصله الصَّرف ، يقال ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه فالسحر مصروف عن جهته ، وقيل أصله الاستمالة، وكلُّ من استمالك فقد سحرك ، وقيل في قوله تعالى : ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٥] أي سُحرنا فأُزلنا بالتخييل عن معرفتنا ، وقال الجوهري : السحر الأُخذة ، وكلُّ ما لطف مأخذه ودقَّ فهو سحر ، وقد سحره يسحره سحرًا ، والساحر العالم ، وسحره

أيضًا بمعنى خدعه ، وقد ذكرناه ، وقال ابن مسعود : كنا نسمي السحر في الجاهلية العِضَه ، والعَضِةُ عند العرب شدة البهت وتمويه الكذب ، وقال الشاعر :

أعـوذ بربِّـي مـن النَّافثـات في عِضَـهِ العاضِـه المُعْضِـه

وقال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل ص ٢١٣/٢) :

واعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجري مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله ، قال تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ [الأعراف : ١١٦] يعني موَّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى ، وقد يستعمل مقيدًا فيما يُمدح ويُحمد كما قال رسول الله ﷺ لعمرو بن أهتم : « إن من البيان لسحرًا » لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته ، وبالجملة فالسحر المطلق إنما هو تخييل بشعوذة صارفة للأبصار أو تمتمة مزخرفة عائقة للأسماع فلا يغير حقائق الأشياء ولا ينقل الصور .

وقال الجزائري في تفسيره : السحر هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم .

وقال صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان) :

﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ وهو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء ، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير ، وهو مشتق من سحرت الصبيَّ إذا خدعته ، وقيل أصله

الخفاء فإن الساحر يفعله خفية ، وقيل أصله الصرف ، لأن السحر مصروف عن جهته ، وقيل أصله الاستمالة لأن من سحرك استمالك ، وقال الجوهري : السحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، والساحر العالم .

وقال الغزالي : السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم ، فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور ، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين ، وتحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور انتهى ، وقد ذكر أبو السعود أنواعًا من السحر فليرجع إليه .

● **وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره :** والسحر في اللغة العربية يطلق على كل شيء لَطُفَ مأخذه ودقَّ ، ويطلق كذلك على الصَّرف والتحويل عن الجهة المعتادة والتمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء فيخيَّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به في الواقع كالذي يرى السراب من بعيد فيخيَّل إليه أنه ماء ، وكالذي يركب مركبًا شديد السرعة (كالقطار) إذا كان طريقه بين أشجار أو منازل أو غيرها من الأشياء الثابتة فَيُخَيَّلُ إلى راكبه أنه واقف وأن الأشجار أو المنازل أو الجبال هي التي تجري ، كما يطلق السحر على الخداع من قولهم : سحرت الصبيَّ إذا كان قد خدعه ومنه قول لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإنّنا عصافير من هذا الأنام المسحَّر

كما يطلق السحر على الاستمالة بقوة البيان ومنه قول رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحرًا »[1] الذي رواه البخاري . كما كان يطلق على

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا وكذلك =

الساحر اسم العالم حيث كانت مدارس تعليمه في مصر أيام فرعون موسى قد بلغت حدًّا لم يعرف في التاريخ أنه بلغه أحد بعدهم أو قبلهم ، كما كانت مدارسه في جزيرة العرب قبل الإسلام ، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه في قصة أصحاب الأخدود والراهب والساحر . وقد يكون السحر برقى شيطانية وطلاسم ونفث في عقد ، وهو سحر أهل بابل من عهد إبراهيم عليه السلام وكانوا يعبدون الكواكب ، وقد يكون السحر بخفة اليد كالشعوذة ، ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة للتأثر ولذلك نهى الأطباء المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر ، كما نُهي المصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللَّمعان والدَّوران . كما أن بعض السحرة قد يستعين بالمغناطيس ونحوه ، وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد ، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله .

* * *

س : اذكر بعض أنواع السحر ؟

ج : ذكر الرازي رحمه الله تعالى بحثًا طويلًا في أنواع السحر ، وحصرها في ثماينة أنواع وها هي باختصار .

● **الأول :** سحر الكلدانيين والكسدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مُبطلًا لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذاهبهم .

= أخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا .

قلت : ولم يتضح لي وجه هذا السحر ولا كيفيته .

الثاني : سحر أصحاب الأوهام ، ومثّل له الرازي برجل يمر على جذعٍ وهذا الجذع له حالان ، الحال الأول أنه موضوع على الأرض فالرجل يمرُّ عليه بسهولة ويسر ، والثاني أن الجذع موضوع كالجسر وتحته هاوية فحينئذٍ يتخيل المار أنه سيسقط في الهاوية فيتعذر عليه المرور من فوق الجسر .

وقال الرازي أيضًا : اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف[1] عن النظر إلى الأشياء الحمر ، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللمعان والدوران ، وما ذاك إلا أن النفوس خلقت مطيعة للأوهام فحاصل هذا النوع أن الساحر يخدع أصحاب النفوس الضعيفة والأوهام .

الثالث من أنواع السحر : الاستعانة بالجن لوصول الساحر إلى مراده[2] .

الرابع : التخيلات والأخذ بالعيون كمن يركب شيئًا سريعًا كقطار أو طائرة أو سيارة مثلًا ويظن أن الأشجار تجري من حوله ، وهو الذي يجري في الحقيقة ونورد هذا النوع والأنواع التي بعده بتمامها كما قال الرازي رحمه الله ، فقد قال :

النوع الرابع من السحر : التخيلات والأخذ بالعيون ، وهذا الأخذ مبني على مقدمات : إحداها : أن أغلاط البصر كثيرة فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركًا . وذلك يدل على

---

(١) هو المصاب بالرعاف .

(٢) قال الرازي : ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد فهذا النوع من السحر المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن .

أن الساكن يرى متحركًا والمتحرك يرى ساكنًا ، والقطرة النازلة ترى خطًّا مستقيمًا ، والذبالة التي تدار بسرعة ترى دائرة والعنبة ترى في الماء كبيرة كالإجاصة ، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيمًا ، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيمًا فإذا فارقته وارتفعت عنه صغرت ، وأما رؤية العظيم من البعيد صغيرًا فظاهر ، فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أن القوة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة ، وثانيها : أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوسات وقوفًا تامًّا إذا أدركت المحسوس في زمانٍ له مقدار ما ، فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدًّا ثم أدركت بعده محسوسًا آخر وهكذا فإنه يختلط البعض ولا يتميز بعض المحسوسات عن البعض وذلك فإن الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطًا كثيرة بألوان مختلفة ثم استدارت فإن الحس يرى لونًا واحدًا كأنه مركب من كل تلك الألوان ، وثالثها : أن النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر ولا يشعر الحس به البتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان آخر ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه ، لما أن قلبه مشغول بشيء آخر ، وكذا الناظر في المرآة فإنه ربما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكبر منها إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرآة ، وربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئًا مما في المرآة ، إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر ، وذلك لأن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئًا آخر عملًا بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيًّا لتفاوت الشيئين ، أحدهما : اشتغالهم بالأمر الأول ، والثاني سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدًّا ، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد

أن يعلمه ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله ، فهذا هو المرادِ من قولهم : إن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ العيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق في عمله ، وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعًا من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن ، مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدًا ، فإن الضوء يفيد البصر كلالًا واختلالًا ، وكذا الظلمة الشديدة وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالًا واختلالًا ، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها ، فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر .

النوع الخامس من السحر : الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى : مثل فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسه أحد ، ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان ، حتى يصورونها ضاحكة وباكية ، حتى يفرق فيها بين ضحك السرور وبين ضحك الخجل وضحك الشامت ، فهذه الوجوه من لطيف أمور المخايل ، وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب ، ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ، ويندرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجر ثقيلًا عظيمًا بآلة خفيفة سهلة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر ، لأن لها أسبابًا معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها ، إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسيرًا شديدًا لا يصل إليه إلا الفرد بعد الفرد لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر ، ومن هذا الباب عمل « أرجعيانوس »

الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أنه كان مختارًا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخًا من فراخ البراصل ، والبراصل هو طائر عطوف وكان يصفر صفيرًا حزينًا بخلاف سائر البراصل وكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ وعلم أن في صفيره المخالف لصفير البراصل ضربًا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ ، لأنها تظن أن هناك فرخًا من جنسها فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها « أسطرخس » الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر صوب البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلىء تلك القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع .

النوع السادس من السحر : الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلت فطنته . واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق[1] .

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى : « عمدة التفسير » (ص ٢٠٣) : يدخل =

النوع السابع من السحر : تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة ، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثرًا عظيمًا في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار(١) .

النوع الثامن من السحر : السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس ، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه(٢) ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هيَ منزلة السحر بين الذنوب ؟ وما حكم الساحر ؟ وما حدُّه ؟

ج : السحر من كبائر الذنوب ، وذلك لأن النبي ﷺ ثناه بالشرك ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال :

= في هذا القبيل كثير ممن يدعي الفقر ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص مُدعيًا أنها أحوال له من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات .

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : هذا النمطُ يقال له : (التنبلة) وإنما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم – وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه فإذا كان المتنبل حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره .

(٢) قلت : ويلحق به البيان الحسن (الأسلوب الحسن) فقد قال النبي ﷺ : « إن من البيان لسحرًا » .

الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »[1].

● **ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر** لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

● **وكذلك حكم الساحر فمن العلماء** مَن ذهب إلى أنه مرتكب لكبيرة ومنهم من ذهب إلى أنه كافر ، ومن العلماء من فصَّل في ذلك .

● **قال النووي رحمه الله** : إن كان في السحر قول أو فعل يقتضي الكفر كفر الساحر وتُقبل توبته إذا تاب عندنا ، وإن لم يكن في سحره ما يقتضي الكفر عزِّر واستتيب .

● **وقال القرطبي رحمه الله** : وقال بعض العلماء : إن قال أهل الصناعة : إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار أو تعظيم الشيطان فالسحر إذًا دالٌّ على الكفر على هذا التقدير ، والله أعلم .

● **وقال صديق حسن خان (في فتح البيان في مقاصد القرآن)** : وفي قولهما : ﴿ فلا تكفر ﴾ أبلغ إنذار وأعظم تحذير أي أن هذا ذنب يكون من فعله كافرًا فلا تكفر ، وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر ، وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد ، وبين من تعلَّمه ليكون ساحرًا ومن تعلمه ليقدر على دفعه ، وبه قال أحمد .

● **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ١٠/٢٣٥)** : وقد استدل بهذه الآية[2] على أن السحر كفر ومتعلمه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٨٩) .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان =

كافر ، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب ، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلَّمه أصلًا قال النووي : عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرًا ومنه ما لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه حرام ، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل فإن تاب قبلت توبته ، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزِّر ، وعن مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق ، قال عياض وبقول مالك قال أحمد وعياض وجماعة من الصحابة والتابعين . اهـ ، وفي المسألة اختلاف كثير وتفاصيل ليس هذا موضع بسطها ، وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره ، وإما لإزالته عمن وقع فيه ، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإن سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعًا كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان ، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعلٍ بخلاف تعاطيه والعمل به ، وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلًا ، وإلا جاز للمعنى المذكور .

أما حدُّ الساحر: فقد رأي فريق من أهل العلم أن الساحر يقتل لحديث: «حد الساحر ضربة بالسيف» لكن هذا الحديث ضعيف ولا يثبت عن رسول الله ﷺ.

واستدلوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] قالوا فدل ذلك على أن السحر كفر ومن ثم يقتل فاعله .

= ولكن الشياطين كفروا .. ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

واستدلوا أيضًا بأنه روي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم قتل الساحر .

● ومن العلماء من فصَّل في حد الساحر فنظر في تفصيله إلى طريقة السحر التي سحر بها وإلى النتيجة من وراء هذا السحر ، فإن سحر بنفسه بكلام يكون كفرًا فيُقتل حينئذٍ ولا يستتاب ولا تقبل توبته(1) .

● **قال القرطبي رحمه الله** : واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذِّمي فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلامٍ يكون كفرًا يُقتل ولا يُستتاب ولا تقبل توبته ، لأنه أمرٌ يستسر به كالزنديق والزاني ، ولأن الله تعالى سمى السحر كفرًا بقوله : ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة ، وروي قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين .. ثم قال رحمه الله : قال ابن المنذر : وإذا أقرَّ الرجل أنه سحر بكلامٍ يكون كفرًا وجب قتله إن لم يتب ، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ووصفت البينة كلامًا يكون كفرًا ، وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفرٍ لم يجز قتله . انتهى المراد .

قلت : ومن العلماء من فرَّق بين ساحر أهل الكتاب والساحر المسلم ، فذهب إلى أن ساحر أهل الكتاب لا يُقتل إلا إذا قتل بسحره ، لكنه يعاقب على قدر ما أحدث وألحق الضرر .

● قلت ويشهد لهم قوله تعالى : ﴿وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها﴾[الشورى: ٤٠]

---

(1) المراد بعدم قبول التوبة هنا قبولها في الظاهر أي لا يُدرأ عنه الحد لقوله إني تبت . وذلك ، لأن باب التوبة مفتوح لكل من أرادها لقول الله تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٢٤٧/١٠) :
لا يقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهري إلا أن يقتل بسحره فيقتل وهو قول أبي حنيفة والشافعي وعن مالك إن أدخل بسحره ضررًا على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله ، وإنما لم يقتل النبي ﷺ لبيد بن الأعصم ، لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ولأنه خشي إذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار وهو من نمط ما راعاه من ترك قتل المنافقين سواء كان لبيد يهوديًّا أو منافقًا على ما مضى من الاختلاف فيه ... انتهى المراد .

* * *

س : هل ثبت أن الرسول ﷺ سُحر ؟

ج : نعم وقد ثبت ذلك في الصحيحين[1] ففي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سُحر النبي ﷺ حتى إنه لُيخيلُ إليه أنه يفعل الشيء[2] وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال : « أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ » قلت : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : « جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليَّ ثم قال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال مطبوب[3] ، قال : ومن طبَّهُ ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق ، قال في ماذا ؟ قال في مُشط ومشاطة[4] وجُف طلعةٍ ذكر ، قال

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٦٥ ، ٥٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٢١٨٩) .
(٢) في رواية للبخاري : حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن .
(٣) مطبوب أي مسحور .
(٤) المشاطة هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحهما وتمشيطهما .

فأين هو ؟ قال في بئر ذي أروان[1] ، قال فذهب النبي ﷺ في أُناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشة فقال : والله لكأن ماءها نُقاعة[2] الحِناء ، ولكأن نخلها رءوس الشياطين ، قلت يا رسول الله أفأخرجته[3]؟ قال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وكرهت أن أثوِّر

---

(١) في رواية في بئر (ذروان) .

(٢) نقاعة الحناء هي الماء الذي تُنقع فيه الحناء ، والحناء معلومة وهي التي تستعمل في الخضاب .

(٣) في هذه الرواية (**أفأخرجته**) وفي رواية أخرى في البخاري أيضًا (٥٧٦٥) قالت : (فأتى النبي ﷺ البئر **حتى استخرجه** فقال : « هذه البئر التي أريتها ، وكأن ماءها نُقاعة الحناء وكأن نخلها رءوس الشياطين » **قال فاستخرج** ، قالت : فقلت : **أفلا – أي تنشَّرت –**؟ فقال « أما والله فقد شفاني وأكره أن أُثير على أحدٍ من الناس شرًّا » .

● وفي رواية ثالثة للبخاري (٥٧٦٣) : قلت يا رسول الله (أفلا استخرجته) قال : قد عافاني الله ، فكرهت أن أُثير على الناس فيه شرًّا فأمر بها فدُفنت .

● وفي رواية مسلم (قالت فقلت يا رسول الله **أفلا أحرقته ؟** قال : لا أمَّا أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أُثير على الناس شرًّا فأمرتُ بها فدفنت » وفي رواية أخرى لمسلم : وقالت قلت يا رسول الله **فَأَخْرِجه** .

● ورجَّح الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى رواية سفيان بن عيينة (التي هي فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه فقال : « هذه البئر التي أُريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين » قال : فاستخرج قالت فقلت : أفلا – أي تنشَّرت –؟ فقال : « أما والله فقد شفاني وأكره أن أُثير على الناس شرًّا » .

● وأورد الحافظ ابن حجر رحمه الله وجهًا آخر عن بعض العلماء حاصله أن الاستخراج المنفي غير الاستخراج المثبت ، فالمثبت هو استخراج الجف ، والمنفي استخراج ماحواه ، قال : وكأن السر في ذلك أن لا يراه الناس فيتعلمه من أراد استعمال السحر .

● هذا وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله : (أفلا أحرقته) يرجع الضمير فيه إلى لبيد بن الأعصم الذي سحر رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

على الناس منه شرًّا وأَمَرَ بها فدُفنت » .

✵ ✵ ✵

س : اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على حديث السحر وكيف تم دفعها ؟

ج : أوجز الحافظ ابن حجر رحمه الله هذه الردود فقال في فتح الباري (١٠/٢٣٧ ، ٢٣٨) :

قوله : (حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله) .

قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ، قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .

قال المازري : وهذا كله مردود ؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل .

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض ؛ فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين ، قال : وقد قال بعض الناس : إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن ، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة .

قلت : وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه : « حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن » ، وفي رواية الحميدي : « أنه يأتي أهله ولا يأتيهم » ، قال الداودي : « يرى » بضم أوله أي : يظن ، وقال ابن التين : ضبطت « يرى » بفتح أوله .

قلت : وهو من الرأي لا من الرؤية ، فيرجع إلى معنى الظن ، وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق :« سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره » ، وعنده في مرسل سعيد بن المسيب : « حتى كاد ينكر بصره » ، قال عياض : فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده .

قلت : ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد : « فقالت أخت لبيد بن الأعصم : إن يكن نبيًّا فسيخبر ، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله » ، قلت : فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح ، وقد قال بعض العلماء : لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك ، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت ، فلا يبقى على هذا للملحد حجة ،وقال عياض : يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء ، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود ، ويكون قوله في الرواية الأخرى : « حتى كاد ينكر بصره » أي صار كالذي أنكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته ، فإذا تأمله عرف حقيقته ، ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولًا فكان بخلاف ما أخبر به .

وقال المهلب : صون النبي ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده ، فقد مضى في الصحيح أن شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه ،

فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام ، أو عجز عن بعض الفعل ، أو حدوث تخيل لا يستمر ، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين .

واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث : « أما أنا فقد شفاني الله » ، وفي الاستدلال بذلك نظر ، لكن يؤيد المدعي أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل : « فكان يدور ولا يدري ما وجعه » ، وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد : « مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان » الحديث .

* * *

س : ما معنى النُشرة ، وهل هي مشروعة أم لا ؟ وهل يُسئل الساحر حل السحر عن المسحور ؟

ج : النشرة هي نوع من العلاج يُعالج به من يُظن أن به سحرًا أو مسًّا من الجن .

أما هل هي مشروعة أم غير مشروعة ، فالذي يظهر لي بعد مراجعة ما ورد فيها أنها على أقسام .

- نشرة مشروعة وتكون بالرقى والأذكار والأدعية الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهذه مشروعة بلا شك ويلتحق بها نشرة لم يرد نصُّها في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، ولكنها أدعية وأذكار مفهومة معروفة فهذه أيضًا مشروعة لقول النبي ﷺ : « لا بأس بالرقى ما لم يكن شركًا » .
- نشرة غير مشروعة وهي بالتعاويذ الشركية والبدعية .

● نشرة بطلاسم وأذكار غير مفهومة فهذه تترك أيضًا خشية أن يكون بها شركًا والشخص لا يشعر ، والله تعالى أعلم .

● أما هل يُسأل الساحر حل السحر عن المسحور فقال القرطبي رحمه الله تعالى : أجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري(١) ، وإليه مال المُزني وكرهه الحسن البصري ، وقال الشعبي : لا بأس بالنشرة ، قال ابن بطال : وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى ، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله قلت : وهذا غير وارد عن رسول الله ﷺ ، ولا

---

(١) ذكر البخاري في صحيحه في كتاب «الطب» (مع الفتح ٢٤٣/١٠) باب هل يستخرج السحر ، قال : وقال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب - أو يؤخذ عن امرأته ، أيحلُّ عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم يُنه عنه .

كذا ذكره البخاري معلقًا ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريق أبان العطار عن قتادة ، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه ؟ فقال : « إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع » وأخرجه الطبري في « التهذيب » من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سحرٌ أن يمشي إلى من يطلق عنه فقال : هو صلاح ، قال قتادة وكان الحسن يكره ذلك يقول لا يعلم ذلك إلا ساحر ، قال فقال سعيد بن المسيب إنما نهي عما يضر ولم ينه عما ينفع .

● هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٢٤٦/١٠) : قال ابن القيم رحمه الله : من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة ، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يُخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له .

تتضح فيه صورة شرك فإن جُرِّب ونفع الله به فهو ذاك ، وإلا فالحجة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الفروق بين المعجزة والسحر ؟

ج : من هذه الفروق أن السحر يوجد من الساحر ومن غيره أما المعجزة فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثلها ومن هذه الفروق أن المعجزة يُستدل بها على توحيد الله عز وجل أما السحر فليس كذلك .

* * *

س : ما معنى ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠٢] وهل الملكان هما هاروت وماروت ؟ وإذا لم يكونا هاروت وماروت فمن هما ومن هما هاروت وماروت ؟

ج : أما ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ... ﴾ [البقرة : ١٠٢] فلأهل العلم فيها أقوال أشهرها ما يلي :

الأول : أن (ما) بمعنى (لم) أي أن (ما) هي (ما) النافية .

الثاني : أن (ما) بمعنى (الذي) .

الثالث : أن (ما) بمعنى (الذي) لكن المراد به (التفريق بين المرء وزوجه)(١) .

---

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر ١٦٧٤) قوله : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] ، فالسحر سحران سحرٌ تعلّمه الشياطين ، وسحرٌ يعلمه هاروت وماروت .

قلت : وحمل بعض العلماء السحر الذي يُعلّمه هاروت وماروت على التفريق بين المرء وزوجه .

الرابع : أن (ما) يجوز في هذا الموطن أن تكون بمعنى الذي ويجوز أن تكون بمعنى (لم)(١) .

● أما هاروت وماروت فمن العلماء من قال : إنهما الملكان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] وهما ملكان من الملائكة ابتلاهما الله عز وجل وابتلى بهما على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

● ومن العلماء من قال : إن هاروت وماروت رجلان مفسدان يعلمون الناس التفريق بين المرء وزوجه وصنوفًا أخرى من السحر ، وعلى هذا القول فالملكان هما جبريل وميكائيل .

❋ ❋ ❋

س : ما هو تأويل قول الله عز وجل ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] ؟

ج : تأويل هذا مبني على تفسير (ما) وعلى بيان المراد بالملكين وبيان من هما هاروت وماروت فلينظر إلى السؤال السابق مع جوابه ، وعليه فنقول :

● **بناء على أن (ما) بمعنى لم** قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تأويل القدر المذكور من الآية : واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴿ ببابل هاروت

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد رحمه الله – (١٦٧٨) وسأله رجل عن قول الله عز وجل : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠٢] فقال الرجل : يعلِّمان الناس ما أنزل عليهما ؟ أم يُعلِّمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ قال القاسم : ما أُبالي أيتهما كانت .

وماروت ﴾ فيكون حينئذٍ قوله : ﴿ ببابل هاروت وماروت ﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم ، فإن قال قائل - وكيف وجه تقديم ذلك ؟

قيل وجه تقديمه أن يُقال : واتبعوا من تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما أنزل اللَّه السحر على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيًا بـ (الملكين) جبريل وميكائيل ، لأن سحرة اليهود فيما ذُكر كانت تزعم أن اللَّه أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهما الله بذلك وأخبر نبيه محمدًا ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط ، وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر وأخبرهم أن السحر عمل الشياطين وأنها تعلّم الناس ذلك ببابل وأن اللذين يعلمانهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون ﴿ هاروت وماروت ﴾ على هذا التأويل ترجمةً على الناس وردًّا عليهم .

قلت : وهذا التأويل لا يخلو من تكلف وترد عليه إشكالات منها :

- أنه لا يوجد في الآية الكريمة ذكر لجبريل وميكائيل .
- والثاني أنه إذا كان هاروت وماروت على ما ذُكر لكان من حقهما الرفع هاروتُ وماروتُ .
- والثالث أن التقديم والتأخير على النحو المذكور فيه شيء من التعسف والتكلف .
- الرابع أن قوله تعالى : ﴿ يُعلمون ﴾ جمع وهاروت وماروت مثنى ، فهذا وجه النظر عندي في هذا التأويل ، قاله مصطفى .

وإن قلنا إن (ما) بمعنى (الذي) فقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى في تأويل الآية على هذا الوجه :

واتبعت اليهودُ الذي تلت الشياطين في ملك سليمان ، والذي أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما ملكان من ملائكة اللَّه عز وجل .

وانتصر ابن جرير الطبري رحمه اللّٰه لهذا الوجه فقال (٤٢٤/٢) : والصواب من القول في ذلك عندي قول من وجَّه ﴿ ما ﴾ التي في قوله : ﴿ وما أُنزل على الملكين ﴾ إلى معنى (الذي) دون معنى (ما) التي هي بمعنى الجحد ، وإنما اخترت ذلك من أجل أن (ما) إن وجِّهت إلى معنى الجحد تنفي عن (الملكين) أن يكونا منزلًا إليهما ، ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني (هاروت وماروت) من أن يكونا بدلًا منهما وترجمة عنهما أو بدلًا من الناس) في قوله : ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ وترجمة عنهما .

فإن جُعلا بدلًا من (الملكين) وترجمة عنهما بطل معنى قوله : ﴿ وما يعلِّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ ، لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يُفرِّق به بين المرء وزوجه فما الذي يَتعلَّم منهما من يفرق بين المرء وزوجه ؟ وبعد [1] فإن ما التي في قوله : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ إن كانت في معنى الجحد عطفًا على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ فإن اللّٰه جل ثناؤه نفى بقوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه فإن كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه ، وهاروت وماروت هما الملكان – فمن المتعلِّم منه إذًا ما يفرِّق به بين المرء وزوجه ؟ وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ ؟ إن خطأ هذا القول لواضحٌ بينٌ وإن كان قوله : ﴿ هاروت وماروت ﴾ ترجمة عن (الناس) اللذين في قوله : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس

---

(١) قوله هنا (وبعد) بمعنى أيضًا ، فقد تقدم أن لها معاني كما في قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [القلم : ١٣] أي : عتل مع ذلك .

السحر ﴾ فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر وتكون السحرة إنما تعلمت السحر من (هاروت وماروت) عن تعليم الشياطين إياهما ، فإن يكن ذلك كذلك فلن يخلو (هاروت وماروت) - عند قائل هذه المقالة - من أحد أمرين :

إما أن يكونا ملكين ، فإن كان عنده ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلّمانه الناس وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه أعظم مما ذُكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب ، وفي خبر الله عز وجل عنهما أنهما لا يعلمان أحدًا ما يتعلم منهما حتى يقولا : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة :١٠٢] ما يغني عن الإكثار في الدلالة على خطأ هذا القول .

● أو أن يكونا رجلين من بني آدم فإن يكن ذلك كذلك فقد كان يجب أن يكون بهلاكهما قد ارتفع السحر والعلم به والعمل من بني آدم ، لأنه إذا كان علمُ ذلك من قبَلِهما يُؤخذ ومنهما يُتعلَّم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدمُ السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذي كان لا يوصل إليه إلا بهما ، وفي وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول ، وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم لم يُعدَما من الأرض منذ خلقت ولا يُعدمان بعد ما وجد السحر في الناس فيدَّعي ما لا يخفى بُطولُه[1] فإن فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها فبين أن معنى ﴿ ما ﴾ التي في قوله : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ [البقرة :١٠٢] بمعنى (الذي) وأن (هاروت وماروت) مترجمٌ بهما عن الملكين ، ولذلك فُتحت أواخر أسمائهما ، لأنهما في موضع خفض على الردَّ على (الملكين).

---

(١) أي بطلانه .

ولكنهما لما كانا لا يُجرَّان فتحت أواخر أسمائهما ، فإن التبس على ذي غباء ما قلنا فقال ، وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلِّم الناس التفريق بين المرء وزوجه ؟ أم كيف يجوز أن يُضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة ؟ قيل له : إن الله جل ثناؤه عرَّف عباده . جميع ما أمرهم به وجميع مانهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه ، ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم فالسحر مما قد نهى عنه عباده من بني آدم عنه ، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علَّمه الملكين اللذَينِ سماهما في تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه ، وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلُّم منهما ويُخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ، ويكون الملكان في تعليمهما من علَّما ذلك لله مطعيين إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك مَنْ علَّماه يعلمان ، وقد عُبد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ذلك لهم ضائرًا إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به بل عُبد بعضهم والمعبود عنه ناهٍ ، فكذلك الملكان غير ضائرهما سُحر من سَحر ممن تعلَّم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه وعظتهما له بقولهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] إذ كان قد أدَّيا ما أمرا به بقيلهما ذلك ، والله أعلم .

أما القرطبي رحمه الله تعالى (٥٠/٢) : قوله تعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ﴾ [البقرة : ١٠٢](ما) نفي والواو للعطف على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ [البقرة :١٠٢] ، وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، التقدير وما كفر سليمان ، وما أنزل على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، فهاروت وماروت بدل من

الشياطين في قوله : ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ [البقرة :١٠٢] هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه ، كذا قال القرطبي رحمه الله .

قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن ٢٨/١) :

اختلف الناس في حرف (ما) فمنهم من قال إنه نفي ، ومنهم من قال : إنه مفعول وهو الصحيح ، ولا وجه لقول من يقول : إنه نفي لا في نظام الكلام ولا في صحة المعنى ولا يتعلق من كونه مفعولًا سياق الكلام بمحالٍ عقلًا ولا يمتنع شرعًا **وتقريره :** واتبع اليهود ما تلته الشياطين من السحر على ملك سليمان أي نسبته إليه وأخبرت به كقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ [الحج : ٥٢] أي إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ما لم يُلقه النبي يحاكيه ويلبس على السامعين به حسبما بيناه .

وما كفر سليمان قط ولا سحر ، ولكن الشياطين كفروا بسحرهم وأنهم يعلِّمون الناس ، ومعتقد الكفر كافر ، وقائله كافر ، ومعلِّمه كافر ، ويعلِّمون الناس ما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما كان الملكان يُعلمان أحدًا حتى يقولا : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضآرين به من أحدٍ إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز أن يُنزل الله عز وجل السحر أو هل يجوز أن تعلمه الملائكة للناس ؟

ج : أجاب على هذا ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بقوله : إن الله

عز وجل قد أنزل[1] الخير والشر كلَّه وبيَّن جميع ذلك لعباده فأوحاه إلى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحلّ لهم مما يحرم عليهم ، وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفوها ونهاهم عن ركوبها فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها وليس في العلم بالسحر إثم كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطَّنابير والملاعب ، وإنما الإثم في عمله وتسويته ، وكذلك لا إثم في العلم[2] بالسحر وإنما الإثم في العمل به وأن يُضَرَّ به من لا يحل ضرُّه به ، فليس في إنزال الله إياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علَّماه من الناس إثم إذ كان تعليمهما من علَّماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة وينهياه عن السحر والعمل به والكفر ، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجًا كما لم يكونا حَرِجين لعلمهما به إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما .

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى (أحكام القرآن ١/٢٨) :

فإن قيل كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر ؟ قلنا كلُّ خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزلٌ من عند الله تعالى قال النبي ﷺ كما في الصحيح : « ماذا فتح الليلة من الخزائن ؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن ؟ أيقظوا صواحب الحُجر ربَّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة »[3]

---

(١) وقد قال النبي ﷺ ذات ليلة : « سبحان الله ماذا أنزل من الفتن ... » الحديث .

(٢) أما قوله لا إثم في السحر ففيه نظر ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ وما يُعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] ولو كان في تعليم السحر خيرًا لتعلمه رسول الله ﷺ وعلَّمه أصحابه أو حثهم على تعلمه ، والله تعالى أعلم .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٧٠٦٩) من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : =

فأخبر عليه السلام عن نزول الفِتن على الخلق .

❋ ❋ ❋

س : إذا قلنا أن ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ما أنزل على الملكين ببابل ﴾ [البقرة : ١٠٢] بمعنى الذي فما هو الذي أنزل على الملكين ببابل ؟

ج : لأهل العلم فيه قولان : أحدهما أنه السحر أيضًا .

وقول آخر – أنه التفريق بين المرء وزوجه لقوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة :١٠٢] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحاصل في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولما جآءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] ؟

ج : يبين الله عزَّ وجل حال اليهود وما هم عليه من العناد والشقاق لأنبياء الله وللكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى وأنهم كان عندهم في التوراة صفة رسول الله ﷺ ونعته فلما جاء رسول الله ﷺ موافقًا في صفته ونعته وما عندهم في التوراة ويأمر بالتوحيد والإيمان برسل الله وملائكته .. إلى غير ذلك رفض هؤلاء اليهود التوراة ونبذوها وراء ظهورهم نبذ رجلٍ جاهل ، وهم في الحقيقة يعلمون ما فيها فتركوها لما وجدوها توافق

= استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول : « سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه – لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة » .

رسولَ الله ﷺ وتُصدقه ويوافقها ويصدق الثابت فيها واتجهوا بعد نبذها – كما اتجه كل نابذ للحق – إلى الأكاذيب والأباطيل وأنواع السحر والشعوذة التي افترتها الشياطين ونسبتها إلى سليمان عليه السلام كذبًا وزورًا ، وما سحر سليمان عليه السلام ، ولا أمر بالسحر ولا أَقَرَّه بحالٍ من الأحوال عليه الصلاة والسلام وما كفر سليمان عليه السلام ، ولكن الشياطين كفروا ، وكفروا باختلاقهم السحر وتعليمه للناس ، وكفروا أيضًا بتعليمهم الناسَ الذي أُنزل على المَلَكَين ببابل هاروت وماروت من التفريق بين المرء وزوجه ، وهاروتُ وماروتُ ملكان ببابل تتعلم الشياطين وأتباعها منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ، وما يعلمان من أحد حتى يحذرانه ويقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر .

هذا هو الذي يقتضيه السياق ، والله تعالى أعلم .

● وترد على هذا التأويل تساؤلات منها .

● هل أُنزل السحر (أو تعلمه) على الملكين ؟ فالإجابة بنعم فإن الله أخبر بذلك وقال : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ [البقرة :١٠٢] (وما) هنا بمعنى الذي ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة :١٠٢] ففيه دليل على أن التفريق بين المرء وزوجه يُتعلم من الملكين ، **فإن قال قائل وهل ينزل الشر ؟** فالإجابة بنعم فإن النبي ﷺ قد قال ذات ليلة : « سبحان الله ماذا أُنزل الليلة من الفتن .. » الحديث .

● فإن قال قائل : كيف ينزل السحر على الملكين ويعلمانه للناس ، والله سبحانه وتعالى يقول في شأن الملائكة : ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦]

وقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [النساء :١٧٢] إلى غير ذلك من الآيات الوأردة في فضل الملائكة وطاعتها لربها عز وجل ؟! .

فالإجابة على ذلك من وجوه :

● أحدهما أن هذا من العام المخصوص بمعنى أن عموم الملائكة صالحون مطيعون لله عز وجل فيما أمر مجتنبين ما نهى عنه الله وزجر إلا أنه قد يكون فيهم من عصى ولا يعكر عصيانه على عموم الصالحين ، قد قدمنا أن رأي الجمهور أن إبليس كان ملكًا[1] ومع ذلك فقد عصى ، وأيضًا قال الله عز وجل : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ١٤] فنفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن الأعراب في هذه الآية الكريمة ، وأثبت الله عز وجل الإيمان لبعضهم في قوله تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سَيُدخِلُهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة : ٩٩] .

● الثاني : أنه ليس في الآية الكريمة ما يُفيد صراحة أن الملكين عصاة إنما غاية ما في الآية الكريمة أن الشياطين (أو الناس) يتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ، هذا غاية ما في الآية الكريمة بشأن الملكين ، فقد يكونا قد أُمرا بذلك من الله عزو جل وحينئذ لا يكونا عاصيين ، ويؤيد قولهما لمن تعلم منهما : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة :١٠٢] .

● الوجه الثالث ما ذكره بعض العلماء حيث قال : إن السحر أُنزل ليُتعلم على جهة التحذير وممن قال بهذا القول ابن عطية رحمه الله

---

(١) وقد حررنا القول في ذلك وهل هو ملك أم جني من قبل فانظره إن شئت .

تعالى[1] ، وقال عبد القادر بن شيبة الحمد غفر الله له في تفسيره (٢٣٢/١) : وأخطر أنواع السحر ما كان بالرقى الشيطانية والنفث في العقد ، وهذا النوع من السحر لا يفعله إلا الكافر بالله ، ولما كثر شرّ هذا النوع من السحر أنزل الله الملكين هاروت وماروت ببابل من أرض العراق يعلمان الناس فك سحر المسحورين ويحذرانهم من إيذاء الناس بالسحر ، ويقولان لكل من يعلمانه إنما نحن فتنة فلا تكفر أي فلا تستغل فرصة معرفتك لفك سحر المسحورين بسحر الناس ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ [البقرة : ١٠٢] وذلك أن تعليمهما كان ذا وجهين ، يمكن استخدامه في وجوه من الشر ويمكن استخدامه في وجوه الخير ، وهوفك المسحور ، وكما قال عز وجل : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] وقد تكون معرفة طرق الشر ضرورية للقضاء عليها وفي ذلك يقول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

انتهى المراد من كلامه حفظه الله[2] .

● أما ما هي قصة هاروت وماروت وما شأنهما فسيأتي ذلك في سؤال لاحق إن شاء الله . وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة ما ذكر عن هاروت وماروت وفيه أن الملائكة

---

(١) في تفسيره (٣٠٧/١) محرر .

(٢) قلت : وهذا الوجه الذي ذكره الشيخ عبد القادر فيه نظر عندي وذلك لأن الله قال : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ [البقرة : ١٠٢] ولعل الشيخ عفا الله عنه فرَّ من وصف الملكين بالعصيان ، وقدمنا في الوجه الثاني ما يصرف العصيان عنهما وبالله التوفيق والله تعالى أعلم .

في السماء قالت : أي رب هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر ، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل لهم اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وجُعلت فيهما شهوات بني آدم وأُمرا أن يعبد الله ولا يشركا به شيئًا ... إلى آخر ما ورد في هذا الخبر ونحوه وفي آخره أنهما عصيا ربهما وشربا الخمر وقتلا النفس وزنيا ... وفي آخر أمرهما أنهما اختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما يعذبان إلى يوم القيامة وكذلك المرأة التي أغوتهما طارت فكانت كوكب الزهرة ونحو هذا .. ؟

ج : الأخبار الواردة في هذا الصدد لا نعلم شيئًا منها ثابتًا عن رسول الله ﷺ ، وإنما ذكرها بعض السلف والغالب أنهم تلقوها من الإسرائيليات التي يرويها أهل الكتاب ، والعلم عند الله تعالى .

***

س : ما المراد بالتفريق بين المرء وزوجه في قوله تعالى : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ﴾ . [البقرة : ١٠٢] وكيف يُفرِّق الشيطان بين المرء وزوجه ؟

ج : المراد بالتفريق بين المرء وزوجه إما الطلاق ، وإما المنع من الوطء ، وإما بث الكراهية بين الزوجين .

أما كيفية التفريق بين المرء وزوجه فقال الطبري رحمه الله تعالى[1] فإن قال قائل وكيف يفرِّق بين المرء وزوجه ؟

قيل قد دللنا فيما مضى على أن معنى (السحر) تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته بما فيه الكفاية لمن وفِّق لفهمه فإذا كان

(١) تفسير الطبري (٢/٤٤٦) .

ذلك صحيحًا بالذي استشهدنا عليه فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحدٍ منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حُسنٍ وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويُعرض عنه حتى يُحدث الزوج لامرأته فراقًا فيكون الساحر مفرقًا بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فُرْقة ما بينهما ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : وتفريقهما أن يُؤخذ كلُّ واحد منهما عن صاحبه ويُبغَّض كل واحد منهما إلى صاحبه .

***

س : هل تفريق السحرة بين الزوجين مؤكد ؟

ج : لا بل غير مؤكد إلا أن يشاء الله وإنما فعل السحرة من باب الأسباب والمسببات ، وقد يأخذ الشخص بالأسباب ولا يوفق لنيل مراده فقد يسعى الإنسان للكسب مثلًا ويتاجر من أجل ذلك ويجد ويجتهد ولكنه يخسر فضلًا عن أن يحرم الكسب ، وقد يتداوى الشخص ولكن لا ينجح فيه الدواء فكذلك الساحر قد يسحر ويُجري شعوذاته ولا يستطيع أن يصل بضرره إلى الشخص ، والله عز وجل يقول : ﴿ وما هم بضآرين به من أحدٍ إلا بإذن الله ﴾ [البقرة : ١٠٢] ويقول سبحانه : ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾ [الأنعام: ١٧] .

ويقول سبحانه : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ، وإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهوالغفور الرحيم ﴾ [يونس : ١٠٦ ، ١٠٧] .

● وقال تعالى : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد.. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍّ هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل

هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ [الزمر :٣٥-٣٨].

وقال النبي ﷺ : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك »[(١)] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ١٠٢] من هم الذين علموا ؟

ج : هم اليهود النابذون لكتاب الله وراء ظهورهم ، وقد نقل الطبري رحمه الله تعالى الإجماع على أن قوله تعالى : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ١٠٢] معنيٌّ به اليهود دون الشياطين .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٣] خيرٌ من ماذا ؟

ج : خيرٌ من اتباعهم الكفر الذي تلته الشياطين على ملك سليمان ، وخيرٌ من الإثم الذي سيلحقهم من جراء هذا الاتباع ، والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) صحيح ، أخرجه أحمد في المسند (٢٩٣/١) ، والترمذي (حديث ٢٥١٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم (٥٤١/٣ - ٥٤٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (حديث ٣١٦ معلقًا) ، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ [البقرة :١٠٣] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا ﴾ [البقرة :١٠٣] لو أن الذين يتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه (آمنوا) فصدقوا الله ورسوله وما جآءهم به من عند ربهم (واتقوا) ربهم فخافوه فخافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله إياهم وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه خيرًا لهم من السحر وما اكتسبوا به (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله إياهم على ذلك خيرٌ لهم من السحر ومما اكتسبوا به ، وإنما نفى بقوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ العلم عنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته .

❋ ❋ ❋

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

راعنا – أليم – ما يود – رحمته ؟

ج :

الكلمة	معناها
راعنا	أمهلنا – فرِّغ لنا سمعك – اهتم بنا وأرشدنا لطرق الخير
أليم	مؤلم موجع
ما يود	ما يحب – ما يتمنى
رحمته	نبوته – الإسلام – عموم الرحمة

✹ ✹ ✹

س : ما هو المراد بقول المؤمنين لرسول الله ﷺ : ﴿ راعنا ﴾ وما هو المراد بقول اليهود له عليه الصلاة والسلام : ﴿ راعنا ﴾ ؟

ج : للعلماء في بيان المؤمنين بقولهم لرسول الله ﷺ : ﴿ راعنا ﴾ أقوال منها .

- أمهلنا وأنظرنا حتى نفهم ما تقول ونَعيَهُ .
- فرِّغ سمعك لنا يا رسول الله .
- انظر إلينا واهتم بنا وأرشدنا لمقصد الخير وطرق الثواب .
- **أما مراد اليهود** فيقصدون بها الرعونة وهي الجهل المفرط والحماقة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ واسمعوا ﴾ في قوله عز وجل : ﴿ ... وقولوا انظرنا واسمعوا ﴾ [البقرة : ١٠٤] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - اسمعوا قولي وامتثلوا أمري .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] دليل على سد الذرائع وضحه ، وبيِّن معنى الذريعة ، واذكر بعض الأدلة عليها ؟

ج : إيضاحه أن اليهود لما كانوا يشاركون المسلمين في قولهم (راعنا) إلا أنهم يلوون ألسنتهم بها ويحرفونها إلى ما يريدوه من وصف رسول الله ﷺ بالجهالة والحمق ، نُهي المؤمنون عن قول (راعنا) وأُمروا باستعمال لفظٍ آخر غير مشتبه ولا يمكن معه الوصول إلى سب

رسول الله ﷺ .

فسد هذا الذريعة التي يتوصل بها اليهود إلى النيل من رسول الله ﷺ حيث أنه لن يقول (راعنا) بعد قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] إلا من في قلبه سوء فحينئذ سينكف عن قولها خشية أن يظهر أمره وتظهر مخالفته ، والله تعالى أعلم .

أما معنى الذريعة فقال القرطبي رحمه الله : والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يُخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع .

أما الأدلة على سد الذرائع فمنها .

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم ... ﴾ [الأنعام :١٠٨] .
- ومنها نهى النبي ﷺ عن شتم الرجل أبا الرجل حتى لا يُسب الشاتم قال رسول الله ﷺ : « من الكبائر شتم الرجل والديه ؟ قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »[١] .
- ومنها قول النبي ﷺ : « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه... »[٢] الحديث فمنع من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات .
- ومنها النهي عن تصوير ذوات الأرواح وتصوير

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، والبخاري (مع الفتح ٤٠٣/١٠) .

(٢) . أخرجه البخاري (حديث ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢) ، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

الصالحين حتى لا يؤدي ذلك إلى الشرك والغلو فيهم فقد ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة ورأين بها تصاوير فقال رسول الله ﷺ : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »(١) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تثبت أن اليهود كانوا يلوون ألسنتهم بالكلام لصرفه عن ظاهره وتحويله إلى وجهة سيئة يريدونها هم ؟

ج : من هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ﴾ [النساء :٤٦] .

• وقول النبي ﷺ : «إن اليهود إذا سلموا عليكم فإنما يقول أحدهم (السام)(٢) » . أي الموت .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نُهي المسلمون عن قول (راعنا) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نُهوا عن قول (راعنا) ، لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول الله ﷺ وسبه.

---

(١) وانظر أدلة أخرى أوردناها عند قول الله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة : ٣٥] .

(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢/٢٨٠) ، ومسلم (مع النووي ١٤/١٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن اليهود إذا سلموا على أحدكم إنما يقولون سام عليك فقل عليك » .

والسخرية والنَّيل منه[1] .

● وذهب ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى إلى أنها كلمة كرهها الله تعالى أن تُقال لنبيه ﷺ كما قال النبي ﷺ : « لا تقولوا للعنب الكرم ... » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه سياق الآية الكريمة ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾ [البقرة : ١٠٥] عقب قوله تعالى : ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة: ١٠٤] ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أن وجه ذلك لبيان شدة عداوة الكافرين من القبيلين ﴿ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ﴾ [البقرة : ١٠٥] للمؤمنين ، ومن ثَمَّ تنبيه المؤمنين على عدم التشبه بهم والسير وراءهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالرحمة في قول الله تعالى : ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ [البقرة : ١٠٥] ؟

ج : للعلماء فيها ثلاثة أقوال : منها .

الأول : أن المراد بالرحمة عموم الرحمة .

والثاني : أن الرحمة المراد بها الإسلام .

الثالث : أن المراد بالرحمة هنا النبوة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (١٧٢٨) ، بإسناد حسن إلى قتادة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] قولٌ كانت تقوله اليهود استهزاءًا فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : –

ننسخ – نُنسها – دون الله – وليٍّ – نصير – أم تريدون – ضلَّ – سواء السبيل ؟ –

ج :

الكلمة	معناها
ننسخ	نُبدل آية بغيرها أو نُزل حكمها أو نزيلهما (أي اللفظ والحكم) معًا
نُنسها	ننسيكها (من النسيان المعهود) أي نمحها من الصدور ، أو – نتركها بلا نسخ[1]

(١) أعني أن فريقًا من العلماء قال بالقول الأول ، وفريقًا قال بالقول الثاني .

دون الله	سوى الله – بعد الله – غير الله
وليٌّ	قائمٌ بأموركم يليها ويُدبرها لكم
نصير	النصير هو الناصر – المؤيد – المقوٌي
أم تريدون	بل تريدون – أتريدون ؟
ضل	ذهب وحاد
سواء السبيل	السواء هو الوسط والمُعظم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ [الصافات : ٥٥]، ومنه قول حسان رضي الله عنه : يا وَيحَ أنْصَارِ النبيِّ ونَسْلِهِ بعد المُغيَّب في سَوَاءِ المُلْحدِ وسواء السبيل هو الطريق السَّوي المستقيم ، وهو الصراط المستقيم .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها .. ﴾ [البقرة : ١٠٦] رد على اليهود فما وجه هذا الرد ؟

ج : وجه هذا الرد أن اليهود ادَّعوا أنه لا يوجد نسخ لآيات الله عز وجل توصلًا بذلك منهم إلى إنكار آيات القرآن حتى يؤكدوا أن الأحكام الواردة في التوراة باقية إلى الأبد لم يتطرق إليها نسخ ، فقالوا أثناء ذلك : إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ ثم ينهاهم عنه غدًا ، واشتد طعنهم لما تحوَّلت قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام – على ما سيأتي بيانه إن شاء الله ، فكان في قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها .. ﴾ [البقرة : ١٠٦] ردٌ عليهم ، ومن أوجه الرد عليهم أيضًا أن التوراة التي بين أيديهم ناسخة لأحكام قد تقدمتها . والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى النسخ ؟ وما المراد بقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ؟

ج : النسخ يُطلق على معنيين :

أحدهما : النقل ، كنقل كتاب من آخر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [الجاثية : ٢٩] .

والثاني : الإزالة والإبطال ، والإزالة على قسمين :

أولهما : إزالة الشيء وإقامة شيء مقامه(١) .

وثانيهما : إزالة الشيء وعدم إقامة شيء مقامه(٢) .

---

(١) ومنه قولهم نسخت الشمسُ الظلَّ إذا أذهبته وحلَّت محله وكمثال له في الكتاب العزيز قول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] نسخ قوله تعالى : ﴿ والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج ﴾ [البقرة : ٢٤٠] .
● وقوله تعالى: ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] نسخ قوله تعالى: ﴿ وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] على رأي الجمهور.

(٢) قال القرطبي : ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ﴾ [الحج : ٥٢] أي يزيله فلا يُتلى ولا يثبت في المصحف بدله .

فالنسخ يكون بنقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه.

● قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره : يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ما ننقل من حكم آية إلى غيره فنبدِّله ونغيره ، وذلك أن يُحوَّل الحلال حرامًا والحرام حلالًا والمباح محظورًا والمحظور مباحًا ، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة ، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ .

❋ ❋ ❋

س :هل يوجد نسخ في الأخبار ؟

ج : الجمهور من أهل العلم على أن الأخبار لا يتطرق إليها نسخ ، نقله عنهم القرطبي رحمه الله تعالى فقال : الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي ، والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى ، وقيل : إن الخبر إذا تضمن حُكمًا شرعيًّا جاز نسخه كقوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَرًا ﴾ [النحل : ٦٧] .

● هذا وقد تقدم قول الطبري رحمه الله أن الأخبار لا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر تعريف (الناسخ) ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : .. فالذي عليه الحُذَّاق من أهل السنة أنه إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعي بخطاب وارد متراخيًا .

وقال ابن عطية : وحد الناسخ عند حذاق أهل السنة : الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه عنه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر أشهر أقسام النسخ ؟

ج : أشهر أقسام النسخ ثلاثة :

أولها : نسخ الحكم وبقاء التلاوة ، وهذا أكثر ما ورد ، ومن أمثلته :

قول الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

وقول الله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [النور : ٢] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ﴾ [النساء : ١٦] .

● وقول الله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

نسخ قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] على رأى الجمهور .

الثاني : نسخ التلاوة وبقاء الحكم مثل ما ذكره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : (كان فيما أنزل الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله ورسوله) .

وهذا كان مما يتلى فنسخ وبقي حكمه ، والمراد بالشيخ والشيخة (المحصن والمحصنة) .

والثالث : نسخ التلاوة والحكم معًا مثل نسخ الرضعات من عشر إلى

خمس ، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرِّمن ثم نُسخن بخمسٍ معلوماتٍ ، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يُقرأ من القرآن(١) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة على النسخ ؟

ج : من الأدلة على النسخ ما يلي :-

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أونُنسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة : ١٠٦] .
- قول الله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل .... ﴾ الآية [النحل : ١٠١] .
- قول الله عز وجل : ﴿ ويمحو الله ما يشاء ويُثبت ﴾ [الرعد : ٣٩] .
- الآيات الواردة في كتاب الله عز وجل الدالة على النسْخ كتحويل القبلة في قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٩] ونحوها .
- تخفيف الصلوات من خمسين صلاة إلى خمس صلوات .
- فداء إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٥٢) .
وقال النووي رحمه الله (وهن فيما يُقرأ) معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدًا حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنًا متلوًّا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى .

وثم أدلة أُخر في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :متى يُصار إلى الحكم بالنسخ ؟

ج : يُصار إلى الحكم بالنسخ عند تواجد الآتي :

١ – المخالفة : بمعنى أن يكون هناك نص يخالف نصًّا فهذا يأمر مثلًا وهذا ينهى وهذا يبيح وهذا يحظر ، وهذا يُحل وهذا يُحرِّم .

٢ – تكافؤ الطرق : وهذا يكون في الأحاديث وليس في الآيات ،ومعناه في الأحاديث أن يكون هذا صحيح وهذا صحيح مثله أما إذا كان هناك صحيح وضعيف فلا يكون من باب الناسخ والمنسوخ بل يُرَدُّ الضعيف ويعُمل بالصحيح فقط .

٣ – عدم إمكان الجمع : بمعنى أن الجمع بين الناسخ والمنسوخ يكون متعذرًا .

❋ ❋ ❋

س :ما هي الطرق التي يُتوصل بها إلى معرفة الناسخ والمنسوخ ؟

ج : لمعرفة الناسخ طرق منها :

- معرفة التأريخ (أي معرفة المتقدم من المتأخر) .
- وورود لفظٍ في السياق يدل على النسخ كقول النبي ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها »[١] .
- إجماع الأمة على أن آية ما من الآيات أو حديث من الأحاديث منسوخ ، أو قول جمهور العلماء أو بعضهم إذا كان مُدعمًا بدليل وحجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٧٧) ، وأبو داود (حديث ٣٢٣٥) ، والنسائي (٨٩/٤) ، والترمذي (حديث ١٠٥٤) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، كلهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا .

س :اذكر مثالًا لنسخ الأخف بالأثقل والأثقل بالأخف ولمتساوي الوجهين ومثالًا لآية منسوخة وليس هناك تكليف مكانها ؟

ج : **أما مثال نسخ الأخف بالأثقل** فمنه قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] نسخ بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ولا شك أن الإلزام بالصوم أثقل من التخيير بين الصوم والإطعام .

● **أما نسخ الأثقل بالأخف** فمنه قوله تعالى : ﴿ .. وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] نسخ بقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت... ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

● ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون ﴾ [الأنفال : ٦٥] نسخت مصابرة العشرين للمائتين بقوله تعالى : ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضَعفًا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ﴾ [الأنفال : ٦٦] فأصبح الرجل ينازل الرجلين بدلًا من منازلته للعشرة .

● **أما النسخ الذي تتساوي فيه الوجهتين** فمنه نسخ التوجه لبيت المقدس بقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، والله تعالى أعلم .

● أما الآية المنسوخة ولم يقم مكانها تكليف فهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ... ﴾ [المجادلة : ١٢] نسخت بقوله تعالى : ﴿ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. ﴾ [المجادلة : ١٣] ، والله أعلم .

س : هل يُنسخ القرآن بالسنةِ والسنةُ بالقرآن ؟ اذكر أمثلة لذلك ؟

ج : نعم يجوز أن ينسخ القرآن بالسنة وتنسخ السنة بالقرآن فالسنة وحي ، كما قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ٣] .

● أما المثالُ لنسخ السنة بالقرآن فهو قوله تعالى : ﴿ ..فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ [الممتحنة : ١٠] وكانت الاتفاقية بين رسول الله ﷺ والمشركين تقتضي أنه إذا جاء أحدٌ(١) من المشركين مُسلمًا رده رسول الله ﷺ إلى المشركين فالنساء كن داخلات في هذا الاتفاق لكن نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ .

● ومثال لنسخ القرآن بالسنة على ما مثَّل به بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ : « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلًا ، الثيب بالثيب جلد مائة والرجم ، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » نسخ قوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلًا ﴾ [النساء : ١٥] .

وكذلك حديث : « لا وصية لوارث » عند من صححه ، ناسخ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين .. ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أو ننسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – فيه لأهل العلم قولان :

---

(١) القصة أخرجها البخاري بطولها في كتاب الشروط (حديث ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) وفيها : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ... الحديث .

القول الأول : ﴿ أو ننسها ﴾ من النسيان الذي هو بمعنى الترك فيكون المعنى : ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ نأت بخير منها أو مثلها .

● وقدر بعض العلماء هنا مقدَّر وهو (حُكْمُ) فالمعنى ما ننسخ من حكم آية أو نترك حكمها نأت بخير منها أو مثلها .

● ويَرِدْ على هذا إيرادٌ وهو كيف تكون الآية باقية (أي متروكة لم تنسخ) ويُقال نأت بخير منها أو مثلها ، وللإجابة على ذلك وجوه :

أولها : أن المراد بننسها نثبت لفظها ونترك حُكمها .

ثانيها : أن المراد بالآية : الآية من آيات التوراة فالمعنى ما ننسخ من آية من آيات التوراة نأت بخير منها أو مثلها ، وما نُنسي من آية من آيات التوراة نأت بآية في القرآن مثلها أو خير منها . لكن هذا القول لم يقل به هنا إلا قلة قليلة من أهل العلم .

(أعني القول بأن المراد بالآية آية التوراة) .

القول الثاني : أن المراد بقوله تعالى : ﴿ نُنْسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] أي : نرفع لفظها فلا يستقر منها في القلوب والأذهان شيء ، (وهو من النسيان المعهود لدى الناس) ومثال ذلك ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه من وجوه أن الذين قتلوا ببئر معونة أنزل الله عز وجل فيهم قرآنًا يُتلى (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نُسخ ذلك بعد .

● ومثال ذلك أيضًا ما أخرجه مسلم (١٠٥٠) من حديث أبي الأسود قال : بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطُّول والشدة ببراءة فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى

المسبحات[1] فأُنسيتها غير أني حفظت منها . ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢] فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الخيرية في الآيات الناسخة مع أن بعضها قد يكون أشق في العمل به من الآيات المنسوخة ؟

ج : وجه الخيرية في الآيات الناسخة من عدة نواحي :

الناحية الأولى : أن الآيات الناسخة تكون في بعض الأحيان واضعة للآصار والأغلال التي كانت على الأمم من قبلنا .

الناحية الثانية : أن الآيات الناسخة قد تكون سهلة لينة في حفظها على الناس .

الناحية الثالثة : أن الآيات الناسخة ، وإن كانت في بعض الأحيان أشق في العمل بها من الآيات المنسوخة إلا أن ثواب العمل بها أعظم من الآيات المنسوخة .

فعلى هذا تكون الخيرية في الآيات الناسخة عاجلًا وآجلًا .

عاجلًا في كون بعضها سهل يسير يُخفف الله عز وجل به الأحكام .

وآجلًا في كون ثواب العمل بها أعظم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام قوله عز وجل : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ... ﴾ بقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ١٠٦] ؟

ج : وجه ذلك بيان قدرة الله عز وجل ونفي العجز عنه ، فالله عز وجل قادر على أن يأتي بالآية المحكمة قبل الآية المنسوخة ، ولكن يؤخر هذه ويُبدل

---

(١) أي السور التي تُفتتح بسبحان وسبح ونحوهما .

هذه بتلك وهو عالم بالأول والآخر ويعلم ما يُصلح الناس في وقت وما يصلحهم في الوقت الآخر ويعلم أن الأليق بالناس والأنسب لهم في وقت ما أن يعملوا بكذا وفي الوقت الآخر أن يعملوا بكذا[1] ، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

***

س : قد يأتي الخطاب موجهًا إلى شخص ويُراد به غيره أيضًا ، دلِّل على هذا ؟

ج : أما الدليل على هذا ففي قوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، وما لكم من دون الله من وليٍّ ولا نصير ﴾ [البقرة : ١٠٧] فالخطاب صُدر لرسول الله ﷺ ، وأُريد به غيره أيضًا بدليل قوله : ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ .

● وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [الأحزاب : ١ ، ٢] فُصدِّر الخطاب بقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي ﴾ وختم بقوله : ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ فدخل فيه غير النبي ﷺ أيضًا ، والله تعالى أعلم .

***

(١) ألا ترى إلى الطبيب يذهب إليه المريض اليوم فيقول له الطبيب لا تأكل اللحم ولا السمك ولا تشرب اللبن ، وبعد يوم يأتيه المريض فيقول له : كل اللحم واشرب اللبن ولا تأكل السمك، وبعد ذلك يُرخص له في الأكل من كل ذلك، والمريض يُسلِّم ولا يعترض أدنى اعتراض ، وخاصة إذا كان يعلم أن الطبيب ماهرٌ حاذق ثقة ، فيفعل ما به يؤمر دون أي تردد ، بل وبنفس هادئة مطمئنة مستريحة لما يُقال له !!! .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ [البقرة : ١٠٧] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في تأويل هذه الآية : ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما ما أشاء ، وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء ، وأنهى عما أشاء ، وأنسخ وأبدِّل وأُغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي ما أشاء إذا أشاء ، وأُقرُّ منهما ما أشاء .

وهذا الخبر وإن كان من الله عز وجل خطابًا لنبيه محمد ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى وأنكروا محمدًا ﷺ لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة ، فأخبرهم الله أن له مُلك السموات والأرض وسلطانهما فإن الخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع له والطاعة لأمره ونهيه ، وأن له أمرهم بما شاء ونهيهم عما شاء ، ونسخ ما شاء وإقرار ما شاء وإنساء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه ، ثم قال لنبيه ﷺ وللمؤمنين معه : انقادوا لأمرى وانتهوا إلى طاعتي فيما أنسخ وفيما أترك فلا أنسخ من أحكامي وحدودي وفرائضي ولا يهولنكم خلاف مخالف لكم في أمري ونهيي وناسخي ومنسوخي فإنه لا قيم بأمركم سواي ولا ناصر لكم غيري ، وأنا المنفرد بولايتكم والدفاع عنكم ، والمتوحِّد بنصرتكم بعزِّي وسلطاني وقوتي على من ناوأكم وحادَّكم ونصب حرب العداوة بينه وبينكم حتى أُعلي حجتكم وأجعلها عليهم لكم .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل .. ﴾ [البقرة : ١٠٨] ؟

ج : لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال :

أولها : أنهم المؤمنون ، والثاني : أنهم مشركو مكة ، والثالث : أنهم اليهود .

وأورد الرازي رحمه الله تعالى حجج كل فريق نقلًا عن غيره من العلماء .

فمن حجج القائلين بأنهم المؤمنون (١) ما يلي :

● الأول : أنه قال في آخر الآية : ﴿ ومن يتبدّل الكفر بالإيمان ﴾ [البقرة : ١٠٨] وهذا الكلام لا يصح إلا في حق المؤمنين .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبد لكم ﴾ [المائدة : ١٠١] أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها نبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يُحرَّم من أجل تلك المسألة ، ولهذا جاء في الصحيح : « إن أعظم المسلمين جُرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرِّم من أجل مسألته » (١) ولما سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد امرأته مع رجل فإن تكلم تكلَّم بأمر عظيم وإن سكت سكت عن مثل ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها (٢) ، ثم أنزل الله حكم الملاعنة ، ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال (٣) ، وفي صحيح مسلم : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجلٌ أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ ثلاثًا ثم قال عليه السلام : « لا =

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٩) ، ومسلم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحرم من أجل مسألته » .

(٢) انظر البخاري (مع الفتح ٤٤٨/٨) ، ومسلم (٧١٤/٣) ، وأبو داود (٢٢٤٥) ، والنسائي (١٤٣/٦) ، وابن ماجه (٢٠٦٦) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٩٢) ، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص١٣٤١) .

الثاني : أن قوله : ﴿ أم تريدون ﴾ [البقرة : ١٠٨] يقتضي معطوفًا عليه وهو قوله : ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

فكأنه قال : وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون ذلك كما أمرتم أم تريدون أن تسألوا رسولكم .

الثالث : أن المسلمين كانوا يسألون النبي ﷺ عن أمور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها كما سأل اليهود موسى عليه السلام ما لم يكن لهم فيه خير عن البحث عنه .

الرابع : سأل قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط .

قلت : **ومن حجج القول الثاني** : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى

= ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم » ثم قال : « ذروني ما تركتكم ... »[1] الحديث ، ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه : نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم – ثم قال – ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه ﴾ [الإسراء : ٩٠ - ٩٣] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزل علينا الملائكة أو نرى ربَّنا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

● وقد سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا(١) .

أما القول الثالث : فذكر الرازي أنه أصح وهو أن المراد اليهود ، قال : لأن هذه السورة من أول قوله : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي ﴾ [البقرة : ٤٠] حكاية عنهم ومحاجة معهم ، ولأن الآية مدنية ، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولأن المؤمن بالرسول لا يكاد يسأله فإذا سأله كان متبدلًا كفرًا بالإيمان .

قلت : والذي يبدو لي أن القول الأول هو أرجح الأقوال ، وإن قال قائل بالعموم (أي أن المؤمنين والمشركين واليهود كلهم سألوا)(٢) فله وجه قوي والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٢٤٢/١ - ٢٥٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا فقيل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال : لا بل أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة .. ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في معنى (أم) إنها بمعنى بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو إنكاري ، وهو يعمُّ المؤمنين والكافرين ، فإنه عليه السلام =

س : ما المراد بالسؤال في قوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم .. ﴾[البقرة : ١٠٨] ؟

ج : المراد سؤال الآيات أي طلب حدوث المعجزات ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ ؟

ج : قال الراغب – كما نقله عنه القاسمي في محاسن التأويل – : معناه لا تسألوا رسولكم كما سئل موسى فتضلوا سواء السبيل فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان فمبدأ ذلك الضلال عن سواء السبيل .

● وقال الزمخشري في كشافه : قوله تعالى : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل بسواء السبيل .

* * *

= رسول الله إلى الجميع كما قال تعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ [النساء : ١٥٣] .

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾

س : ما معنى ما يلي : ودَّ ؟

الكلمـة	معناهـا
ودَّ	أحبَّ وتمنى

✹ ✹ ✹

س : ما هو الحق الذي تبين لهم وعناه الله عز وجل بقوله : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : هذا الحق هو ما ظهر لهم من معرفتهم أن محمدًا هو رسول الله ﷺ حقًّا وأن دينه هو دين الحق[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالعفو والصفح في قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ... ﴾ [البقرة : ١٠٩] وما الفرق بين العفو والصفح ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – ترك المؤاخذة واللوم .

أما الفرق بين العفو والصفح : فالعفو هو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح هو إزالة أثره من النفس .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا .. ﴾ ؟

ج : من هذه الآيات قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون ﴾ [الجاثية : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [آل عمران : ١٨٦] فهذه الآيات وما على شاكلتها كانت تحث المؤمنين على العفو والصفح إذا لقوا أذًى من عدوهم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (١٧٩٠) بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال : من بعد ما تبين لهم أن محمدًا رسول الله ﷺ والإسلام دين الله .

س : ما هو المراد بقوله تعالى : ﴿ من عند أنفسهم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ حسدًا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن هذا الحسد من اليهود إنما هو من تلقاء أنفسهم فلم يأمرهم الله عز وجل أن يحسدوا الناس على الإيمان ، بل هم عصاة في هذا الحسد الذي يحسدونه للناس .

❋ ❋ ❋

س : هل الحسد يكون من عند النفس وغير النفس حتى يقال : ﴿ حسدًا من عند أنفسهم ﴾ ؟

ج : الحسد يكون من النفس ، ولفظة الحسد تُعطي هذا المعنى ولكن قيل : من عند أنفسهم تأكيدًا وإلزامًا وإلصاقًا للتهمة بهم كما قال تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [آل عمران : ١٦٧] وكما قال سبحانه : ﴿ يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾ [البقرة : ٧٩] وكما قال سبحانه : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ حسدًا ﴾ مصدرٌ من ماذا ؟

ج : هي مصدرٌ من المعنى الموجود في قوله تعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾ [البقرة : ١٠٩] قال الطبري رحمه الله تعالى : لأن في قوله : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾ معنى : حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشاد لدينه والإيمان برسوله وخصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلًا منكم رءوفًا بكم رحيمًا ، ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعًا ، فكان قوله : ﴿ حسدًا ﴾ مصدرًا من ذلك المعنى .

قلت : فالمعنى حسدكم كثير من أهل الكتاب حسدًا .

***

س : ما هو المراد بالأمر في قوله تعالى : ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] ؟

ج : الأمر هو الإذن بالقتال ، ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وفيه .. وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم[(١)] .

وقال بعض أهل العلم : إن الأمر هنا هو قتل من قُتل ، وإجلاء من أُجلي ، وضرب الجزية على من ضُربت عليه .

وليس بين القولين تعارض إنما الثاني أكثر تفصيلًا من الأول ، والله أعلم .

***

س : ما هو مستند القائلين بأن قوله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ منسوخ وبماذا نسخ على قول من قال إنه منسوخ ؟

ج : هو منسوخ عندهم بقوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾[(٢)] [التوبة : ٢٩] وقال آخرون إنه منسوخ بقوله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] أما مستند القائلين

---

(١) وسيأتي تخريجه .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٧٩٧) : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] فأتى الله بأمره فقال : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ حتى بلغ ﴿ وهم صاغرون ﴾ أي صغارًا ونقمةً لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ .

بالنسخ فمنه ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه :

أن رسـولَ الله ﷺ ركبَ على حمارٍ على قَطيفـةٍ فَدَكية ، وأردَفَ أسامةَ بن زيد وراءهُ ، يعودُ سعدَ بن عُبادةَ في بني الحارثِ بن الخزرج قبلَ وَقعةِ بدر ، قال : حتى مرَّ بمجلس فيه عبدُ الله بن أبيٍّ بن سَلول ، وذلك قبلَ أن يُسلمَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ ، فإذا في المجلس أخلاطٌ منَ المسلمين والمشركين عبَدةِ الأوثانِ واليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبدُ الله بن رَواحة ، فلما غَشيَتِ المجلسَ عَجاجةُ الدابة خمَّرَ عبد الله بن أبيٍّ أنفَهُ بردائه ثم قال : لا تُغبِّروا علينا ، فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقفَ فنزلَ ، فدَعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبدُ الله بن أبيِّ بن سلول : أيُّها المرءُ ، إنه لا أحسنَ مما تقولُ إن كان حقًّا فلا تُؤذِينا به في مَجلسنا ، ارجعْ إلى رَحلِكَ فمن جاءك فاقصُصْ عليه . فقال عبدُ الله بن رَواحة : بلىٰ يا رسول الله ، فاغشَنا به في مجالسِنا ، فإنا نحبُّ ذلك . فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهودُ حتىٰ كادوا يتثاورون ، فلم يَزل النبيُّ ﷺ يُخفِّضُهم حتىٰ سَكنوا . ثمَّ ركِبَ النبيُّ ﷺ دابتهَ فسارَ حتىٰ دَخل على سعد بن عُبادةَ ، فقال له النبي ﷺ : « يا سعدُ ألم تَسمعْ ما قال أبو حُباب - يُريدُ عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا » . قال سعدُ بن عُبادة : يا رسولَ الله اعف عنه واصفَحْ عنه ، فوالذى أنزَلَ عليك الكتابَ ، لقد جاء الله بالحقِّ الذي أنزلَ عليك ولقد اصطلحَ أهلُ هذهِ البُحَيرةِ على أن يُتوِّجوه فيعصِّبونهُ بالعصابة ، فلما أبىٰ الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاكَ الله شرِقَ بذلك ، فذلك ، فعلَ بهِ ما رأيت . فعفا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٦٦) ، ومسلم (حديث ١٧٩٨) .

عنه رسولُ الله ﷺ . وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه يَعفون عنِ المشركين وأهل الكتاب كما أمرَهُم الله ، ويَصطبرون على الأذى ، قال الله عز وجل : ﴿ ولتَسمعنَّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلكم ومنَ الذين أشركوا أذًى كثيرًا ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٦] وقال الله : ﴿ ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يردُّونكم من بعدِ إيمانِكم كفارًا حسدًا من عندِ أنفسِهِم ﴾ [البقرة : ١٠٩] إلى آخر الآية . وكان النبيُّ ﷺ يتأوَّلُ العفوَ ما أمرَهُ الله به ، حتىٰ أذِنَ الله فيهم ، فلما غَزا رسول الله ﷺ بَدرًا فقتلَ الله به صَناديدَ كفَّار قريش قال ابن أبيٍّ بن سَلول ومَن معهُ منَ المشرِكينَ وعبَدةِ الأوثانِ : هذا أمر قد تَوَجَّه ، فبايَعوا الرسول ﷺ على الإسلام ، فأسلموا .

***

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد ؟

ج : ها هي بعض أقوال أهل العلم في تعريف الحسد :

● **قال صاحب اللسان :** الحَسَدُ معروف حَسَدَه يَحْسِدُهُ حَسَدًا وحسَّده إذا تمنى أن تتحول إليه نِعْمَتُهُ وفضيلتُهُ أو يُسلبهما هو قال :

وَتَرى اللبيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ   شَتْمَ الرِّجال وعِرْضُهُ مشتُومُ

الجوهري : الحَسَدُ أن تتمنى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليك يُقال حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ حَسُودًا .

قال الأخفش : وبعضهم يقول يَحْسِدُهُ بالكسر والمصدر حَسَدًا بالتحريك وحَسادةً وتحاسد القوم ، ورَجُلٌ حاسِدٌ من قَوْمٍ حُسد وحُسَّاد وحَسَدَةٍ مثل حَامل وحَمَلَة وحَسُودٌ من قومٍ حُسُدٍ والأنثى بغير هاء وهم يتحاسدون .

• **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ١/١٦٦) : الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه ، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه ، والحق أنه أعم .

• **قال النووي رحمه الله** (شرح مسلم ٢/٤٦٤) : قال العلماء : الحسد قسمان حقيقي ومجازي ، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها ، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة .

وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها ، فإذا كانت من أمور الدنيا كانت مباحة ، وإن كانت طاعة فهي مستحبة .

• **وقال القرطبي رحمه الله** (التفسير ٣/٧١) : الحسد نوعان محمود ومذموم ، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا ، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] وإنما كان مذمومًا ؛ لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

• **وقال الرازي في التفسير الكبير (٣/٢٣٨)** : إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد ، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة ، أما الأول فحرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجرٌ أو كافر يستعين بها على الشر والفساد فلا يضرك محبتك لزوالها فإنك ما تحب زوالها من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها يُتوسل بها إلى الفساد والشر والأذى .

❋ ❋ ❋

س : ما هي مراتب الحسد التي ذكرها العلماء ؟

ج : ذكر أهل العلم للحسد مراتب وهي :

المرتبة الأولى : أن يحب الشخص زوال النعمة عن غيره وإن كانت تلك النعمة لن تتحول إليه ، فقصد الحاسد الأكبر وهمه الأعظم أن تزول النعمة عن المحسود وتتحول عنه ، وهذا أكبر أنواع الحسد وأعلى مراتبه وأشده ذمًّا ، وخاصة إذا صحب هذا الحب والتمني عملٌ من أجله قال الله تعالى : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ [النساء : ٣٢] .

المرتبة الثانية : أن يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره وتحولها إليه كأن يكون لشخصٍ امرأةٌ جميلة فيتمنى الحاسد أن يموت الشخص أو يطلقها حتى يتزوجها هو ، أو يكون لرجلٍ مركز قوي أو سلطان نافذ ويتمنى الحاسد أن يزول هذا المركز وذلك السلطان عن الرجل ويتحول إليه وهذا ، وإن كان محرمًا ، إلا أنه أخف من النوع الأول .

المرتبة الثالثة : تمني عدم استصحاب النعمة فيتمنى الحاسد أن يبقى المحسود على حاله من الفقر والجهل والضعف وشتات القلب ، فهذا حسد على شيء مقدر فاعله ممقوت عند الله مستحقر عند الناس .

المرتبة الرابعة : أن لا يتمنى الشخص زوال النعمة عن غيره ، ولكن يتمنى لنفسه مثلها فإن حصل له مثلها سكن واستراح ، فإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود حتى يتساويا ولا يفضله صاحبه والجزء الأول من هذه الرابعة غير مذموم ، والثاني وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود .. مذموم .

المرتبة الخامسة : أن يتمنى الشخص لنفسه مثل ما للآخر من النعم فإن لم تحدث له تلك النعم لم يتمن زوالها عن الآخر ، ويدخل في هذه المرتبة

ما يسميه أهل العلم الغبطة ولا بأس بها فهي قريبة من المنافسة وقد قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] وقال عليه الصلاة والسلام : « لا حسد إلا في اثنتين ... »[١] الحديث فهذا حسد غبطة ، الحامل لصاحبه عليه كِبَر نفسه وحب خصال الخير والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سبَّاقهم وعلْيتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه .

● قال ابن القيم رحمه الله :

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله : ﴿ إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجهٍ ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله وقيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك لإخوة يوسف .

لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر بها بل يعصيها طاعة لله وخوفًا وحياءً منه وإجلالًا له أن يكره نعمه على عباده فيرى ذلك مخالفةً لله وبغضًا لما يحب الله ، ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم ، هذا كله حسد تمني الزوال .

وللحسد ثلاث مراتب : إحداها هذه .

والثانية : تمني استصحاب عدم النعمة فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة

---

(١) أخره البخاري حديث (٥٠٢٥) ، ومسلم حديث (٨١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب فهذا حسد على شيء مقدر ، والأول حسد على شيء محقق ، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده وممقوت عند الله تعالى وعند الناس ولا يسود أبدًا ولا يواسَىٰ فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم ، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبدًا إلا قهرًا يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم .

والحسد الثالث : حسد الغبطة وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة ، وقد قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالًا وسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس » فهذا حسد غبطة ، الحامل لصاحبه عليه كِبَرَ نَفْسِهِ وحب خصال الخير ، والتشبه بأهلها والدخول في جملتهم وأن يكون من سباقهم وعِليتهم ومُصَلِّيهم لا من فساكلهم فتحدث له من هذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الآية بوجهٍ ما .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أسباب الحسد ؟

ج : ذكر العلماء للحسد جملة أسباب منها[1] :

١ - العداوة والبغضاء :

---

(١) ومردها في الغالب إلى ضعف الإيمان بالله عز وجل .

وهذه قد تكون كامنة في الصدر بسبب وبدون سبب دنيوي ظاهر ، فقد تنشأ العداوة والبغضاء في قلب شخص لآخر من جراء ظلمه له ومكره به وخديعته إياه وغدره معه فتقذف العداوة والبغضاء في قلبه لهذا الذي ظلمه ويتمنى له من قلبه أن يحل به البلاء وتنزل عليه الكربات وتزول عنه النعم لما قدمه إليه من إساءة وبغي وعدوان .

وتنشأ هذه العداوة أيضًا بسبب اختلاف الدين فالكفار كما تقدم ، وكذلك المنافقون يودون من قلوبهم – لما جُبلت عليه قلوبهم من الشر والبغي والكفر والعدوان – أن تزول النعم عن المؤمنين وأن تنزل بهم البليات ويتضايقون غاية الضيق ويتبرمون غاية التبرم إذا نزلت بالمسلمين نعمة من ربهم عز وجل ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ .. وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط ﴾ [آل عمران : ١١٩ ، ١٢٠] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

٢ – حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح [١] :

فإذا كان الرجل من دأبه حب الرياسة ونيل الجاه ، وشعر أن غيره ينازعه

---

(١) والقصد الشرعي الصحيح مثل قول يوسف ﷺ : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : ٥٥] فإنما طلبها يوسف عليه السلام ليتسنى له العدل بين الناس في موطن شدة وقحط والناس فيه أحوج ما يكونون إلى ذلك العدل .

في هذه الرياسة وهذا الجاه فإنه يحب لهذا المنازع أن يبتلى وأن يفتضح وأن تسوء سمعته في الناس حتى لا يصل إلى مرتبته بل ولا يقاربه فيها إلا من رحم الله .
فلو سمع محب الرياسة والريادة في أي فن من الفنون أن له نظيرًا في العالم في هذا الباب وهذا الفن فيتمنى لهذا النظير الموت وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة كالشجاعة والعلم والزهد والملك والثروة والجاه ، وذلك كله حتى ينفرد هو بالرياسة والريادة والجاه ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣ - الشح بالخير على العباد :

فهناك أقوام جُبلوا على الشح وكراهية الخير للناس ، فإذا سمعوا بمنعَمٍ عليه في صحة أو في عقل أو في دين أو في مال أو في ولدٍ أو في زوجة أو في جاه و .. جُن جنونهم وطار فؤادهم ونحل جسمهم بلا سبب إلا هذا السبب القاتل الذي جبلوا عليه من الشح بالخير على العباد ، فتكاد صدورهم تتميز من الغيظ إذا سمعوا أن رجلًا ربح مالًا أو رزق ولدًا أو تزوج بحسناء أو رزق إيمانًا وحكمة ومن هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيرًا ﴾ [النساء : ٥٤ ، ٥٥] .

قال الرازي في التفسير[(١)]: فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق ذلك عليه وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ، ويقال : البخيل من بخل بمال غيره ، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة ، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث

---

(١) لا أعني في تفسير الآية المتقدمة ، وإنما في تفسيره (٣/٢٤١) .

النفس ورذالة جبلته في الطبع ؛ لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته .

٤ - ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه :

فالحاسد قد لا يكون به ابتداءً حسدٌ ويبدأ الحسد في التولد إذا شعر الحاسد أن غيره سيكثر ماله وترتفع منزلته فيتكبر عليه ويتعزز عليه فيخشي من التكبر المتوقع والتعزز المرتقب فيريد أن لا تنزل بصاحبه نعمة زائدة عليه حتى يبقيا في منزلة واحدة دفعًا لكبره ولتعززه ولتعاليه عليه .

● وقد قال الملأ الذين كفروا من قوم نوح : ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم .... ﴾ [المؤمنون : ٢٤] .

٥ - خوف المزاحمة وفوت المقاصد :

وهو يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد كالضرائر مثلًا ، كل ضرة منهما تريد الانفراد بالزوج ونيل حبه والاحتفاظ بسره والقرب من قلبه فمن ثم تحسد الأخرى وتتمنى زوال النعم عنها وتريد لها الزلل والخطأ .

وكذلك الأخوة يتزاحمون (إلا من رحم الله) للوصول إلى قلب الأب (وخاصة إن كان من ذوي التركات والأموال) كي يؤثر بعضهم على بعض ويفضل أحدًا على الآخر ، ذلك إذا كان غرضهم نيل الدنيا والمال .

٦ - حب تسخير البشر للنفس :

فإذا كان الرجل ثريًّا من الأثرياء أو كبيرًا من الكبراء يرى الناس كل يوم وقوفًا ببابه يسخرهم كيفما شاء ويوجههم حيثما يريد رضي بذلك وقنع ، وإذا رأى بادرة خير حلت بأحدهم وأوتي مالًا

أو جاهًا وعلى إثره سيخرج من حيز تسخيره ويشق طريقه في حياته مستغنيًا عنه ، كره ذلك له وتمنى بقاءه أبد الدهر مسخرًا له مذللًا معه لا يقوم له قدر ولا يرتفع له شأن ولا يتحصل له مال حتى يبقى مسخرًا له خاضعًا لسلطانه مطيعًا لأوامره .

ومن هذا الباب ما أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : فيَّ نزلت : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ [الأنعام : ٥٢] قال : نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم ، وكان المشركون قالوا : تدني هؤلاء ، وفي رواية كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترءون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ [الأنعام : ٥٢].

● ومن هذا قول قوم نوح لنوح عليه السلام : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] ومن هذا قول المشركين لمتبعي رسول الله ﷺ : ﴿ أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام : ٥٣] بل وقولهم في حسدهم رسول الله : ﴿ .. لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] كأنهم يقولون كيف نقدم علينا غلامًا يتيمًا ونخضع له ونسمع ونطيع ونطأطئ له رءوسنا .

❋ ❋ ❋

س : اذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله عز وجل ؟

ج : ورد ذكر الحسد صريحًا في كتاب الله عز وجل في أربع مواطن :

الأول : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم

من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

الثاني : قول الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء : ٥٤] .

الثالث : قوله عز وجل : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلًا ﴾ [الفتح : ١٥] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ .. ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] .

***

س :اذكر بعض الآيات التي ورد فيها الحسد تلميحًا ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

- قول الله عز وجل : ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين ﴾ [يوسف : ٨ ، ٩] .
- وقوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] .
- وقوله سبحانه : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ [النساء : ٨٩] .
- وقوله عز وجل : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكًا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

● وقال جل ذكره : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [آل عمران : ٦٩] .

● وقال تعالى : ﴿ وما اختلفِ الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ [آل عمران : ١٩] .

● وقوله عز وجل : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيًا بينهم ... ﴾ [الشورى : ١٤] .

● وقوله سبحانه : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها .. ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

● وقوله سبحانه : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ [القلم : ٩] .

● وقال عز وجل : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانًا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ [المائدة : ٢٧ – ٣٠] .

● وقوله جل ذكره : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ﴾ [القلم : ٥١] .

● وقال الله سبحانه : ﴿ فقالوا[1] أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ [المؤمنون : ٤٧] .

***

س : هل لإيراد قوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [البقرة : ١١٠] عقب قوله عز وجل :

---

(١) أي قوم فرعون ، يقولون ذلك لموسى وهارون .

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم ﴾ [البقرة : ١٠٩] وجه اتصال وربط بين الآيتين ؟

ج : ذكر العلماء للربط بين الآيتين وجوهًا منها :

الأول : أن المسلمين : في الظرف الذي لا يكن مواتيًا للجهاد عليهم أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد وذلك بتهذيب الأخلاق والأرواح وتزكية النفوس بإقام الصلاة وفعل الخيرات إبقاءًا على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد .

الثاني : قال الطبري رحمه الله تعالى : وإنما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخيرات لأنفسهم ليطهروا بذلك من الخطأ الذي سلف منهم في استنصاحهم اليهود وركُون من كان ركن منهم إليهم وجفاء من كان جفا منهم في خطابه رسول الله ﷺ بقوله : ﴿ راعنا ﴾ إذ كانت إقامة الصلوات كفارة للذنوب وإيتاء الزكاة تطهيرًا للنفوس والأبدان من أدناس الآثام ، وفي تقديم الخيرات إدراك الفوز برضوان الله .

الثالث : قال الزجاج في تفسيره : ثم نبه الله سبحانه إلى بعض وسائل النصر الذي وُعدوا به وهو أداء الصلاة .

الرابع : هو أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ الحث على الإقبال على ما ينفع من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات وعدم الالتفات إلى حسد الحاسدين فكيدهم في تباب وأمرهم في وبال وسعيهم في خسار ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالخير في قوله تعالى : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [البقرة : ١١٠] وهل في الآية الكريمة شيء مضمر ؟

ج : الخير هنا يُراد به العمل الذي يرضاه الله عز وجل .

وقد يأتي الخير على غير هذا المعنى كما في قوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ [العاديات : ٨] فالخير هنا (المال) على قول الكثير من أهل العلم ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ما أنفقتم من خير .. ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

● أما هل في الآية الكريمة مضمرٌ أم لا ؟ فأشار فريق من أهل العلم إلى أن فيها مضمر وهو الثواب فيكون المعنى : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله .

قال الطبري رحمه الله : و (الخير) هو العمل الذي يرضاه الله ، وإنما قال : ﴿ تجدوه ﴾ والمعنى تجدوا ثوابه ، ثم قال : لاستغناء سامعي ذلك بدليل ظاهر على معنى المراد منه كما قال عُمر بن لجأ :

وسبَّحت المدينةُ لا تَلُمْهَا ... رَأَتْ قمرًا بسُوقِهِم نَهَارًا

وإنما أراد : وسبَّح أهل المدينة .

❋ ❋ ❋

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

هودًا – أمانيهم – برهانكم – أسلم – أسلم وجهه لله .

ج :

الكلمة	معناها
هُودًا	جمع هائد، والهائد هو التائب الراجع إلى الحق[1]، قاله الطبري .
أمانيهم	جمع أمنية وهي ما يتمناه الشخص
برهانكم	حجتكم – بينتكم[2]
أسلم	استسلم وخضع
أسلم وجهه لله	انقاد لأمر الله– أسلم النفس لطاعة الله– أخلص لله.

---

(١) وليس مراد اليهود بقولهم لا يدخل الجنة إلا من كان هودًا أي من كان تائبًا راجعًا إلى الحق وإنما مرادهم من كان على شريعتهم وشاكلتهم ، والله أعلم .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ هاتوا بينتكم (الطبري بإسناد حسن ١٨٠٤) .

س : اذكر بعض الادعاءات الكاذبة التي يدعيها اليهود والنصارى ؟

ج : من هذه الادعاءات ما يلي :

- **دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يُعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ [المائدة : ١٨] .

- **دعواهم أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وقال سبحانه : ﴿ .. ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٤] .

- **دعوى اليهود أن المهتدي هو اليهودي وقول النصارى إن المهتدي هو النصراني .**

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

- **دعوى اليهود أن الجنة لن يدخلها إلا اليهودي ، ودعوى النصاري أن الجنة لن يدخلها إلا النصراني .**

قال الله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ١١٠ ، ١١١] .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] إجمالٌ ، فصِّل هذا الإجمال ؟

ج : تفصيله أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًّا وليس المعنى أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا وليس المعنى أيضًا أن النصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ذلك لأن كل فرقة منهما تضلل الأخرى كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء .. ﴾ [البقرة : ١١٣] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا عُبِّر بالوجه دون سائر الجوارح في قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [البقرة : ١١٢] ؟

ج : للعلماء على ذلك أجوبة ثلاث :

أولها : أن الوجه خصَّ بالذكر لكونه أكرم أعضاء ابن آدم وأشرفها وهو أعظمها حُرمة عليه وحقًّا فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له .

الثاني : أن الوجه قد يُكنى به عن الذات كما ذكره بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ [الليل : ٢٠] .

الثالث : أن أعظم العبادات هي السجدة وإنما تحصل بالوجه فلا جرم خصَّ الوجه بالذكر ، ولهذا قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمتُ وجهي لمن أَسْلَمَـــتْ له المُزْنُ تحمل صخرًا ثِقـــالًا
وأسلمتُ وجهي لمن أَسلَمَـــتْ له المزن تحمـــل عذبًـــا زلالًا

***

س : انتظمت الآية الكريمة : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ [البقرة : ١١٢] شرطين لثبوت الأجر على العمل ما هما هذان الشرطان ؟

ج : أما الشرط الأول فهو إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى ، وهذا مأخوذ من قوله عز وجل : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله ﴾ [البقرة : ١١٢] .

● والشرط الثاني اتباع الرسول ﷺ ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وهو محسن ﴾ [البقرة : ١١٢] أي متبع فيه للرسول ﷺ ، وهذا المعنى موجود في آيات أُخر كقوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] فلا بد أن يكون العمل خالصًا صوابًا ، خالصًا لله ، صوابًا في كونه موافقًا لسنة رسول الله ﷺ ، فإذا اختل شرط من الشرطين وانتقص فالعمل مردود .

● قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(١) .

● وقال الله سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا .. ﴾ [النور : ٣٩] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا ، وفي لفظ مسلم : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

• وقال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

• وقال سبحانه : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليـلًا ﴾ [النساء : ٤٢] .

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي توضح بطلان العمل وذهاب ثوابه إذا لم يكن خالصًا لله صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ .

* * *

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

خزيٌ – أينما – تولوا – فثَمَّ وجه الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
خزي	الذُّل والصغار .
أينما	حيثما .
تولوا	تتجهوا وتقبلوا ، وهي من الأضداد لكن معناها هنا ما ذكرناه .
فثم وجه الله	هنالك قبلة[1] الله –فثم الله تبارك وتعالى – فثَمَّ تدركون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم .

(١) ولا تعلق لهذا بنفي صفة الوجه لله تعالى ، فصفة الوجه ثابتة من نصوص أُخر ، وقد روي هذا التفسير بأسانيد تصح عن مجاهد عند الطبري .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن اليهود كفَّروا النصارى وقالوا : إنهم ليسوا على شيء مع أن اليهود يتلون التوراة وفيها الأمر بالتصديق بعيسى ﷺ .

وكذلك النصارى كفَّروا اليهود وقالوا : إنهم ليسوا على شيء مع كون النصارى يقرءون الإنجيل وفيه الأمر بالتصديق بموسى ﷺ .

وجاء مشركو العرب – وهم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾(١) فقالوا مثل مقالة اليهود والنصارى فقالوا : إن محمدًا ﷺ ومن معه ليسوا على شيء ، فالله يفصل بين هؤلاء جميعًا ويحكم فيهم ويقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ﴾ [الحج : ١٧] ، وكما قال سبحانه : ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ﴾(٢) [سبأ : ٢٦] .

❋ ❋ ❋

---

(١) هذا على رأي الجمهور ، فذهب الجمهور إلى أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم مشركو العرب ، بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم قوم قبل اليهود والنصارى ، قالوا مثل ذلك فيمن خالفهم ، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم : إنهم ليسوا على شيء.

(٢) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : وأما تأويل الآية فإنه قالت اليهود : ليست النصارى في دينها على صواب ، وقالت النصارى : ليست اليهود في دينها على صواب ، =

س : في الآية الكريمة : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء .. ﴾ [البقرة : ١١٣] توبيخ لليهود والنصارى ، ومن طرف خفي توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ ، وضح ذلك ؟

ج : وجه هذا التوبيخ في قوله تعالى : ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ أي : أنهم تعمدوا الكذب والافتراء كل فريق على الآخر مع كونهم يعلمون بكذب ما ذهبوا إليه ، فالوقوع في الدعاوى الباطلة والتكلم بما ليس عليه برهان ، وإن كان قبيحًا على الإطلاق لكنه من أهل العلم والدراسة للكتب أشد قبحًا وأفظع جرمًا وأعظم ذنبًا .

● وفي هذا أيضًا توبيخ للمختلفين من أمة محمد ﷺ مع اتفاقهم على تلاوة القرآن[1] ، قال القاسمي في محاسن التأويل : فها هنا تسكب العبرات

= وإنما أخبر الله عنهم بقيلهم ذلك للمؤمنين إعلامًا منه لهم بتضييع كل فريق منهم حُكم الكتاب الذي يُظهر الإقرار بصحته وأنه من عند الله ، وجحودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لأن الإنجيل الذي تدين بصحته وحقيّته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام ، وما فرض الله على بني إسرائيل فيها من الفرائض ، وأن التوراة التي تدين بصحتها وحقيتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام ، وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض .

ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] مع تلاوة كل واحدٍ من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك ، فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك على علمٍ منهم أنهم فيما قالوه مبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون .

(١) ويرد في ذم من كذب على علم وضلَّ بعد بيان ، قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم =

بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا بسنة ولا قرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهان ، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين تمكن الشيطان من تفريق كلمة المسلمين .

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح

مع أن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف ، فقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ [آل عمران : ١٠٥] ، وقال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقد امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله ﷺ وعما مضت عليه جماعة المسلمين .

***

س : ما معنى الواو في قوله تعالى : ﴿ وهم يتلون الكتاب ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : الواو هي واو الحال ، والمعنى – أن كل فرقة قالت في الأخرى التي قالت مع كونها تتلو الكتاب ، والكتاب يُكذبها فيما قالت من شأن الكفر بالأنبياء عليهم السلام .

***

= يتفكرون﴾ [الأعراف : ١٧٣ – ١٧٦] وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [الجمعة : ٥] .

س : من المعلوم أن اليهود على ضلال وكذلك النصارى وكلاهما ليس على شيء وقد قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » فلماذا عتب الله على اليهود لما قالوا : ﴿ ليست النصارى على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] وعلى النصارى لما قالوا : ﴿ ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] ؟

ج : وجه هذا العتاب لكون كل فريق أنكر على الآخر شيئًا ثابتًا في دينه وثابتًا في الحقيقة ألا وهو نبوة موسى ونبوة عيسى عليهما السلام ، فلما أنكر اليهود على النصارى إيمانهم بعيسى (على الوجه الصحيح من أنه عبد الله ورسوله) وأنكر النصارى على اليهود إيمانهم بموسى عليه السلام[1] عتب الله عز وجل على الفريقين مقالتهما ، وقد روى الطبري[2] وابن أبي حاتم بأسانيدهما عن قتادة قال : قوله : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ﴾ قال : بلى قد كانت أوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرَّقوا ، وقالت النصارى : ﴿ ليست اليهود على شيء ﴾ ولكن القوم ابتدعوا وتفرَّقوا .

* * *

س : كيف قيل في اليهود والنصارى أنهم ليسوا على شيء مع كونهم يقرون بالخالق سبحانه وتعالى وببعض أسمائه وصفاته ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنهم ليسوا على شيء يُعتد به في أمر التصديق

---

(١) قال الطبري رحمه الله : ومعنى ذلك : وقالت اليهود ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها ، وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها .

(٢) أخرجه الطبري (١٨١٣) بإسناد حسن ، وابن أبي حاتم (التفسير ١١١١) .

بالأنبياء عليهم السلام فما داموا كفروا بأحدهم فقد كفروا بجميعهم كما قال سبحانه : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] ويُقال أيضًا : إن الكفر الذي أتوا به أحبط عملهم الذي عملوه وأذهب ثواب الخير القليل الذي اعتقدوه ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى القيامة ؟ ولماذا أطلق على يوم القيامة يوم القيامة ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : وأما القيامة فهي مصدرٌ من قول القائل : قمت قيامًا وقيامةً كما يقال : عُدت فلانًا عيادةً ، وصنت هذا الأمر صيانةً .

وإنما عُني بالقيامة قيام الخلق من قبورهم لربهم ، فمعنى يوم القيامة يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم .

* * *

س : من هم الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

● الأول : أنهم النصارى كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس ويمنعون الناس من الصلاة فيه .

● الثاني : أنه بختنصر البابلي المجوسي وجنده ومن أعانهم من النصارى[1] .

---

(١) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : وأولى التأويلات التي ذكرتها بتأويل الآية قول من قال : عني الله عز وجل بقوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ النصارى وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت =

= المقدس ، وأعانوا بختنصَّر على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصَّر عنهم إلى بلاده .

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قيام الحجة بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرناها(1) وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله : ﴿ وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] إلا أحد المسجدين إما مسجد بيت المقدس وإما المسجد الحرام ، وإذا كان ذلك كذلك وكان معلومًا أن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه صحَّ وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعي في خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها إذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام في الجاهلية ، وبعمارته كان افتخارهم(2) ، وإن كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذي يرضاه الله منهم .

وأخرى : أن الآية التي قبل قوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذمِّ أفعالهمّ ، والتي بعدها نبهت بذمِّ النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم ، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكرٌ ، ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجَّه الخبر بقول الله عز وجل : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ﴾ إليهم وإلى المسجد الحرام .

وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه وهو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها إذ كان خبرها لخبرهما نظيرًا وشكلًا إلا أن تقوم حُجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك وإن اتفقت قصصها فاشتبهت . انتهى المراد من قول ابن جرير رحمه الله .

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : فلم يرتضِ اختيار الطبري رحمه الله =

(١) أراد القول الأول والثاني والثالث من الأقوال التي قدمناها .

(٢) قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ [التوبة : ١٩] .

= بل اختار القول القائل أنهم مشركو قريش ، وعلل ذلك بقوله : لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس كان دينهم أقوم من دين اليهود ، وكانوا أقرب منهم ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولًا إذ ذاك لأنهم لُعِنُوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم(١) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، وأيضًا فإنه تعالى لما وجَّه الذم في حق اليهود والنصارى شرع في ذمِّ المشركين الذين أخرجوا رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام : وأما اعتماده على أن قريشًا لم تسعَ في خراب الكعبة فأي خراب أعظم مما فعلوا ؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم كما قال تعالى : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الأنفال : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يَعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [التوبة : ١٧ ، ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليما ﴾ [الفتح : ٢٥] فقال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ [التوبة : ١٨] ، فإذا كان من هو كذلك مطرودًا منها مصدودًا عنها فأي خراب لها أعظم من ذلك ، وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط إنما بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفعها عن الدنس والشرك . انتهى كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله . =

(١) قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .. ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

= • أما الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فرفض اعتراض الحافظ ابن كثير وانتصر لما قاله الطبري رحمهم الله جميعًا ، فقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري : وهذا الاعتراض من ابن كثير على أبي جعفر رحمهما الله ليس يقوم في وجه حجة الطبري على صواب ما ذهب إليه تأويل الآية والطبري لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير ، ولكن ابن كثير غفل عن سياق تأويل الطبري ، وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك في الجاهلية في البيت الحرام يدخل في عموم معنى قوله : ﴿ وسعى في خرابها ﴾ ، ولكن سياق الآيات السابقة ثم التي تليها توجب كما ذهب إليه الطبري أن يكون معنيًّا بها مَنْ كانت الآيات النازلة في خبره وقصته ، والآياتُ السالفة جميعًا خبر عن بني إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى ، وتأنيب لبني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مُهَاجَر رسول الله ﷺ ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ ثم عتاب بعض أهل الإيمان على ما جرى على ألسنتهم من ألفاظ اليهود في خطاب نبيهم ﷺ ، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعًا ، يهوديهم ونصرانيهم وذكر لافتراء الفريقين بعضهم على بعض وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجي يوم القيامة ، ثم أفرد بعد ذلك أخبار النصارى كما أفرد من قبل أخبار بني إسرائيل فعدَّد سوء فعلهم في منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولدًا ثم قول بعضهم : ﴿ لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] وأن ذلك شبيه بقول اليهود : ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ [النساء : ١٥٣] ثم أخبر أنه أرسل رسوله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا ، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء ، ثم أعلمه أن اليهود والنصارى جميعًا لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطريقتهم في الافتراء على رب العالمين .

فالسياق كما ترى بمعزل عن المشركين من العرب ، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوانُ الله عليهم تختلط عليهم المعاني حين تتقارب ، ولكن أبا جعفر[1] صابر على كتاب ربه مطيق لحمله لا يعجله شيء عن شيءٍ ما استطاع فهو يخلص معاني كتاب ربه تخليصًا لم أجده قط لأحدٍ بعده ممن قرأ كتابه ، وأكثرهم يعترض ولو صبر =

(١) يعني الطبري .

الثالث : أنهم مشركو قريش إذ منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام وحالوا بينه وبين دخول مكة .

الرابع : أنهم مشركو قريش الذين منعوا رسول الله ﷺ من الدعاء إلى الله بمكة وألجئوه إلى الهجرة .

الخامس : ذكره الرازي قال : وهو أقرب إلى رعاية النظم قال : وهو أن يُقال : إنه لما حوِّلت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فكانوا يمنعون الناس من الصلاة عند توجههم إلى الكعبة ، ولعلهم سعوا أيضًا في تخريب الكعبة بأن حملوا بعض الكفار على تخريبها ، وسعوا أيضًا في تخريب مسجد الرسول ﷺ لئلا يُصَلُّوا فيه متوجهين إلى القبلة فعابهم الله بذلك وبيَّن سوء طريقتهم فيه .

السادس : أنها عامة في كل ظالم منع أي مسجد من مساجد الله أن يذكر

= على دقة هذا الإمام لكان ذلك أولى به وأشبه بخلق أهل العلم وهم له أهل ، غفر الله لنا ولهم . انتهى ما قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

هذا وقد خطأ أبو بكر الرازي الوجه المذكور بقوله : إنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح ، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس ، وأيضًا فإن النصارى يعتقدون في بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر فكيف أعانوا على تخريبه[1] .

---

(١) قلت : أخرج الطبري (١٨٢٣) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] أولئك أعداء الله النصارى ، حملهم بُغض اليهود على أن أعانوا بختنصَّر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس .

أما نقل اتفاق أهل السير فلا نكاد نصدقه إذا اختلف مع المنقول عن التابعين رحمهم الله ، والله أعلم .

فيه اسم الله عز وجل .

❋ ❋ ❋

س : ما هو نوع الإضافة في قوله تعالى : ﴿ مساجد الله ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : الإضافة إضافة تشريف كقوله تعالى : ﴿ ناقة الله ﴾ [الشمس : ١٣] .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلَم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ﴾ [البقرة : ١١٤] وقوله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن كذَّب بآيات الله وصدف عنها ﴾ [الأنعام : ١٥٧] وقوله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم ﴾ [الأنعام : ١٤٤] وقوله تعالى في الحديث القدسي : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ... »(١) ؟

ج : الجمع بين هذه له طرق :

الأول : أن يتنزل هذا على الاختصاص بمعنى أن يقال : ليس هناك من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ، وليس من المكذبين أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها وليس من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس .. وليس من المصورين أظلم ممن ذهب يضاهي بخلق الله ويحاول بزعمه أن يخلق كخلقه .

الثاني : أنهم جميعًا في الظلم سواء .

الثالث : أن المراد تبشيع هذه الأفعال وتجريم فاعليها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٥٩) ، ومسلم (حديث ٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : لأهل العلم في تأويل ذلك أقوال :

الأول : أن هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا هذه المساجد إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلًا عن الاستيلاء عليها ومنع المؤمنين منها ، فالمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الظلمة وعتو الكفرة والفجرة .

الثاني : أن هذا خبر معناه الأمر ، والمعنى لا تمكنوا هؤلاء الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها واجتهدوا في منعهم من دخول مساجد الله إلا في حال هم فيه خائفون كأن يكونوا أسارى يربطوا أو يحاكموا في المساجد ونحو ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة : ٢٨]، وكالوارد في قول أبي هريرة : (ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان)[١] .

الثالث : أن هذا إخبار عن حال الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ، فكان من شأنهم أنهم لم يدخلوها بعد ذلك إلا خائفين كما قال قتادة[٢] : ﴿ ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ وهم

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٦٥٦) ، ومسلم (حديث ١٣٤٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة قال : (بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهطٍ يؤذنون في الناس يوم النحر : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان) .

(٢) أخرجه الطبري (١٨٢٧) ، بإسناد حسن عن قتادة .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : فإن النصارى لما ظلموا بيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت تُصلي إليها اليهود ، عوقبوا شرعًا وقدرًا بالذِّلة فيه إلا في أحيان من الدهر أُشحن بهم بيت المقدس ، وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضًا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم ، والله أعلم .

اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا نُهك ضربًا وأُبلغ في العقوبة .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالخزي في قوله تعالى : ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ [البقرة : ١١٤] ؟

ج : المراد بالخزي العار والشرّ والذِّلة ، وهذا يكون بأمور منها :

- القتل والسبي .
- أداء الجزية عن يد وهم صاغرون .
- ظهور المهدي وإنزال هزيمة هؤلاء على يديه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الوارد في فضل المساجد وتكريمها ؟

ج : ورد في ذلك شيء كثير نورد منه ما يلي :

- **إضافة المساجد لله عز وجل :** – وهي إضافة تشريف – في قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله ﴾ [التوبة : ١٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾ [البقرة : ١١٤] .

- **أذن الله عز وجل برفعها** كما قال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ [النور : ٣٦ ، ٣٧] .

• **جعل الله عمارتها دليلًا على الإيمان** كما قال سبحانه : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [التوبة : ١٨] .

• **جعل الله عز وجل مُخرِّب المساجد أظلم الناس** ، قال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] .

• **المساجد خير بقاع الأرض** فقد ذكر ذلك النبي ﷺ[١] .

• **بوَّابو المساجد هم الملائكة** يكتبون الداخل أولًا بأول .

• **كافأ الله عز وجل من بنى مسجدًا ببيت في الجنة** كما قال النبي ﷺ : « من بنى لله مسجدًا (يبتغي به وجه الله) بنى الله له بيتًا في الجنة »[٢] .

• **جُعل للماشي إلى المسْجد عظيم الأجر وجزيل الثواب** فقد قال النبي ﷺ : « من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة »[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلًا في الجنة كلما غدا أو راح »[٤] .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رجل لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه ، وكان لا تخطئه صلاة ، قال : فقيل له:

---

(١) وقد تقدم ذلك ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٠) ، ومسلم (حديث ٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢) ، ومسلم (حديث ٦٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

أو قلت له : لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء ، قال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله »[1].

ونحوه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : « إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، قال : « يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم . دياركم تكتب آثاركم »[2] .

● **وَعَدَّ النبي ﷺ مما يمحو الله به الخطايا كثرة الخطا إلى المساجد** ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط »[3] .

● **وكان جزاء من تعلَّق قلبه بالمسجد أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**[4].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٣) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .
(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥١) .
(٤) أخرج البخاري (حديث ١٤٢٣) ، ومسلم (حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم =

• وتكريمًا للمساجد أمر النبي ﷺ من دخلها أن يركع ركعتين قبل أن يجلس [1].

• وشرع لمن دخلها أن يقول : اللهم افتح لي أبواب رحمتك [2].

• وعَدَّ البزاق في المسجد خطيئة وكانت كفارتها دفنها [3].

• ونزَّه رسول الله ﷺ المساجد عن خبيث الرائحة فقال : « من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزل مسجدنا » [4]، ولما بال الرجل في المسجد قال النبي ﷺ : « إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » [5]

* * *

= لا ظل إلا ظله ... ، ورجل قلبه معلق في المساجد ... » الحديث .

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٤٠) ، ومسلم (حديث ٧١٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » .

(٢) أخرج مسلم (حديث ٧١٣) من حديث أبي حميد (أو أبي أسيد) الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ... » الحديث .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٤١٥) ، ومسلم (حديث ٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » .

(٤) أخرج البخاري (حديث ٥٤٥٢) ، ومسلم (حديث ٥٦٤ ص ٣٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا » .

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

• والملائكة تصلي على المصلي ما دام في مصلاه الذي صلى فيه تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يُحْدِث[1] .

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] وسبب نزولها ؟

ج : أما قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ أي : ولله ملك المشرق والمغرب ، أما قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ فللعلماء فيه أقوال :

• منها أن هذا في صلاة النافلة على الراحلة في السفر فيصلي الشخص النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت به كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : إنما نزلت هذه الآية ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوُّعًا ، ويلتحق بالمسافر الخائف والمطلوب والمقاتل ونحو ذلك .

• ومنها أن معنى الآية الكريمة : ولله المشرق والمغرب فأينما توجهتم في سفركم فثم (هنالك) قبلة الله فاتجهوا إليها .

• ومنها أن هذه الآية الكريمة كانت قبل الأمر بالتوجه إلى القبلة فلما نزل قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] نسخها[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩) ، ومسلم (حديث ٦٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٨٣٥) قال : قوله عز وجل : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ ثم نسخ ذلك بعد ذلك فقال الله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

هذه هي أقوى الأقوال في تأويل هذه الآية الكريمة ، والله تعالى أعلم .

س : هل لهذه الآية ﴿ ولله المشرق والمغرب ... ﴾ [البقرة : ١١٥] صلة بالآية التي قبلها ؟

ج : قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : هي لها [مواصله] ، وإنما معنى ذلك : ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها ، ولله المشرق والمغرب فأينما توجِّهوا وجوهكم فاذكروه فإن وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه وبلاده ويعلم ما تعملون ولا يمنعكم تخريب من خرَّب مسجد بيت المقدس ومنعهم من مَنعوا من ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه .

❋ ❋ ❋

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

سبحانه – قانتون – بديع ؟

ج :

الكلمة	معناها
سبحانه قانتون	تنزه عن الولد خاضعون مطيعون[1] – مقرون بالعبودية – قائمون يوم القيامة ، والقنوت يطلق على القيام في الصلاة أيضًا كما قال النبي ﷺ : « أفضل الصلاة طول القنوت » . ويطلق على السكوت أيضًا ، فكان الصحابة يتكلمون في الصلاة حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فأمروا بالسكوت ، ويطلق على الدعاء كذلك .
بديع	هو المبدع ، وبديع السموات والأرض منشؤهما على غير مثالٍ سابق (وسُمي المبتدع مبتدعًا لإحداثه منه ما لم يسبقه إليه غيره) .

(١) فإن قيل : الكافر غير مطيع لله فالإجابة أن أقدار الله عز وجل من موت وحياه ومرض =

س : من هم الذين قالوا : اتخذ الله ولدًا ؟

ج : هم اليهود والنصارى وطوائف من أهل الشرك ، فاليهود قالوا : عُزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وطوائف من المشركين قالوا : الملائكة بنات الله .

قال الله عز وجل : ﴿ وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

● وقال تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ [النحل : ٥٧] .

***

س : ما معنى سبحانه في قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : معناها هنا – والله أعلم – : تنزه عن الولد .

***

= ومصائب وحوادث ورزق وولد ونحو ذلك تجري عليه رغم أنفه .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى معاني القنوت في قوله تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾ [البقرة : ١١٦] الطاعة والإقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها ، وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدًا بقوله : ﴿ بل له ما في السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١١٦] ملكًا وخلقًا ثم أخبر عن جميع ما في السموات والأرض [أنها] مُقرة بدلالتها على ربها وخالقها وأن الله تعالى بارئها وصانعها ، وإن جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة بشهادتها له بآثار الصنعة التي فيها بذلك وأن المسيح أحدهم فأنى يكون لله ولدًا وهذه صفته ؟!!!

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تنفي الولد عن الله سبحانه وتعالى وتبين جرم من جعل لله عز وجل ولدًا ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قول الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [الإخلاص : ١ -٤] .

● وقول الله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا* لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًا ﴾ [مريم : ٨٨ -٩٤] .

● وقول الله عز وجل : ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾ [الأنعام : ١٠١] .

● وقوله تعالى : ﴿ .. وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا ﴾ [الكهف : ٤ ، ٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ [البقرة : ١١٦] .

● وقال الله عز وجل في الحديث القدسي : « كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا ، وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ، ولم أولد ، ولم يكن لي كفوًا أحد »(١) .

* * *

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بل له ما في السموات

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٧٣٩/٨) ، والنسائي (١١٢/٤) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل .

والأرض ﴾ [البقرة : ١١٦] عقب قوله عز وجل : ﴿وقالوا اتخذ الله ولدًا ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : وجه ذلك كما قال الطبري رحمه الله : وكيف يكون المسيح لله ولدًا وهو لا يخلو إما أن يكون في بعض هذه الأماكن إما في السموات وإما في الأرض ولله ملك ما فيهما ، ولو كان المسيح ابنًا كما زعمتم لم يكن كسائر ما في السموات والأرض من خلقه وعبيده في ظهور آيات الصنعة فيه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة : ١١٧] عقب قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا ﴾ [البقرة : ١١٦] ؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل بيَّن وأوضح أنه خلق السموات والأرض على غيرِ مثال سابق ، وكذلك فهو قادر على خلق المسيح من غير أبٍ على غير مثالٍ سابق[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : قسم بعض أهل العلم البدعة إلى قسمين اذكرهما مع مثالٍ لكل منهما؟

ج : قسم بعضهم البدعة إلى قسمين[(٢)] :

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : فمعنى الكلام : سبحان الله أنّى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض تشهد له جميعًا بدلالتها علية بالواحدانية وتقرُّ له بالطاعة وهو بارئها وخالقها ومُوجدها من غير أصل ولا مثالٍ احتذاها عليه ، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بُنُوَّته وإخبارٌ منه أن الذي ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والدٍ بقدرته .

(٢) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ، وقال القرطبي رحمه الله : كل بدعةٍ صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أولًا فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه فهي في حيِّز المدح وإن لم يكن =

● بدعة شرعية كقول النبي ﷺ : « وكل بدعة ضلالة »[1] .

● بدعة لغوية كقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على صلاة التراويح نعم البدعة هذه[2] .

= مثاله موجودًا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهذا فعله من الأفعال المحمودة وإن لم يكن الفاعل قد سُبق إليه ، ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه : نعم البدعة هذه ، لمَّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيِّز المدح وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس عليها فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها وجمع الناس لها وندبهم إليها بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة ، وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيِّز الذم والإنكار قال معناه الخطابي .

قلت (القائل هو القرطبي رحمه الله) : وهو معنى قوله ﷺ في خطبته : « وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[1] يريد ما لم يوافق كتابًا أو سنته أو عمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد بيَّن هذا بقوله : « من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنه سيئة كان عليه وِزْرُها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[2] وهذا إشارة إلى كل ما ابتدع من قبيح وحسن وهو أصل هذا الباب ، وبالله العصمة والتوفيق لا رب غيره .

(١) أخرجه مسلم ، (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم ومساكم ويقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٠) من طريق عبد الرحمن بن عبدٍ القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يُصلي الرجل لنفسه ويُصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا (مصحوبًا بقصة) .

س : ما معنى ﴿ قضى ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ [البقرة : ١١٧] ؟

ج : قضى هنا بمعنى أحكم وأمضى وفرغ منه ، قال الطبري رحمه الله يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وإذا قضى أمرًا ﴾ [البقرة : ١١٧] وإذا أحكم أمرًا وحتمه[١] ، وأصل كل (قضاء أمرٍ) الإحكام والفراغ منه ، ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس (القاضي بينهم) لفصله القضاء بين الخصوم وقطعه الحكم بينهم وفراغه منه به ، ومنه قيل للميت (قد قُضي) يُراد به قد فرغ من الدنيا : وفصل منها ، ومنه قيل : (ما ينقضي عجبي من فلان) يُراد ما ينقطع ومنه قيل (تقضَّى النهار) إذا انصرم ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٢٣] أي فصل الحكم بين عباده بأمره إياهم بذلك ، وكذلك قوله : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ [الإسراء : ٤] أي أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ، ففرغنا إليهم منه .

ومنه قول أبي ذؤيب :

وَعَليهما مَسْرُودتــان[٢] قَضَاهما   داودُ أو صنع السوابغَ تُبَّعُ[٣]

ويروى وتعاوَرا[٣] مَسرودَتَين قَضَاهما .

---

(١) حتم الأمر أي قضاه قضاء لازمًا .

● وقال القرطبي رحمه الله : وقال الأزهري : قضى في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه .

● وقال القرطبي أيضًا : قال علماؤنا : ﴿ قضى ﴾ لفظ مشترك : يكون بمعنى الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ [فصلت : ١٢] أي خلقهن ويكون بمعنى الإعلام ، قال الله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ [الإسراء : ٤] أي أعلمنا ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام ، ومنه سُمِّي الحاكم قاضيًا ويكون بمعنى توفية الحق قال الله تعالى : ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ [القصص : ٢٩] ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى : ﴿ فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [غافر :٦٨] أي إذا أراد خلق شيء .

(٢) مسرودتان أي درعان .

(٣) تعاورنا فلانًا بالضرب ضربناه واحدٌ بعد واحد .

ويعني بقوله (قضاهما) أحكمهما ، ومنه قول الآخر في مدح عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قضيت أمورًا ثم غادرت بعدها بوائق[1] في أكامها لم تفتــق

ويروى « بوائج »[2]

❋ ❋ ❋

س : اذكر معاني الأمر في كتاب الله عز وجل ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

والأمر في القرآن يتصرف على أربعة عشر وجهًا .

● **الأول : الدِّين** قال الله تعالى : ﴿ حتى جاء الحق وظهر أمر الله ﴾ [التوبة : ٤٨] يعني دين الله الإسلام .

● **الثاني : القول** ومنه قول الله تعالى : فـإذا جـاء أمرنـا) [المؤمنون : ٢٧] يعني قولنا[3] ، وقوله : ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾ [طه : ٦٢] يعني قولهم .

● **الثالث : العذاب** ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لما قضي الأمر ﴾ [إبراهيم : ٢٢] يعني لما وجب العذاب بأهل النار .

● **الرابع : عيسى عليه السلام** ، قال الله تعالى : ﴿ إذا قضى أمرًا ﴾ [آل عمران : ٤٧] يعني عيسى[4] وكان في علمه أن يكون من غير أب .

---

(١) البوائق جمع بائقة وهي الداهية المنكرة التي فتحت ثغرةً لا تُسد ، والأكام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه وقوله (لم تفتق) أصلها تتفتق، حذف أحد التاءين وتفتق الكم عن زهرته أنشق وانفطر ، قاله الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وقال أيضًا .

(٢) بوائج جمع بائجة وهي الداهية التي تنفتق انفتاقًا منكرًا فتعم الناس وتتابع عليهم شرورها .

(٣) ولمنازع أن ينازع في هذا المعنى في هذا الموطن ، وكذلك في بعض المعاني المذكورة في غيره من الأوجه التي ذكرها القرطبي رحمه الله .

(٤) وهذا أيضًا مما يُنازع فيه .

● **الخامس : القتل ببدر** ، قال الله تعالى : ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ [غافر : ٧٨] يعني القتل ببدر ، وقوله تعالى : ﴿ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا ﴾ [الأنفال : ٤٢] يعني قتل كفار مكة .

● **السادس : فتح مكة** ، قال الله تعالى : ﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [التوبة : ٢٤] يعني فتح مكة .

● **السابع : قتل قريظة وجلاء بني النضير** ، قال الله تعالى : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

● **الثامن : القيامة** ، قال الله تعالى : ﴿ أتى أمر الله ﴾ [النحل : ١] .

● **التاسع : القضاء** ، قال الله تعالى : ﴿ يُدبر الأمر ﴾ [يونس : ٣١] يعني القضاء .

● **العاشر : الوحي** ، قال الله تعالى : ﴿ يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ [السجدة : ٥] يقول يُنزل الوحي من السماء إلى الأرض ، وقوله ﴿ يتنزل الأمر بينهن ﴾ [القمر : ١٢] يعني الوحي .

● **الحادي عشر : أمر الخلق** ، قال الله تعالى : ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [الشورى : ٥٣] يعني أمور الخلائق .

● **الثاني عشر : النصر** ، قال الله تعالى : ﴿ يقولون هل لنا من الأمر من شيء ﴾ [آل عمران : ١٥٤] يعنون النصر ، ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ [آل عمران : ١٥٤] يعني النصر .

● **الثالث عشر : الذنب** قال الله تعالى : ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ [الطلاق : ٩] يعني جزاء ذنبها .

● **الرابع عشر : الشأن والفعل** قال الله تعالى : ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ [هود : ٩٧] أي فعله وشأنه وقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون

عن أمره ﴾ [النور : ٦٣] أي فعله[١] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أراد الله عز وجل أمرًا فهل يتحقق هذا الأمر بدون قولٍ منه سبحانه أم أنه يتحقق بقول الله عز وجل ﴿ كن ﴾ وما في معناه ؟

ج : ذهب بعض العلماء مذهبًا ضعيفًا هنا فقالوا : إن ما يريده الله سبحانه وتعالى يتحقق بدون قول ﴿ كن ﴾ ، وقالوا إن قول الله عز وجل ﴿ إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ نظير قول القائل (قال فلان برأسه) و(قال بيده) إذا حرَّك رأسه ، أو أومأ بيده و لم يَقل شيئًا ، قالوا وهو كقول عمرو بن حممة الدوسي :

فَأَصبَحتُ مثل النِّسر طارتْ فِرَاخُهُ إذا رامَ تَطْيَارًا يُقال له قَعِ

قالوا : ولا قول هناك ، وإنما معناه إذا رام طيرانًا وقع .

قلت : وهذا مذهب ضعيف والصواب من القول ما ذكر الله في كتابه حيث قال سبحانه :

● ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

● وقال سبحانه : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

● وقال سبحانه : ﴿ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة : ١٠٩] وفي الحديث القدسي في قصة الرجل الذي لم يفعل خيرًا قط وحضرته الوفاة فقال : « إذا أنا مِتُّ فحرِّقوني ثم اسحقوني ثم ذرُّوني في اليم في يومٍ عاصف ... » الحديث وفيه أنهم فعلوا به ما أمرهم فقال الله

(١) وفي بعض ما ذكره القرطبي من المعاني نظر ، والله تعالى أعلم .

له كن رجلًا فإذا هو رجل قائم بين يدي الله عز وجل[1] .

● ومنه قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ... ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا ، وله طرق عن رسول الله ﷺ .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ
قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩
وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ
مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ
أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

لولا – يوقنون – الجحيم – ملتهم – ولي – نصير – يتلون حق تلاوته ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
لولا	هلا

الكلمـة	معناهـا
يوقنون	يُصدِّقون ويتبعون المرسلين ويذعنون لأوامر الله عز وجل
الجحيم	هي النار إذا شبت وقودها
ملتهم	دينهم
وليٌّ	مَن يتولاك ويقوم بأمرك
نصير	ناصر ينصرك
يتلونه حق تلاوته	يتبعونه حق اتباعه ويقومون به خير قيام ، ومن تفسير التلاوة بالاتباع قوله تعالى : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ [الشمس : ٢] ، وقيل في يتلونه حق تلاوته يرتلونه حق ترتيله ، وقيل لا يحرفونه ولا يغيرونه ولا يبدلونه ، والقول الأول عليه أكثر أهل العلم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين لا يعلمون المذكورون في قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟ ومن هم الذين من قبلهم المذكورون في نفس الآية أيضًا ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : **إن المراد بـ ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هنا هم النصارى** ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لأن سياق الآيات المتقدمة فيهم .

● **وقال آخرون هم النصارى ومعهم اليهود أيضًا** فقد تعنت اليهود وطلبوا الآيات من موسى عليه السلام فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة إلى غير ذلك من الآيات الواردة في تعنتهم .

● **وقال أكثر المفسرين إن الذين لا يعلمون هم مشركو العرب** فهم الذين تعنتوا وطلبوا الآيات من رسول الله ﷺ كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا ﴾ [الإسراء : ٩٠-٩٣] .

وقالوا : ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ [الأنبياء : ٥] وقال تعالى : ﴿ بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفًا منشرة ﴾ [المدثر : ٥٢] وقال تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

● **والصواب من القول أن يُقال إن الذين لا يعلمون هم الجهلة من هذه الفرق من النصارى واليهود وأهل الشرك** الذين سألوا أنبياءهم الآيات ، والله تعالى أعلم .

أما الذين من قبلهم فمبنية على تفسير ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ [البقرة : ١١٨] ، فإن قيل الذين لا يعلمون هم مشركو العرب فالذين من قبلهم هم أهل الكفر بصفة عامة من قوم نوح وهود وصالح و ... ومن اليهود والنصارى كذلك .

وإن قلنا إن ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم النصارى فالذين من قبلهم هم اليهود وسائر أمم الكفر ، وإن أطلقنا القول فالذين من قبلهم هم الكفار الذين تقدموا وسألوا الآيات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف تجمع بين قوله تعالى ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ [البقرة : ١١٨] وبين قوله عز وجل ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] ؟

ج : وجه الجمع أن قلوبهم متشابهة في كفرهم وعنادهم وتعنتهم وزيغهم كما قال تعالى ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به ﴾ [الذاريات : ٥٢ ، ٥٣] أي كأنهم تواصوا بتكذيب الرسل ووصفهم بالسحر والجنون ، أما قوله تعالى ﴿ تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] فهذا في التعاملات التي تجري بينهم .

وموقف كل منهم تجاه الآخر وتضليل كل منهم للآخر ، فهم وإن تشابهت قلوبهم في كونهم كفارًا متعنتين ، فقلوبهم كذلك مختلفة فيما بينهم في تضليل كل منهم للآخر وحسد كل منهم للآخر وعداوة كل منهم للآخر كما قال تعالى ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ [المائدة : ١٤] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالآية في قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟

ج : المراد بالآية المعجزة كسؤالهم رؤية الله جهرة وكسؤالهم جعل الصفا

ذهبًا وكسؤالهم الرُّقيَّ في السماء ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ [البقرة : ١١٨] ؟

ج : المعنى أنكم يا من سألتم عن الآيات وجاء ذكركم في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] فهذه الآيات قد بُيِّنت لكم وفصلت لكم تفصيلًا فهذا كتاب الله كله آيات دالة على صدق نبوة أنبيائنا .

وثمَّ آيات أُخر كانشقاق القمر وحنين الجذع وتكثير الطعام وتكليم الحيوان لرسولنا وتسليم الأحجار عليه وإذعان الأشجار إليه ، و... إلى غير ذلك من الآيات التي بيناها وفصلناها للموقنين فهم الذين ينتفعون بهذه الآيات أما الذين ختم على قلوبهم وسمعهم وجُعل على أبصارهم غشاوة فالأمر فيهم كما قال تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس : ٩٦] وكما قال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] والله أعلم .

***

س : ما المراد بالحق في قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [البقرة : ١١٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أنه الصدق **الثاني** : أنه القرآن **الثالث** : الإسلام وبكل هذا أرسل رسول الله ﷺ .

س : قوله تعالى : ﴿ بشيرًا ونذيرًا ﴾ [البقرة : ١١٩] بشير بماذا ولمن ؟ ونذير لمن ومن ماذا ؟

ج : بشير لمن أطاعه وصدقه واتبعه بالجنة ونذير لمن عصاه وخالفه وكذبه بالنار ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [البقرة : ١١٩] اذكر آيات في معنى الآية الكريمة وهل صح لهذه الآية سبب نزول ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أنك لست مسئولًا عن كفر من كفر وعصيان من عصى وتمردِ من تمرد ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ والتبشير والإنذار أما الآيات التي في معناها فمنها :

- قول الله تعالى : ﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ [الرعد : ٤٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] .
- قوله تعالى : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ [قٓ : ٤٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت نذير ﴾ [هود : ١٢] .
- ولانعلم لهذه الآية سبب نزول صحيح ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : الآية هي قوله تعالى : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون

سواء ﴾ [النساء : ٨٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالعلم في قوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : المراد بالعلم هنا مايلي :

● العلم ببطلان عقائدهم وتحريفهم الكتب المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى .

● العلم أن الإسلام هو دين الحق وما سواه من الأديان باطل .

● عموم العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ من كتاب الله وما أوحاه الله عز وجل إليه من السُّنة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل الكفر ملة واحدة أو عدة ملل ؟

ج : ذكر أهل العلم قولين في هذا الباب :

●فمن العلماء من ذهب إلى أن **الكفر ملة واحدة** مستدلًّا بقوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] فأفرد الملة هنا ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [الكافرون : ٦] ومن العلماء القائلين بهذا القول أبو حنيفة والشافعي وداود وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين نقله عنهم القرطبي رحمه الله .

● ومن العلماء من ذهب إلى أن **الكفر ملل** واستدل بحديث النبي

ﷺ : « لا يتوارث أهل ملتين »[1] ومن القائلين بهذا القول الإمام مالك والإمام أحمد في الرواية الأخرى رحمهما الله عز وجل .

ويشهد له قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

***

س : اذكر المعنى الإجمالى لقوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .. ﴾ [البقرة : ١٢٠] ؟

ج : **قال القرطبي رحمه الله تعالى** : المعنى : ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا ، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك ، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم .

● **وقال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله** : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدِّين القيم ، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة ، واليهود والنصارى لاتجتمع على الرضا بك إلا أن تكون يهوديًا نصرانيًا ، وذلك مما لا يكون منك أبدًا لأنك شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادَّان في حال واحدة ، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل ، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم

---

(١) إسناده حسن فقد أخرجه أبو داود (حديث ٢٩١١) ، وأحمد (٢/١٧٨-١٩٥) وغيرهما من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا .

هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

وأما (الملة) فإنها الدِّين وجمعها الملل .

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] إن هدى الله هو الهدى يعني إن بيان الله هو البيان المقنع والقضاء الفاصل بيننا فهلموا إلى كتاب الله وبيانه الذي بيَّن فيه لعباده ما اختلفوا فيه وهو التوراة التي تقرون جميعًا بأنها من عند الله يتضح لكم فيها المحق فينا من المبطل وأيُّنا أهل الجنة وأيُّنا أهل النار وأيُّنا على الصواب وأيُّنا على الخطأ .

● وإنما أمر الله نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه لأن فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا : من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى وبيان أمر محمد ﷺ وأن المكذِّب به من أهل النار دون المصدِّق به .

● ثم قال الطبري رحمه الله تعالى في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٠] يعني جل ثناؤه ﴿ ولئن اتبعت ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك من تهوُّد وتنصُّر فصرت من ذلك إلى إرضائهم ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جآءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبئهم في هذه السورة مالك من الله من ولي – يعني بذلك : ليس لك يا محمد من وليٍّ يلي أمرك ، وقيم يقوم به ، ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك إن أحلَّ بك ذلك ربُّك .. ثم قال رحمه الله وقد قيل : إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد ﷺ لأن اليهود والنصارى دعته إلى أديانها ، وقال كل حزب منهم إن الهدى هو

ما نحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل فوعظه الله أن يفعل ذلك وعلَّمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم ، والله أعلم .

* * *

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ... ﴾ [البقرة : ١٢١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :-

الأول أنهم علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله[1] وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [القصص : ٥٢ - ٥٤] .

---

(١) وقد انتصر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لهذا القول فقال : لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدَّل منهم كتاب الله وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل ، ولم يجر لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر فيكون قوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ موجَّهًا إلى الخبر عنهم ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجهًا ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله ﷺ وبعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له .

فإذ كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجَّهًا إلى أنه خبر عمن قص الله جل ثناؤه قصصهم في الآية قبلها والآية بعدها ، وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية : الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد - وهو التوراة - فقرءوه واتبعوا ما فيه فصدَّقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي أولئك يتلونه حق تلاوته ، وإنما أدخلت الألف واللام في الكتاب لأنه معرفة ، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه عرفوا أي الكتب عَنَى به .

● **الثاني :** أنهم أصحاب محمد ﷺ[1] .

● **الثالث :** أورده ابن عطية في المحرر فقال : ويحتمل أن يُراد بالذين العموم في بني إسرائيل والمؤمنين من العرب .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ حق تلاوته ﴾ ؟

ج : المراد المبالغة في صفة اتباعهم للكتاب .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ [البقرة : ١٢١] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أن من أقام دينه من أهل الكتاب وآمن بما في كتابه واتبع ما فيه حق الاتباع قاده هذا الإيمان والاتباع إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به ومن كفر فأولئك هم الخاسرون[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقد ورد بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (١٨٧٨) .

(٢) قال الطبري رحمه الله : فأخبر جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها والعاملُ بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته دون من كان محرفًا لها مبدِّلًا تأويلها مغيِّرًا سننها تاركًا ما فرض الله فيها عليه ، وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لأن في اتباعها اتباع محمد ﷺ وتصديقه لأن التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم ، وأن في التكذيب بمحمد التكذيب لها ، فأخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ وهم العاملون بما فيها .

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ به ﴾ [البقرة : ١٢١] يرجع إلى من ؟

ج : قيل : إنه يرجع إلى رسول الله ﷺ وقيل إنه يرجع إلى القرآن كما قال تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] .

* * *

س : فيم يتمثل الخسران في قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾ ؟

ج : الخسران يتمثل في ولوج هذا الخاسر النار كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ [هود : ١٧] .

● وكما قال النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار »[١] .

* * *

س : لماذا كُرر قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .. ﴾ الآية [البقرة : ١٢٢] ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وكررت ها هنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم نعته واسمه وأمره وأُمته فحذرهم من كتمان هذا وكتمان ما أنعم به عليهم ، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم من النعم الدنيوية والدينية ولا يحسدوا بني عمهم[٢] من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه والحيد عن موافقته صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين .

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .
(٢) مراده أن العرب أولاد إسماعيل ، واليهود أولاد إسحاق ، وإسماعيل وإسحاق أخوان .

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

ج : ابتلى – بكلماتٍ – أتمهن – إمامًا – لا ينال عهدي الظالمين .

الكلمة	معناها
ابتلى	امتحن – اختبر
بكلمات	شرائع وأوامر ونواهي وتكاليف .
أتمهن	قام بهن وعمل بهن وأدى جميع ما كلِّف به .
إمامًا	قدوة يُقتدى بدينك وهديك وسنتك ، والإمام هو الذي يؤتم به ، ومنه قيل للطريق : إمام كما قال تعالى : ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ .
لا ينال عهدي الظالمين	لا يكن إمامًا لي ظالم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو العامل في (إذ) من قوله تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ [البقرة : ١٢٤] ؟

ج : العامل فيه هو (واذكر) فالمعنى : واذكر إذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث في الثناء على نبي الله إبراهيم عليه السلام وبيان فضله وتكريمه ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [النحل : ١٢٠ - ١٢٣] .

● وقوله تعالى لإبراهيم : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٠ - ١٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا

تقبل منا إنك أنت السميع العليم .... ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ... ﴾ الآيات [الممتحنة : ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ [الأنعام : ٧٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما مُحسن وظالم لنفسه مبين ﴾ [الصافات : ١١٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٥٤] .

● وقال تعالى : ﴿ وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٨ ، ١٠٩] .

● وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه قال تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

● وجعل الله عز وجل النبوة في ذريته كما قال سبحانه : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

● وقال تعالى : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

● وقال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

● وقال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقًا نبيًّا ﴾ [مريم : ٤١] .

أما الأحاديث فمنها :

● قول المسلمين في كل صلاة يصلونها - كما علمهم نبيهم محمد

ﷺ - : « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[1] .

● وفي الصباح كان النبي ﷺ يقول : « أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ **وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين** »[2] .

● ورأى النبي ﷺ الأطفال حول إبراهيم عليه السلام في الجنة كما في حديث سمرة بن جندب[3] رضي الله عنه .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الكلمات التي ابتلى اللَّهُ عز وجل بها إبراهيمَ عليه السلام ؟

ج : هي عموم الشرائع والأوامر والنواهي والتكاليف التي كلَّف الله عز وجلَّ بها إبراهيم عليه السلام فيدخل في ذلك ما ذكره العلماء مما يلي :

● فراق إبراهيم عليه السلام قومه في الله حين أُمر بفراقهم[4] .

● ومحاجته للنمرود كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أُحيي

---

(١) أخرجه البخاري (بهذا اللفظ) مع الفتح (٤٠٨/٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٦/٣) من حديث ابن أبزى مرفوعًا وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا وفيه « ... وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ... » الحديث .

(٤) قال تعالى : ﴿ فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [البقرة : ٢٥٨][1] .

● صبره على قذفه في النار .

● ما أمره الله به من إكرام الضيف وصبره على ذلك .

● وما ابتلي به من أمره بذبح ولده عليهما السلام وصبره على ذلك وامتثاله ما أمره الله به ويدخل في ذلك أيضًا ما ذكره العلماء وفيه :

● أن الله عز وجل ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد ، في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، وفي الجسد تقليم الأظافر ، وحلق العانة والختان ، ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء .

● ويدخل فيها أيضًا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة .

● ويدخل فيها أيضًا ما ذكره بعض أهل العلم حيث قال : الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات[2] في براءة ﴿ التائبون العابدون... ﴾ إلى آخر الآية [التوبة : ١١٢] ، وعشر آيات[3] في أول سورة قد أفلح

---

(١) فتكلَّم إبراهيم عليه السلام بكلمة الحق عند سلطان جائر .

(٢) يقصد عشر صفات وهي : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين .. ﴾ [التوبة : ١١٢] .

(٣) يعني عشر صفات أيضًا وهي : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذي هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ [المؤمنون : ١ - ٩] .

المؤمنون ﴿ وسأل سائل بعذاب واقع ﴾ [المعارج : ١] وعشر آيات[1] في الأحزاب ﴿ إن المسلمين والمسلمات ... ﴾ [الأحزاب : ٣٥] فأتمهن كلهن فكتب له براءة قال الله : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] إلى غير ذلك من التكاليف التي كُلِّف بها إبراهيم عليه السلام .

وهذا العموم هو الذي اختاره ابن جرير وابن كثير رحمهما الله عز وجل .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل ، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل (الكلمات) وجائز أن تكون بعضه ، لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه ، وإذ كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم شيئًا من ذلك بعينه دون شيء ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ عن الرسول ﷺ أو إجماع من الحجة ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول ﷺ بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته .

* * *

س : لماذا أطلق على هذه التكاليف كلمات ؟

ج : قال ابن عطية رحمه الله : لأنها اقترنت بها أوامر هي كلمات .

---

(١) يعني قوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والخاشعين والخاشعات والصابرين والصابرات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ فأتمهن ﴾ [البقرة : ١٢٤] يرجع إلى مَنْ ؟ وما معنى ذلك ؟

ج : يرجع الضمير إلى إبراهيم ﷺ في قول أكثر المفسرين والمعنى : فقام بهن خير قيامٍ وأداهن أحسن التأدية من غير تفريطٍ ولا توانٍ وهو نحو قوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

● وذهب فريق من العلماء إلى أنه يرجع إلى الله تبارك ، والمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا .

❋ ❋ ❋

س : الآية الكريمة ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ... ﴾ [البقرة : ١٢٤] تدل على أن الأنبياء معصومون من أن يظلموا الناس وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الأنبياء عليهم السلام – كما هو معلوم ابتداءً – أئمة يُقتدى بهم كما قال الله تبارك وتعالى في شأن إبراهيم عليه السلام وذريته : ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلًّا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٩٠] ، فأمرنا الله بالاقتداء بهم ، ولما كانوا أئمة يقتدى بهم عُلم أنهم ليسوا ظلمة ، لأن الله تبارك وتعالى قال :

﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● **قال الرازي رحمه الله (٤/٤٠) :** الآية تدل على عصمة الأنبياء من وجهين :

الأول : أنه قد ثبت أن المراد من هذا العهد[1] الإمامة ولا شك أن كل نبي إمام ، فإن الإمام هو الذي يؤتم به ، والنبي أولى الناس ، وإذا دلت الآية على أن الإمام لا يكون فاسقًا فبأن تدل على أن الرسول لا يجوز أن يكون فاسقًا فاعلًا للذنب والمعصية أولى .

الثاني : قال : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، فهذا العهد إن كان هو النبوة وجب أن تكون لا ينالها أحد من الظالمين ، وإن كان هو الإمامة فكذلك ، لأن كل نبي لا بد وأن يكون إمامًا يؤتم به ، وكل فاسق ظالم لنفسه فوجب أن لا تحصل النبوة لأحدٍ من الفاسقين ، والله أعلم .

* * *

س : قول الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ ومن ذريتي ﴾ [البقرة : ١٢٤] هل هو دعاء أو استفهام ؟

ج : من العلماء من قال : إنه دعاء والمعنى واجعل اللهم من ذريتي أئمة كما جعلتني إمامًا .

● ومن العلماء من قال : إنه استفهام بمعنى وهل تجعل يا رب من ذريتي أئمة كذلك ؟ والعلم عند الله تعالى .

* * *

(١) يعني العهد المذكور في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

س : على مَن تُطلق الذُّرية ؟

ج : تطلق الذُّرية في الغالب على الأبناء ومن جاء منهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ [الإسراء : ٣] وقوله تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] وقول الخليل عليه السلام : ﴿ ومن ذريتي ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقد تطلق الذرية على الآباء أحيانًا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ﴾ [يسٓ : ٤١] أي : آباءهم .

● وقد تطلق على الآباء مع الأبناء ومنه قوله تعالى : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ [آل عمران : ٣٤] ، والله تعالى أعلم .

✸ ✸ ✸

س : ما المراد بالعهد في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ؟

ج : المراد والله أعلم الإمامة في الدين ، فلما قال الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿إني جاعلك للناس إمامًا﴾ طلب إبراهيم ﷺ أن يكون من ذريته أئمة أيضًا فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، أي : إذا كان في ذريتك ظالم فلن تناله الإمامة في الدين ، والله تعالى أعلم .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالعهد هنا : الأمن من العذاب يوم القيامة ، ومنهم من قال : إن المراد بالعهد هنا : الأمر أي : لا يجوز أن يكون الظلمة أهلًا ، لأن تُقبل منهم أوامر الله عز وجل .

وثمَّ أقوال أُخر ، والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

س : رجلان أحدهما مسرف على نفسه لكنه حامل لكتاب الله عز وجل ، والآخر صالح في نفسه لكنه مقلٌّ من القرآن أيهما يُقدم لإمامة الناس في الصلاة ؟

ج : الأدلة في هذه المسألة تشهد لكل وجهٍ .

● فمن قال : إن الذي يُقدم هو حامل القرآن دليله قول النبي ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل »[1] .

● ومن قال : إن الصالح يقدَّم دليله قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] لما قال لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة :١٢٤] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : الإمامة لا تُنال إلا بالصبر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه من قول الله عز وجل : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [السجدة : ٢٤] .

● وهذا إبراهيم عليه السلام لما ابتلاه ربُّه بالكلمات فأتمهن وقام بهن خير قيام من صبر على الإلقاء في النار والامتثال للأمر بذبح الولد ، ومحاجة الجبابرة والختان وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وسائر التكاليف الأخرى قال الله سبحانه : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا .... ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ٦٧٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا .... » الحديث .

وكذلك ابن عباس وغيره من الأئمة نالوا ما نالوه من العلم بالصبر على طلبه وتحصيله[1] .

وكذلك سائر الفنون لا ينبغ فيها أهلها إلا بالصبر عليها وعلى تلقيها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرج الدارمي في سننه (١٤١/١ ، ١٤٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال : واعجبًا لك يابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى ؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟! فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال : كان هذا الفتى أعقل مني . صحيح .

ومن ثمَّ فقد نبغ ابن عباس ونفع الله به وهدى الله على يديه أقوامًا ، فقد أخرج الطبراني (المعجم الكبير ١٠٥٩٨) بإسناد حسن إلى ابن عباس قال : لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حدتهم قلت لعليٍّ : يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم ، قال : فإني أتخوفهم عليك قال : قلت : كلا إن شاء الله قال : فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة ، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم ، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلبة من آثار السجود قال : فدخلت فقالوا : مرحبًا بك يابن عباس ، ما جاء بك ؟ قال : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه ، وقال بعضهم : لتحدثنه ، قال : قلت : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به ، وأصحاب رسول الله ﷺ معه ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثًا قلت : ما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حكم الرجال في دين الله ، وقد قال الله : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ [يوسف : ٤٠ ، ٦٧] قال : قلت : وماذا ؟ قالوا : وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم ، لئن كانوا كفارًا لقد حَلت له أموالهم ، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم قال : قلت : وماذا ؟ قالوا ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] وبين كون عددٍ من الأئمة ظلمة ؟

ج : الإمامة هنا هي الإمامة في الدين فلا يكون إمامًا في الدين يأمرنا الله عز وجل بالاقتداء به إلا وهو صالح كما قال تعالى : ﴿ واتبع سبيل من أناب إليَّ ﴾ [لقمان : ١٥] .

= أمير الكافرين قال : قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون ؟ قالوا : نعم ، قال : قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ إلى قوله : ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ٩٥] وقال في المرأة وزوجها : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها ﴾ [النساء : ٣٥] أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم ، قال : خرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، وأما قولكم : إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم ؟ أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم قال : وأما قولكم : إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال : « اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال : « والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله » فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا .

● وأخرج عبد الله بن أحمد في (الزوائد على فضائل الصحابة لأبيه رقم ١٩٤٧) بإسناد صحيح إلى يزيد بن الأصم قال : خرج معاوية حاجًا وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه .

● ومن العلماء من قال : لا ينال عهدُ الله في الآخرة ظالمًا ، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش .

قلت : وهذا مبني على تفسير العهد في قوله تعالى : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] فارجع إليه .

* * *

س : هل الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى أم الخروج عليه ؟

ج : الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى ما دام مسلمًا ، لقول النبي ﷺ لما سأله بعض الصحابة عن منازعة الأئمة قال : « لا إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان » .

قال القرطبي رحمه الله : والذي عليه الأكثر من العلماء أن الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه ، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف وإراقة الدماء وانطلاق أيدي السفهاء وشن الغارات على المسلمين والفساد في الأرض ، والأول مذهب طائفة من المعتزلة وهو مذهب الخوارج فاعلمه .

* * *

س : ذرية إبراهيم عليه السلام هل كلهم صالحون أم منهم الصالح والطالح ، وهل تحققت الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام ؟

ج : ذرية إبراهيم عليه السلام منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما مُحسن وظالم لنفسه مبين ﴾ [الصافات : ١١٢ ، ١١٣] .

● وقد تحققت النبوة في الصالحين منهم ، قال الله تبارك : ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧]، وقال تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

* * *

س : الظالم لا ينفعه نسبه عند الله عز وجل دلّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا نُفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

● قوله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ [عبس : ٢٤، ٢٥] .

● قول الله عز وجل لنوحٍ ﷺ لما قال : ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ [هود : ٤٥] ، ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك ﴾ [هود : ٤٦] .

● وقد أمرنا الله عز وجل بالتأسي بإبراهيم ﷺ إلا في استغفاره لأبيه كما قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ [الممتحنة : ٤] .

● ولما سأل إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته قال الله عز وجل : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

● وقول النبي ﷺ : « من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه »(١) .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا »(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ /٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
مثابة – أمنًا – عهدنا – الركع السجود ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
مثابة	مرجعًا (يثوبون أي : يرجعون) – مجتمعًا – مكان يثابون عنده .
أمنًا	من الأمن أي : أمنًا من العدو فكان الرجل يلقى قاتل أبيه ولا يتعرض له بسوء في الحرم .
عهدنا	أمرنا – أوحينا .
الركع السجود	المصلون .

***

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : المراد بالبيت هنا الكعبة ، ودليله قوله تعالى : ﴿ وليطوَّفوا بالبيت العتيق ﴾ [الحج : ٢٩] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة والبيت الحرام وكونه كان أمنًا للناس ؟

ج : من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ [آل عمران : ٩٦ ، ٩٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [القصص : ٥٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ [النمل : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ٣ ، ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس ﴾ [المائدة : ٩٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ أَوَلم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئًا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ [الحج : ٢٦] .

● وقد أقسم الله عز وجل بمكة فقال سبحانه : ﴿ والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين ﴾ [التين : ١ - ٣] .

● وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يُرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج : ٢٥] .

أما الأحاديث فمنها :

قول النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة » .

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلى خلاها » فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : « إلا الإذخر »(١) .

---

(١) • أخرجه مسلم (١٣٥٣) والبخاري (١٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وقال أبو شريح العدوي رضي الله عنه لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولًا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح - سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به - إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب »[(١)] .

● هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

● وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفا والمروة .

* * *

س : بيِّن على وجه الإجمال هل مكة أفضل أم المدينة ؟

ج : ابتداءً ففي كلٍّ خير ، ولكن على العموم فمكة أفضل من المدينة بنص حديث رسول الله ﷺ ، فقد قال النبي ﷺ : « والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت »[(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٤) ، والبخاري (حديث ١٨٣٢) .

(٢) أخرجه أحمد (المسند ٤/٧) ، والترمذي (حديث ٣٩٢٥) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، وابن ماجه (حديث ٣١٠٨) ، والحاكم في المستدرك (٣/٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين كلهم من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري (واللفظ لأحمد) أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت ».
وانظر أيضًا سنن الترمذي (حديث ٣٩٢٦) .

● ولكون الصلاة بمسجد مكة تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد(1) بينما الصلاة في مسجد المدينة تعدل ألف صلاة فقط وجمهور العلماء على أن مكة أفضل من المدينة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ مثابةً ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : في معناها أقوال :

الأول : أن معنى مثابةً مرجعًا والمعنى يثوبون إليه أي : يرجعون(2) إليه ، والمعنى أنه جعله محلًا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، فلا يكادون يقضون منه وطرًا حيث إنهم يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه فلا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرًا .

قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل ١ / ٢٤٧) : (مثابة للناس) مباءة ومرجعًا للحجاج والعمَّار ، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه ، ومثابة مفعلة من (الثوب) وهو الرجوع تراميًا إليه بالكلية ، وسر هذا التفضيل ظاهر في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها له فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فهو الأولى بقول القائل :

محاسنه هيولي كل حسن ... ومغناطيس أفئدة الرجال

فهم يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطرًا بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقًا .

لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها ... حتى يعود إليها الطرف مشتاقًا

---

(١) عند من رأى صحة الحديث بذلك .

(٢) من قولهم : ثاب فلان إلى رشده .

فللَّه كم لها من قتيل وسليب وجريح ، وكم أنفق في حبها من الأموال والأرواح ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل والأحباب والأوطان مقدمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطب والمشاق ، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبهُ ذكر هذه الشذرة (الإمام ابن القيم في أوائل زاد المعاد) .

الثاني : مثابة أي : مجمعًا لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة .

الثالث : من الثواب أي : أنهم يثابون عنده .

والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الموافقات التي وافق فيها عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل ؟

ج : من هذه الموافقات ما يلي :

١ – موافقة عمر لربه عزَّ وجل في النهي عن الصلاة على المنافقين ففي الصحيحين[1] ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « لما توفي عبد الله بن أُبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال : تصلي عليه وهو منافق ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم ؟ قال : « إنما خيرني الله – أو أخبرني الله – فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ [التوبة : ٨٠] ، فقال :« سأزيدُه على سبعين ». قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢) ، ومسلم (حديث ٢٤٠٠) .

وفي رواية أخرى للبخاري من حديث عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه قال :

« لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت : يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا - أُعَدِّد عليه قوله - فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « أخر عني يا عمر » فلما أكثرت عليه قال : « إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها » قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف لم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ ولا تُصل على أحدٍ منهم مات أبدًا - إلى - وهم فاسقون ﴾ [التوبة : ٨٤] ، قال : فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ . والله ورسوله أعلم .

٢ - موافقة عمر ربَّه عز وجل في أُسارى بدر ففي صحيح مسلم[2] من حديث عمر رضي الله عنه قال :

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : « اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل عز وجل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٦٦) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣) من طريق أبو زميل (وهو سماك الحنفي) عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه .. به .

لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [الأنفال : ٩] فأمده الله بالملائكة .

قال أبو زميل[١] فحدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر : يا نبي الله : هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطاب » قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيبًا لعمر) ، فأضرب عنقه[٢] فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ، فقال رسول الله ﷺ : « أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) ، وأنزل الله عز وجل

---

(١) هو راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) في رواية أحمد (١/ ٣٠ ، ٣١) : وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين .

﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ [الأنفال : ٦٧] إلى قوله : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالًا طيبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] ، فأحل الله الغنيمة لهم .

٣ – موافقة عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل في الحجاب .

٤ – موافقة عمر رضي الله عنه ربَّه عز وجل في قوله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى يا رسول الله ... الحديث .

٥ – موافقة عمر رضي الله عنه ربه عز وجل في قوله : ﴿ عسى ربُّه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ... ﴾ الحديث [التحريم : ٥] .

وها هو الحديث الذي يجمع هذه الثلاثة :

أخرج البخاري[1] من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث[2] فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلى فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وآية الحجاب ، قلت : يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿ عسى ربُّه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ... ﴾ [التحريم : ٥] ، فنزلت هذه الآية .

❋ ❋ ❋

(١) الحديث أخرجه البخاري (حديث رقم ٤٠٢) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري) (٥٠٥/١) : وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر ، وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح ، وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال : ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر ، وهذا دال على كثرة موافقته .

س : ما هو المراد بمقام إبراهيم عليه السلام ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام هو الحرم كله .

الثاني : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام الحج كله (الطواف بالبيت والوقوف بعرفة وبمزدلفة وبمنى ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة ...) ، والمراد أن الناس أمروا أن يتخذوا الأماكن التي قام بها إبراهيم ودعا بها مواطن يصلُّون (أي : يدعون الله) فيها كما فعل إمامهم إبراهيم عليه السلام .

الثالث : وهو الصحيح : أن المراد بمقام إبراهيم عليه السلام هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها ، وهكذا حتى تم جدران الكعبة .

كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله واختار هذا القول(١) وقال : وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية :

وموطىء إبراهيم في الصخر رطبةً   على قدميه حافيًا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه كما قال عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك(٢) حدثهم قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

قلت : ويتأيد ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من أن المقام

---

(١) وزاد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أن هذا الحجر كان ملصقًا بالكعبة وأن الذي أخَّره إلى موطنه الذي هو فيه الآن هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأورد بعض الأسانيد بذلك وقال : فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه .

(٢) إسناده صحيح إلى أنس رضي الله عنه .

هو الحَجَر ما أخرجه البخاري[1] من حديث عمرو بن دينار قال : سألنا ابن عمر رضي الله عنهما أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ؟ قال : « قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ثم صلى خلف المقامُ ركعتين وطاف بين الصفا والمروة » .

وأخرج مسلم[2] رحمه الله تعالى من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصف حجة النبي ﷺ وفيه ... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت .

* * *

س : هل يشرع مسح مقام إبراهيم ؟

ج : لا يشرع مسح مقام إبراهيم عليه السلام إذ لم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا نقل - فيما علمت - بإسناد صحيح عن أحدٍ من أصحابه ، وأما ما تقدم عن أنس أنه قال : رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم .

فليس فيه أن أنسًا فعل ذلك ولا أن هؤلاء الناس فعلوا ذلك بأمر من رسول الله ﷺ .

وقد قال قتادة رحمه الله كما روي عنه ذلك بسند حسن عند ابن جرير الطبري رحمه الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، وقد تكلفت هذه الأمة شيئًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٢٣) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

ما تكلفته الأمم قبلها[1] .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : هذا أمر من الله عز وجل لعباده أن يصلوا خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة قال : أُمروا أن يصلوا عنده[2] .

● ومن العلماء من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] أي : مُدعًى يدعون عنده ، وصليت هنا بمعنى : دعوت ، قال ابن جرير الطبري رحمه الله : وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا : إن مقام إبراهيم هو الحج كله ، فكان معناه في تأويل هذه الآية : واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مداعي تدعوني عندها وتأتمون بإبراهيم خليلي عليه السلام فيها فإني قد جعلته لمن بعده من أوليائي وأهل طاعتي إمامًا يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به .

وأما تأويل قائلي القول الآخر فإنه : اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة مني لإبراهيم ، وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب[3]

---

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٠٠٠) وعنده زيادة : ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى .

(٢) أخرجه الطبري (٢٠٠٥) بإسناد حسن عن قتادة .

(٣) يعني قول عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وقد أخرجه الطبري بإسناد صحيح رقم (١٩٨٥) وهو في الصحيح كذلك .

وجابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ .

***

س : هل كان هناك شيء عند البيت مما أمر إبراهيم بتطهير البيت منه ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أنه كان عند البيت بقايا أصنام كان يعبدها قوم نوح ومن بعدهم فأمر إبراهيم عليه السلام أن يطهر البيت منها كما فعل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حيث طهرها من الأصنام التي كانت بها ، فقد أخرج البخاري[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] و ﴿ جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يُعيد ﴾ » [سبأ : ٤٩] ، وأخرجه مسلم[2] .

● وأخرج البخاري[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رأى الصُّور في البيت لم يدخل حتىٰ أمر بها فمحيت ، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال : « قاتلهم الله ! والله إن استقسما بالأزلام قط » .

فعلى هذا فمعنى قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين والعاكفين ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] **طهراه مما به من بقايا الأصنام والأوثان .**

● **وثَمَّ قول آخر** وهو : ابنيا بيتي مطهرًا من الشرك ، وأسساه على التوحيد كما قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم والله

---

(١) حديث (٤٧٢٠) .

(٢) مسلم حديث (١٧٨١) .

(٣) البخاري حديث (٣٣٥٢) .

لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [التوبة : ١٠٩] .

● **وقول ثالث** : امنعا من أراد أن يشرك بالله عند البيت أو أن يقول الزور عنده كما جاء فيما رواه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

● **وقول رابع** : طهراه مما به من أذى وقذر ودنس وأوساخ يحدثها الناس فيه ونظفاه من هذا كله .

وينتظم معنى الآية الكريمة كل ما ذُكر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بالطائفين في قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ومن المراد بالعاكفين ؟ وكذلك من هم الركع السجود ؟

ج : أما الطائفون فعلى الصحيح هم الذين يطوفون بالبيت ، ومن العلماء من قال : إن الطائفين هم الذين أتوا إلى البيت من غَرْبةٍ ، والقول الأول أولى بالصواب .

● أما العاكفون فهم المعتكفون فيه ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالعاكفين أهل البلد الحرام (وهم المجاورون للبيت الحرام) ، والقول الأول أولى بالصواب ، والله أعلم .

● أما الركع السجود[2] فهم المصلون ، والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥٥ ، ٤٦٥٦) ، ومسلم (حديث ١٣٤٧) .

(٢) وقد روى ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة (٢٠٢٥) أنه قال : و ﴿ الركع السجود ﴾ أهل الصلاة ، والله تعالى أعلم .

س : لماذا ذكر الركوع والسجود ولم يُذكر القيام في قوله تعالى : ﴿ والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : اكتفى بذكر الركوع والسجود ، لأنه قد عُلم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام ، والله تعالى أعلم .

***

س : في قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] ردٌّ على اليهود والنصارى وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الآية الكريمة قُرِّر فيها أن إبراهيم عليه السلام أُمر أن يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واليهود والنصارى يزعمون أنهم يوقِّرون إبراهيم عليه السلام ، ومع ذلك لا يحجون البيت الذي طهره إبراهيم ﷺ ، والله أعلم .

***

س : اذكر بعض النصوص التي وردت في الحث على تطهير المساجد وتنظيفها ؟

ج : ومنها قوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور : ٣٦] .

● وكانت هناك امرأة سوداء تقمُّ المسجد على عهد رسول الله ﷺ(١)

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٤٥٨) ، ومسلم (حديث ٩٥٦) من حديث أبي هريرة =

وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن »(١) .

● وقال النبي ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها(٢) دفنها » .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنُها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق ، ووجدت في مساوىء أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن »(٣) .

✸ ✸ ✸

س : هل من مُقدَّر محذوف في قوله تعالى : ﴿ واتخذوا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن هنا مقدرٌ محذوف وهو (وقلنا) فالمعنى على ذلك : وقلنا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، والله تعالى أعلم .

✸ ✸ ✸

= رضي الله عنه أن رجلًا أسود – أو امرأة سوداء – كان يقمُّ المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا : مات ، قال : « أفلا كنتم آذنتموني به دلُّوني على قبره » أو قال : « قبرها » فأتى قبره فصلى عليه .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنَّه عليه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤١٥) ، ومسلم (٥٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج مسلم (حديث ٥٥٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

س : لماذا خُصَّت الكعبة بالذكر في قوله تعالى : ﴿ طهرا بيتي للطائفين ... ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : خصَّت بالذكر لشرفها وعلو قدرها وارتفاع منزلتها ، ولكونها أعظم حرمة من سائر البيوت ، أو لكونها كانت الموجودة وحدها إذ لم يكن هناك شيء من المساجد غيرها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبـراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] معطوف على ماذا ؟

ج : قيل : إنه معطوف على قوله تعالى : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ [البقرة : ١٢٢] ، فالمعنى : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، والله أعلم .

● وقيل : عطف على قوله تعالى : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] ، قال الرازي : والمعنى : أنه لما ابتلاه بكلمات وأتمهن قال له جزاء لما فعله من ذلك : ﴿ إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] وقال : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، ويجوز أن يكون أمر بهذا ولده إلا أنه تعالى أضمر قوله وقال ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ [الأعراف : ١٧١] .

● وقيل : إن هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وهو كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكأن وجهه ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا ﴾ [البقرة : ١٢٥] أنتم من مقام إبراهيم مصلى ، والتقدير أنه لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم ... ، والله أعلم .

س : ركعتا الطواف هل هما فرضٌ أم سُنَّة ؟

ج : إذا كان الطواف تطوعًا فركعتاه تطوعًا أيضًا ، وإذا كان الطواف فرضًا فللعلماء في ركعتيه قولان : **أحدهما** : أنها (أي : الركعتان) فرض لكون النبي ﷺ صلاهما ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا عني مناسككم » .

والثاني : أنهما نفلٌ كذلك ، لأن النبي ﷺ لما سأله الأعرابي عن الصلوات قال : « خمس صلوات في اليوم والليلة » ، فقال الأعرابي : هل عليَّ غيرها ، قال : « لا إلا أن تطوع » قال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال النبي ﷺ : « أفلح إن صدق » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هناك من قُتل عند البيت الحرام ، فكيف توجِّه قوله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥] ؟

ج : الآية محمولة على الأمر ، والمعنى : أننا أمرنا الناس أن يؤمِّنوا من دخل الحرم ، فمنهم من وفى والتزم بهذا الأمر ومنهم من خالف وعاند ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز الصلاة داخل الكعبة ؟

ج : نعم تجوز الصلاة داخل الكعبة ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقوا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٩٨) ، ومسلم (حديث ١٣٢٩) .

عليهم ، فلما فتحوا كنت أول من ولج فلقيت بلالًا فسألته هل صلى فيه رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم بين العمودين اليمانيين .

ولا يُعارض هذا بما أخرجه مسلم[1] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ، ولم يُصلِّ فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قُبُل البيت ركعتين ، وقال : « هذه القبلة » ، وذلك لأن بلالًا قد أثبت وأسامة بن زيد قد نفى والمثبت مقدم على النافي ، فلعل بلالًا رأى ما لم يره أسامة بن زيد رضي الله عنهم أو لعل الواقعة تعددت .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٥٤٧/٣) : وقد وقع إثبات صلاته فيها عن أُسامة من رواية ابن عمر عن أسامة عند أحمد وغيره فتعارضت الرواية في ذلك عنه ، فتترجح رواية بلال من جهة أنه مثبت وغيره نافٍ ومن جهة أنه لم يختلف عليه في الإثبات واختلف على من نفى ، وقال النووي وغيره : يجمع بين إثبات بلال ونفي أُسامة بأنهم لما دخلوا الكعبة اشتغلوا بالدعاء فرأى أُسامة النبي ﷺ يدعو فاشتغل أُسامة بالدعاء في ناحية والنبي ﷺ في ناحية ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ولم يره أُسامة لبعده واشتغاله ، ولأن بإغلاق الباب تكون الظلمة مع احتمال أن يحجبه عنه بعض الأعمدة فنفاها عملًا بظنه .

وقال المحب الطبري : يحتمل أن يكون أُسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أُسامة قال : دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة فرأى صورًا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فضرب به الصور ، فهذا الإسناد جيد[2] ، قال القرطبي :

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١٣٣٠) .

(٢) في إسناده عبد الرحمن بن مهران لا أعلم راويًا عنه غير ابن أبي ذئب ولم أقف =

فلعله استصحب النفي لسرعة عوده انتهى ، نقل ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ونقل أقوالًا أخر فليرجع إليها من شاء .

قلت : ويُستدل للجواز بعموم قول النبي ﷺ : « وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فحيثما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل » ، ويُستدل أيضًا بقوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [البقرة : ١٢٥] على جواز الصلاة داخل الكعبة ، ولا ينتهض شخص للاستدلال بقوله تعالى : ﴿ فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٥٠] على المنع لكونه في حق من هم ليسوا بداخل الكعبة إنما هو في حق من هم خارجها والبعيدين عنها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

= على أحدٍ وثقه سوى ابن حبان .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٢٦﴾

س : ما معنى : أضطره – المصير ؟

ج :

الكلمة	معناها
أضطره	أسوقه – أُلْجئه – أدفعه .
المصير	الموضع الذي يصير إليه الكافر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبلد في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] ؟ وهل تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام فيها ؟

ج : هذه البلدة هي مكة ، وقد تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام فيها ، ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ﴾ [النمل : ٩١] .
- وقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريشٍ * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرًا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ [الفيل : ١ - ٥] ، وقول النبي ﷺ : « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح »[(١)] .

* * *

س : اذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أن الله عز وجل يرزق الظالم ويُملي له ثم يأخذه بعد ذلك ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٣٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

● قوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليَّ المصير ﴾ [الحج : ٤٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ [النحل : ١١٦ ، ١١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون * وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف : ٣٣ - ٣٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ ... ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم قليلًا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ [لقمان : ٢٣ ، ٢٤] ، وقول النبي ﷺ : « إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته »[1] ، ثم قال : « ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ » [هود : ١٠٢] .

***

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٦٨٦) ، ومسلم (حديث ٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

س : وردت أحاديث تدل على أن الله عز وجل حرم مكة قبل خلق السموات والأرض وأحاديث تدل على أن الله عز وجل حرمها لما دعا إبراهيم بذلك فكيف تجمع بين هذه وتلك ؟

ج : وجه هذا الجمع أن يُقال : إن إبراهيم بلَّغ عن الله عز وجل حكمه فيها وتحريمه إياها ، وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها .

● ويجمع أيضًا بأن يُقال : إن إبراهيم عليه السلام أراد تأكيد حرمة مكة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من القائل : ﴿ ... ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أولهما وأصحهما : أن هذا قول الله عز وجل وبيانه أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يحجر الدعوة بالرزق للمؤمنين دون الكافرين فأجابه الله عز وجل بقوله : ﴿ ومن كفر فأمتعه قليلًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [البقرة : ١٢٦] والمعنى : ومن كفر فإني أرزقه أيضًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ، وهي كقوله تعالى : ﴿ كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾ [الإسراء : ٢٠] ، والآيات التي على شاكلتها .

والثاني : أن هذا هو قول إبراهيم عليه السلام ، وتكون القراءة فأمتعه قليلًا ثم أضطره ... بمعنى الطلب من الله عز وجل ، والقول الأول أصح وأولى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما الفرق بين هاتين الدعوتين :

الأولى : قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] :

والثانية : قوله عليه السلام : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنًا ﴾[1] [إبراهيم : ٣٥] ؟

ج : بعض أهل العلم لا يفرِّق بين هاتين الدعوتين من إبراهيم عليه السلام ويقول : إنما هو تفنن في أسلوب الخطاب ، والمعنى : رب اجعل هذا البلد بلدًا آمنا .

وبعض العلماء يُفرِّق فيقول : إن مكة كانت واديًا قبل أن تكون بلدًا

---

(١) وطرح ابن جُزي الكلبي الغرناطي سؤالًا مشابهًا في تفسيره فقال : فإن قيل : لم قال في البقرة : ﴿ بلدًا امنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] فعرَّف في إبراهيم ونكَّر في البقرة ؟ أجيب على ذلك بثلاثة أجوبة :

(الجواب الأول) : قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله : ﴿ القواعد من البيت ﴾ [البقرة : ١٢٧] وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه فلم يحتج إلى تعريف بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به فذكره بلام التعريف .

(الجواب الثاني) : قاله السهيلي ، وهو أن النبي ﷺ كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم ، لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور كقولك : هذا الرجل وهو حاضر بخلاف آية البقرة فإنها مدنية ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور ، وفي هذا نظر ، لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة .

(الجواب الثالث) : قاله بعض المشارقه أنه قال : هذا بلدًا آمنًا قبل أن يكون بلدًا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدًا آمنًا ، وقال هذا البلد بعد ما صار بلدًا وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين ، والله أعلم .

كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ﴾ [إبراهيم : ٣٧] فدعا إبراهيم عليه السلام لهذا الوادي أن يكون بلدًا بقوله : ﴿ رب اجعل هذا بلدًا آمنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] فلما استجيب دعاؤه طلب مزيدًا من الأمن لهذا البلد فقال : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنًا ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : المتاع القليل في قوله تعالى : ﴿ فأمتعه قليلًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] إلى متى ؟

ج : الصحيح من أقوال أهل العلم في ذلك أن هذا المتاع القليل أمده وغايته إلى موت الكافر ، والله تعالى أعلم .

* * *

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

س : ما معنى هذه الكلمات

مُسلمَين – أمة – أرنا مناسكنا – الكتاب – الحكمة – يزكيهم ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
مسلمين	مستسلمين – خاضعين – طائعين
أمة	جماعة
أرنا مناسكنا	بيِّن لنا أعمال حجنا – وضح لنا أماكن الذبح – علمنا طرق عبادتك وشرائع دينك
الكتاب	هو القرآن
الحكمة[1]	قيل : هي السنة ، وقيل : هي الفقه في الدين –

(١) الحكمة ورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿ والحكمة ﴾ هي السنة ، أخرجه الطبري (٢٠٧٨) ، وورد عن مالك بإسناد صحيح عند الطبري (٢٠٧٩) قال في الحكمة : المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له . =

معناهــا	الكلمــة
وتطلق أيضًا على الإصابة في القول والعمل وعلى وضع الشيء في موضعه يطهرهم من الشرك والأدناس وقول الزور	 يزكيهم

❋ ❋ ❋

= وقال الطبري أيضًا أثر (٢٠٨٠) : حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ﴿ والحكمة ﴾ ، قال : « الحكمة » ، الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ ، يعلمهم إياها . قال : و « الحكمة » ، العقل في الدين وقرأ ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ، وقال لعيسى : ﴿ ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ [آل عمران : ٤٨] ، قال : وقرأ ابن زيد : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، قال : لم ينتفع بالآيات ، حيث لم تكن معها حكمة . قال : « والحكمة » شيء يجعله الله في القلب ، ينور له به .

قلت (مصطفى) : وهو إسناد صحيح إلى ابن زيد ، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا في « الحكمة » أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ ، والمعرفة بها ، وما دل عليه ذلك من نظائره . وهو عندي مأخوذ من « الحكم » الذي بمعنى الفصل بين الحق =

س : ما هو العامل في قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ [البقرة : ١٢٧] ؟

ج : العامل هو (واذكر) فالمعنى : واذكر يا محمد لقومك ولأهل الكتاب بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة ورفعهما لقواعدها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقواعد البيت ؟

ج : هي أُسُسُ البيت التي تأسس عليها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبيت في قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ [البقرة : ١٢٧] ؟

ج : المراد بالبيت هو الكعبة ، وقد نقل ابن عطية في تفسيره الإجماع على هذا .

❋ ❋ ❋

= والباطل ، بمنزلة « الجلسة والقعدة » من « الجلوس والقعود » ، يقال منه : « إن فلانًا لحكيم بيِّن الحكمة » ، يعني به : إنه لبين الإصابة في القول والفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو آياتك ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم وفصل قضائك وأحكامك التي تعلِّمه إياها .

س : هل هذه القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل كانت مبنية قبلهما أم هما اللذان أسساها ؟

ج : فريق من أهل العلم يقولون : كانت موجودة قبلهما بناها آدم عليه السلام .

وقيل : إنها كانت قواعد بيت أهبطه الله عز وجل مع آدم عليه السلام .

وقيل : إنها لم تكن موجودة ولكن إبراهيم عليه السلام بناها ، والله تعالى أعلم .

● هذا وننقل ها هنا قولًا للطبري رحمه الله يفيد في الإجابة على أسئلة مشابهة .

قال رحمه الله تعالى (٣/٦٤) :

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل ، رفعا القواعد من البيت الحرام . وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم ، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة . وجائز أن يكون ذلك كان القُبة التي ذكرها عطاء ، مما أنشأه الله من زبد الماء . وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء . وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم ، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل . ولا علم عندنا بأيٍّ ذلك كان من أيٍّ ، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ ، بالنقل المستفيض . ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها ، ولا هو - إذ لم يكن به خبر ، على ما وصفنا - مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس ، فيمثل بغيره ، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد . فلا قول في

ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هل رفعا القواعد من البيت معًا أم رفعها إبراهيم وحده ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن إبراهيم عليه السلام كان يبنيها ويرفعها وإسماعيل عليه السلام كان يناوله الحجارة .

وقيل : إنهما بنياها معًا .

وها نحن نورد هنا ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى في قصة بناء هذا البيت ورفع قواعده ، قال رحمه الله تعالى (حديث ٣٣٦٤) :

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما على الآخر - عن سعيد بن جبير قال ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفِّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا ، فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ ربنا إني أسكنت

من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ – حتى بلغ – يشكرون ﴾ [إبراهيم : ٣٧] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى – أو قال : يتلبط – فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا ؛ فلم تر أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس بينهما » . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت : صهٍ – تريد نفسها – ثم تسمعت أيضًا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه – أو قال بجناحه – حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم – أو قال : لو لم تغرف من الماءِ – لكانت زمزم عينًا معينًا » . قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرهمٍ – أو أهل بيتٍ من جرهمٍ – مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرًا عائفًا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماءٍ ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريًّا أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا – قال : وأم إسماعيل عند الماء – فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ،

ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنْفَسَهُم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأةً منهم . وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشرٍّ ، نحن في ضيقٍ وشدَّةٍ . فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له : يغير عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنَّا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك . فطلقها ، وتزوج منهم أخرى . فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بخيرٍ وسعة ، وأثنت على الله . فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء » . قال النبي ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه » ، قال : « فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه » . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومُرِيهِ يُثْبِتُ عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحدٍ ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخيرٍ . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث

عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال ، وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا – وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها – قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] » .

وقال أيضًا (حديث ٣٣٦٥) : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو قال حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل ، ومعهم شنة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله ، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه : يا إبراهيم إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله . قالت : رضيت بالله . قال فرجعت فجعلت تشرب من الشَّنَّة ويدر لبنها على صبيها ، حتى لما فنى الماء قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا . قال : فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدًا فلم تحس أحدًا . فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة ، ففعلت ذلك أشواطًا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل – تعني الصبي –

فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت ، تقرها نفسها ، فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا ، فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا ، حتى أتمت سبعًا ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ، فإذا هي بصوت فقالت : أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريل ، قال : فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض ، قال : فانبثق الماء ، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفز ، قال : فقال أبو القاسم : لو تركته كان الماء ظاهرًا ، قال : فجعلت تشرب من الماء ويدرُّ لبنها على صبيها . قال : فمر ناسٌ من جرهم ببطن الوادي فإذا هم بطيرٍ ، كأنهم أنكروا ذاك ، وقالوا : ما يكون الطير إلا على ماء ، فبعثوا رسولهم فنظر ، فإذا هم بالماء ، فأتاهم فأخبرهم ، فأتوا إليها فقالوا : يا أم إسماعيل أتأذنين لنا أن نكون معك ، أو نسكن معك ؟ فبلغ ابنها فنكح فيهم امرأة . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي . قال : فجاء فسلم فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد . قال : قولي له إذا جاء : غير عتبة بابك . فلما جاء أخبرته ، قال : أنت ذاك ، فاذهبي إلى أهلك . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي . قال : فجاء فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد ، فقالت : إلا تنزل فتطعم وتشرب ؟ فقال : وما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم وشرابنا الماء . قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم . قال : فقال أبو القاسم ﷺ : بركة بدعوة إبراهيم . قال : ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إني مطلع تركتي ، فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلًا له ، فقال : يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا . قال : أطع ربك . قال : إنه أمرني أن تعينني عليه ، قال : إذن أفعل أو كما قال . قال : فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

س : هل الكعبة على حالها الآن مبنية على قواعد إبراهيم عليه السلام ؟

ج : الذي من البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام الآن إنما هما ركنان فقط الركن الذي فيه الحجر الأسود ، والركن اليماني ، وكذلك كانت على عهد رسول الله ﷺ ، فلما جاء ابن الزبير رضي الله عنهما ردها على قواعد إبراهيم لما أخبرته عائشة رضي الله عنها بأن هذه كانت رغبة رسول الله ﷺ لولا حدثان عهد الناس بالجاهلية والكفر .

ثم لما جاء عبد الملك بن مروان ردها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ ، يدل على هذا كله ما يلي :

● ما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها : « ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم » فقلت : يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ فقال : « لولا حدثان قومك بالكفر » فقال عبد الله بن عمر : لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحِجْرَ إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم .

وقال الإمام مسلم رحمه الله ص ٩٧٠ فما بعدها :

حدثنا هناد بن السري . حدثنا ابن أبي زائدة . أخبرني ابن أبي سليمان عن عطاء . قال : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية ، حين غزاها أهل الشام ، فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير . حتى قدم الناس الموسم . يريد أن يجرئهم (أو يحربهم[2]) على أهل الشام فلما صدر الناس قال :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٦٨) ، ومسلم (حديث ١٣٣٣) .

(٢) (يجرئهم أو يحربهم) من الجراءة أي : يشجعهم على قتالهم ، بإظهار قبح فعالهم . هذا هو المشهور في ضبطه . قال القاضي : ورواه العذري يجربهم ، ومعناه : يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيته . ومعنى يحربهم ، أي : يغيظهم =

يا أيها الناس ! أشيروا علي في الكعبة . أنقضها ثم أبني بناءها . أو أصلح ما وهى منها ؟ قال ابن عباس : فإني قد فرق لي رأي فيها[1] . أرى أن تصلح ما وهى منها . وتدع بيتًا أسلم الناس عليه . وأحجارًا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ . فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ، ما رضي حتى يجده[2] . فكيف بيت ربكم ؟ إني مستخير ربي ثلاثًا . ثم عازمٌ على أمري . فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها . فتحاماه الناس أن ينزل ، بأول الناس يصعد فيه ، أمر من السماء . حتى صعده رجلٌ فألقى منه حجارة . فلما لم يره الناس أصابه شيءٌ تتابعوا[3] . فنقضوه حتى بلغوا به الأرض . فجعل ابن الزبير أعمدة . فستر عليها الستور[4] . حتى ارتفع بناؤه .

وقال ابن الزبير : إني سمعت عائشة تقول : إن النبي ﷺ قال : « لولا

= بما يزونه قد فعل بالبيت . من قولهم : حربت الأسد ، إذا أغضبته . قال القاضي : وقد يكون معناه : يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك . قال : ورواه آخرون : يحزبهم أي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبًا له وناصرين له على مخالفيه . وحزب الرجل من مال إليه . وتحازب القوم تمالئوا .

(١) (قد فرق لي رأي فيها) أي : كشف وبيِّن . قال الله تعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه ﴾ ، أي : فصَّلناه وبيناه . هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها . وهكذا ضبطها القاضي والمحققون .

(٢) (يجدَّه) أي : يجعله جديدًا .

(٣) (تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا ، وكذا ذكره القاضي عن رواية الأكثرين . وعن أبي بحر : تتابعوا . وهو بمعناه . إلا أن أكثر ما يستعمل ، تتابعوا ، في الشر خاصة . وليس هذا موضعه .

(٤) (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة . ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهدًا للناس فأزالها . لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة . (من التعليق على مسلم) .

أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر ، وليس عندي من النفقة ما يقوي على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحِجْرِ خمس أذرع ، ولجعلت لها بابًا يدخل الناس منه ، وبابًا يخرجون منه » .

قال : فأنا اليوم أجد ما أنفق . ولست أخاف الناس . قال : فزاد فيه خمس أذرع من الحجر . حتى أبدى أُسًّا[1] نظر الناس إليه . فبنى عليه البناء . وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعًا . فلما زاد فيه استقصره . فزاد في طوله عشر أذرع . وجعل له بابين : أحدهما يدخل منه ، والآخر يخرج منه . فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك . ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكة . فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير[2] في شيء . أما ما زاد في طوله فأقره . وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه . وسد الباب الذي فتحه . فنقضه وأعاده إلى بنائه .

حدثني محمد بن حاتم . حدثنا محمد بن بكر . أخبرنا ابن جريج . قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال عبد الله بن عبيد : وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته . فقال عبد الملك : ما أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها . قال الحارث : بلى ! أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن قومك استقصروا من بنيان البيت . ولولا حداثة عهدهم

---

(١) (حتى أبدى أسًّا) أي : حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام حتى أري الناس أساسه . فنظروا إليه فبنى البناء عليه .

(٢) (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك سبه وعيب فعله . يقال : لطخته ، أي : رميته بأمر قبيح . يعني : إنَّا برءاء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة .

بالشرك أعدت ما تركوا منه . فإن بدا لقومك[1] ، من بعدي ، أن يبنوه فهلمي[2] لأريك ما تركوا منه » . فأراها قريبًا من سبعة أذرعٍ . هذا حديث عبد الله بن عبيد . وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي ﷺ : « وجعلت لها بابين موضوعين في الأرض شرقيًّا وغربيًّا . وهل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها ؟ » قالت : قلت : لا . قال : « تعززًا أن لا يدخلها إلا من أرادوا . فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي . حتى إذا كاد أن يدخل[3] دفعوه فسقط » .

قال عبد الملك للحارث : أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم . قال : فنكت ساعة بعصاه[4] ثم قال : وددت أني تركته وما تحمل .

وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة . حدثنا أبو عاصم . ح وحدثنا عبد بن حميد . أخبرنا عبد الرزاق . كلاهما عن ابن جريج ، بهذا الإسناد ، مثل حديث ابن بكر .

---

(١) (فإن بدا لقومك) يقال : بدا له في الأمر بداء ، بالمد ، أي : حدث له فيه رأي لم يكن . وهو ذو بدوات ، أي : يتغير رأيه . والبداء محال على الله تعالى ، بخلاف النسخ . قاله النووي .

(٢) (فهلمي) هذا جار على إحدى اللغتين في هلم . قال الجوهري : تقول : هلمَّ يا رجل ، بفتح الميم بمعنى : تعال . قال الخليل : أصله لُمَّ . من قولك : لم الله شعثه ، أي : جمعه . كأنه أراد لم نفسك إلينا ، أي : أقرب . وها للتنبيه . وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسمًا واحدًا يستوي في الواحد والاثنان والجمع والمؤنث . فيقال ، في الجماعة : هلم . هذه لغة أهل الحجاز . قال الله تعالى : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ [الأحزاب : ١٨]. وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما. وللمرأة: هلمي . وللنساء : هلممن . والأولى أفصح . هذا كلام الجوهري .

(٣) (كاد أن يدخل) هكذا هو في النسخ كلها : كاد أن يدخل . وفيه حجة لجواز دخول أن بعد كاد . وقد كثر ذلك . وهي لغة فصيحة . لكن الأشهر عدمه .

(٤) (فنكت ساعة بعصاه) أي : بحث بطرفها في الأرض . وهذه عادة من تفكر في أمر مهم . قاله النووي .

وحدثني محمد بن حاتم . حدثنا عبد الله بن بكر السهمي . حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة ؛ أن عبد الملك بن مروان ، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال : قاتل الله ابن الزبير ! حيث يكذب على أم المؤمنين . يقول : سمعتها تقول : قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ! لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر . فإن قومك قصروا في البناء » فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة : لا تقل هذا . يا أمير المؤمنين ! فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا .

قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه ، لتركته على ما بنى ابن الزبير .

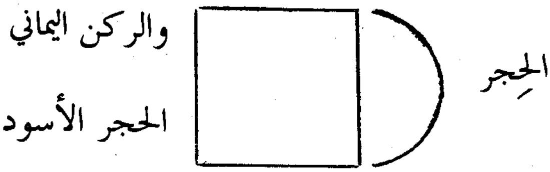
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر هذه الآثار : فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة ، لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير ، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيدًا ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد ، نقله عياض والنووي ، ولا تزال – والله أعلم – هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ٣/٥٥٤) :

(فائدة) : في البيت أربعة أركان : الأول له فضيلتان : كون الحجر

الأسود فيه وكونه على قواعد إبراهيم ، وللثاني الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما ، فلذلك يُقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يُقبل الآخر ولا يستلمان هذا على رأي الجمهور ، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضًا[1] .

● قلت : فعلى هذا صورة الكعبة الآن كالتالي :



الركن الذي به الحجر الأسود ، والركن اليماني كلاهما على قواعد إبراهيم عليه السلام أما الآخران فلا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أهل الصلاح يعملون أعمالًا صالحة ويرجون من ربهم عز وجل القبول ، وأهل الفساد يعملون أعمالًا فاسدة ويظنون أنهم إلى خير وضح ذلك ؟

ج : نعم أهل الصلاح يعملون الصالحات ويسألون الله عز وجل القبول لها .

● ألا ترى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم !!! ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

● وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ويقولون : ﴿ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا !!! ﴾ [الفرقان : ٦٥] .

---

(١) قلت : لم يرد أن النبي ﷺ قبّل الركن اليماني .

● وها هم أهل الإيمان : ﴿ يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون !!! ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

● وها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يصدِّق برسول الله ﷺ ويجاهد معه ويصحبه في هجرته ويتصدق بكل ماله في سبيل الله ويُعلِّمه النبي ﷺ أن يقول في صلاته : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »(١) .

● وها هو المحدث الملهم الفاروق أمير المؤمنين عمر يجاهد مع رسول الله ﷺ وينفق نصف ماله في سبيل الله عز وجل ويقول عند موته : وددت أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي(٢) .

وهؤلاء الأنصار يحفرون الخندق ويقولون :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا .

● أما أهل الفساد والريب فكما قال الله سبحانه : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

* * *

س : إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا مُسلمَين فلماذا قالا : ﴿ واجعلنا مُسلمَين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : المراد أنهما طلبا الثبات على الإسلام والزيادة من الطاعات وحسن

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣١٧/٢) ، ومسلم (٢٨/١٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) أخرج ذلك البخاري رحمه الله (٣٧٠٠) في قصة مقتل عمر وفيه وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقَدَمٍ في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة ، قال : وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي .

الامتثال لأمر الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

***

س : في قول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ما يدل على أن الهداية للإسلام والتوفيق للطاعة إنما هما من عند الله عز وجل ، اذكر مزيدًا من الأدلة على ذلك ؟

ج : نعم الهداية للإسلام والتوفيق للطاعات من عند الله عز وجل ، وها هي بعض الأدلة على ذلك .

- قال أهل الإيمان الذين أورثوا الجنان : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف : ٤٣] .
- وقال الله تعالى : ﴿ وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [يونس : ١٠٠] .
- وقال تعالى : ﴿ فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .
- وقال تعالى : ﴿ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [يونس : ٢٥] .
- وقال تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ﴾ [الأعراف : ١٧٨] .
- وقال تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ٧] .
- وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها ﴾ [السجدة : ١٣] .

***

س : لماذا خص إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذريتهما بالدعاء ؟

ج : خصا ذريتهما بالدعوة ، لأنهما أحق بالشفقة ، وقد قال الله تعالى :

﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ﴾ [التحريم : ٦] ، ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا كانوا أئمة في الخير يُقتدى بهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالمناسك في قوله تعالى : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨]؟

ج : قيل في المناسك هنا : إنها أعمال الحج[(١)] ، وقيل : هو مواطن الذبح[(٢)] وقيل : هي عموم العبادة .

قال الطبري رحمه الله : وأما « المناسك » فإنها جمع « مَنْسِك » ، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه ، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح : إمَّا بذبْح ذبيحة له ، وإما بصَلاةٍ أو طواف أو سعي ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة . ولذلك قيل لمشاعر الحج : « مناسكه » ، لأنها أمارات وعلاماتٌ يعتادها الناس ويتردَّدون إليها .

وأصل « المَنْسِك » في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي يَعتاده الرجل ويألفه ، يقال : « لفلان مَنْسك » ، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر . ولذلك سميت « المناسكُ » « مناسكَ » ، لأنها تُعتاد ، ويُتردد إليها بالحج والعمرة ، وبالأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله .

وقد قيل : إن معنى « النُّسكِ » : عبادة الله . وأن « الناسك » إنما سمي « ناسكًا » بعبادة ربه .

فتأوَّل قائلو هذه المقالة . قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ،

---

(١) روى الطبري (٢٠٦٣) بإسناد حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات والإفاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين ، أو دينه .

(٢) أخرج الطبري (٢٠٦٦) بإسناد صحيح عن عطاء قال : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] قال : ذبحنا .

وعلمنا عبادتك ، كيف نعبدُك ؟ وأين نَعبدك ؟ وما يرضيك عنا فنفعله ؟

وهذا القول ، وإن كان مذهبًا يحتمله الكلام ، فإن الغالب على معنى « المناسك » ما وصفنا قبل ، من أنها « مناسك الحج » التي ذكرنا معناها .

وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسماعيل على وجه المسألة منهما ربَّهما لأنفسهما . وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسهما وذريتهما المسلمين . فلما ضمَّا ذريتهما المسلمين إلى أنفسهما ، صارا كالمخبرين عن أنفسهما بذلك . وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبلُ في أول الآية ، وتأخره بعدُ في الآية الأخرى . فأما الذي في أول الآية فقولهما : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذُريتنا أمةً مسلمةً لك ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، ثم جمعا أنفسهما والأمة المسلمةَ من ذُريتهما ، في مسألتهما ربَّهما أن يُريهم مَناسكهم فقالا : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وأما التي في الآية التي بعدها : ﴿ ربَّنا وابعث فيهمْ رَسولًا منهم ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فجعلا المسألة لذريتهما خاصة ، وقد ذكر في قراءة ابن مسعود : (وأرهم مناسكهم) يعني بذلك : وأرِ ذريتنا المسلمة مناسكهم .

***

س : هل كان لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذنوب حتى يقولا : ﴿ وتب علينا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن كل شخص له ذنوب فيما بينه وبين الله عز وجل، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم »(١) ، وفي رواية : « لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم »(١) .

---

(١) كلا الروايتين عند مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٢٧٤٨) .

وقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »[1] .

● وكما قال النبي ﷺ : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه »[2] .

وكما قال تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ [فاطر : ٤٥] .

● ومن العلماء من قال : إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعوا بهذا الدعاء ليكون بمثابة التشريع لمن بعدهما أن يقتدوا بهما ويدعون ربهم في هذا الموطن كما دعاه فيه إبراهيم وإسماعيل .

● ومنهم من قال : إن هذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لذريتهما .

● ومن العلماء من قال : إنما أراد إبراهيم وإسماعيل الثبات على الدين ، والله أعلم.

وهنا نورد قول الطبري رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى : فإن قال لنا قائل : وهل كان لهما ذُنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة ؟

قيل : إنه ليس أحدٌ من خلق الله ، إلّا وله من العمل – فيما بينه وبين ربه – ما يجب عليه الإنابةُ منه والتوبةُ ، فجائزٌ أن يكون ما كان من قِيلهما ما قالا من ذلك، إنما خَصَّا به الحال التي كانا عليها ، من رفع قواعد البيت،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٢٧٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٦١٢) ، ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي لفظ لمسلم : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » .

لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دُعاءهما ، وليجعلا مَا فَعلا من ذلك سُنة يُقتدى بها بعدهما ، وتتخذ الناسُ تلك البقعة بعدهما موضع تَنصُّل من الذنوب إلى الله ، وجائز أن يكونا عَنيَا بقولهما : ﴿ وتُبْ عَلينا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، وتُبْ على الظلمة من أولادنا وذريتنا - الذين أعلمتنا أمرهم - من ظُلمهم وشركهم ، حتى يُنيبوا إلى طاعتك ، فيكون ظاهرُ الكلام على الدعاء لأنفسهما ، والمعنيُّ به ذريتهما ، كما يُقال : « أكرمني فلان في ولدي وأهلي وبرَّني فلان » إذا برَّ ولده .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله : ﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] فإنه يعني به إنك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران - الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك .

❋ ❋ ❋

س : هل تحققت دعوة إبراهيم حيث دعا : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ... ﴾ [البقرة : ١٢٩] ؟ ومن هذا الرسول ؟

ج : نعم تحققت ، قال الله تعالى : ﴿ لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته

ويزكيهم ﴾ [الجمعة : ٢] ، وهذا الرسول هو محمد ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : في هذه الآيات مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنى وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام توسلا إلى الله عز وجل بهذه الأسماء .

﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

وقد قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

يرغب عن – ملة – سفه نفسه – اصطفيناه – الصالحين – أسلم – وصى ؟

ج :

الكلمـة	**معنـاهـا**
يرغب عن	رغب في الشيء أحبَّه ، ورغب عن الشيء كرهه وأعرض عنه ، ويرغب عن : يترك – يزهد في .
ملة	دين .
سفه نفسه	فيها أقوال منها : سفه في نفسه – أهلك نفسه – جلب لنفسه السفه – جهل نفسه (وانظر معناها باستفاضة فيما يأتي إن شاء الله) .
اصطفيناه	اخترناه – اجتبيناه .

الكلمة	معناها
الصالحين	قال الطبري رحمه الله : الصالح : هو المؤدي حقوق الله عليه ، وقال القرطبي : والصالح في الآخرة هو الفائز .
أسلم	أخلص العبادة – أخضع بالطاعة – امتثل الأمر .
وصى	أمر .

***

س : ما المراد بـ ﴿ مَن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٠] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن المراد بها الاستفهام الذي يحمل التقريع والتوبيخ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي ملة إبراهيم عليه السلام ؟

ج : ملة إبراهيم عليه السلام هي الحنيفية السمحة ، وهي الإسلام ، دليل ذلك ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمةً قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾ [النحل : ١٢٣] .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان مسلمًا ومن ثَمَّ فإبراهيم عليه السلام كان مسلمًا وقد تقدم صريحًا ، إلى غير ذلك من الآيات ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين رغبوا عن ملة إبراهيم ؟

ج : هم اليهود والنصارى وكل من حاد عن الإسلام ، وقد روى الطبري

بإسناد حسنٍ عن قتادة[1] قال : قوله : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] رغب عن ملته اليهود والنصارى ، واتخذوا اليهودية والنصرانية ، بدعة ليست من الله ، وتركوا ملة إبراهيم - يعني : الإسلام - حنيفًا ، كذلك بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بملة إبراهيم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى ﴿ سَفِهَ نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال نورد منها ما يلي :

١ - سفه نفسه أي : سفُه في نفسه ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ [البقرة : ٢٣٥] أي : لا تعزموا على عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ؛ ومعنى سفه نفسه أي : جهل في نفسه .

٢ - سفه نفسه أي : أهلك نفسه .

٣ - سفه نفسه أي : ظلم نفسه .

٤ - سفه نفسه أي : جهل ، والسفه هنا صفة للنفس أي : نفسه سفيهة أو سفهت نفسه ، قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] : إلا من سفهت نفسه ، وقد بينا فيما مضى أن معنى (السفه) : الجهل .

فمعنى الكلام : وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية إلا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرها في معادها كما :

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] قال : إلا من أخطأ حظه[2] .

---

(١) الطبري (أثر ٢٠٨٣) .

(٢) إسناده حسن إلى ابن زيد .

قال الطبري رحمه الله : وإنما نصب (النفس) على معنى المفسر وذلك أن (السفه) في الأصل للنفس فلما نقل إلى (من) نصبت (النفس) بمعنى التفسير كما يقال : (هو أوسعكم دارًا) فتدخل الدار في الكلام على أن السعة فيها لا في الرجل ، فكذلك (النفس) أدخلت لأن السفه للنفس لا لـ (من) ، ولذلك لم يجز أن يقال : (سفه أخوك) وإنما جاز أن يفسر بالنفس وهي مضافة إلى معرفة لأنها في تأويل نكرة .

٥ - ومن العلماء من حمل سفه نفسه على ظاهرها ففسر سفه بمعنى جهل ، وسفه نفسه أي : جهل نفسه ، والمعنى جهل نفسه وما فيها من الآيات والدلالات والعبر على توحيد الخالق سبحانه وعلى أن الفطرة هي الإسلام .

قال الزَّجَّاج في تفسيره : (معاني القرآن وإعرابه ٢١١/١) : والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل ، فالمعنى - والله أعلم - إلا من جهل نفسه أي : لم يفكر في نفسه كقوله عز وجل : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] .

● وأشار القرطبي رحمه الله تعالى : إلى قول الزجاج وقال : فيفكر في نفسه من يدين يبطش بهما ورجلين يمشي عليهما وعين يبصر بها وأذن يسمع بها ، ولسان ينطق به وأضراس تنبت له عند غناه عن الرضاع وحاجته إلى الغذاء ليطحن بها الطعام ، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء ، وكبد يصعد إليه صفوه ، وعروق ومعابر ينفذ فيها إلى الأطراف ، وأمعاء يرسب إليها ثفل الغذاء ويبرز من أسفل البدن فيستدل بهذا على أن له خالقًا قادرًا حكيمًا ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات : ٢١] أشار إلى هذا الخطابي رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب اصطفاء إبراهيم ﷺ في الدنيا وعلو منزلته في الآخرة ؟

ج : لذلك أسباب ، وقبل هذه الأسباب إرادة الله عز وجل .

● ثم سرعة امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١٣٠ ، ١٣١] .

صبره ﷺ ، فلما ابتلاه ربه بالكلمات(١) أتمهن ﷺ ووفى بهن كما أخبر الله سبحانه وتعالى .

● شكره لنعم الله عز وجل عليه كما قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [النحل : ١٢٠ ، ١٢١] .

إلى غير ذلك .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الربط بين قوله تعالى : ﴿ إذ قال له ربه أسلم ﴾ [البقرة : ١٣١]، وقوله تعالى : ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا ..﴾[البقرة : ١٣٠]؟

ج : وجه ذلك أن الله عز وجل لما قال لإبراهيم عليه السلام أسلم فقال إبراهيم : أسلمت لرب العالمين فحينئذ اصطفاه الله في الدنيا وجعله في الآخرة من الصالحين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل إبراهيم عليه السلام لم يكن مسلمًا حتى قال الله له أسلم ؟

ج : بل كان إبراهيم عليه السلام مسلمًا ، وإنما المراد والله أعلم أن الله

---

(١) وقد تقدم تفسير هذه الكلمات ، ومنها أن الله ابتلاه في بدنه بالختان وهو ابن ثمانين سنة فاختتن بالقدوم ، وابتلاه الله بالإلقاء في النار فصبر على ذلك ، وابتلاه الله في ولده بأن أمره بذبحه فوفى بذلك إلى أن فداه الله بذِبح عظيم ، وابتلاه الله بلقاء الجبابرة فالتقى بهم وقال كلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم فقال : ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ [البقرة : ٢٥٨] إلى غير ذلك مما تقدم .

عز وجل أمره بزيادة الانقياد والخضوع والإخلاص والامتثال لله عز وجل ، ونظير ذلك قوله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [النساء : ١٣٦] .

* * *

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ ووصى بها ﴾ [البقرة: ١٣٢] يرجع إلى ماذا ؟

ج : لأهل العلم هنا قولان :

الأول : أن الضمير يرجع إلى الملة وهي الإسلام .

الثاني : أن الضمير يرجع إلى قوله : ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١٣١] والمؤدي واحد ، والله أعلم .

* * *

س : الوفاة على الإسلام مطلب لأهل الصلاح اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

- قول يوسف ﷺ : ﴿ توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين ﴾ [يوسف : ١٠١] .
- قول المؤمنين بموسى عليه السلام : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنًا مسلمين ﴾ [الأعراف : ١٢٦] .

قول إبراهيم ﷺ ويعقوب لأبنائهما : ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] .

- قول النبي ﷺ : « فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة

فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر »[1] .

❋ ❋ ❋

س : من هم بنو إبراهيم الذين أوصاهم إبراهيم بقوله : ﴿ لا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] ومن هم بنو يعقوب ؟

ج : أما بنو إبراهيم عليهم السلام ، فالمذكوران في كتاب الله عز وجل إسماعيل وإسحاق عليهما السلام .

أما بنو يعقوب فهم : يوسف وإخوته الأحد عشر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ [البقرة : ١٣٢] ؟

ج : المراد الإسلام ، ودليله قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقول الخليل عليه السلام : ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س: ما معنى قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ [البقرة: ١٣٢]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله اختار لكم هذا الدين ، وهو الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : ما معنى قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : الزموا هذا الدين ولا تفارقوه ، فإن الموت يأتي بغتة فحافظوا على دينكم حتى تأتيكم منيتكم وأنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وتدينون الإسلام .

ومن العلماء من قال : إن المعنى أحسنوا ظنكم بالله عز وجل لقول النبي ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل »[(١)] ، والأول أولى ، والله أعلم .

* * *

س : هل وُلِدَ يعقوب عليه السلام في حياة إبراهيم ﷺ ؟

ج : لم أقف على دليل صريح يفيد ذلك ، لكن رأى بعض أهل العلم أنه كان حيًّا في حياة إبراهيم ﷺ ، واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ [هود : ٧١] قالوا : فلو لم يوجد يعقوب في حياة الخليل وسارة عليهما السلام لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة .

● واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

● وبقوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ [الأنبياء : ٧٢] .

---

(١) أخرجه مسلم رحمه الله (حديث ٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

● وقوله تعالى : ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًّا هدينا﴾ [الأنعام : ٨٤]، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قرأ بعض أهل العلم (يعقوبَ) بالفتح في قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ [البقرة : ١٣٢] فما وجه تأويل هذه القراءة ؟

ج : تأويله أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه ووصى معهم يعقوب أيضًا إذ كان حاضرًا معهم .

ولكن القراءة الأُولَى (أعني قراءة من قرأ يعقوب بالرفع) أَوْلَى وأشهر ثم إنها متواترة كذلك ، فالتأويل على أنها مرفوعة أولى ، وحينئذ يكون المعنى أن يعقوب كذلك أوصى بنيه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢] من قائله ؟

ج : الذي يظهر لي أن قائله هو إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
أم كنتم – شهداء – خلت – كسبت ؟

ج :

الكلمة	معناها
أم كنتم	أكنتم[1] ؟ – بل كنتم
شهداء	شهود ، أي : حضور
خلت	مضت
كسبت	عملت

(١) قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ [البقرة : ١٣٣] أكنتم ؟ ولكنه استفهم بـ (أم) إذ كان استفهامًا مستأنفًا على كلام قد سبقه كما قيل : ﴿ ألم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه ﴾ [السجدة : ١ – ٣] ، وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه تستفهم فيه بـ (أم) .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي .. ﴾ [البقرة : ١٣٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

● **الأول :** أكنتم حضور مرض موت يعقوب عليه السلام حتى تفتروا عليه وتنسبوا إليه أنه يهودي أو نصراني ؟!!! .

كلا بل لم تكونوا حاضرين ، وإنما هي افتراءات تفترونها ، وقد سأل يعقوب عليه السلام بنيه عند موته ما تعبدون من بعدي فأقروا بأنهم يدينون من بعده لله عز وجل إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا وهم له مسلمون .

● **الثاني :** أن معنى ﴿ أم كنتم ﴾ [البقرة : ١٣٣] بل كنتم ، وعليه فالمعنى : بل كنتم يا أهل الكتاب حاضرين موت يعقوب عليه السلام (والمراد أسلافكم كانوا حضور موت يعقوب عليه السلام) وعلموا أنه سأل أولاده عن دينهم وأقروا بأنهم اختاروا دينه ودين آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، وهو دين الإسلام ، ولكنكم يا أهل الكتاب جحدتم ذلك ونسبتم إليه اليهودية والنصرانية ونسبتموه إليها وهو منها بريء ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : وتأويل الكلام : أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد ﷺ الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت أي : أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية ، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وَصَّوا بنيهم ، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم ، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم ، وهذه آيات نزلت

تكذيبًا من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم فقال لهم في هذه الآية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده ؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له .

● **وقال ابن عطية رحمه الله في المحرر :** هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية فرد الله تعالى عليهم وكذبهم وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية والإسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فَتَدَّعُون عن علم ؟ أي : لم تشهدوا بل أنتم تفترون ، و(أم) تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية ، ثم **قال :** وقال قوم : أم بمعنى بل ، والتقدير : بل شهد أسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما أوصى به ولكنكم كفرتم جحدًا ونسبتموهم إلى غير الحنيفية عنادًا . والأظهر أنها بمعنى بل وألف الاستفهام معًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الخطاب في قوله تعالى : ﴿ أم كنتم شهداء .. ﴾ [البقرة : ١٣٣] لمن ؟

ج : أكثر أهل العلم على أن الخطاب لأهل الكتاب ، ومن العلماء من قال : إنه خطاب للمؤمنين ، والأول أظهر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالأمة في قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ [البقرة : ١٣٤] ؟

ج : المراد بالأمة هم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[1] ، والله أعلم .

---

(١) والأسباط : هنا هم أولاد يعقوب عليه السلام .

س : لماذا قدّم إسماعيل في الذِّكر على إسحاق ؟

ج : قال بعض العلماء : لأنه أكبر منه سنًّا[1] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : العرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمنزلة الآباء هل من دليل ؟

ج : الدليل في قوله تعالى : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] فأُطلق على إسماعيل أب[2] وهو عم يعقوب عليهما السلام .

* * *

س : بعض العلماء يجعل الجد أبًا يحجب الإخوة عن الميراث هل من دليل لهم على ذلك ؟ ومَن مِن الصحابة قال بذلك ؟

ج : أما الدليل على ذلك فهو قول أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] فجعلوا إبراهيم أبًا ليعقوب عليه السلام مع أنه جده .

وكذلك قول يوسف ﷺ : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ [يوسف : ٣٨] ، وإبراهيم جد يوسف ﷺ .

● أما الصحابة القائلون بذلك فمنهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه[3] ومنهم أيضًا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[4] .

---

(١) وقد روى ذلك الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (أثر رقم ٢٠٨٩) .

(٢) بيد أن بعض العلماء ذكروا أن ذلك على سبيل التغليب في هذا الموطن ، والله أعلم .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (حديث ٣٦٥٨) بإسناده إلى ابن أبي مليكة قال : كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد فقال : أما الذي قال رسول الله ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذته » أنزله أبًا يعني : أبا بكر .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم (التفسير ١٢٩١) بإسناد صحيح إلى ابن عطاء قال : سمعت =

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ حضر يعقوب الموت ﴾ [البقرة : ١٣٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : حضرته مقدمات الموت وعلاماته .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٣٤] واذكر بعض الآيات والأحاديث التي تؤدي معناها ؟

ج : أما بالنسبة لمعناها فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : أي أن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيرًا يعود نفعه عليكم ، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

● وقال الطبري رحمه الله : يقول لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية فتضيفونها إليهم ، فإنهم أمة – ويعني بـ (الأمة) في هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس ، قد خلت : مضت لسبيلها .

وقال أيضًا : ويعني بقوله : ﴿ لها ما كسبت ﴾ [البقرة : ١٣٤] أي : ما عملت من خير ، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل فتسألوا عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير وشرٍّ لأن

= ابن عباس يقول : الجد أب ويتلو ابن عباس : ﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ [البقرة : ١٣٣] .

لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم ، فإن الدعاوي غير مغنيتكم عند الله ، وإنما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم إن كنتم عملتموها وقدمتموها .

قلت : أما الآيات والأحاديث في معنى الآية الكريمة فمنها ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴾ [فاطر : ١٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ [النجم : ٣٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ﴾ [النور : ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

● وقول النبي ﷺ : « من بَطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه »[(١)] .

● وحديث أبي هريرة رضي الله عنه[(٢)] قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال : « يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري حديث (٤٧٧١) ، ومسلم حديث (٢٠٦) .

عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا صفية عمة رسول ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا ، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا » .

* * *

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

س : ما معنى هُودًا – حنيفًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
هودًا	يهودًا
حنيفًا	مستقيمًا– مخلصًا– مائلًا (أي : عن الشرك إلى التوحيد)

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] إجمال ، فصِّل هذا الإجمال ؟

ج : تفصيله – والله أعلم – أن اليهود قالوا للمسلمين : كونوا يهودًا تهتدوا .

والنصارى قالوا للمسلمين : كونوا نصارى تهتدوا .

***

س : ما المراد بقولهم : ﴿ تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : المراد – والله أعلم – تهتدون للحق وتدخلون الجنة ، كما قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] .

***

س : على أي أساس نصبت ملة في قوله تعالى : ﴿ بل ملة إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : نصبت على أن هناك مقدر محذوف وهو (نتبع) والمعنى : بل نتبع ملةَ إبراهيم حنيفًا .

***

س : لماذا قيل : ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ؟

ج : لأن اليهود والنصارى مقرون بنبوته عليه السلام ، فالإجابة عليهم من الجانب الذي أقروا به فكأنه قيل لهم : بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي أجمعنا نحن وأنتم على الشهادة لها بأنها دين الله عز وجل الذي ارتضاه واجتباه وأمر به . قال الطبري رحمه الله : احتج الله لنبيه محمد ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدًا نبيه ﷺ فقال : يا محمد قل للقائلين لك من اليهود

والنصارى ولأصحابك : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] : بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يُجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به فإن دينه كان الحنيفية المسلمة ، وندع سائر الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقرُّ بها بعضنا فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم .

* * *

س : اذكر مزيدًا من أقوال أهل العلم في تفسير الحنيف ؟

ج : ذكر عدد من العلماء أن **الحنيف** هو **المستقيم** ، وقال آخرون : هو **الحاج** وقال آخرون : هو **المخلص** ، وقيل : هو **المائل** [1] (أي : مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام) كما قال الشاعر :

ولكنـــا خُـلقنـــا إذ خُلقنـــا　　حنيفًا ديننـــا عـــن كـــل ديـــن

● وبعض العلماء يقولون : إنما سمي دين إبراهيم الحنيفية ؛ لأنه أول من سنَّ **الاختتان** .

قال الطبري رحمه الله : (الحنَف) عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته ، وذلك أن (الحنيفية) لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء ، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفًا بقوله : ﴿ ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

---

(١) من قولهم رجل حنيف ، وتحنَّف الرجل إذا مال ، والأحنف هو الذي تميل قدماه كل واحدةٍ منهما إلى أختها بأصابعها ، قالت أم الأحنف تُرَقصه :

والله لـولا حَنَـفٌ فـي رِجْلِـهِ　　ودِقـةٌ فـي ساقِـهِ مـن هُزْلِـهِ

ما كان في فتيانكم مِنْ مِثْلِهِ

فكذلك القول في الختان لأن (الحنيفية) لو كانت هي الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء ، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

فقد صح إذًا أن (الحنيفية) ليست الختان وحده ولا حجَّ البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة إبراهيم واتباعه عليها والائتام به فيها . انتهى ما قاله الطبري رحمه الله تعالى .

● وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى **قتادة** قال : الحنيفية شهادة ألا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرَّم الله عز وجل والختان ، وكانت حنيفة في الشرك ، كانوا أهل الشرك وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات ، وكانوا يحجون البيت وينسكون المناسك[1] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا نسبت الحنيفية إلى إبراهيم عليه السلام ولم تنسب إلى من قبله من الأنبياء ألم يكونوا حنفاء هم وأتباعهم ؟!

ج : بل كانوا حنفاء – عليهم السلام – هم وأتباعهم ، أما سؤال الباب فقد أجاب عليه الطبري رحمه الله بقوله : إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبعًا طاعة الله ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة كالذي فعل من ذلك بإبراهيم فجعله إمامًا فيما بيَّنه من مناسكِ الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصي فسمي الحنيف من الناس حنيفًا باتباعه

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٠٧) .

ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمي الضآل عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل : (يهودي - نصراني - مجوسي) وغير ذلك من صنوف الملل .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أطلق على معوج الرجلين أحنف (مع أن الأحنف معناه المستقيم كما ذكرتم عن بعض العلماء) ؟

ج : أطلق عليه ذلك تفاؤلًا بالشفاء والسلامة ، كما قيل للديغ : سليم تفاؤلًا بالشفاء ، وللأعمى بصير تفاؤلًا كذلك ، وكما قيل للمُهْلِكَةِ من الأرض : مفازة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] في الرد على اليهود والنصارى ؟

ج : وجهه أن الله عز وجل نفى عن إبراهيم عليه السلام الشرك ، ولكن اليهود والنصارى قد أشركوا فادعت اليهود أن عزيرًا ابن الله ، وادعت النصارى أن المسيح ابن الله ، فخالفوا بذلك ملة إبراهيم عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] فبين الله عز وجل شرك اليهود والنصارى في هذه الآيات ، وبيَّن في آية البقرة ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [البقرة: ١٣٥]، براءة إبراهيم عليه السلام من هذه الأديان التي يزعم أهلها أن اتباعها فيه الهداية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦
فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ
١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

آمنَّا – الأسباط – تولوا – شقاق – فسيكفيكهم – صبغة الله

ج :

الكلمة	معناها
آمنا	صدقنا
الأسباط[1]	الأسباط هم أبناء يعقوب الاثنا عشر ، وقيل : هم بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطًا أممًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] ، وقيل الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب
تولوا	أعرضوا
شقاق	فراق الحق[2] – المجادلة والمخالفة والتعادي – عصيان .
فسيكفيكهم	سيكفيك شرهم وينصرك عليهم ويمكنك منهم
صبغة الله	دين الله – فطرة الله

(١) أخرج الطبري (٢١٠٤) بإسناد حسن عن قتادة قال : الأسباط يوسف وإخوته ، بنو يعقوب ولد اثني عشر رجلًا فولد كل رجل منهم أمة من الناس ، فسموا (أسباطًا) .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ [النساء : ٣٥] .

س : الخطاب لمن في قوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا ﴾ [البقرة : ١٣٦] ولمن أُمروا أن يقولوه ؟

ج : الخطاب للمؤمنين ، وأُمروا أن يقولوا هذا القول لليهود والنصارى القائلين : كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا .

ويقول المؤمنون هذا القول أيضًا لكل أحد كما قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة : ٤] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي أُنزل على إبراهيم وما هو الذي أوتاه موسى وعيسى عليهم السلام ؟

ج : الذي أنزل على إبراهيم عليه السلام هو الصحف المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾ [الأعلى : ١٨ ، ١٩] ، والذي أنزل على موسى ﷺ هو التوراة والذي أنزل على عيسى عليه السلام هو الإنجيل ، قال تعالى : ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل ﴾ [الحديد : ٢٧] .

❋ ❋ ❋

س : قال الله عز وجل للمؤمنين : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا .... ﴾ [البقرة : ١٣٦] فهل قال المسلمون ذلك ؟ وما جزاء من امتثل ذلك ؟ وما جزاء من خالفه ؟

ج : نعم قال المؤمنون ذلك قال الله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل

إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وجزاء من امتثل ذلك ما ذكره الله تعالى حيث قال : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ١٥٢] .

● وجزاء من خالفه ما ذكره الله في كتابه : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

***

س : إذا أخبرنا أهل الكتاب بخبر فماذا يجب علينا تجاه هذا الخبر ؟

ج : إذا كان هذا الخبر موافقًا لكتاب الله عز وجل الذي بين أيدينا قبلناه وإذا كان هذا الخبر يُكذبه كتاب ربنا رددناه .

وإذا لم يوافق ولم يخالف توقفنا فيه لما رواه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿ وقولوا آمنا بالله وما أنزل ... ﴾ الآية [البقرة : ١٣٦] » والله تعالى أعلم .

***

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٥) ، والنسائي في السنن الكبرى في التفسير (١١٣٨٧) .

س : وضح المعنى الإجمالي لهذه الآية الكريمة : ﴿ قولوا آمنا بالله ... ﴾ [البقرة : ١٣٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بذلك ﴿ قولوا ﴾ ، أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ، ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ ، ﴿ آمنا ﴾ أي : صدقنا ﴿ بالله ﴾ .

قال : وقد دللنا فيما مضى أن معنى (الإيمان) التصديق بما أغنى عن إعادته وقال أيضًا : ﴿ وما أنزل إلينا ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، يقول أيضًا : صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد ﷺ فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به فكان - وإن كان تنزيلًا إلى رسول الله ﷺ بمعنى التنزيل إليهم للذي لهم فيه من المعاني التي وصفت ويعني بقوله : ﴿ وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، صدَّقنا أيضًا وآمنا بما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وهم الأنبياء من ولد يعقوب .

وقوله : ﴿ وما أوتي موسى وعيسى ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، يعني وآمنا أيضًا بالتوراة التي آتاها الله موسى وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى والكتب التي آتى النبيين كلهم وأقررنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدِّق بعضهم بعضًا على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته ﴿ لا نفرق بين أحد منهم ﴾ [البقرة : ٢٨٥] يقول : لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضًا كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرَّت بغيرهما من الأنبياء ، وكما تبرأت النصارى من محمد ﷺ وأقرَّت بغيره من الأنبياء بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله

وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى[1] .

❋ ❋ ❋

س : كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ... ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، في بعض الصلوات فما هي الصلاة التي كان النبي ﷺ يقرؤها فيها ؟

ج : كان النبي ﷺ يقرؤها في ركعة من الركعتين اللتين قبل الفجر فقد ثبت في صحيح مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ... ﴾ ، الآية التي في البقرة [البقرة : ١٣٦] ، وفي الآخرة منهما : ﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾[3] [آل عمران : ٥٢] .

وفي رواية عند مسلم أيضًا من حديث ابن عباس : كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر : ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا ...﴾ [البقرة: ١٣٦] ، والتي في آل عمران : ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ [آل عمران: ٦٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢١٠٣) قال : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، إلى قوله : ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولا يفرِّقوا بين أحدٍ منهم .

(٢) حديث (٧٢٧) .

(٣) وكان يقرأ أيضًا في ركعتي الفجر في الركعة الأولى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفي الثانية بـ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقد أخرج مسلم (حديث ٧٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

س : وضح معنى الشقاق بشيء من التفصيل ؟

ج : معنى الشقاق في الأصل الفراق ، والمراد أن هؤلاء المعاندين أصبحوا في شق ، والحق والحنيفية السمحة في شق آخر ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

● روى الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة قال : ﴿ وإنما هم في شقاق ﴾ أي : في فراق .

● وروى كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد[2] قال : ﴿ وإن تولوا فإنما هم في شقاق ﴾ [البقرة : ١٣٧] ، قال الشقاق : الفراق والمحاربة إذا شاقَّ فقد حارب وإذا حارب فقد شاقَّ وهما واحد في كلام العرب ، وقرأ : ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ [النساء : ١١٥] .

● وقال الطبري رحمه الله : وأصل (الشقاق) عندنا – والله أعلم – مأخوذ من قول القائل : (شقَّ عليه هذا الأمر) إذا كربه وآذاه ، ثم قيل : (شاقَّ فلانٌ فلانًا) بمعنى نال كل واحد منهما من صاحبه ما كربه وآذاه وأثقلته مساءته ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ [النساء : ٣٥] ، بمعنى فراق بينهما .

وقال القرطبي رحمه الله : ... وقيل الشقاق : المجادلة والمخالفة والتعادي ، وأصله من الشِّق وهو الجانب ، فكأن كل واحدٍ من الفريقين في شق غير شق صاحبه ، قال الشاعر :

إلى كم تقتل العلماء قسرًا   وتفجر بالشقاق وبالنفاق

وقال آخر :

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم   بُغاة ما بقينا في شقاق

---

(١) الطبري (٢١١٠) .

(٢) الطبري (أثر ٢١١٢) .

وقيل : إن الشقاق مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب ، فكأن كل واحد من الفريقين يحرص على ما يشق على صاحبه .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٧] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ ، فإن صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم فقد وفِّقوا ورشدوا ولزموا طريق الحق واهتدوا وهم حينئذ منكم وأنتم منهم بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك .

* * *

س : هل أتم الله عز وجل لنبيه ﷺ الوعد الذي وعده إياه وأنجزه له في قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ [البقرة : ١٣٧] ؟

ج : نعم أتم الله لنبيه ﷺ هذا الوعد الذي وعده إياه فسلطه على بعضهم بالقتل والإجلاء من الديار وسبي بعضهم وضرب الجزية على آخرين منهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ صبغة الله ﴾ [البقرة : ١٣٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن ملة إبراهيم عليه السلام – وهي الحنيفية السمحة – هي الصبغة التي يصبغ الله عز وجل بها أهل الإيمان ونعم الصبغة

هي ، وليست هي كصبغة اليهود والنصارى إذا أرادوا أن يهوِّدوا أبناءهم أوِ ينصِّروهم عمدوا إلى ماء فجعلوهم فيه زعموا أن ذلك تقديس . وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

فقد روي بإسناد حسن عن قتادة [1] رحمه الله أنه قال : قوله : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ [البقرة : ١٣٨] ، إن اليهود تصبغ أبناءها يهود ، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى ، وأن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر ، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده .

وقال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بـ (الصبغة) صبغة الإسلام ، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تُنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام ، وأنه صبغة لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره – إذ قالوا لنبيه محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين به : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، قل لهم يا محمد : أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصِّبغ فإنها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجَّة هداه .

***

س : على أي أساس نُصب قوله تعالى : ﴿ صبغة الله ﴾ [البقرة : ١٣٨] ؟

ج : الذي يظهر أنه نُصب على الإغراء ، والمعنى الزموا صبغة الله .

وقيل : إنها بدل من قوله تعالى : ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفًا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أي : بدل من ملة . والله أعلم .

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٢١١٣) .

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

س : ما معنى أتحاجوننا ؟

ج :

الكلمـة	**معناهـا**
أتحاجوننا	أتخاصموننا[1]– أتجادلوننا

❋ ❋ ❋

(١) روى الطبري (٢١٣٠) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ [البقرة : ١٣٩] أتخاصموننا ؟

س : قوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ [البقرة : ١٣٩] ، خطاب لمن ؟

ج : هو أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ أن يقول لليهود والنصارى الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه والقائلين : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أتحاجوننا ...

* * *

س : ما هو المراد من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أتحاجوننا في الله ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : المراد الإنكار والتوبيخ ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ .. في الله ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : قيل : إن المراد (دين الله) ، ولقائل أن يقول : إنه على ظاهره والمعنى أن المسلمين يقرون لله عز وجل بصفات الكمال والجلال التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ ، وينفون عنه الولد بينما اليهود والنصارى على غير ذلك فهم ينسبون لله الولد فاليهود يقولون : عزير ابن الله ، والنصارى يقولون : المسيح ابن الله ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

* * *

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا في الله .... ﴾ [البقرة : ١٣٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، ماذا

تريدون أن تحاجونا فيه ؟!!! فهل توحيد الله عز وجل والإخلاص إليه والانقياد له واتباع أوامره وترك زواجره يحتاج إلى مناظرة ؟!!

أتحاجوننا في الله وتزعمون أنكم أولى بالله منا لكون نبيكم قبل نبينا وكتابكم نزل قبل كتابنا ، فإن كان هذا هو احتجاجكم فليست الأسبقية بمجدية هنا لأن ربنا وربكم واحد ونحن لم نغير ولم نبدل ولم نشرك بالله شيئًا كما أشركتم يا يهود فجعلتم عزيرًا ابن الله وكما أشركتم يا نصارى فزعمتم أن المسيح ابن الله ، فليست أسبقيتكم بنافعتكم شيئًا مع شرككم بالله عز وجل .

● أتخاصموننا يا يهود أن الله اصطفى منا - نحن العرب - نبيًّا ولم يصطفه منكم ، فالله ربنا وربكم وهو سبحانه يصطفي من خلقه ما يشاء ويختار من يريد !

● وقوله تعالى : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى .. ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، فحواه : أم تحاجوننا يا معشر اليهود والنصارى بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كان هودًا أو نصارى ، فإن زعمتم ذلك فأنتم مفترون في دعواكم ، والله يعلم أنكم تكتمون الشهادة لهؤلاء - إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط - بالإسلام وما الله بغافل عما تعملون ، والله أعلم .

* * *

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الإخلاص ؟

ج : لأهل العلم في معنى الإخلاص أقوال منها ما يلي :

١ – أن الإخلاص هو العمل ابتغاء وجه الله وترك الرياء والبعد عنه .

٢ – قال قوم : الإخلاص من العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضًا في الدارين ولا حظًّا من الملكين .

٣ – قال بعض العلماء : الإخلاص سر بين العبد وبين ربه لا يعلمه مَلك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هو فيميله .

✵ ✵ ✵

س : اذكر آية كريمة تدحض دعوى اليهود والنصارى في ادعائهم أن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ؟

ج : الآية هي قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴾ [آل عمران : ٦٥ – ٦٧] .

✵ ✵ ✵

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، وما هي الشهادة التي كتموها ؟

ج : قيل : إن المعنيين هم اليهود والنصارى ، والشهادة التي كتموها هي كون إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين[١] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى : فإن زعمت يا محمد اليهودُ والنصارى – الذين قالوا لك ولأصحابك : ﴿ كونوا هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى فمن أظلم منهم ، يقول : وأي امرئ أظلم منهم ؟ وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين .

• والقول الثاني أن المعنيين بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، هم اليهود ، والشهادة التي كتموها هي صفة محمد ﷺ المثبتة في كتبهم[١] .

والقول الأول أظهر لأن سياق الكتاب العزيز في هذا الموطن يؤيده والله تعالى أعلم[٢] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : وجه هذا التذييل أنه يحمل التهديد لليهود والنصارى الذين قد تسوِّل لهم أنفسهم شهادة الزور ويدَّعون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢١٣٦) : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية ، وكتموا محمدًا ﷺ وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل .

وروى الطبري بإسناد صحيح (٢١٣٩) عن ابن زيد في قوله : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، قال : هم يهود يُسألون عن النبي ﷺ وعن صفته في كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك لأن قوله تعالى ذكره : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، في إثر قصة من سمَّى الله من أنبيائه وأمام قصته لهم ، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره .

س : اذكر آية كريمة في ذم كتمان الشهادة ؟

ج : الآية الكريمة هي قوله تعالى : ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – لا أحد أشد ظلمًا ممن كتم شهادة الله التي عنده وأخفاها ، وقد كتم اليهود والنصارى شهادة الله التي عندهم مما يخص إبراهيم ومما يخص محمدًا صلى الله عليهما وسلم ، وكذلك كتموا ما يتعلق بالشرائع والفروع ، فمن ذلك أن في كتبهم أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين ، وما كانوا يهودًا ولا نصارى فقد جاءوا قبل اليهودية والنصرانية ، وكانوا قبلها خاضعين لله مستسلمين له مقرين بالعبودية له والوحدانية .

وكتموا صفة محمد ﷺ فقد كانت صفته عندهم كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وكما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وكتموا أيضًا أحكام الله في الزنا كما قد تقدم من وضعهم أصابعهم على آية الرجم أمام رسول الله ﷺ(١) ، والله أعلم .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٧٥٤٣) ، ومسلم (حديث ١٦٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : أُتي النبي ﷺ برجلٍ وامرأةٍ من اليهود قد زنيا فقال =

س : كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] ، وبين قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ [البقرة : ١٤٠] ؟

ج : لأهل العلم في طريقة الجمع وجوه نذكر منها وجهين :

أحدهما : إنهما في الظلم سواء (في الدرجة العليا من الظلم) أعني أن مانع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه ، الساعي في خرابها على درجة من الظلم تساوي من كتم شهادة عنده من الله .

الثاني : إن ذلك على الاختصاص بمعنى أنه ليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وليس من كاتمي الشهادة أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا كُرِّر قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٤١] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ - أنه كرر للتهديد والتخويف ، والمعنى أنه إذا كان أولئك الأنبياء على طاعتهم لله وفضلهم يُجازون يوم القيامة بكسبهم فأنتم أحرى أن تجازون بكسبكم كذلك .

= لليهود ما تصنعون بهما ؟ قالوا : نسخِّم وجوههما ونخزيهما قال : فأْتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا فقالوا لرجل ممّن يرضون : يا أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضعٍ منها فوضع يده عليه قال : ارفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تَلُوح فقال : يا محمد إن عليهما الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرُجما فرأيته يُجانىء عليها الحجارة .

٢ - أنه كرر لقطع التعلق بالمخلوقين وتنبيهًا لليهود ولمن يتكل على فضل آبائه وأجداده وشرفهم كي لا يتكلوا على فضل الآباء فكلٌّ يؤاخذ بعمله والمعول عليه هو ما اتصف به الإنسان لا عمل أسلافه وآبائه ، فالنفع الحقيقي بالأعمال لا بالانتساب إلى الرجال .

٣ - كرر لشدة حاجة الناس إلى معرفته(١) .

٤ - كرر لأنه إذا اختلفت مواطن الحِجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة : ١٤١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك في الله من اليهود والنصارى إن كتموا ما عندهم من الشهادة في أمر إبراهيم ومن سمَّينا معه وأنهم كانوا مسلمين وزعموا أنهم كانوا هودًا أو نصارى فكذبوا :

---

(١) قال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل ٢/٢٧٨) : قال الراغب : إعادة هذه الآية من أجل أن العادة مستحكمة في الناس صالحهم وطالحهم أن يفتخروا بآبائهم ويقتدوا بهم في متحرياتهم لا سيما في أمور دينهم ، ولهذا حكي عن الكفار قولهم : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ [الزخرف : ٢٢] ، فأكد الله تعالى القول في إنزالهم عن هذه الطريقة ، وذكر في إثر ما حكي من وصية إبراهيم ويعقوب بنيه بذلك تنبيهًا أن الأمر سواء على ما قلت أو لم يكن فليس لكم ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه ، وفي الثاني لما ذكر ادعاءهم اليهودية والنصرانية لآبائهم أعاد أيضًا تأكيدًا عليهم تنبيهًا على نحو ما قال : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [الإسراء : ١٣]، وقوله : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وقوله : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، ولما جرت به عادتهم وتفردت به معرفتهم كل شاة تناط برجليها .

إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط أمة قد خلت - أي : مضت لسبيلها فصارت إلى ربها وخلت بأعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير في أيام حياتها وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها إلا سيئها ، فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك فإنكم إن كان هؤلاء ، وهم الذين بهم تفتخرون وتزعمون أن بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدَّموا من صالح الأعمال ولا يضرهم غير سيئها فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال ولا يضركم غيرُ سيئها فاحذروا على أنفسكم وبادروا خروجها بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفِرية على الله وعلى أنبيائه ورسله ، ودَعوا الاتكال على فضائل الآباء والأجداد فإنما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط يعملون من الأعمال ؛ لأن كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فإنما تسأل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها ، والله أعلم .

***

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
السفهاء – ما ولاهم – أمة – وسطًا – ينقلب على عقبيه – كبيرة – المراد إيمانكم – رءوف ؟

ج :

الكلمة	معناها
السفهاء	الجهال (والمراد بهم هنا : اليهود وأهل الشرك والنفاق)
ما ولاهم	أي شيء صرفهم وحولهم
أمة	القرن من الناس والصنف من الناس (المراد هنا – والله أعلم – أتباع محمد ﷺ)

الكلمــــة	معنــاهـــــا
وسطًا	عدلًا – خيارًا
ينقلب على عقبيه	يرتد عن دينه (والعقب : مؤخر القدم)
كبيرة	مشقة ثقيلة
إيمانكم	صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس
رءوف	الرأفة أشد الرحمة وأكثر الرحمة[1] .

* * *

(١) قال الطبري رحمه الله : و (الرأفة) أعلى معاني الرحمة ، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة ، وقال القرطبي رحمه الله : والرأفة أشد من الرحمة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : الرأفة أكثر من الرحمة والمعنى متقارب .

س : ما معنى السفهاء ؟ ومن هم السفهاء من الناس ؟ ولماذا أطلق عليهم سفهاء ؟

ج : السفهاء هم الجهال ، والسفهاء من الناس هم اليهود ، وقد قال بذلك البراء بن عازب رضي الله عنهما(١) ، وقيل : إنهم المنافقون ، وقيل : هم مشركو العرب ، وكل هؤلاء : (اليهود ، وأهل النفاق ، ومشركو العرب) سفهاء ، فلا مانع من أن يكونوا كلهم قالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .

أما لماذا أطلق عليهم سفهاء فاليهود أطلق عليهم سفهاء لأنهم سَفِهُوا الحق وأنكروه ، وأهل النفاق جهلوا أن الله على كل شيء قدير ، وأنه سبحانه قادر على أن يحول المسلمين من قبلة إلى أخرى ، وجهلوا حكمة الله في ذلك ، أما أهل الشرك فهم سفهاء أصلًا لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٢] دليل من دلائل النبوة وضحه ؟

ج : إيضاحه أن الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ بشيء لم يك قد وقع

(١) أخرجه الطبري (٢١٤٥) بإسناد رجاله ثقات عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ قال : اليهود .

وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا وإلى ابن إسحاق ، وفي بعض الروايات (أهل الكتاب) بدلًا من اليهود ، وهي محمولة على الأولى بمعنى أن أهل الكتاب يُراد بهم هنا اليهود .

والإسناد لا تشوبه إلا عنعنة أبي إسحاق ولا أراها تضر في مثل هذا الموطن ، فالأثر عن البراء بأنهم اليهود صحيح .

ولكن هذا لا ينفي أن يكون المنافقون قالوا كذلك أيضًا : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وأهل الشرك كذلك قالوا نحوه ، ومن ثَمَّ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : (والآية عامة في كل هؤلاء) والله أعلم .

وأخبر النبي أمته بذلك فوقع الأمر كما أخبر سبحانه وتعالى نبيه وكما أخبر نبيُّه الناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يُردُّ على السفهاء القائلين : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] ؟

ج : يُردُّ عليهم بـ : ﴿ لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] أي : أن الاتجاهات كلها لله ومِلْك المشرق والمغرب وما بينهما لله سبحانه ، وليست العبرة بالاتجاه إلى المشرق والمغرب إنما العبرة بطاعة الله عز وجل وامتثال أمره كما قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وهكذا يُردُّ على كل ملحد حاجج المؤمنين في عبادتهم ، فإن قال لنا قائل : لماذا تطوفوا بالكعبة وتسعون بين الصفا والمروة وترمون الجمار وتقفون بعرفات ... فالإجابة على كل هذا أن هذا أمر الله ونحن لربنا مسلمون طائعون ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة الإخبار بقول السفهاء قبل وقوعه ؟

ج : فائدته توطين النفس وتأهيلها لاستقبال ما سيقوله هؤلاء السفهاء ، وتهوين صدمة القول وتخفيف روعته ، والإشارة إلى سفاهة القائل وجهله قبل أن يتكلم بالكلام .

وقد تقدم أن في الآية الكريمة نوع إعجاز للإخبار بالغيب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بعض العلماء يرى أن في الآية الكريمة : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] نسخٌ للسنة بالقرآن وضح ذلك ؟ واذكر دليلًا آخر يدل على نسخ السنة بالقرآن ؟

ج : وجه الدلالة من الآية الكريمة على نسخ السنة بالقرآن أن النبي ﷺ كان يُصلي إلى بيت المقدس وليس هناك نص ظاهر في كتاب الله بالأمر بذلك ، ثم جاء الأمر بالتوجه إلى الكعبة فنسخ ما كان من توجهٍ إلى بيت المقدس ، ودليل آخر في هذا الباب وهو ما أخرجه البخاري[1] من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه في قصة صلح الحديبية ... وفيه أن سهيل ابن عمرو قال لرسول الله ﷺ في بنود الصلح : .. وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا ... الحديث ، وفيه ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن .. - حتى بلغ - بعصم الكوافر ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

والشاهد من الحديث - على قول لبعض العلماء[2] - : إن الاتفاقية بين رسول الله ﷺ وبين المشركين كان من بنودها أنه لا يأتيه مسلم منهم إلا ورَدَّه إليهم ، فنسخ الله سبحانه ذلك في شأن المؤمنات بقوله تعالى : ﴿ .. فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .. ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

* * *

---

(١) حديث (٢٧٣١) ، (٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كل منهما حديث صاحبه .

(٢) وإن كان بعض العلماء يرى أن الاتفاقية كانت تنص على الرجال فقط كما هو وارد في الحديث ، وبعضهم يقول : إن النساء كن داخلات في الاتفاقية بالمعنى ، والله تعالى أعلم.

س : في قوله تعالى : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] دليل على النسخ وضحه ؟

ج : إيضاحه أن المسلمين كانوا يصلون إلى بيت المقدس فأمرهم الله بالتحول إلى الكعبة فكان ذلك التوجه نسخ لتوجههم إلى الكعبة .

قال القرطبي رحمه الله : في هذه الآية دليل واضح على أن في أحكام الله تعالى وكتابه ناسخًا ومنسوخًا ، وأجمعت عليه الأمة إلا من شذ ، كما تقدم ، وأجمع العلماء على أن القبلة أول ما نُسخ من القرآن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٤٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : قل لله ملك المشرق والمغرب وما بينهما ، وله الحكم والتصرف والأمر فيهما ، والمراد أن العبرة بامتثال أوامر الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي الشأن كله في امتثال أوامر الله ، فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا ، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن ، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل كان توجه رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس باجتهاد منه أم بوحي من الله إليه ؟

ج : للعلماء في ذلك قولان :

أحدهما : أنه كان باجتهاد منه ﷺ .

الثاني : أنه بوحي .

وعلى أية حال فرب العزة سبحانه وتعالى قد أقرَّه على ذلك فقد قال الله سبحانه : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فالله هو الذي جعل القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ ، وهو الذي وجهه إليها .

***

س : لماذا وُجِّه المسلمون أولًا إلى بيت المقدس ثم حُوِّلوا إلى الكعبة ؟

ج : في هذا فتنة من الله عز وجل وامتحان ليظهر المنافق المرتاب من المؤمن الموقن كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فقال أهل النفاق لما حُوِّلت القبلة : ما بال محمد يحولنا مرة إلى ها هنا ومرة إلى ها هنا ، وقال بعض المسلمين : كيف بإخواننا الذين ماتوا وقتلوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس ، وقال أهل الشرك : كما رجع محمدٌ إلى قبلتنا فسيرجع إلى ديننا ، أما أهل الإيمان الكامل واليقين الصادق فعلموا أن كل ذلك حق وأنه من عند الله سبحانه وسمعوا له وأطاعوا ورضوا به وقرت أعينهم ، والله أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا .. ﴾ [البقرة : ١٤٣] معطوف على ماذا ؟

ج : معطوف على الهداية ، فالمعنى : وكما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله ووفقناكم لاتباع ملة إبراهيم والاتجاه لقبلته وفضلناكم بذلك على سائر الملل فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

● وقيل : راجع إلى إبراهيم عليه السلام ، فالمعنى : وكما اصطفيناه في الدنيا فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

● وقال بعض العلماء : وكما هديناكم إلى الكعبة التي هي وسط الأرض فكذلك أيضًا جعلناكم أمة وسطًا .

والقول الأول أولى ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى ﴿ وسطًا ﴾ ، ولماذا وُصفت أمة محمد ﷺ بأنها أمة وسط ؟

ج : **الوسط : العدل** ، وقد تقدم ذلك كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ... والوسط العدل »[1] .

والوسط أيضًا يطلق على الخيار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ؛ وذلك لكونها أشرف الصلوات وينشغل الناس عنها .

ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿ قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ [القلم : ٢٨] وكما قال الشاعر (وهو زهير بن أبي سلمى) :

هُمُ وَسَطٌ يرضى الأنام بِحُكْمِهم ... إذا نَزَلَتْ إحدى الليالي بِمُعْظَمِ

---

(١) أخرجه البخاري مع قصة كما تقدم ، وأخرجه مختصرًا الطبري في تفسيره (٢١٦٥) ، وإسناده صحيح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : عُدولًا .

● **أما لماذا وصفت أمة محمد ﷺ بأنها وسط** ، فكما ذكر الطبري رحمه الله حيث قال : وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلوٍّ فيه غلوَّ النصارى الذي غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به ، ولكنهم أهل توسطٍ واعتدالٍ فيه ، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوسطها .

ونقل القاسمي في محاسن التأويل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله : وهذه الفرقة الناجية أهل السنة ، وهم وسط في النِّحَل ، كما أن ملةِ الإسلام وسط في الملل . فالمسلمون وسط في أنبياء الله ، ورسله ، وعباده الصالحين ، لم يغْلوا فيهم كما غلت النصارى فـ ﴿ اتخذوا أَحبارهم ورهبانهم أَربابًا من دون اللَّهِ والمسيح ابن مريم ، وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا ، لا إله إلا هو ، سبحانه عمَّا يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] ولا جفوا عنهم ، كما جفت اليهود ، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقًا ، وقتلوا فريقًا . بل المؤمنون آمنوا برسل الله ، وعزروهم ، ونصروهم ، ووقروهم ، وأحبوهم ، وأطاعوهم ، ولم يعبدوهم ، ولم يتخذوهم أربابًا . كما قال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون اللَّهِ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح ، فلم يقولوا : هو الله ، ولا

ابن الله ، ولا ثالث ثلاثة . كما تقوله النصارى . ولا كفروا به ، وقالوا على مريم بهتانًا عظيمًا ، حتى جعلوه ، ولد غية ، كما زعمت اليهود . بل قالوا : هذا عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، وروح منه . وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله ، فلم يحرِّموا على الله أن ينسخ ما شاء ، ويمحو ما شاء ويثبت . كما قالته اليهود . كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وبقوله : ﴿ وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحقُّ مصدِّقًا لما معهم ﴾ [البقرة : ٩١] ولا جوَّزوا لأكابر علمائهم وعبَّادهم أن يغيروا دين الله ، فيأمروا بما شاءوا وينهَوا عما شاءوا . كما يفعله النصارى . كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله : ﴿ اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴾ [التوبة: ٣١] .

قال عديُّ بن حاتم رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله ما عبدوهم ؟ قال : « ما عبدوهم ، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم »[1] . والمؤمنون قالوا : لله الخلق والأمر ، فكما لا يخلق غيره ، لا يأمر غيره . وقالوا : سمعنا وأطعنا ، فأطاعوا كل ما أمر الله به . وقالوا : إن الله يحكم ما يريد . وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ، ولو كان عظيمًا . وكذلك في صفات الله تعالى ، فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة ، فقالوا : هو فقير ونحن أغنياء . وقالوا : يد الله مغلولة . وقالوا : إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت . إلى غير ذلك . والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به . فقالوا : إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ، ويثيب ويعاقب . والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى . ليس له سميٌّ ولا ندٌّ . ﴿ ولم يكن

(١) في إسناده ضعف .

له كفوًا أحدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، و ﴿ ليس كمثلـه شيء ﴾ [الشورى : ١١] فإنه رب العالمين ، وخالق كل شيء . وكل ما سواه عباد له ، فقراء إليه .

﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلُّهم ءاتيه يوم القيامة فردًا ﴾ [مريم : ٩٣ - ٩٥] ومن ذلك : أمر الحلال والحرام . فإن اليهود كما قال الله تعالى : ﴿ فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أُحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط . ولا شحم الثَّرب (الثَّرب : شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء . وجمعه ثروب) والكليتين . ولا الجدي في لبن أمه . إلى غير ذلك ، مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما . حتى قيل : إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعًا والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمرًا . وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يواكلوا الحائض ، ولا يجامعوها في البيوت . وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات ، وباشروا جميع النجاسات ، وإنما قال لهم المسيح : ﴿ ولأُحلَّ لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ [آل عمران : ٥٠] . ولهذا قال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤْمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] . وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤْتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤْمنون * الذين يتبعون الرسول النَّبي الأُمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأْمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأَغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧] .

وهذا باب يطول وصفه . وهكذا أهل السنة والجماعة في الفِرَق . فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته ، وسط بين أهل التعطيل ، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ، ويعطلون حقائق ما نَعَت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات . وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات . فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه ، وما وصفه رسوله ﷺ . من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف وتمثيل . وهم في باب خلْقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله ، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء . وبين المفسدين لدين الله . الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطِّلون الأمر والنهي والثواب والعقاب . فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا حرمنا من شيء ﴾ [الأنعام : ١٤٨] فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير . فيقدر أن يهدي العباد ويقلِّب قلوبهم . وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . فلا يكون في ملكه ما لا يريد . ولا يعجز عن إنفاذ مراده . وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات . ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل . وأنه مختار . ولا يسمونه مجبورًا . إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره . والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله . فهو مختار مريد . والله خالقه وخالق اختياره . وهذا ليس له نظير . فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد ، وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية . ويكذبون بشفاعة النبيِّ ﷺ . وبين المرجئة الذين يقولون : إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء . والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان . ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية . فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فسَّاق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله . وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي

يستوجبون به الجنة . وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، أو مثقال خردلة من إيمان . وأن النبي ﷺ ادَّخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته . وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ، وسط بين الغالية الذين يغالون في عليٍّ رضي الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما ، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا ، وكفَّروا الأمة بعدهم كذلك ، وربما جعلوه نبيًّا أو إلهًا . وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما . ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما . ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته . وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط ، لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . انتهى .

* * *

س : اذكر بعض الآيات في فضل أمة محمد ﷺ ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة : ١٤٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ [الحج : ٧٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود – إلى قوله : – وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا[1] ﴾ [فاطر : ٣٢] ، وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله في تفسير سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

❋ ❋ ❋

س : قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] متى تكون هذه الشهادة ؟

ج : هذه الشهادة تكون في الآخرة وتكون كذلك في الدنيا .

● أما كونها في الآخرة فلقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا * يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوَّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ﴾ [النساء : ٤١ ، ٤٢] .

---

(١) وهم أمة محمد ﷺ على رأي فريق كبير من أهل العلم .

● أما كونها في الدنيا فلما أخرجه البخاري[1] ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ: «.وجبت » ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال : « وجبت » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجبت ؟ قال : « هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض » ، وفي رواية مسلم :« أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض » .

***

س : في ماذا تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم يوم القيامة ؟

ج : تشهد أمة محمد ﷺ على سائر الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالات الله عز وجل ، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُدعى[2] نوح يوم القيامة فيقول : لبيكِ وسعديك يا رب فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلَّغ ويكون الرسول عليكم شهيدًا ، فذلك قوله جل ذكره : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . والوسط العدل .

***

س : استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس .. ﴾ [البقرة :١٤٣] على حجية الإجماع ، وضح وجه هذا الاستدلال ، وهل من دليل آخر أصرح في الاستدلال من هذا الدليل ؟

---

(١) البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٢٨) ، ومسلم (مع النووي ٧/ ١٨) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٧) .

ج : حاصل قولهم أن الله عزَّ وجل وصف هذه الأمة بالعدالة في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] فلما وصفها بالعدالة كان من مقتضيات وصفها بالعدالة أنها إذا اتفقت على أمر كان هذا الأمر صوابًا لأنه إذا كان باطلًا اختلت عدالتها ، والله أعلم .

● وأصرح من ذلك في الاستدلال على حجية الإجماع قوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

● وقول النبي ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة »(١) ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أمة محمد ﷺ من هو مسرف على نفسه ، ومنهم من هو فاسق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا ﴾ [فاطر : ٣١] ؟

ج : الإجابة أنّه حتى الفاسق من أمة محمد ﷺ الذي يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يقر بنبوة الأنبياء عليهم السلام وأنهم قد بلغوا أمر الله عز وجل ، ومن ثمَّ استقام أن يكون شهيدًا على الناس في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) لهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ في كل منها ضعف ظاهر اللهم إلا حديث ابن عباس المرفوع الذي أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١١٦) ، والبيهقي في الصفات (٢/ ١٣٦) فإسناده ظاهره الصحة إلا أنني في ريب من تصحيحه وخاصة مع توقف الحاكم – رغم تساهله المعروف – في تصحيح هذا الحديث حيث قال : لا أدعي صحته ولا أحكم بتوهينه . وكذلك فقد أخرج الترمذي بإسناد مشابه لإسناده حديثًا ووصفه بحسن غريب .

س : رأى كثير من أهل العلم أن العدالة شرط للشهادة اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم ﴾ [الطلاق : ٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة :٢٨٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ اثنان ذوا عدل منكم ﴾ [المائدة : ١٠٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

قال ابن العربي في أحكام القرآن عند تفسير هذا الآية : وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدول ولا ينفذ على الغير قول الغير إلا أن يكون عدلًا .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يشهد الرسول ﷺ على أمته يوم القيامة ؟

ج : يشهد الرسول على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمروا بفعله إذا هم فعلوه ، وبعض أهل العلم يقول : ﴿ عليكم ﴾ هنا بمعنى : لكم ، أي : يشهد لكم بالإيمان ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي القبلة التي كان عليها رسول الله ﷺ قبل أن يتحول إلى الكعبة ؟

ج : هي بيت المقدس ، وذلك كما ورد في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا[1] ... الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦) ، ومسلم (حديث ٥٢٥) .

س : ما هي الكبيرة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : هي مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام .

وقال بعض العلماء : إنها صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس قبل أن يتحولوا إلى الكعبة فقد كان يشق عليهم الاتجاه إلى بيت المقدس وترك الكعبة[١] .

لكن قد صحح الطبري القول الأول بقوله : وهذا التأويل[٢] أولى التأويلات عندي بالصواب لأن القوم إنما كَبُر عليهم تحويل النبي ﷺ وجهه عن القبله الأولى إلى الأخرى لا عين القبلة ولا الصلاة ، لأن القبلة الأولى والصلاة قد كانت وهي غير كبيرة عليهم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه كون تحويل القبلة كبيرة ؟

ج : وجه ذلك ما ذكره الطبري بإسناد صحيح[٣] إلى ابن زيد قال : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال: كبيرة في صدور الناس فيما يدخل الشيطانُ به ابن آدم قال : ما لهم صلوا إلى ههنا ستة عشر شهرًا ثم انحرفوا ، فكبر ذلك في صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين ، فقالوا : أي شيء هذا الدِّين ؟ وأما الذين آمنوا

---

(١) أخرج الطبري (٢٢١٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : صلاتكم حتى يهديكم الله عزَّ وجل القبلة .
وفي رواية أخرى بنفس السند : قال : صلاتك ها هنا يعني إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا وانحرافك ها هنا .

(٢) نص التأويل الذي عناه وذكره : وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنت عليها وتوليتناك عنها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت تحويلتنا إياك عنها وتوليتناك ﴿ لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

(٣) الطبري أثر (٢٢١٧) .

فثبَّت الله جل ثناؤه ذلك في قلوبهم ، وقرأ قول الله : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال : صلاتكم حتى يهديكم إلى القبلةِ ، والله أعلم .

* * *

س : الله عز وجل يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما كان وما سيكون ، وهو سبحانه يعلم من سيتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فكيف يوجَّه قوله تعالى في الآية الكريمة : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله تعالى نحو هذا السؤال في تفسيره ثم أجاب عليه فقال رحمه الله تعالى في سؤاله والجواب عليه ما نصه :

قال : فإن قال لنا قائل : أو ما كان الله عالمًا بمن يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، إلَّا بعد اتباع المتَّبع ، وانقلاب المنقلب على عقبيه ، حتى قال : ما فعلنا الذي فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتَّبعَ رسول الله ﷺ من المنقلب على عقبيه ؟

قيل : إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها ، وليس قوله : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتِّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ ، بخبر (عن) أنه لم يعلم ذلك إلَّا بعد وجوده .

فإن قال : فما معنى ذلك ؟

قيل له : أما معناه عندنا ، فإنه : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلَّا ليعلم رسولي وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، ومعناه ليعلم رسولي وأوليائي . إذ كان رسول الله ﷺ وأولياؤه من حزبه ، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع

الرئيس ، إلى الرئيس وما فعل بهم إليه ، نحو قولهم : (فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وجبى خراجها) ، وإنما فعل ذلك أصحابه ، عن سببٍ كان منه في ذلك ، وكالذي روي في نظيره عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله جل ثناؤه : مرضت فلم يعدني عبدي ، واستقرضته فلم يقرضني ، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني »[1] .

حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : استقرضت عبدي فلم يقرضني ، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني ! يقول : وا دهراه ! وأنا الدهر ، أنا الدهر »[2] .

حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه .

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه ، وقد كان ذلك بغيره ، إذا كان ذلك عن سببه .

وقد حكي عن العرب سماعًا : (أجوع في غير بطني ، وأعرى في غير ظهري) ، بمعنى : جوع أهله وعياله وعُرْيَ ظهورهم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال : يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين ، قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي » .

(٢) إسناده حسن .

فكذلك قوله : ﴿ إلّا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، بمعنى : يعلم أوليائي وحزبي .

وأورد الطبري رحمه الله أوجهًا أخر فقال :

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك ، من أجل أن العرب تضع (العلم) مكان (الرؤية) و(الرؤية) مكان (العلم) ، كما قال جل ذكره : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ [الفيل : ١] ، فزعم أن معنى ﴿ ألم تر ﴾ : ألم تعلم ؟ وزعم أن معنى قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، بمعنى : إلا لنرى من يتبع الرسول . وزعم أن قول القائل : (رأيت ، وعلمت ، وشهدت) ، حروف تتعاقب ، فيوضع بعضها موضع بعض ، كما قال جرير بن عطية :

كأنك لم تشهد لقيطًا وحاجبًا وعمرو بن عمرو إذ دعا يالدارم

بمعنى : كأنك لم تعلم لقيطًا ، لأن بين هلك لقيط وحاجب وزمان جرير ، ما لا يخفى بعده من المدة . وذلك أن الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية ، وجرير كان بعد برهة مضت من مجيء الإسلام .

قال أبو جعفر : وهذا تأويل بعيد . من أجل أن (الرؤية) ، وإن استعملت في موضع (العلم) ، من أجل أنه مستحيل أن يرى أحدٌ شيئًا فلا توجب رؤيته إياه علمًا بأنه قد رآه ، إذا كان صحيح الفطرة . فجاز من الوجه الذي أثبته رؤيةً ، أن يضاف إليه إثباته إياه علمًا ، وصح أن يدل بذكر (الرؤية) على معنى (العلم) من أجل ذلك فليس ذلك ، وإن كان (جائزًا) في الرؤية - لما وصفنا - بجائز في العلم ، فيدل بذكر الخبر عن (العلم) على (الرؤية) . لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ، ويستحيل أن يرى شيئًا إلا علمه ، كما قد قدمنا البيان (عنه) مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال : (علمت كذا) ، بمعنى رأيته .

وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ من الكلام ، إلى ما كان موجودًا مثله في كلام العرب ، دون ما لم يكن موجودًا في كلامها . فموجود في كلامها (رأيت) بمعنى : علمت ، وغير موجود في كلامها (علمت) بمعنى : رأيت ، فيجوز توجيه : ﴿ إلا لنعلم ﴾ إلى معنى : إلا لنرى .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إلَّا لنعلم ﴾ ، من أجل أن المنافقين واليهود وأهل الكفر بالله ، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه . وقالوا – إذ قيل لهم : إن قومًا من أهل القبلة سيرتدون على أعقابهم ، إذا حولت قبلة محمد ﷺ إلى الكعبة – : ذلك غير كائن ! أو قالوا : ذلك باطل ! فلما فعل الله ذلك ، وحول القبلة ، وكفر من أجل ذلك من كفر ، قال الله جل ثناؤه : ما فعلت إلا لنعلم ما علمه غيركم – أيها المشركون المنكرون علمي بما هو كائن من الأشياء قبل كونه – : أني عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد .

فكأن معنى قائلي هذا القول في تأويل قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ : إلا لنبين لكم أنا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وهذا وإن كان وجهًا له مخرج ، فبعيدٌ من المفهوم .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، وهو بذلك عالم قبل كونه وفي كل حال ، على وجه الترفق بعباده واستمالتهم إلى طاعته ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] ، وقد عُلم أنه على هدى ، وأنهم على ضلال مبين . ولكنه رفق بهم في الخطاب ، فلم يقل : إنا على هدى وأنتم على ضلال . فكذلك قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ ، معناه عندهم : إلَّا لتعلموا أنتم ، إذ كنتم جهالًا به قبل أن يكون . فأضاف العلم إلى نفسه ، رفقًا بخطابهم .

وقد بيَّنا القول الذي هو أولى في ذلك بالحق .

وقال الزجاج في معاني القرآن :

وقوله عز وجل : ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] إن قال قائل : ما معنى ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن على عقبيه ﴾ ، والله عز وجل - قد علم ما يكون قبل كونه ، فالجواب في ذلك أن الله يعلم من يتبع الرسول مِمَّن لا يتبعه من قبل وقوعه ، وذلك العلم لا تجب به مجازاة في ثواب ولا عقاب ولكن المعنى ليعلم ذلك منهم شهادة فيقع عليهم بذلك العلم اسم مطيعين واسم عاصين ، فيجب ثوابهم على قدر عملهم ، ويكون معلوم ما في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة - كما قال عز وجل : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ [التغابن : ١٨] فعلمه به قبل وقوعه علم غيب ، وعلمه به في حال وقوعه شهادة وكل ما علمه الله شهادة فقد كان معلومًا عنده غيبًا ، لأنه يعلمه قبل كونه ، وهذا يبين كل ما في القرآن مثله نحو قوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان :

قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] الآية . ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون . وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه بقوله جل وعلا : ﴿ وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، فقوله : ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ بعد قوله :

﴿ ليبتلي ﴾ [آل عمران : ١٥٤] دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار ، وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التى يذكر الله فيها اختباره لخلقه . ومعنى ﴿ إلا لنعلم ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك ، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس . أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى .

***

س : ترد بعض أوامر الله عز وجل لاختبار المؤمنين وتمييز المؤمن من المنافق كهذه الآية : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] اذكر آيات أخرى مشابهة لها يتميز بها المؤمن عن المنافق ؟

ج : من هذه الآيات ما ذكره الله عز وجل عن شجرة الزَّقوم التي تطلع في أصل الجحيم ، كما قال تعالى : ﴿ أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجـرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ [الصافات : ٦٢ – ٦٤] ، فهذه الشجرة فتنة للظالمين ، إذ قالوا : كيف تنبت شجرة في أصل الجحيم ومن المعلوم أن النار تأكل الخشب؟ ! ، فجهلوا أن الله على كل شيء قدير .

● وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [الإسراء : ٦٠] وذلك في شأن الإسراء .

● وقوله تعالى في عدد أصحاب النار : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا – إلى قوله تعالى – : وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلًا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء .. ﴾ [المدثر : ٣١] .

فقال أهل الكفر والنفاق : إذا كان عدد خزنة جهنم تسعة عشر فنحن قادرون على سحقهم وإخماد النار واحتلال الجنة بالقوة .

● وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : أخرج البخاري[١] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت ، وأنه صلى – أو صلاها – صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] إشارة إلى أن الأعمال من الإيمان وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن جمهور المفسرين فسروا الإيمان في قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أي : صلاتكم ، والصلاة عمل ، فعلى ذلك فالإيمان

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٦) .

يدخل فيه العمل أيضًا ، وهذا هو قول جمهور أهل السنة والجماعة ، والله أعلم .

* * *

س : ذكرتم أن سبب نزول الآية الكريمة هو إشفاق المؤمنين على إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يصلون إلى بيت المقدس قبل أن تحوَّل القبلة إلى الكعبة فلماذا عبر بقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ولم يعبر بقوله : (إيمانهم) ؟

ج : ذلك لأن المؤمنين كالجسد الواحد كما قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ﴾ [النور : ١٢] ولم يقل بإخوانهم .

وكما قال سبحانه : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ولم يقل ولا تلمزوا إخوانكم ، وكما قال سبحانه : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] .

● وأورد الطبري رحمه الله تعالى جوابًا آخر فقال : (وقد طرح سؤالًا مشابهًا)[١] :

قيل : إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك فإنهم أيضًا قد كانوا مشفقين من حبوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة وظنوا أن عملهم ذلك قد بطل وذهب ضياعًا ، فأنزل الله جل ثناؤه حينئذٍ فوجه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم ، لأن من شأن العرب

---

(١) قال الطبري في هذا السؤال : فإن قال قائل : وكيف قال الله جل ثناؤه : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين ، والقوم المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس ، وفي ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية .

إذا اجتمع في الخبر المخاطبُ والغائب أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب في الخطاب فيقولوا لرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر (فعلنا بكما وصنعنا بكما) كهيئة خطابهما لهما وهما حاضران ، ولا يستجيزون أن يقولوا : (فعلنا بهما) وهم يخاطبون أحدهما فيردوا المخاطب إلى عداد الغيب[1] .

❋ ❋ ❋

س : في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ [البقرة : ١٤٣] دليل على العمل بخبر الآحاد وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن المسلمين لما أُخبروا وهم في صلاتهم بتحويل القبلة استداروا وهم في صلاتهم والذي أخبرهم كان واحدًا فخبره خبر آحاد بلا شك .

قال القرطبي رحمه الله : وفيه دليل على قبول خبر الواحد ، وهو مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عادة النبي ﷺ في توجيهه ولاته ورسله آحادًا للآفاق ليعلِّموا الناس دينهم فيبلِّغوهم سنة رسولهم ﷺ من الأوامر والنواهي .

❋ ❋ ❋

س : هل ثبت أن أحدًا من الصحابة ارتد بعد تحويل القبلة ؟

ج : قال بذلك بعض أهل العلم ، ولكني لم أقف على سند صحيح يفيد ذلك ، والله تعالى أعلم[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) الغيب جمع غائب ، مثل خادم وخدم .

(٢) وقد ورد ذلك بإسناد معضل عن ابن جريج عند الطبري (٢٢٠٥) .

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : وإنما أراد جلَّ ثناؤه بذلك أن الله عز وجل أرحمُ بعباده من أن يضيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها ، وأرأف بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم ، أي : ولا تأسوا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فإني لهم على طاعتهم إياي بصلاتهم التي صلوها كذلك مثيبٌ لأني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملًا عملوه لي ، ولا تحزنوا عليهم فإني غير مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة لأني لم أكن فرضت ذلك عليهم ، وأنا أرأف بخلقي من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم بعمله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في سعة رحمة الله عز وجلَّ ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ على النبي ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ » قلنا : لا ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها »(١) .

● ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة في مائة جزء

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٩٩) ، ومسلم (٢٧٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٠٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٢) .

فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

• ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي »[١] .

• ومنها ما في الصحيح كذلك من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« ليصيبن أقوامًا سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يُقال لهم الجهنميون »[٢] .

• ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٣] عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي . وأنا معه حيث يذكرني . والله ! لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة . ومن تقرب إلي شبرًا ، تقربت إليه ذراعًا . ومن تقرب إلي ذراعًا ، تقربت إليه باعًا . وإذا أقبل إلي يمشي ، أقبلت إليه أهرول » .

وفي رواية عنده[٤] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها » .

وأخرج مسلم[٥] من طريق الحارث بن سويد قال :

دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض . فحدثنا بحديثين : حديثًا عن

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم حديث (٢٧٥١) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٥٠) .
(٣) مسلم حديث (٢٦٧٥) .
(٤) هي عند مسلم أيضًا (ص٢١٠٢) .
(٥) مسلم حديث (٢٧٤٤) .

نفسه وحديثًا عن رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن ، من رجل في أرض دويةٍ[1] مهلكة[2] معه راحلته . عليها طعامه وشرابه . فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش . ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه . فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت . فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه . فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » .

● وأخرج مسلم[3] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف تقولون بفرح رجل انفلتت منه راحلته . تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعامٌ ولا شرابٌ . وعليها له طعام وشراب . فطلبها حتى شق عليه ، ثم مرت بجذل شجرةٍ[4] فتعلق زمامها . فوجدها متعلقة به ؟ » قلنا : شديدًا[5] . يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : « أَما ، والله ! لله أشد فرحًا بتوبة عبده ، من الرجل براحلته » .

● ومن هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك[6]

---

(١) قال النووي رحمه الله : (دوية) اتفق العلماء على أنها بفتح الدال وتشديد الواو والياء جميعًا . وذكر مسلم ، في الرواية التي بعد هذه ، رواية أبي بكر بن أبي شيبة : أرض داوية ، بزيادة ألف ، وهي بتشديد الياء أيضًا . وكلاهما صحيح . قال أهل اللغة : الدوِّية الأرض القفر والفلاة الخالية . قال الخليل : هي المفازة . قالوا : ويقال دوِّية وداوية . فأما الدوِّية فمنسوبة إلى الدوِّ ، بتشديد الواو ، وهي البرية التي لا نبات بها . وأما الداوية فهي على إبدال إحدى الواوين ألفًا . كما قيل في النسب إلى طيء طائيٌّ .

(٢) (مهلكة) موضع خوف الهلاك ، بفتح اللام وكسرها ، ويقال لها مفازة . قيل : إنه من قولهم فوَّز الرجل ، إذا هلك ، وقيل : هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها ، كما يقال للديغ : سليم .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٦) .

(٤) جذل شجرة أي : أصل شجرة .

(٥) أي : نراه يفرح فرحًا شديدًا .

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) .

رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده ، حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه . وعليها طعامه وشرابه . فأَيس منها فأتى شجرة . فاضطجع في ظلها . قد أَيس من راحلته . فبينا هو كذلك إذا هو بها ، قائمة عنده . فأخذ بخطامها . ثمَّ قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح » .

● وأخرج مسلم من حديث أبي أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة : كنت كتمت عنكم شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون يغفر لهم » .

وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا ثم خرج يسأل فأَتى راهبًا فسأله فقال له : هل من توبةٍ ؟ قال : لا ، فقتله فجعل يسأل فقال له رجل : ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فَنَاءَ(٢) بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي ، وقال : قيسوا ، فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له »(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٦) .

(٢) ناء بمعنى : بَعُدَ .

(٣) وله لفظ أطول عند مسلم وهو أن نبي الله ﷺ قال : « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلِق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى =

وأخرج البخاري[1] من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله : إذا أنا مت فخذوني فذرّوني في البحر في يومٍ صائفٍ[2] ففعلوا فجمعَه الله ثم قال : ما حملكَ على الذي صنَعت ؟ قال : ما حملني عليه إلا مخافَتُك فغَفَر له » .

ونحوه في الصحيحين[3] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ :

أنه ذكر رجلًا فيمن سلف - أو فيمن كان قبلكم - قال كلمةً يعني أعطاه الله مالًا وولدًا فلما حضرت الوفاةُ قال لبنيه : أيَّ أبٍ كنُت لكم ؟ قالوا : خيرَ أب قال فإنه لم يَبْتَئر[4] - أو لم يبتئز - عند الله خيرًا ، وإن يقدر الله عليه يعذِّبُهُ فانظُروا إذا متُّ فأَحْرِقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقُوني - أو قال : فاسحكوني - فإذا كان يومُ ريح عاصفٍ فأَذْروني فيها فقال نبيُّ الله ﷺ : « فأخذ مواثيقَهم على ذلك وربي ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل : كن فإذا هو رجل قائم قال الله : أي عبدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك - أو فرق منك - قال : فما تلافاه[5] أن رحمه عندها » .

= إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرًا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة » .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٨٠) ، والنسائي (١١٣/٤) .

(٢) في بعض الروايات : « في يوم حار » ، وفي بعضها : « في يوم رائح » (أي : شديد الريح) وفي بعضها :« في يومٍ عاصف » .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٧) .

(٤) أي : لم يدخر (كما هو مفسر في بعض الروايات) .

(٥) أي : فما تداركه غيرها .

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ قال : « إن عبدًا أصاب ذنبًا - وربما قال : أذنب ذنبًا - فقال : ربِّ أذنبتُ ذنبًا - وربما قال : أصبت - فاغفر فقال ربُّه : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذنب ويأخذ به[2]؟ غفرت لعبدي . ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا - فقال : رب أذنبتُ - أو أصبتُ - آخر فاغفره فقال : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذَّنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا - وربما قال : أصاب ذنبًا - فقال : رب أصبت - أو أذنبت - آخر فاغفره لي فقال : أعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي - ثلاثًا - فليعمل ما شاء »[3] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٠٧) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٨) .

(٢) يأخذ به أي : يُعاقب به .

(٣) قلت : وليس هذا فيمن يجاهر ربَّه بالمعاصي ويقول سيغفر لي ، بل هذا في حق التائب الوَجِل الخائف من ربه عزَّ وجل ، والله أعلم .

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

تقلُّب – في السماء – فلنولينك – ترضاها – فولِّ وجهك – شطر – حيثما كنتم

ج :

الكلمــة	معناهــا
تقلُّب	تحوُّل
في السماء	نحو السماء – اتجاه السماء
فلنولينك	فلنصرفنك – فلنوجِّهنك
ترضاها	تحبها – تهواها[1]

(١) أخرج الطبري (٢٢٣١) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ [البقرة : ١٤٤] فكان نبي الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس يهوى ويشتهي القبلة نحو البيت فوجَّهه الله جل ثناؤه لقبلة كان يهواها ويحبها .

الكلمـــة	معناهـــا
فولِّ وجهك شطر حيثما كنتم	اتجه بوجهك – اصرف بصرك وحوِّله . ناحية[1] – تلقاء أينما كنتم

* * *

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٤٦) أنه قال : (شطره) ناحيته ، جانبه قال : وجوانبه (شُطوره) .

قلت : والشطر يطلق على النصف ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « الطهور شطر الإيمان » لكنه ليس المراد هنا .

قال القرطبي رحمه الله : ويكون من الأضداد يُقال : شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه ، وشطر عن كذا إذا أُبعد منه وأعرض عنه ، فأمَّا الشاطر من الرجال فلأنه قد أخذ في نحوٍ غير الاستواء، ، وهو الذي أعيى أهله خُبثًا .

س : ماذا يُراد بـ ﴿ قد ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن قد هنا تفيد التحقيق ، وبعضهم يرى أنها بمعنى : ربما لكنها هنا للتكثير ، وبعض النحاة يقول : إن (قد) تدخل على المضارع فتجعله بمعنى الماضي كقوله تعالى : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ [النور : ٦٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ [الحجر : ٩٧] ، وكقوله تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ [الأحزاب : ١٨] ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا كان رسول الله ﷺ يرجو تحويل القبلة ؟ ولماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء ؟

ج : التمس بعض العلماء لرغبة رسول الله ﷺ في التحول إلى الكعبة أسبابًا منها :

- مخالفة أهل الكتاب[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٢٢٣٥) إلى ابن زيد قال : قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] قال : فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتًا من بيوت الله – لبيت المقدس – لو أنا استقبلناه فاستقبله النبي ﷺ ستة عشر شهرًا فبلغه أن يهود تقول ، والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ، فكره ذلك النبي ﷺ ورفع وجهه إلى السماء فقال الله جل ثناؤه : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] . =

● ومنها كون الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام .

● أمَّا لماذا كان يوجِّه بصره إلى السماء فلأن رسول الله ﷺ كان يرغب في نزول الوحي بالتحويل من بيت المقدس إلى الكعبة ، وقال بعض العلماء : إن تقليبه وجهه - عليه السلام - بمعنى الدعاء ، والله أعلم .

***

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلُّب وجهك في السماء ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري[1] في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا

= قلت : وهذا صحيح إلى ابن زيد ، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ولم يدرك رسول الله ﷺ قطعًا ، ونحن ما أتينا بهذا الخبر من ناحية أنه مسند إلى رسول الله ﷺ أو من ناحية أنه سبب نزول ولكن أتيت به من ناحية أنه تفسيرٌ لابن زيد للآية الكريمة ، وهذا وجه قد يتداخل على بعض إخواننا فيرى أن الأثر مرسلًا أو معضلًا فيُضرب عنه الذكر صفحًا قولًا واحدًا، ولكن الأمر في هذا المقام - نراه والله أعلم - على غير ما ظن أخونا إنما الأمر حاصله أن ابن زيد رحمه الله تعالى مفسرٌ فسر الآية بما أفاده به ظاهرها وبما تراءى له من معانيها ، كما يُفسر الطبريُّ آيةً مثلًا ، وكما يفسر القرطبي أو ابن كثير أو غيرهما آية مثلًا وينسب شيئًا في تأويله لها إلى زمن رسول الله ﷺ ، فهذا قد يقبل منه في بعض الأحيان إذا كان ظاهر الآية الكريمة يفيده أو عموم سنة رسول الله ﷺ يؤيده مع عدم القطع بصحة نسبة ما ذكره إلى رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٨٦) .

أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى – أو صلاها – صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَلَ البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قِبَل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة ؟

ج : لا يشرع رفع البصر إلى السماء في الصلاة ؛ والنصوص الواردة في المنع تدل على التحريم ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال(١) : قال رسول الله ﷺ : « لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم » .

● وأخرج مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم »(٢) .

❋ ❋ ❋

س : إلى أين ينظر المصلي في صلاته ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن المصلي ينظر إلى الأمام لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٨) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٤٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

ولأن النبي ﷺ كان يصلي صلاةً ثم قال :« عرضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم في الخير والشر ... » الحديث[1] قالوا : فدل ذلك على أن النبي ﷺ كان ينظر إلى الأمام في الصلاة .

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى النظر إلى موضع السجود؛ لورود بعض الآثار في ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالوجه في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : بعض أهل العلم يقولون : المراد بوجهك هنا : عينيك .

وبعض أهل العلم يقولون : إنما قال الله عز وجل : ﴿ وجهك ﴾ ولم يقل عينيك أو بصرك لزيادة اهتمامه ، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي القبلة المرادة في قوله تعالى : ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [البقرة : ١٤٤] ؟

ج : هذه القبلة هي المسجد الحرام لقوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، وتقدم في حديث البراء أيضًا ما يفيد ذلك ، وفيه أن الرجل قال : ... أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قبل البيت .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٤٠) ، ومسلم (حديث ٢٣٥٩ ص١٨٣٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

س : هل المراد من قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] استقبال عين الكعبة أم المراد المواجهة فقط ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم في هذا الباب إلى الآتي :

أولًا : إذا كان المصلي يرى الكعبة ففرض عليه استقبال عين الكعبة .

ثانيًا : إذا كان المصلي لا يرى الكعبة ، فالذي عليه الأكثرون أن الغرض والمطلوب هو المواجهة ، والله تعالى أعلم .

ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الباب :

● قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندي ما قال الله جل ثناؤه : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] فالمولي وجهه شطر المسجد الحرام هو المصيب للقبلة ، وإنما على من توجِّه إليه النيةُ بقلبه أنه إليه متوجِّه كما أن على من ائتم بإمام فإنما عليه الائتمام به ، وإن لم يكن محاذيًا بدنُه بدنَه وإن كان في طَرف الصف والإمام في طرف آخر عن يمينه أو عن يساره بعد أن يكون من خلفه مؤتمًا به مصليًا إلى الوجه الذي يُصلِّي إليه الإمام فكذلك حكم القبلة وإن لم يكن يحاذيها كل مصلٍّ ومتوجه إليها ببدنه غير أنه متوجِّه إليه فإن كان عن يمينها أو عن يسارها مقابلها فهو مستقبلها بَعُدَ ما بينه وبينها أو قَرُب من عن يمينها أو عن يسارها بعد أن يكون غير مستدبرها ولا منحرف عنها ببدنه ووجهه .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة في كل أفق ، وأجمعوا على أن من شاهدها وعاينها فُرِض عليه استقبالها ، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كلِّ ما صلى ذكره أبو عمر ، وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها ، فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك

مما يمكن أن يُستدل به على ناحيتها .

● وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : وقد اختلف العلماء هل فَرْضُ الغائب عن الكعبة استقبال العين ، أو استقبال الجهة ؟ فمنهم من قال : فرضه استقبال العين ، وهذا ضعيف لأنه تكليف لما لا يصلُ إليه ، ومنهم من قال الجهة ، وهو الصحيح لثلاثة أمور :

أحدها : أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف .

الثاني : أنه المأمور به في القرآن إذ قال : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] فلا يلتفت إلى غير ذلك .

الثالث : أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يُعلم قطعًا أنه أضعاف عرض البيت : ويجب أن يعوَّل على ما تقدم ، فإن الصف الطويل إذا بَعُد عن البيت أو طال وعرض أضعافًا مضاعفة لكان ممكنًا أن يقابل جميع البيت .

● أما الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فنقل عن بعض أهل العلم قولهم : إن الغرض إصابة عين الكعبة ، قال : والقول الآخر وعليه الأكثرون أن المراد المواجهة .

● وقال القاسمي رحمه الله تعالى (محاسن التأويل) : والتعبير عن الكعبة بالمسجد الحرام إشارة إلى أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ، والله أعلم .

* * *

س : هل يجوز في وقت من الأوقات الصلاة إلى غير القبلة ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] أمر تعالى باستقبال الكعبة من جميع

جهات الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا ولا يستثنى من هذا شيء سوى النافلة في حال السفر فإنه يصليها حيث توجَّه قالبه وقلبه نحو الكعبة ، وكذا في حال المسايفة في القتال يصلي على كل حال ، وكذا من جهل جهة القبلة يصلي باجتهاده وإن كان مخطئًا في نفس الأمر لأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها .

✵ ✵ ✵

س : كيف علم اليهود والنصارى أن التوجه إلى الكعبة حق ؟

ج : قد يكون ذلك في كتبهم وجحدوه عن علم .

لكنهم يقينًا يعلمون من كتبهم أن محمدًا نبي الله حقًّا ، وأنه لا يقول إلا صدقًا ولا يفعل إلا ما أُمر به فما قاله وفعله حق ، فلما تحوَّل النبي ﷺ إلى الكعبة وهم يعلمون إجمالًا أن أفعاله حق ، كانوا يعلمون إذن أن تحوُّلَه حق .

● ويعلمون أيضًا من دينهم جواز النسخ وإن كانوا يُكابرون في ذلك ، والله أعلم .

✵ ✵ ✵

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ إنه الحق من ربهم ﴾ [البقرة : ١٤٤] يرجع إلى ماذا ؟

ج : رأى كثير من أهل العلم أنه يرجع إلى التوجه والتحول إلى المسجد الحرام ، فأهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام هو الحق الذي فرض الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عباده من بعده .

● وقيل : إنه يرجع إلى القرآن ، فالقرآن بما فيه من أمر المسلمين بالتحول إلى المسجد الحرام يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم .

• وقيل : يرجع إلى محمد ﷺ ، فأهل الكتاب يعلمون أن محمدًا ﷺ نبي الله حقًّا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الآيات لا تنفع إلا من هداه الله اذكر عددًا من الأدلة يؤيد هذا المعنى ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

• قول الله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

• وقـول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥] .

• وقوله تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٩٧] .

• وقوله تعالى : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قومٍ لا يؤمنون ﴾ [يونس : ١٠١] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالآية في قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : المراد – والله أعلم – المعجزة أو العلامة الدالة على صدق حديثك .

❋ ❋ ❋

س : ما هي قبلة أهل الكتاب المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : قبلة اليهود هي الصخرة الموجودة ببيت المقدس ، وقبلة النصارى هي المشرق .

قال ابن القيم رحمه الله : (بدائع الفوائد)[١] : قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله بل بمشورة واجتهاد منهم ، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال المشرق ، وهم يُقرون بأن قبلة المسيح قبلة بني إسرائيل وهي الصخرة ، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة ، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا ، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك الأمر ، وأما اليهود فليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتة ، وإنما كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث خرجوا ، فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا عليه ، فلما رفع صلوا إلى موضعه وهو الصخرة .

❋ ❋ ❋

س : ماذا يُفيد قوله تعالى : ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : يفيد أمورًا منها :

١ – بيان شدة اتباع رسول الله ﷺ لأمر الله عز وجل .

٢ – يقطع أطماع اليهود والنصارى في رجوع رسول الله ﷺ إلى قبلتهم .

٣ – فيه إشارة إلى أن الأمر بالاتجاه إلى الكعبة لن ينسخ ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ونقلته للسرعة من فتح البيان .

س : ما المراد بالعلم في قوله تعالى : ﴿ من بعد ما جاءك من العلم .. ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أن المراد بالعلم هنا : العلم بأن ما أنت عليه في أمر القبلة حق ، وأن أهل الكتاب كَذَبَةٌ مفترون في هذا الباب .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : ويعني بقوله : ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾ [البقرة : ١٤٥] من بعد ما وصل إليك من العلم بإعلامي إياك أنهم مقيمون على باطل وعلى عناد منهم للحق ومعرفة منهم أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة التي فرضت على أبيك إبراهيم عليه السلام وسائر ولده من بعده من الرسل التوجُّه نحوها ﴿ إنك إذا لمن الظالمين ﴾ [البقرة :١٤٥] يعني : إنك إذا فعلت ذلك من عبادي الظلمة أنفسهم المخالفين أمري والتاركين طاعتي وأحدُهم وفي عدادهم . والله أعلم .

***

س : ما فائدة إخبار الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ... ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟ وضح أيضًا معنى هذه الآية ؟

ج : فائدة ذلك ، والله أعلم إراحة قلب النبي ﷺ وإبعاد الشغل والفكر في هؤلاء عنه أي : لا تشتغل بهم ولا تفكر فيهم .

أما معنى الآية الكريمة فقال الطبري رحمه الله :

وإنما يعني جل ثناؤه بذلك : أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يا محمد لا تُشعر نفسك رضا هؤلاء اليهود والنصارى فإنه أمر لا سبيل إليه لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم من أجل أنك إن

اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود ، فدع ما لا سبيل إليه وادعهم إلى ما لهم السبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة ، وقبلتك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من أهل الكتاب من آمن واتبع قبلة رسول الله ﷺ ، فكيف توجِّه قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] ؟

ج : توجيهه أن يقال : إن المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ [البقرة : ١٤٥] أنهم الذين كُتب عليهم عند الله سبحانه وتعالى أنهم سيموتون على الكفر .

وقد قدمنا نظيره في أوائل سورة البقرة ، وبالله التوفيق .

❋ ❋ ❋

س : أفادت الآية الكريمة : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ... ﴾ [البقرة : ١٤٥] أن توجه الوعيد للعلماء أشد من غيرهم ، وضح ذلك ، واذكر أدلة أخرى في هذا الباب ؟

ج : إيضاحه من قول الله تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

أما الأدلة على ذلك فكثيرة ، منها :

● قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ... ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

● وحديث رسول الله ﷺ الذي فيه : « يؤتى بالرجل فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه .. » الحديث ، وفيه أنه يقول : « كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه »(١) .

وحديث أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة(٢) ، ومنهم عالم تعلَّم العلم ليقال : هو عالم .

---

(١) أخرج البخاري (حديث رقم ٣٢٦٧) ، ومسلم (حديث ٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت . ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت . ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالمٌ . وقرأْت القرآن ليقال : هو قارىء . فقد قيل . ثم أُمر به فسُحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال كله . فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال : هو جواد . فقد قيل . ثمَّ أمر به فسحب على وجهه . ثم أُلقي في النار .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ
فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ
فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات ؟

الممترين – وجهة – موليها – استبقوا الخيرات .

ج :

الكلمة	معناها
الممترين	الشاكِّين(1)
وجهة	قبلة – ناحية
مُوليها	مُول وجهه إليها ومستقبلها
استبقوا الخيرات	بادروا إلى الطاعات وسارعوا إلى الأعمال الصالحة .

❋ ❋ ❋

(1) أي : الشاكِّين في أن القبلة التي وجهتك إليها هي القبلة الحق ، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٢٢٧٣) : ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ [آل عمران : ٦٠] قال : من الشاكين قال : لا تشكن في ذلك .

س : من هم الذين آتاهم الله الكتاب المعنيون بقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : أنهم أحبار اليهود وعلماء النصارى ، والعلم عند الله .

❋ ❋ ❋

س : الضمير في قوله تعالى : ﴿ يعرفونه ﴾ [البقرة : ١٤٦] يرجع إلى من ؟

ج : **قال فريق من أهل العلم : إنه يرجع إلى النبي ﷺ ،** والمعنى : أن الذين آتاهم الله الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم وفي هذا يقول الله سبحانه : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقال سبحانه : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من ربهم ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .. ﴾ [الفتح : ٢٩] .

● **وقال فريق آخر من العلماء : إنه يرجع إلى البيت (أو القبلة)** والمعنى : أن الأحبار من اليهود والعلماء من النصارى يعلمون أن البيت الحرام هو قبلتهم وقبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبله[1] .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٢٥٩) قال : قوله : ﴿ الذين آتيناهم =

س : ما المراد في قوله تعالى : ﴿ ليكتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالحق هو صفة محمد ﷺ(١) .

وقال آخرون : إن المراد بالحق الحق في أمر القبلة(٢) .

وقال غيرهم : المراد أنهم يكتمون الحق بصفة عامة ، فقد كتموا الحق في شأن محمد ﷺ وكتموا الحق في أمر القبلة ، وكتموا الحق في حكم الزاني ، إلى غير ذلك من أنواع الحق الذي كتموه .

❋ ❋ ❋

س : هل كان النبي ﷺ شاكًّا في أمر القبلة حتى قيل له : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ ؟

= الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] يقول : يعرفون أن البيت الحرام هو القبلة .

● وأخرج الطبري أيضًا (٢٢٦٤) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة : ١٤٦] قال : اليهود يعرفون أنها هي القبلة مكة .

(١) أخرج الطبري (٢٢٦٩) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] فكتموا محمدًا ﷺ .

(٢) قال الطبري رحمه الله : قوله : ﴿ ليكتمون الحق ﴾ [البقرة : ١٤٦] وذلك الحق هو القبلة التي وجه الله عز وجل إليها نبيه محمدًا ﷺ ، يقول فول وجهك شطر المسجد الحرام التي كانت الأنبياء من قبل محمد ﷺ يتوجهون إليها فكتمها اليهود والنصارى ، فوجه بعضهم شرقًا ، وبعضهم بيت المقدس ورفضوا ما أمرهم الله به وكتموا مع ذلك أمر محمد ﷺ وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل فأطلع الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ وأمته على خيانتهم الله تبارك وتعالى وخيانتهم عباده وكتمانهم ذلك ، وأخبر أنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علمٍ منهم بأن الحق غيره ، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافه فقال : ﴿ ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] أن ليس لهم كتمانه فيتعمدون معصية الله تبارك وتعالى .

ج : لم يكن النبي ﷺ شاكًّا في أمر القبلة ، ولكن المخاطب هو رسول الله ﷺ والمراد أمته ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله : فإن قال لنا قائل : أو كان النبي ﷺ شاكًّا في أن الحق من ربه أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره حتى نهي عن الشك في ذلك ، فقيل له : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ [البقرة : ١٤٧] ؟

قيل : ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به ، والمراد به غيره ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ [الأحزاب : ١] ثم قال : ﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢] فخرج الكلام مخرج الأمر للنبي ﷺ والنهي له ، والمراد به أصحابه المؤمنون به ، وقد بينا نظير ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

***

س : التنوين في قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ ... ﴾ [البقرة : ١٤٨] يشير إلى محذوف فما هو هذا المحذوف ؟

ج : هذا المحذوف هو (أهل ملة أو أهل دين) فمعنى قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : لكل أهل دين ولكل أهل ملة قبلة يتجهون إليها ، فلليهودي قبلة يتجه إليها وللنصراني قبلة يتجه إليها[1] وقبلتكم أنتم أيها المؤمنون هي القبلة الحق ، والله أعلم .

● وقال بعض العلماء : إن المعنى : ولكلٍّ وجهةٍ من الوجهات التي

---

(١) وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (٢٢٧٧) أنه قال : لليهود قبلة وللنصارى قبلة ، ولكم قبلة – يريد المسلمين .

وجهك إليها ربك الله عز وجل موليها عبادة ، وقال بعضهم : ولكل قبلة من القبلتين اللتين توجهت إليهما وجهة ، والأول عليه الأكثر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من المعني بـ (هو) في قوله تعالى : ﴿ هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يرجع إلى صاحب الملة أو الدين ، والمعنى : ولكل صاحب دينٍ أو ملة قبلة هو متجه إليها .

والثاني : أنه يرجع إلى الله تعالى ، والمعنى : ولكلٍّ وجهةٌ الله عز وجل موليه إياها .

والثالث : أنه يرجع إلى البيت (أي : الكعبة) والمراد أن كل قوم أُمروا أن يتجهوا إلى الكعبة وهذا ضعيف ؛ لأن النبي صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا على ما تقدم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : عقب قوله تعالى : ﴿ هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] محذوف (على رأي بعض أهل العلم) ما هو هذا المحذوف ؟

ج : هذا المحذوف هو (وجهة) فالمعنى ولكلٍّ وجهة هو موليها وجهة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿ ولكلٍّ وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : من الآيات في معناها قوله تعالى : ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكًا هم ناسكوه ﴾ [الحج : ٦٧] ، وقوله تعالى : ﴿ قل كلٌّ يعمل على شاكلته ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

❋ ❋ ❋

س : على المسلم إذا اتضح له الحق أن يبادر إليه ويحرص عليه ويسرع في الامتثال له والتمسك به ، دلل على ذلك من الآية الكريمة ؟

ج : بيان ذلك أن الله عز وجل لما بين للمؤمنين الصواب من أمر القبلة وأكد لهم على أنها القبلة الحق حثهم على المسارعة إلى الاتباع بقوله : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : بادروا وسارعوا إلى فعل الطاعات ، كما قال الطبري رحمه الله : وإنما يعني بقوله : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : قد بينت لكم أيها المؤمنون الحق وهديتكم للقبلة التي ضلت عنها اليهود والنصارى وسائر أهل الملل غيركم فبادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم وتزودوا في دنياكم لآخرتكم فإني قد بينت لكم سبل النجاة فلا عذر لكم في التفريط وحافظوا على قبلتكم فلا تضيعوها كما ضيعتها الأمم قبلكم فتضلوا كما ضلت .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في معنى قوله تعالى : ﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا ﴾ [البقرة : ١٤٨] ؟

ج : أخرج البخاري[1] ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٥٠٨) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٧) .

عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر رجلًا فيمن سلف - أو فيمن كان قبلكم - قال كلمة - يعني أعطاه : الله مالًا وولدًا - فلما حضرت الوفاة قال لبنيه : أي أبٍ كنت لكم ؟ قالوا : خير أبٍ قال : فإنه لم يبتئر - أو لم يبتئز - عند الله خيرًا وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني ، أو قال : فاسحكوني - فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها فقال نبي الله ﷺ : « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربِّي ، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل : كن فإذا هو رجل قائم قال الله : أي عبدي ما حملكِ على أن فعلت ما فعلت ؟ قال : مخافتك أو فَرَقٌ منك » قال : « فما تلافاه أن رحمه عندها ».

● ونحوه في الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر ، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه به أحدًا قال : ففعلوا ذلك به فقال للأرض : أدِّي ما أخذت فإذا هو قائم فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك يا رب - أو قال : مخافتك - فغفر له بذلك[1] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٨١) ، ومسلم (حديث ٢٧٥٦ ص٢١١٠) .

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

س : ما معنى : ومن حيث خرجت - حيثما ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
ومن حيث خرجت	من أي مكان خرجت إلى أي مكان توجهت ، والمعنى أيضًا : في أي مكان كنت
حيثمـا	أينمـا

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : أن التوجه شطر المسجد الحرام هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك في أنه من عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى :** وأما قوله : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] فإنه يقول : فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم ، ولا بغافلٍ عنها ولكنه محصيها لكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة .

• **وقال الرازي رحمه الله :** أما قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] يعني ما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] وبأنه قد اشتاق إلى مولده ودين آبائه فإن الله عالم بهذا فأنزل ما أبطله وكشف عن وهنه وضعفه .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : المراد بالناس في هذا الموطن – على رأي جمهور أهل العلم – أهل الكتاب ، وقد أخرج الطبري بإسناد حسن(١) عن قتادة قوله : ﴿ لئلا يكون

---

(١) الطبري (٢٢٩٢) .

للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني : بذلك أهل الكتاب قالوا حين صرف نبي الله ﷺ إلى الكعبة البيت الحرام : اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه .

قلت : ومن الممكن أن يدخل فيها المشركون كذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

***

س : أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى المسجد الحرام حتى لا يكون للناس حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه ، فما هي الحجة التي أُريد دفعها في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة .. ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : هذه الحجة هي مجادلة أهل الكتاب ومجادلة المشركين في شأن القبلة ، أما أهل الكتاب فوجه جدالهم يتمثل في قولهم : إن كنت يا محمد تزعم أننا على باطل فلماذا تتجه إلى قبلتنا في صلاتك(١) ، أليس اتجاهك إلى قبلتنا في صلاتك يؤكد أننا على الحق وأن قبلتنا هي الصواب ؟! فوجه الله نبيه

---

(١) قال الطبري رحمه الله : فإن قال قائل : فأية حجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس ، على رسول الله ﷺ وأصحابه ؟

قيل : قد ذكرنا فيما مضى ما روي في ذلك قيل : إنهم كانوا يقولون : ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ، وقولهم : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا ، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله ﷺ وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين .

وقد بينا فيما مضى أن معنى حجاج القوم إياه الذي ذكره الله تعالى في كتابه إنما هي الخصومات والجدال ، فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم وحسمه بتحويل قبلة نبيه ﷺ والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم عليه السلام ، وذلك وهو معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني بـ (الناس) : الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت .

ﷺ إلى الاتجاه إلى البيت الحرام لقطع هذه الحجة .

وتتمثل مجادلة أهل الكتاب أيضًا في أنهم يجدون في كتبهم أن هذا النبي ﷺ سيكون من أمره أن يصلي إلى الكعبة ، فلما لم يتجه رسول الله في صلاته إلى الكعبة يبقى في نفوسهم شك في صفته وصفة أفعاله فقطعًا لهذا الاحتجاج أمر الله نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام ، أما مجادلة أهل الشرك فتتمثل في قولهم : إن كنت يا محمد تزعم أنك أولى الناس بإبراهيم لكونك من ولده عليه السلام فلماذا تنحرف عن قبلته وتتجه إلى بيت المقدس ، فقطع الله عز وجل حجة المشركين هذه بأن أمر نبيه ﷺ بالاتجاه إلى البيت الحرام ، لكن بقي لطوائف من الذين ظلموا نوع احتجاج سيرد في محله قريبًا إن شاء الله .

* * *

س : من المراد بالذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ مشركو قريش أو مشركو العرب بصفة عامة .

● فقد صح عن مجاهد[١] من وجوه أنه قال : هم مشركو قريش : (وفي رواية : مشركو العرب) .

● وروى الطبري ذلك بإسناد حسن[٢] عن قتادة أيضًا قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] والذين ظلموا مشركو قريش .

والذي يظهر أن المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] أعم من

---

(١) الطبري (٢٢٩٧) ، (٢٢٩٩) .

(٢) الطبري (٢٢٩٨) .

كونهم مشركي قريش ، فاليهود أيضًا كان لهم بعض الجدل بعد تحويل القبلة فقالوا : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] كما تقدم ، والله أعلم .

***

س : قطع الله حجة أهل الكتاب لما أمر الله نبيه ﷺ بالتوجه إلى الكعبة ، أما حجة المشركين فهل بقي منها شيء لم يقطع ؟ وما هو هذا الشيء في حالة كونه ما زال موجودًا ؟

ج : لأهل العلم في هذه المسألة قولان : فمنهم من قال : إن الحجج كلها قطعت لكن بقي الذين ظلموا ليس لهم حجة ولكنهم يجادلون بالباطل .

ومنهم من قال : إن الذين ظلموا : (وهم مشركو قريش) بقيت لهم حجة (إن استجيز أن يطلق على الباطل وعلى الشبهات حجة)(١) وهي متعلقهم بتوجه رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقالوا : ها هو قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا(٢) ، فمن ثم قال تعالى للمؤمنين : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] فيما يلقون من شبهٍ على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

***

س : إذا أمر الله عز وجل الناس بأمرٍ ووجههم وجهةً فإن هذا الأمر

---

(١) كما قال تعالى : ﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ [الشورى : ١٦] .

(٢) أخرج الطبري (٢٣٠٣) بإسناد حسن إلى قتادة قال : قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، والذين ظلموا مشركو قريش يقول : إنهم سيحتجون عليكم بذلك ، فكانت حجتهم على نبي الله ﷺ – انصرافه إلى البيت الحرام – أنهم قالوا : سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك كله .

في حد ذاته حجة فكيف يكون للمشركين - بعد أمر الله عز وجل للمؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام - حجة على أهل الإيمان ؟

ج : هذا السؤال طرح نحوه ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى فقال :

فإن قال قائل : وأية حجة كانت لمشركي قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه في توجههم في صلاتهم إلى الكعبة ، وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه حجة ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمتَ وذهبتَ إليه ، وإنما (الحجة) في هذا الموضع الخصومة والجدال ، ومعنى الكلام : لئلا يكون لأحدٍ من الناس عليكم خصومة ودعوى باطل غير مشركي قريش فإن لهم عليكم دعوى باطلًا وخصومة بغير حق بقيلهم لكم : (رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا) فذلك من قولهم وأمانيهم الباطلة هي (الحجة) التي كانت لقريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره : ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] من قريش من سائر الناس غيرهم إذ نفى أن يكون لأحدٍ منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة . ثم ذكر رحمه الله جملة آثار ثم قال : فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله : ﴿ إلَّا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، عن صحة ما قلنا في تأويله ، وأنه استثناءٌ على معنى الاستثناء المعروف ، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيًّا عما قبله . كما [هو] قول القائل : (ما سار من الناس أحدٌ إلا أخوك) ، إثبات للأخ من السير ما هو منفيٌّ عن كل أحد من الناس . فكذلك قوله : ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ﴾ ، نفي عن أن يكون لأحد خصومةٌ وجدلٌ قِبَل رسول الله ﷺ ودعوى باطل ، عليه وعلى أصحابه ، بسبب توجههم في صلاتهم قِبَل الكعبة - إلَّا الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قِبَلهم

خصومةً ودعوى باطلًا بأن يقولوا : إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا لأنا كنا أهدى منكم سبيلًا وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل .

وإذا كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل ، فبينٌ خطأُ قول من زعم أن معنى قوله : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] : ولا الذين ظلموا منهم ، وأن « إلا » بمعنى « الواو » . لأن ذلك لو كان معناه ، لكان النفي الأول عن جميع الناس – أن يكون لهم حجة على رسول الله ﷺ وأصحابه في تحولهم نحو الكعبة بوجوههم – مبينًا عن المعنى المراد ، ولم يكن في ذكر قوله بعد ذلك : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ إلا التلبيس الذي يتعالى عن أن يضاف إليه أو يوصف به .

هذا مع خروج معنى الكلام – إذا وجهت « إلا » إلى معنى « الواو » ، ومعنى العطف – من كلام العرب . وذلك أنه غير موجودة « إلا » في شيء من كلامها بمعنى « الواو » ، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها . كقول القائل : (سار القوم إلا عمرًا إلا أخاك) ، بمعنى : إلا عمرًا وأخاك ، فتكون (إلَّا) حينئذ مؤدية عما تؤدي عنه « الواو » ، لتعلق « إلا » الثانية بـ « إلا » الأولى . ويجمع فيها أيضًا بين « إلا » و « الواو » فيقال : « سار القوم إلَّا عمرًا وإلَّا أخاك » ، فتحذف إحداهما ، فتنوب الأخرى عنها ، فيقال : « سار القوم إلا عمرًا وأخاك – أو إلَّا عمرًا إلَّا أخاك » ، لما وصفنا قبل .

وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لمدَّعٍ من الناس أن يدَّعي أن « إلَّا » في هذا الموضع بمعنى « الواو » التي تأتي بمعنى العطف .

وواضحٌ فساد قول من زعم أن معنى ذلك : إلا الذين ظلموا منهم ، فإنهم لا حجة لهم ، فلا تخشوهم . كقول القائل في الكلام : « الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم [لك] المعتدي عليك » ، فإن ذلك لا يعتد بعدوانه ولا بتركه الحمد ، لموضع العداوة . وكذلك الظالم لا حجة له ، وقد سمي

ظالمًا لإجماع أهل التأويل على تخطئة ما ادعى من التأويل في ذلك . وكفى شاهدًا على خطإ مقالته إجماعهم على تخطئتها .

وظاهر بُطُول قول من زعم أن : ﴿ الذين ظلموا ﴾ ههنا ، ناسٌ من العرب كانوا يهودًا ونصارى ، فكانوا يحتجون على النبي ﷺ ، فأما سائر العرب ، فلم تكن لهم حجة ، وكانت حجة من يحتج منكسرة . لأنك تقول لمن تريد أن تكسر عليه حجته : (إن لك عليَّ حجة ولكنها منكسرة ، وإنك لتحتج بلا حجة ، وحجتك ضعيفة) . ووجه معنى ﴿ إلَّا الذين ظلموا منهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] إلى معنى : إلا الذين ظلموا منهم ، من أهل الكتاب ، فإن لهم عليكم حجة واهية أو حجة ضعيفة .

ووَهْيُ قول من قال : « إلا » في هذا الموضع بمعنى « لكن » .

وضعف قول من زعم أنه ابتداء بمعنى : إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم .

لأن تأويل أهل التأويل جاء في ذلك بأن ذلك من الله عز وجل خبرٌ عن الذين ظلموا منهم : أنهم يحتجون على النبي ﷺ وأصحابه بما قد ذكرنا ، ولم يقصد في ذلك إلى الخبر عن صفة حجتهم بالضعف ولا بالقوة – وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة – وإنما قصد فيه الإثبات للذين ظلموا ، ما قد نفى عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة .

* * *

س : ما هو الشيء المتوقع أن يخشى من : ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٥٠] في قوله تعالى : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : هو جدل الذين ظلموا ومحاجتهم بالباطل في قولهم : إن محمدًا رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا .

وقال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ﴾

في حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون في أن محمدًا ﷺ قد رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا – أو أن يقدروا لكم على ضر في دينكم أو صدكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق ، ولكن اخشوني فخافوا عقابي في خلافكم أمري إن خالفتموه .

وذلك من الله جل ثناؤه تقدمٌ إلى عباده المؤمنين بالحض على لزوم قبلتهم والصلاة إليها وبالنهي عن التوجه إلى غيره ، يقول جل ثناؤه واخشوني أيها المؤمنين في ترك طاعتي فيما أمرتكم به من الصلاة شطر المسجد الحرام .

***

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : ومن حيث خرجت من البلاد والأرض ، وإلى أي بقعةٍ شَخِصْتَ فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث كنتْ يا محمد والمؤمنون فولوا وجوهكم في صلاتكم شطره ، واتخذوه قبلة لكم كيلا يكون لأحدٍ من الناس – سوى مشركي قريش – حجة ، ولأتم بذلك – من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم عليه السلام الذي جعلته إمامًا للناس – نعمتي فأكمل لكم به فضلي عليكم وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيت بها نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم ، وذلك هو نعمته التي أخبر جل ثناؤه أنه متمها على رسوله ﷺ والمؤمنين به من أصحابه .

وقوله : ﴿ ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٠] يعني : وكي ترشدوا للصواب من القبلة ، و ﴿ لعلكم ﴾ عطف على قوله : ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ ، ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ عطف على قوله ﴿ لئلا يكون ﴾ [البقرة : ١٥٠] . والله تعالى أعلم .

س : ما هو تمام النعمة المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج :. تمام النعمة هنا بالأمر بالتوجه إلى قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهي الكعبة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما فائدة تكرار قوله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٥٠] ثلاث مرات :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

والثانية : في قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ... ﴾ [البقرة : ١٤٩] .

والثالثة : في قوله تعالى : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .. ﴾ [البقرة : ١٥٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال نورد منها ما يلي :

● **القول الأول** : أن هذا للتأكيد لأن الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه للمسجد الأقصى هو أول ناسخ في الإسلام فمن ثمَّ أُكِّد عليه بالتكرير ثلاث مرات ، وليحسم هذا التأكيد طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين إلى قبلتهم .

● **القول الثاني** : أن الأمر الأول لمن هم في مكة ، والثاني لمن هم في بقية الأمصار ، والثالث لمن خرج في الأسفار(١).

---

(١) ويستثنى منه على ما تقدم المسافر الذي يصلي النافلة على الراحلة ، فله أن يصلي على الراحلة حيثما توجهت به .

والقول الثالث [1] : أن ذلك ذُكر لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق ، فقال أولًا : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [البقرة : ١٤٤] إلى قوله : ﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافلٍ عما يعملون ﴾ [البقرة :.١٤٤] ، فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وقال في الأمر الثاني : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافلٍ عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، فذكر أنه الحق من الله ، وارتقاءه المقام الأول حيث كان موافقًا لرضا رسول الله ﷺ فبين أنه الحق أيضًا من الله يحبه ويرتضيه ، وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم عليه السلام إلى الكعبة ، وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صُرِفَ الرسول ﷺ عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم عليه السلام التي هي أشرف ، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول ﷺ إليها ، وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار ، هذا وقد قال الرازي رحمه الله : (١٢٤/٤) :

اعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وماالله بغافلٍ عما يعملون ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، وذكر ههنا ثانيًا قوله تعالى :

﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة : ١٤٩] ثم ذكر ثالثًا قوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ [البقرة : ١٥٠] فهل في هذا التكرار فائدة أم لا ؟ وللعلماء فيه أقوال : **أحدها** : أن الأحوال ثلاثة : أولها : أن يكون الإنسان في المسجد الحرام .وثانيها : أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد . وثالثها : أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض ، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى ، والثانية على الثانية ، والثالثة على الثالثة ، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للبعد ، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات .

والجواب الثاني : أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل مرة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حق ، لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل ، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق ، وشهادة الله بكونه حقًّا مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقًّا ، وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة ، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] .

والجواب الثالث : أنه تعالى قال في الآية الأولى : ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٤٤] فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلبًا لرضا محمد ﷺ لأنه قال : ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ [البقرة : ١٤٤]

فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] أي : نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك ، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا مَحِيدَ عنه ، فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل ، ثم إنه تعالى قال ثالثًا : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات ، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سببًا للطعن في دينكم ، والحاصل : أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة ، والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة ، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة ، وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخًا البتة .

والجواب الرابع : أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، والثاني مقرون بقوله تعالى : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي : لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله أنها حق ، وذلك هو قوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك ﴾ [البقرة : ١٤٩] ، والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة ، فكانت هذه عللًا ثلاثًا قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة ، نظيره أن يقال : الزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها ، ثم يقال : الزم هذه القبلة فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى ، وهو قوله : ﴿ وإنه للحق من ربك ﴾ ثم يقال : الزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك ، وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما

تكذبان ﴾ [الرحمن : ٣٠] ، وكذلك ما كرر في قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ [الشعراء : ١٢١] .

والجواب الخامس : أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا ؛ فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات .

* * *

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

س : ما معنى يزكيكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
يزكيكم	يطهركم من رذائل الأخلاق ، ومن الشرك وسائر الأدناس وأفعال الجاهلية ، وقد تقدم معناها كذلك

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ... ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولًا منكم ، ويحتمل المعنى أيضًا : كما أتممت عليكم نعمتي فكذلك أرسلت فيكم رسولًا منكم .

● أو بتعبير آخر : أي : كما أنعمت عليكم بإجابة دعوة خليلي إبراهيم لكم إذ دعا فقال : ﴿ ربنا واجعلنا مُسْلِمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، وقال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم .. ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فأرسلت فيكم رسولًا منكم ، فكما أرسلت فيكم رسولًا منكم فكذلك أتممت عليكم هدايتي بأن وجهتكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام .

● وهناك قول آخر ، حاصله : أن المعنى كما أني أرسلت فيكم رسولًا منكم مشهورًا بالصدق ، فاذكروني بالتوحيد والتصديق به اذكركم .

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا ﴾ ، ولأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية ، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام ، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألنيها فقال : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٨] ، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها ، ومسألته التي سألنيها فقال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فابتعثت منكم رسولي الذي سألني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل ، أن أبعثه

من ذريتهما .

فـ﴿ كما ﴾- إذ كان ذلك معنى الكلام - صلة لقول الله عز وجل : « ولأتم نعمتي عليكم » [البقرة : ١٥٠] . ولا يكون قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ﴾ [البقرة : ١٥١] ، متعلقًا بقوله : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقد قال قوم : إن معنى ذلك : فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم أذكركم . وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير ، فأغرقوا النزع ، وبعدوا من الإصابة ، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف ، وسوى وجهه المفهوم .

وذلك أن الجاري من الكلام على ألسن العرب ، المفهوم في خطابهم بينهم - إذا قال بعضهم لبعض : (كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن) -أن لا يشترطوا للآخر ، لأن (الكاف) في (كما) شرط ، معناه : افعل كما فعلت . ففي مجيء جواب ﴿ اذكروني ﴾ بعده ، وهو قوله : ﴿ أذكركم ﴾ ، أوضح دليل على أن قوله : ﴿ كما أرسلنا ﴾ من صلة الفعل الذي قبله ، وأن قوله : ﴿ اذكروني أذكركم ﴾ خبر مبتدإ منقطع عن الأول ، وأنه من سبب قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ بمعزل .

وقد زعم بعض النحويين أن قوله : ﴿ فاذكروني ﴾ -إذا جعل قوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ جوابًا له ، مع قوله : ﴿ أذكركم ﴾ - نظير الجزاء الذي يجاب بجوابين ، كقول القائل : « إذا أتاك فلان فأته ترضه » ، فيصير قوله : « فأته » و « ترضه » جوابين لقوله : « إذا أتاك » ، وكقوله : « إن تأتني أحسن إليك أكرمك » .

وهذا القول وإن كان مذهبًا من المذاهب ، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب . والذي هو أولى بكتاب الله عز وجل أن يوجه إليه من اللغات ، الأفصح الأعرف من كلام العرب ، دون الأنكر الأجهل من

منطقها . هذا ، مع بعد وجهه من المفهوم في التأويل .

● **وقال الزمخشري رحمه الله**[1] : ﴿ كما أرسلنا ﴾ [البقرة : ١٥١] إما أن يتعلق بما قبله أي : ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول ، أو بما بعده أي : كما ذكرتكم بإرسال الرسول ﴿ فاذكروني ﴾ بالطاعة ﴿ أذكركم ﴾ بالثواب .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله :** يقول تعالى : إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتتامة ليس ذلك ببدع من إحساننا ولا بأوله ، بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها ، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكماله ونصحه .

❋ ❋ ❋

س : من المخاطبون بقوله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ... ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟ ومن هو هذا الرسول ؟

ج : المخاطبون بذلك هم العرب ، وهذا الرسول هو محمد ﷺ .

● **قال الطبري رحمه الله :** وقوله : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم ﴾ [البقرة : ١٥١] فإنه يعني بذلك العرب ، قال لهم جل ثناؤه : الزموا أيها العرب طاعتي وتوجهوا إلى القبلة التي أمرتكم بالتوجه إليها لتقطع حجة اليهود عنكم فلا تكون لهم عليكم حجة ، ولأتم نعمتي عليكم وتهتدوا كما ابتدأتكم بنعمتي فأرسلت فيكم رسولًا منكم ، وذلك الرسول الذي أرسله إليه منهم محمد ﷺ .

❋ ❋ ❋

(١) والزمخشري معروف بالاعتزال فَلْيُتَّقَ منه ما كان في هذا الباب .

س : في قوله تعالى : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] وجه إعجاز وضحه ؟

ج : إيضاحه أن هذا النبي ﷺ رغم كونه أميًّا فإنه علم العرب ما لم يكونوا يعلمون .

❋ ❋ ❋

س : وضِّح شيئًا مما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى في معناها :

وأما قوله : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] ، فإنه يعني : ويعلمكم من أخبار الأنبياء وقصص الأمم الخالية ، والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التي لم تكن العرب تعلمها ، فعلموها من رسول الله ﷺ . فأخبرهم جل ثناؤه أن ذلك كله إنما يدركونه برسوله ﷺ .

● وقال الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره : وقوله عز وجل : ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١] هذه صفة زائدة على الصفات السابقة وفيها إشارة إلى معجزة كبرى من معجزات رسول الله ﷺ حيث علم أمته ﷺ أصدق أخبار الأمم الماضية وعرفهم ما كان من الحوادث السابقة وما يكون من الحوادث اللاحقة ، ووضع لهم أحسن الأنظمة التي أرشده الله إليها ، الصالحة لكل زمان ومكان وجيل وقبيل ، والتي لم تعرفها الإنسانية في تاريخها الطويل ، مما يعترف بفضله الأصدقاء والأعداء حتى بدأت أوروبا في وقت نهضتها الحديثة تأخذ ببعض التعاليم الإسلامية التي ما كانت تعرفها ، وقد رأت أن شريعة الإسلام أوفى من سائر الأنظمة بها حتى شملت الشفعة وغيرها ، ونحن نعلم علم اليقين أن

رسول الله ﷺ علمنا كل شيء نحتاجه في معاشنا أو معادنا حيث علمنا ﷺ ماذا نقول إذا استيقظنا من نومنا وماذا نقول عند منامنا ، وماذا نفعل أو نقول عند دخول منازلنا أو تناول طعامنا أو شرابنا وسائر حاجاتنا ، وماذا نقول عند ركوب مراكبنا أو في سفرنا أو حضرنا ، حتى قال بعض المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه : لقد علمكم نبيكم كل شيء ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قيل له : قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة فقال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم . وفي لفظ لمسلم عن سلمان رضي الله عنه قال : قال لنا المشركون : إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة فقال : أجل ، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه ، أو يستقبل القبلة ، ونهى عن الروث والعظام وقال : « لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار » اهـ . وقد صار أصحاب رسول الله ﷺ أئمة الدنيا في العلم ، وورثوا ذلك للدنيا حتى كان عظماء أوروبا يفتخر أحدهم بالذهاب إلى الأندلس ليشهد بعض حلقات العلم على علمائها ، وبعد أن كان العرب أشد الناس جهلًا وأبعدهم ضلالة صاروا أعمق الناس علمًا وأبرهم قلوبًا وأقلهم تكلفًا وأصدقهم لهجة .

***

س : ما هو المراد بذكر العباد لربهم وذكر ربهم لهم في قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بذكر العباد لربهم في هذا الموطن طاعتهم لله عز وجل ، والمراد بذكر الله لهم رحمته إياهم ومغفرته لهم ، والذي

يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن المراد بالذكر هنا أعم من ذلك، فيدخل فيه الذكر باللسان أيضًا، فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: « أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم ... »[1].

● هذا وقد أورد الرازي رحمه الله تعالى أوجهًا للعلماء في هذا الموطن، فقال رحمه الله: ثم للناس في هذه الآية عبارات: **الأولى**: اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي. **الثانية**: اذكروني بالإجابة والإحسان، وهو بمنزلة قوله ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو قول أبي مسلم قال: أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين وراجين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء، فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة. **الثالثة**: اذكروني بالثناء والطاعة أذكركم بالثناء والنعمة. **الرابعة**: اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة. **الخامسة**: اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات. **السادسة**: اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء. **السابعة**: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي. **الثامنة**: اذكروني بمجاهدتي أذكركم بهدايتي. **التاسعة**: اذكروني بالصدق والإخلاص أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص. **العاشرة**: اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة.

❋ ❋ ❋

س: ما المراد بالشكر في قوله تعالى: ﴿ واشكروا لي ولا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/٣٨٤)، ومسلم (مع النووي ١٧/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى: .... » فذكر الحديث.

تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟ وكذلك ما المراد بالكفر هنا ؟ ثم ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] ؟

ج : أما المراد بالشكر فهو صرف النعمة في طاعة الله عز وجل وحمد الله عز وجل عليها ، والكفر هنا - الذي يظهر أن - المراد به جحد النعمة وصرفها في معصية الله عز وجل ؛ وذلك لاقترانه بالشكر في قوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ﴾ .

● **أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾** [البقرة : ١٥٢] فيقول الطبري رحمه الله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

يعني تعالى ذكره بذلك : اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام ، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفيائي ، ﴿ ولا تكفرون ﴾ ، يقول : ولا تجحدوا إحساني إليكم ، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم ، ولكن اشكروا لي عليها ، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم ، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي ، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته ، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته .

والعرب تقول : (نصحت لك ، وشكرت لك) ، ولا تكاد تقول : (نصحتك) ، وربما قالت : (شكرتك ونصحتك) ، من ذلك قول الشاعر :

هُمُ جَمَعُوا بُؤْسَى ونُعمَى عليكُمُ   فهلا شكرتَ القومَ إذ لم تُقاتِلِ

وقال النابغة في (نصحتك) :

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي

وقد دللنا على أن معنى (الشكر) : الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة ، وأن معنى « الكفر » : تغطية الشيء ، فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .

٭٭٭

س : مزيد النعم يستلزم مزيدًا من الشكر دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● لما اصطفى الله عز وجل مريم عليها السلام اصطفاءين وطهرها تطهيرًا أمرها بالقنوت والسجود والركوع مع الراكعين كما قال سبحانه : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ [آل عمران : ٤٢ ، ٤٣] .

● ولما أنعم الله على نبينا محمد ﷺ بالرسالة قال له : ﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلًا * نصفه أو انقص منه قليلًا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا ﴾ [المزمل : ١ - ٤]، وكان عليه السلام يقوم من الليل حتى تَرِمَ قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

● ولما منَّ الله سبحانه على موسى بتكليمه واصطفائه على الناس بالرسالة والتكليم قال له : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● ولما منَّ الله على يحيى عليه السلام بالنبوة قال له : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم : ١٢] .

● ولما أنعم الله عز وجل على نساء نبيه ﷺ بالزواج من رسول الله ﷺ قال لهن : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن

بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ [الأحزاب : ٣٢] وقبلها قال تعالى : ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠ ، ٣١] .

● ولما أنعم الله عز وجل على نبيه وبشره بالكوثر كلفه بالصلاة والنحر ، فقال تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ١ ، ٢] .

● وأنعم الله على نبيه بالغنى بعد الفقر والهدى بعد الضلال وإيوائه وهو يتيم ، ثم كلفه بأن لا يقهر اليتيم ولا ينهر السائل وأن يحدث بنعمة رَبِّه عليه ، كما هو وارد في سورة الضحى : ﴿ ألم يجدك يتيمًا فآوى * ووجدك ضالًّا فهدى * ووجدك عائلًا فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدِّث ﴾ [الضحى : ٦ - ١١] .

● ومنَّ الله عز وجل على ساكني قريش بالأمن فكلفهم بعبادته فقال : ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ [قريش : ١ - ٤] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا (الله) ؟

ج : لا يشرع الذكر بلفظ الجلالة مفردًا ، إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أنواع الذكر وثمرتها ؟

ج : قال ابن جزي الكلبي رحمه الله في تفسيره :

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعني التوحيد الخاص ، فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال ، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهي الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لا محالة ، وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله ، وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة .

وقال ابن القيم[1] رحمه الله : كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرًا منه لله ، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرًا منه له ، وثناؤه عليه بآلائه ، وتمجيده وتسبيحه ذكرًا منه له ، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكرًا منه له ، وسكوته وصمته ذكرًا منه له بقلبه فكان ذكر الله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله ، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه دائمًا وقاعدًا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته .

---

(١) زاد المعاد (٣٦٥/٢) فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الذكر .

س : بم يتوصل الشخص إلى نعمة الله عليه ؟

ج : يتوصل إلى ذلك بأمور منها :

● **دعاء الله عز وجل بذلك** كما قال النبي ﷺ لمعاذ : « لا تدعن دبر كل صلاةٍ أن تقول : رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ».

● **ويتوصل بالإكثار من الصلوات والسجود** ، فقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تَرِم قدماه ويقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

● وقال في سجدة (ص) : « سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا » .

● **ويتوصل أيضًا بالرضا بقضاء الله عز وجل** ، قال الله عز وجل لموسى : ﴿ فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● **حمد الله وشكره والعمل بطاعته بعد حلول النعم** ، كما قال الله سبحانه لقوم سبإٍ : ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ : ١٥] .

* * *

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣
وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ
١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧

س : ما معنى هذه الكلمات : استعينوا – ولنبلونكم – صلوات من ربهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
استعينوا	اطلبوا العون
ولنبلونكم	ولنختبرنكم
صلوات من ربهم	قيل : المراد مغفرة من ربهم ، وقيل : المراد الثناء والمدح ، وقيل : إعلاء المنزلة .

❋ ❋ ❋

س : على ماذا يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : يستعان بالصبر والصلاة في هذا الموطن على ما تقدم هذه الآية وما تأخر عنها ، فتكون الاستعانة على طاعة الله سبحانه وتعالى وإمتثال أوامره واتباع ناسخ أحكامه والصبر على منسوخها .

وتكون الاستعانة بالصبر والصلاة كذلك على ما يصيبكم من قتلٍ وجراح عند جهادكم أعداء الله ، والصبر على أقدار الله عز وجل في ذلك ، والاستعانة على ما تصابون به من خوف وجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى** : وهذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته ، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] على القيام بطاعتي ، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي ، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي ، وأنقلكم إليه من أحكامي ، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه ، والتحول عنه بعد تحويلي إياكم عنه – وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل ، أو مشقةٌ على أبدانكم في قيامكم به ، أو نقصٌ في أموالكم – وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي ، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومشقته عليكم ، واحتمال عنائه وثقله ، ثم بالفزع منكم فيما ينوبكم من مفظعات الأمور إلى الصلاة لي . فإنكم بالصبر على المكاره تدركون مرضاتي ، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قِبَلي ، وتدركون حاجاتكم عندي ، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيَّ ، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم ، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلي .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الاستعانة بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : قيل : إن المراد الاستعانة بثوابها ، وقيل : المراد الاستعانة بذكر الله عز وجل فيها ، وقيل : الاستعانة بما يتلى فيها من قرآن ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كثيرًا ما يقرن الله سبحانه وتعالى بين الصبر والصلاة في موطن واحد ، اذكر بعض المواطن التي ورد فيها ذكر الصبر مقرونًا بالصلاة ؟

ج : من هذه المواضع قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [هود : ١١٤ ، ١١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ [ق : ٣٩ ، ٤٠] .

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية) : وأعظم عون لولي الأمر خاصةً ، ولغيره عامةً ثلاثة أمور : أحدها : الإخلاص لله ، والتوكل عليه بالدعاء وغيره . وأصل ذلك المحافظة على الصلاة بالقلب والبدن . والثاني : الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة . والثالث : الصبر على الأذى من الخلق وغيره من النوائب . ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرًا ، كقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [هود : ١١٤ ، ١١٥] ، وقوله : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ [طه : ١٣٠] ، وأما قرانه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جدًّا . فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية . إذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة ، يدخل في الصلاة من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، وفي الزكاة الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع : من نصر المظلوم وإعانة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج . وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الشر والبطر . انتهى ، نقله القاسمي.

* * *

س : ما هو نوع المعية في قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] ؟

ج : المعية هنا معية نصر وتأييد .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] فإن تأويله : فإن الله ناصره وظهيره وراضٍ بفعله ، كقول القائل : (افعل يا فلان كذا وأنا معك ، يعني : إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه .

وقال القاسمي رحمه الله : (محاسن التأويل ص ٣١٧ ..) .

﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] قال الإمام ابن تيمية (في شرح حديث النزول) : لفظ المعية في كتاب الله جاء عامًّا كما في قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [الحديد : ٤] وفي قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلَّا هو رابعهم ﴾ إلى قوله : ﴿ إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ [المجادلة : ٧] وجاء خاصًّا كما في قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] وقوله : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه : ٤٦] ، وقوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، فلو كان المراد بذاته مع

كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص . فإنه قد علم أن قوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة : ٤٠] أراد به تخصيص نفسه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل : ١٢٨] خصهم بذلك دون الظالمين والفجار . وأيضًا ، فلفظ المعية ليست في لغة العرب ولا في شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى . كما في قوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ [الفتح : ٢٩] وقوله : ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ [النساء : ١٤٦] ، وقوله : ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة : ١١٩] ، وقوله : ﴿ وجاهدوا معكم ﴾ [الأنفال : ٧٥] ومثل هذا كثير . فامتنع أن يكون قوله : ﴿ وهو معكم ﴾ [الحديد : ٤] يدل على أن تكون ذاته مختلطة بذوات الخلق . وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر ، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة ، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه . ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه . فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان . ويخص بعضهم بالإعانة والنصرة والتأييد . انتهى مختصرًا .

***

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : سيأتي ذلك إن شاء الله بتفصيل في سورة آل عمران عند قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

وقد قال **الطبري** رحمه الله عند تأويل قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ [البقرة : ١٥٤] :

يعني تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على طاعتي في جهاد عدوكم ، وترك معاصيَّ ، وأداء سائر فرائضي عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله : هو ميت ، فإن الميت من خلقي من سلبته حياته وأعدمته حواسه ، فلا يلتذ لذة ولا يدرك نعيمًا ، فإن من قتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي ، أحياء عندي ، في حياة ونعيم ، وعيش هَنِيٍّ ، ورزق سَنِيٍّ ، فرحين بما آتيتهم من فضلي ، وحبوتهم به من كرامتي .

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال [1] :

قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، كنا نحدث : أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض يأكلن من ثمار الجنة ، وأن مساكنهم سدرة المنتهى ، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال من الخير : من قتل في سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقًا ، ومن غَلَبَ آتاه الله أجرًا عظيمًا ، ومن مات رزقه الله رزقًا حسنًا .

❋ ❋ ❋

س : عند قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل ﴾ [البقرة : ١٥٤] يرد سؤال ، وهو أن من قتل لا يجيب من خاطبه من الأحياء فكيف يوجه قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولا تقولوا عمن قتل في سبيل الله أنهم أموات .

❋ ❋ ❋

(١) الطبري (٢٣١٩) ، والأثر كما هو واضح ليس مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ .

س : علم من سنة رسول الله ﷺ (من جملة أحاديث) أن الأموات في قبورهم يشمون رائحة الجنة وتفتح لهم أبوابها ويأتيهم من طيبها ونعيمها ويستعجلون قيام الساعة ، فما هو الذي اختص الله الشهداء من خصوصية في قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله في تفسيره نحو هذا السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال لنا قائل : وما في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره ؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى الجنة يشمون منها رَوحها ، ويستعجلون الله قيام الساعة ، ليصيروا إلى مساكنهم منها ، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها ، وعن الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى النار ينظرون إليها ، ويصيبهم من نتنها ومكروهها ، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها ، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة ، حذارًا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها ، مع أشباه ذلك من الأخبار . وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله ﷺ ، فما الذي خص به القتيل في سبيل الله ، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة ، وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك ، وأما المؤمنون فمنعمون بالرَوح والريحان ونسيم الجنان ؟

قيل : إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره ، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في

برزخهم قبل بعثهم ، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر ، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطْعِمْهَا الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه . فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم ، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠] ، وبمثل الذي قلنا جاء الخبر عن رسول الله ﷺ .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء – وقال عبدة : في روضة خضراء – يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا » .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقي ، عن ابن بشار السلمي – أو : أبي بشار ، شك أبو جعفر – قال : أرواح الشهداء في قباب بيض من قباب الجنة ، في كل قبة زوجتان ، رزقهم في كل يوم طلعت فيه الشمس ثورٌ وحوت . فأما الثور ففيه طعم كل ثمرةٍ في الجنة ، وأما الحوت ففيه طعم كل شراب في الجنة .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإن الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكره أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التي خصهم بها في البرزخ ، غير موجود في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، وإنما فيه الخبر عن حالهم ، أمواتٌ هم أم أحياءٌ .

قيل : إن المقصود بذكر الخبر عن حياتهم ، إنما هو الخبر عما هم فيه من النعمة ، ولكنه تعالى ذكره لما كان أنبأ عباده عما خص به الشهداء في

قوله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، وعلموا حالهم بخبره ذلك - ثم كان المراد من الله تعالى ذكره في قوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، نُهي خلقه عن أن يقولوا للشهداء : إنهم موتى - ترك إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم .

وأما قوله : ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، فإنه يعني به : ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياءٌ ، وإنما تعلمون ذلك بخبري إياكم به .

❋ ❋ ❋

س : الله عز وجل يبتلي عباده بأنواع من الابتلاءات في هذه الحياة الدنيا ولا بد من هذه الابتلاءات ، اذكر عدة أدلة تؤكد هذا المعنى ؟ وبين بعض صور هذه الابتلاءات ؟

ج : من الأدلة على أن البلاء يلحق العباد في الدنيا ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ [محمد : ٣١] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾(١) [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى : وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله ﷺ أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكما امتحن أصفياءه قبلهم ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مَثَل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤]

● وقوله تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

● وقال تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا لَيَصرِمُنَّهَا مصبحين ﴾ [القلم : ١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ١ ، ٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ [التوبة : ١٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

● وقوله تعالى في شأن خزنة جهنم : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ... ﴾ [المدثر : ٣١] .

● وقال سليمان عليه السلام (لما رأى عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده) : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [النمل : ٤٠] .

● أما صور هذه الابتلاءات فمنها :

● ابتلاءات بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات .

● ابتلاءات بالأمراض والأسقام .

● ابتلاءات بلقاء الجبابرة والظالمين .

● ابتلاءات بالناسخ والمنسوخ من الأحكام .

● ابتلاءات بالغنى والفقر[1] .

---

(١) وانظر في هذا كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

س : اذكر بعض فوائد المحن والابتلاءات ؟

ج : أورد القاسمي رحمه الله تعالى (في محاسن التأويل) نقلًا عن العز ابن عبد السلام بحثًا سريعًا في ذلك فقال :

وللإمام عز الدين محمد بن عبد السلام ، رحمه الله تعالى ، كلام على فوائد المحن والرزايا يحسن إيراده هنا . قال عليه الرحمة : للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس .

أحدها : معرفة عز الربوبية وقهرها .

والثاني : معرفة ذلة العبودية وكسرها .وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ الذين إذا أصابتهم مضيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره وقضائه وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه .

والثالثة : الإخلاص لله تعالى إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه . ولا معتمد في كشفها إلا عليه ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ﴾ [الأنعام : ١٧] ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

الرابعة : الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبًا إليه ﴾ [الزمر : ٨] .

الخامسة : التضرع والدعاء ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا ﴾ [يونس : ١٢] ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٦٧] . ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ [الأنعام : ٤١] . ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ [الأنعام : ٦٣] .

السادسة : الحلم ممن صدرت عنه المصيبة ﴿ إن إبراهيم لأواهٌ

حليمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ﴿ إنا نبشرك بغلام حليم ﴾ [الحجر : ٥٣] . « إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى : الحلم والأناة »[١] . وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها ، فالحلم عند أعظم المصائب أفضل من كل حلم .

السابعة : العفو عن جانيها ﴿ والعافين عن الناس ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ [الشورى : ٤٠] والعفو عن أعظمها أفضل من كل عفو .

الثامنة : الصبر عليها . وهو موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] « وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر »[٢] .

التاسعة : الفرح بها لأجل فوائدها . قال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ! إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء ».وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : حبذا المكروهان الموت والفقر . وإنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها ، كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها ، مع تجرعه لمرارتها .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١٧) ص ٤٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للأشج – أشج عبد القيس – : « إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٦٩) ، ومسلم (حديث ١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال : « ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يُعفُّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر » .

العاشرة : الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها . كما يشكر المريض الطبيب القاطع لأطرافه ، المانع من شهواته ، لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء .

الحادية عشرة : تمحيصها للذنوب والخطايا ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] ولا يصيب المؤمن وَصَبٌ ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها إلا كُفِّرَ به من سيئاته .

الثانية عشرة : رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم . فالناس معافى ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء واشكروا الله تعالى على العافية . وإنما يرحم العشاق من عشق .

الثالثة عشرة : معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها . فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها .

الرابعة عشرة : ما أعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها .

الخامسة عشرة : ما في طيها من الفوائد الخفية ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا ﴾ [النساء : ١٩] . ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شرًّا لكم بل هو خيرٌ لكم ﴾ [النور : ١١] .

ولما أخذ الجبار سارة من إبراهيم كان في طي تلك البلية أن أخدمها هاجر . فولدت إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فكان من ذرية إسماعيل خاتم النبيين . فأعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية ، وقد قيل :

كم نعمة مطوية   لك بين أثناء المصائب

وقال آخر :

رُبَّ مبغـــوض كريـــــه فيـــــه لله لطائـــــــف

السادسة عشرة : أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر ، فإن نمرود ، لو كان فقيرًا سقيمًا ، فاقد السمع والبصر ، لما حاج إبراهيم في ربه ، لكن حمله بطر المُلْك على ذلك . وقد علل الله سبحانه وتعالى محاجته بإتيانه الملك ، ولو ابتلي فرعون بمثل ذلك لما قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٣٤] . ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله مِنْ فضله ﴾ [التوبة : ٧٤] ﴿ إن الإنسان ليطغى * أن رءاه استغنى ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] . ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ [الشورى : ٢٧] ﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه ﴾ [هود : ١١٦] ﴿ لأسقيناهم ماء غدقًا * لنفتنهم فيه ﴾ [الجن : ١٦ ، ١٧] . ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذيرٍ إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ [سبأ : ٣٤] .

والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع الأنبياء . ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاء الأنبياء . ثم الأمثل فالأمثل . نُسِبُوا إلى الجنون والسحر والكهانة واستهزىء بهم وسخر منهم ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ [الأنعام : ٣٤] . وقيل لنا : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦] كالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم

وتغربوا عن أوطانهم . وكثر عناهم . واشتد بلاهم وتكاثر أعداؤهم . فغُلبوا في بعض المواطن ، وقتل منهم بأحد وبئر معونة من قتل . وشج وجه رسول الله ﷺ . وكسرت رباعيته . وهشمت البيضة على رأسه . وقتل أعزاؤه ومثل بهم . فشمتت أعداؤه واغتم أولياؤه .وابتلوا يوم الخندق . وزلزلوا زلزالًا شديدًا . وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر . وكانوا في خوف دائم وعري لازم . وفقر مدقع . حتى شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع . ولم يشبع سيد الأولين والآخرين من خبز بر في يوم مرتين . وأوذي بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه . ثم ابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطليحة والعنسي . ولقي هو وأصحابه في جيش العسرة ما لقوه ، ومات ودرعه عند يهودي على آصُعٍ من شعير . ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتعهدون بالبلاء الوقت بالوقت (يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان صلبًا في دينه شدد في بلائه . ولقد كان أحدهم يوضع المنشار على مفرقه فلا يصده ذلك عن دينه) . وقال عليه الصلاة والسلام :

« مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح ، تصرعها مرة وتعدلها مرة حتى تهيج » فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله عز وجل . وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ [يونس : ١٢] فلأجل ذلك تقللوا في المآكل والمشارب والمناكح والمجالس والمراكب وغير ذلك . ليكونوا على حالةٍ توجب لهم الرجوع إلى الله تعالى عز وجل والإقبال عليه .

السابعة عشرة : الرضا الموجب لرضوان الله تعالى . فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ، ومن

رضيها فله الرضا . والرضا أفضل من الجنة وما فيها . لقوله تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ [التوبة : ٧٢] أي : من جنات عدن ومساكنها الطيبة .

فهذه نبذة مما حضرنا من فوائد البلوى ، ونحن نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، فلسنا من رجال البلوى .

وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى وعافانا من المحن والرزايا بمنه وكرمه . آمين.

* * *

س : اذكر بعض فوائد الصبر ؟

ج : ذكر قدرًا من ذلك ابن جزي في كتابه التسهيل فقال :

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعًا ، وذلك لعظمة موقعه في الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : **أولها : المحبة** ، قال : ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] **والثاني : النصر** قال : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣] و **الثالث : غرفات الجنة** ، قال : ﴿ يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ [الفرقان : ٧٥] و **الرابع : الأجر الجزيل** قال : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] **والأربعة الأخرى** المذكورة في هذه الآية ، ففيها **البشارة** ، قال : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] و **الصلاة والرحمة والهداية** ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

قلت : ويضاف إلى ما سبق :

- تسليم **الملائكة** عليهم كما قال تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون

عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] .

● **الجزاء بأحسن العمل** كما قال تعالى : ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٦] .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث في فضل من مات له ولد فصبر واحتسب ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

١ - ما أخرجه البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاءً إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » .

٢ - ما أخرجه الإمام أحمد[٢] بإسناد حسن عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « يقال للولدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يارب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال : فيأتون قال : فيقول الله عز وجل : ما لي أراهم محبنطئين[٣] ادخلوا الجنة قال : فيقولون : يارب آباؤنا وأمهاتنا قال : فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم ».

٣ - وأخرجه ابن ماجة[٤] بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله سبحانه : ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرضَ ثوابًا دون الجنة ».

---

(١) حديث (٦٤٢٤) .

(٢) أحمد في المسند (٤/١٠٥) .

(٣) أي : ممتنعين .

(٤) حديث (١٥٩٧) .

٤ - وأخرج مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت : يا نبي الله ادع الله له فلقد دفنت ثلاثة قال : « دفنت ثلاثة ؟!! » قالت : نعم ، قال : « لقد احتظرت بحظار شديدٍ من النار » .

٥ - وأخرج البخاري[٢] ، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلّا تحلة القسم ».

٦ - وأخرج البخاري[٣] من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من الناس من مسلمٍ يتوفى له ثلاثٌ لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » .

٧ - وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، قال : « اجتمعن يوم كذا وكذا » فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال : « ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا من النار »، فقالت امرأة : واثنين واثنين واثنين فقال رسول الله ﷺ : « واثنين واثنين واثنين » .

٨ - وأخرج مسلم[٥] بإسناده إلى أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٣٦) .

(٢) البخاري (حديث ١٢٥١) ، ومسلم (حديث ٢٦٣٢) .

(٣) البخاري حديث (١٢٤٨) .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ١٢٤٩) ، ومسلم (٢٦٣٣) ، واللفظ لمسلم .

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٣٥) .

قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال : بيده ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى – أو قال : فلا ينتهي – حتى يدخله الله وأباه الجنة ».

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥] سؤالان : أولهما : ما معنى التبشير ؟ الثاني : صابرون على ماذا ؟

ج : أصل التبشير إخبار الرجلِ الرجلَ الخبر يسُرُّه أو يسوؤه لأول مرة والمراد بالتبشير هنا (الإخبار بما يسر) .

أما الصابرون فهم الصابرون على ما بلوتهم به من أنواع البلاء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مقول الصابرين عند حلول المصيبة بهم ؟

ج : مقولهم هو ما ذكره الله عز وجل في كتابه : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] . وما سنَّه لهم نبيهم محمد ﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها »، قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ قالت : أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب

ابن أبي بلتعة يخطبني له فقلت له : إن لي بنتًا وأنا غيور ، فقال : « أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها ، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة »(١) .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قول الصابرين : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : إننا مماليك لله سبحانه وتعالى وعبيدٌ له يتصرف فينا كيف يشاء ويقبض منا إليه من شاء ويؤخر من يشاء ويبتلي من يشاء وينعم على من يشاء ، ثم إننا بعد موتنا صائرون إليه جميعًا يقضي فينا بما يشاء .

وقول الصابرين هذا صادر منهم على سبيل الاعتراف والإذعان والتسليم لقضاء الله سبحانه والرضا بأحكامه ،

وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :** يعني تعالى ذكره : وبشر ، يا محمد ، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني ، فيقرون

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/٢٢٠) ، وفي رواية لمسلم من حديث أم سلمة أيضًا قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على ما تقولون » قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات ، قال : فقولي : « اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبة حسنة » قالت : فقلت ، فأعقبني الله من هو خيرٌ لي منه محمد ﷺ .

● هذا وقد أخرج الطبري (أثر ٢٣٣١) بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال : ما أعطي أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب عليه السلام ألم تسمع إلى قوله : ﴿ يا أسفى على يوسف ﴾ [يوسف : ٨٤] .

بعبوديتي ، ويوحدوني بالربوبية ، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي ، فيستسلمون لقضائي ، ويرجون ثوابي ، ويخافون عقابي ، ويقولون - عند امتحاني إياهم ببعض محني ، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها - : إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياءً ، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون - تسليمًا لقضائي ورضًا بأحكامي .

● **وقال ابن الجوزي رحمه الله** (زاد المسير ص١٦٢) : ﴿ قالوا إنا لله ﴾ يريدون نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ يريدون نحن مقرون بالبعث والجزاء على أعمالنا والثواب على صبرنا .

***

س : ما المراد بالنقص من الأنفس ، وما المراد بنقص الثمرات ؟

ج : المراد - والله أعلم - بنقص الأنفس : موت الأصحاب والأقارب والأحباب ، والمراد بنقص الثمرات : أن الحدائق والمزارع والبساتين لا تنبت كعادتها ، أو المراد : تأخر نزول المطر ، أو المراد : إصابة الثمرات بآفة ، ونحو ذلك ، والله تعالى أعلم .

***

س : ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة : ١٥٧]: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة : ١٥٦ ، ١٥٧] فما معنى هذا الأثر ؟ ومن أخرجه ؟ وما مدى صحته ؟

ج : العدلان هما : (الصلوات من ربهم والرحمة) وهما بمنزلة الحملين

(الثُّقْلين) يوضع كل واحد منهما في ناحية من الجمل ، والعلاوة وهي ما يوضع على السنام ، والمعنى : أن الصلوات من الرب تعادل قولهم : ﴿ إنا لله ﴾ والرحمة تعادل قولهم : ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦] فأعطوا ما يعادل قولهم ثم زيدوا بعلاوة وهي ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٧] .

والمعنى أنهم أعطوا ثواب أعمالهم وزيدوا أيضًا . أما الأثر فأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الجنائز (مع الفتح ٢٠٥/٣) باب الصبر عند الصدمة الأولى ، وقال عمر رضي الله عنه : نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة .... ﴾ الآية .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ١٥٨

س : اذكر معنى ما يلي :

شعائر الله – حجَّ – اعتمر – جناح – يطوَّف بهما – تطوع خيرًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
شعائر الله	الشعائر جمع شعيرة ، والشعيرة : هي العلامة ، ومنه إشعار الهدي ، أي : تعليمه بعلامة يعرف بها أنه هدي ، وشعائر الله هي المعالم التي جعلها الله لعباده يذكرونه عندها .
حجَّ	الحج لغة القصد وشرعًا القيام بأعمال مخصوصة من طواف وسعي وذهاب إلى منى وعرفات ومزدلفة ورمي جمار والحلق إلى غير ذلك .
اعتمر	اعتمر معناها : زار ، والمراد شرعًا القيام بالطواف والسعي والحلق أو التقصير .
جناح	إثـم .
يطوَّف بهما	يسعى بينهما ذاهبًا وآيبًا .
تطوع خيرًا	فعل خيرًا .

س : ما معنى الصفا ؟ وما معنى المروة ؟ وما المراد بهما في الآية الكريمة ﴿ إن الصفا والمروة ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : أما الصفا فهي الصخرة الملساء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابلٌ فتركه صلدًا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

أما المروة ففيها أقوال منها أنها الحجارة الصغيرة ، ومنها أنها حجارة بيض براقة تكون منها النار وتُقدح منها النار ، وتتخذ أداة كالسكين يُذبح بها ، وهي صلبة .

والمراد بالصفا والمروة هنا الجبلان المعروفان بمكة اللذان يسعى بينهما الحاج أو المعتمر(١) ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من

---

(١) قلت : وقد أخرج الطبري بأسانيد صحيحة إلى داود بن أبي هند عن الشعبي أن وثنًا كان في الجاهلية على الصفا يسمى (إسافًا) ووثنا على المروة يُسمى (نائلة) ، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين ، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون : إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنين ، وليس الطواف بهما من الشعائر قال : فأنزل الله : إنها من الشعائر ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨]، وهذا إسناد مرسل كما هو واضح ، فالشعبي لم يدرك رسول الله ﷺ .

● وذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن إسافًا ونائلة كانا بشرين زنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس ، فلما طال عهدهما عُبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم … لمفضى السيول من إساف ونائل

نقله ا بن كثير رحمه الله .

قلت (مصطفى) : ومثل هذا النقل يحتاج إلى دليل صحيح ، والله أعلم .

شعائر الله ... ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق عروة قال : سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصَّفا والمروة فقالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يتطوف بهما ، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية . قالت عائشة رضي الله عنها : وقد سَنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال : إن هذا العلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالًا من أهل العلم يذكرون أن الناس - إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة ، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا : يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا والمروة ، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية . قال أبو بكر : فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت .

● وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] ولا مانع أن تكون نزلت لسببين . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحرج الذي كان يظن المسلمون أنهم سيقعوا فيه إذا سعوا بين الصفا والمروة ، ورفعه الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : يتمثل هذا الحرج في أن الناس كانوا يطوفون في الجاهلية بين الصفا والمروة لصنمين كانا عليهما ، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام ، وتركوا الأوثان والأصنام تحرجوا من الطواف بهما ، هكذا ذكر بعض أهل العلم(١) ، وقد تقدم قول الشعبي رحمه الله في ذلك .

وصح عن أنس رضي الله عنه وقد سئل أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية ؟ فقال : نعم كنا نكره الطواف بينهما ، لأنهما من شعائر الجاهلية حتى نزلت هذه الآية ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ... ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

● وصح عن ابن زيد(٢) في قوله : ﴿ فلا جُناح عليه أن يطوَّف

---

(١) وصاغه بعضهم بصياغة أخرى فقال : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] أي : لا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما ، فإذا كان المشركون يسعون بينهما ويتمسحون بالأصنام فاسعوا أنتم لله رب العالمين ولا تتركوا الطواف بينهما خشية التشبه بالمشركين .

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٤٥) بإسناد صحيح إلى ابن زيد ، وهو وإن كان صحيحًا إلى ابن زيد إلا أنه إلى رسول الله ﷺ مرسل ، بل معضل لكون ابن زيد بينه وبين =

بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] قال : كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد منهما صنمًا يعظمونها فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين فقال الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] وقرأ ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج : ٣٢] وسن رسول الله ﷺ الطواف بهما .

أما عائشة رضي الله تعالى عنها فكانت تقول : إن الآية الكريمة إنما أُنزلت ، لأن الأنصار قبل أن يسلموا كان يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوَّف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوَّف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] قالت عائشة : ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما .

● وروى الطبري رحمه الله بإسناد حسنٍ[١] إلى قتادة في قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية ، فكان حيٌّ من تهامة في الجاهلية لا يسعون بينهما فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله ، وكان من سنة إبراهيم وإسماعيل الطواف بينهما .

قلت : فحاصل الحرج – على ما ذكره أهل العلمْ – يتلخص في الآتي :

● **منهم من كان يتحرج لكون صنمين كانا عليهما (أي : على**

= رسول الله ﷺ بونٌ بعيد لكني أرى أن هذا تفسيرًا من ابن زيد رحمه الله لسياق الآية الكريمة .

(١) الطبري (أثر ٢٣٤٨) .

الصفا والمروة) .

• ومنهم من كان يتحرج لكونه أهلَّ لمناة الطاغية التي عند المشلل ، وكان من أهلَّ لها تحرج من السعي بين الصفا والمروة .

• ومنهمُ من كان يتحرج لكونه كان لا يسعى بينهما في الجاهلية أصلًا .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال : إن الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من شعائره .

فأما قوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوَّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي وبعضهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية على ما روي عن عائشة ، وأي الأمرين كان من ذلك فليس في قول الله تعالى ذكره : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية دلالة على أنه عنى به وضع الحرج عمن طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك ثم جُعل الطواف بهما رخصة لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت ثم رخص فيه بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

* * *

س : هل منع الله سبحانه وتعالى السعي بين الصفا والمروة في وقت من الأوقات ثم رخص فيه بقوله : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : لم نقف على نصٍّ يفيد هذا المنع ، وقد نقل الطبري رحمه الله تعالى

إجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظر ذلك في وقت من الأوقات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يبدأ الساعي بين الصفا والمروة ؟ هل بالصفا أم بالمروة ؟

ج : يبدأ الساعي بالصفا ، لأن النبي ﷺ لما فرغ من طوافه اتجه إلى الصفا وهو يقول : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله .. ﴾ [البقرة : ١٥٨] ثم قال : « أبدأ بما بدأ الله به »[١] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ماذا فعل رسول الله ﷺ عند صعود الصفا والمروة ؟

ج : أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه في وصف حجة رسول الله ﷺ قال : ... ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحَّد الله وكبَّره وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشي حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا[٢] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا (حديث ١٢١٨) .

س : هل يُشرع الدعاء على الصفا والمروة ؟

ج : نعم يشرع ذلك ، وقد تقدم في حديث جابر أن النبي ﷺ دعا على الصفا والمروة .

❋ ❋ ❋

س : لماذا يُسرع الناس المشي في المنطقة من المسعى التي بين العلامتين الخضراوين ؟

ج : يُسرع الناس المشي في هذه المنطقة لقول النبي ﷺ : « لا يُقْطَع الأبطح إلا شدًّا »[1] ، وأيضًا لما تقدم في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشي .... الحديث ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أصل السعي بين الصفا والمروة ؟ وما الذي ينبغي أن يستحضره الساعي بينهما ؟

ج : أصله ابتداء أمر الله عز وجل به ثم إن النبي ﷺ قد سنَّه ، وقد قال بعض أهل العلم : إن أصل ذلك مأخوذ من سعي هاجر عليها السلام بين

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠٥/٦) ، والنسائي (٢٤٢/٥) ، والبيهقي في الكبرى (٩٨/٥) من طريق بديل بن ميسرة عن المغيرة بن حكيم عن صفية بنت شيبة عن امرأة مرفوعًا ، وهذا إسناد صحيح ، فالمرأة صحابية (إذ قد أفادت أنها رأت رسول الله ﷺ) .

وقد روي الحديث (عند أحمد ٤٠٤/٦) وابن ماجة (٢٩٨٧) وغيرهم من طريق بديل بن ميسرة عن صفية بنت شيبة عن أم ولدٍ لشيبة أنها رأت رسول الله ﷺ ... فذكرت الحديث ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « لا يقطع الأبطح إلا شدًّا » ، وهذا خلاف لا يضر سواء أثبت المغيرة أو حذف ، والله أعلم .

الصفا والمروة ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم التي ماؤها (طعام طعم وشفاء سقم) فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه ، وأن يلتجىء إلى الله عز وجل لتفريج ما هو به من النقائص والعيوب ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم وأن يثبته عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام .

* * *

س : هل يشرع السعي بين الصفا والمروة تطوعًا بدون حج أو عمرة ؟

ج : لا يشرع ذلك إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] فيُفهم منه أن من لم يحج ولم يعتمر فليس له أن يطوّف بهما ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بالتطوع في قوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : ومن حج تطوعًا بعد قضاء حجته الواجبة عليه أو اعتمر تطوعًا (بعد العمرة الواجبة عليه عند من يرى بوجوب العمرة) فإن الله شاكر له على تطوعه ومثيبه على ذلك .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن الله شاكر عـليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله شاكر له صنيعه الذي صنع ومثيبه عليه ومجازيه به عليم بحاله وبقلبه هل أراد بحجه وعمرته الرياء والسمعة أم حج واعتمر ابتغاء وجه الله عز وجل ورجاء ثوابه وحطًّا لخطاياه وذنوبه .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿ فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] أي : يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدًا ثوابه و ﴿ لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] .

* * *

س : هل يُفهم من الآية الكريمة أنه يجوز لشخصٍ ما أراد الحج أو العمرة ألا يسعى بين الصفا والمروة ؟

ج : نعم هذا مفهوم من الآية الكريمة ، لكن هذا المفهوم مردود ، لأن النبي ﷺ طاف بينهما ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لتأخذوا مناسككم »[(١)] .

ولم يرد أنه عليه الصلاة والسلام رخص لأحدٍ في ترك السعي بينهما ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد فهم عروة رحمه الله نحو هذا المفهوم المذكور في السؤال وردَّته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ففي الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قال : قلت : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة: ١٥٨] ؛

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

قلت : فو الله ما على أحد جناح أن لا يتطوف بهما فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ألَّا يطوَّف بهما ، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، قالت عائشة ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما(١) .

● وأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم النبي ﷺ مكة فطاف بالبيت ثم صلى ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة ، ثم تلا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

● وقد ثبت في عدة طرق أن النبي ﷺ سعى بين الصفا والمروة ، بل تواتر ذلك الفعل ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما حكم السعي بين الصفا والمروة للحاج أو المعتمر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : قول من قال : إن السعي بين الصفا والمروة ركن ولا يتم الحج ولا تتم العمرة إلا به .

الثاني : من العلماء من قال إنه واجب على الحاج والمعتمر ، وإذا لم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٤٣) وفي غير موضع من الصحيح ومسلم (حديث ١٢٧٧) .

يتمكن منه الحاج أو المعتمر أراق مكانه دمًا .

الثالث : قول من قال إنه مستحب وليس بواجب ولا ركن .

أما دليل القول الثالث : فمن الآية الكريمة ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ومن تطوع خيرًا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة : ١٥٨] فقال أصحاب هذا القول : إن الله عز وجل ختم الآية الكريمة بقوله : ﴿ ومن تطوع خيرًا ﴾ فدل ذلك على أنه تطوع وقال في صدر الآية : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] فأفاد مفهومها أن من لم يطوَّف بهما فلا جناح عليه أيضًا .

أما دليل القول الثاني : فهو أن النبي ﷺ قد سعى بين الصفا والمروة هو وأصحابه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا عني مناسككم » ولم يرد أن النبي ﷺ رخص لأحدٍ في تركه . أما قولهم فيمن تركه أن عليه دم فلا أعلم دليلًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ يدل عليه أما دليل القول الثالث : فهو نحو من دليل القول الثاني مع قوله عليه الصلاة والسلام إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا[1] .

---

(١) هذا الحديث مما نستخير الله عز وجل في تصحيحه فالطرق المعتادة للتصحيح (باعتبار الشواهد والمتابعات) تقتضي أن يُحسن بمجموع طرقه فقد أخرجه الدارقطني (السنن ٢/٢٥٥) والبيهقي من طريقه في السنن الكبرى (٥/٩٧) من طريق معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية قالت أخبرتني نسوة من بني عبد الدار اللائي أدركن رسول الله ﷺ قلن : دخلنا دار ابن أبي حسين فاطلعنا من باب مقطع فرأينا رسول الله ﷺ يشتد في المسعى حتى إذا بلغ زقاق بني فلان موضعًا قد سماه من المسعى ، استقبل الناس وقال : « يا أيها الناس اسعوا فإن المسعى قد كتب عليكم » .

● ومعروف بن مشكان لم أقف على معتبر نصَّ على توثيقه صراحة ولا على =

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك :

أثر عائشة رضي الله عنها

● قال الطبري رحمه الله تعالى : (أثر ٢٣٥٣)

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لَعمري ما حج من لم يسع بين الصفا والمروة ، لأن الله قال : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

أثر مالك بن أنس رحمه الله

قال الطبري رحمه الله : (أثر ٢٣٥٣ مكرر)

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال مالك بن أنس : (من نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة فليرجع فَلْيَسعَ ، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدي) .

قول الإمام الشافعي رحمه الله

قال الطبري رحمه الله : وكان الشافعي يقول : على من ترك السعي بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده العود إلى مكة حتى يطوف بينهما لا يجزيه غير ذلك .

حدثنا بذلك الربيع عنه .

= من طعن فيه بما يُسقط حديثه .

لكنه قد توبع ، فالحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٣٢/٤) ، وأحمد في مسنده (٤٢١/٦) وغيرهم بأسانيد عن صفية بنت شيبة ، وإن كان في هذه الأسانيد ضعف إلا أنها ترقي الحديث للصحة .

لكن لما كان هذا الحديث من أحاديث الأحكام التي تهم عموم أمة محمد ﷺ كنا نطمع له في أسانيد جياد ، وهذا الذي لم نقف عليه ، والله تعالى أعلم .

أثر الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى

بوَّب الطبري رحمه الله في تفسيره بباب ذكر من قال : يجزي منه دم وليس عليه عودٌ لقضائه ، قال الثوري[(١)] بما حدثني به علي بن سهل عن زيد بن أبي الزرقاء عنه ، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد : إن عاد تاركُ الطوَّاف بينهما لقضائه فحسن ، وإن لم يعُد فعليه دم .

أثر عطاء رحمه الله تعالى[(٢)]

قال الطبري رحمه الله (أثر ٢٣٥٦) :

حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا ابن جريج قال : قال عطاء : لو أن حاجًّا أفاض بعدما رمى جمرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها – يعني : امرأته – لم يكن عليه شيء لا حج ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود : (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن لا يطوَّف بهما) فعاودته بعد ذلك فقلت : إنه قد ترك سنة النبي ﷺ ، قال : ألا تسمعه يقول : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] فأبى أن يجعل عليه شيئًا .

قراءة ابن عباس رضي الله عنهما للآية الكريمة .

قال الطبري رحمه الله تعالى : (أثر ٢٣٥٧) :

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله.. ﴾ [البقرة : ١٥٨] الآية (فلا جناح عليه أن لا يطوَّف بهما).

---

(١) أخرجه الطبري أثر (٢٣٥٥) .

(٢) بوَّب له الطبري بباب ذكر من قال الطواف بينهما تطوع ولا شيء على من تركه ومن كان يقرأ (فلا جناح عليه ألا يطوَّف بهما) .

اختيار الطبري رحمه الله

أورد الطبري جملة آثار ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندنا أنَّ الطواف بهما فرض واجب ، وأن على من تركه العوْد لقضائه ، ناسيًا ، كان أو عامدًا . لأنه لا يُجزيه غير ذلك ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه حج بالناس ، فكان مما علمهم من مناسك حَجهم الطوافُ بهما .

ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثني يوسف بن سلمان قال ، حدثنا حاتم بن إسماعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجه قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله ، ابدءوا بما بدأ الله بذكره » . فبدأ بالصفا فرَقِيَ عليه .

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن ، عن أبي بكر بن عياش ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » ، فأتى الصفا فبدأ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروة فقام عليها ، وطاف وَسعى .

فإذا كان صحيحًا بإجماع الجميع من الأمة – أن الطواف بهما على تعليم رسول الله ﷺ أمّته في مناسكهم ، وعمله في حَجِّه وعُمرته – وكان بيانه ﷺ لأمَّته جُمَل مَا نَصَّ الله في كتابه ، وَفرضَه في تنزيله ، وأمَرَ به مما لم يدرك علمه إلا ببيانه ، لازمًا العمل به أمته ، كما قد بينا في كتابنا « كتاب البيان عن أصول الأحكام » – إذا اختلفت الأمة في وجوبه ، ثم كان مُختلفًا في الطواف بينهما : هلْ هو واجبٌ أو غير واجب – كان بينًا وجوب فرضه على من حج أو اعتمر ، لما وصفنا .

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة – لما كان مختلفًا فيما على من تركه ، مع إجماع جميعهم على أن ذلك مما فعله

رسول الله ﷺ وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم - كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم وعمرتهم - وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تجزي منه فديةٌ ولا بدلٌ ، ولا يجزي تاركه إلَّا العود لقضائه - كان نظيرًا له الطواف بالصفا والمروة ، ولا تجزي منه فدية ولا جزاءٌ ، ولا يجزي تاركه إلا العود لقضائه ، إذ كانا كلاهما طوافين : أحدهما بالبيت ، والآخر بالصفا والمروة .

ومن فرق بين حكمهما عكس عليه القول فيه ، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما .

فإن اعتل بقراءة من قرأ : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) .

قيل : ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين ، غيرُ جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها . وسواء قرأ ذلك كذلك قارىء أو قرأ قارىء : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ [الحج : ٢٩] ، (فلا جناح عليهم أن لا يطوفوا به) فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف ، كانت الأخرى نظيرتها ، وإلا كان مجيز إحداهما - إذا منع الأخرى - متحكمًا . والتحكم لا يعجز عنه أحدٌ .

وقد رُوي إنكار هذه القراءة ، وأن يكون التنزيل بها ، عن عائشة .

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قلت لعائشة زوج النبي ﷺ ، وأنا يومئذ حديث السن : أرأيتِ قول الله عز وجل : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ ، فما نرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما ! فقالت عائشة : كلا ! لو كانت كما تقول ، كانت : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) ، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار ، كانوا يهلون لمناة - وكانت مناة حذو قديد - ،

وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة . فلما جاء الإسلام ، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل قراءة من قرأ : « فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما » ، أن تكون « لا » التي مع « أن » ، صلةً في الكلام ، إذ كان قد تقدمها جحدٌ في الكلام قبلها ، وهو قوله : ﴿ فلا جناح عليه ﴾ ، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره : ﴿ قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك ﴾ [الأعراف : ١٢] ، بمعنى ما منعك أنْ تسجد ، وكما قال الشاعر :

ما كان يرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبو بكرٍ ولا عمرُ

ولو كان رسم المصحف كذلك ، لم يكن فيه لمحتج حجة ، مع احتمال الكلام ما وصفنا . لما بينا أن ذلك مما علم رسول الله ﷺ أمته في مناسكهم ، على ما ذكرنا ، ولدلالة القياس على صحته ، فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين ، ومما لو قرأه اليوم قارىء كان مستحقًّا العقوبة ، لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه ؟

قول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حديث : (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي) ثم قال :

وقد استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج ؛ كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه ، ورواية عن أحمد ، وهو المشهور عن مالك .

وقيل : إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمدًا أو سهوًا جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة ، وقيل : بل مستحب ، وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي وابن سيرين ، وروي عن أنس وابن عمر وابن عباس

وحكي عن مالك في العتبية .

قال القرطبي : واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] والقول الأول أرجح لأنه عليه السلام طاف بينهما ، وقال : « لتأخذوا عني مناسككم » فكل ما فعله في حجته تلك واجب لا بد من فعله بالحج إلا ما خرج بدليل ، والله أعلم ، وقد تقدم قوله عليه السلام : « اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعي » فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله أي : مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج .

قول القرطبي رحمه الله تعالى

قال القرطبي رحمه الله :

واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة ؛ فقال الشافعي وابن حنبل : هو ركن ؛ وهو المشهور من مذهب مالك ؛ لقوله عليه السلام : « اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي » . خرجه الدارقطني . وكتب بمعنى أوجب ؛ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، وقوله عليه السلام : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » . وخرج ابن ماجة عن أم ولدٍ لشيبة قالت : رأيت رسول الله ﷺ يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول : « لا يُقْطَع الأبطح إلا شدًّا » فمن تركه أو شوطًا منه ناسيًا أو عامدًا رجع من بلده أو من حيث ذكر إلى مكة ، فيطوف ويسعى ؛ لأن السعي لا يكون إلا متصلًا بالطواف . وسواء عند مالك كان ذلك في حج أو عمرة وإن لم يكن في العمرة فرضًا ، فإن كان قد أصاب النساء فعليه عمرة وهديٌ عند مالك مع تمام مناسكه . وقال الشافعي : عليه هديٌ ، ولا معنى للعمرة إذا رجع وطاف وسعى . وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والشعبي : ليس بواجب ؛ فإن تركه أحدٌ

من الحاج حتى يرجع إلى بلاده جبره بالدم ؛ لأنه سنة من سنن الحج . وهو قول مالك في العتبية . وروي عن ابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وابن سيرين أنه تطوع ؛ لقوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٥٨] . وقرأ حمزة والكسائي « يطوع » مضارع مجزوم ، وكذلك ﴿ فمن تطوع خيرًا فهو خير له ﴾ الباقون « تطوع » ماض ؛ وهو ما يأتيه المؤمن من قبل نفسه فمن أتى بشيء من النوافل فإن الله يشكره . وشكر الله للعبد إثابته على الطاعة . والصحيح ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى لما ذكرنا ، وقوله عليه السلام : « خذوا عني مناسككم » فصار بيانًا لمجمل الحج ؛ فالواجب أن يكون فرضًا ؛ كبيانه لعدد الركعات ، وما كان مثل ذلك إذا لم يتفق على أنه سنة أو تطوع . وقال طُليب : رأى ابن عباس قومًا يطوفون بين الصفا والمروة فقال : هذا ما أورثتكم أمكم أم إسماعيل .

قلت : وهذا ثابت[1] في صحيح البخاري ، على ما يأتي بيانه في سورة « إبراهيم » .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير :

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة ، فنقل الأثرم أن من ترك السعي لم يجزه حجه ، ونقل أبو طالب لا شيء في تركه عمدًا أو سهوًا ، ولا ينبغي أن يتركه ، ونقل الميموني أنه تطوع .

وقال البغوي رحمه الله :

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة ، فذهب جماعة إلى وجوبه ، وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة ، وبه قال الحسن ، وإليه ذهب مالك والشافعي ، وذهب قوم إلى أنه

---

(١) قائل ذلك هو القرطبي رحمه الله .

تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي ، وقال الثوري وأصحاب الرأي : على من تركه دم .

وقال **صديق حسن خان** (في تفسيره فتح البيان) بعد أن أورد حديث : « اسعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي » : ويؤيد ذلك حديث « خذوا عني مناسككم » واختار الشوكاني في جميع مؤلفاته الوجوب ، وهو الراجح .

***

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

س : ما معنى ما يلي : - يكتمون - البينات - يلعنهم ؟

ج :

الكلمـة	**معناهـا**
يكتمون	يخفون
البينات	الدلالات على نبوة محمد ﷺ
يلعنهم	يطردهم ، واللعن : الطرد .

❋ ❋ ❋

س : من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟ وما هي البينات التي كتموها ؟

ج : هؤلاء المعنيون بالآية الكريمة هم علماء اليهود وعلماء النصارى ، والبينات التي كتموها هي ما بينه الله عز وجل من أمر محمدٍ ﷺ ونبوته ومبعثه وصفته .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالهدى في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ... ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟

ج : المراد بالهدى هنا ما أنزله الله في الكتابين (التوراة والإنجيل) من آيات وعلامات ودلالات وبينات هداية للناس ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿ من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟ وكذلك ما المراد بالكتاب ؟

ج : المراد بالناس هنا بعض الناس وهم أهل الكتاب (اليهودِ والنصارى) لأن صفة محمد ﷺ كانت عندهم دون غيرهم .

● أما الكتاب فهو اسم جنس ، والمراد به الكتب ، والمعني به هنا التوارة والإنجيل ، والله تعالى أعلم .

س : ذكرتم أن المعني بقوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ﴾ [البقرة : ١٥٩] هم علماء اليهود والنصارى فهل تنسحب على غيرهم أيضًا ؟

ج : نعم وتنسحب على كل كاتمٍ علمًا فرض الله عز وجل بيانه للناس(١) ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نارٍ يوم القيامة » .

---

(١) قال الطبري رحمه الله : وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس فإنها معنيٌّ بها كل كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس وذلك نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من سئل عن علمٍ يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » .

● وقد قال الله تعالى : ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

س : آية من كتاب الله عز وجل تمسك بها أبو هريرة رضي الله عنه وذكر أنه لولاها ما حدَّث الناسَ بالذي حدثهم عن رسول الله ﷺ فما هي تلك الآية ؟

ج : هذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ﴾ [البقرة : ١٥٩] إلى قوله : ﴿ الرحيم ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى اللعن ؟ ومن هم اللاعنون ؟

ج : أما اللعن فهو الطرد ، ولعنه : أقصاه وأبعده ، والمراد باللعن هنا : الطرد من رحمة الله عز وجل .

● **أما اللاعنون[2] فهم الملائكة والناس أجمعون ، وذلك**

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١١٨) ، ومسلم (حديث ٢٤٩٢) ، وأحمد (٢/٢٧٤) .

(٢) واللاعنون هم الذين يطلبون من الله عز وجل أن يلعن ... =

لقول الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] .

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [هود : ١٨] وقال تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ... ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

● **ومن العلماء من قال إن المراد باللاعنين هنا دواب الأرض وهوامها (كالعقارب والخنافس وغير ذلك)** فقد أخرج الطبري[1] رحمه الله بأسانيده إلى مجاهد قال : (ويلعنهم اللاعنون) قال : دواب الأرض، العقارب

= ● وقد أخرج الطبري (٢٣٨٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ قال : يقول : اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين .

قلت : ويلتحق بهم الكفار أيضًا إذ يلعن بعضهم بعضًا كما قال تعالى في الآية الكريمة (المذكورة أعلاه) .

(١) وأسانيد ذلك إلى مجاهد منها الصحيح ومنها دون ذلك ، ومن الصحيح (٢٣٨٠) بالمتن الذي ذكرناه أعلى .

قال الطبري رحمه الله : فإن قال لنا قائل : وما وجه الذين وجهوا تأويل قوله : ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾ ، إلى أن اللاعنين هم الخنافس والعقارب ونحو ذلك من هوام الأرض ، وقد علمت أنها إذا جمعت ما كان من نوع البهائم وغير بني آدم ، فإنما تجمعه بغير « الياء والنون » ، وغير « الواو والنون » ، وإنما تجمعه بـ « التاء » وما خالف ما ذكرنا ، فتقول : « اللاعنات » ونحو ذلك ؟

قيل : الأمر وإن كان كذلك ، فإن من شأن العرب إذا وصفت شيئًا من البهائم أو غيرها – مما حكم جمعه أن يكون بـ « التاء » وبغير صورة جمع ذكران بني آدم – بما هو من صفة الآدميين ، أن يجمعوه جمع ذكورهم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ [فصلت : ٢١] ، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بني آدم ، إذ =

والخنافس ، يقولون : مُنعنا القطر بخطايا بني آدم .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون . لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين ، فقال تعالى ذكره : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦٠] ، فكذلك اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر : الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس ، هي لعنة الله ، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالّة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار ، وهم « اللاعنون » ، لأن الفريقين جميعًا أهل كفر .

وأما قول من قال : إن ﴿ اللاعنين ﴾ هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوامها ، فإنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تقوم به الحجة . ولا خبر بذلك عن نبي الله ﷺ ، فيجوز أن يقال إن ذلك كذلك .

= كلمتهم وكلموها ، وكما قال : ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ [النمل : ١٨] ، وكما قال : ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : ٤] .

قلت : وقد استدل بعض أهل العلم بما ورد من طريق ليث بن أبي سليم عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبي عمرو عن البراء بن عازب قال : كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال : « إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين » فتلعنه كل دابة سمعت صوته ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : ١٥٩] يعني : دواب الأرض ، استدلوا بذلك على أن المراد بـ (اللاعنون) دواب الأرض وليث بن أبي سليم متكلم فيه ، وأيضًا فأصل الحديث في المسند بدون هذه الزيادة ، والله تعالى أعلم .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال : إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف (قول) أهل التأويل ، وهو ما وصفنا . فإن كان جائزًا أن تكون البهائم وسائر خلق الله ، تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد ﷺ ونعته ونبوته ، بعد علمهم به ، وتلعن معهم جميع الظلمة - فغير جائز قطع الشهادة في أن الله عنى بـ « اللاعنين » البهائم والهوامَّ ودبيب الأرض ، إلا بخبر للعذر قاطع . ولا خبر بذلك ، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينـوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] تابوا من ماذا ، وأصلحوا في ماذا ، وبينوا ماذا ؟

ج : تابوا من إثم الكتمان (كتمان الحق الذي أُمروا ببيانه) وأصلحوا أحوالهم ونياتهم فآمنوا بهذا النبي وأصلحوا أحوالهم فيما بينهم وبين ربهم عز وجل وبينوا الحق الذي كتموه .

● وقد أخرج الطبري(١) بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] يقول : أصلحوا فيما بينهم وبين الله ، وبينوا الذي جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم .

● وأخرج أيضًا بإسناد صحيح(٢) إلى ابن زيد في قوله : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ﴾ [البقرة : ١٥٩] قال : بينوا ما في كتاب الله للمؤمنين وما سألوهم عنه من أمر النبي ﷺ وهذا كله في يهود .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣٩٠) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٣٩١) .

س : ما معنى ﴿ التواب الرحيم ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] يقول : وأنا الذي أرجع بقلوب عبيدي المنصرفة عني إليَّ ، والرادُّها بعد إدبارها عن طاعتي إلى طلب محبتي ، والرحيل بالمقبلين بعد إقبالهم إليَّ أتغمدهم مني بعفو ، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بيني وبينهم بفضل رحمتي لهم .

● وقال بعض أهل العلم في قوله : ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] أي : كثير التوبة على عبادي واسع الرحمة بهم أصفح عما فرط منهم من السيئات .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب على كل شخص تبليغ ما علمه من علمٍ لكل أحد ؟

ج : لا يجب ذلك ، وإنما يجب عليه أن يبلغهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم قدر استطاعته ، ويتقي ما يكون سببًا لفتنتهم وصدهم عن طرق الخير .

● وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ [الأعلى : ٩] أي : حيث تنفع الذكرى .

● وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « لولا أن قومك حديثو عهدٍ بكفرٍ لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم »(١) .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا

---

(١) أخرج البخاري حديث (١٥٨٥) ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ، فإن قريشًا استقصرت بناءه وجعلتُ له خلْفًا » =

ولبكيتم كثيرًا »[1] .

● وهذا أبو هريرة رضي الله عنه الذي قال : لولا آية من كتاب الله عز وجل ما حدثتكم ، وهي قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... ﴾[2] [البقرة : ١٥٩] .

أبو هريرة نفسه يقول : (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم)[3] .

● وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يخطب بمنى خطبة ينبه فيها على بعض الأمور الهامة فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف بتأجيل ذلك حتى يرجع إلى المدينة لأن المجلس

= وفي رواية : « لولا أن قومك حديثُ عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا فبلغت به أساس إبراهيم » .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٠٤٤) ، ومسلم (حديث ٩٠١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

(٢) أخرج البخاري (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ثم يتلو : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات ... – إلى قوله – الرحيم ﴾ [البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن اخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون .

(٣) قال القرطبي رحمه الله : قال علماؤنا : وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل ، إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن ، والنص على أعيان المرتدين والمنافقين ، ونحو هذا مما لا يتعلق بالبينات والهدى ، والله أعلم . قلت : والحديث أخرجه البخاري (حديث ١٢٠) .

يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فقد أخرج البخاري[1] في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أقرىء رجالًا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إليَّ عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلًا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم ، قال عبد الرحمن فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت فيعي أهل العلم مقالتك ويضعوها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

● **وقال علي رضي الله عنه :** حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

● **وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه** أنه قال : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

وقال القرطبي رحمه الله بعد إيراده أثر علي : (حدثوا الناس بما يعرفون ..) : وهذا محمول على بعض العلوم كعلم الكلام أو ما لا يستوي في فهمه جميع العوام ، فحكم العالم **أن يحدث بما يفهم عنه وينزل كل إنسان منزلته** ، والله تعالى أعلم . ثم قال رحمه الله : وتحقيق الآية أن العالم إذا قصد كتمان العلم عصى ، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٣٠) كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

أنه مع غيره ، وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذا الآية وللحديث ، أما أنه لا يجوز تعليم الكافر القرآن والعلم حتى يسلم ، وكذلك لا يجوز تعليم المبتدع الجدال والحجاج ليجادل به أهل الحق ، ولا يُعَلِّم الخصم على خصمه حجة يقطع بها ماله ، ولا السلطان تأويلًا يتطرق به إلى مكاره الرعية ولا ينشر الرخص في السفهاء فيجعلوا ذلك طريقًا إلى ارتكاب المحظورات وترك الواجبات ونحو ذلك .

قلت : وقد أخذ بعض العلماء على أنس بن مالك رضي الله عنه إبلاغه الحجاج بأشد ما عذب به رسول الله ﷺ أقوامًا (وهو حديث العرنيين) وذلك لأن الحجاج بن يوسف الثقفي استسهل كل ما يصنع أمام هذه الصورة من التعذيب ، وأهمل أسباب وحيثيات التعذيب التي عذب بها رسول الله ﷺ العرنيين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : ١٥٩] ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

● ومنها قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

❋ ❋ ❋

س : الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب هل تقبل توبته ؟

ج : نعم تقبل توبته لقوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] .

ولقوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمه الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلًا « قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك »[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : التوبة لا يكفي فيها في بعض الأحيان قول القائل : أستغفر الله وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن التوبة إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العبد وربه يكفي فيها قول القائل : أستغفر الله أو رب اغفر لي أو نحو ذلك مما يتعلق بطلب المغفرة من الله عز وجل .

أما إذا كانت تتعلق بالذنب الذي هو فيما بين العباد أنفسهم فيلزم فيها أداء الحقوق إلى أهلها ، فمثلًا إذا سرق رجلٌ مالًا من شخص يعرفه فلا يكفي أن يقول : أستغفر الله ، بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه .

كذلك إذا أفتى عالمٌ من العلماء الناس فتية فغشهم فيها عن عمد فلا يكفي أن يقول :أستغفر الله ، بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا ، يدل على هذا وذاك قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٠] وقول النبي ﷺ عن

---

(١) أخرجه مسلم حديث (١٦٢١) .

المؤمنين إذا خلصوا من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار « فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا »(١) .

وقال النبي ﷺ : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »(٢) .

وكذلك من قذف امرأة بالزنا وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله : (أستغفر الله) فالله عز وجل يقول : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [النور : ٤ ، ٥] .

وهكذا ألا ترى أن الشهيد يغفر له كل ذنبٍ إلا الدَّين ؟!!! والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

س : ما معنى : ينظرون ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
ينظرون	يمهلون[1] – يؤخرون

* * *

(١) قال بعض أهل العلم : معناها : لا يمهلون حتى يعتذروا ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ◌ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] وقال بعض أهل العلم : لا يمهلون ولا يؤجلون بل يلاقيهم العذاب عقب مفارقتهم الدنيا مباشرة . والله أعلم .

س : ما المراد بلعنة الله عز وجل للذين كفروا ، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين لهم ؟

ج : المراد بلعنة الله للكافرين : إبعاد الله عز وجل لهؤلاء الكافرين من رحمته وطردهم عنها ، والمراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين للكفار : طلب الملائكة والناس أجمعين من الله عز وجل أن يلعن هؤلاء الكفار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] يدخل فيها الكفار ، فهل يلعن الكافرُ الكافرَ ؟

ج : ابتداءً ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالناس أجمعين في قوله تعالى : ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] المؤمنون فقط ، وممن قال بهذا القول قتادة رحمه الله تعالى ، فقد روى الطبري عنه بإسناد حسن[١] أنه قال : قوله : ﴿ والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] يعني بـ ﴿ الناس أجمعين ﴾ المؤمنين .

قلت : وهذا المسلك الذي سلكه قتادة رحمه الله تعالى في تفسير الآية الكريمة مسلك ضعيف يخالفه ظاهر نص الآية الكريمة[٢] .

● وقريب من هذا المسلك مسلكٌ آخر ضعيف وهو مسلك من قال : إن قوله تعالى : ﴿ والناس أجمعين ﴾ محمول على التغليب أي : أغلب الناس

---

(١) أثر رقم (٢٣٩٢) .

(٢) وقد قال الطبري رحمه الله في تفسيره : وأما ما قاله قتادة من أنه عنى به بعض الناس فقول ظاهر التنزيل بخلافه ، ولا برهان على حقيقته من خبرٍ ولا نظرٍ ، فإن كان ظن أن المعني به المؤمنين ، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة ، ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة ، وداخل في الظلمة كل كافرٍ بظلمه نفسه وجحوده نعمة ربه ومخالفته أمره .

يلعن الكفار ووجه ضعف هذا المسلك أن أغلب الناس كفار كما قال تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] وكما قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات ، فإذا كان أكثرهم كفارًا فرجعنا إلى السؤال ثانيةً وهل الكافرُ يلعن الكافرَ ؟

فالإجابة على ذلك أن الكافر يلعن الكافر ، وذلك إما في الدنيا وإما في الآخرة ، أما لعنة الكفار بعضهم بعضًا في الدنيا ، فكون الكافر يدعو على الظالم مثلًا ، فإذا قال الكافر : اللهم العن الكافر أو الظالم دخل هو نفسه في اللعنة ودخل فيها كل كافر ، وكذلك إذا تلاعن كافر ومؤمن فاللعنة ترجع على الكافر ، أما كون الكفار يلعن بعضهم بعضًا في الآخرة فذلك واضح جليٌّ من قوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

وكذلك من قوله تعالى : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكلٍّ ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٨] .

وقال تعالى في شأن الكافرين : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ [العنكبوت : ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ﴾ [البقرة : ١٦٢] خالدين في ماذا ؟

ج : قيل : خالدين في اللعنة ، وقيل : المراد أنهم خالدين في متبوعات

اللعنة وهي نار جهنم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :اذكر بعض الآيات الدالة على دوام العذاب على الكفار من غير تخفيف ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ [فاطر : ٣٦، ٣٧] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يُفَتَّر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾ [الزخرف : ٧٤ ، ٧٥] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [النساء : ٥٦] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٨١] .

٥ - قوله تعالى : ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ﴾ [المائدة : ٣٧] إلى غير ذلك من الآيات .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز لعن كل من الآتي ذكرهم أم لا يجوز :

- الكفار جملة (أي : بصفة عامة)

- الكافر المعين (أي الكافر باسمه)
- العصاة جملة
- العاصي المعين

ج : أما الكفار جملة فيجوز لعنهم لما يأتي :

- قوله تعالى ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩]
- وقوله تعالى ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ [هود : ١٨]
- وقوله تعالى عن قوم فرعون ﴿ وأُتبعوا في هذه لعنة ﴾ [هود : ٩٩] إلى غير ذلك من الآيات .

وقال غير واحد من أهل العلم إنه لا خلاف في جواز لعن الكفرة جملة (أي وجه الإجمال)[1] .

- **أما الكافر المعين ففي لعنه خلاف ، فمن العلماء من منعه محتجًا** بقوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة : ١٦١] فقال هذا الفريق إننا لا ندري بم يُختم لهذا الكافر ، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات على الكفر والعياذ بالله .

واحتج لهم أيضًا بأن النبي لما لعن أقوامًا بأعيانهم نزل قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨]

- **وذهب فريق من العلماء إلى جواز لعن الكافر المعين** ، واحتج بعضهم بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها

---

(١) واستدل له بعض أهل العلم - إضافة إلى ما ذكر من آيات - بما رواه مالك عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول (ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان) .

قالت : دخل على النبي ﷺ رجلان فكلَّماه فأغضباه فلعنهما .

● **قال القاضي ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن ص٥٠/١) :**

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله كجواز قتاله وقتله .

قال : وقد رُوي أنه ﷺ قال : « اللهم إن عمرو بن العاص هجاني قد علم أني لست بشاعر فالعنه ، اللهم واهجه عدد ما هجاني »[(١)] ، فلعنه وقد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآله ، وانتصف بقوله (عدد ما هجاني) ولم يزد ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف ، وأضاف الهجو إلى الباري سبحانه وتعالى في باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

قلت : واستدل بعض أهل العلم على جواز لعن الكافر بأن النبي ﷺ لما أُتي بشارب خمر ليحده قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب (لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك) فقال رسول الله ﷺ « لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله »[(٢)]، قالوا فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يُلعن والله تعالى أعلم .

---

(١) أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إلى ضعف هذا الحديث بقوله وقالت طائفة أخرى بل يجوز لعن الكافر المعين ، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج فيه بحديث فيه ضعف .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حمارًا وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب[(١)] فأُتي به يومًا فأمر به فجلد فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه فوالله ما علمت[(٢)] أنه يحب الله ورسوله » .

---

(١) يعني شراب الخمر .

(٢) ما علمت معناها لقد علمت ، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله وثمَّ أقوال أخر تدور حول هذا المعنى ، والله تعالى أعلم .

● **أما العصاة جملة فيجوز لعنهم لقوله عليه الصلاة والسلام :**

« لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده »[(١)] .

وقوله عليه السلام : « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه »[(٢)] إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب .

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : وأما لعن العاصي مطلقًا فيجوز إجماعًا ... .

● **أما العاصي المعين** ، فقد قال ابن العربي رحمه الله : فأما العاصي المعين فلا يجوز لعنه اتفاقًا لما روي أن النبي ﷺ جيء إليه بشارب خمر مرارًا فقال بعض من حضره : ما له لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : « لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم »[(٣)] ، فجعل له حرمة الأخوة ، وهذا يوجب الشفقة ، وهذا حديث صحيح .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٣) ، ومسلم (حديث ١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه (حديث ٥٩٦٢) أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله

وأخرج مسلم (حديث ١٥٩٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتي النبيُّ ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ، ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه فلما انصرف قال رجل : ما له أخزاه الله تعالى فقال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » .

قلت : واستدل بعض أهل العلم على المنع كذلك بحديث « لعن المؤمن كقتله »[1] .

وقد يستدل البعض على جواز لعن العاصي المعين بحديث : « أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح »[2] ولكن هذا عندي في غير المعين أيضًا ، وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من اللعن وخاصة ما يتعلق بلعن المسلمين ، وذلك لقول النبي ﷺ : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا »[3] ، ولحديث : « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة »[4] ، ولحديث « لعن المؤمن كقتله » والله أعلم .

---

(١) أخرج البخاري (٦٠٤٧) ، ومسلم (حديث ١١٠ ص ١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاك - وكان من أصحاب الشجرة - رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف على ملةٍ غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال ، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذِّب به يوم القيامة ومن **لعن مؤمنًا فهو كقتله** ، ومن قذف مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله » .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٥١٩٤) ، ومسلم (حديث ١٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

● وفي رواية في الصحيحين كذلك : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا .

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

س : اذكر عشرًا من الآيات الدالة على تفرد الله عز وجل بالألوهية ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

١ - قول الله عز وجل : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣]

٢ - قول الله عز وجل : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، [آل عمران : ٢]

٣ - قول الله عز وجل : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ [الأنعام : ١٠٢]

٤ - قول الله عز وجل : ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ [النساء : ٨٧]

٥ - قول الله عز وجل : ﴿ قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار ﴾ [ص : ٦٥]

٦ - قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ [الشورى : ١٠]

٧ - قوله تعالى : ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا ﴾ [طه : ٩٨]

٨ - قوله تبارك وتعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ [محمد : ١٩]

٩ - قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ١٨]

١٠ - قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] .

***

س : ما مدى صحة حديث : « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣]، وقوله : ﴿ الٓمٓ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] » ؟

ج : في إسناده ضعف ففيه شهر بن حوشب متكلم فيه .

***

س : اذكر بعض أقوال المفسرين في تأويل قوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ؟

ج : هذه أقوال طائفةٍ من أهل العلم في هذا الباب

● قال الطبري رحمه الله :

قد بينا فيما مضى معنى « الألوهية » ، وأنها اعتباد الخلق .

فمعنى قوله : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] : والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له ، ويستوجب منكم العبادة ، معبود واحد ورب واحد ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تشركوا معه سواه ، فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه ، هو خلقٌ من خلق إلهكم مثلكم ، وإلهكم إله واحد ، لا مثل له ولا نظير .

واختلف في معنى وحدانيته تعالى ذكره .

فقال بعضهم : معنى وحدانية الله ، معنى نفي الأشباه والأمثال عنه ، كما يقال : « فلان واحد الناس - وهو واحد قومه » ، يعني بذلك أنه ليس له في الناس مثل ، ولا له في قومه شبيه ولا نظير . فكذلك معنى قول « الله واحد » ، يعني به : الله لا مثل له ولا نظير .

فزعموا أن الذي دلَّهم على صحة تأويلهم ذلك ، أن قول القائل : « واحد » يفهم لمعان أربعة . أحدها : أن تكون « واحدًا » من جنس ، كالإنسان « الواحد » من الإنس . والآخر : أن يكون غير متفرق ، كالجزء

الذي لا ينقسم . والثالث : أن يكون معنيًّا به والاتفاق ، كقول القائل : « هذان الشيآن واحد» ، يراد بذلك : أنهما متشابهان ، حتى صارا لاشتباههما في المعاني كالشيء الواحد . والرابع : أن يكون مرادًا به نفي النظير عنه والشبيه .

قالوا : فلما كانت المعاني الثلاثة من معاني « الواحد » منتفيةً عنه ، صح المعنى الذي وصفناه .

وقال آخرون : معنى « وحدانيته » تعالى ذكره ، معنى انفراده من الأشياء ، وانفراد الأشياء منه . قالوا : وإنما كان منفردًا وحده ، لأنه غير داخل في شيء ولا داخلٌ فيه شيء . قالوا : ولا صحة لقول القائل : « واحد » ، من جميع الأشياء إلا ذلك . وأنكر قائلو هذه المقالة المعاني الأربعة التي قالها الآخرون .

وأما قوله : « لا إله إلا هو » ، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيره ، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه ، وأن كل ما سواه فهم خلقه ، والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، وهجر الأوثان والأصنام . لأن جميع ذلك خلقه ، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة ، ولا تنبغي الألوهة إلا له ، إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه ، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك ، وما يصيرون إليه من نِعمة في الآخرة فمنه ، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفع في عاجل ولا في آجل ، ولا في دنيا ولا في آخرة .

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهل الشرك به على ضلالهم ، ودعاءٌ منه لهم إلى الأوبة من كفرهم ، والإنابة من شركهم ثم عرفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها ، موضع استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبههم عليه

من توحيده وحججه الواضحة القاطعة عذرهم ، فقال تعالى ذكره : أيها المشركون ، إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر : من أن إلهكم إله واحد ، دون ما تدعون ألوهيته من الأنداد والأوثان ، فتدبروا حُججي وفكروا فيها ، فإن من حُججي خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها ، وما بثثت فيها من كل دابة ، والسحاب الذي سخرته بين السماء والأرض . فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به ، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض ، يقدر على أن يخلق نظير شيء من خلقي الذي سميت لكم ، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذ عذرٌ ، وإلا فلا عذر لكم في اتخاذ إله سواي ، ولا إله لكم ولما تعبدون غيري .

فليتدبر أولو الألباب إيجاز الله احتجاجه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده ، في هذه الآية وفي التي بعدها ، بأوجز كلام ، وأبلغ حجة ، وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضل حكمة الله وبيانه .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية أنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم .

● **وقال القرطبي رحمه الله** : قوله تعالى : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] نفيٌ وإثبات أولها كفر وآخرها إيمان ، ومعناه لا معبود إلا الله .

● **وقال صديق حسن خان** (فتح البيان ٣٢٦/١) : **(وإلهكم إله واحد)** أي : لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية ، والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في أفعاله لا شريك له

يشاركه في مصنوعاته ، وواحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] تقرير للوحدانية بنفي غيره من الألوهية وإثباتها له ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] وقد تقدم تفسيرها ، وفيه الإرشاد إلى التوحيد وقطع العلائق ، والإشارة إلى أول ما يجب بيانه ويحرم كتمانه وهو أمر التوحيد .

● وقال الماوردي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] أراد بذلك أمرين : أحدهما أن إله جميع الخلق واحد لا كما ذهبت إليه عبدة الأوثان من العرب وغيرهم أن لكل قومٍ إله غير إله من سواهم .

والثاني : أن الإله ، وإن كان إلهًا لجميع الخلق فهو واحد لا ثاني له ولا مثل له ، ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ [البقرة : ١٦٣] ثم وصف فقال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ترغيبًا في عبادته وحثًا على طاعته .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● قول النبي ﷺ من قال : « لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة »[١] .

● قول النبي عليه الصلاة والسلام : « فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[٢] .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٩١) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٥) ، ومسلم (حديث ٣٣) من حديث عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا .

● قول النبي ﷺ : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة »[1] .

● حديث البطاقة ، وقد أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : أفلك عذرٌ ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال : إنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفةٍ والبطاقة في كفةٍ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيءٌ »[2] .

● وقول النبي ﷺ : « ... وله بكل تهليلة صدقة »[3] .

● وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ – ومعاذ رديفه على الرحل – قال : يا معاذ بن جبل قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا) قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٨٢٧) ، ومسلم (مع النووي ٩٤/٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٣٩) وقال : حديث حسن غريب ، وأحمد (٢١٣/٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢) ، وابن ماجه (حديث ٢٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

من قلبه إلا حرمه الله على النار .. »[1] الحديث .

● وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[2] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢٨) ، ومسلم (حديث ٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم ص (١٨٤) .

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤

س : اذكر معاني هذه الكلمات والفقرات على وجه الاختصار : خلق السموات والأرض – اختلاف الليل النهار – الفلك – بث فيها – تصريف الرياح – المسخر – آيات ؟

ج :

الكلمة	معناها
خلق السموات والأرض	إنشائها وابتداعها وخلقها على الوضع الذي هي عليه
اختلاف الليل والنهار	تعاقب الليل والنهار
الفلك	السفن
بثَّ فيها	فرَّق فيها – نشر فيها
تصريف الرياح	تنويع الرياح فمرة تأتي عقيمًا ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات ...
المسخر	المُذلل .
آيات	علامات ودلالات .

س : هل من وجهٍ للربط بين قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض .... ﴾ الآية [البقرة : ١٦٤] وقوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة : ١٦٣] ؟

ج : يرى بعض العلماء أن قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] برهان ودليل لقوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا جمعت السموات وأفردت الأرض في قوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : قال صديق حسن خان (فتح البيان) : وإنما جمع السموات ؛ لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الأخرى ، ووحد الأرض ؛ لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية والدليل في خلق السموات على وحدانية الله عز وجل ورحمته ؟

ج : يوضح هذه الآية وهذا الدليل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ [ق : ٦] .

وقوله تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقًا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير * ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ [الملك : ٣ - ٥] .

● فالآية في خلق السموات في ابتداعها وإيجادها على هذا النحو التي هي عليه من ارتفاع واتساع وزينةٍ وبهاء ، وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

● **قال القرطبي رحمه الله** : فآية السموات ارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، ودل ذلك على القدرة وخرق العادة ، ولو جاء نبي فتحدى بوقوف جبل في الهواء دون علاقة كان معجزًا ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة والكواكب الزاهرة شارقة وغاربة نيرة وممحوة آية ثانية .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها .

● **وقال الماوردي في التفسير** : فآية السماء ارتفاعها بغير عمدٍ من تحتها ولا علائق من فوقها ، ثم ما فيها من الشمس والقمر والنجوم السائرة .

● **وقال ابن سعدي في تفسيره** : ففي ﴿ خلق السموات ﴾ [البقرة : ١٦٤] في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها ، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وتنظيمها لمصالح العباد .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية في خلق الأرض على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته ؟

ج : هي فيما ذكره الله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [ق : ٧ ، ٨] وقوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [الملك : ١٥] .

وقد قال أهل العلم في ذلك أقوالًا أيضًا نورد منها ما يلي :

● **قال القرطبي رحمه الله** : وآية الأرض بحارها وأنهارها ومعادنها وشجرها وسهلها ووعرها .

● **وقال ابن كثير رحمه الله** : وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع .

● **وقال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان)** : والآية في الأرض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والأنهار والأشجار والثمار والنبات .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله** : وفي خلق (الأرض) مهادًا للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها ، وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وحاجاتهم ، وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشئون عباده .

● **وقال الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه)** : والآية في الأرض عظيمة فيما يرى من سهلها وجبلها وبحارها ، وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أحد أن ينشيء مثلها .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الآية في اختلاف الليل والنهار على وحدانية الله سبحانه وتعالى ورحمته ؟

ج : ذلك واضح في قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل

سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ؟ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [القصص : ٧١ - ٧٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾ [يسٓ : ٣٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ [يسٓ : ٤٠] .

● وهذا مزيد من أقوال أهل العلم في هذا الباب .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ [يسٓ : ٤٠] وتارة يطول هذا ويقصر هذا ، وتارة تأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان كما قال تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ [فاطر : ١٣] أي : يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا .

وقال صديق حسن خان (في فتح البيان) :

﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] تعاقبهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر ، وإضاءة أحدهما وإظلام الآخر ، وقيل : في الطول والقصر والزيادة والنقصان قال ابن الخطيب : وعندي فيه وجه ثالث هو أنهما كما يختلفان في الأزمنة فهما يختلفان في الأمكنة فإن من يقول : إن الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح ، وفي موضع آخر ظهر ، وفي آخر عصر ، وفي آخر مغرب . وفي آخر عشاء . وهلم جرًّا . هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في

العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال أكثر كانت أيامه الصيفية أطول وأيامه الشتوية بالضد من ذلك ، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر عجيب . قاله الكرخي .

وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيره :

وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط في الطول والقصر والتوسط وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونباتات ، كل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول ما يدل على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته الواسعة ولطفه الشامل وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه مما يجب أن يؤله ويعبد ويفرد بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء وبذل الجهد في محابه ومراضيه .

وقال الماوردي رحمه الله : وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر فيقبل الليل من حيث لا يعلم ويدبر النهار إلى حيث لا يعلم فهذا اختلافهما .

وقال الزحيلي في تفسيره (التفسير المنير) وآية الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر من حيث لا يعلم ، واختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد باختلاف الليل والنهار ؟

ج : المراد والعلم عند الله تعالى : اختلافهما في الطول والقصر فهذا يطول أحيانًا ويقصر هذا وهذا يقصر أحيانًا ويطول هذا ، واختلافهما أيضًا تعاقبهما .

قال الطبري رحمه الله :

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤].

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس .

وإنما (الاختلاف) في هذا الموضع (الافتعال) ، من (خلوف) كل واحد منهما الآخر ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

بمعنى : أن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه ، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده ، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه . ومن ذلك قيل : (خلف فلان فلانًا في أهله بسوء) ، ومنه قول زهير :

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفَةً وأطلاؤها يَنهَضْن من كلِّ مَجْثَم

وأما (الليل) . فإنه جمع (ليلة) ، نظير (التمر) الذي هو جمع (تمرة) . وقد يجمع (ليال) ، فيزيدون في جمعها ما لم يكن في واحدتها . وزيادتهم (الياء) في ذلك نظير زيادتهم إياها في (رباعية وثمانية وكراهية) .

وأما (النهار) ، فإن العرب لا تكاد تجمعه ، لأنه بمنزلة الضوء وقد سمع في جمعه « النهر » ، قال الشاعر :

لولا الثّرِيدانِ هَلَكْنا بالضُّمُرْ ثَرِيدُ ليلٍ وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ

ولو قيل في جمع قليله (أنهِرَة) كان قياسًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الدلالة من الفلك التي تجري في البحر على وحدانية الله عز وجل ورحمته بالعباد ؟

ج : وجه الاستدلال أن الله سبحانه وتعالى سخر البحر لحمل هذه

السفن العظام مع أن المسمار الصغير لا يحمله البحر بل يسقط فيه ، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :** ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ [البقرة : ١٦٤] أي : في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الأقليم ، ونقل هذا إلى هؤلاء .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** ووجه الآية في الفلك تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها فوقه مع ثقلها ، وأول من عملها نوح عليه السلام كما أخبر تعالى .

● **وقال الماوردي رحمه الله :** والآية فيها من وجهين :

أحدهما : استقلالها بحملها .

الثاني : بلوغها إلى مقصدها .

● **وقال صديق حسن خان في فتح البيان :** والآية في ذلك أن الله لو لم يقوِ قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في منافعهم ، وأيضًا فإن الله خصَّ كل قطر من أقطار العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل فصار ذلك سببًا يدعوهم إلى اقتحام الأخطار في الأسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره :**

وفي ﴿ الفلك التي تجري في البحر ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهي السفن والمراكب ونحوها ، مما ألهم الله عباده صنعتها ، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ، ما أقدرهم عليها .

ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح ، التي تحملها بما فيها من

الركاب والأموال ، والبضائع التي هي من منافع الناس ، وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معايشهم .

فمن الذي ألهمهم صنعتها ، وأقدرهم عليها ، وخلق لهم من الآيات ما به يعلمونها ؟ .

أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية ، النار والمعادن المعينة على حملها ، وحمل ما فيها من الأموال ؟

فهل هذه الأمور ، حصلت اتفاقًا ، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز ، الذي خرج من بطن أمه ، لا علم له ولا قدرة ؟ ثم خلق له ربه القدرة ، وعلمه ما يشاء تعليمه ؟

أم المسخر لذلك رب واحد ، حكيم عليم ، لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء ؟

بل الأشياء قد دانت بربوبيته ، واستكانت لعظمته ، وخضعت لجبروته .

وغاية العبد الضعيف ، أن جعله الله جزءًا من أجزاء الأسباب ، التي بها وجدت هذه الأمور العظام ، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه ، وذلك ويجب أن تكون المحبة كلها له ، والخوف والرجاء ، وجميع الطاعة ، والذل والتعظيم .

● **وقال شيبة الحمد في تفسيره :** ووجه الاستدلال على وحدانية الله عز وجل بجريان الفلك في البحر بما ينفع الناس أنك لو ألقيت مسمارًا في البحر غاص إلى أعماقه وقد علم الله عز وجل نوحًا عليه السلام أن يصنع الفلك ليركب فيه هو والمؤمنون وأن يحمل معه من كلٍّ زوجين اثنين فصار نوح عليه السلام يهيىء المسامير العظام والأخشاب وبدأ يصنع السفينة ولم يكن أحد قد عرفها[1] قبل ذلك فسخر منه المشركون ، ولما أرسل الله

---

(١) قوله ولم يكن أحد قد عرفها قبل ذلك يحتاج إلى دليل .

الطوفان نجى نوحًا والذين آمنوا معه ، وكانت تجري بهم في موج كالجبال وهي مصنوعة من الخشب والمسامير على حد قوله تبارك وتعالى : ﴿ وحملناه على ذات ألواحٍ ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ [القمر : ١٣ ، ١٤] الدُّسُر جمع دسار وهو المسمار ، فصارت السفن الشبيهة بالجبال تمشي على متن الماء ويرسل الله عز وجل الرياح فتدفعها فوق الماء وتسوقها كما قال عز وجل: ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ [الشورى : ٣٢] أي : ومن دلائل ألوهيته وربوبيته وقدرته هذه السفن التي تجري في البحر كأنها جبال ، وكما قال عز وجل: ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ [الرحمن : ٢٤] ، ومن المعلوم أن الله عز وجل خص كل قطر من أقطار الدنيا المتباعدة بمزايا وأشياء معينة لا توجد في القطر الآخر وكان الناس في كل بلد قد يحتاجون إلى ما في البلد الآخر ، وقد يفصل بينهم وبين الجهات التي يحتاجون إلى حاصلاتها البحار الشاسعة والمحيطات العظيمة كالمحيط الهادي والمحيط الأطلسي والبحر الأحمر والمحيط الهندي وغيرها ، وكان لا سبيل إلى الوصول إليها إلا بهذه السفن التي أرشدهم الله عز وجل إليها ، مع ما في البحار من المنافع العظيمة ، كما قال عز وجل : ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أُجاج ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [فاطر : ١٢] وكما قال عز وجل : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] .

***

س : وضح الدليل من إنزال المطر على وحدانية الله عز وجل ورحمته بالعباد ؟

ج : وجه ذلك يتضح من قوله تعالى : ﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركًا

فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقًا للعباد وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾ [ق : ٩ - ١١] .

● وقوله تعالى : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليه الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾ [الحج : ٥ ، ٦] .

● وكما قال تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها[1] وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ [يس : ٣٣ - ٣٥] .

● وكما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ [السجدة : ٢٧] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ والذي نزل من السماء ماءً بقدرٍ فأنشرنا به بلدة ميتًا كذلك تخرجون ﴾ [الزخرف : ١١] .

قال ابن سعدي رحمه الله : ﴿ فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ [البقرة : ١٦٤] فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النباتات ما هو من ضرورات الخلائق التي لا يعيشون بدونها ، أليس ذلك دليلًا على قدرة من أنزله وأخرج به ما أخرج ولطفه بعباده وقيامه بمصالحهم وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه ؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم ؟ أليس ذلك دليلًا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم ؟!! .

❋ ❋ ❋

---

(١) وإحياؤها يكون بالمطر بإذن الله عز وجل كما يكون بإذن الله بالعيون .

س : ما هو وجه الدلالة من بث الدواب على رحمة الله عز وجل بالعباد ووحدانيته سبحانه وتعالى ؟

ج : بث الدواب أي : نشرها وتفريقها في أنحاء الأرض ، ووجه الدلالة من بثها على رحمة الله عز وجل ووحدانيته أنه سبحانه سخرها للناس ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع ، فمنها دواب سخرت لحمله ، ومنها دواب سخرت لمطعمه ومشربه يأكل منها اللحم ويشرب منها اللبن ، ومنها دواب يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، ومنها دواب وجه الانتفاع منها هو الاعتبار والاتعاظ فالحية مثلًا تخيفه رؤيتها فيتذكر مانع الزكاة مثلًا ما سيلقاه يوم القيامة من الشجاع الأقرع فيبادر بإخراج الزكاة ، وتذكره فيتعوذ بالله من شرها . ومنها دواب سخرت لحراسته ومصلحته إلى غير ذلك ، فكل ذلك رحمة من الله سبحانه وتعالى بعباده وكون الله عز وجل رازق هذه الدواب ومتكفلٌ بها وعالم بأمرها وحده سبحانه دليل على وحدانيته والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المراد بتصريف الرياح ؟

ج : المراد : تنويعها فمرة تأتي عقيمًا ومرة تأتي لواقح ومرة تأتي مبشرات إلى غير ذلك .

قال الطبري رحمه الله : و (تصريف) الله إياها أن يرسلها مرة لواقح ، ومرة يجعلها عقيمًا ويبعثها عذابًا تدمر كل شيء بأمر ربها . ثم أورد أثرًا حسن الإسناد عن قتادة(1) قوله : ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر ﴾ [البقرة : ١٦٤] قال : قادرٌ والله ربنا على ذلك إذا شاء جعلها رحمةً لواقح للسحاب ونشرًا بين يدي رحمته ، وإذا شاء جعلها عذابًا ريحًا عقيمًا لا تُلقح إنما هي عذاب على من أرسلت عليه .

---

(١) أثر رقم (٢٤٠٥) .

ثم قال الطبري رحمه الله : وزعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] أنها تأتي مرة جنوبًا وشمالًا وقبولًا ودبورًا ثم قال : وذلك تصريفها ، وهذه الصفة التي وصف الرياح بها صفة تصرفها لا صفة تصريفها لأن (تصريفها) تصريف الله لها ، و (تصرفها) اختلاف هبوبها .

وقد يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] تصريف الله تعالى ذكره هبوب الريح باختلاف مهابها ، والله أعلم .

***

س : ما هو وجه الدلالة من تصريف الرياح على وحدانية الله سبحانه ؟

ج : وجه ذلك أن الذي يقدر على تصريف الرياح هو الله سبحانه وتعالى وحده لا يستطيع ذلك أحدٌ سواه ، فكما **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى** : أي : فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه ، وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية ، وتارة تأتي من ناحية اليمين وتارة صبا وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة ، وتارة دبورًا وهي غربية تنفذ من ناحية دبر الكعبة .

ونحو ذلك **قال ابن سعدي رحمه الله تعالى فقال** : وفي ﴿ تصريف الرياح ﴾ [البقرة : ١٦٤] باردة وحارة جنوبًا وشمالًا وشرقًا ودبورًا وبين ذلك ، وتارة تثير السحاب وتارة تؤلف بينه وتارة تلقحه وتارة تدره وتارة تمزقه وتزيل ضرره وتارة تكون رحمة وتارة ترسل بالعذاب فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه ؟ وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات وتصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنباتات إلا العزيز الحكيم الرحيم اللطيف بعباده المستحق لكل ذلٍّ

وخضوع ومحبة وإنابة وعبادة ؟

وقال الماوردي في تفسيره : والآية فيها من وجهين :

أحدهما : اختلاف هبوبها في انتقال الشمال جنوبها ، والصبا دبورًا فلا يعلم لانتقالها سبب ، ولا لانصرافها جهة .

والثاني : ما جعله في اختلافها من إنعام ينفع ، وانتقام يؤذي . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى تسخير السحاب بين السماء والأرض وكيف يكون ذلك ؟

ج : تسخير السحاب تذليله وتوجيهه إلى حيث يشاء الله عز وجل ويتم ذلك بأمر الله عز وجل كما قال سبحانه في كيفية ذلك : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحابًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ [النور : ٤٣] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ [الأعراف : ٥٧] والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الدلالة من تسخير السحاب بين السماء والأرض على وحدانية الله سبحانه وتعالى ؟

ج : قال الماوردي رحمه الله تعالى : (النكت والعيون ٢١٨/١) : والآية فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : ابتداء نشوئه وانتهاء تلاشيه .

والثاني : ثبوته بين السماء والأرض من غير عمدٍ ولا علائق .

والثالث : تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل .

● **وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى** : وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث شاء فيحيي به البلاد والعباد ويروي التلول والوهاد وينزله على الخلق وفق حاجتهم إليه فإذا كان يضرهم كثرته أمسكه عنهم فينزله رحمة ولطفًا ويصرفه عناية وعطفًا فما أعظم سلطانه وأغزر إحسانه وألطف امتنانه !!! أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه ، أليس ذلك دَليلًا على حلمه وصبره وعفوه وصفحه وعظيم لطفه ؟ فله الحمد أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا .

● **قال شيبة الحمد في تفسيره** : ولما كان طبع الماء ثقيلًا يقتضي النزول كان بقاؤه في الجو من الآيات البينات .

وقال صديق حسن خان (فتح البيان) : والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظيمة يبقى معلقًا بين السماء والأرض بلا علاقة تمسكه ولا دعامة تسنده ، وفيه آيات أُخر .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى (الدابة) في قوله تعالى : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى** : والدابة (الفاعلة) من قول القائل : (دبت الدابة تدب دبيبًا فهي دابة) .

و (الدابة) اسم لكل ذي روح كان غير طائر بجناحيه لدبيبه على الأرض .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : ودابة تجمع الحيوان كله ، وقد أخرج بعض الناس الطير وهو مردود ، قال الله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : ٦] فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته .

قال الأعشي : دِبيبُ قَطا البَطْحاء في كلِّ مَنْهَل .

وقال علقمة بن عَبدة :

صواعِقُهـا لطيرهـن دَبِيـبُ

قلت (مصطفى) : وحجة من أخرج الطير من الدواب قوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ [الأنعام : ٣٨] أما الإجابة على قول من قال : إن الطير تدب على الأرض في بعض الأحيان فدفعه (على رأى من أخرج الطير) بأن الحكم للغالب وأغلب أحوال الطير أن يكون في الهواء لكن التحرير يقتضي أن الدابة في الأصل ما يدب على الأرض لكن لا يمتنع أحيانًا أن يدخل فيها غيرها كمن يدب أحيانًا على الأرض ، وذلك كسائر الاصطلاحات في الكتاب العزيز أحيانًا تأتي عامة وأحيانًا تأتي ويراد بها الخصوص والذي يظهر لي في هذا الموطن أن الدابة يدخل فيها الطير ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف يُحتج على أهل الكفر بقوله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض .. ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهناك منهم من لا يرى أن السموات والأرض مخلوقتان ؟

ج : ابتداء قد لا يقول قائل بأن هذا احتجاج على الكفار إنما هو كما ذكره الله عز وجل آيات لقوم يعقلون .

أما وجه الاحتجاج بالآية الكريمة على المشركين (عند من يرى أن الآية تحمل احتجاجًا على المشركين) فهو على المشركين الذين يقرون بأن الله خالق السموات والأرض كما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ [لقمان : ٢٥] وكما قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩] فناسب أن يحتج عليهم بما أقروا به .

ويحتج أيضًا على الملاحدة القائلين بأن السموات والأرض ليستا مخلوقتين بأن وجودهما على هذا الوضع الذي هي عليه تشير بأن لها خالقًا وتدل على ذلك غاية الدلالة ، ولكن الملاحدة كابروا في ذلك أما العقلاء من الناس فأقروا لما رأوا ما عليه السموات والأرض من حسن وبهاء وكمال وجمال وإتقان أن لها مدبرًا خالقًا .

وقد طرح الطبري رحمه الله تعالى نفس السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال قائل : وكيف احتج على أهل الكفر بقوله : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] الآية ، في توحيد الله ؟ وقد علمت أن أصنافًا من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر في هذه الآية مخلوقةً ؟

قيل : إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميع ما ذكر تعالى في هذه الآية ، دليلًا على خالقه وصانعه ، وأن له مدبرًا لا يشبهه [شيء] ، وبارئًا لا مثل له . وذلك وإن كان كذلك ، فإن الله حاج بذلك قومًا كانوا مقرين بأن الله خالقهم ، غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام والأوثان . فحاجهم تعالى ذكره فقال – إذ أنكروا قوله : ﴿ وإلهكم إلهٌ واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، وزعموا أن له شركاء من الآلهة – : [إن إلهكم الذي خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين

في سيرهما . وذلك هو معنى اختلاف الليل والنهار في الشمس والقمر] ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ [البقرة : ١٦٤] وأنزل إليكم الغيث من السماء ، فأخصب به جنابكم بعد جدوبة ، وأمرعه بعد دثوره ، فنَعَشَكم به بعد قنوطكم ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ [البقرة : ١٦٤] وسخر لكم الأنعام فيها لكم مطاعم ومآكل ، ومنها جمالٌ ومراكب ، ومنها أثاث وملابس ، وذلك هو معنى قوله : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ [البقرة : ١٦٤] وأرسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم ، وسير لكم السحاب الذي بودقه حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم - وذلك هو معنى قوله : ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

فأخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم ، وتفرد لهم بها . ثم قال : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، فتشركوه في عبادتكم إياي ، وتجعلوه لي ندًّا وعدلًا ؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، ففي الذي عددت عليكم من نعمتي ، وتفردت لك بأيادي ، دلالاتٌ لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل ، والجور والإنصاف . وذلك أني لكم بالإحسان إليكم متفرد دون غيرى ، وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أندادًا . فهذا هو معنى الآية .

والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها ، هم القوم الذين وصفت صفتهم دون المعطلة والدهرية ، وإن كان في أصغر ما عد الله في هذه الآية ، من الحجج البالغة ، والمَقْنَعُ لجميع الأنام ، تركنا البيان عنه ، كراهة إطالة الكتاب بذكره .

* * *

س : الآيات الدالة على أن السحاب مسخرٌ آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ والسحاب المسخر ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ حتى إذا أقلت سحابًا ثقالًا سقناه إلا بلد ميت ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا .. ﴾ [الروم : ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات ، فاذكر حديثًا يبين أن السحاب مسخر أيضًا ؟

ج : هذا الحديث هو ما ورد في الصحيح(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بينا رجلٌ بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتًا في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءً في حَرَّة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأرد فيها ثلثه .

❋ ❋ ❋

س : من متى يبدأ الليل ومتى ينتهي ومن متى يبدأ النهار ومتى ينتهي ؟

ج : يبدأ الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

ويبدأ النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، كما رواه ابن فارس في المجمل ، يدل عليه ما ثبت في صحيح

(١) أخرجه مسلم حديث (٢٩٨٤) .

مسلم عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال له عدي : يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقالًا أبيض وعقالًا أسود أعرف بهما الليل من النهار ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار » ، فهذا الحديث يقضي أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهو مقتضى الفقه في الأيمان وبه ترتبط الأحكام .

***

س : لماذا قدم الليل على النهار في قوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : يرى بعض أهل العلم أن الليلَ قدم على النهار لأن الظلمة أقدم ، قاله صديق حسن خان (فتح البيان) ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ [يس : ٣٧] وقال أيضًا : وهذا أصح القولين .

قلت : ويستشهد له أيضًا بقول النبي ﷺ : « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل »[١] ، والله أعلم .

***

س : هل الليلة تابعة لليوم الذي قبلها أو اليوم الذي بعدها ؟

ج : يرى كثير من العلماء أن الليلة تابعة لليوم الذي بعدها ، واستثنوا

---

(١) صحيح ، أخرجه الترمذي (حديث ٢٦٤٢) ، وقال : هذا حديث حسن ، وأخرجه أيضًا أحمد (٢/١٧٦ ، ١٩٧) ، وابن حبان (موارد الظمآن حديث ١٨١٢ ، ١٨١٣) ، والحاكم (١/٣٠ المستدرك) من طرق عن ابن الديلمي (وهو عبد الله بن فيروز) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .
وانظر أيضًا الشريعة للآجري ص ١٧٥

من ذلك يوم عرفة فإن ليلته هي التي تأتي بعده (أي : هي التي يبيت فيها الناس بمزدلفة) ، واستدلوا لهذا الاستثناء بحديث عروة بن مضرس[1] إذ جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله أتعبت نفسي وأكلت راحتي وما تركت جبلًا إلا وقفت عليه ... فقال له النبي ﷺ : « من صلى معنا الفجر بمزدلفة وكان قبل ذلك قد وقف ساعة من ليلٍ أو نهارٍ بعرفات فقد أتم حجه وقضى تفثه » . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالذي ينفع الناس في قوله تعالى : ﴿ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس .. ﴾ [البقرة : ١٦٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – ما يحصله الناس من وراء تلك الأسفار من تجارات ودفع مجاعات وسد جوعات وكسوة عاريات وحجج وعمرات وغزوٍ وفتوحات إلى غير ذلك من وسائل الانتفاع التي ينتفع بها الناس في دنياهم ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا قيل للسحاب سحاب ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : وإنما قيل للسحاب سحاب إن شاء الله لجر بعضه بعضًا وسحبه إياه ، من قول القائل : (مرَّ فلان يجر ذيله) يعني : (يسحبه) .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث رقم ١٩٥٠) ، والترمذي (حديث ٨٩١) ، وقال : هذا حديث صحيح ، والنسائي (٥/٢٦٣) ، وابن ماجه حديث (٣٠١٦) ، وأحمد (٤/١٥) وغيرهم .

وقال القرطبي رحمه الله : سمي السحاب سحابًا لانسحابه في الهواء ، وسحبت ذيلي سحبًا ، وتسحب فلان على فلان : اجترأ ، والسحب شدة الأكل والشرب والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :-

أندادًا - إذ يرون - الأسباب - كرة - حسرات ؟

ج :

الكلمة	معناها
أندادًا	أمثالًا - نظراء - عدلاء .
إذ يرون	إذ يعاينون العذاب .
الأسباب	الأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها إلى النجاة[1].

(١) وسيأتي مزيد إيضاح لذلك في سؤال مستقل إن شاء الله تعالى .

الكلمــة	معناهــا
كرة	رجعة إلى الدنيا[1]
حسرات	الحسرة التلهف على ما فات ، وقيل الحسرة هي أشد الندامة .

* * *

(١) أخرج الطبري رحمه الله (٢٤٣٢) بإسناد حسن عن قتادة : ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ [البقرة : ١٦٦]أي : لنا رجعة إلى الدنيا .

(**وخامسها**) : أن المؤمنين يوحدون ربهم ، والكفار يعبدون مع الصنم أصنامًا فتنقص محبة الواحد ، أما الإله الواحد فتنضم محبة الجميع إليه .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] قولٌ مجمل نريد إيضاحه ؟

ج : لأهل العلم في إيضاحه وجهان :

أحدهما : أن المشركين يحبون آلهتهم كحبهم لله عز وجل ، فعلى هذا القول يثبت للمشركين شيء من المحبة لله عز وجل .

الثاني : أن المشركين يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله عز وجل .

● قال الطبري رحمه الله : .. وأن الذين اتخذوا هذه « الأنداد » من دون الله يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله ، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبًّا لله من متخذي هذه الأنداد لأندادهم .

ثم قال الطبري رحمه الله فإن قال قائل : وكيف قيل : « كحب الله » ؟ وهل يحب الله الأنداد ؟ وهل كان متخذو الأنداد يحبون الله ؟ ، فيقال : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه ، وإنما ذلك نظير قول القائل : (بعت غلامي كبيع غلامك) ، بمعنى : بعته كما بيع غلامك ، وكبيعك غلامك ، (واستوفيت حقي منه استيفاء حقك) ، بمعنى استيفاءك حقك ، فتحذف من الثاني كناية اسم المخاطب ، اكتفاء بكنايته في (الغلام) و (الحق) ، كما قال الشاعر :

فلست مُسَلِّمًا ما دمت حيًّا   على زيدٍ بتسليم الأمير

يعني بذلك : كما يسلم على الأمير .

فمعنى الكلام إذًا : ومن الناس من يتخذ ، أيها المؤمنون ، من دون الله

أندادًا يحبونهم كحبكم الله .

س : قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] أشد حبًّا لله مِنْ مَنْ ؟

ج : لأهل العلم أيضًا قولان في هذا الباب .

أحدهما : أشد حبًّا لله من : حب المشركين لله ، فعلى هذا القول يكون المشركون يحبون الله ويحبون آلهتهم كحبهم لله كما قال تعالى مبينًا حالهم وقولهم : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧ ، ٩٨] .

الثاني : أشد حبًّا لله من حب المشركين لآلهتهم ، وكلا القولين له وجه ، ونورد هنا ما ذكره ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم لما فيه من الفائدة .

قال رحمه الله تعالى :

ثم قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة :١٦٥] وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما : والذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم ، وآلهتهم التي يحبونها ، ويعظمونها من دون الله .

والثاني : والذين آمنوا أشد حبًّا لله من محبة المشركين بالأنداد لله ، فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسطٍ منها . والمحبة الخالصة أشد من المحبة المشركة .

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى : ﴿ يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] فإن فيها قولان :

أحدهما : يحبونهم كما يحبون الله . فيكون قد أثبت لهم محبة لله ، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادًا .

والثاني : أن المعنى يحبون أندادهم ، كما يحب المؤمنون الله ، أشد

من محبة أصحاب الأنداد ، لأندادهم .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجح القول الأول ، ويقول : إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله ، كمحبة المؤمنين له . وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم ، وهم في النار ، أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم ، وهي محضرة معهم في العذاب ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧ ، ٩٨] ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية ، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم .

هذا حال قلب المؤمن : توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه ، لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة . ولما كانت كثرة ذكر الشيء موجبة لدوام محبته ، ونسيانه سببًا لزوال محبته أو ضعفها . وكان الله سبحانه هو المستحق من عباده نهاية الحب مع نهاية التعظيم ، بل الشرك الذي لا يغفره الله لعبده : هو أن يشرك به في الحب والتعظيم ، فيحب غيره ويعظم من المخلوقات غيره كما يحب الله تعالى ويعظمه قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًّا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] فأخبر سبحانه أن المشرك يحب الند كما يحب الله تعالى ، وأن المؤمن أشد حبًّا لله من كل شيء . وقال أهل النار في النار : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين ﴾ [الشعراء : ٩٧] ، ومن المعلوم : أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأليه والعبادة ، وإلا فلم يقل أحد قط : إن الصنم أو غيره من الأنداد مساوٍ لرب العالمين في صفاته وفي أفعاله ، وفي خلق السموات والأرض ، وفي خلق عابده أيضًا . وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة .

وأضل من هؤلاء وأسوأ حالًا من سوى كل شيء بالله سبحانه في الوجود ، وجعله وجود كل موجود ، كامل أو ناقص . فإذا كان الله قد

حكم بالضلال والشقاء لمن سوى بينه وبين الأصنام في الحب ، مع اعتقاد تفاوت ما بين الله وبين خلقه في الذات والأوصاف والأفعال ، فكيف بمن سوى الله بالموجودات في جميع ذلك ، بل كيف بمن جعل ربه كل هذه الموجودات ؟ وزعم أن من عبد حجرًا أو شجرًا ، أو حيوانًا فما عبد غير الله في كل معبود .

* * *

س : من المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة :١٦٥]؟ وما هو الدليل على ذلك؟

ج : المراد بـ ﴿ الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] المشركون ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، فالخلود لا يكون إلا للمشرك لحديث : « وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[1] ، وكون الظلم يطلق على الشرك ففي كتاب الله عز وجل على هذا الإطلاق أدلة ، منها قوله تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] ونحو ذلك ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو المراد بمحبة المشركين للأنداد ؟

ج : المراد عبادتهم لهم وتعظيمهم إياهم ، وعلى رأي من ذهب إلى أن الأنداد السادة الذين يطاعون في معصية الله وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل ، فيدخل في هذه المحبة الطاعة أيضًا .

هذا ولا يدخل في هذه المحبة التي يحبها المشركون للأنداد اعتقاد أن الأنداد خلقتهم ، فهذا شيءٌ لم يقر به المشركون ، بل قال الله عز وجل حاكيًا عن المشركين : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف : ٨٧]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠) ، ومسلم (ص ١٨٤) .

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ [الزخرف : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيءٍ وهُو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ [المؤمنون :٨٤ – ٨٩] .

● وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ [يونس : ٣١] .

هذا وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى[1] في تأويل قوله تعالى : ﴿ ومن النـاس من يتخـذ من دون الله أنـدادًا يحبونهم كحـب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] : أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا ، فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلق والربوبية ، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] قراءتان مشهورتان وضحهما ، وبيِّن معنى الآية على كل قراءة منهما ؟

ج : **القراءة الأولى هي** ﴿ ولو يرى ﴾ بالياء (المثناة التحتانية) من يرى ، وهي قراءة أهل الكوفة وأهل مكة .

والمعنى على هذا القول كما نقله القرطبي عن أبي عبيد : لو يرى

(١) التفسير القيم .

الذين ظلموا في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : قال بعضهم : تقدير الكلام ، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا ، أي : أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] كما قال : ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ [الفجر : ٢٥ ، ٢٦] يقول : لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال .

وقال الطبري رحمه الله [١] : ولو يرى الذين ظلموا عذاب الله الذي أعد لهم في جهنم لعلموا حين يرونه فيعاينونه أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب إذ يرون العذاب .

وقال شيبة الحمد في تفسيره : أي : ولو يعاين هؤلاء الذين أشركوا مع الله غيره في المحبة ما أعد الله لهم من العذاب والعقوبة في نار جهنم لما أشركوا معه غيره ، لأنهم لو عاينوا ذلك لعلموا أن القهر والسلطان والحكم لله وحده ، وأن هؤلاء الأنداد لا يملكون لهم نفعًا ولا يدفعون عنهم ضرًّا ؛ بل يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة ويلعن بعضهم بعضًا .

أما القراءة الثانية فهي : ﴿ ولو ترى ﴾ بالتاء (المثناه الفوقانية) مِن ترى ، وهي التي اختارها الطبري رحمه الله تعالى ونقلها عن عامة أهل المدينة والشأم ، فقال رحمه الله : اختلفت القرأة في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل المدينة والشأم : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ بالتاء ﴿ إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة :١٦٥] بالياء ﴿ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] بفتح (أنَّ) و (أنَّ) كلتيهما بمعنى : ولو ترى يا محمد

---

(١) أي : في تفسير الآية على هذه القراءة ، وإلا فقد اختار الطبري رحمه الله القراءة الثانية ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

الذين كفروا ظلموا أنفسهم حين يرون عذاب الله ويعاينونه ﴿ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] ... ثم قال الطبري رحمه الله : والصواب من القراءة عندنا في ذلك : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة : ١٦٥] – بالتاء من (ترى) – ﴿ إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العقاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] بمعنى : لرأيتَ أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب . فيكون قوله : (لرأيت) الثانية ، محذوفةً مستغنى بدلالة قوله : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة :١٦٥] ، عن ذكره ، إذ كان جوابًا لـ (لو) .

ويكون الكلام ، وإن كان مخرجه مَخرجَ الخطاب لرسول الله ﷺ – معنيًّا به غيره ، لأن النبي ﷺ كان لا شك عالمًا بأن القوة لله جميعًا ، وأن الله شديد العذاب ، ويكون ذلك نظير قوله : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ [البقرة : ١٠٧] ، وقد بيناه في موضعه .

وإنما اخترنا ذلك على قراءة (الياء) ، لأن القوم إذا رأوا العذاب ، قد أيقنوا أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب ، فلا وجه أن يُقال : لو يرون أنّ القوة لله جميعًا – حينئذ ، لأنه إنما يُقالُ : (لو رأيت) ، لمن لم ير ، فأما من قد رآه ، فلا معنى لأن يقال له : (لو رأيت) .

ثم قال رحمه الله :

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا ﴾ [البقرة :١٦٥] ، ولو ترى ، يا محمد ، الذين ظلموا أنفسهم ، فاتخذوا من دوني أندادًا يحبونهم كحبكم إياي ، حين يُعاينون عذابي يوم القيامة الذي أعددت لهم ، لعلمتم أن القوة كلها لي دون الأنداد والآلهة ، وأنَّ الأنداد والآلهة لا تغني عنهم هنالك شيئًا ، ولا تدفع عنهم عذابًا أحللتُ بهم ، وأيقنتم أنِّي شديدٌ عذابي لمن كفر بي ، وادَّعى معي إلهًا غيري .

س : من هم الذين اتُّبعوا ؟

ج : الذين اتُّبعوا هم المعبودون الذين كانوا يُعبدون في الدنيا من دون الله عز وجل ومع الله عز وجل ، فيدخل فيهم الشيطان وتدخل فيهم الأوثان ويدخل الملائكة والجن والجبابرة والقادة والرؤساء ، وعيسى عليه السلام يتبرأ أيضًا من عابديه .

هذا وقد قصر بعض أهل العلم ﴿ الذين اتُّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] في هذا الموطن على الجبابرة والقادة والرءوس في الشرك والضلال ، فروي عن قتادة بإسنادٍ حسن[١] في قوله تعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبعوا ﴾ [البقرة:١٦٦] وهم الجبابرة والقادة والرءوس في الشرك ﴿ من الذين اتَّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] وهم الأتباع الضعفاء ﴿ ورأوا العذاب ﴾ [البقرة :١٦٦] .

وذهب الطبري رحمه الله تعالى في تأويل الآية الكريمة إلى أن المتبوعين على الشرك يتبرأون من تابعيهم ، ولكنه حمل هؤلاء المتبوعين على الأنداد من الرجال ، فقال رحمه الله تعالى : والصواب من القول عندي في ذلك : أنَّ الله تعالى ذكره أخبر أن المتبعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله ، ولم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض ، بل عم جميعهم ، فداخلٌ في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا ، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة .

وأما دلالة الآية فيمن عنى بقوله : ﴿ إذ تَبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، فإنها إنما تدل على أنَّ الأنداد الذين اتخذوهم من دُون الله من وصَف تعالى ذكره صفته بقوله : ﴿ ومنَ الناس مَن يَتخذُ

---

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٢٤١٣) .

من دُون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] ؛ هم الذين يتبرأون من أتباعهم .
وإذ كانت الآيةُ على ذلك دالةً ، صح التأويل الذي تأوله السدي في قوله :[١] ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، أن (الأنداد) في هذا الموضع ، إنما أريد بها الأندادُ من الرجال الذين يطيعونهم فيما أمروهم به من أمر ، ويعصون الله في طاعتهم إياهم ، كما يُطيع الله المؤمنون ويعصون غيره – وفسد تأويل قول من قال : ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، أنهم الشياطين تبرأوا من أوليائهم من الإنس ، لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن مُتخذي الأنداد .

قلت (مصطفى) : والقول بالتعميم أولى من قصرها على الأنداد ، فعموم المعبودين يتبرأون من عابديهم ، وهذا ما سيرد في السؤال اللاحق إن شاء الله تعالى .

* * *

س : اذكر بعض الأدلة توضح براءة المعبودين من عابديهم ؟

ج : من هذه الأدلة أدلة عامة ومنها أدلة تفصيلية ؟

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

---

(١) أثر السدي عند الطبري رقم (٢٤١١) من طريق موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، قال : الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله .
وأخرج الطبري أيضًا (٢٤١٦) من نفس الطريق : موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] : أما ﴿ الذين اتبعوا ﴾ فهم الشياطين تبرأوا من الإنس .

● قوله تبارك وتعالى: ﴿ كلما دخلت أمةٌ لعنت أختها ﴾ [الأعراف:٣٨].

● قوله سبحانه : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ ويوم يُناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغْوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون * وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ [القصص : ٦٢ - ٦٤] .

أما الأدلة التفصيلية :

فالملائكة تتبرأ من عابديها ، قال الله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون * فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ [سبأ : ٤٠ - ٤٢] .

● **وكذلك الشيطان** يتبرأ من تابعيه ، قال الله سبحانه : ﴿ وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

● **وكذلك الأوثان تتبرأ من عابديها** ، قال الله تعالى : ﴿ وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعضٍ ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

● **والجن كذلك** ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من

دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة[1] وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

● وكذلك **عيسى ابن مريم**[2] **عليهما السلام يتبرأ ممن عبدوه** ، قال الله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٧] .

● **وكذلك الجبابرة والظلمة يتبرأون ممن عبدهم وأطاعهم في معصية الله يوم القيامة** ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عندْ ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددنكم عن الهدى بعد إذ جآءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا * وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ [سبأ : ٣١ - ٣٣] .

---

(١) حمل عدد من أهل العلم هذه الآية على أن المعبودين (المدعوين من دون الله) هم الجن ، ونرى أن معناها هنا أوسع ، والله تعالى أعلم .

(٢) بيد أن عيسى ابن مريم عليهما السلام من أهل الجنة ومن أهل الوجاهة والدرجات العلى والمقربين فيها ، قال الله عز وجل في شأنه : ﴿ وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ [آل عمران : ٤٥] ، وأيضًا هو من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، وقد قال تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء :١٠١] .

● وقال تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

* * *

س : ما معنى ﴿ بهم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم ﴾ [البقرة : ١٦٦] ؟ وما المراد بـ ﴿ الأسباب ﴾ ؟

ج : أما ﴿ بهم ﴾ فمعناها (عنهم) وهي كقوله تعالى : ﴿ فسئل به خبيرا ﴾ [الفرقان : ٥٩] أي : فاسأل عنه خبيرًا .

● **أما معنى الأسباب** ، فالأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها الشخص إلى مطالبه وإلى ما يريد ، فقد يتوصل الشخص إلى مطلبه بجاهه ، وقد يتوصل بعمله ، وقد يتوصل بحيلةٍ يحتالها ، وقد يتوصل بقرابته ، وقد يتوصل بماله ، وقد يتوصل بصداقاته وأخلائه إلى غير ذلك من الوسائل فكل هذه أسباب ، فالمراد بقوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، أي : وانقطعت عنهم وسائل النجاة والخلاص التي يريدون أن ينجوا بها من عذاب الله عز وجل ، وها هي بعض أقوال أهل العلم في تفسير الأسباب وإيضاحها .

● وأخرج الطبري[(١)] من طرق عن عبيد المكتب عن **مجاهد** ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] قال : الوصال الذي كان بينهم في الدنيا ، وفي رواية : تواصلهم في الدنيا .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسناد حسنٍ[(٢)] **عن قتادة :** ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] : أسباب الندامة يوم القيامة ، وأسباب المواصلة

---

(١) الطبري (٢٤١٧) ، (٢٤١٨) ، (٢٤١٩) .

(٢) الطبري (أثر رقم ٢٤٢٤) .

التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها ويتحابُّون بها ، فصارت عليهم عداوة يوم القيامة ، ثم يوم القيامة يكفر بعضُكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ويتبرأ بعضكم من بعض ، وقال الله تعالى ذكره : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧] فصارت كل خلَّة عداوة على أهلها إلا خُلة المتقين .

• وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح[1] عن ابن زيد في قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] قال : أسباب أعمالهم ، فأهل التقوى أعطوا أسباب أعمالهم وثيقة فيأخذون بها فينجون ، والآخرون أعطوا أسباب أعمالهم الخبيثة فتقطَّعُ بهم فيذهبون في النار .

• وقال الطبري رحمه الله : (والأسباب) : الشيء يُتعلق به ، قال : و (السبب) : الحبل ، (والأسباب) : جمع (سبب) ، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طلبته وحاجته ، فيقال للحبل : (سبب) ، لأنه يُتسبب بالتعلق به إلى الحاجة التي لا يوصل إليها لا بالتعلق به . ويقال للطريق (سبب) ، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه . وللمصاهرة (سبب) ، لأنها سببٌ للحرمة . وللوسيلة (سبب) ، للوصول بها إلى الحاجة ، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة ، فهو (سبب) لإدراكها .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول في تأويل قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم – من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار – يتبرأ – معاينهم عذاب الله – المتبوعُ من التابع ، وتتقطع بهم الأسباب .

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بعضهم يلعنُ بعضًا ، وأخبر عن

---

(١) أثر (٢٤٣١) .

الشيطان أنه يقول لأوليائه : ﴿ ما أنا بمُصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ، وأخبر تعالى ذكره أن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضًا ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون * ما لكم لا تناصرون ﴾ [الصافات : ٢٤ - ٢٥] ، وأن الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه ، وإن كان نسيبه لله وليًا ، فقال تعالى ذكره في ذلك : ﴿ وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ [التوبة : ١١٤] ، وأخبر تعالى ذكره أن أعمالهم تصير عليهم حسرات .

وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب ، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به ، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه ، فهي منقطعة بأهلها . فلا خلال بعضهم بعضًا نفعهم عند ورودهم على ربهم ، ولا عبادتُهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم ؛ ولا دافعت عنهم أرحامهم فنصرتهم من انتقام الله منهم ، ولا أغنت عنهم أعمالهم ، بل صارت عليهم حسرات . فكل أسباب الكفار منقطعة .

فلا معنى أبلغ - في تأويل قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة :١٦٦] - من صفة الله [ذلك] ، وذلك ما بينا من [تقطع] جميع أسبابهم دون بعضها ، على ما قلنا في ذلك . ومن ادعى أن المعنى بذلك خاص من الأسباب ، سُئل عن البيان على دعواه من أصل لا منازع فيه ، وعورض بقول مخالفه فيه . فلن يقول في شيء من ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة : ١٦٦] أي : الوصلات التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من رحمٍ وغيره ، عن مجاهد وغيره ، الواحد سبب ووصلة ، وأصل السبب الحبل

يشدُّ به الشيء فيجذبه ، ثم جعل كل ما جرَّ شيئًا سببًا ، وقال السدي وابن زيد : إن الأسباب أعمالهم ، والسبب الناحية ومنه قول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا يَنلْنَه ولو رام أسبابَ السماء بِسُلَّم

● **وقال الرازي رحمه الله :** أصل السبب في اللغة الحبل ، قالوا : ولا يدعى الحبل سببًا حتى ينزل ويصعد به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ [الحج : ١٥] ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضعٍ أو حاجة تريدها : سبب ، يُقال ما بيني وبينك سبب ، أي : رحم ومودة ، وقيل للطريق : سبب ، لأنك بسلوكه تصل الموضع الذي تريده ، قال تعالى : ﴿ فأتبع سببًا ﴾ [الكهف : ٨٥] أي : طريقًا ، وأسباب السموات أبوابها ، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها ، قال تعالى مخبرًا عن فرعون : ﴿ لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات ﴾ [غافر : ٣٧] ، قال زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

والمودة بين القوم تسمى سببًا ، لأنهم بها يتواصلون .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ كذلك ﴾ من قوله تعالى : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات ﴾ [البقرة : ١٦٧] ماذا يراد به ؟

ج : المراد – والله أعلم – كما أنهم تبرأ بعضهم من بعض فأيضًا يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم .

وقيل أيضًا : كما أراهم الله العذاب في قوله : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٥] فكذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، والله أعلم .

س : هل الكفار لو ردُّوا إلى الدنيا لعبدوا الله وحده كما زعموا في قولهم : ﴿ لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ [البقرة : ١٦٧] ؟

ج : كلا بل هم كاذبون في دعواهم ، فلو ردو لعادوا إلى الكفر وموالاة أهله أيضًا ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام :٢٧ -٢٨] .

* * *

س : ما المراد بالأعمال في قوله تعالى : ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالأعمال هنا جملة أقوال :

القول الأول : أن المراد بالأعمال هنا الأعمال السيئة التي عملها الكفار فيُري اللَّهُ عز وجل للكفار أعمالهم السيئة فيودوا أنهم لم يعملوها وأنهم عملوا صالحًا غيرها .

وقد أخرج الطبري[1] رحمه الله بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿ أعمالهم حسرات ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، قال : أو ليس أعمالهم الخبيثةُ التي أدخلهم الله بها النار ؟ [فجعلها] حسرات عليهم . قال : وجعل أعمال أهل الجنة لهم ، وقرأ قول الله : ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ [الحاقة : ٢٤] .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : معنى قوله : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، كذلك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤٣٧) .

يري الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم ، لم عملوا بها ؟ وهلّا عملوا بغيرها ؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة ، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها ، لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندمًا عليهم .

فالذي هو أولى بتأويل الآية ، ما دلَّ عليه الظاهرُ دون ما احتمله الباطن الذي لا دلالة له على أنه المعنيُّ بها . والذي قال السدي في ذلك ، وإن كان مذهبًا تحتمله الآية ، فإنه منزع بعيد . ولا أثر – بأن ذلك كما ذكر – تقوم به حُجة فيسلم لها ، ولا دلالة في ظاهر الآية أنه المراد بها . فإذ كان الأمر كذلك ، لم يُحل ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل .

القول الثاني : أن المراد بالأعمال هنا أوامر الله التي أمرهم الله بها ونواهيه التي نهاهم عنها سبحانه ، فيُري الله عز وجل هذه الأوامر والنواهي للكافرين فيتحسروا على عدم امتثالهم لأوامره وعدم اجتنابهم نواهيه .

وقد حكى الطبري هذا القول عن قائليه فقال :

فقال بعضهم : معنى ذلك : كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيَّعوها ولم يعملوا بها ، حتى استوجب – ما كان الله أعدَّ لهم ، لو كانوا عملوا بها في حياتهم ، من المساكن والنِّعم – غيرهم بطاعته ربه . فصار ما فاتهم من الثواب – الذي كان الله أعده لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا ، إذ عاينوه عند دخول النار أو قبل ذلك – أسًى وندامةً وحَسرةً عليهم .

ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط[1] ، عن السدي : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة:١٦٧] ،

---

(١) أسباط تكلم فيه بعض أهل العلم .

زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها ، لو أنهم أطاعوا الله ، فيقال لهم : تلك مساكنكم لو أطعتم الله ! ثم تُقسم بين المؤمنين ، فيرثونهم . فذلك حين يندمون .

حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال حدثنا أبو الزعراء[٢] ، عن عبد الله – في قصة ذكرها – فقال : فليس نفسٌ إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار ، وهو يوم الحسرة . قال : فيرى أهلُ النار الذين في الجنة ، فيقال لهم : لو عملتم ! فتأخذهم الحسرة . قال : فيرى أهل الجَنة البيتَ الذي في النار ، فيقال : لولا أن منَّ الله عليكم !

فإن قال قائل : وكيف يكون مضافًا إليهم من العمل ما لم يعملوه على هذا التأويل ؟

قيل : كما يُعرض على الرجل العملُ فيقال [له] قبل أن يعمله : هذا عملك . يعني : هذا الذي يجب عليك أن تعمله ، وكما يقال للرجل يحضر غداؤه قبل أن يتغدى به : هذا غداؤك اليوم . يعني به : هذا ما تتغدى به اليوم . فكذلك قوله : ﴿ كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، يعني : كذلك يُريهم الله أعمالهم التي كان لازمًا لهم العمل بها في الدنيا ، حسراتٍ عليهم .

• **القول الثالث :** أن المراد بالأعمال هنا الأعمال الصالحة التي عملها الكفار في الدنيا وذهب ثوابها في الآخرة بسبب كفرهم فيتحسرون على تلك الأعمال التي عملوها وذهب ثوابها ، وذلك كما قال تعالى في شأن ذهاب ثواب تلك الأعمال .

---

(١) أبو الزعراء هو عبد الله بن هانىء قال البخاري فيه : لا يتابع في حديثه ..

● ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [إبراهيم : ١٨] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جآءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] .

● وثمَّ أقوال أخر منها : أن المراد بـ (أعمالهم) سيادتهم ووجاهتهم في الدنيا يتحسرون على ذهابها ، إلى غير ذلك من الأقوال ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ
ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا
يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ
بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ
﴿١٧١﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات .

حلالًا – طيبًا – خطوات الشيطان – مبين – السوء – الفحشاء – ألفينا – ينعق ؟

ج :

الكلمة	معناها
حلالًا	طلقًا – الحلال ما أحله الله في كتابه .
طيبًا	طاهرًا غير نجس ولا محرم – مستطابًا في نفسه غير ضار بالعقول والأبدان .
خطوات الشيطان	طرقه ومسالكه وأفعاله وما يأمر به من الخطايا[1] .

(١) وقال بعض أهل العلم : كل معصية فهي من خطوات الشيطان .

معناهـا	الكلمـة
ظاهر العداوة .	مبين
هو كل ما يُسيء صاحبه ، وقيل هو عموم المعاصي.	السـوء
الكبائر وما استفحش من الذنوب .	الفحشاء
وجدنا[1] .	ألفينا
ينادي - يصيح - يُصَوِّت .	ينعق[2] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري (٢٤٤٨) بإسناد حسن عن قتادة ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ [البقرة : ١٧٠] ، أي : ما وجدنا عليه آباءنا .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : (ينعق) فإنه يصوِّت بالغنم (النعيق والنُّعاق) ومنه قول الأخطل .

فَانْعِقْ بضأنك يا جَرِيرُ فـإنما ... مَنَّتْكَ نفسُك في الخلاء ضَلالًا

يعني : صوِّت به .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة : ١٦٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – كلوا من الطيب الذي أحللته لكم في الأرض واجتنبوا ما حرمته عليكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان الذي يهلككم ويرديكم فيحرم عليكم طيبات أحللتها لكم ، ويحل لكم ماحرمته عليكم .

قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد ﷺ ، فطيبته لكم – مما تحرمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرمه عليهم – دون ما حرمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجسته من ميتة ودم ولحم خنزير وما أهل به لغيري . ودعوا خطوات الشيطان – الذي يوبقكم فيهلككم ، ويوردكم موارد العطب ، ويحرم عليكم أموالكم – فلا تتبعوها ولا تعملوا بها ، إنه – يعني بقوله : (إنه) إن الشيطان ، و (الهاء) في قوله : (إنه) عائدة على الشيطان – لكم أيها الناس (عدو مبين) ، يعني : أنه قد أبان لكم عداوته ، بإبائه عن السجود لأبيكم ، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة ، واستزله بالخطيئة ، وأكل من الشجرة .

يقول تعالى ذكره : فلا تنتصحوه ، أيها الناس ، مع إبانته لكم العداوة ، ودعوا ما يأمركم به ، والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحللته لكم وحرمته عليكم ، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه ، طاعة منكم للشيطان واتباعًا لأمره .

* * *

س : نهانا الله عز وجل عن اتباع خطوات الشيطان وحذرنا منه في جملة آيات اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي .

● قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [النور : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [فاطر : ٦] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [يسٓ : ٦٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾ [القصص : ١٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] .

● والشيطان هو الذي نزغ بين نبي الله يوسف وبين إخوته كما قال : ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

● وقال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ...... ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

* * *

س : اذكر بعض الأدلة التي استدل بها الأصوليون على أن الأصل في المطعومات الحل ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا .... ﴾ [البقرة : ٢٩] .

وفي الحديث القدسي : « كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال .. »(١) .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٩] ، انتظم جميع الذنوب متسلسلة من الأصغر للأكبر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الآية بدأت بذكر السوء ، وقد قال بعض أهل العلم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ، مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبدًا حلالٌ ... » الحديث .
ونحلته ، أي : أعطيته .

إن المراد به هنا المعاصي ، ثم ثنت الآية بالفحشاء والمراد بها الكبائر ، ثم بقوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٦٩] ، فتدخل فيها البدع ويدخل فيها الكفر كذلك فتكون الآية الكريمة قد انتظمت المعاصي (في قوله : بالسوء) ، ثم الكبائر (في قوله : والفحشاء) ، ثم البدع والكفر (في قوله : وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر بعض عقوبات أكل الحرام ؟

ج : من هذه العقوبات منع استجابة الدعاء ، فقد ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له[1] .

***

س : ما المراد بالسوء ، وكذلك ما المراد بالفحشاء في قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ [البقرة : ١٦٩] ؟

ج : المراد بالسوء كل ما يسيء صاحبه ، والمعاصي من السوء لأنها تسيء إلى صاحبها بسوء العاقبة التي يلقاها ويصير إليها والفحشاء هي كبائر الذنوب (كالزنا واللواط ونحو ذلك) .

قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ﴾ [البقرة : ١٦٩] سمي السوء سوءًا ، لأنه يسوء صاحبه بسوء عواقبه . وهو مصدر ساءه يسوؤه سوءًا ومساءةً : إذا أحزنه . وسؤته فسيء : إذا أحزنته . فحزن ؛ قال الله تعالى : ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ [الملك : ٢٧] . وقال الشاعر :

---

(١) أخرجه مسلم (٧/٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

إن يك هذا الدهر قد ساءني فطالما قد سرني الدهر
الأمر عندي فيهما واحد لذاك شكرٌ ولذاك صبر

والفحشاء أصله قبح المنظر ؛ كما قال :

وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحشٍ

ثم استعملت اللفظة فيما يقبح من المعاني . والشرع هو الذي يحسن ويقبح ؛ فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء . وقال مقاتل : إن كل ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنه الزنى ؛ إلا قوله : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] فإنه منع الزكاة .

قلت : فعلى هذا قيل : السوء ما لا حد فيه ، والفحشاء ما فيه حدٌّ . وحكي عن ابن عباس وغيره ، والله تعالى أعلم .

✹ ✹ ✹

س : الشيطان يأمر بني آدم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ، اذكر شيئًا مما قاله بنو آدم وافتروه على الله عز وجل مما لا علم لهم به ؟

ج : من هذه الافتراءات : تقولهم على الله عز وجل في مسائل التحليل والتحريم ، فيحلون أشياء ويحرمون أشياء وينسبون ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، قال الله سبحانه : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ❊ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ❊ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة

لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علمٍ وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ [الأنعام : ١٣٦ - ١٤٠] .

● ومنها : تقولهم وافتراؤهم وقولهم هذه سائبة وتلك وصيلة وذاك حام ، وقد ردَّ الله عز وجل عليهم مزاعمهم تلك فقال سبحانه : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

كما قال تعالى : ﴿ قلْ أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حرامًا وحلالًا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ [يونس : ٥٩] .

ثم افتراءات على الله عز وجل كما زعمت اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة حيث قالوا : ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] وزعمهم أن يد الله مغلولة ، كما حكى الله ذلك عنهم فقال سبحانه : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ومزاعمهم مع النصارى : أن لله الولد ، كما حكى ذلك الله سبحانه عنهم فقال عز وجل : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

● وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأما قوله : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [البقرة :١٦٩] . فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي ، ويزعمون أن الله حرم ذلك . فقال تعالى ذكره لهم : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

فأخبرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن قيلهم : (إن الله حرم هذا !) من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان ، وأنه قد أحله لهم وطيبه ، ولم يحرم أكله عليهم ، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته ، طاعةً منهم للشيطان ، واتباعًا منهم خطواته ، واقتفاء منهم آثار أسلافهم الضلال وآبائهم الجهال ، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهالًا ، وعن الحق ومنهاجه ضلالًا – وإسرافًا منهم ، كما أنزل الله في كتابه على رسوله ﷺ فقال تعالى ذكره : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

***

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : في معناها :

فمعنى الآية : وإذا قيل لهؤلاء الكفار : كلوا مما أحل الله لكم ، ودعوا خطوات الشيطان وطريقه ، واعملوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ في كتابه – استكبروا عن الإذعان للحق وقالوا : بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه ، من تحليل ما كانوا يحلون ، وتحريم ما كانوا يحرمون .

قال الله تعالى ذكره : ﴿ أولو كان آباؤهم ﴾ – يعني : آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم – ﴿ لا يعقلون شيئًا ﴾ من دين الله وفرائضه ، وأمره ونهيه ، فيتبعون على ما سلكوا من الطريق ، ويؤتم بهم في أفعالهم – ﴿ ولا يهتدون ﴾ لرشد ، فيهتدي بهم غيرهم ، ويقتدي بهم من طلب الدين ، وأراد الحق والصواب ؟

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار : فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم

عليه آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم ، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا ولا هم مصيبون حقًّا ولا مدركون رشدًا" ، وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه ، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لا عقل له ولا تمييز .

***

س : الهاء والميم في قوله تعالى (لهم) من قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ [البقرة : ١٧٠] ترجع إلى من ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنها ترجع إلى متخذي الأنداد .

فالمعنى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .

● وذهب فريق من أهل العلم إلى أن الهاء والميم ترجع إلى الناس الذين خوطبوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

فالمعنى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان .. وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، لكن يقال هنا : إن قوله : يا أيها الناس كلوا .. خطاب للحاضر ، وقوله : وإذا قيل لهم.. حكاية عن الغائب ، فكيف يلتئم هذا ؟ ، فللإجابة على هذا التساؤل يقال : إن الانتقال في الخطاب من الحاضر إلى الغائب أو من الغائب إلى الحاضر واردٌ في كتاب الله عز وجل في مواطن عدة .

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ﴾ [يونس : ٢٢] فقال سبحانه : ﴿ كنتم ﴾ ، وقال : ﴿ وجرين بهم ﴾ .

وقال تعالى أيضًا : ﴿ وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا إن هذا كان لكم جزاءً

وكان سعيكم مشكورًا ﴾ [الإنسان : ٢١ ، ٢٢] فقال : ﴿ وسقاهم ﴾ ، ثم اتجه للمخاطب بقوله : ﴿ لكم ، وسعيكم ﴾ .

● وهذا التأويل الأخير هو الذي اختاره الطبري رحمه الله محتجًّا له بأمرين :

أحدهما : أن قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ [البقرة : ١٧٠] عقيب قوله : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

الثاني : أن قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله .. ﴾ [البقرة : ١٧٠] نزلت في اليهود فالآية على ذلك بعيدة السياق والمعنى عن قوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قلت (مصطفى) : أما الإسناد الذي أورده الطبري رحمه الله تعالى يثبت به أن الآية الكريمة نزلت في اليهود فهو إسناد ضعيف إذ هو من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول .

ولكن على كل حال فالآية تحتمل الوجهين المذكورين من التفسير ، والله أعلم .

● أما قوله : ﴿ اتبعوا ما أنزل الله ﴾ : أي : اعملوا بما أنزل الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فنفذوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم الله عنه وتدبروا ما فيه والعلم عند الله .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الآيات الدالة على ذم التقليد والمقلدة في الباطل ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا

عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ [لقمان : ٢١] .

● وقوله تعالى : ﴿ أم آتيناهم كتابًا من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [الزخرف : ٢١ - ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ [الجاثية : ١٨ ، ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ، ٦٨] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع

إلا دعاء ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] فيه تأويلان مشهوران لأهل العلم وضحهما ؟

ج : **التأويل الأول هو** : ومثل واعظ الذين كفروا الذي يعظهم مع هؤلاء الكفار كمثل صاحب بقر أو غنم أو بهيمة يناديها وينعق بها فتسمع ما يقول لكنها لا تفقه منه شيئًا ، فهناك أربعة أطراف :

١ - واعظ[1] الذين كفروا ٢ - الذين كفروا

٣ - الناعق الذي ينعق (وهو الراعي) ٤ - الذي لا يسمع (وهي : الدواب التي يرعاها) .

فحال واعظ الذين كفروا مع الذين كفروا كحال الراعي مع البهائم التي يناديها ، فكما أن البهائم لا تفهم من راعيها شيئًا إلا صوته ، فكذلك الذين كفروا لا يفهمون من واعظهم شيئًا إلا صوته فعلى ذلك فالذين كفروا بهائم ، ويؤيد كونهم بهائم ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

● قوله تبارك وتعالى : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة ﴾ [المدثر : ٤٩ -٥١] .

● قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

---

(١) وواعظ الكفار هو كل داعٍ لهم إلى الخير ، وبالدرجة الأولى هو نبينا محمد ﷺ .

• وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾ [الجمعة : ٥] .

• **والوجه الثاني من أوجه التأويل :** ومثل الذين كفروا مع آلهتهم التي يدعونها من دون الله (عند ندائهم لها وطلبهم منها) كمثل الراعي حين ينادي البهائم التي لا تفهم عنه ولا تعي ما يقول .

فهناك أيضًا أربعة أطراف :

١ – الذين كفروا حين ينادون ٢ – الآلهة

٣ – الراعي حين ينادي ٤ – بهائمه

فكما أن البهائم لا تعقل شيئًا إلا أنها تسمع الدعاء والنداء ، فكذلك الآلهة التي تدعى من دون الله لا تعقل شيئًا[١] .

وها هي بعض أقوال أهل العلم في ذلك [٢] :

• **قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى :**

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم معنى ذلك : مثل الكافر – في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به – مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها ولا تعقل ما يقال لها .

ثم أورد جملة آثار منها : أثر قتادة[٣] بإسناد حسن قوله : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] يقول : مثل الكافر كمثل البعير والشاة يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدري ما عني به .

---

(١) وإن قدر سماع فهو سماع الجنية التي في بعضها .

(٢) وسنستفيض في إيراد أقوالهم حتى يتضح المعنى تمامًا إن شاء الله .

(٣) أثر (٢٤٥٦) ، والآثار التي أشرنا إليها – غير هذا – في أسانيدها ضعف .

ثم قال الطبري رحمه الله : ومعنى قائلي هذا القول – في تأويلهم ما تأولوا ، على ما حكيت عنهم – : ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم ، كمثل نعق الناعق بغنمه ونعيقه بها . فأضيف (المثل) إلى الذين كفروا ، وترك ذكر (الوعظ والواعظ) ، لدلالة الكلام على ذلك . كما يقال : (إذا لقيت فلانًا فعظمه تعظيم السلطان) ، يراد به : كما تعظم السلطان ، وكما قال الشاعر :

فلست مسلمًا ما دمت حيًّا　　على زيدٍ بتسليم الأمير

يراد به : كما يسلم على الأمير .

وقد يحتمل أن يكون المعنى – على هذا التأويل الذي تأوله هؤلاء – : ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله ، كمثل المنعوق به من البهائم ، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت . وذلك أنه لو قيل له : (اعتلف ، أورد الماء) ، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله . فكذلك الكافر ، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه – بسوء تدبره إياه وقلة نظره وفكره فيه – مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهي عنه . فيكون المعنى للمنعوق به ، والكلام خارجٌ على الناعق ، كما قال نابغة بني ذبيان :

وقد خفت ، حتى ما تزيد مخافتي　　على وعلٍ في ذي المطارة عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي ، وكما قال الآخر :

كانت فريضة ما تقول ، كما　　كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى : كما كان الرجم فريضة الزنا ، فجعل الزنا فريضة الرجم ، لوضوح معنى الكلام عند سامعه ، وكما قال الآخر :

إن سراجًا لكريمٌ مفخره　　تحلى به العين إذا ما تجهره

والمعنى : يحلى بالعين ، فجعله تحلى به العين . ونظائر ذلك من كلام العرب أكثر من أن تحصى ، مما توجهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما

صاحبه ، لظهور معنى ذلك عند سامعه ، فتقول : (اعرض الحوض على الناقة) ، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وما أشبه ذلك من كلامها .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل ، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ، وذلك الصدى الذي يسمع صوته ولا يفهم به عنه الناعق شيئًا .

فتأويل الكلام على قول قائلي ذلك : ومثل الذين كفروا وآلهتهم - في دعائهم إياها وهي لا تفقه ولا تعقل - كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعق إلا دعاءً ونداءً ، أي : لا يسمع منه الناعق إلا دعاءه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله[1] : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] ، قال : الرجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يراجعه يقال له (الصدى) . فمثل آلهة هؤلاء لهم ، كمثل الذي يجيبه بهذا الصوت ، لا ينفعه ، لا يسمع إلا دعاء ونداء . قال : والعرب تسمي ذلك الصدى .

وقد تحتمل الآية على هذا التأويل وجهًا آخر غير ذلك . وهو أن يكون معناها : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم ، كمثل الناعق بغنم له من حيث لا تسمع صوته غنمه ، فلا تنتفع من نعقه بشيء ، غير أنه في عناء من دعاء ونداء . فكذلك الكافر في دعائه آلهته ، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها ، ولا ينفعه شيء .

قال أبو جعفر : وأولى التأويل عندي بالآية ، الأول الذي قاله ابن عباس

---

(١) صحيح عن ابن زيد

ومَن وافقه عليه . وهو أن معنى الآية : ومثل وَعظ الكافر وواعظه ، كمثل الناعق بغنمه ونَعيقه ، فإنه يسمع نَعقه ولا يعقل كلامه ، على ما قد بينا قبل .

فأما وجه جواز حذف (وعظ) اكتفاء بالمثل منه ، فقد أتينا على البيان عنه في قوله ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا ﴾ [البقرة : ١٧] ، وفي غيره من نظائره من الآيات ، بما فيه الكفاية من إعادته .

وإنما اخترنا هذا التأويل ، لأن هذه الآية نزلت في اليهود ، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها ، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها ، ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضرها . ولا وجه – إذ كان ذلك كذلك – لتأويل من تأول ذلك أنه بمعنى : مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها .

فإن قال قائل : وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود ؟

قيل : دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها ، فإنهم هم المعنيون به .

فكان ما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم ، أحق وأولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم ، حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم . هذا مع ما ذكرنا من الأخبار عمن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت ، والرواية التي روينا عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم[1] . وبما قلنا

(١) قال شاكر رحمه الله هذا موضع مشكل في كلام أبي جعفر رضي الله عنه ، كان ينبغي أن يبينه فضل بيان . فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التي قبل هذه الآية نزلت في يهود ، وليس كذلك . ثم عاد بعد قليل يقول : « هذا مع الرواية التي رويناها عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم » – يعني في يهود . ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته ، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التي =

من أن هذه الآية معني بها .

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) .

تضمن هذا المثل : ناعقًا أي : مصوتًا بالغنم وغيرها ، ومنعوقًا به .

= « قبل هذه الآية » نزلت فيهم ، فيما روي عن ابن عباس - معنى مفهوم .

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول : إن الآيات السالفة نزلت في اليهود - إلا الآيات الأخيرة من أول قوله : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴾ إلى قوله : ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ [البقرة : ١٦٣ - ١٧٠] ، فهي قد نزلت في كفار العرب ، وذكر ابن عباس أن الآية الأخيرة : (١٧٠) نزلت في يهود أيضًا . ثم أن الآيات بعدها هي ولا شك في يهود وأهل الكتاب ، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود . فكأنه جعل الآيات من (١٦٣ - ١٦٩) اعتراضًا في سرد قصة واحدة ، هي قصة يهود .

فإن لم يكن ذلك كذلك ، فلست أدري كيف يتسق كلامه . فهو منذ بدأ في تفسير هذه الآيات من ١٦٣ - ١٦٩ لم يذكر إلا أهل الشرك وحدهم ، وبين أن المقصود بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ - هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص٣٠٠) ، ثم عاد في تأويل قوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ فقال : فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي (ص٣٠٣) . واليهود ، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها ، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر ، فهم أيضًا لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر في تفسير الآيات السالفة . فهذا تناقض منه رحمه الله - إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التي ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركو العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل .

والصواب من القول عندي ، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة ، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها في ذكر المشركين الذي قال الله لهم : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا ﴾ ، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو أول قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ والآيات التي تليها . وانظر ما سيأتي : ٣١٧ ، فإنه قد عاد هناك ، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية ، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم ، وهو تناقض شديد .

وهو الدواب فقيل : الناعق العابد ، وهو الداعي للصنم . والصنم : هو المنعوق به المدعو ، وأن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه . هذا قول طائفة . منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره .

واستشكل صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول ، وقالوا : قوله ﴿ إلا دعاءً ونداءً ﴾ [البقرة : ١٧١] لا يساعد عليه . لأن الأصنام لا تسمع دعاء ولا نداءً .

وقد أجيب عن هذا الاستشكال بثلاثة أجوبة .

أحدها : أن « إلا » زائدة . والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء .

قالوا : وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر :

حراجيـح ما تنفـك إلا مناخـة

أي : ما تنفك مناخة . وهذا جواب فاسد . فإن « إلا » لا تزاد في الكلام المثبت .

الجواب الثاني : أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء ، لا في خصوصيات المدعو .

الجواب الثالث : أن المعنى : أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعائهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع من نعيقه بشيء ، غير أنه هو في دعاء ونداء . وكذلك المشرك ليس له من دعائه وعبادته وليه الميت إلا العناء .

وقيل : المعنى : ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي أكثر من الصوت . فإن الراعي هو داعي الكفار ، والكفار هم البهائم المنعوق بها .

قال سيبويه : المعنى : ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق

والمنعوق به .

وعلى قوله فيكون المعنى : مثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق ولك أن تجعل هذا من التشبيه المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق .

فإن جعلته من المركب كان تشبيهًا للكفار – في عدم فقههم وانتفاعهم – بالغنم التي ينعق بها الراعي ، فلا تفقه من قوله شيئًا غير الصوت المجرد ، الذي هو الدعاء والنداء .

وإن جعلته من التشبيه المفرق ، فالذين كفروا بمنزلة البهائم ، ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمنزلة البهائم التي ينعق بها ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق ، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى** : والمعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى .

● وقال أيضًا : وقال قُطْرب : المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم – يعني الأصنام كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي .

وقال ابن سعدي رحمه الله :

ثم قال تعالى ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ .

لما بين تعالى ، عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل ، وردهم لذلك ، بالتقليد ، وعلم من ذلك أنهم غير قابلين للحق ، ولا مستجيبين له ، بل كان معلومًا لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم أخبر تعالى أن مثلهم – عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان – كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها ،

وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها .

فهم لا يسمعون مجرد الصوت ، الذي تقوم عليه الحجة ، ولكنهم لا يفقهونه فقهًا ينفعهم ، فلهذا كانوا صمًّا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول ، عميًا ، لا ينظرون نظر اعتبار ، بكمًا ، فلا ينطقون بما فيه خير لهم .

والسبب الموجب لذلك كله ، أنه ليس لهم عقل صحيح ، بل هم أسفه السفهاء ، وأجهل الجهلاء .

فهل يستريب العاقل ، أن من دعي إلى الرشاد ، وذيد عن الفساد ، ونهي عن اقتحام العذاب ، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه ، وفوزه ، ونعيمه فعصى الناصح ، وتولى عن أمر ربه ، واقتحم النار على بصيرة ، واتبع الباطل ، ونبذ الحق- أن هذا ليس له مسكة من عقل ، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء ، فإنه من أسفه السفهاء .

وقال الزجاج (في معاني القرآن وإعرابه) رحمه الله :

وضرب الله عز وجل لهم هذا المثل وشبههم بالغنم المنعوق بها بما لا يسمع منه إلا الصوت فالمعنى مثلك يا محمد ومثلهم كمثل الناعق و المنعوق به بما لا يسمع لأن سمعهم ما كان ينفعهم فكانوا في شركهم وعدم قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع ، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع : أصم ، قال الشاعر :

أصمُّ عما ساءَه سميع

وقال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير ص١/١٧٤) :

قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ﴾ .

في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : أن معناها : ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي ،

وهذا قول الفراء ، وثعلب ، قالا جميعًا : أضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبههم بالراعي ، ولم يقل : كالغنم ، والمعنى : ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت ، فلو قال لها الراعي : ارعي ، أو اشربي ؛ لم تدر ما يقول ، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن ، وإنذار الرسول ، فأضيف التشبيه إلى الراعي ، والمعنى في المرعي ، وهو ظاهر كلام العرب ، يقولون : فلان يخافك كخوف الأسد ، والمعنى : كخوفه الأسد . قال الشاعر :

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناءُ فريضةُ الرجم

المعنى : كما كان الرجم فريضة الزنى .

والثاني : أن معناها : ومثل الذين كفروا ، ومثلنا في وعظهم ، كمثل الناعق والمنعوق به ، فحذف : ومثلنا ، اختصارًا ، إذ كان الكلام ما يدل عليه . وهذا قول ابن قتيبة ، والزجاج .

والثالث : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون ، كمثل الذي ينعق ، هذا قول ابن زيد ، والذي ينعق هو الراعي ، يقال : نعق بالغنم ، ينعق نعقًا ونعيقًا ونعاقًا ونعقانًا . قال ابن الأنباري : والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال : نعق ، إلا في الصياح بالغنم وحدها ، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى . ﴿ صم بكم ﴾ [البقرة : ١٧١] إنما وصفهم بالصم البكم ، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع ، وكذلك في النطق والنظر ، وقد سبق شرح هذا المعنى .

* * *

س : كيف يقال عن الكفار : إنهم ﴿ صم وبكم وعمي ﴾ مع أنهم يسمعون ويتكلمون ويبصرون ؟

ج : المراد – والله أعلم – أنهم صم عن سماع الحق فلا يسمعونه وإن سمعوه لا يعقلوه ، وبكمٌ أي : خرس عن التكلم به ، وعميٌ عن رؤيته والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله :

يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ صم بكم عميٌ ﴾ [البقرة :١٧١] هؤلاء الكفار الذين مثلهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً و نداءً ﴿ صمٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] عن الحق فهم لا يسمعون ﴿ بكمٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] يعني خرس عن قيل الحق والصواب والإقرار بما أمرهم الله أن يقرُّوا به وتبيين ما أمرهم الله تعالى ذكره أن يبينوه من أمر محمد ﷺ للناس فلا ينطقون به ولا يقولونه ولا يبينونه للناس ﴿ عميٌ ﴾ [البقرة : ١٧١] عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه .

ثم أورد الطبري رحمه الله أثرًا بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : قوله : ﴿ صم بكم عمي ﴾ [البقرة : ١٧١] يقول : صم عن الحق فلا يسمعونه ولا ينتفعون به ولا يعقلونه ، عمي عن الحق والهدى فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به[١] .

❋ ❋ ❋

(١) الطبري (أثر ٢٤٦٤) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾

س : اذكر معاني ما يلي :
كلوا من طيبات ما رزقناكم - اضطر ؟

ج :

الكلمــــة	**معناهــــا**
كلوا من طيبات ما رزقناكم	كلوا من الرزق الحلال الطيب الذي أحللته لكم فطاب لكم بتحليلي إياه
اضـطـر	ألجأته الضرورة[1]

❋ ❋ ❋

(١) وقد تكون الضرورة بالجوع المفضي إلى الموت أو الذي يخشى منه الموت ، أو تكون الضرورة بإكراه من عدو إلى غير ذلك ، والله أعلم .

س : رزق الله للعباد يستلزم الشكر ، ومزيد الرزق يستلزم مزيد الشكر وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن العبد عليه أن يكون فطنًا ذكيًّا فكلما أنعم الله عليه بنعمة أحدث لها شكرًا فتزداد نعم الله عليه ، وإلا سلبت منه تلك النعم ، وكان الجحود مؤذنًا بزوالها .

ألا ترى أن سليمان عليه السلام لما أنعم الله عليه بما أنعم ورأى عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده ماذا قال ؟!!

● قال عليه السلام : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [النمل : ٤٠] ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه ماذا قال الله له ، قال عز وجل : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

● وقال الله تعالى لأهل الإيمان لما منَّ عليهم بالرزق الحلال : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وقال تعالى لقوم سبإ : ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ : ١٥] ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيبًا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [النحل : ١١٤] .

● ولما أنعم الله على يوسف عليه السلام بالتوحيد والإيمان ماذا قال ؟

قال عليه السلام : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [يوسف : ٣٨] .

● وقال سبحانه : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرهًا

ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ [الأحقاف : ١٥ ، ١٦] .

● وقال النبي ﷺ : « إن الله يحب إذا أكل أحدكم الأكلة أن يحمده عليها وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها » .

● وقال نوح لما نجاه الله من القوم الظالمين : ﴿ الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ [المؤمنون : ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحث على شكر الله على نعمه وآلائه .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] ؟

ج : المراد – والله أعلم – اشكروا لله إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين ، فكلوا مما أباحه لكم ، ودعوا ما حرَّمه الشيطان عليكم .

❋ ❋ ❋

س : أمر الله عز وجل المؤمنين بما أمر به المرسلين في أكل الطيبات ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه فيما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ [المؤمنون : ٥١]

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] ...» الحديث .

***

س : ما هي صلة هذه الآية ﴿ إنما حرَّم عليكم الميتة والدم ... ﴾ [البقرة : ١٧٣] بالآية التي قبلها ؟

ج : الصلة بين الآيتين تتضح من إيراد المعنى ، وهو كلوا أيها المؤمنون مما أحللته لكم واشكروا نعم الله عليكم في تحليله لكم ما أحله وتطييبه لكم ، ولا تحرموا على أنفسكم الطيبات التي أحللتها لكم ، ولاتعتقدوا في شيء أنه محرم فتمتنعون من أكله فإن الذي حرَّمته عليكم إنما هو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، وما سوى ذلك فهو لكم حلال .

قال الطبري رحمه الله : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] يعني : اطعموا من حلال الرزق الذي أحللناه لكم فطاب لكم بتحليلي إياه لكم مما كنتم تحرمون أنتم ولم أكن حرمته عليكم من المطاعم والمشارب ، ﴿ واشكروا لله ﴾ [البقرة : ١٧٢] يقول : وأثنوا على الله بما هو أهله منكم على النعم التي رزقكم وطيَّبها لكم ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة : ١٧٢] يقول : إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين فكلوا مما أباح لكم وحلله وطيبه لكم ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان . وقد ذكرنا بعض ما كانوا في جاهليتهم يحرمونه من المطاعم وهو الذي ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه إذ كان تحريمه إياه في الجاهلية طاعة منهم للشيطان ، واتباعًا لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف ثم بيَّن لهم تعالى ذكره ما حرَّم عليهم وفصَّله لهم مُفسرًا .

***

س : هل هناك محرمات أخرى أضيفت إلى ما في هذه الآية الكريمة ؟

ج : نعم هناك محرمات أخرى منها : كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي ناب من السباع فقد حرَّمها النبي ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : القراءة في ﴿ الميتة ﴾ هل هي بالتخفيف أم بالتشديد ؟

ج : ذكر الطبري رحمه الله تعالى فيها الوجهين فقال رحمه الله :

وأما ﴿ الميتة ﴾ ، فإن القرأة مختلفة في قراءتها . فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون في : « هو هيِّن ليِّن » « الهيْن الليْن » ، كما قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميْتُ ميِّتُ الأحياء

فجمع بين اللغتين في بيت واحد ، في معنى واحد .

وقرأها بعضهم بالتشديد ، وحملوها على الأصل ، وقالوا : إنما هو (مَيْوِت) (فيعل) ، من الموت . ولكن (الياء)لساكنة و (الواو) المتحركة لما اجتمعتا ، (والياء) مع سكونها متقدمة ، قلبت (الواو) (ياء) وشددت ، فصارتا (ياء) مشددة ، كما فعلوا في ذلك في (سيد وجيد) . قالوا : ومن خففها ، فإنما طلب الخفة . والقراءة بها على أصلها الذي هو أصلها أولى .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في « ياء » « الميتة » لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب ، فبأيهما قرأ ذلك القارىء فمصيب . لأنه لا اختلاف في معنييهما .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالإهلال في قوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟ ، وما المراد بقوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ ؟

ج : المراد بالإهلال رفع الصوت ، ومن ثمَّ قيل للملبي : مُهل ؛ لرفعه صوته بالتلبية ، وقال النبي ﷺ : « ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان في خاصرته حين يولد فيستهل صارخًا .. » الحديث فالإهلال رفع الصوت .

أما قوله تعالى : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] فمعناه – والله أعلم – وما ذبح وذكر عليه اسم غير اسم الله تبارك وتعالى ، وذلك أنهم كانوا يذكرون اسم آلهتهم على الذبيحة ويرفعون أصواتهم بذلك .

وأخرج الطبري رحمه الله بإسنادٍ صحيح إلى ابن وهب قال : قال ابن زيد – وسألته عن قول الله : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : ما يذبح لآلهتهم ، الأنصابُ التي يعبدونها ويسمون أسماءها عليها ، قال : يقولون : (باسم فلان) ، كما تقول أنت : (باسم الله) ، قال : فذلك قوله : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾[١] .

ومن العلماء من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [البقرة : ١٧٣] ما ذبح لغير الله[٢] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

القول الأول : غير باغ على الناس خارجٍ على الأئمة بسيفه بغير حق ولا خارج في معصية الله ولا مفارق للجماعة ولا عاديًا عليهم بحرب وعدوان ، فمن خرج وهو مفارق للجماعة أو خرج على إمام المسلمين أو خرج قاطعًا للطريق ولم يجد طعامًا فليس له أن يأكل من الميتة والدم ولحم الخنزير .

---

(١) الطبري أثر (٢٤٧٦) .

(٢) وقد أخرج ذلك الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة (أثر ٢٤٦٨) .

وممن قال بهذا القول مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى ، فقد روى الطبري ذلك عنه من عدة طرق[1] .

والقول الثاني : وهو غير باغ غير طالب للحرام وللشهوة ، و ﴿ لا عاد ﴾ أي : ولا متعد القدر الذي أبيح له أن يأكله .

فليس له أن يطلب الحرام وينشده ، وليس له أن يأكل أكثر من حاجته .

وقد أخرج الطبري[2] بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : غير باغ في أكله ولا عادٍ أن يتعدى حلالًا إلى حرام وهو يجد عنه مندوحة .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد[3] في قوله : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] قال : أن يأكل ذلك بغيًا وتعديًا عن الحلال إلى الحرام ويترك الحلال وهو عنده ، ويتعدى بأكل هذا الحرام هذاالتعدي ينكر أن يكونا مختلفين ويقول : هذا وهذا واحد .

● قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرم عليه من أكله ، ولا عاد في أكله ، وله عن ترك أكله – بوجود غيره مما أحله الله له – مندوحة وغِنى .

وذلك أن الله تعالى ذكره لم يرخص لأحد في قتل نفسه بحال . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا شك أن الخارج على الإمام والقاطع الطريق ، وإن كانا قد أتيا ما حرَّم الله عليهما – : من خروج هذا على من خرج عليه ، وسعي هذا بالإفساد في الأرض – فغير مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حرم الله

(١) وقد تعقب الطبري هذا القول كما سيأتي إن شاء الله .
(٢) الطبري أثر (٢٤٨٧) .
(٣) الطبري أثر (٢٤٩٢) .

عليهما – ما كان حرم الله عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك – من قتل أنفسهما . (وردُّهما إلى محارم الله عليهما بعد فعلهما ما فعلا ، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مُرخَّصًا لهما قبل ذلك من فعلهما ، وإن لم نر ردَّهما إلى محارم الله عليهما تحريمًا فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حرامًا) . فإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب على قطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة ، الأوبة إلى طاعة الله ، والرجوع إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه ، والتوبة من معاصي الله – لا قتل أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إلى إثمهما إثمًا ، وإلى خلافهما أمر الله خلافًا .

وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه غير باغ في أكله شهوة ، فأكل ذلك شهوة ، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك – مما قد دخل فيما حرمه الله عليه – فهو بمعنى ما قلنا في تأويله ، وإن كان للفظه مخالفًا .

فأما توجيه تأويل قوله : ﴿ ولا عاد ﴾ ، ولا آكل منه شبعة ، ولكن ما يمسك به نفسه ، فإن ذلك ، بعض معاني الاعتداء في أكله . ولم يخصص الله من معاني الاعتداء في أكله معنى ، فيقال : عنى بعض معانيه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول ما قلنا : من أنه الاعتداء في كل معانيه المحرمة .

وقال الماوردي في تفسيره : وفي قوله ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ [البقرة : ١٧٣] ثلاثة أقاويل :

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم فيدخل الباغي على الإمام وأمته ، والعادي قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير .

والثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعديًا بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة والحسن وعكرمة والربيع وابن زيد .

والثالث : غير باغ في أكلها شهوة وتلذذًا ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي ، وأصل البغي في اللغة : قصد الفساد يقال : بغت المرأة تبغي بغاءً إذا فجرت ، وقال الله عز وجل : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا ﴾ [النور : ٣٣] ، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد ، والعرب تقول : خرج الرجل في بغاء إبل له ، أي : في طلبها ومنه قول الشاعر :

لا يمنعنــك مــن بغـــاء الخيـر تعقــادُ التمائـــم
إن الأشائـــم كالأيـــا مــن والأيامــن كالأشـائـــم

● **وذهب الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان إلى أن** الباغي والعادي هو المتجانف لإثم ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فمن اضطر في مخمصة غير متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٣] ثم قال : والمتجانف المائل ومنه قول الأعشى :

تجانف عن حجر اليمامة ناقتي وما قصدت من أهلها لسوائكا

فيفهم من الآية : أن الباغي والعادي كلاهما متجانف لإثم وهذا غاية ما يفهم منها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] من التأويل في هذه الآية الكريمة : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : موقعها أن من أكل شيئًا من هذه الأطعمة المحظورة مضطرًّا إليها غير باغ ولا عاد فإن الله غافر له ذنبه رحيم بكم إن أطعتموه .

قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة: ١٧٣] أي : يغفر المعاصي ، فأولى ألا يؤاخذ بما رخَّص فيه ، ومن

رحمته أنه رخَّص .

وقال **الطبري** رحمه الله : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ .

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ، ﴿ إن الله غفورٌ ﴾ : إن أطعتم الله في إسلامكم ، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم ، وتركتم اتباع الشيطان فيما كنتم تحرمونه في جاهليتكم – طاعة منكم للشيطان واقتفاء منكم خطواته – مما لم أحرمه عليكم ، لما سلف منكم ، في كفركم وقبل إسلامكم ، في ذلك من خطأ وذنب ومعصية ، فصافحٌ عنكم ، وتارك عقوبتكم عليه ، ﴿ رحيم ﴾ بكم إن أطعتموه .

* * *

س : اذكر آيتين في معنى قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٧٣] ؟

ج : أما الآية الأولى فهي قوله تعالى من سورة النحل : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ﴾ [النحل : ١١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وثمَّ آية أخرى من سورة المائدة : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية

والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح علىٰ النصب .. إلى قوله تعالى ... فمن اضطر في مخمصة غير متجانفٍ لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٣] .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .. ﴾ عامٌّ فهل جاءه تخصيص ؟

ج : نعم خصصت الآية الكريمة .

فالميتة أبيح منها ميتة السمك والجراد ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة .. ﴾[1] [المائدة : ٩٦] وحديث جابر رضي الله عنه في العنبر يخصص الآية الكريمة وكذلك[2] الحوت الذي قذفه البحر

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ﴾ الآية ظاهر هذه الآية : أن جميع أنواع الميتة والدم حرام ، ولكنه بين في موضع آخر أن ميتة البحر خارجة عن ذلك التحريم ، وهو قوله : ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾ [المائدة : ٩٦] الآية ، إذ ليس للبحر طعامٌ غير الصيد إلا ميتته وما ذكره بعض العلماء من أن المراد ب (طعامه) قديده المجفف بالملح مثلًا ، وأن المراد ب (صيده) الطري منه ، فهو خلاف الظاهر لأن القديد من صيده فهو صيد جعل قديدًا ، وجمهور العلماء على أن المراد بطعامه ميتته .

● وقال القرطبي رحمه الله تعالى : وأكثر أهل العلم على جواز أكل جميع دواب البحر حيها وميتها .

(٢) أخرج البخاري (٤٣٦١) ، ومسلم (حديث ١٩٣٥) من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ ونحن ثلاثمائة راكب . وأميرنا أبو عبيدة ابن الجراح . نرصد عيرًا لقريش . فأقمنا بالساحل نصف شهر . فأصابنا جوع شديدٌ . حتى أكلنا الخبط . فسمي جيش الخبط . فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر . فأكلنا منها نصف شهر . وادهنا من ودكها حتى ثابت أجسامنا[1] قال : فأخذ أبو عبيدة ضلعًا من أضلاعه فنصبه[2] . ثم نظر إلى أطول رجل في =

---

(١) ثابت أجسامنا ، أي : رجعت إلى الحالة الأولى .

(٢) فنصبه ، كذا هو في النسخ : فنصبه . والضلع مؤنث . ووجه التذكير أنه أراد العضو .

= الجيش ، وأطول جملٍ فحمله عليه . فمر تحته . قال : وجلس في حجاج[1] عينه نفرٌ . قال : وأخرجنا من وقب عينه كذا وكذا قلة ودكٍ[2] . قال : وكان معنا جرابٌ من تمرٍ فكان أبو عبيدة يعطي كل رجلٍ منا قبضة قبضةٍ ثم أعطانا تمرةً تمرةً . فلما فني وجدنا فقده .

وفي رواية لمسلم (ص ١٥٣٥) عن جابر . قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة . نتلقى عيرًا[3] لقريش . وزودنا جرابًا[4] من تمرٍ لم يجد لنا غيره . فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرةً . قال فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نمصها[5] كما يمص الصبي . ثم نشرب عليه من الماء . فتكفينا يومنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخبط[6] . ثم نبله بالماء فنأكله . قال : وانطلقنا على ساحلِ البحر . فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب[7] الضخم . فأتيناه فإذا هي دابةٌ تدعى العنبر . قال : قال أبو عبيدة : ميتةٌ ثم قال : لا . بل نحن رسل رسول الله ﷺ . وفي سبيل الله . وقد اضطررتم فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهرًا . ونحن ثلاث مائةٍ حتى سمنا . قال : ولقد رأيتنا نغترف من وقب[8] عينه ، بالقلال[9] ، الدهن ونقتطع منه الفدر[10] كالثور (أو كقدر الثور[11]) فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلًا . فأقعدهم في وقب عينه . وأخذ ضلعًا . من أضلاعه . فأقامها ثم رحل[12] أعظم بعير معنا . فمر من تحتها . وتزودنا من لحمه وشائق[13] . فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ . =

---

(١) حجاج ، الحاء مكسورة ومفتوحة .لغتان مشهورتان. وهو بمعنى وقب عينه المذكور في الرواية السابقة.
(٢) ودك : هو دسم اللحم .
(٣) عيرًا : العير هي الإبل التي تحمل الطعام وغيره .
(٤) جرابا ، بكسر الجيم وفتحها . الكسر أفصح وهو : وعاء من جلد .
(٥) نمصها ، بفتح الميم وضمها . الفتح أفصح وأشهر .
(٦) الخبط : ورق السلم .
(٧) الكثيب : هو الرمل المستطيل المحدودب .
(٨) وقب : هو داخل عينه ونقرتها .
(٩) بالقلال ، جمع قلة : وهي الجرة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه ، أي : يحملها .
(١٠) الفدر : هي القطع .
(١١) كقدر الثور : رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا : أحدهما بقاف مفتوحة ودال ساكنة أي : مثل الثور ، والثاني كفدر جمع فدرة . والأول أصح .
(١٢) رحل ، أي : جعل عليه رحلًا .
(١٣) وشائق : قال أبو عبيد : هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ، ولا ينضج ، ويحمل في الأسفار . يقال : وشقت اللحم فاتشق . والوشيقة الواحدة منه . والجمع وشائق ووشق . وقيل : الوشيقة القديد .

لأصحاب رسول الله ﷺ فأكلوا منه وقول النبي ﷺ في البحر : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته »[(١)] .

وقال ابن عمر : أحلت لنا ميتتان ودمان ، أما الميتتان فالسمك والجرادْ ، وأما الدمان فالكبد والطحال[(٢)] .

= فذكرنا ذلك له . فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم . فهل معكم من لحمه شيءٌ فتطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه . فأكله .

وأخرج مسلم كذلك في آخر صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (حديث ٣٠١٤) : وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال : « عسى الله أن يطعمكم » ، فأتينا سيف البحر فزخر البحر زخرة فألقى دابة فأورينا على شقها النار فاطَّبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا ، قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعًا من أضلاعه فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل في الركب فدخل تحته ما يطأطىء رأسه .

(١) صححه عددٌ من أهل العلم منهم البخاري رحمه الله (ليس معنى ذلك أنه أخرجه في صحيحة ، فقد يصحح البخاري أحاديث ليست في صحيحه ، والحديث ليس في صحيح البخاري) ولمزيد من الوقوف على طرقه ومن صححه وأقوال العلماء فيه انظر التلخيص الحبير (حديث رقم ١) فهو أول حديث فيه .

(٢) صحيح موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما لكن له حكم الرفع فقول الصحابي : (أُحل لنا كذا) ، له حكم الرفع عند جمهور المحدثين ، وقد رواه موقوفًا على ابن عمر البيهقي رحمه الله تعالى في السنن الكبرى (٢٥٤/١) وفي السنن الصغرى (٤٠٨/٢) وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان .... الحديث » ، وقد أخرجه من هذا الوجه المرفوع الشافعي في مسنده (ص٣٤٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٤١/٢) ، وأحمد في المسند (٩٧/٢) ، وابن ماجه في سننه (٣٢١٨ و ٣٣١٤) ، والبيهقي في الكبرى (٢٥٧/٩) ، (٧/١٠) وفي المعرفة (١٩١/٧) ، وابن عدي في الكامل (٢٧١/٤ ، ٢٥٤) ، والدارقطني في السنن (٢٧١/٤ ، ٢٧٢) وغيرهم لكن رجح أكثر أهل العلم الموقوف وصوبوا أنه من قول ابن عمر رضي الله عنهما .

ومن رجح الموقوف الدارقطني والبيهقي وقبلهما أبو حاتم الرازي .

● ووصف بعض أهل العلم الحديث المرفوع بالنكارة (وممن وصفه بذلك العقيلي في الضعفاء) . وعلى كلٍّ فالموقوف هنا له حكم الرفع كما قدمناه ، والله تعالى أعلم .

والدم قد خصص بالدم المسفوح كما قال الله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا ... الآية ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

وخرج منه أيضًا الكبد والطحال على ما تقدم ، وكذلك الدم الذي في العروق وعلى اللحم بعد الذبح كما سيأتي (كالحمرة التي تعلو القدر من أثر تقطيع اللحم) .

* * *

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في استعمال أنفحة الميتة ؟

ج : أوردها القرطبي مختصرة فقال :

فأما أنفحة الميتة ولبن الميتة فقال الشافعي : ذلك نجس لعموم قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ وقال أبو حنيفة بطهارتهما ؛ ولم يجعل لموضع الخلقة أثرًا في تنجس ما جاوره مما حدث في خلقه ، قال : ولذلك يؤكل اللحم بما فيه من العروق ، مع القطع بمجاورة الدم لدواخلها من غير تطهير ولا غسل إجماعًا . وقال مالك نحو قول أبي حنيفة : إن ذلك لا ينجس بالموت ، ولكن ينجس بمجاورة الوعاء النجس وهو مما لا يتأتى فيه الغسل . وكذلك الدجاجة تخرج منها البيضة بعد موتها ؛ لأن البيضة لينة في حكم المائع قبل خروجها ، وإنما تجمد وتصلب بالهواء .

قال ابن خويز منداد : فإن قيل : فقولكم يؤدي إلى خلاف الإجماع ؛ وذلك أن النبي ﷺ والمسلمين بعده كانوا يأكلون الجبن وكان مجلوبًا إليهم من أرض العجم، ومعلوم أن ذبائح العجم وهم مجوس ميتة ، ولم يعتدوا بأن يكون مجمدًا بأنفحة ميتة أو ذُكِّي . قيل له : قدر ما يقع من الأنفحة في اللبن المجبن يسير ؛ واليسير من النجاسة معفو عنه إذا خالط الكثير من المائع . هذا جواب على إحدى الروايتين . وعلى الرواية الأخرى إنما كان ذلك في أول الإسلام ، ولا يمكن أحد أن ينقل أن الصحابة أكلت الجبن المحمول من أرض العجم ، بل الجبن ليس من طعام العرب ؛ فلما انتشر المسلمون

في أرض العجم بالفتوح صارت الذبائح لهم ؛ فمن أين لنا أن النبي ﷺ والصحابة أكلت جبنًا فضلًا عن أن يكون محمولًا من أرض العجم ومعمولًا من أنفحة ذبائحهم !

❋ ❋ ❋

س : يشق على الشخص ، وهو ينظف الذبيحة أن يخلصها تمامًا من الدم الموجود باللحم والعروق فماذا يصنع ؟

ج : لا بأس بطبخ اللحم وهو على هذه الحالة ، قال الله سبحانه : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقد قيد الدم الممنوع بالدم المسفوح ، قال القرطبي رحمه الله تعالى :

قال ابن خويز منداد : وأما الدم فمحرم ما لم تعم به البلوى ، ومعفو عما تعم به البلوى . والذي تعم به البلوى هو الدم في اللحم وعروقه ، ويسيره في البدن والثوب يصلى فيه . وإنما قلنا ذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ﴾ [المائدة : ٣] ، وقال في موضع آخر : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا ﴾ [الأنعام : ١٤٥] فحرم المسفوح من الدم . وقد روت عائشة رضي الله عنها قالت : كنا نطبخ البرمة على عهد رسول الله ﷺ تعلوها الصفرة من الدم فنأكل ولا ننكره ؛ لأن التحفظ من هذا إصْرٌ وفيه مشقة ، والإصر والمشقة في الدين موضوع . وهذا أصل في الشرع ، أن كل ما حرجت الأمة في أداء العبادة فيه وثقل عليها سقطت العبادة عنها فيه ؛ ألا ترى أن المضطر يأكل الميتة ؛ وأن المريض يفطر ويتيمم في نحو ذلك .

قلت : ذكر الله سبحانه وتعالى الدم هاهنا مطلقًا ، وقيده في الأنعام بقوله : ﴿ مسفوحًا ﴾ ، وحمل العلماء ها هنا المطلق على المقيد إجماعًا . فالدم

هنا يراد به المسفوح ؛ لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع ، وكذلك الكبد والطحال مجمع عليه .

* * *

س : ما حكم شحم الخنزير ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله : أجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير . وكذلك نقل هذا الإجماع ابن جزي الكلبي في تفسيره ونقله أيضًا غير واحد من العلماء .

● وقال ابن العربي في أحكام القرآن : اتفقت الأمة على أن (لحم)[1] الخنزير حرام بجميع أجزائه ، والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه ، وقد شغفت جماعة المبتدعة بأن تقول : فما بال شحمه ، بأي شيء حرم ؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال لحمًا فقد قال شحمًا ومن قال شحمًا فلم يقل لحمًا ، إذ كل شحم لحم ، وليس كل لحم شحمًا من جهة اختصاص اللفظ ، وهو لحم من جهة حقيقة اللحمية ، كما أن كل حمدٍ شكر وليس كل شكر حمدًا من جهة ذكر النعم ، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم .

* * *

س : ما هو حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة والدم ... ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان بقوله : حد الاضطرار المبيح لأكل الميتة ، هو الخوف من الهلاك علمًا أو ظنًّا .

---

(١) كلمت (لحم) مثبتة في بعض النسخ ، محذوفة من البعض الآخر ، والذي يبدو لي أن الأولى حذفها ، والله أعلم .

قال الزرقاني في شرح قول مالك في الموطأ ما جاء فيمن يضطر إلى أكل الميتة :

وحد الاضطرار أن يخاف على نفسه الهلاك علمًا أو ظنًّا . ولا يشترط أن يصير إلى حال يشرف معها على الموت ، فإن الأكل عند ذلك لا يفيد .

وقال النووي في شرح المهذب : الثانية في حد الضرورة :

قال أصحابنا : لا خلاف أن الجوع القوي لا يكفي لتناول الميتة ونحوها ، قالوا : ولا خلاف أنه لا يجب الامتناع إلى الإشراف على الهلاك ؛ فإن الأكل حينئذ لا ينفع ، ولو انتهى إلى تلك الحال لم يحل له أكلها ؛ لأنه غير مفيد ، واتفقوا على جواز الأكل إذا خاف على نفسه لو لم يأكل من جوع أو ضعف عن المشي أو عن الركوب ، وينقطع عن رفقته ويضيع ، ونحو ذلك .

فلو خاف حدوث مرض مخوف في جنسه فهو كخوف الموت ، وإن خاف طول المرض فكذلك في أصح الوجهين ، وقيل : إنهما قولان ، ولو عيل صبره ، وأجهده الجوع ، فهل يحل له الميتة ونحوها أم لا يحل حتى يصل إلى أدنى الرمق ؟ فيه قولان ذكرهما البغوي وغيره ، أصحهما : الحل .

قال إمام الحرمين وغيره : ولا يشترط فيما يخافه تيقن وقوعه لو لم يأكل ، بل يكفي غلبة الظن ، انتهى منه بلفظه . وقال ابن قدامة في المغني : إذا ثبت هذا فإن الضرورة المبيحة هي التي يخاف التلف بها إن ترك الأكل ، قال أحمد : إذا كان يخشى على نفسه سواء كان من الجوع ، أو يخاف إن ترك الأكل عجز عن المشي ، وانقطع عن الرفقة فهلك أو يعجز عن الركوب فيهلك ، ولا يتقيد ذلك بزمن محصور .

وحد الاضطرار عند الحنفية هو أن يخاف الهلاك على نفسه أو على عضو من أعضائه يقينًا كان أو ظنًّا ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل يجب الأكل من الميتة ونحوها إن خاف الهلاك أو يباح من غير وجوب ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله أيضًا فقال :

اختلف العلماء في ذلك ، وأظهر القولين الوجوب ؛ لقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] ، ومن هنا قال جمع من أهل الأصول : إن الرخصة قد تكون واجبة ، كأكل الميتة عند خوف الهلاك لو لم يأكل منها ، وهو الصحيح من مذهب مالك ، وهو أحد الوجهين للشافعية ، وهو أحد الوجهين عند الحنابلة أيضًا ، وهو اختيار ابن حامد . وهذا هو مذهب أبي حنيفة - رحمهم الله - وقال مسروق : من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات ، دخل النار إلا أن يعفو الله عنه .

وقال أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا : وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة بل هو عزيمة واجبة ، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصيًا ، نقله القرطبي وغيره ، وممن اختار عدم الوجوب ولو أدى عدم الأكل إلى الهلاك ، أبو إسحاق من الشافعية ، وأبو يوسف - صاحب أبي حنيفة - رحمهم الله ، وغيرهم ، واحتجوا بأن له غرضًا صحيحًا في تركه وهو اجتناب النجاسة ، والأخذ بالعزيمة .

وقال ابن قدامة في المغني في وجه كل واحد من القولين ما نصه : وهل يجب الأكل من الميتة على المضطر فيه وجهان :

أحدهما : يجب وهو قول مسروق ، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي .

قال الأثرم : سئل أبو عبد الله عن المضطر يجد الميتة و لم يأكل ، فذكر قول

مسروق : من اضطر فلم يأكل ولم يشرب دخل النار . وهذا اختيار ابن حامد . وذلك لقول الله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وترك الأكل مع إمكانه في هذا الحال إلقاء بيده إلى التهلكة ، وقال الله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] ، ولأنه قادر على إحياء نفسه بما أحله الله فلزمه ، كما لو كان معه طعام حلال .

والثاني : لا يلزمه ؛ لما روي عن عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ : أن طاغية الروم حبسه في بيت وجعل معه خمرًا ممزوجًا بماء ، ولحم خنزير مشوي ثلاثة أيام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مال رأسه من الجوع والعطش وخشوا موته ، فأخرجوه فقال : قد كان الله أحله لي ، لأني مضطر ، ولكن لم أكن لأشمتك بدين الإسلام ، ولأن إباحة الأكل رخصة فلا تجب عليه كسائر الرخص ، ولأن له غرضًا في اجتناب النجاسة والأخذ بالعزيمة ، وربما لم تطب نفسه بتناول الميتة ، وفارق الحلال في الأصل من هذه الوجوه . وقد قدمنا أن أظهر القولين دليلًا وجوب تناول ما يمسك الحياة ، لأن الإنسان لا يجوز له إهلاك نفسه ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

س : هل يُقدم المضطر الميتة أو مال الغير ؟

ج : أجاب على ذلك الشنقيطي رحمه الله كذلك فقال :

اختلف العلماء في ذلك : فذهب مالك إلى أنه يقدم مال الغير إن لم يخف إن يجعل سارقًا ويحكم عليه بالقطع . ففي موطئه ما نصه : وسئل مالك عن الرجل يضطر إلى الميتة أيأكل منها وهو يجد ثمرًا لقوم أو زرعًا أو غنمًا بمكانه ذلك ، قال مالك : إن ظن أن أهل ذلك الثمر ، أو الزرع ، أو الغنم يصدقونه بضرورته حتى لا يعد سارقًا فتقطع يده ، رأيت أن يأكل من أي

ذلك وجد ما يرد جوعه ولا يحمل منه شيئًا . وذلك أحب إلي من أن يأكل الميتة .. .

وإن هو خشي ألا يصدقوه . وأن يعد سارقًا بما أصاب من ذلك ، فإن أكل الميتة خير له عندي . وله في أكل الميتة على هذا الوجه سعة مع أني أخاف أن يعدو عادٍ ممن لم يضطر إلى الميتة يريد استجازة أموال الناس وزروعهم وثمارهم بذلك بدون اضطرار .

قال مالك : وهذا أحسن ما سمعت . اهـ . وقال ابن حبيب : إن حضر صاحب المال فحق عليه أن يأذن له في الأكل . فإن منعه فجائز للذي خاف الموت أن يقاتله حتى يصل إلى أكل ما يرد نفسه . الباجي : يريد أنه يدعوه أولًا إلى أن يبيعه بثمن في ذمته ، فإن أبى استطعمه ، فإن أبى أعلمه أنه يقاتله عليه .

وقال خليل بن إسحاق المالكي في مختصره الذي قال فيه مبينًا لما به الفتوى عاطفًا على ما يقدم المضطر على الميتة وطعام غيره إن لم يخف القطع ، وقاتل عليه . هذا هو حاصل المذهب المالكي في هذه المسألة .

ومذهب الشافعي فيها : هو ما ذكره النووي في شرح المهذب بقوله : المسألة الثامنة : إذا وجد المضطر ميتة وطعام الغير وهو غائب فثلاثة أوجه . وقيل ثلاثة أقوال : أصحها يجب أكل الميتة ، والثاني يجب أكل الطعام ، والثالث يتخير بينهما .

وأشار إمام الحرمين إلى أن هذا الخلاف مأخوذ من الخلاف في اجتماع حق الله تعالى وحق الآدمي ، ولو كان صاحب الطعام حاضرًا ، فإن بذله بلا عوض أو بثمن مثله أو بزيادة يتغابن الناس بمثلها ومعه ثمنه أو رضي بذمته لزمه القبول ، ولم يجز أكل الميتة ، فإن لم يبعه إلا بزيادة كثيرة فالمذهب ، والذي قطع به العراقيون والطبريون وغيرهم : أنه لا يلزمه شراؤه ولكن يستحب ، وإذا

لم يلزمه الشراء فهو كما إذا لم يبذله أصلًا ، وإذا لم يبذله لم يقاتله عليه المضطر إن خاف من المقاتلة على نفسه ، أو خاف هلاك المالك في المقاتلة ، بل يعدل إلى الميتة ، وإن كان لا يخاف ، لضعف المالك وسهولة دفعه فهو على الخلاف المذكور فيما إذا كان غائبًا ، هذا كله تفريع على المذهب الصحيح . وقال البغوي : يشتريه بالثمن الغالي ، ولا يأكل الميتة ثم يجيء الخلاف السابق في أنه يلزمه المسمى أو ثمن المثل ، قال : وإذا لم يبذل أصلًا ، وقلنا طعام الغير أولى من الميتة يجوز أن يقاتله ويأخذه قهرًا والله أعلم . وحاصل مذهب الإمام أحمد في هذه المسألة أنه يقدم الميتة على طعام الغير . قال الخرقي في مختصره : ومن اضطر فأصاب الميتة وخبزًا لا يعرف مالكه أكل الميتة اهـ .

وقال ابن قدامة في المغني في شرحه لهذا الكلام ما نصه : وبهذا قال سعيد ابن المسيب ، وزيد بن أسلم . وقال مالك : إن كانوا يصدقونه أنه مضطر أكل من الزرع والثمر ، وشرب اللبن ، وإن خاف أن تقطع يده أو لا يقبل منه؛ أكل الميتة ، ولأصحاب الشافعي وجهان :

أحدهما : يأكل الطعام وهو قول عبد الله بن دينار ، لأنه قادر على الطعام الحلال فلم يجز له أكل الميتة كما لو بذله له صاحبه .

ولنا أن أكل الميتة منصوص عليه ، ومال الآدمي مجتهد فيه ، والعدول إلى المنصوص عليه أولى ، ولأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة والمساهلة وحقوق الآدمي مبنية على الشح والتضييق ، ولأن حق الآدمي تلزمه غرامته وحق الله لا عوض له .

* * *

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

س : اذكر معاني كلٍّ مما يأتي :

لا يزكيهم – أليم – فما أصبرهم – شقاق بعيد ؟

ج :

الكلمة	معناها
لا يزكيهم	لا يطهرهم من دنس الذنوب
أليم	مؤلم موجع
فما أصبرهم	فما أجرأهم على الغمل الذي يدخلهم النار – العجب كيف يتحملون النار ؟ كيف سيصبرون على النار ؟، وقد تقدمت بتفصيل
شقاق بعيد	منازعة ومفارقة للحق بعيدة عن الرشد والصواب .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب [البقرة : ١٧٤] ؟ وما هو الشيء الذي كتموه ؟

ج : الذين كتموا ما أنزل الله من الكتاب هم اليهود والنصارى[١] ، والذي كتموه جملة أمور منها صفة محمد ﷺ ، ومنها أمور أخر تتعلق بالحدود[٢] وغيرها .

● وقد أخرج الطبري رحمه الله[٣] بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ [البقرة : ١٧٤] الآية كلها : هم أهل الكتاب كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى من بعث محمد ﷺ وأمره .

* * *

س : الضمير في قوله : ﴿ به ﴾ من قوله تعالى : ﴿ ويشترون به ﴾ [البقرة : ١٧٤] يرجع إلى ماذا ؟ وضح المعنى بعض الإيضاح ؟

ج : الضمير في قوله تعالى : ﴿ به ﴾ يرجع إلى المكتوم أي : أنهم يشترون بالشيء الذي كتموه ثمنًا قليلًا ، فمحتمل أنهم كانوا يأخذون مقابل كتمانهم أمر محمد ﷺ بعض الرشاوى أو يظنون أنهم يحصِّلون بعض الجاه والمنزلة عند أتباعهم ، ويحتمل أيضًا أنهم يحرفون الكتاب ويأخذون عوضًا مقابل تحريفه بما يتمشى مع أهل الشرف والمال منهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

---

(١) وأكثر من كتم اليهود .
(٢) وذلك كآية الرجم ونحوها ، وقد تقدم ذلك .
(٣) الطبري (أثر رقم ٢٤٩٤) .

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة : ١٧٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار . وأطلق على ما يأكلونه أنه نار باعتبار ما سيئول إليه يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا ﴾ [النساء : ١٠] ، والله أعلم .

* * *

س : قال الله تعالى : ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ [البقرة : ١٧٤] فنفى سبحانه تكليمه للكفار في هذه الآية الكريمة ، وقد أثبته في آيات أخر ، اذكر بعض الآيات التي ثبت فيها أن الله عز وجل يكلم الكفار ، وكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله للكفار والآيات التي أثبتت ذلك ؟

ج : من الآيات التي ورد فيها أن الرب سبحانه يكلم الكفار قوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريًّا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون * قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون .. ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ – ١١٤] .

أما وجه الجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله عز وجل للكفار والآيات التي أثبتت ذلك فهو أن تحمل الآيات التي نفت الكلام على أنها نفت كلامًا مخصوصًا وهو الكلام الذي يأتي من ورائه بشارة أو خير للكافرين ، أما

الآيات التي أثبتت فأثبتت نوعًا من الكلام يحمل التعذيب والتأنيب والتوبيخ لأهل الكفر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ﴾ [البقرة : ١٧٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أولئك الذين اتبعوا الضلالة تركوا الهدى ، وأخذوا ما يوجب لهم العذاب وتركوا ما يجلب لهم المغفرة .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] ما معناه ؟

ج : لأهل العلم فيها أقوال ، منها :

الأول : فما الذي جرأهم على النار .

وقد أخرج الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن[1] عن قتادة : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] يقول : فما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار .

الثاني : فأي شيء صبرهم على النار ، وانظر السؤال الآتي وإجابته .

❋ ❋ ❋

س : (ما) في قوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم ﴾ [البقرة : ١٧٥] ما معناها ؟

ج : **بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا استفهامية** ، والمعنى :ما

---

(١) الطبري (أثر رقم ٢٥٠٠) .

الذي أصبرهم على النار ؟

وقد أخرج الطبري بإسناده[1] إلى ابن جريج قال ، قال لي عطاء : ﴿ فما أصبرهم ﴾ [البقرة : ١٧٥] قال : ما يصبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل ؟

وأخرج من طريق أبي كريب[2] قال : سئل أبو بكر بن عياش : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] قال : هذا استفهام ، ولو كانت من الصبر قال : (فما أصبرُهم) رفعًا ، قال : يقال للرجل : (ما أصبرك) ما الذي فعل بك هذا ؟

وأخرج كذلك بإسناد صحيح[3] إلى ابن زيد قال : هذا استفهام ، يقول : ما هذا الذي صبرهم على النار حتى جرأهم فعملوا بهذا ؟!!

● ومن أهل العلم من يرى أنها للتعجب ، والمعنى : فما أشد جرأتهم على النار حتى عملوا بعمل أهلها .

وهذا التعجب كالتعجب في قوله تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس : ١٧] تعجبًا من كفره ، فالعجب من صبرهم على الأعمال التي تودي بهم إلى النار ، وقد علموا أن شراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة موجب للنار .

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال الطبري رحمه الله : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : ما أجرأهم على النار ، بمعنى : ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٢٥٠٨) .
(٢) أخرجه الطبري (٢٥٠٩) .
(٣) أخرجه الطبري (٢٥١٠) .

بأعمال أهلها . وذلك أنه مسموع من العرب : (ما أصبر فلانًا على الله) ، بمعنى : ما أجرأ فلانًا على الله ! وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد ﷺ ونبوته ، واشترائهم بكتمان ذلك ثمنًا قليلًا من السحت والرشى التي أعطوها – على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك مع علمهم بأن ذلك موجبٌ لهم سخط الله وأليم عقابه .

وإنما معنى ذلك : فما أجرأهم على عذاب النار ! ولكن اجتزىء بذكر (النار) من ذكر (عذابها) ، كما يقال : (ما أشبه سخاءك بحاتم) ، بمعنى : ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم ، (وما أشبه شجاعتك بعنترة) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله تعالى : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] يُخبر تعالى أنهم في عذاب شديد هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذًا بالله من ذلك ، وقيل : معنى قوله : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] أي : فما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار .

وقال الزمخشري في كشافه [1]: ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان : ما أصبرك على القيد والسجن ، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب ، وقيل : فما أصبرهم : فأي شيء صبَّرهم ، يقال : أصبره على كذا وصبَّره بمعنى ، وهذا أصل معنى فعل التعجب ، والذي روي عن الكسائي أنه قال : قال لي قاضي اليمن بمكة : اختصم إلي رجلان

---

(١) لا يخفى علينا حال الزمخشري من الاعتزال ، ومن كان مثله يهجر من كلامه ما يخالف فيه أهل السنة والجماعة ، ويبقى شأنه في الباقي شأن غيره من أهل العلم .

من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه ، فقال له : ما أصبرك على الله ، فمعناه : ما أصبرك على عذاب الله .

وقال الشوكاني رحمه الله (فتح القدير ١/١٧١) : وقوله : ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة : ١٧٥] ذهب الجمهور ، ومنهم الحسن ومجاهد إلى أن معناه التعجب ، والمراد : تعجيب المخلوقين من حال هؤلاء الذين باشروا الأسباب الموجبة لعذاب النار ، فكأنهم بهذه المباشرة للأسباب صبروا على العقوبة في نار جهنم ، وحكى الزجاج أن المعنى : ما أبقاهم على النار ، من قولهم : ما أصبر فلانًا على الحبس ، أي : ما أبقاه فيه ، وقيل : المعنى : ما أقل جزعهم من النار ، فجعل قلة الجزع صبرًا ، وقال الكسائي وقطرب : أي : ما أدومهم على عمل أهل النار ، وقيل : (ما) استفهامية ، ومعناه التوبيخ ، أي : أي شيء أصبرهم على عمل أهل النار قاله ابن عباس والسدي وعطاء وأبو عبيدة[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) **هنا تنبيهان :**

أولهما : أن كثيرًا من أهل العلم يتساهلون في تصحيح الآثار ونسبتها إلى قائليها فلا يكادون يدققون كثيرًا في هذا الباب ، فكم من أثر يعزى إلى ابن عباس أو مجاهد أو عطاء مثلًا ويكون فيه ضعف ولا يبينون هذا الضعف ، فالآثار التي أوردها أنا أتحرى فيها الصحة أو الحسن وأُبين ذلك ، أما الآثار التي ترد عند ذكر بعض أقوال أهل العلم وينقلونها في كلامهم كما نقل الشوكاني - رحمه الله - مثلًا عن ابن عباس والسدي .. فالعهدة فيها على قائلها (أي : على الشوكاني) وإن كنت في بعض الأحيان أنبه على بعض ما فيها .

التنبيه الثاني : كثيرٌ من المفسرين ينقل بعضهم من بعض ، وبعضهم يبالغ في ذلك فيسير وراء من نقل عنه وينقل عنه كلامه برمته ولا يبين ممن أخذه ، وممن يسلك هذا المسلك صديق حسن خان رحمه الله فينقل من فتح القدير للشوكاني ولا يكاد يبين ويوضح ممن أخذه فلينتبه لذلك .

س : (ذلك) في قوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] يرجع إلى ماذا ؟

ج : الذي يظهر لي – والعلم عند الله – أنه يرجع إلى أنواع التعذيب المذكورة ، فيكون المعنى : ذلك التعذيب[١] الذي ذكرناه وأنه يحل بالذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا إنما حل بهم وحق عليهم لأن الله عز وجل نزل الكتاب بالحق فكفروا به وخالفوه وكتموا ما فيه .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى الأقوال بتأويل الآية عندي : أن الله تعالى ذكره أشار بقوله : ﴿ ذلك ﴾ ، إلى جميع ما حواه قوله : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ [البقرة : ١٧٤] ، إلى قوله : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ [البقرة : ١٧٦] ، من خبره عن أفعال أحبار اليهود ، وذكره ما أعد لهم تعالى ذكره من العقاب على ذلك ، فقال : هذا الذي فعلته هؤلاء الأحبارُ من اليهود – بكتمانهم الناس ما كتموا من أمر محمد ﷺ ونبوته مع علمهم به ، طلبًا منهم لعرض من الدنيا خسيس – وبخلافهم أمري وطاعتي – وذلك – من تركي تطهيرَهم وتزكيتهم وتكليمهم ، وإعدادي لهم العذاب الأليم – بأني أنزلت كتابي بالحق ، فكفروا به واختلفوا فيه .

فيكون في (ذلك) حينئذ وجهان من الإعراب : رفعٌ ونصب . والرفع بـ (الباء) ، والنصب بمعنى : فعلت ذلك بأني أنزلت كتابي بالحق ، فكفروا به واختلفوا فيه . وترك ذكر (فكفروا به واختلفوا) ، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

❋ ❋ ❋

---

(١) وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٤] .

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] ؟ ومن هم الذين اختلفوا فيه ، وفيم اختلفوا ؟

ج : أما الكتاب فذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد به التوراة ، والذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى ، واختلفوا في جملة أمور منها اختلافهم في شأن عيسى ، فزعمت اليهود أن التوراة ليس فيها ذكر عيسى وكفرت يهود بعيسى وبمريم عليهما السلام .

أما النصارى فآمنوا ببعض ما في التوراة من شأن عيسى وكفروا ببعض آخر وهو أنهم ألَّهوا عيسى عليه السلام وجعلوه ربًّا يُعبد .

واليهود والنصارى كلاهما اختلفوا في شأن نبينا محمد ﷺ وفي صفته المثبتة في كتبهم بعد أن حرفوها وكتموها .

واختلفوا في أمور أُخر كما قال النبي ﷺ : « أضل الله من قبلنا عن يوم الجمعة ... » الحديث ، فاختارت اليهود السبت واختارت النصارى الأحد .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالكتاب القرآن ، والذين اختلفوا فيه اليهود والنصارى والمشركون .

أما وجه اختلافهم فاختلاف اليهود والنصارى فيه شيء مما ذكر سابقًا واختلاف المشركين في تقولهم على الكتاب فمنهم من قال : ﴿ أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرةً وأصيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] ، ومنهم من قال : ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر : ٢٤ ، ٢٥] ، ومنهم من قال : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ [النحل : ١٠٣] إلى غير ذلك .

قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، يعني بذلك : اليهود والنصارى . اختلفوا في كتاب الله ، فكفرت اليهود بما قص الله فيه من قصص عيسى بن مريم وأمه . وصدقت

النصارى ببعض ذلك ، وكفروا ببعضه ، وكفروا جميعًا بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد ﷺ . فقال لنبيه محمد ﷺ : إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفي منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاقٍ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

كما حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط[1] عن السدي : ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، يقول : هم اليهود والنصارى . يقول : هم في عداوة بعيدة . وقد بينت معنى (الشقاق) ، فيما مضى ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) أسباط وهو ابن نصر متكلم فيه .

فهـرس الآيـات

* * *

فهـرس الأحاديـث

باب الباء

باب التاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الذال

باب الراء

باب السين

باب القاف

باب الكاف

باب اللام

باب الياء

الأحاديث القدسية

الموقوفات

فهـرس الموضوعـات

٭٭٭

مطابع دار الصحيفة ت / ٠١٢٣٢٢٥٨٨١ تليفاكس / ٢٩٧٨٤٧٤

التسهيل

لتأويل التنزيل

التفسير في سؤال وجواب ..

سورة البقرة من آية «١٧٧» حتى آية «٢٨٦»

الجزء الثالث

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التسهيل

لتأويل التنزيل

الطبعـــة الأولـى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

البر – آتى – البأساء والضراء – حين البأس ؟

ج :

الكلمة	معناها
البر	اسم جامع لكل أفعال الخير
آتى	أعطى
البأساء والضراء	حال البؤس والفقر(١)
حين البأس	عند مواطن القتال(٢)

(١) أخرج الطبري (٢٥٤٢) بإسناد حسن عن قتادة قال : كنا نحدَّث أن البأساء : البؤس والفقر ، وأن الضراء : السُّقم ، وقد قال النبي أيوب ﷺ : ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، وأخرج الطبري أيضًا بإسناده إلى =

= الضحاك بن مزاحم (٢٥٤٧) قال : أما البأساء الفقر ، والضراء المرض ، وقبله أخرج الطبري (٢٥٣٩) من طرق عن السدي عن مرة عن ابن مسعود إنه قال : أما البأساء فالفقر ، وأما الضراء السقم .

قال الطبري رحمه الله : وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في ذلك فقال بعضهم : (البأساء والضراء) ، مصدر جاء على (فعلاء) ليس له (أفعل) ، لأنه اسم ، كما قد جاء (أفعل) في الأسماء ليس له (فعلاء) ، نحو (أحمد). وقد قالوا في الصفة (أفعل)، و لم يجيء له (فعلاء) ، فقالوا : (أنت من ذلك أوْجل) ، و لم يقولوا : (وجلاء) .

وقال بعضهم : هو اسم للفعل . فإن (البأساء) البؤس ، (والضراء) الضر . وهو اسم يقع إن شئت لمؤنث ، وإن شئت لمذكر ، كما قال زهير :

فتنتج لكم غلمان أَشْأَمَ ، كلهم كأحمر عادٍ ، ثم ترضع فتفطم[1]

يعني : فتنتج لكم غلمان شؤم .

وقال بعضهم : لو كان ذلك اسمًا يجوز صرفه إلى مذكر ومؤنث ، لجاز إجراء (أفعل) في النكرة ، ولكنه اسم قام مقام المصدر . والدليل على ذلك قوله : (لئن طلبت نصرتهم لتجدنهم غير أبعد)[2] ، بغير إجراء . وقال : إنما كان اسمًا للمصدر ، لأنه إذا ذكر علم أنه يراد به المصدر .

وقال غيره : لو كان ذلك مصدرًا فوقع بتأنيث لم يقع بتذكير ، ولو وقع بتذكير لم يقع بتأنيث . لأن من سُمي بـ (أفعل) لم يصرف إلى (فُعلى) ، ومن سمي بـ (فعلى) لم يصرف إلى (أفعل) ، لأن كل اسم يبقى بهيئته لا يصرف إلى غيره ، ولكنهما لغتان . فإذا وقع بالتذكير كان =

---

(١) قال أحمد شاكر رحمه الله : ديوانه : ٢٠ ، من معلقته الفريدة . وهي من أبياته في صفة الحرب ، التي قال في بدئها ، قبل هذا البيت :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة ، وتضرَ ، إذا ضَرَّيتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحا بثفالها وتلقح كشافًا ، ثم تنتج فتتئم

يقول : إن الحرب تلقح كما تلقح الناقة ، فتأتي بتوأمين في بطن وقوله : (أحمر عاد) يعني : أحمر ثمود ، فأخطأ و لم يبال أيهما قال . وأحمر ثمود ، هو قدار ، عاقر ناقة الله فأهلكهم ربهم بما فعلوا . يقول : إن الحرب ترضع مشائيمها تقوم عليهم حتى تفطمهم بعد أن يبلغوا السعي لأنفسهم في الشر .

(٢) يقال : (فلان غير أبعد) ، أي : لا خير فيه . ويقال : (ما عند فلان أبعد) أي : لا طائل عنده . قال رجل لابنه : (إن غدوت على المربد ربحت عنا ، أو رجعت بغير أبعد) ، أي : بغير منفعة .

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في المراد بقوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

الأول : أن المراد : ليس البر الصلاة وحدها (فهي المعنية بقوله تعالى : ﴿ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٧٧]) ، ولكن إضافة إلى الصلاة الإيمان بالله واليوم الآخر ... إلى آخر الآية .

فإن قيـل : إن الصلاة قد ذُكِرت في قوله تعالى : ﴿ ... وأقام

= بأمر (أشأم) ، وإذا وقع (البأساء والضراء) ، وقع : الخلة البأساء ، والخلة الضراء . وإن كان لم يُبن على (الضراء) ، (الأضر) ، ولا على (الأشأم) ، (الشأماء) . لأنه لم يُردْ من تأنيثه التذكير ، ولا من تذكيره التأنيث ، كما قالوا : (امرأة حسناء) ، ولم يقولوا : (رجل أحسن) . وقالوا : (رجل أمرد) ، ولم يقولوا : (امرأة مرداء) . فإذا قيل : (الخصلة الضراء) و (الأمر الأشأم)، دل على المصدر ، ولم يحتج إلى أن يكون اسمًا ، وإن كان قد كفى من المصدر .

وهذا قول مخالفٌ تأويل من ذكرنا تأويله من أهل العلم في تأويل (البأساء والضراء) ، وإن كان صحيحًا على مذهب العربية . وذلك أن أهل التأويل تأولوا (البأساء) بمعنى : البؤس ، (والضراء) بمعنى : الضر في الجسد . وذلك من تأويلهم مبني على أنهم وجهوا (البأساء والضراء) ، إلى أسماء الأفعال ، دون صفات الأسماء ونعوتها . فالذي هو أولى بـ (البأساء والضراء) ، على قول أهل التأويل ، أن تكون (البأساء والضراء) أسماء أفعال ، فتكون (البأساء) اسمًا (للبؤس) ، و (الضراء) اسمًا (للضر) .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٥٥١) قوله : (وحين البأس) أي : عند مواطن القتال .

وكذا أخرجه الطبري (٢٥٥٥) بإسناده إلى الضحاك بن مزاحم (وحين البأس) قال : القتال . قلت : ويؤيد كون البأس هو القتال قوله تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ١٨] .

الصلاة ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فيجاب على هذا بأن المراد بقوله : ﴿ وأقام الصلاة ﴾ : حافظ عليها وداوم كما قدمنا في أوائل البقرة .

والثاني [١] : أن الآية يُراد بها اليهود والنصارى ، فاليهود يولون وجوههم قبل المغرب والنصارى يولون وجوهم قبل المشرق ، وكلٌّ منهم يزعم أنه على خير مع كفره برسالة محمد ﷺ وتركهم الإيمان فلهم يوَّجه الخطاب ، وقد ورد في ذلك سبب نزول ضعيف[٢] أخرجه الطبري عن قتادة ، وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى هذا الرأي فقال : وأولى هذين القولين بتأويل الآية : القول الذي قاله قتادة والربيع بن أنس[٣] أن يكون عنى بقوله : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٧٧] اليهود والنصارى ، لأن الآيات قبلها مضت

---

(١) وثمَّ قول آخر انظره في السؤال التالي لهذا إن شاء الله .

(٢) أخرجه الطبري (٢٥١٩) بإسناد حسنٍ عن قتادة قوله : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [البقرة : ١٧٧] ذُكر أن رجلًا سأل نبي الله ﷺ عن البر فأنزل الله هذه الآية ، وذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ دعا الرجل فتلاها عليه ، وقد كان الرجلُ قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ثم مات على ذلك يُرجى له ويطمع له في خير فأنزل الله : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ [البقرة : ١٧٧] – وكانت اليهود توجَّهت قِبل المغرب والنصارى قِبل المشرق – ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية .

(٣) قول الربيع بن أنس هو : كانت اليهود تُصلِّي قِبَل المغرب والنصارى قبل المشرق فنزلت : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقد أخرجه الطبري (٢٥٢٠) وهو ضعيف من وجوه منها أنه مرسل ، ومنها أن في إسناده المثنى (وهو ابن إبراهيم الآملي) ولم أقف له على ترجمة .

بتوبيخهم ولومهم ، والخبر عنهم وعما أُعدَّ لهم من أليم العذاب ، وهذا في سياق ما قبلها إذ كان الأمر كذلك (ليس البر) أيها اليهود والنصارى أن يولي بعضكم وجهه قبل المشرق وبعضكم قبل المغرب ، ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، الآية .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله** : وأما الكلام على تفسير الآية فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولًا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حوَّلهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل ، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ، ولهذا قال : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية ، كما قال في الأضاحي والهدايا : ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج :٣٧] .

❋ ❋ ❋

س : هل من البر التوجه في صلاتنا نحو الكعبة ؟ وإذا كان ذلك من البر فكيف يُقال : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : نعم من البر أن يتجه الشخص في صلاته نحو الكعبة فقد قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم » . الحديث ، ومن المعلوم أن من صلى الفريضة إلى غير القبلة من غير عذر في غير سفر فصلاته باطلة .

أما قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم ﴾ [البقرة : ١٧٧] فمعناه – والله أعلم – : ليس ذلك هو البر إذا لم يكن عن طاعة الله ورسوله ،

فتوليتنا وجوهنا قبل المشرق والمغرب إذا لم يكن عن طاعة الله ورسوله فليس ذلك من البر ، والبر إنما هو طاعتنا لله في ذلك ، فلو أمرنا أن نتوجه إلى أي مكان فتوجَّهْنا إليه كان توجُّهنا إليه برٌّ لما فيه من طاعة الله ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اصطلاح (البر) أحيانًا يأتي بمعنى عام وأحيانًا يأتي بمعنى خاص ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك : أن البر جاء كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق » ، وأحيانًا يأتي بمعنى عام كما في الآية الكريمة ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية .

وقد نقل ابن كثير رحمه الله تعالى عن سفيان الثوري قوله : ﴿ ولكن البر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية ، قال : هذه أنواع البر كلها .

وقال بعض أهل العلم[1] : إن لفظ البر إذا أطلق في الكتاب والسنة صار مرادفًا لمسمى الدين ولمسمى الإيمان ولمسمى التقوى ، وعطف التقوى على البر في قوله عز وجل : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] ليس من باب العطف بين المتغايرين بل من باب العطف بين المترادفين ، كما في قول نوح عليه السلام : ﴿ أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ [نوح : ٣] فكل عبادة لله عز وجل وكل تقوى لله عز وجل وكل طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ هي من البر ، وكل عمل صالح يمكن أن يوصف بأنه البر ..

❋ ❋ ❋

س : البر والتقوى أحيانًا يجتمعان في المعنى وأحيانًا يفترقان ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه : أن البر إذا اقترن بالتقوى في آيةٍ واحدة يكون للبر معنى

---

(١) قائل ذلك الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره .

وللتقوى معنًى آخر ، وإذا انفصل عنها فجاء مستقلًّا في السياق دخل فيه معنى التقوى ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] ، فالبر هنا يشمل أعمال الخير والطاعات ، والتقوى[1] اتقاء المحاذير واجتناب المنهيات التي نهى الله عز وجل عنها .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فدخلت التقوى في معنى البر ، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ﴿ البر ﴾ عملٌ من الأعمال ، وقد قال تعالى : ﴿ ولكن البر مَنْ آمن .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] فَفُسِّر البر بقوله تعالى : ﴿ مَنْ آمن ﴾ [البقرة : ١٧٧] فكيف يُفَسَّرُ البر (وهو عمل أي : فعل)[2] باسم وهو قوله : ﴿ مَنْ آمن ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : في الآية – والله أعلم – مقدر محذوف ، والمعنى : ولكن البرَّ برُّ مَنْ آمن ، فالمحذوف هو (برُّ) ، وقد أطال الطبري رحمه الله تعالى في تقرير ذلك فقال : فإنِ قال قائل : فكيف قيل : ﴿ ولكن البر من آمن بالله ﴾ [البقرة : ١٧٧] وقد علمت أن (البر) فعل ، و (مَنْ) اسم ، فكيف يكون الفعل هو الإنسان ؟

---

(١) بيد أن بعض العلماء قال : إن ذكر التقوى مع البر في قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] من باب العطف بين المترادفين كما في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] .

(٢) لا نعني بالفعل (فعل ماض أو مضارع أو أمر) وإنما عنينا به العمل كما يقال الفعل الفلاني أي : العمل الفلاني .

قيل : إن معنى ذلك غير ما توهمته ، وإنما معناه : ولكنَّ البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر ، فوضع (مَنْ) موضع الفعل ، اكتفاءً بدلالته ، ودلالة صلته التي هي له صفةٌ ، مِنْ الفعل المحذوف ، كما تفعله العرب ، فتضع الأسماء مواضع أفعالها التي هي بها مشهورة ، فتقول : (الجود حاتم ، والشجاعة عنترة) ، و (إنما الجود حاتم والشجاعة عنترة) ، ومعناها : الجودُ جود حاتم ، فتستغني بذكر (حاتم) إذ كان معروفًا بالجود ، من إعادة ذكر (الجود) بعد الذي قد ذكرته ، فتضعه موضع (جوده) ، لدلالة الكلام على ما حذفته ، استغناء بما ذكرته عما لم تذكره . كما قيل : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ، والمعنى : أهل القرية ، وكما قال الشاعر ، وهو ذو الخرق الطهوي :

حسبت بغام راحلتي عناقًا ! وما هي ، ويب غيرك بالعناق

يريد : بغام عناق ، أو صوت [عناق] ، كما يقال : (حسبت صياحي أخاك) ، يعني به : حسبت صِياحي صياح أخيك .

وقد يجوز أن يكون معنى الكلام : ولكن البار من آمن بالله ، فيكون (البر) مصدرًا وُضع موضعَ الاسم .

***

س : ما المراد بالإيمان بالملائكة (اذكر ذلك باختصار) ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – التصديق بهم وبوجودهم والأعمال الموكولة إليهم فمنهم رسل الله إلى أنبيائه ، ومنهم من يلتمسون مجالس الذكر ، ومنهم الخزنة (خزنة الجنة وخزنة جهنم) ، ومنهم الحفظة ، ومنهم الكتبة الكرام ، ومنهم من يقبض الأرواح ، ومنهم من ينفخ في الصور ، ومنهم من ينقلون صلاتنا على رسول الله ﷺ إليه ، ومنهم من يشهدون الصلوات ، ومنهم المقاتلون في

سبيل الله ، ومنهم ....

وكلهم عبادٌ لله ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، و ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾ [الأنبياء :١٩] ، وكلهم ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [التحريم : ٦] .

* * *

س : أركان الإيمان ستة ذكرت في حديث لرسول الله ﷺ ، وذكرت في هذه الآية الكريمة ﴿ ليس البر أن تولوا ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وضح ذلك ؟

ج : أركان الإيمان هي :

الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسلـه واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره .

وقد جاء ذلك في حديث عمر رضي الله عنه الذي ذكر فيه مجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... فسأل رسول الله ﷺ عن أمور منها : الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ...» (١) .

أما ذكر هذه الأركان في الآية الكريمة ﴿ لـيس البر ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فهي قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، والسادسة وهي : الإيمان بالقدر داخلة في قوله تعالى : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ .. والكتاب والنبيين ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : عمـوم الكتب المنزلة من عنـد الله

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (حديث رقم ٨) .

سبحانه وتعالى ، فيدخل فيها القرآن ، والتوراة والإنجيل والصحف الأولى والزبور .. إلى غير ذلك من الكتب.التي أنزلها الله على أنبيائه .

* * *

س : إيتاء المال على حبه من جميل القربات ، اذكر بعض الآيات التي تحث على ذلك ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى **المال على حبه** ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر : ٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] .

* * *

س : هل في المال حق سوى الزكاة ؟

ج : الجمهور من أهل العلم على أنه ليس في المال حق سوى الزكاة ، وأن ما ذُكر في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن ... وآتى المال .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] محمول على الزكاة أو على التطوع المختار[1] .

---

(١) نقل ذلك عنهم غير واحد ، منهم الماوردي (النكت والعيون ٢٢٦/١) .

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن في المال حق سوى الزكاة كفداء الأسارى مثلًا ونحو ذلك ، واستدلوا بحديث فيه ضعف وهو حديث « إن في المال حقًّا سوى الزكاة »[1] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ على حبه ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – مع محبته له ، أي : فهو (أي : المنفق) يحب المال حبًّا شديدًا ، ومع هذا الحب الشديد له فهو ينفق منه ، كما قال تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، وقد أضاف بعض العلماء في تفسير قوله : ﴿ على حبه ﴾[2] [البقرة : ١٧٧] الشح والحرص فأخرج الطبري (٢٥٢١ ، ٢٥٢٢ ، ٢٥٢٣ ، ٢٥٣١) عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ [البقرة : ١٧٧] قال : وأنت صحيح (وفي رواية : وأنت صحيح شحيح ، وفي أخرى : حريص شحيح) تأمل العيش وتخشى الفقر .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالقربى في قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أقارب مؤدّي المال .

---

(١) وهو حديث ضعيف فقد أخرجه الترمذي (حديث ٦٥٩ ، ٦٦٠) عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس مرفوعًا من طريق أبي حمزة (وهو ميمون الأعور) – وهو ضعيف – وقال الترمذي رحمه الله : هذا حديث ليس إسناده بذاك ، وأبو حمزة ميمون الأعور يُضعَّف ، وروى بيان وإسماعيل بن سالم عن الشعبي هذا الحديث قوله ، وهذا أصح . (يعني : أنه من قول الشعبي) .

(٢) أي : أضافوا على (محبته) .

س : هل الإنفاق على ذي القربى الفقراء فيه فضل عن الإنفاق على غيرهم من الفقراء ؟

ج : نعم ، إذا كانوا أهل حاجةٍ ففي الإنفاق عليهم فضل عن الإنفاق على غيرهم ، قال الله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى ..... ﴾ [البقرة : ١٧٧] وقال تعالى : ﴿ يتيمًا ذا مقربة ﴾ [البلد : ١٥] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنان صدقة وصلة » .

هذا وقد جعل الله سبحانه لذوي القربى حقًّا ، فقال تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

* * *

س : من المراد بـ ﴿ اليتامى ﴾ ؟

ج : هم من مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب ، والله أعلم .

* * *

س : ما مدى صحة حديث « لا يُتْمَ بعد احتلام » ؟

ج : ورد هذا الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ ، منها حديث علي رضي الله عنه وحديث جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وفي كلها ضعف[1] .

---

(١) انظر مصنف عبد الرزاق (٤١٦/٦) ، وسنن البيهقي (٣٢٠/٧ و٤٦١) ، وعلل الدارقطني (١٤٢/٤) ، وابن عدي في الكامل (٣٦٢/١) ، (٤٤٧/٢) ، (٢٦١/٧) ، وأبو داود (٢٨٧٣) ، وكشف الأستار (١٠١/٢ - ١٣٦) .

وأخرجه الطبراني بإسنادٍ[1] ظاهره السلامة من طريق سلم بن قتيبة عن ذيال بن عبيد قال : سمعت جدي حنظلة يقول : قال رسول الله ﷺ : « لا يتم بعد احتلام ولا يتم على جارية إذا هي حاضت » .

وقد صح موقوفًا على عبد الله[1] بن عباس ، قال : ... وأما الصبي فينقطع عنه اليتم إذا احتلم .

* * *

س : هل اليتيم مصرف من مصارف زكاة المال ؟

جُ : اليتيم ليس مصرفًا من مصارف زكاة المال إلا إذا كان فقيرًا فحينئذ يُعطى من زكاة المال (لا لكونه يتيمًا) ولكن لفقره .

أما كونه يعطى من صدقة التطوع للصلة ، فالذي يظهر لي أن هذا جائز ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من المراد بالمساكين ؟

ج : هم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قُوتِهِم وكسوتهم وسكناهم[3] .

وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : (والمساكين) يعني الذين لا يسألون ، (والسائلين) يعني الذين كشفوا وجوههم .

* * *

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤/٤) .
(٢) أخرجه أحمد (٢٢٤/١ - ٢٩٤ - ٣٠٨) .
(٣) فهؤلاء يُعطون من المال ما تسدُّ به حاجتهم .

س : هل السائل الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان يُعدُّ مسكينًا ؟ وكيف توجّه حديث رسول الله ﷺ : « ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ... » الحديث ، ومن الذي أخرج حديث : ليس المسكين ... ؟

ج : الذي أخرج الحديث هو البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المسكين الذي يطوف على الناس تَردُّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس[1] » .

● والسائل الذي ترده اللقمة واللقمتان مسكينٌ وحديث رسول الله ﷺ : « ليس المسكين الذي تردُّه اللقمة واللقمتان ... » معناه - والله أعلم - : ليس المسكين كامل المسكنة هو من تردُّه اللقمة واللقمتان وإنما هناك مسكين أشد من هذا المسكين وهو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس ، والله أعلم .

* * *

س : من المراد بـ (ابن السبيل) في قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : السبيل هو الطريق ، وابن السبيل هو المسافر الذي انتهت النفقة التي معه ولا يستطيع الرجوع إلى بلده فيعطى ما يوصله إلى بلده[2] .

وزاد الحافظ ابن كثير فقال : (وكذا الذي يريد سفرًا في طاعة فيُعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٧٩) ومسلم (حديث ١٠٣٩) .

(٢) وسيأتي لذلك مزيد تحرير في براءة إن شاء الله .

وقد قال بعض أهل العلم : إن المراد بابن السبيل هنا الضيف ، فقد أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : (وابن السبيل) هو الضيف[1] ، قال : قد ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت » ، قال : وكان يقول : « حق الضيافة ثلاث ليال فكل شيء أضافه بعد ذلك صدقة » .

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ (السائلين) في قوله تعالى : ﴿ والسائلين ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : السائلون هم الذين يسألون الناس ويتعرضون للطلب منهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « للسائل حق وإن جاء على فرس » ؟

ج : ضعيف ، فقد أخرجه أبو داود[2] وأحمد وأبو يعلى والبيهقي

---

(١) وهذا إسناد حسن عن قتادة ، أما قوله : قد ذُكر لنا ، فهو مرسل ، لكن قد أخرجه مسلم متصلًا .

● قال ابن سعدي رحمه الله : (وابن السبيل) وهو الغريب المنقطع به في غير بلده ، فحث الله عباده على إعطائه من المال ما يعينه على سفره لكونه مظنة الحاجة وكثرة المصارف فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته وخوّله من نعمته أن يرحم أخاه الغريب الذي بهذه الصفة ، على حسب استطاعته ، ولو بتزويده أو إعطائه آلة لسفره أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ١٦٦٥) ، وأحمد « المسند » (٢٠١/١) ، والبيهقي « السنن الكبرى » (٢٣/٧) ، وأبو يعلى في « المسند » (١٥٤/١٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٣١/٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٩/٨) ، وأيضًا ابن أبي شيبة في « المصنف » (١١٣/٣) ، وغيرهم من الطريق المشار إليه .

والطبراني في الكبيز وأبو نعيم في الحلية وغيرهم من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما مرفوعًا : وفي إسناده يعلى بن أبي يحيى وهو مجهول ، كما قال الذهبي رحمه الله تعالى .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وفي الرقاب ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : أي : وفي فك الرقاب وتحريرها من العبودية ، وكذلك في الأداء عن المكاتب(١) .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي تحث على الوفاء بالوعد ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [المائدة : ١] .

قوله تعالى : ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ [الرعد : ٢٠] .

قوله عز وجل : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [النجم : ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ [النحل : ٩١] .

---

(١) أي : العبد الذي اتفق مع سيده على أن يعتقه مقابل بعض المال يعطيه العبد للسيد وكتبا بذلك كتابًا ، فيسمى العبد حينئذ : مكاتبًا ، ويساعد ببعض المال ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ [النور : ٣٣] .
وقول النبي ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم ... والمكاتب يريد الأداء .. » .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ [البقرة :١٧٧]، من آمن بالله واليوم الآخر ، ونعتهم النعت الذي نعتهم به في هذه الآية . يقول : فمن فعل هذه الأشياء ، فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم ، وحققوا قولهم بأفعالهم – لا من ولى وجهه قبل المشرق والمغرب وهو يخالف الله في أمره ، وينقض عهده وميثاقه ، ويكتم الناس بيان ما أمره الله ببيانه ، ويكذب رسله .

وأما قوله : ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة :١٧٧] ، فإنه يعني : وأولئك الذين اتقوا عقاب الله ، فتجنبوا عصيانه ، وحذروا وعده ، فلم يتعدوا حدوده ، وخافوه ، فقاموا بأداء فرائضه .

وقال الماوردي في تفسيره

﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] فيه وجهان :

أحدهما : أن تخالف سرائرهم لعلانيتهم

والثاني : أن يحمدهم الناس بما ليس فيهم

قلت (مصطفى) : **يعني أنهم اتقوا مخالفة سرائرهم لعلانيتهم** أي : أنهم حرصوا على أن يوافق ظاهرهم باطنهم

والثاني : أنهم اتقوا ثناء الناس عليهم بما ليس فيهم ، فحرصوا على العمل فإن أثنى عليهم الناس كان ثناء الناس متوافقًا مع أعمالهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

س : اذكر معنى مايلي : كُتب ــ القصاص ــ القتلى ــ اتباع بالمعروف ــ أداء إليه بإحسان ــ حياة ــ يا أولي الألباب ؟

ج :

الكلمــة	**معناهــا**
كُتب	فُرض[(١)]
القصاص	معاقبة الجاني بمثل ما صنع (فإن قتل قُتل ، وإن جَرح جُرح ، وإن كَسر كُسر)
القتلى	جمع قتيل
اتباع بالمعروف	أي : على أولياء المقتول أن يطالبوا بالدِّية بالمعروف (في حالة رضاهم بقبول الدِّية)
أداء إليه بإحسان	على القاتل أن يؤدي الدِّية بالإحسان إلى أولياء المقتول
حياة	بقاء
يا أولي الألباب	يا أصحاب العقول

(١) قال الطبري رحمه الله : =

=

= فإن قال قائل : = إذ ذكرت أن معنى قوله : ﴿ كُتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] - بمعنى : فرض عليكم القصاص = : لا يعرف لقول القائل : ﴿ كتب ﴾ معنًى = إلا معنى : خط ذلك ، فرسم خطًّا وكتابًا ، فما برهانك على أن معنى قوله : ﴿ كتب ﴾ فرض ؟

قيل : إن ذلك في كلام العرب موجود ، وفي أشعارهم مستفيض ، ومنه قول الشاعر :

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

وقول نابغة بني جعدة :

يا بنت عمي ، كتاب الله أخرجني عنكم ، فهل أمنعن الله ما فعلا !

وذلك أكثر في أشعارهم وكلامهم من أن يحصى . غير أن ذلك ، وإن كان بمعنى : فرض ، فإنه عندي مأخوذ من « الكتاب » الذي هو رسمٌ وخط . وذلك أن الله تعالى ذكره في القرآن : ﴿ بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾ [البروج : ٢١ ، ٢٢] ، وقال : ﴿ إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون ﴾ [الواقعة : ٧٧ ، ٧٨] . فقد تبين بذلك أن كل ما فرضه علينا ، ففي اللوح المحفوظ مكتوب .

فمعنى قوله : - إذا كان ذلك كذلك - ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] : كتب عليكم في اللوح المحفوظ القصاص في القتلى ، فرضًا ، أن تقتلوا بالمقتول غير قاتله .

س : هل يجب القصاص في القتلى أم أن للأولياء العفو وقبول الدية ؟

ج : لا يجب القصاص في القتلى[1] ؛ بل للأولياء العفو أو قبول الدِّية ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨]

وقوله تعالى : ﴿ فمن تَصدَّق به فهو كفارة له ﴾ [المائدة : ٤٥]

ولقول النبي ﷺ : « ومن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يُودي وإما أن يقاد »[2] .

* * *

س : أجبتم أن القصاص غير واجب إلا إذا أراد أهل المقتول ذلك ، فكيف يوجَّه قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] ومعنى كتب فُرض كما ذكرتم ، ومن المعلوم أن الفرض واجب فعله ؟

ج : هذا الواجب مصروف عن الوجوب بقوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، وبالأدلة التي أوردناها آنفًا .

وهنا وجه آخر للإجابة أيضًا ، وهو أن المعنى بالفرض هنا فرض ترك المجاوزة بالتعدي في القصاص ، فالمعنى فُرض عليكم ألا تتعدوا في القصاص بل القاتل يقتل .

وبنحو هذا الأخير **قال الطبري رحمه الله ، فقال رحمة الله عليه :**

يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] : فُرض عليكم .

---

(١) إلا إذا أراد أهل المقتول ذلك .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٨٠) ، ومسلم (حديث ١٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

فإن قال قائل : أفرضٌ على ولي القتيل القصاص من قاتل وليه ؟

قيل : لا ، ولكنه مباح له ذلك ، والعفو ، وأخذ الدية .

فإن قال قائل : وكيف قال : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة :١٧٨] ؟

قيل : إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبت إليه ، وإنما معناه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، أي : أن الحر إذا قتل الحر ، فدم القاتل كفء لدم القتيل ، والقصاص منه دون غيره من الناس ، فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل ، فإنه حرام عليكم أن تقتلوا بقتيلكم غير قاتله والفرض الذي فرض الله علينا في القصاص ، هو ما وصفت من ترك المجاوزة بالقصاص قتل القاتل بقتيله إلى غيره ، لا أنه وجب علينا القصاص فرضًا وجوب فرض الصلاة والصيام ، حتى لا يكون لنا تركه . ولو كان ذلك فرضًا لا يجوز لنا تركه ، لم يكن لقوله : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، معنى مفهوم . لأنه لا عفو بعد القصاص فيقال : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء ﴾ .

وقال القرطبي رحمه الله : وليس القصاص بلازمٍ إنما اللازم ألا يتجاوز القصاص وغيره من الحدود إلى الاعتداء ، فأما إذا وقع الرضا بدون القصاص من دِيةٍ أو عفو فذلك مباح على ما يأتي بيانه .

فإن قيل : فإن قوله تعالى : ﴿ كُتب عليكم ﴾ [البقرة : ١٧٨] معناه : فُرض وألزم ، فكيف يكون القصاص غير واجب ؟ قيل له : معناه : إذا أردتم ، فأعلم أن القصاص هو الغاية عند التشاحِّ .

* * *

س : يرى كثير من أهل العلم أن قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

كُتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] وإن كان ظاهره موجهًا للمؤمنين إلا أن المقصود بالخطاب هم ولاة أمور المسلمين ، فما مدى صحة ذلك ؟

ج : نعم ، هذا صحيح في البلاد التي بها ولاة أمور للمسلمين يقيمون فيهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ويقتصون للمظلوم من الظالم ، ففي مثل هذه البلاد لا يجوز لمن قتل له قتيل أن يقتل القاتل إلا بعد الحكم الشرعي على القاتل بالقتل(١) ، وإلا حدثت الفوضى وعم الفساد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يُقتل الرجل بالمرأة إذا قتلها ، وهل يقتل الحر بالعبد ؟

ج : نعم ، يقتل الرجل بالمرأة إذا قتلها ، وقد نقل القرطبي الإجماع على هذا(٢) .

وأيضًا فالصحيح أن الحر يقتل بالعبد إذا قتله(٣) ، وهذا وذاك لعموم قوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] ولحديث رسول الله ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم »(٤) .

---

(١) وعلى هذا سارت الأمور على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه .

(٢) قال القرطبي رحمه الله تعالى : وأجمع العلماء على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل .

(٣) ولا معنى لتشنيع ابن العربي على قائلي هذا القول واحتجاجه بقوله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل ﴾ [الإسراء : ٣٣] قال : والولي ها هنا السيد فكيف يجعل له سلطان على نفسه ؟! كذا قال عفا الله عنه ، وللإجابة عليه يُلزم بأن يقال له إن معنى قولكم أن كل من قتل رجلًا هو له ولي أن لا يقتل به ، وهذا قول بعيد عن الصواب معارض بالآية التي أوردناها في الباب وبالحديث .

(٤) صحيح بمجموع طرقه ، فقد أخرجه أحمد (١٩٢/٢) وأبو داود (حديث ٢٧٥١) وغيرهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ .. ،=

ويشهد لقتل الرجل بالمرأة أيضًا ما أخرجه البخاري[1] ، ومسلم وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه أن يهوديًا قتل جارية على أوضاح لها فقتلها بحجر فجيء بها إلى النبي ﷺ وبها رمق فقال : أقتلك فلان ؟ فأشارت برأسها أن لا ، ثم قال الثانية فأشارت برأسها أن لا ، ثم سألها الثالثة فأشارت برأسها أن نعم ، فقتله النبي ﷺ بحجرين .

هذا ، وقد ورد في قتل الحر بالعبد أحاديث بين المشروعية والحظر ، وهي لا تخلو من مقال فأضربنا الذكر عنها صفحًا ، والله تعالى أعلم .

***

س : اذكر حديثًا يُرهب الشخص من قتل غير القاتل ؟

ج : الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولكن نلفت النظر إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه البخاري[2] عن النبي ﷺ أنه قال : « أبغضَ الناس إلى الله ثلاثة : مُلحد في الحرم ، ومبتغٍ في الإسلام سُنَّةَ الجاهلية ، ومُطَّلب دم امرىء مسلم بغير حق ليهريق دمه » .

***

س : هل يقتل مسلم بكافر ؟

ج : لا يقتل مسلم بكافر لحديث رسول الله ﷺ «.. وأن لا يقتل مسلم

= وهذا إسناد حسن ، وله شاهد عند أبي داود (حديث ٤٥٣٠) وغيره من طريق قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد عن عليٍّ رضي الله عنه يرتقي به إلى الصحة ، والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من صحيحه منها (حديث ٦٨٧٦ ، ٦٨٧٧ ، ٦٨٧٩) ، ومسلم حديث (١٦٧٢) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٨٢) .

بكافر »[1] .

قال القرطبي رحمه الله : والجمهور أيضًا على أنه لا يُقتل مسلم بكافر ؛ لقوله ﷺ : « لا يُقتل مسلم بكافر » أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب . و لا يصح لهم ما رووه من حديث ربيعة أن النبي ﷺ قتل يوم خيبر مسلمًا بكافر ؛ لأنه منقطع ، ومن حديث ابن البيلماني وهو ضعيف عن ابن عمر عن النبي ﷺ مرفوعًا . قال الدارقطني : « لم يسنده غير إبراهيم بن أبي يحيى وهو متروك الحديث . والصواب عن ربيعة عن ابن البيلماني مرسل عن النبي ﷺ ، وابن البيلماني ضعيف الحديث لا تقوم به حجة إذا وصل الحديث ، فكيف بما يرسله » .

قلت : فلا يصح في الباب إلا حديث البخاري ، وهو يخصص عموم قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] الآية ، وعموم قوله : ﴿ النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] .

قلت (مصطفى) : وأذكر هنا ما ذكر ابن العربي رحمه الله تعالى وأشار إلى أنه فائدة بقوله :

(فائدة) : ورد علينا بالمسجد الأقصى سنة سبع وثمانين وأربعمائة فقيه من عظماء أصحاب أبي حنيفة يعرف بالزوزني زائرًا للخليل صلوات الله عليه ، فحضرنا في حرم الصخرة المقدسة طهرها الله معه ، وشهد علماء البلد ، فسئل على العادة عن قتل المسلم بالكافر ، فقال : يُقتل به قصاصًا ؛

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٩١٥) من حديث علي رضي الله عنه وقد سأله أبو جحيفة : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ؟ وقال ابن عيينة مرة : ما ليس عند الناس ؟ فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهمًا يعطى رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر .

فطولب بالدليل ، فقال : الدليل عليه قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] . وهذا عام في كل قتيل .

فانتدب معه للكلام فقيه الشافعية بها وإمامهم عطاء المقدسي ، وقال : ما استدل به الشيخ الإمام لا حجة له فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الله سبحانه قال : ﴿ كُتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، فشرط المساواة في المجازاة ، ولا مساواة بين المسلم والكافر ؛ فإن الكفر حط منزلته ووضع مرتبته .

الثاني : أن الله سبحانه ربط آخر الآية بأولها ، وجعل بيانها عند تمامها ، فقال : ﴿ كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] فإذا نقِص العبد عن الحر بالرق ، وهو من آثار الكفر ، فأحرى وأولى أن ينقص عنه الكافر .

الثالث : أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؛ ولا مؤاخاة بين المسلم والكافر ؛ فدل على عدم دخوله في هذا القول .

فقال الزوزني : بل ذلك دليل صحيح ، وما اعترضت به لا يلزمني منه شيء .

أما قولك : إن الله تعالى شرط المساواة في المجازاة فكذلك أقول . وأما دعواك أن المساواة بين الكافر والمسلم في القصاص غير معروفة فغير صحيح ؛ فإنهما متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص ، وهي حرمة الدم الثابتة على التأبيد ؛ فإن الذمي محقون الدم على التأبيد ، والمسلم محقون الدم على التأبيد ، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام ، والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي ؛ وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم ؛ فدل على مساواته لدمه ؛ إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه .

وأما قولك : إن الله تعالى ربط آخر الآية بأولها فغير مسلم ؛ فإن أول الآية عام وآخرها خاص ، وخصوص آخرها لا يمنع من عموم أولها ؛ بل يجري كل على حكمه من عموم أو خصوص .

وأما قولك : إن الحر لا يقتل بالعبد ، فلا أسلِم به ؛ بل يقتل به عندي قصاصًا ، فتعلقت بدعوى لا تصح لك .

وأما قولك : فمن عفي له من أخيه شيء ، يعني المسلم ، فكذلك أقول ، ولكن هذا خصوص في العفو ؛ فلا يمنع من عموم ورود القصاص ، فإنهما قضيتان متباينتان ؛ فعموم إحداهما لا يمنع من خصوص الأخرى ، ولا خصوص هذه يناقض عموم تلك . وجرت في ذلك مناظرة عظيمة حصلنا منها فوائد جمة أثبتناها في نزهة الناظر ، وهذا المقدار يكفي هنا منها .

قلت : وكان من اللائق بالإمامين المتحاجين أن يتذكرا حديث رسول الله ﷺ : « لا يقتل مسلم بكافر » ، فقد كان هذا الحديث كافيًا لقطع الجدل بينهما ، ولكن هذا مصير من ابتعد في جدله وحجاجه عن سنة رسول الله ﷺ . قاله مصطفى .

* * *

س : هل يقتل الجماعة بالواحد ؟

ج : قال ذلك فريق من أهل العلم وحملوا الآية الكريمة ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] على أن المراد بالقصاص في الآية قتل من قتل كائنًا من كان ، واحتجوا أيضًا بما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قتل سبعة اشتركوا في قتل رجل وقال : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلهم به جميعًا .

بينما تمسك آخرون بقوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ [المائدة : ٤٥] وبحديث رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى

ثلاث .. والنفس بالنفس .. » وقالوا : لا يقتل إلا شخص واحد فقط .

قال القرطبي رحمه الله : وقد استدل الإمام أحمد بن حنبل بهذه الآية على قوله : لا تقتل الجماعة بالواحد ، قال : لأن الله سبحانه شرط المساواة ولا مساواة بين الجماعة والواحد . وقد قال تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ﴾ [البقرة : ١٧٨] . والجواب : أن المراد بالقصاص في الآية قتل من قتل كائنًا من كان ؛ ردًّا على العرب التي كانت تريد أن تقتل بمن قتل من لم يقتل ، وتقتل في مقابلة الواحد مائة ؛ افتخارًا واستظهارًا بالجاه والمقدرة ، فأمر الله سبحانه بالعدل والمساواة ، وذلك بأن يقتل من قتل ، وقد قتل عمر رضي الله عنه سبعة برجل بصنعاء وقال : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعًا . وقتل علي رضي الله عنه الحرورية بعبد الله بن خباب ؛ فإنه توقف عن قتالهم حتى يحدثوا ، فلما ذبحوا عبد الله بن خباب كما تذبح الشاة ، وأخبر علي بذلك قال : الله أكبر ! نادوهم أن أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب ؛ فقالوا : كلنا قتله ، ثلاث مرات ، فقال علي لأصحابه : دونكم القوم ، فما لبث أن قتلهم علي وأصحابه . خرج الحديثين الدارقطني في سننه . وفي الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار » . وقال فيه : حديث غريب . وأيضًا فلو علم الجماعة أنهم إذا قتلوا الواحد لم يقتلوا لتعاون الأعداء على قتل أعدائهم بالاشتراك في قتلهم وبلغوا الأمل من التشفي .

***

س : قد يفهم شخص أن قوله تعالى : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] يقتضي أن الحر إذا قتل عبدًا لا يقتل به ، وكذلك الرجل إذا قتل امرأة لا يقتل بها ، فكيف تدفعون عن هذا الشخص

مثل هذا الإشكال ؟

ج : الآية الكريمة أفادت أن الحر يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد والأنثى تقتل بالأنثى هذا هو ظاهر الآية الكريمة ، ولكنها لم تنف أن الحر يُقتل بالعبد ، أو أن الرجل يقتل بالمرأة ، أما كوننا أثبتنا أن الرجل يقتل بالمرأة أو أن الحر يقتل بالعبد فذلك من أدلة أُخر قدمنا ذكرها .

ومع ذلك لا يمنع أن نوجِّه الآية الكريمة توجيهًا ترتضيه أفئدة الذين يؤمنون بالآخرة وتصغى إليه ، وقد ذكره أهل العلم في تفاسيرهم :

الوجه الأول : قال فريق من أهل العلم : إن الآية نزلت في قوم لا يرضون إذا قُتل العبدُ منهم أن يُقتل قاتله العبد من القبيلة التي تركته ويقولون لا نرض مقابله إلا رجلًا حرًّا أفضل من قاتله .

● وإذا قتلت امرأة من غيرهم امرأة منهم لا يرضون بقتل المرأة القاتلة فقط ولكنهم يقولون نقتل مكانها رجلًا (وهو غير القاتل فالقاتل امرأة) .

● وإذا قتل منهم حرٌّ قالوا لا نرض بأن نقتل قاتله فقط بل لا بد أن نقتل أكثر من قاتله فنزلت الآية فيهم .

وأسباب نزول الآية وإن كانت ضعيفة(1) إلا أنها كأوجهٍ للتفسير تعدُّ أوجهًا مقبولة .

---

(1) منها ما أخرجه الطبري (٢٥٥٨) بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : نزلت في قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا قتال عُمِّيَّة فقالوا : نقتل بعبدنا فلان بن فلان ، وبفلانة فلان بن فلان فأنزل الله : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

قلت (مصطفى) : وهذا مرسل فالشعبي تابعي لم يدرك رسول الله ﷺ .

● ومنها ما أخرجه الطبري أيضًا (٢٥٥٩) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد =

الوجه الثاني : قال بعض أهل العلم إنها نزلت في قتال عمية ، تقاتل فريقان من الناس رجال ونساءٌ فأمر الله ثبيه عز وجل أن يجعل ديات الرجال الأحرار في الرجال الأحرار ، وديات العبيد في العبيد وديات النساء في النساء .

وسبب النزول الوارد في هذا ضعيف أيضًا[1] .

الوجه الثالث : وقال آخرون : إنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس .. ﴾ [المائدة : ٤٥] .

= والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

قال : كان أهل الجاهلية فيهم بغي وطاعةٌ للشيطان ، فكان الحي إذا كان فيهم عدة ومنعة فقتل عبد قوم آخرين عبدًا لهم قالوا : لا نقتل به إلا حرًّا تعززًا لفضلهم على غيرهم في أنفسهم ، وإذا قتلت لهم امرأة قتلتها امرأة قوم آخرين قالوا : لا نقتل بها إلا رجلًا ! فأنزل الله هذه الآية يخبرهم ﴿ أن العبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، فنهاهم عن البغي ، ثم أنزل الله تعالى ذكره في سورة المائدة بعد ذلك فقال : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنَّ بالسن والجروح قصاص ﴾ [المائدة : ٤٥]

قلت (مصطفى) : وهذا مرسل أيضًا : قتادة تابعي ومراسيله ضعيفة .

(١) أخرج الطبري (٢٥٦٧) بإسناد صحيح عن الشعبي ، قال في هذه الآية : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : نزلت في قتال عُمية ، قال : كان على عهد النبي ﷺ .

قلت (مصطفى) : وهذا أيضًا مرسل ، وهذا الأثر هو نفسه الذي قدمناه عن الشعبي رحمه الله إلا أن الطبري أورده مرتين المرة الثانية عند ذكره من قال : بل نزلت هذه الآية في فريقين كان بينهم قتال على عهد رسول الله ﷺ فقتل من كلا الفريقين جماعة من الرجال والنساء فأمر النبي ﷺ أن يُصلح بينهم بأن يجعل ديات النساء من كل واحد من الفريقين قصاصًا بديات النساء من الفريق الآخر ، وديات الرجال بالرجال ، وديات العبيد بالعبيد فذلك معنى قوله : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

الوجه الرابع : أن ذلك في الديات فالحر ديته دية حر ، والعبد ديته دية عبد ، والأنثى ديتها دية أنثى ، فإذا قتل حرٌّ عبدًا وأراد أهل العبد أن يقتلوا الحر نظروا إلى دية العبد كم هي ؟ وإلى دية الحر كم هي ثم أعطوا لأهل الحر فرق الدية وقتلوا الحر مكان العبد ، وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة إذا قتلها رجل يُعطي أهل القاتل فرق الدية ثم يُقتل القاتل .

وقد وردت بذلك آثار عن عليٍّ رضي الله عنه عند الطبري لكنها ضعيفة الإسناد إليه رضي الله عنه

لكن قد صح هذا القول عن الحسن البصري ، فأخرج الطبري بإسناد صحيح عن الحسن قال : لا يقتل الرجل بالمرأة حتى يعطوا نصف الدِّية .

وهذا القول الأخير من أفسد الأقوال لأمور ، منها أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، ومنها أن النبي ﷺ أمر بقتل اليهودي الذي قتل المرأة ولم يعط أولياءه باقي الدِّية .

● وقد رد الطبري هذا القول الأخير ردًّا شديدًا فقال :

فإذ كان مختلفًا الاختلاف الذي وصفت ، فيما نزلت فيه هذه الآية ، فالواجب علينا استعمالها ، فيما دلت عليه من الحكم ، بالخبر القاطع العذر . وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بالنقل العام : أن نفس الرجل الحر قودٌ قصاصًا بنفس المرأة الحرة . فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأمة مختلفة في التراجع بفضل ما بين دية الرجل والمرأة – على ما قد بينا من قول علي وغيره – كان واضحًا فساد قول من قال بالقصاص في ذلك والتراجع بفضل ما بين الديتين ، بإجماع جميع أهل الإسلام : على أن حرامًا على الرجل أن يتلف من جسده عضوًا بعوض يأخذه على إتلافه ، فدع جميعه – وعلى أن حرامًا على غيره إتلاف شيء منه – مثل الذي حرم من ذلك – بعوض يعطيه عليه فالواجب أن تكون نفس الرجل الحر بنفس المرأة الحرة قودًا .

وإذ كان ذلك كذلك ، كان بينًا بذلك أنه لم يرد بقوله تعالى ذكره : ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] أن لا يقاد العبد بالحر ، وأن لا تقتل الأنثى بالذكر ولا الذكر بالأنثى . وإذ كان ذلك كذلك ، كان بينًا أن الآية معنيٌّ بها أحد المعنيين الآخرين . إما قولنا : من أن لا يتعدى بالقصاص إلى غير القاتل والجاني ، فيؤخذ بالأنثى الذكر وبالعبد الحر . وإما القول الآخر : وهو أن تكون الآية نزلت في قوم بأعيانهم خاصة أمر النبي ﷺ أن يجعل ديات قتلاهم قصاصًا بعضها من بعض ، كما قاله السدي ومن ذكرنا قوله .

وقد أجمع الجميع – لا خلاف بينهم – على أن المقاصة في الحقوق غير واجبة ، وأجمعوا على أن الله لم يقض في ذلك قضاء ثم نسخه . وإذ كان كذلك ، وكان قوله تعالى ذكره : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ ينبىء عن أنه فرض ، كان معلومًا أن القول خلاف ما قاله قائل هذه المقالة . لأن ما كان فرضًا على أهل الحقوق أن يفعلوه ، فلا خيار لهم فيه . والجميع مجمعون على أن لأهل الحقوق الخيار في مقاصتهم حقوقهم بعضها من بعض . فإذا تبين فساد هذا الوجه الذي ذكرنا ، فالصحيح من القول في ذلك هو ما قلنا .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن القاتل الذي عفا عنه أولياء المقتول وتركوا قتله قصاصًا ورضوا منه بالدِّية عليه أن يؤدي الدِّية إليهم بإحسان وعليهم هم الآخرون أن يطالبوه بما عليه من الدِّية بالمعروف ، والله تعالى أعلم .

وبهذا جاءت الآثار عن بعض الصحابة والتابعين :

● فقد صح عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] فالعفو أن يقبل الدِّية في العمد ،﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ أن يطلب هذا بمعروف ويؤدي هذا بإحسان ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال : الذي يقبل الدِّية ذلك منه عفو واتباع بالمعروف ويؤدي إليه الذي عُفي له من أخيه بإحسان .

● وصح عن الشعبي[2] أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : هو العمد يرضى أهله بالدية .

● وأخرج الطبري بإسناد حسن[3] عن قتادة قال : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] يقول : قتل عمدًا فعفي عنه ، وقبلت منه الدِّية ، يقول : ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ فأمر المتبع أن يتبع بالمعروف ، وأمر المؤدي أن يؤدي بإحسان ، والعمد قودٌ إليه قصاص لا عَقل[4] فيه إلا أن يرضوا بالدية فإن رضوا بالدية فمئة

---

(١) أخرجه الطبري (٢٥٧٣) بإسناد صحيح عن ابن عباس ، والرواية الأخرى (عند الطبري ٢٥٧٥) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٥٨١) .

فائدة : إذا عفى أحد الورثة عن القاتل سقط حق سائر الورثة في القصاص ، ولكن يثبت لهم حقهم في الدِّية ، ومن هنا قال بعض أهل العلم : إن تنكير (شيء) في قوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة والله تعالى أعلم .

(٣) أخرجه الطبري (أثر ٢٥٨٣) .

(٤) العقل : الدية سميت عقلًا لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلًا ؛ لأنها كانت أموالهم ، فكان القاتل يسوق الدِّية إلى فناء ورثة المقتول فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه . شاكر .

خَلِفَة[1] فإن قالوا لا نرضى إلا بكذا وكذا فذاك لهم . .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال : ﴿ وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : أنت أيها المعفوُّ عنه[2] .

● **وقال الطبري رحمه الله :** وأولى الأقوال عندي بالصواب في قوله : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] : فمن صُفح له – من الواجب كان لأخيه عليه من القود – عن شيء من الواجب ، على دية يأخذها منه ، فاتباع بالمعروف – من العافي عن الدم ، الراضي بالدية من دم وليه – وأداء إليه – من القاتل – ذلك بإحسان . لما قد بينا من العلل فيما مضى قبل : من أن معنى قول الله تعالى ذكره : ﴿ كتب عليكم القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، إنما هو القصاص من النفوس القاتلة أو الجارحة أو الشاجة عمدًا . كذلك (العفو) أيضًا عن ذلك .

وأما معنى قوله : ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، فإنه يعني : فاتباع على ما أوجبه الله له من الحق قبل قاتل وليه ، من غير أن يزداد عليه ما ليس له عليه – في أسنان الفرائض أو غير ذلك – أو يكلفه ما لم يوجبه الله له عليه ، كماحدثني بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قال : بلغنا عن نبي الله ﷺ أنه قال : « من زاد أو ازداد بعيرًا – يعني في إبل الديات وفرائضها – فمن أمر الجاهلية »[3] .

وأما إحسان الآخر في الأداء ، فهو أداء ما لزمه بقتله لولي القتيل ، على

---

(١) الخلفة : الحامل من الإبل .

(٢) الطبري أثر (٢٥٨٩) .

(٣) هذا مرسل من مراسيل قتادة ، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل .

ما ألزمه الله وأوجبه عليه ، من غير أن يبخسه حقًّا له قبله بسبب ذلك ، أو يحوجه إلى اقتضاء ومطالبة .

* * *

س : لماذا قيل : ﴿ فاتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، ولم يقل فاتباعًا .. وأداءً ؟

ج : رُفع ﴿ اتباعٌ ﴾ و ﴿ أداءٌ ﴾ على تقدير فمن عُفي له من أخيه شيء فالذي يلزم هو اتباع بمعروف وأداءٌ ..

وقدْ أورد الطبري رحمه الله تعالى نحو هذا السؤال فقال :

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : ﴿ فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ ، ولم يقل فاتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان ، كما قال : ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾ [محمد : ٤] ؟

قيل : لو كان التنزيل جاء بالنصب ، وكان : فاتباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان – كان جائزًا في العربية صحيحًا ، على وجه الأمر ، كما يقال : (ضربًا ضربًا ، وإذا لقيت فلانًا فتبجيلًا وتعظيمًا) ، غير أنه جاء رفعًا ، وهو أفصح في كلام العرب من نصبه . وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرًا له ، مما يكون فرضًا عامًّا – فيمن قد فعل ، وفيمن لم يفعل إذا فعل – لا ندبًا وحثًّا . ورفعه على معنى : فمن عفي له من أخيه شيء ، فالأمر فيه : اتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ، أو فالقضاء والحكم فيه : اتباع بالمعروف .

وقد قال بعض أهل العربية : رفع ذلك على معنى : فمن عفي له من أخيه شيء ، فعليه اتباعٌ بالمعروف . وهذا مذهب ، والأول الذي قلناه هو وجه الكلام . وكذلك كل ما كان من نظائر ذلك في القرآن ، فإن رفعه

على الوجه الذي قلناه . وذلك مثل قوله : ﴿ ومن قتله منكم متعمدًا فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وقوله : ﴿ فإمساك بمعروفٍ أو تسريح بإحسان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] . وأما قوله : ﴿ فضرب الرقاب ﴾ [محمد : ٤] ، فإن الصواب فيه النصب ، وهو وجه الكلام ، لأنه على وجه الحث من الله تعالى ذكره عباده على القتل عند لقاء العدو ، كما يقال : (إذا لقيتم العدو فتكبيرًا وتهليلًا) ، على وجه الحض على التكبير ، لا على وجه الإيجاب والإلزام .

* * *

س : في قوله تعالى : ﴿ فمن عُفي له من أخيه شيء .. ﴾ [البقرة : ١٧٨] دليل على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ، وضح ذلك ؟ واذكر دليلًا آخر على ذلك ؟

ج : إيضاحه أن القاتل مع أنه قتل لم يُخرجه الله سبحانه من دائرة المسلمين بل وصفه الله سبحانه بأنه أخٌ لأولياء المقتول فقال : ﴿ فمن عفي له من أخيه ﴾ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ [الحجرات : ٩] فسماهم الله مؤمنين رغم اقتتالهما ، وقال الله تعالى أيضًا : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم .. ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .. ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ [البقرة : ١٧٨] يرجع إلى ماذا ؟

ج : يرجع إلى ما أبيح من العفو عن القاتل مقابل الدية ، فالمعنى ذلك

الذي شرعناه لكم من أداء الدِّية وقبولها في حالة رضى أولياء المقتول نوع من التخفيف خففناه عليكم ورحمة رحمناكم بها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا طلب أولياء المقتول الدِّية وأبى القاتل فقال اقتلوني أو اعفوا عني فهل يجب عليه أن يدفع الدِّية ويلزم بذلك ؟

ج : نعم رأى ذلك فريق كبير من أهل العلم أنه يلزم بالدِّية وذلك لحديث رسول الله ﷺ : « من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين إن أحب أخذ العقل(١) وإن أحب فله القود(٢) » .

وأيضًا فهذا القاتل ليس له أن يقتل نفسه ما دام في وسعه إحياؤها فقد قال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] .

ومن أهل العلم من رأى أنه ليس لولي المقتول إلا القصاص ولا يأخذ الدِّية إلا إذا رضي القاتل ، قال القرطبي رحمه الله : رواه(٣) ابن القاسم عن مالك وهو المشهور عنه ، وبه قال الثوري والكوفيون ، واحتجوا بحديث أنس(٤) في قصة الرُّبيع حين كسرت ثنية المرأة رواه الأئمة ، قالوا : فلما حكم رسول الله ﷺ بالقصاص وقال : « القصاص كتاب الله القصاص

---

(١) العقل هو الدِّية .

(٢) القود هو القصاص ، والحديث صحيح وقد تقدم .

(٣) أي : روى هذا القول .

(٤) أخرج البخاري حديث (٢٧٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه أن الرُّبيع وهي ابنة النضر - كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش وطلبوا العفو ، فأبوا فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص فقال أنس بن النضر : أتكسر ثنية الرُّبيع يا رسول الله ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال « يا أنس كتاب الله القصاص » ، فرضي القوم وعفوا ، فقال النبي ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه » .

كتاب الله » ولم يخير المجني عليه بين القصاص والدِّية ثبت بذلك أن الذي يجب بكتاب الله وسنة رسوله في العمد هو القصاص ، والأول أصح لحديث أبي شريح[1] المذكور قلت : ووجه الدلالة من حديث : « القصاص كتاب الله ... » ضعيف وذلك لأن رغبة أهل المرأة التي كسرت الرُّبيع ثنيتها كانوا يريدون القصاص فرسول الله ﷺ ألزم أهل الرُّبيع بالقصاص حسب رغبة أهل المجني عليها ، ثم إن أهل المجني عليها رضوا بالأرش (أي بالدِّية) فدل ذلك على أن أهل الرُّبيع كانوا يعرضون الدِّية إلا أن أهل المجني عليها كانوا يرفضونها أولًا فقول رسول الله ﷺ : « القصاص كتاب الله » قول حق فالله أمر بالقصاص في حالة رغبة أولياء المقتول في القصاص ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل كانت الدِّية في بني إسرائيل ؟

ج : ذهب كثير من أهل العلم إلى أن بني اسرائيل لم تكن فيهم الدِّية إنما كان القصاص فقط والحجة في ذلك قوله تعالى (لما شرع الدية) : ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ [البقرة : ١٧٨] وأيضًا قد أخرج البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت في بني إسرائيل قصاص ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله لهذه الأمة : ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ [البقرة : ١٧٨] إلى هذه الآية : ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : ابن عباس فالعفو أن يقبل الدِّية في العمد ، قال : ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٧٨] أن يطلب بمعروف ويؤدي بإحسان .

---

(١) يعني حديث : « من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ... » .

(٢) البخاري في صحيحه مسندًا موقوفًا (٦٨٨١) .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن من قبل الدِّية من القاتل ثم اعتدى عليه بعد أن قبلها منه فله عذاب أليم ، وذلك أن من أهل المقتول من يُغرر القاتل ويقبل منه الدِّية فيطمأن القاتل إلى أنه آمِن ثم يُفاجأ بأهل المقتول يعتدون عليه بعد قبولهم الدِّية منه .

● وقد أخرج الطبري (٢٦٠٣) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الدِّية فقتل فله عذاب أليم .

وأخرج بإسناد صحيح إلى ابن زيد قال في قوله : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] قال : أخذ العقل[1] ثم قتل بعد أخذ العقل قاتل قتيله فله عذاب أليم .

● وقال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ [البقرة : ١٧٨] فمن تجاوز ما جعله الله له بعد أخذه الدِّية اعتداءً وظلمًا إلى ما لم يُجعل له من قتل قاتل وليِّه وسفك دمه فله بفعله ذلك وتعدِّيه إلى ما قد حرَّمته عليه عذابٌ أليم .

❋ ❋ ❋

س : مالمراد بـ ﴿ العذاب الأليم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] ؟

ج : الذي يظهر لي – والله أعلم – أن العذاب الأليم يُراد به القتل في الدنيا فإذا قُتل لرجلٍ قتيل ثم قبل هذا الرجل الدية ثم اعتدى بعد ذلك على القاتل

(١) العقل هو الدِّية ، والأثر عند الطبري (٢٦١١) .

بعد قبوله الدِّية فقتل القاتل ، استحق هذا الرجل (الذي كان قبل الدِّية) القتل ، وذلك لأن حق قريبه قد سقط ، وأنشأ هو قتلًا جديدًا استحق عليه القتل أو الدِّية أو العفو على ما يريده أهل المقتول الجديد . هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن وليَّ المقتول الأول إذا اعتدى - بعد قبول الدِّية - على القاتل وقتله فلا يقتل به إنما يرد إليه ديَّته فقط وممن ذهب إلى هذا القول الحسن البصري رحمه الله فقد أخرج الطبري عنه بإسناد حسن : في رجل قُتل فأُخذت منه الدِّية ثم إن وليَّه قتل به القاتل قال الحسن : تؤخذ منه الدِّية التي أخذ ولا يقتل به[1] .

وهذا القول عندي ضعيف ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فله عذاب أليم ﴾ فقد ضم هذا القاتل إلى كونه قاتلًا (غدرًا وخيانة) إضافة إلى القتل الذي ارتكبه ، أما كونه قد قُتل له قتيلٍ فقد سقط حقه في القتل بقبوله الدِّية وإظهاره الرضا بذلك ، والله تعالى أعلم .

وقال آخرون من أهل العلم : إن أمر القاتل الجديد يرجع إلى الإمام يقضي فيه بما شاء ، وهذا القول أيضًا مردود لقوله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا .. ﴾ [الإسراء : ٣٣] فجعل الله سبحانه السلطان إلى الأولياء[2] .

● **قال الطبري رحمه الله** : وأولى التأويلين بقوله : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، تأويل من قال : فمن اعتدى

---

(١) أخرجه الطبري (٢٦١٦) .

(٢) وليس المراد أنهم أنفسهم يباشرون القتل إنما يوجِّهون الأمر .
قال القرطبي رحمه الله : لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك ؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعًا أن يجتمعوا على القصاص فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود .

بعد أخذه الدية فقتل قاتل وليه ، فله عذاب أليم في عاجل الدنيا ، وهو القتل . لأن الله تعالى جعل لكل وليٍّ قتيلٍ قُتل ظلمًا ، سلطانًا على قاتل وليه ، فقال تعالى ذكره : ﴿ ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل ﴾ [الإسراء : ٣٣] . فإذ كان ذلك كذلك . وكان الجميع من أهله مجمعين على أن من قتل قاتل وليه بعد عفوه عنه وأخذه منه دية قتيله ، أنه بقتله إياه له ظالم في قتله – كان بينًا أن لا يولى من قتله ظلمًا كذلك ، السلطان عليه في القصاص والعفو وأخذ الدية ، أي ذلك شاء ، وإذ كان ذلك كذلك ، كان معلومًا أن ذلك عذابه ، لأن من أقيم عليه حده في الدنيا ، كان ذلك عقوبته من ذنبه ، ولم يكن به متبعًا في الآخرة ، على ما قد ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : كيف يكون في القصاص حياة ؟

ج : في القصاص حياة من وجوه :

أولها : أن القصاص يروع مَنْ فكَّر في القتل ، فإذا فكر الرجل في قتل آخر وعلم أنه سيقتل به انكف عن القتل وانزجر فحصلت الحياة .

وقد أخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ(١) عن قتادة : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ [البقرة : ١٧٩] ، جعل الله هذا القصاص حياة ، ونكالًا ، وعظةً لأهل السَّفه والجهل من الناس وكم من رجلٍ قد همَّ بداهيةٍ لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض ، وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر إصلاح في الدنيا والآخرة ، ولا نهى الله عن أمرٍ قط إلا وهو أمر فساد في الدنيا والدين ، والله أعلم بالذي يصلح خلقه .

---

(١) الطبري (أثر ٢٦٢٠) .

ثانيها : أن قصاص الرجل بالرجل يمنع من انتشار الفوضى والظلم ، فقد يقتل رجلٌ من قبيلة ولا ترضى قبيلته إلا بعشرة رجال أو أكثر من قبيلة الذي قتله فإذا قيد القتل بالقاتل فقط حصلت الحياة لمن كان سيقتل ، والله تعالى أعلم .

هذا ، وقد قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص١٤٣ - ١٤٤) :

قول الله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

في ضمن هذا الخطاب : ما هو كالجواب لسؤال مقدر : إن في إعدام هذه البنية الشريفة ، وإيلام هذه النفس وإعدامها في عدم مقابلة إعدام المقتول تكثير لمفسدة القتل ، فلأية حكمة صدر هذا ممن وسعت رحمته كل شيء ، وبهرت حكمته العقول ؟ فتضمن الخطاب جواب ذلك بقوله : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

وذلك لأن القاتل إذا توهم أنه يقتل قصاصًا بمن قتله كف عن القتل وارتدع ، وآثر حب حياته ونفسه . فكان فيه حياة له ولمن أراد قتله .

ومن وجه آخر : وهو أنهم كانوا إذا قتل الرجل من عشيرتهم وقبيلتهم قتلوا به كل من وجدوه من عشيرة القاتل وحيه وقبيلته . وكان في ذلك من الفساد والهلاك ما يعم ضرره ، وتشتد مؤنته ، فشرع الله تعالى القصاص ، وأن لا يقتل بالمقتول غير قاتله . ففي ذلك حياة عشيرته وحيه وأقاربه . ولم تكن الحياة في القصاص من حيث إنه قتل ، بل من حيث كونه قصاصًا ، يؤخذ القاتل وحده بالمقتول لا غيره ، فتضمن القصاص الحياة في الوجهين .

وتأمل ما تحت هذه الألفاظ الشريفة من الجلالة والإيجاز ، والبلاغة والفصاحة ، والمعنى العظيم .

فصدر الآية بقوله : ﴿ ولكم ﴾ المؤذن بأن منفعة القصاص مختصة بكم ، عائدة إليكم ، فشرعه إنما كان رحمة بكم وإحسانًا إليكم ، فمنفعته ومصلحته لكم ، إلا لمن لا يبلغ العباد ضره ونفعه .

ثم عقبه بقوله : ﴿ في القصاص ﴾ [البقرة : ١٧٩] إيذانًا بأن الحياة الحاصلة إنما هي في العدل ، وهو أن يفعل به كما فعل بالمقتول .

و ﴿ القصاص ﴾ في اللغة : المماثلة ، وحقيقته راجعة إلى الاتباع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وقالت لأخته قصيه ﴾ [القصص : ١١] أي : اتبعي أثره . ومنه قوله : ﴿ فارتدا على آثارهما قصصًا ﴾ [الكهف : ٦٤] أي : يقصان الأثر ويتبعانه . ومنه : قص الحديث واقتصاصه ، لأنه يتبع بعضه بعضًا في الذكر ، فسمى جزاء الجاني قصاصًا . لأنه يتبع أثره ، فيفعل به كما فعل ، وهذا أحد ما يستدل به على أن يفعل بالجاني كما فعل ، فيقتل بمثل ما قتل به ، لتحقيق معنى القصاص .

وقال الزجاج في معاني القرآن : ومعنى الحياة في القصاص أن الرجل إذا علم أنه يقتل إن قتل أمسك عن القتل ففي إمساكه عن القتل حياة الذي همَّ هو بقتله ، وحياة له لأنه من أجل القصاص أمسك عن القتل فسلم أن يقتل .

ونقل هذا ابن الجوزي في زاد المسير ، وزاد : وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أبلغ أبا مالك عني مغلغلة ... وفي العتاب حياة بين أقوام

يريد : أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب .

س : قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٧٩] تتقون ماذا ؟

ج : تتقون العقوبة وتنتهون عن القتل .

وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٧٩] قال : لعلك تتقي أن تقتله فتقتل به .

***

كُتِبَ عَلَيْكُمْ

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ

بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ

عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
خيرًا – بدَّله – جنفًا – إثمًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
خيرًا	مالًا
بدَّله	غيره
جنفًا	خطأً[1] (أي : خطأ في الوصية) – جورًا – ميلًا
إثمًا	تعمد الظلم

✵ ✵ ✵

(١) قال الطبري رحمه الله : وأما (الجنف) فهو الجور والعدول عن الحق في كلام العرب ، ومنه قول الشاعر :
=

س : هل لهذه الآية صلة بما قبلها : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

وفي الكلام تقدير واو العطف ؛ أي : وكتب عليكم ، فلما طال الكلام أسقطت الواو ومثله في بعض الأقوال : ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى ﴾ [الليل : ١٥ ، ١٦] أي : والذي ؛ فحذف . وقيل : لما ذكر أن لولي الدم أن يقتص ؛ فهذا الذي أشرف على أن يقتص منه وهو سبب الموت فكأنما حضره الموت ، فهذا أوان الوصية ؛ فالآية مرتبطة بما قبلها ومتصلة بها فلذلك سقطت واو العطف .

***

س : ما هي الآيات التي ذكرت فيها الوصية في كتاب الله عز وجل ؟

ج : أتم آية وأجمع آية هي قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم

= هُمُ المولى وإن جَنَفُوا علينا وإنّا من لقائهم لَزُور

يقال منه : (جنف الرجل على صاحبه يجنف) – إذا مال عليه وجار – (جَنفًا) .

فمعنى الكلام فمن خاف من موصٍ جنفًا له بموضع الوصية ، وميلًا عن الصواب فيها وجورًا عن القصد أو إثمًا بتعمده ذلك على علمٍ منه بخطأ ما يأتي من ذلك فأصلح بينهم فلا إثم عليه .

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن عطاء (فمن خاف من موصٍ جنفًا) قال : ميلًا (أثر ٢٧٠٨) .

وأخرج كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد (جنفًا) حَيْفًا ، والإثم ميله لبعض على بعض وكله يصير إلى واحد كما يكون ﴿ عفوًا غفورًا ﴾ [النساء : ٤٣] و ﴿ غفورًا رحيمًا ﴾ [النساء : ٢٣] .

الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ١٨٠] .

● وهناك آية في سورة النساء وهي قوله تعالى : ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين ﴾ [النساء : ١١] .

وآية المائدة وهي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدلٍ منكم .. ﴾ [المائدة : ١٠٦] .

***

س : هل هذه الآية محكمة أو منسوخة : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين .... ﴾ الآية [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : تنازع في ذلك أهل العلم(١) .

● فقال فريق من أهل العلم : هي محكمة لم تنسخ(٢) ولكن ظاهرها

---

(١) وإذا تنازع أهل العلم في حكم آية هل هي منسوخة أم محكمة فالعمل على أنها ليست منسوخة ما لم يقم برهان صحيح على النسخ .

قال الطبري رحمه الله : وإذا كان في نسخ ذلك تنازع بين أهل العلم لم يكن لنا القضاء عليه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها إذ كان غير مستحيل اجتماع حكم هذه الآية وحكم آية المواريث في حال واحدةٍ على صحة بغير مدافعة حكم إحداهما حكم الأخرى ، وكان الناسخ والمنسوخ هما المعنيان اللذان لا يجوز اجتماع حكمهما على صحة في حالة واحدة لنفي أحدهما صاحبه .

(٢) وقد أورد الطبري رحمه الله هذا القول بقوله :

فقال بعضهم : لم ينسخ الله شيئًا من حكمها ، وإنما هي آية ظاهرها ظاهر عموم في كل والد ووالدة والقريب ، والمراد بها في الحكم البعض منهم دون الجميع وهو من لا يرث منهم الميت دون من يرث .

العموم الذي يُراد به الخصوص وهم غير الورثة ، فالتقدير .. والوصية للوالدين والأقربين غير الورثة[1] .

● وقال فريق آخر : إن جزءًا من هذه الآية منسوخ والآخر محكم ، فالمنسوخ الوصية للوالدين والأقارب الذين يرثون ، والمحكم

= وكان قد أورد آثارًا في ذلك منها أثر مسروق بإسناد صحيح عنه أنه حضر رجلًا فوصَّى بأشياء لا تنبغي فقال له مسروق : إن الله قد قسم بينكم فأحسن القسم ، وإنه من يرغب برأيه عن رأي الله يضله ، أوصِ لذي قرابتك ممن لا يرثك ثم دع المال على ما قسمه الله عليه (أثر ٢٦٢٩) .

● وأورد بإسناد صحيح عن محمد (وهو ابن سيرين) قال : قال عبد الله بن معمر في الوصية : من سمَّى جعلناها حيث سمى ، ومن قال حيث أمر الله جعلناها في قرابته (أثر ٢٦٣٣) .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن عمران بن حُدير (٢٦٣٤) قال : قلت لأبي مجلز : الوصية على كل مسلمٍ واجبة ؟ قال : على من ترك خيرًا ، وفي رواية عنه : (هي حق على من ترك خيرًا) .

وأورد الطبري رحمه الله آثار أخرى تحت باب (ذكر قول من لم يذكر قوله منهم في ذلك – أي : من لم يذكر قوله في أن الآية منسوخة) .

● وأورد بإسناد صحيح عن جابر بن زيد في رجل أوصى لغير ذي قرابة وله قرابة محتاجون قال : يرد ثلثا الثلث عليهم وثلث الثلث لمن أوصى له به (أثر ٢٦٣٦) .

● وأورد بإسناد صحيح عن الحسن أنه كان يقول : إذا أوصى الرجل لغير ذي قرابته بثلثه فلهم ثلث الثلث وثلثا الثلث لقرابته . (أثر ٢٦٣٨) .

● وأورد بإسناد صحيح عن طاوس قال : (من أوصى لقومٍ وسماهم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت إلى ذوي قرابته) .

(١) فإن قال قائل : كيف يكون الوالدين غير ورثة ، فالإجابة أن الوالدين في حالة كفرهما أو استرقان ولدهما يكونان غير ورثة والله أعلم .

هو الوصية لغير الورثة[1] .

● وقال فريق ثالث : إن الآية كلها منسوخة[2] .

---

(١) وأورد الطبري هذا الرأي فقال : وقال آخرون : بل هي آية قد كان الحكم بها واجبًا وعُمل بها برهة ثم نسخ الله منها بآية المواريث الوصية لوالدي المُوصي وأقربائه الذين يرثونه ، وأقر فرض الوصية لمن كان منهم لا يرثه ، وأورد أثر قتادة (٢٦٤٠) بإسناد حسن في قوله : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] فجعلت الوصية للوالدين والأقربين ثم نسخ ذلك بعد ذلك فجعل لهما نصيب مفروض فصارت الوصية لذوي القرابة الذين لا يرثون وجعل للوالدين نصيب معلوم ، ولا تجوز وصية لوارث .

(٢) أخرج البخاري رحمه الله (حديث ٢٧٤٧) بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحدٍ منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع .

وأخرج الطبري (٢٦٥٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قام فخطب الناس ههنا فقرأ عليهم (سورة البقرة) ليبين لهم منها فأتى على هذه الآية : ﴿ إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] قال : نسخت هذه .

● وأخرج الطبري من طريق محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن جهضم عن عبد الله بن بدر قال سمعت ابن عمر يقول في قوله : ﴿ إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] قال : نسختها آية الميراث ، قال ابن بشار : قال عبد الرحمن : فسألت جهضمًا عنه فلم يحفظه (أثر ٢٦٥٤) .

قلت : ومثل هذا لا يؤثر فمن حدَّث ونسي ما دام حدث عنه ثقة قُبل حديثه .

● وأخرج الطبري أيضًا (٢٦٦١) بإسناد صحيح عن نافع : أن ابن عمر لم يُوص وقال : أما مالي فالله أعلم ما كنت أصنع فيه في الحياة ، وأما رباعي فما أحب أن يشرك ولدي فيها أحد .
=

قلت : فعلى كل تلك الأقوال فالوصية للأقارب الذين يرثون (أي : الذين لهم نصيب من الميراث بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ) منسوخة فلا وصية لوارث ، أما الذين لا يرثون ففيهم النزاع المذكور والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الناسخ لقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية ﴾ [البقرة : ١٨٠] (عند من يرى نسخها) ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

فمنهم من يرى أن الناسخ هي آية المواريث ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ... ﴾ [النساء : ١١] .

ومنهم من يرى أن الناسخ قوله تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ... ﴾ الآية [النساء : ٧] .

● ومنهم من يرى أن الناسخ هو حديث : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث »[1] .

= وأخرج الطبري أيضًا (٢٦٥١) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ١٨٠] الآية قال : فنسخ الله ذلك كله وفرض الفرائض .

(١) عليه عمل عامة أهل العلم وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ لكن لا يخلو طريق منها من مقال ، وأمثلها عندي ما أخرجه أبو داود (حديث ٢٨٧٠) ، (٣٥٦٥) ، والترمذي (حديث ٢١٢٠) وغيرهم من طريق إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم قال : سمعت أبا أمامة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » . فهذا إسناد حسن وفي إسماعيل بن عياش =

• ومنهم من عوَّل في ذلك على الإجماع (عند من ادعى الإجماع على نسخها وقد بينا ما فيه قريبًا) . والله أعلم .

✹ ✹ ✹

س : ما المراد بحضور الموت في قوله تعالى : ﴿ إذا حضر أحدكم الموت ﴾ [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : المراد – والله أعلم – حضرت أحدكم أسباب الموت ودلائله وعلاماته .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : وحضور الموت : أسبابه ، ومتى حضر السبب كنَّت به العرب عن المسبب ؛ قال شاعرهم :

يا أيها الراكبُ المُزجِي مَطِيَّته   سائلْ بني أسَد ما هذه الصوت
وقل لهم بادروا بالعُذْر والتمسوا   قولًا يبرِّئكم إني أنا الموت

وقال عنترة :

وإن الموت طوع يدي إذا ما   وصلت بنانها بالهندوان

وقال جرير في مهاجاة الفرزدق .

أنا الموت الذي حدثت عنه   فليس لهاربٍ مني نجاء

وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) .

قال علماؤنا : ليس يريد حضور الموت حقيقة ؛ لأن ذلك الوقت لا تقبل

= كلام فمن العلماء من تكلم فيه مطلقًا ، ومنهم من حسن حديثه ، ومنهم من حسَّن حديثه عن أهل بلده ، وهذا من أحاديثه عن أهل بلده ، وقد ذكر ابن عدي في الكامل هذا الحديث في ترجمة إسماعيل بن عياش ، لكن على كل حال فعمل عامة أهل العلم عليه ، ومن ثم قال الشافعي : نقله كافة عن كافة وهو أقوى من قول الواحد ، والله تعالى أعلم .

له توبة ، ولا له في الدنيا حصة ، ولا يمكن أن ننظم من كلامها لفظة ، ولو كان الأمر محمولًا عليه لكان تكليف محال لا يتصور ؛ ولكن يرجع ذلك إلى معنيين : أحدها إذا قرب حضور الموت ، وأمارة ذلك كبره في السن ؛ أو سفر ؛ فإنه غرر ؛ أو توقع أمر طارىء غير ذلك ؛ أو تحقق النفس له بأنها سبيلٌ هو آتيها لا محالة ، [إذ الموت ربما طرأ عليه اتفاقًا] .

الثاني : أن معناه إذا مرض ؛ فإن المرض سبب الموت ، ومتى حضر السبب كنت به العرب عن المسبب ، قال شاعرهم :

وقل لهم بادِرُوا بالعُذْر والتمسوا قولًا يبرِّئكم إني أنا الموت

***

س : ما هو قدر المال الذي إذا تبقى للشخص عند موته وجبت فيه الوصية ؟

ج : لا أعلم دليلًا على تحديد هذا القدر من المال ، والذي يظهر لي أن تقدير ذلك يرجع إلى الأعراف السائدة ، فكل من ترك مالًا ويُقال عنه أنه ترك مالًا فليوص فيه[1] .

● قال ابن عبد البر[2] : أجمعوا على أن من لم يكن عنده إلا اليسير التافه من المال أنه لا تندب له الوصية .

قال الحافظ : وفي نقل الإجماع نظر ، فالثابت عن الزهري أنه قال : جعل الله الوصية حقًّا فيما قل أو كثر[3] .

---

(١) مع مراعاة ما سبق (من ناحية هل الوصية تجب أو تستحب أو لا تجب ولا تستحب) .

(٢) نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٥/٤٢٠) .

(٣) أخرجه الطبري (أثر ٢٦٨٠) بإسناد صحيح عن الزهري ، ورجَّح الطبري =

● وقال ابن العربي في أحكام القرآن : قوله تعالى : ﴿ إن ترك خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٠] يعني مالًا ، وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في تقديره ، وذكر المفسرون والأحكاميون أقوالًا كلها دعاوى لا برهان عليها ، والصحيح أن الحكم لم يختلف ولا يختلف بقلَّة المال وكثرته ، بل يُوصي من القليل قليلًا ومن الكثير كثيرًا .

قلت : والذي يظهر لي ضعف ما ذهب إليه ابن العربي رحمه الله ، فالذي ذهب إليه ابن العربي يشق على العِباد ، ولم يدرج عليه سلف الأمة رحمهم الله تعالى ، وأيضًا فإن كتاب الله عز وجل وإن لم يحدد إلا أن التحديد مأخوذ من أفهام العرب لكتاب ربهم فلا يطلقون على شخص أنه ترك خيرًا إلا لمن ترك مالًا يستحق أن يذكر عنه أنه ترك مالًا .

أما من ترك جنيهًا أو ريالًا أو نصف جنيهٍ أو نصف ريال فلا تطلق العرب عنه أنه ترك مالًا ويلزم بأن يوصي فيه ، فهذه تصرفات لا تستسيغها أفهامهم رحمهم الله ، والصواب ما نقله ابن عبد البر عن الأكثرين ، والله أعلم .

هذا وقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رجلًا قال لها : إني أريد أن أوصي قالت : كم مالك ؟ قال : ثلاثة آلاف درهم ، قالت : كم عيالك ؟ قال : أربعة ، قالت : قال الله تعالى : ﴿ إن ترك خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٠] وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل(١) .

= رحمه الله تعالى قول الزهري بقوله : وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله تعالى : ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية ﴾ [البقرة : ١٨٠] ما قال الزهري ، لأن قليل المال وكثيره يقع عليه (خير) ولم يحدَّ الله ذلك بحدٍّ ، ولا خصَّ منه شيئًا فيجوز أن يُحال ظاهر إلى باطن ، فكلُّ من حضرته منيَّته وعنده مال قلَّ ذلك أو كثر فواجب عليه أن يوصي منه لمن لا يرثه من آبائه وأمهاته وأقربائه الذين لا يرثونه بمعروف كما قال الله جل ذكره وأمر به .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (أثر ١٠٩٩٣) والبيهقي في السنن الكبرى =

س : على من تجب الوصية ؟

ج : تجب الوصية على من عليه ديون وقِبَلَه ودائع ، وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى الإجماع على ذلك .

❋ ❋ ❋

س : هل الوصِية واجبة على كل من ترك مالًا ؟

ج : تنازع في ذلك أهل العلم فقالت طائفة : إن الوصية واجبة لظاهر كتاب الله عز وجل : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ١٨٠] .

● وأكثر العلماء على أنها غير واجبة (ما لم يترك ديونًا أو تكون عنده ودائع) ، ووجهوا الآية الكريمة بأن قالوا : كتب عليكم (أي : إذا أردتم الوصية) .

❋ ❋ ❋

س : ما هو القدر المسموحَ للموصي أن يوصي به ؟

ج : الجمهور من أهل العلم على أنه لا يجوز لأحدٍ أن يوصي بأكثر من الثلث[1] وذلك لحديث : « الثلث والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير

= (٢٧٠/٦) ، وله شاهد مرسل عند عبد الرزاق (المصنف ١٦٣٥٤) فبالجملة إسناده يصح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

● وقد ورد عند عبد الرزاق (١٦٣٥٢) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠٩٩٢) من طريق عروة أن عليًّا دخل على رجل من بني هاشم يعوده فقال : أوصي ؟ قال عليٌّ : إنما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن ترك خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٠] وإنما تركت مالًا يسيرًا فدعه لولدك فمنعه أن يوصي .

(١) قال القرطبي رحمه الله : ذهب الجمهور من العلماء إلى أنه لا يجوز لأحدٍ أن يوصي بأكثر من الثلث ، إلا أبا حنيفة وأصحابه فإنهم قالوا : إن لم يترك الموصي ورثة جاز =

من أن تذرهم عالة يتكففون الناس »[1] ، ولأن رجلًا أعتق – على عهد رسول الله ﷺ – ستة أعبد – ليس له مال غيرهم – فردهم النبي ﷺ وأسهم بينهم فأعتق اثنين وأرق أربعة[2] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الرُّبع فإن رسول الله ﷺ قال : « الثلث والثلث كثير.... »[3] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للموصي أن يرجع في وصيته ؟

ج : أجمع العلماء على جواز ذلك ، وقد نقل القرطبي رحمه الله عنهم

= له أن يوصي بماله كله ، وقالوا : إن الاقتصار على الثلث في الوصية إنما كان من أجل أن يدع ورثته أغنياء لقوله عليه السلام : « إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس » ، الحديث رواه الأئمة ، ومن لا وارث له فليس ممن عُني بالحديث ، رُوي هذا القول عن ابن عباس ، وبه قال أبو عبيدة ومسروق ، وإليه ذهب إسحاق ومالك في أحد قوليه ، وروي عن علي وسبب الخلاف مع ما ذكرنا ، الخلاف في بيت المال هل هو وارث أو حافظ لما يُجعل فيه ؟ قولان .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢٩٥) ، ومسلم (حديث ١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجعٍ اشتد بي ، فقلت : إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مالٍ ولا يرثني إلا ابنة أفاتصدق بثلثي مالي ؟ قال : « لا » ، فقلت : بالشطر ؟ فقال : « لا » ، فقلت : بالثلث ؟ ، فقال : « الثلث والثلث كبير – أو كثير – إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ... » الحديث .

(٢) أخرج مسلم (حديث ١٦٦٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رجلًا أعتق ستة مملوكين له عند موته ، لم يكن له مالٌ غيرهم – فدعا بهم رسول الله ﷺ فجزأهم ثلاثًا ثم أقرع بينهم فأعتق اثنين وأرَق أربعة ، وقال له قولًا شديد .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لو غضَّ الناس إلى الربع ، لأن رسول الله ﷺ قال : « الثلث والثلث كثير ») ، وأخرجه مسلم كذلك (حديث ١٦٢٩) .

الإجماع في ذلك فقال : وأجمعوا على أن للإنسان أن يغيِّر وصيته ويرجع فيما شاء منها ، إلا أنهم اختلفوا من ذلك في المدبَّر[(١)] .

❋ ❋ ❋

س : لماذا لا تجوز الوصية لوارث ؟

ج : لا تجوز الوصية لوارث لحديث رسول الله ﷺ : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » .

وقد نقل القرطبي الإجماع على أن الوصية لوارث لا تجوز .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالمعروف في قوله تعالى : ﴿ الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ... ﴾ [البقرة : ١٨٠] ؟

ج : أي : بما سنه رسول الله ﷺ فالذي سنه رسول الله ﷺ هو المعروف ، ويرجع أيضًا بعد ذلك إلى اجتهاد الموصي ونظره إلى المحتاج وغير المحتاج ، ونية الموصي من وراء وصيته إلى غير ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب كتابة الوصية ؟

ج : يستحب ذلك ولا يجب[(٢)] .

---

(١) وهو العبد الذي أعتق وهو مدبَّر .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : قال العلماء : المبادرة بكتب الوصية ليست مأخوذة من هذه الآية وإنما هي من حديث ابن عمر ، وفائدتها المبالغة في زيادة الاستيثاق ، وكونها مكتوبة مشهودًا بها وهي الوصية المتفق على العمل بها ، فلو أشهد العدول وقاموا بتلك الشهادة لفظًا لعُمل بها وإن لم تكتب خطًّا .

أما الاستحباب فلحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »[١] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أوصى شخص بما لا يجوز هل تمضى وصيته ؟

ج : لا تمضى وصيته .

قال القرطبي رحمه الله : ولا خلاف أنه إذا أوصى بما لا يجوز ، مثل أن يُوصي بخمرٍ أو خنزير أو شيء من المعاصي أنه يجوز تبديله ولا يجوز إمضاؤه كما لا يجوز إمضاء ما زاد على الثلث ، قاله أبو عمر[٢] .

❋ ❋ ❋

س : إذا أوصى رجل لغير ذوي قرابته فهل تمضي وصيته ؟

ج : نعم تمضي الوصية إذا كانت بما لا يتعدى الثلث ، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة عن عطاء وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار أنهم قالوا : تمضي الوصية لمن أوصى له به[٣] .

❋ ❋ ❋

س : الهاء في قوله تعالى : ﴿ فمن بدَّله ﴾ ترجع إلى ماذا ؟

ج : ترجع الهاء إلى ما أوصى به الموصي .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٥٥/٥) ومسلم (٧٤/١١ مع النووي) .
(٢) يعني ابن عبد البر .
(٣) أخرجه الطبري (٢٦٨٩) .

س : الهاء في قوله : ﴿ بعد ما سمعه ﴾ [البقرة : ١٨١] ترجع إلى ماذا ؟ وكذلك الهاء في ﴿ إثمه ﴾ ترجع إلى ماذا ؟

ج : ترجع إلى الوصية وأمر الميت ، والهاء في ﴿ إثمه ﴾ ترجع إلى التبديل أي : يرجع إثم ذلك التبديل على الذي بدَّل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى العام لقوله تعالى : ﴿ فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ﴾ [البقرة : ١٨١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في معناه : يعني تعالى ذكره بذلك فمن غيَّر ما أوصى به الموصي من وصيته بالمعروف لوالديه أو أقربيه الذين لا يرثونه – بعد ما سمع الوصية فإنما إثم التبديل على من بدَّل وصيته .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ١٨١] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ لوصيتكم التي أمرتكم أن تُوصوا بها لآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها أتعدلون فيها على ما أذنت لكم من فعل ذلك بالمعروف أم تحيفون فتميلون عن الحق وتجورون عن القصد ؟ (عليم) بما تخفيه صدوركم من الميل إلى الحق والعدل أم الجور والحيف .

❋ ❋ ❋

س: من المراد بالموصي في قوله تعالى: ﴿ فمن خاف من موصٍ ﴾ [البقرة :١٨٢] ؟

ج : المراد به المريض الذي حضرته الوفاة وأشرف على الموت ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فأصلح بينهم ﴾ [البقرة:١٨٢] أصلح بين مَن ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال .

أولها : أصلح بين الموصي وبين الورثة .

فقدْ يتعمد الموصي الظلم أو الجور – أو قد يُخطىء فيظلم ويجور – فيوصي بما يجلب الضرر للورثة ، وقد يتعنت الورثة فيمنعون الموصي من الوصية ، فالإصلاح أن تُذَكِّر الموصي بما أمره الله من العدل والإنصاف ، وأن تذكر الورثة بحق المحتضر في الوصية وأنها مشروعة له[1] .

ثانيها : أصلح بين الورثة وبين الموصى لهم .

والمعنى : فمن خاف منكم (يا أولياء الميت أو يا ولي أمر المسلمين أو يا من حضرتم الميت) خطأً من الموصي أو ظلمًا وإثمًا منه في وصيته فأصلح بين الورثة وبين الموصى لهم فرد الوصية إلى العدل والحق فلا حرج عليه[2] .

---

(١) قال الطبري رحمه الله : اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، فقال بعضه : تأويلها : فمن حضر مريضًا وهو يوصي عند إشرافه على الموت فخاف أن يخطىء في وصيته فيفعل ما ليس له أو أن يعمد جورًا فيها فيأمر بما ليس له الأمر به فلا حرج على من حضره فسمع ذلك منه أن يصلح بينه وبين ورثته بأن يأمره بالعدل في وصيته ، وأن ينهاهم عن منعه مما أذن الله له فيه وأباحه له .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن خاف – من أولياء ميت أو والي أمر المسلمين – من مُوصٍ جنفًا في وصيته التي أوصى بها الميت فأصلح =

ثالثها : أصلح بين الورثة أنفسهم .

فقد يُعطي المحتضر (قبيل الموت) عطية لأحد الورثة دون بعض فيسبب الضغينة بينهم فلا جناح على من أصلح بين الورثة[1] .

ومن ذلك أيضًا : أن يوصي المحتضر لشخصٍ غير وارث كي يرجع نفعه لأحد الورثة ، كأن يوصي مثلًا لابن ابنته مُريدًا بذلك تمييز إحدى بناته ، فهذه الوصيةُ سيرجع نفعها إلى ابنته[2] .

رابعها : أصلح بين الآباء والأقرباء [3] .

= بين ورثته وبين الموصى لهم بما أوصى لهم به فرد الوصية إلى العدل والحق فلا حرج ولا إثم .

وأخرج الطبري (٢٦٩٤) بإسناد حسنٍ عن قتادة قوله : ﴿ فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا ﴾ [البقرة : ١٨٢] وكان قتادة يقول : من أوصى بجور أوحيْف في وصيته فردَّها ولي المتوفى أو إمام من أئمة المسلمين إلى كتاب الله وإلى العدل فذاك له .

(١) قال الطبري رحمه الله : وقال بعضهم بل معنى ذلك : فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا في عطيته عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض فلا إثم على من أصلح بينهم - يعني بين الورثة -

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٢٧٠١) عن طاوس في قوله : ﴿ فمن خاف من مُوصٍ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم ﴾ [البقرة : ١٨٢] قال : هو الرجل يوصي لولد ابنته .

(٣) قال الطبري رحمه الله : وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن خاف من موص لآبائه وأقربائه جنفًا على بعضهم لبعض فأصلح بين الآباء والأقرباء فلا إثم عليه .

وقد أخرج الطبري (٢٧٠٣) بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله تبارك وتعالى : ﴿ فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، قال : « الجنف » أن يحيف لبعضهم على بعض في الوصية ، « والإثم » أن يكون قد أثم في أبويه بعضهم على بعض ، ﴿ فأصلح بينهم ﴾ الموصى إليه بين والوالدين والأقربين - الابن والبنون هم « الأقربون » - فلا إثم عليه ، فهذا الموصَى الذي =

خامسها : أن المراد الإصلاح بين الموصي وبين الموصى له وبين الورثة .

فقد يوصي الموصي بأكثر من الثلث فيقبل ذلك الموصى لهم ويعترض سائر الورثة فيحدث النزاع ، فلا جناح حينئذٍ على المصلح أن يصلح .

قال الطبري رحمه الله تعالى : وأولى الأقوال في تأويل الآية أن يكون تأويلها : فمن خاف من مُوصٍ جنفًا أو إثمًا – وهو أن يميل إلى غير الحق خطأ منه ، أو يتعمد إثمًا في وصيته ، بأن يوصي لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه بأكثر مما يجوز له أن يوصي لهم به من مال ، وغير ما أذن الله له به مما جاوز الثلث أو بالثلث كله ، وفي المال قلة ، وفي الورثة كثرةٌ – فلا بأس على من حضره أن يصلح بين الذين يُوصي لهم ، وبين ورثة الميت ، وبين الميت ، بأن يأمر الميت في ذلك بالمعروف ويعرِّفه ما أباح الله له في ذلك وأذن له فيه من الوصية في ماله ، وينهاه أن يجاوز في وصيته المعروف الذي قال الله تعالى ذكره في كتابه : ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكمُ الموتُ إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، وذلك هو (الإصلاح) الذي قال الله تعالى ذكره : ﴿ فأصلح بينهم فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، وكذلك لمن كان في المال فضل وكثرةٌ وفي الورثة قلة ، فأراد أن يقتصر في وصيته لوالديه وأقربيه عن ثلثه ، فأصلح من حضره بينه وبين والديه وأقربيه الذين يريد أن يوصي لهم ، بأن يأمر المريض أن يزيد في وصيته لهم ، ويبلغ بها ما رخص الله فيه من الثلث ، فذلك أيضًا هو من الإصلاح بينهم بالمعروف .

= أوصى إليه بذلك ، وجعل إليه ، فرأى هذا قد أجنفَ لهذا على هذا ، فأصلح بينهم فلا إثم عليه ، فيعجز الموصي أن يوصي كما أمره الله تعالى ، وعجز الموصَى إليه أن يصلح ، فانتزع الله تعالى ذكره ذلك منهم ، ففرضَ الفرائض .

وإنما اخترنا هذا القول ، لأن الله تعالى ذكره قال : ﴿ فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا ﴾ [البقرة : ١٨٢]، يعني بذلك : فمن خاف من موص أن يجنف أو يأثم ، فخوف الجنف والإثم من الموصي ، إنما هو كائن قبل وقوع الجنف والإثم ، فأما بعد وجوده منه ، فلا وجه للخوف منه بأن يجنف أو يأثم ، بل تلك حال من قد جنف أو أثم ، ولو كان ذلك معناه لقيل : فمن تبين من موص جنفًا أو إثمًا - أو أيقن أو علم - ولم يقل : فمن خاف منه جنفًا .

فإن أشكل ما قلنا من ذلك على بعض الناس فقال : فما وجه الإصلاح حينئذ ، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين في الشيء ؟

قيل : إن ذلك وإن كان من معاني الإصلاح ، فمن الإصلاح الإصلاح بين الفريقين ، فيما كان مخوفًا حدوث الاختلاف بينهم فيه ، بما يؤمن معه حدوث الاختلاف ، لأن (الإصلاح) ، إنما هو الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين ، فسواء كان ذلك الفعل الذي يكون معه إصلاح ذات البين - قبل وقوع الاختلاف أو بعد وقوعه .

فإن قال قائل : فكيف قيل : ﴿ فأصلح بينهم ﴾ ، ولم يجر للورثة ولا للمختلفين ، أو المخوف اختلافهم ، ذكرٌ .

قيل : بل قد جرى ذكر الذين أمر الله تعالى ذكره بالوصية لهم ، وهم والدا الموصي وأقربوه ، والذين أمروا بالوصية في قوله : ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ﴾ [البقرة : ١٨٠] ، ثم قال تعالى ذكره : ﴿ فمن خاف من موص ﴾ [البقرة : ١٨٢] - لمن أمرته بالوصية له - ﴿ جنفًا أو إثمًا فأصلح بينهم ﴾ [البقرة : ١٨٠] - وبين من أمرته بالوصية له - ﴿ فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ١٨٢] ، والإصلاح بينه وبينهم ، هو إصلاح بينهم وبين ورثة الموصي .

س : قوله تعالى ﴿ غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٨٢] غفورٌ رحيمٌ في هذا الموطن لمن ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : وأما قوله : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٨٢] فإنه يعني : والله غفور للموصي فيما كان حدَّث به نفسه من الجنف والإثم إذا ترك أن يأثم ويجنف في وصيته فتجاوز له عما كان حدَّث به نفسه من الجور إذ لم يُمض ذلك فيغفل أن يؤاخذه به رحيم بالمصلح بين الموصي وبين من أراد أن يحيف عليه لغيره أو يأثم فيه له .

***

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ
لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي .
كُتب – معدودات – فعدةٌ – يطيقونه – فدية ؟

ج :

الكلمة	معناها
كُتب	فُرِض
معدودات	معلومات العَدد – محصيَّات – المراد الإشارة إلى قلتها وأنها يعدُّها العاد كما قال تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف : ٢٠]
فعدةٌ	عدد الأيام التي أفطرها
يطيقونه	يستطيعون صيامه
فديةٌ	جزاء

س : ما المراد بالصيام لغة وشرعًا ؟

ج : أما الصيام لغة فهو الإمساك والكفُّ والامتناع[1] .

أما شرعًا فهو الامتناع والإمساك عن المفطرات (من أكل وشرب وجماع) - مع اقتران ذلك بالنِّية - من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[2] .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين من قبلنا الذين فرض عليهم الصيام ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إنهم النصارى .

وقال آخرون : إنهم اليهود والنصارى (أي : أهل الكتاب) ، والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أن المراد عموم من كان قبلنا ممن أرسل الله إليهم رسلًا وأنزل إليهم كُتبًا وشرع لهم شرائع ، وذلك لعموم قوله تعالى : ﴿ كما كُتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الطبري رحمه الله : و (الصيام) مصدر ، من قول القائل : (صُمت عن كذا وكذا) - يعني : كففت عنه - (أصوم عنه صومًا وصيامًا) ، ومعنى (الصيام) ، الكف عما أمر الله بالكف عنه ، ومن ذلك قيل : (صامت الخيل) ، إذا كفت عن السير ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

خيل صيامٌ ، وخيلٌ غيرُ صائمة   تحت العَجَاجِ ، وأخرى تَعْلُكُ اللُّجما

ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ إني نذرت للرحمن صومًا ﴾ [مريم : ٢٦] ، يعني : صمتًا عن الكلام .

(٢) قال القرطبي رحمه الله : وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات لقوله عليه السلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

س : ما هو وجه الشبه بين فرض الصوم علينا وفرض الصوم على الذين من قبلنا؟

ج : وجه الشبه في الفرضية والوجوب أي : أن الصوم واجب مفروض عليكم كما كان واجبًا مفروضًا على الذين من قبلكم ، فلما لم يثبت بنصٍّ صحيح عن المعصوم ﷺ أن من كان قبلنا كان مفروضًا عليهم رمضان كما فُرض علينا ولم يثبت عنه عليه السلام أن من كان قبلنا كانت صفة صومهم كصفة صومنا لم يكن لنا والأمر هكذا - أي : لم يثبت لنا فيه نص - أن نتقدم بقول غير مبنيٍّ على دليل من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ فغاية ما في الأمر أن الله سبحانه وتعالى كتب علينا الصوم (أي : فرضه) كما كتبه على الذين من قبلنا وإلى هذا الحد نقف[1] .

● وقد ورد أن النبي ﷺ لما جاء إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فُرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفطر[2] .

● وقد ورد أن النبي ﷺ لما جاء إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فُرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفطر[2] .

● وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن من كان قبلنا كتب عليهم رمضان كما كتب علينا فأخرج الطبري بإسنادٍ يصح عن قتادة قال : قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] رمضان كتبه الله على من كان قبلهم[3] .

---

(١) بَيْدَ أن بعض أهل العلم استدل بقوله تعالى : ﴿ أيامًا معدودات ﴾ [البقرة : ١٨٤] على أن الأيام التي فرضت علينا هي التي فرضت عليهم ، والدليل لا يساعد قول هذا القائل ، فغايته أنه فَرض علينا أيامًا معدودات وفَرض عليهم كذلك أيامًا معدودات ولكن هل هي هي ، وهل صفة الصوم هي نفس الصفة ، والله أعلم .

(٢) انظر هذه الأحاديث في صحيح البخاري (٢٠٠١ و ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥) ، ومسلم حديث (١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٥) .

(٣) الطبري (٢٧٢٥) وإسناده حسن يرتقي إلى الصحة بالإسناد الذي أورده الطبري قبله (٢٧٢٤).

وإلى هذا جنح الطبري رحمه الله فقال : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى الآية : يا أيها الذين آمنوا فُرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب ، ﴿ أيامًا معدودات ﴾ [البقرة :١٨٣] وهي شهر رمضان كله ، لأن مَن بعد إبراهيم ﷺ كان مأمورًا باتباع إبراهيم ، وذلك أن الله جلَّ ثناؤه كان جعله للناس إمامًا ، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفية المسلمة فأمر نبينا ﷺ بمثل الذي أمر به من قبله من الأنبياء .

وأما التشبيه فإنما وقع على الوقت ، وذلك أن من كان قبلنا إنما كان فرِض عليهم شهر رمضان مثل الذي فرض علينا سواء .

قلت : ولا دليل على تخصيص أهل الكتاب وكونهم المقصودين وحدهم بقوله تعالى : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] ولا دليل أيضًا على أنهم فُرض رمضان ، وقد قال تعالى : ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ معدودات ﴾ [البقرة : ١٨٤] وما المراد بهذه الأيام المعدودات ؟

ج : معنى معدودات أي : محصيات يعدُّها العادُّ – أو موقتات بعددٍ معلوم أو قلائل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ [يوسف : ٢٠] .

أما المراد بها هنا ، فقال فريق من أهل العلم : إن المراد بها شهر رمضان ، وهي المفسرة بقوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال آخرون : هي ثلاثة أيام من كل شهر .

قلت : إذا حملنا الأيام المعدودات على أنها المكتوبة علينا والمذكورة في قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، فلا شك أنها شهر رمضان إذ لم يكتب علينا صوم أيام معدودة غير شهر رمضان .

وغاية ما ورد أن ما أُمرنا به هو صوم يوم عاشوراء فإن النبي ﷺ كان قد صامه وأمر بصيامه .

لكن لا يقال عن يوم عاشوراء إنه أيام معدودات .

وإذا حملنا الأيام المعدودات على أنها المكتوبة على الذين من قبلنا والمذكورة في قوله تعالى : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ [البقرة : ١٨٣] فحينئذ سيرجع إلى الخلاف في المكتوب على الذين من قبلنا هل هو صوم شهر رمضان أم ثلاثة أيام من كل شهر ولا دليل عندي يدل على أن الذي فرض على الذين من قبلنا هو شهر رمضان لكن الدليل قائم – لا شك فيه – على أن الأيام المعدودات المكتوبة علينا صومها هي شهر رمضان ، والله أعلم .

قال الطبري رحمه الله : وأولى ذلك بالصواب عندي قول من قال : عنى الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ أيامًا معدودات ﴾ ، أيام شهر رمضان . وذلك أنه لم يأت خبرٌ تقوم به حجة ، بأن صومًا فرض على أهل الإسلام غير صوم شهر رمضان ، ثم نسخ بصوم شهر رمضان ، وأن الله تعالى قد بين في سياق الآية أن الصيام الذي أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات ، بإبانته عن الأيام التي أخبر أنه كتب علينا صومها بقوله : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] . فمن ادعى أن صومًا كان قد لزم المسلمين فرضه غير صوم شهر رمضان الذي هم مجمعون

على وجوب فرض صومه - ثم نسخ ذلك - سئل البرهان على ذلك من خبر تقوم به حجة ، إذا كان لا يعلم ذلك إلا بخبر يقطع العذر .

وإذ كان الأمر في ذلك على ما وصفنا للذي بينا ، فتأويل الآية : كتب عليكم أيهاَ المؤمنون الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أيامًا معدودات هي شهر رمضان . وجائز أيضًا أن يكون معناه : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ ، كتب عليكم شهر رمضان .

وأما (المعدودات) ، فهي التي تعد مبالغها وساعات أوقاتها . ويعني بقوله : ﴿ معدودات ﴾ : محصياتٍ .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٨٣] تتقون ماذا ؟

ج : قال بعض العلماء : لعلكم تتقون ما حرم الله عليكم .

وقال آخرون : لعلكم تتقون ما فعله من كان قبلكم من تحريف وتغيير وتبديل[١] ، وقال غيرهم : لعلكم تتقون ، أي : لتتقوا أكل الطعام وشرب الشراب وجماع النساء ، فمن اتقى الطعام والشراب ضعفت الشهوة عنده فقلّت معاصيه .

وقال آخرون : لعلكم تحصل لكم التقوى بالصيام فالصيام يكسر الشهوات كما قال النبي ﷺ : « فعليه بالصوم فإنه له وجاء » والله أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) فقد ذكر بعض العلماء أن النصارى كان مكتوبًا عليهم صوم رمضان فغيَّروا وبدَّلوا وزادوا فيه ونقصوا منه . والله أعلم .

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الصوم ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

١- ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه » .

٢ – ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث سهل بن سعدٍ الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

٣ – ونحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم[3] وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ... » .

٤ – وأخرج البخاري ومسلم[4] من حديث حذيفة رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠٤) ، ومسلم (حديث ١١٥١ ص٨٠٧) .

(٢) البخاري حديث (١٨٩٦) ، ومسلم (حديث ١١٥٢) .

(٣) أخرجه البخاري حديث (١٨٩٧) ، ومسلم (حديث ١٠٢٧) .

(٤) أخرجه البخاري حديث (١٨٩٥) ، ومسلم حديث (١٤٤) .

قال : قال رسول الله ﷺ : « فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة .. » .

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبدٍ يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا » .

٦ - وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فقال : « من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الحكمة من مشروعية الصيام ؟

ج : الحكمة من مشروعية الصيام هي حصول التقوى كما قال تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

● قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره : ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ .

فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه .

فمما اشتمل عليه من التقوى ، أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها ، التي تميل إليها نفسه ، متقربًا بذلك إلى الله ، راجيًا بتركها ، ثوابه . فهذا من التقوى .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١١٥٣) ، والبخاري حديث (٢٨٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠٥) ، ومسلم حديث (١٤٠٠) .

ومنها : أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى ، فيترك ما تهوى نفسه ، مع قدرته عليه ، لعلمه باطلاع الله عليه .

ومنها أن الصيام يضيق مجاري الشيطان ، فإنه يجري من ابن آدم ، مجرى الدم ، فبالصيام ، يضعف نفوذه ، وتقل منه المعاصي .

ومنها : أن الصائم في الغالب تكثر طاعته ، والطاعات من خصال التقوى .

ومنها : أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين ، وهذا من خصال التقوى .

* * *

س : لماذا خص الصوم من بين سائر العبادات أنه لله في الحديث القدسي : « إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » ؟

ج : قال الماوردي في تفسيرِه : وإنما اختص الصوم بأنه له وإن كان كل العبادات له لأمرين بَايَنَ الصوم بهما سائر العبادات .

أحدهما : أن الصوم منع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات .

والثاني : أن الصوم سرٌّ بين العبد وربه لا يظهر إلا له فلذلك صار مختصًّا به ، وما سواه من العبادات ظاهر ، ربما فعله تصنعًا ورياءً فلهذا صار أخص بالصوم من غيره .

* * *

س : هل لهذه الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. ﴾ [البقرة : ١٨٣] سبب نزول صحيح ؟

ج : لا أعلم لهذه الآية سبب نزول صحيح ، والعلم عند الله تعالى .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - فمن كان منكم - يا أهل الإيمان يا من فُرِض عليه الصيام مريضًا أو على سفرٍ فعليه أن يصوم أيامًا أُخر بعدد تلك الأيام التي أفطرها .

قال الطبري رحمه الله : يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ فمن كان منكم مريضًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] من كان منكم مريضًا ممن كلف صومه ، أو كان صحيحًا غير مريض وكان على سفر ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ يقول : فعليه صوم عدة الأيام التي أفطرها في مرضه أو في سفره ﴿ من أيام أُخر ﴾ يعني : من أيام أُخر غير أيام مرضه أو سفره .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] أي : المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعد ذلك من أيام أُخر .

❋ ❋ ❋

س : لداود الظاهري مذهب شاذ مردود في تأويل قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] ما هو هذا المذهب ، وما وجه شذوذه وردّه ؟

ج : هذا المذهب حاصله أن داود الظاهري يلزم المريض والمسافر بإعادة الأيام التي مرض فيها المريض أو سافر فيها المسافر حتى وإن كان المريض والمسافر صاما تلك الأيام ، فمثلًا إذا مرض رجل في رمضان فتحامل على نفسه وصام ، أو سافر رجل في رمضان وصام في سفره يلزمهما داود الظاهري

بالصيام لعموم قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] هذا هو المذهب الشاذ .

أما وجه شذوذه ورده فمن وجهين :

الأول : أن جمهور المفسرين يقدِّرون في الآية محذوفًا وهو (فأفطر) والمعنى : فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أُخر وذلك كقوله تعالى في شأن الحجيج : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] فالمقدر المحذوف بعد قوله : ﴿ أو به أذى من رأسه ﴾ هو (فارتكب محظورًا بأن حلق شعره أو غطى رأسه أو غير ذلك من المحظورات) .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ صام في السفر وأفطر ، ولم يرد عنه عليه الصلاة والسلام أنه أمر من صام في رمضان وهو مسافر أن يعيد الأيام التي صامها لكونه كان مسافرًا . ولا أنه نفسه عليه الصلاة والسلام أعاد تلك الأيام التي سافر فيها وكان صائمًا والله تعالى أعلم[(١)] .

* * *

س : ما هو حد المرض الذي يفطر معه الإنسان ؟

ج : لم يرد في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ فيما علمت وقد نقل

---

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن (٧٨/١) : قوله تعالى ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ قال علماؤنا : هذا القول من لطيف الفصاحة لأن تقديره : فأفطر فعدة من أيام أُخر ، كما قال تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية ﴾ [البقرة : ١٩٦] تقديره : فحلق ففدية ، وقد عُزي إلى قوم : إن سافر في رمضان قضاه ، صامه أو أفطره ، وهذا لا يقول به إلا ضعفاء الأعاجم فإن جزالة القول وقوة الفصاحة تقتضي (فأفطر) وقد ثبت عن النبي ﷺ الصوم في السفر قولًا وفعلًا .

القرطبي رحمه الله تعالى عن جمهور العلماء قولهم : إذا كان به مرض يؤلمه ويؤذيه أو يخاف تماديه أو تزيُّده صح له الفطر[1] .

وأخرج الطبري بإسناده عن الحسن (وقد سئل متى يفطر الصائم) ؟ قال : إذا جِهده الصوم ، قال : إذا لم يستطع أن يصلي الفرائض كما أمر[2] .

وقال الطبري : وقال بعضهم : هو كل مرضٍ كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة ، وذلك هو قول محمد بن إدريس الشافعي حدثنا بذلك عنه الربيع .

ونقل الطبري بإسناد ضعيف عن طريف بن شهاب العطاردي أنه دخل على محمد بن سيرين في رمضان وهو يأكل فلم يسأله فلما فرغ قال : إنه وجعت إصبعي هذه .

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن ١/٧٧) : للمريض ثلاثة أحوال :

أحدُها : ألا يُطيق الصومَ بحال ، فعليه الفِطرُ واجبًا .

الثاني : أنه يقدر على الصوم بضررٍ ومشقة ؛ فهذا يستحب له الفطر ، ولا يصوم إلا جاهل .

وقد أنبأنا أبو الحسن الأزدي الشيخ أبو مسلم عمر بن علي الليثي الحارثي ، قال أخبرنا الحيري ، أخبرنا أبو عبد ربه محمد بن عبد الله الحاكم ، حدثني أبو سعيد النسوي أحمد بن محمد ، حدثني أبو حسان صهيب بن سليم ، قال : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : اعتللتُ بنيسابور علة خفيفة ، وذلك في شهر رمضان ، فعادني إسحاق بن راهويه في نفر من أصحابه ، فقال لي : أفطرت يا أبا عبد الله ! فقلت : نعم . فقال : خشيت أن أضعف عن قبول الرخصة .

قلت : أنبأنا عبدان ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : من أي المرض أُفطر ؟ قال : من أي مرض كان ، كما قال الله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

قال البخاري : ولم يكن هكذا الحديث عند إسحاق ، وهو الثالث .

(٢) أخرجه الطبري (٢٨٥٥) .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندنا أن المرض الذي أذن الله تعالى ذكره بالإفطار معه في شهر رمضان ، من كان الصوم جاهده جهدًا غير محتمل ، فكل من كان كذلك فله الإفطار وقضاء عدة من أيام أُخر . وذلك أنه إذا بلغ ذلك الأمر ، فإن لم يكن مأذونًا له في الإفطار فقد كلف عسرًا ، ومنع يسرًا . وذلك غير الذي أخبر الله أنه أراده بخلقه بقوله : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وأما من كان الصوم غير جاهده ، فهو بمعنى الصحيح الذي يطيق الصوم ، فعليه أداء فرضه .

❋ ❋ ❋

س : ما هي المسافة التي إذا سارها الشخص أطلق عليه مسافر وجاز له الفطر ؟

ج : لا أعلم في ذلك شيئًا صريحًا عن رسول الله ﷺ ، والذي يظهر أن ذلك يرجع إلى العرف السائد فكل ما أطلق عليه سفر جاز فيه الفطر ، والله تعالى أعلم .

هذا وقد قال ابن العربي في أحكام القرآن :

الثاني : المسافر ، والسفر في اللغة مأخوذٌ من الانكشاف والخروج من حالٍ إلى حال ؛ وهو في عرف اللغة عبارةٌ عن خروج يتكلف فيه مؤنة ، ويفصل فيه بُعدٌ في المسافة ، ولم يرد فيه من الشارع نصٌّ ، ولكن ورد فيه تنبيه ، وهو قوله عليه السلام في الصحيح : « لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم منها » .

وفي تقديره اختلاف كثير بيناه في المسائل .

والعمدة فيه أن العبادة تثبت في الذمة بيقين ، فلا برءة لها إلا بيقين

مُسْقِط ؛ وقدر السفر مشكوكٌ فيه حتى يكون سفرًا ظاهرًا ، فيسقط الأصل على ما بيناه في أصول الفقه ، وبحثه فيما يتعلق بمسألتنا أن الله تعالى لما علق الحكم بالسفر علمت العرب ذلك بفضل علمها بلسانها وجَرْي عادتها في أعمالها ؛ فلما جاء الأمر اقتصرنا فيه على العربية ، وعلى هذا الأمر مبنى الخلاف ؛ فقال مالك والشافعي : أقل السفر يوم وليلة ، وقال أبو حنيفة : أقله ثلاثة أيام .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر [أن تسافر] سفر يوم وليلة » . وفي حديث : وسفر ثلاثة أيام ، وفي آخر وذكر تمامه ؛ فرأى أبو حنيفة أن السفر يتحقق في ثلاثة أيام : يوم يتحمل فيه عن أهله ، ويوم ينزل فيه في مستقره ، واليوم الأوسط هو الذي يتحقق فيه السير المجرد ، بتحملٍ لا عن موضع الإقامة ، ونزولٍ لا في موضع الإقامة .

وقلنا له : إذا كان السفر متحققًا في اليوم الثاني كما سردت فاليوم الأول مثله ، ولا عبرة بالتحمل عن الأهل والوطن ، وإنما المعوَّل في تحقيق السفر على المبيت في غير المنزل ، ثم التحديد بستة وثلاثين ميلًا أو ثمانية وأربعين ميلًا مراحل لا تدرك بتحقيقٍ أبدًا ، وإنما هي ظنون ؛ فرجلٌ احتاط وزاد ، ورجلٌ ترخص ، ورجل تقصر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أيهما أفضل في السفر الصوم أم الإفطار ؟

ج : الذي يظهر ، والله تعالى أعلم – أن ذلك يرجع إلى حال المسافر وقوته فإذا كان الصوم يشق عليه أو يعوقه عن فعل خيرٍ فالفطر أولى له ، ومن هذا قول النبي ﷺ – للرجل الذي ظلّل عليه والتف الناس حوله وسأل عنه النبي ﷺ فقالوا : صائم – فقال : « ليس من البر الصيام في السفر »(١) .

(١) أخرج البخاري (حديث ١٩٤٦) ، ومسلم (حديث ١١١٥) من حديث =

وقول النبي ﷺ – لما صام بعض أصحابه في سفر وأفطر آخرون وقام المفطرون بخدمة إخوانهم الصائمين – : « ذهب المفطرون بالأجر »(١) .

وقول النبي ﷺ لأصحابه – وكانوا في غزوة – : « إنكم مصبحو العدو غدًا والفطر أقوى لكم »(٢) .

● أما إذا كان الصوم لا يعوق عن فعل خيرٍ(٣) ولا يشق على صاحبه

= جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ في سفرٍ فرأى زحامًا ورجلًا قد ظلل عليه فقال : « ما هذا ؟ » فقالوا : صائم فقال : « ليس من البر الصوم في السفر » .

(١) أخرج مسلم (حديث ١١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال : فنزلنا منزلًا في يوم حار ، أكثرنا ظلًّا صاحب الكساء ، ومنا من يتقي الشمس بيده ، قال فسقط الصُّوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام قال فنزلنا منزلًا فقال رسول الله ﷺ : « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم » فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ، ثم نزلنا منزلًا آخر فقال : « إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » وكانت عزمة فأفطرنا ، ثم قال : لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ﷺ بعد ذلك في السفر .

(٣) قال ابن العربي رحمه الله في تأويل قوله عز وجل : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] والصحيح أن الصوم أفضل لعموم قوله تبارك وتعالى : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ ، وأما فطر النبي ﷺ فإنه روي في الصحيح أنه قيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينتظرون فطرك ، فأفطر ولا خلاف في أن من شق عليه الصوم فله الفطر ، وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر .

من وجد قوةً فصام فذلك حسن ، ومن وجد ضعفًا فأفطر فذلك حسن فأما عند القرب من العدو فلا ينبغي أن يكون في استحباب الفطر اختلاف ، قاله ابن حبيب وبه أقول . =

تلك المشقة فللصائم حينئذ أسوة في رسول الله ﷺ فقد صام النبي ﷺ في سفره أيضًا[1] والله تعالى أعلم .

* * *

س : رجل أراد أن يسافر في رمضان هل يجوز له أن يبيت النية بالإفطار ويصبح مفطرًا قبل أن يشرع في السفر ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : اتفق العلماء على أن المسافر في رمضان

= ● **قلت (مصطفى)** : وأخرج الطبري (٢٨٦٩) من طريق ابن بشار قال : حدثنا عبد الوهاب قال حدثنا أيوب قال حدثنا عروة وسالم أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أمير على المدينة فتذاكروا الصوم في السفر ، قال سالم : كان ابن عمر لا يصوم في السفر ، وقال عروة : وكانت عائشة تصوم في السفر فقال سالم : إنما أخذت عن ابن عمر ، وقال عروة : إنما أخذت عن عائشة حتى ارتفعت أصواتهما ، فقال عمر بن عبد العزيز : اللهم عفوًا ! إذا كان يسرًا فصوموا وإذا كان عسرًا فأفطروا .

وأخرج الطبري (٢٨٩٤) بإسناد صحيح إلى أبي حمزة قال : سألت ابن عباس عن الصوم في السفر فقال : يُسرٌ وعُسرٌ فخذ بيسر الله .

● وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٨٩٦) قوله : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم .

(١) أخرج البخاري (حديث ١٩٤٥) ، ومسلم (١١٢٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حارٍّ حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة .

● هذا وقد أخرج البخاري (حديث ١٩٤٣) ، ومسلم (حديث ١١٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ : أأصوم في السفر ؟ وكان كثير الصيام – فقال : « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » .

لا يجوز له أن يبيِّت الفطر ؛ لأن المسافر لا يكون مسافرًا بالنية بخلاف المقيم ، وإنما يكون مسافرًا بالعمل والنهوض ، والمقيم لا يفتقر إلى عمل ؛ لأنه إذا نوى الإقامة كان مقيمًا في الحين ، لأن الإقامة لا تفتقر إلى عمل فافترقا . ولا خلاف بينهم أيضًا في الذي يؤمِّل السفر أنه لا يجوز له أن يفطر قبل أن يخرج .

***

س : هل لقضاء الصوم أمدٌ محددٌ يجب على الشخص ألا يتجاوزه ؟

ج : لا أعلم دليلًا يحدد أمدًا معينًا لقضاء الصيام ، وقوله تعالى : ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] يعطي فسحة للصيام في أي يوم لكن المبادرة بالقضاء أفضل لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، وقول النبي ﷺ : « دَين الله أحق أن يُقضى » .

● ومن أهل العلم من حد ذلك بشعبان من العام المقبل (أي : العام التالي لرمضان الذي أفطر فيه) وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها كان يكون علي الصيام من رمضان فلا أستطيع قضاءه إلا في شعبان (للشغل برسول الله ﷺ)[(١)] .

● وفي الحقيقة أن هذا ليس بملزمٍ إذ هو مجرد فعل من عائشة رضي الله عنها والله تعالى أعلم .

***

س : هل يلزم في أيام القضاء التوالي ؟

ج : لا يلزم أن يوالي بين الأيام التي يقضيها ، بل يصوم كيف يشاء

(١) لفظة : (للشغل برسول الله ﷺ) على التحقيق : أنها ليست من قول عائشة رضي الله عنها إنما هي من قول يحيى (أحد الرواة) .

إذ لا دليل – فيما علمنا – على الإلزام بأن تكون متوالية .

قال ابن العربي رحمه الله تعالى (أحكام القرآن ١/٧٨ – ٧٩) :

قوله تعالى : ﴿ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٤] يعطي بظاهره قضاء الصومِ متفرقًا وقد رُوي ذلك عن جماعة من السلف منهم أبو هريرة .

وإنما وجب التتابع في الشهر لكونه معينًا ، وقد عُدِم التعين في القضاء فجاز بكل حال .

* * *

س : هل هذه الآية الكريمة : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له .. ﴾ [البقرة : ١٨٤] منسوخة ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أنها منسوخة منهم سلمة بن الأكوع وابن عمر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وغيرهم من أهل العلم .

* * *

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله جل وعلا : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال أقواها أولها (الذي سنذكره إن شاء الله) وها هي بعض أقوالهم في ذلك :

القول الأول : أن قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين .. ﴾ كان في أول فرض الصيام فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مكان كل يومٍ مسكينًا فنسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فأصبح لزامًا على المقيم الصحيح أن يصوم ، فعلى ذلك فمعنى الآية الكريمة : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] أي :

يستطيعون صيامه (فدية) أي : جزاء إن هم أفطروا (طعام مسكين) مكان كل يومٍ أفطروه ... ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ... ﴾ [البقرة : ١٨٥] وممن قال بنحو هذا القول سلمة بن الأكوع[١] فأخرج البخاري عنه أنه قال : لما نزلت : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها وكذلك ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنها منسوخة .

وأخرج الطبري[٢] من طريق محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة قال حدثنا أصحابنا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليهم أمرهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعًا غير فريضة قال : ثم نزل صيام رمضان ، قال : وكانوا قومًا لم يتعودوا الصيام قال : وكان يشتد عليهم الصوم ، قال : فكان من لم يصم أطعم مسكينًا ثم نزلت هذه الآية : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٥٠٧) .

(٢) الطبري أثر (٢٧٣٤) ، وأخرجه البخاري معلقًا فقال : وقال ابن نمير حدثنا الأعمش حدثنا عمرو بن مرة حدثنا ابن أبي ليلى حدثنا أصحاب محمد ﷺ : نزل رمضان فشقَّ عليهم فكان من أطعم كل يومٍ مسكينًا ترك الصوم ممن يطيقه ورخّص لهم في ذلك فنسختها ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] فأُمروا بالصيام .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وصله أبو نعيم في المستخرج والبيهقي من طريقه ولفظ البيهقي : (قدم النبي ﷺ المدينة ولا عهد لهم بالصيام فكانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر حتى نزل ﴿ شهر رمضان ﴾ [البقرة : ١٨٥] فاستكثروا ذلك وشق عليهم فكان من أطعم مسكينًا كل يوم ترك الصيام ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك ثم نسخه ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ فأمروا بالصيام) ، وهذا الحديث أخرجه أبو داود من طريق شعبة والمسعودي عن الأعمش مطولًا في الأذان والقبلة والصيام واختلف في إسناده اختلافًا كثيرًا وطريق ابن نمير هذه أرجحها .

فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] فكانت الرخصة للمريض والمسافر وأمرنا بالصيام .

قال محمد بن المثنى قوله : (قال عمرو حدثنا أصحابنا) يريد ابن أبي ليلى كأن ابن أبي ليلى القائل (حدثنا أصحابنا) .

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة قال : سمعت عمرو بن مرة سمعت ابن أبي ليلى فذكر نحوه .

وأخرج الطبري بإسناد إلى **الشعبي** [(١)] قال : نزلت هذه الآية للناس عامة ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] وكان الرجل يفطر ويتصدق بطعامه على مسكين ثم نزلت هذه الآية : ﴿ ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] قال : فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر .

● وفي رواية عن **الشعبي** ثم نزلت هذه الآية : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] فلم تنزل الرخصة إلا للمريض و المسافر .

● وأخرج الطبري بإسناده إلى **علقمة** في قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٤] قال : نسختها : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] وثمَّ آثار أُخر في هذا الباب .

القول الثاني : أن الآية في الشيخ الكبير والعجوز بصفة عامة (أي : في مطيق الصوم منهم وغير مطيقه) كان مرخصًا لهم جميعًا (أي : للشيوخ الكبار والعُجز من النساء) الإفطار وإطعام مكان كل يومٍ مسكينًا فنسخ ذلك في حق المطيق منهم بقوله تبارك وتعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وأصبح لزامًا على مستطيع الصوم منهم أن

---

(١) الطبري أثر (٢٧٢٣) ، (٢٧٤٤) .

يصوم ، وبقي من لم يستطع الصوم منهم على الحكم الأول ، أي : أنه له أن يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينًا .

فعلى ذلك فمعنى الآية الكريمة : ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ (من الشيوخ الكبار والعُجز من النساء) – ويطيقونه أي : يستطيعون صيامه – (فدية) أي : إن هو أفطر (طعام مسكين) عن كل يومٍ أفطره ثم نسخ ذلك في حق مستطيع الصوم منهم وألزم بالصوم بقوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وبقي من لم يستطع الصوم منهم على أصل الآية ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ويطيقونه هنا بمعنى : يصومونه بمشقة (من الشيوخ الكبار والعُجز من النساء) .

وقد أخرج الطبري[(١)] وغيره من طريق قتادة عن عزرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصوم رُخِّص لهما أن يُفطرا إن شاءا ويطعما لكل يوم مسكينًا ثم نَسَخَ ذلك بعد ذلك ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضًا أو على سفرٍ فعدة من أيام أُخر ﴾ [البقرة : ١٨٥] وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم والحبلى والمرضع إذا خافتا .

وروى الطبري[(٢)] نحوه من طريق قتادة عن عكرمة .

القول الثالث : قال فريق من أهل العلم : إن الآية لم تنسخ ولكن فيها تقدير ، والمعنى : وعلى الذين يطيقون الصيام منكم – يا معشر من كُتب عليه الصيام – إن أصابهم ما يحول بينهم وبين الصيام من مرضٍ أو كبرٍ أو نحو ذلك مما يحول بينهم وبين الصوم – فدية طعام مسكين عن كل يوم أفطروه[(٣)] .

---

(١) الطبري (أثر ٢٧٥٢) ، (٢٧٥٣) .

(٢) أثر (٢٧٥٤) .

(٣) قال الطبري رحمه الله في صياغته لهذا الرأي : وقال آخرون ممن قرأ ذلك ﴿ وعلى =

القول الرابع : أن الآية الكريمة لم يتطرق إليها النسخ ، وإنما هي بداية نزولها في الشيخ الكبير والعجوز اللذان قد كبرا ولا يستطيعان الصيام أفطرا وأطعما مكان كل يوم مسكينًا .

وبعض العلماء قرأ الآية (يطوَّقونه) بدلًا من (يطيقونه) ومعنى يطوقونه : أنهم يكلفان بالصيام ولا يستطعونه ، وممن قرأها (يطوَّقونه) ابن عباس رضي الله عنهما ، فقد ذكر الطبري بأسانيده – من عدة طرق صحيحةٍ[1] – عن ابن عباس أنه كان يقرؤها (يطوَّقونه) ويقول : هي للناس اليوم قائمة ، وفي رواية : هو الشيخ الكبير يفطر ويُطعم عنه .

● وكذلك صح عن عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة[2] وغيرهم أنهم قرأوها (يطوقونه) هذا حاصل الأقوال التي وردت في تأويل هذه الآية الكريمة .

= الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٥] لم ينسخ ذلك ولا شيء منه ، وهو حكم مثبت من لدن نزلت هذه الآية إلى قيام الساعة ، وقالوا : إنما تأويل ذلك وعلى الذين يطيقونه – في حال شبابهم وحداثهم ، وفي حال صحتهم وقوتهم إذا مرضوا وكبروا فعجزوا من الكبر عن الصوم فدية طعام مسكين – لا أن القوم كان رُخِّص لهم في الإفطار وهم على الصوم قادرون إذا افتدوا .

وأورد الطبري أثرًا عن ابن عباس (٢٧٦٢) إسناده واهٍ ، لكن عقبه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] هو الشيخ الكبير كان يطيق صوم شهر رمضان وهو شاب فكبر وهو لا يستطيع صومه فليتصدق على مسكين واحد لكل يومٍ أفطره .

(١) انظر الطبري (٢٧٦٥) ، (٢٧٦٦) ، (٢٧٦٧) ، (٢٧٦٨) .

(٢) انظر هذه الآثار عند الطبري (٢٧٦٩ و ٢٧٧٠ و ٢٧٧١ و ٢٧٧٣ و ٢٧٧٤ و ٢٧٧٧) ومن المعلوم أن المشار إليهم (عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد) كلهم من مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما والمتفقهين عليه .

وورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها (عند الطبري ٢٧٧٣) من طريق محمد بن عباد بن جعفر عن أبي عمر مولى عائشة أن عائشة كانت تقرأ ﴿ يُطوَّقونه ﴾ .

● وأكثر أهل العلم على أن هذه الآية الكريمة منسوخة وهو اختيار الطبري رحمه الله .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى** : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، منسوخٌ بقول الله تعالى ذكره : ﴿ فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

لأن (الهاء) التي في قوله : ﴿ وعَلى الذين يُطيقونه ﴾ [البقرة :١٨٤] ، من ذكر (الصيام) ومعناه : وعلى الذين يطيقون الصيام فدية طعامُ مسكين ، فإذْ كان ذلك كذلك ، وكان الجميعُ من أهل الإسلام مجمعينَ على أن من كان مُطيقًا من الرجال الأصحاء المقيمين غير المسافرين صومَ شهر رمضان ، فغير جائز له الإفطار فيه والافتداء منه بطعام مسكين – كان معلومًا أنَّ الآية منسوخةٌ .

هذا ، مع ما يؤيد هذا القول من الأخبار التي ذكرناها آنفًا عن مُعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وسلمة بن الأكوع : من أنهم كانوا – بعد نُزول هذه الآية على عَهد رسول الله ﷺ – في صوم شهر رمضان بالخيار بين صومة وسقُوط الفدية عنه ، وبين الإفطار والافتداء عن إفطاره بإطعام مسكين لكل يوم ؛ وأنهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، فألزموا فرض صومه ، وبطل الخيار والفديةُ .

فإن قال قائل : وكيف تدَّعي إجماعًا من أهل الإسلام – على أنّ من أطاق صومه وهو بالصفة التي وصفت ، فغير جائز له إلا صومُه – وقد علمت قول من قال : الحامل والمرضعُ إذا خافتا على أولادهما ، لهما الإفطار ، وإن أطاقتا الصوم بأبدانهما ، مع الخبر الذي رُوي في ذلك عن

رسول الله ﷺ ، الذي : حدثنا به هناد بن السري قال حدثنا قبيصة عن سفيان عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال : أتيتُ رسول الله ﷺ وهو يتغدى ، فقال : تعال أحدثك ، إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة .

قيل : إنا لم ندع إجماعًا في الحامل والمرضع ، وإنما ادعينا في الرجال الذين وصفنا صفتهم ، فأما الحامل والمرضع ، فإنما علمنا أنهن غير معنيات بقوله : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، وخلا الرجال أن يكونوا معنيين به ، لأنهن لو كن معنيات بذلك دون غيرهن من الرجال ، لقيل : وعلى اللواتي يُطقنه فدية طعام مسكين ، لأن ذلك كلام العرب ، إذا أُفرد الكلامُ بالخبر عنهن دون الرجال ، فلما قيل : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، كان معلومًا أن المعنيَّ به الرجال دون النساء ، أو الرجال والنساء ، فلما صح بإجماع الجميع - على أن من أطاق من الرجال المقيمين الأصحاء صوم شهر رمضان ، فغير مرخص له في الإفطار والافتداء ، فخرج الرجال من أن يكونوا معنيين بالآية ، وعُلم أن النساء لم يردن بها لما وصفنا : من أن الخبر عن النساء إذا انفرد الكلامُ الخبر عنهن : (وعلى اللواتي يطقنه) ، والتنزيل بغير ذلك .

وأما الخبر الذي روي عن النبي ﷺ ، فإنه إن كان صحيحًا ، فإنما معناه : أنه وضع عن الحامل والمرضع الصوم مادامتا عاجزتين عنه ، حتى تُطيقا فتقضيا ، كما وضُع عن المسافر في سفره ، حتى يقيم فيقضيه - لا أنهما أُمِرتا بالفدية والإفطار بغير وجوب قضاء ، ولو كان في قول النبي ﷺ : « إن الله وضع عن المسافر والمرضع والحامل الصوم » ، دلالةٌ على أنه ﷺ إنما عنى أن الله تعالى ذكره وضع عنهم بقوله : ﴿ وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، لوجب أن لا يكون على المسافر إذا أفطر

في سفره قضاء ، وأن لا يلزمه بإفطاره ذلك إلا الفدية ، لأن النبي ﷺ قد جمع بين حُكمه وبين حكم الحامل والمرضع ، وذلك قولٌ ، إن قاله قائلٌ ، خلاف لظاهر كتاب الله ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام .

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ [البقرة : ١٨٤] وعلى الذين يطيقون الطعام . وذلك لتأويل أهل العلم مخالفٌ .

وأما قراءة من قرأ ذلك : (وعلى الذين يُطوَّقونه) فقراءة لمصاحف أهل الإسلام خلافٌ ، وغير جائز لأحدٍ من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثة عن نبيهم ﷺ نقلًا ظاهرًا قاطعًا للعذر ، لأن ما جاءت به الحجة من الدين ، هو الحق لا شك فيه أنه من عند الله ، ولا يُعترض على ما قد ثَبت وقامت به حجة أنه من عند الله ، بالآراء والظنون والأقوال الشاذة .

* * *

س : ما هو مقدار الطعام الذي يُطْعَم به المسكين ؟

ج : هو وجبة واحدة من الطعام الذي يتقوَّته المُفطر هذا هو الظاهر(١) ، فالله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، وقد قال سبحانه : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها ﴾ [الطلاق : ٧] ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) ولم يرد عن رسول الله ﷺ - فيما اطلعت عليه - خبر صحيح في تحديد الطعام الذي يُطعم به المسكين ، فعلى ذلك فمرْد ذلك إلى العرف السائد ، والله تعالى أعلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : المراد - والله أعلم - بقوله تعالى فمن تطوع خيرًا : أي زاد على إطعام المسكين فأطعم عددًا أكثر من المساكين ، فإذا أفطر يومًا مثلًا عليه إطعام مسكين فإذا أطعم مسكينين أو ثلاثة فقد تطوع خيرًا ، وكذلك إذا أطعم المسكين الواحد أكثر من الذي له فمثلًا إذا أعطى المسكين وجبتين بدلًا من واحدة فقد تطوع خيرًا .

هكذا ذكر بعض أهل العلم ، ومنهم من قال : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] أي : أطعم وصام أيضًا .

● والقول بالعموم أولى ، فالمعنى فمن تطوع خيرًا بأن أطعم عددًا من المساكين أكثر من الذي يلزمه إطعامهم ، أو زاد المسكين على القدر المقرر له ، أو صام مع الإطعام فكل ذلك تطوع وكله خيرٌ له ، وإلى هذا جنح الطبري رحمه الله فقال : والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره عمم بقوله : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، فلم يخصص بعد معاني الخير دون بعض ، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوُّع الخير ، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوُّع الخير ، وجائز أن يكون تعالى ذكره عنى بقوله : ﴿ فمن تطوع خيرًا ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، أي هذه المعاني تطوع به المفتدي من صومه ، فهو خير له ، لأن كل ذلك من تطوع الخير ، ونوافل الفضل .

* * *

س : هل يجب على الشيخ الكبير - إذا أفطر في رمضان - أن يُطعم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان .

أحدهما : أنه يطعم مكان كل يوم مسكينا ، وهذا الرأي مبني على تأويل ابن عباس رضي الله عنهما للآية وعلى قراءة ﴿ يطوَّقونه ﴾ ومبني أيضًا على ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه من أنه لما كبر ولم يتحمل الصوم كان يطعم ثلاثين مسكينًا مقابل إفطاره شهر رمضان .

القول الثاني : أنه لا شيء عليه ، لأنه لا دليل على إلزامه بشيء أما تأويل ابن عباس للآية الكريمة وقراءة ﴿ يطوَّقونه ﴾ فقد بينا ما فيهما .

أما فعل أنس بن مالك فليس بمرفوع إلى رسول الله ﷺ ومن ثمَّ فليس هو بحجة ملزمة ككتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل يجوز للحامل أو المرضع أن تفطر إذا خافت على نفسها أو علَى الجنين أو على الولد ؟

ج : نعم يجوز أن تفطر الحامِل أو المرضع إذا خافت على نفسها أو على الجنين أو الولد ولا نعلم خلافًا بين العلماء في جواز ذلك .

ومن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الكعبي القشيري قال : أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ فأتيته وهو يتغدى فقال : « ادن فكل » ، قلت : إني صائم قال : « اجلس أحدثك عن الصوم أو الصيام ، إن الله عز وجل وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم – أو – الصيام » ، والله لقد قالهما رسول الله ﷺ كلاهما أو أحدهما فيا لهف نفسي هلا كنت طعمت من طعام رسول الله ﷺ[1] .

***

(١) أخرجه أحمد بسندٍ حسنٍ .

س : إذا أفطرت الحامل والمرضع ماذا عليهما وكيف تصنعان ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

● فمنهم من ذهب إلى أنهما تفطران وتطعمان وتقضيان من هؤلاء سفيان ومالك والشافعي وأحمد ، ولا أعلم لهذا الفريق دليلًا من الكتاب والسنة .

● ومنهم من قال : تُفطران وتُطعمان ولا قضاء عليهما وإن شاءتا قضتا ولا إطعام ، وبه يقول إسحاق ، والقائلون بهذا القول أخذوا حكمهم من قول الله عز وجل : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ [البقرة : ١٨٤] بناءً على أنه لم ينسخ ، بل هو باق في حق الشيخ الكبير والمرضع والحامل .

لكن الراجح من أقوال أهل العلم أن هذه الآية منسوخة .

● ومنهم من ذهب إلى أنهما تفطران وتقضيان ولا تطعمان ، وممن قال بهذا القول الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي وهؤلاء قاسوا الحامل والمرضع على المريض والمسافر .

● ومنهم من قال : تفطران ولا تطعمان ولا تقضيان ومن هؤلاء ابن حزم رحمه الله ، من أدلة هؤلاء : أن الذمم بريئة ما دام لم يأت نص ملزم لها بشيء ، ولما لم يأت نصٌّ مُلزم بشيء قلنا ببراءة ذمتها من أي شيء ، وأيضًا قال النبي ﷺ : « إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة »[1]، فدل ذلك على أن الصوم قد وضع عن الحامل والمرضع والمسافر ، ولا يقال هنا إننا نقيسهما على المسافر فكما أن المسافر يقضي فكذلك الحامل والمرضع تقضيان ، وذلك لأن المسافر إنما لزمه القضاء بنصٍّ

---

(١) انظر تخريجه في كتابنا جامع أحكام النساء .

خارج عن الحديث ألا وهو قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، أما الحامل والمرضع فأين الملزم لهما ، ثم إنه بإمعان النظر في الحديث نفسه : « إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة » نرى أن المسافر إذا قصر الصلاة في السفر لا يطالب – بعد رجوعه – بإتمام ما كان حذفه من ركعات فليقل كذلك إن الحامل والمرضع لا يلزمان بقضاء ما فعلتاه من إفطار ، والله تعالى أعلم .

***

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن صيامكم خير لكم من الفطر والإطعام .

أي : أنه إذا كان مباحًا لكم الصوم أو الإفطار مع الإطعام بدلًا من الصوم فالصوم خيرٌ لكم من الإفطار والإطعام .

ومن العلماء من قال : وصيامكم خير لكم من الفطر في السفر والمرض غير الشاق قال هذا الأخير ابن العربي في أحكام القرآن .

***

شَهۡرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ
فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ
أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

هدى للناس – بينات – الفرقان – اليسر ؟

ج :

الكلمة	معناها
هدى للناس	هدايةً ورشادًا للناس إلى سبيل الحق
بينات	دلالات واضحات وحجج بينات
الفرقان	الفصل بين الحق والباطل
اليسر	السهل

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل شهر رمضان وصيامه ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلِّقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » .

وفي رواية في الصحيح : « فتحت أبواب الجنة » .

● ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وفي رواية في الصحيح : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

● ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة .

● ومنها : ما أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٩٩) ومسلم (حديث ١٠٧٩) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠١) ومسلم (حديث ٧٥٩) .
(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٩٠٢) ومسلم (حديث ٢٣٠٨) .

مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر »[1] .

❋ ❋ ❋

س : من العلماء مَن يرى كراهية قول رمضان ويستحب أن يقول (شهر رمضان) فهل لهم مستند صحيح على ذلك ؟

ج : لا نعلم لهم مستندًا صحيحًا[2] على ذلك ، بل الدليل يردُّ ما ذهبوا إليه فقد أخرج البخاري[3] وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة » .

وأشار البخاري في تبويبه إلى تجويز إطلاق رمضان بقوله بابٌ هل يقال رمضان أو شهر رمضان ؟ ومن رأى كله واسعًا وقال النبي ﷺ : « من صام رمضان » وقال : « لا تقدموا رمضان » .

● **ونقل الحافظ ابن حجر عن الجمهور تجويزهم أن يُقال : رمضان.**

وقال ابن العربي في (أحكام القرآن) : « والصحيح جواز إطلاق رمضان من غير إضافة كما ثبت في الصحاح وغيرها » .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « أُنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان » ؟

ج : هذا الحديث روي من طريق عمران بن داود القطان عن قتادة عن

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٣٣ ص ٢٠٩) .

(٢) وقد ورد لهم مستند ضعيف وهو حديث : « لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى » وهو ضعيف الإسناد ففيه أبو معشر نجيح المدني ، وفيه علل أُخر انظره في فتح الباري (٤/١٣٥) .

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٨) .

أبي المليح عن واثلة بن الأسقع[1] رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي إسناده عمران بن داود القطان الذي تطمئن نفسي إليه في شأنه أنه ضعيف في الحديث ، فالحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ .

وقد عنعن قتادة وهو مدلس .

وقد روي الحديث من طريق أبي المليح عن جابر وفي إسناده ضعف شديد .

❋ ❋ ❋

س : كيف توفِّق بين قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] وبين نزول القرآن مفرقًا على رسول الله ﷺ على مدار الشهور والسنين[2] ؟

ج : أجاب على ذلك جمهور العلماء بما حاصله : أن القرآن نزل في ليلة

(١) وقد أخرجه أحمد (٤/١٠٧) والطبري (٢/٨٤) والطبراني في الكبير (٢٢/٧٥) وأبو يعلى (٤/١٣٥) وغيرهم من الطريق التي أشرنا إليها .

وللحديث شواهد ضعيفة واهية لا نطيل الحديث في ذكرها ، هذا والحديث بتمامه لفظه أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلةٍ من رمضان وأُنزلت التوراة لستٍّ مضين والإنجيل لثلاث عشر خلت من شهر رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن ليلة القدر هي ليلة الخامس والعشرين لقوله : وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان مع قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] مع قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] وقوله : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منزلين ﴾ [الدخان : ٣] ، والله تعالى أعلم .

(٢) ومما يؤيد نزوله مفرقًا قول الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] وهذا شيء من =

القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في شهر رمضان كما قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] ، وكما قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منزلين ﴾ [الدخان : ٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، ثم نزل مفرقًا على رسول الله ﷺ بعد ذلك بحسب الوقائع .

وقد روي ذلك من طرق عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[1] .

وقال القرطبي رحمه الله : ولا خلاف أن القرآن أُنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر على ما بيناه جملة واحدة فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم كان جبريل ينزل به نجمًا نجمًا في الأوامر والنواهي والأسباب وذلك في عشرين سنة .

= المسلمات – أي : كون القرآن نزل على رسول الله ﷺ مفرقًا بحسب الوقائع – فقد نزلت العلق على رسول الله ﷺ بمكة ونزلت براءة والبقرة بالمدينة ... إلى غير ذلك .

(١) أخرجها الطبري من طرق صحيحة وحسان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما رقم (٢٨١٢) ، (٢٨١٣) ، (٢٨١٦) ، (٢٨١٧) ، (٢٨١٨) ، ومن ألفاظها (بإسناد صحيح عن **ابن عباس** كما ذكرنا) : أُنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا فكان الله إذا أراد أن يُحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه .

● **وقال ابن جرير** الطبري رحمه تعالى : وأما قوله : ﴿ الذي أُنزل فيه القرآن ﴾ [البقرة : ١٨٥] فإنه ذكر أنه نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد ﷺ على ما أراد الله إنزاله إليه .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى** : وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا كان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] وقال : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ [الدخان : ٣] ثم نزل بعد مفرقًا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ.

● هذا ومن العلماء من قال : إنْ معنى قوله : ﴿ إنا أنزلناه ﴾ [القدر : ١] أي : ابتدأنا إنزاله ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بـ (شهود الشهر) في قوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال فمنهم من قال : إن المراد بشهود شخصٍ الشهر هو أن يأتيه الشهر وهو مقيم في داره ، قالوا : فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فعليه صوم الشهر كله سواء حضر بعض الشهر ثم سافر أم بقي طيلة الشهر في بلده .

فإن مكث طول الشهر في بلده صام طول الشهر ، وإن بقي بعض الأيام ثم سافر فيصوم أيضًا الأيام التي بقي فيها وكذلك التي سافر فيها يصومها أيضًا صح ذلك عن عبيدة - كما عند الطبري - وإبراهيم(١) .

وهذا القول ظاهر الخطأ والبطلان فإن الله قال : ﴿ ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخر ﴾ ، والصواب ما قاله آخرون من أن معنى ذلك

---

(١) أخرج الطبري (٢٨٢٦) بإسناد صحيح إلى عبيدة - في الرجل يُدركه رمضان ثم يسافر قال : إذا شهدت أوله فصم آخره ألا تراه يقول : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وأخرج أيضًا (٢٨٣/٤) بإسناد صحيح إلى أبي البختري قال : كنا عند عبيدة فقرأ هذه الآية : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : ١٨٥] قال : من صام شيئًا منه في المصر فليصم بقيته إذا خرج ، قال : وكان ابن عباس يقول إن شاء صام وإن شاء أفطر .

وأخرج الطبري بإسناده إلى إبراهيم أنه كان يقول : إذا أدركك رمضان فلا تسافر فيه فإن صمت فيه يومًا أو اثنين ثم سافرت فلا تفطر صُمه .
(الطبري أثر ٢٨٣٤) .

أن يصم ما شهده (أي : ما حضره في بلده) من الشهر أما إذا سافر فله أن يفطر .

أي : أن من حضر الشهر منكم وهو في بلده فيصم من الشهر الذي شهده منه وهو مقيم فإذا سافر فله أن يفطر .

وهذا رأي جماعة كبيرة من أهل العلم ، وقد ثبت في جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ أنه سافر فصام في سفره وسافر أيضًا فأفطر في سفره ﷺ .

***

س : ما مدى صحة حديث : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر ؟

ج : هذا الحديث ضعيف عن رسول الله ﷺ ، فقد أخرجه ابن ماجه[1] وغيره من طريق ابن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ ، واختلف فيه على الزهري اختلافًا كثيرًا .

- فرواه الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال : يقال : الصيام في السفر كالإفطار في الحضر[2] كما عند النسائي وغيره .
- ورواه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر .

وثمّ أوجه أُخر للاختلاف في إسناده ذكرها الدارقطني رحمه الله تعالى

---

(١) ابن ماجه في سننه حديث (١٦٦٦) ، وانظر ابن أبي شيبة (المصنف ١٤/٣) ، والكامل لابن عدي (٢٦٦/٧) ، وتاريخ بغداد (٣٨٣/١١) لترى مزيد من الخلاف على الزهري .

(٢) أخرجه النسائي (السنن الصغرى ١٨٣/٤) .

في العلل[1] ، وقال :

والصحيح عن أبي سلمة عن أبيه موقوفًا .

قلت : وأبو سلمة لم يسمع من أبيه أيضًا .

وقال أبو زرعة (كما نقله عنه ابن أبي حاتم في العلل[2]) : الصحيح عن الزهري عن أبي سلمة عن أبيه موقوف .

❋ ❋ ❋

س : يشرع الذكر عند انقضاء العبادة والفراغ منها وضح ذلك بالأدلة ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾ [الجمعة : ١٠] .

● قوله تعالى : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

● وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير ، وفي رواية : إن رفع الصوت بالذكر عند الانتهاء من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

---

(١) علل الدارقطني (٢٨١/٤ - ٢٨٢ - ٢٨٣) .

(٢) علل ابن أبي حاتم (٢٣٨/١ - ٢٣٩) .

س : ما هو الدليل على مشروعية التكبير في عيد الفطر ؟

ج : الدليل هو قوله تعالى : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : يريد الله بكم أيها المؤمنون بترخيصه لكم في حال مرضكم وسفركم في الإفطار وقضاء عدة من أيام أُخر من الأيام التي أفطرتموها بعد إقامتكم وبعد برئكم من مرضكم التخفيف عليكم والتسهيل عليكم لعلمه بمشقة ذلك عليكم في هذه الأحوال ، ﴿ ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] يقول : ولا يريد بكم الشدة والمشقة عليكم فيكلفكم صوم الشهر في هذه الأحوال مع علمه شدة ذلك عليكم وثقل حمله عليكم لو حملكم صومه .

❋ ❋ ❋

س : أفادت الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر اذكر مزيدًا من الأدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا ﴾ [الشرح : ٤ ،٥] ، قوله تعالى : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] ، قوله تعالى : ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ [النساء : ٢٨] ، قوله تعالى : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ [النساء : ٢٧] ،

وقوله تعالى : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾ [النساء : ١٤٧] ، وكذلك قول رسول الله ﷺ : « يسِّرا ولا تعسرا » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه » إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في هذا الباب » .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره : ولتعظِّموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به من الهداية التي خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثل الذي كتب عليكم فيه . فضَلُّوا عنه بإضلال الله إياهم وخصَّكم بكرامته فهداكم له ووفقكم لآداء ما كتب الله عليكم من صومه وتشكروه على ذلك بالعبادة له .

والذكر الذي حضهم الله على تعظيمه به (التكبير) يوم الفطر فيما تأوله جماعة من أهل التأويل .

ثم قال الطبري رحمه الله (أثر ٢٩٠٣)(١) : حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد : كان ابن عباس يقول : حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبِّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم ، لأن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] . قال ابن زيد : ينبغي لهم إذا غدوا إلى المصلى كبروا ، فإذا جلسوا كبروا ، فإذا جاء الإمام صمتوا ، فإذا كبر الإمام كبروا ، ولا يكبرون إذا جاء الإمام إلا بتكبيره ، حتى إذا فرغ وانقضت الصلاة فقد

(١) صحيح إلى ابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

انقضى العيد . قال يونس : قال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : والجماعةُ عندنا على أن يغدوا بالتكبير إلى المصلَّى .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولعلكم تشكــرون ﴾ [البقرة :١٨٥] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بذلك : ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق وتيسير ما لو شاء عسَّر عليكم و (لعل) في هذا الموضع بمعنى (كي) ولذلك عطف به على قوله : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة : ١٨٥] أي : إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه وترك محارمه وحفظ حدوده فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك .

***

وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

س : وضح معاني هذه الكلمات :

فليستجيبوا لي – ليؤمنوا بي – يرشدون ؟

ج :

الكلمة	معناها
فليستجيبوا لي[1]	فليجيبوني – فليطيعوني
وليؤمنوا بي	وليصدقوني (أنهم إذا أطاعوني أثبتهم على طاعتهم لي)
يرشدون	يهتدون

(١) قال الرازي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ﴾ [البقرة : ١٨٦] : فيه مسائل :

المسألة الأولى : وجه الناظم أن يقال : إنه تعالى قال : أنا أجيب دعاءك مع أني غني عنك مطلقًا ، فكن أنت أيضًا مجيبًا لدعائي مع أنك محتاج إلي من كل الوجوه ، فما أعظم هذا الكرم ، وفيه دقيقة أخرى وهي أنه تعالى لم يقل للعبد : أجب دعائي حتى أجيب دعاءك ، لأنه لو قال ذلك لصار لدعائي ، وهذا تنبيه على أن إجابة الله عبده فضل منه ابتداء ، وأنه غير معلل بطاعة العبد ، وأن إجابة الرب في هذا الباب إلى العبد متقدمة على اشتغال العبد بطاعة الرب ، وهذا يدل على فساد ما نقلناه عن المعتزلة في المسألة الرابعة . =

س : هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ [البقرة : ١٨٦] ؟

ج : لم نقف لهذه الآية الكريمة على سبب نزول صحيح . والله تعالى أعلم .

* * *

س : عن أي شيء من شئون الله عز وجل يسأل المؤمنون رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني ﴾ [البقرة : ١٨٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

١ - أن العباد يسألون رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أين هو ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فإني قريب ﴾ فدل قوله تعالى : ﴿ فإني قريب ﴾ [البقرة : ١٨٦] على أنهم إنما يسألون عن القرب والبعد .

● قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : وإذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا ؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم وأجيب دعوة الداعي منهم .

● وقال الرازي رحمه الله تعالى : إن السؤال متى كان مبهمًا والجواب مفصلًا دل الجواب على أن المراد من ذلك المبهم هو ذلك المعين ، فلما كان في الجواب فإني قريب علمنا أن السؤال كان عن القرب والبعد بحسب الذات .

= المسألة الثانية : قال الواحدي : أجاب واستجاب بمعنى واحد ، قال كعب الغنوي :

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقال أهل المعنى : الإجابة من العبد لله الطاعة ، وإجابة الله لعبده إعطاؤه إياه مطلوبه ، لأن إجابة كل شيء على وفق ما يليق به .

٢ – من العلماء من يقول : إن العباد يسألون رسول الله ﷺ عن الساعة التي يدعِون الله عزَّ وجل فيها أي ساعة هي .

والأول أولى والله تعالى أعلم .

* * *

س : قال الله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي ... ﴾ [البقرة : ١٨٦] وبين ما يُرى ويُشاهد من أن كثيرًا من الناس يدعون الله عز وجل فلا يستجيب الله عز وجل دعاءهم في الظاهر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال نورد منها ما يلي :

الأول : أن الدعاء قد يستجاب ولكننا لا نعرف الصورة التي استجيب بها الدعاء ، فقد تكون صورة الاستجابة تتمثل في صرف السوء عن الداعي ، وقد تتمثل صورة الإجابة في ادخار الإجابة إلى الآخرة ، كما قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يدعو الله بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخر له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها »[1] .

الثاني : من العلماء من قال : إن الآية الكريمة مقيدةٌ بمشيئة الله عز وجل ، والمعنى : أُجيب دعوة الداع إن شئت ، ومستند القائلين بهذا القول هو قوله تعالى : ﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ [الأنعام : ٤١] ، لكن الذي يُعكر على هذا القول هو أن سياق هذه الآية الكريمة إنما هو في المشركين[2] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٨/٣) بإسنادٍ حسن .

(٢) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (أضواء البيان ١٠٤/١) : وقال بعضهم : =

الثالث : أن المراد بـ (الدعاء) هنا دعاء العباد ربهم أن يتقبل منهم أعمالهم ويثيبهم على طاعتهم ، وإجابة هذا من الله معناها الوفاء لهم بما وعدهم به وبما ضمنه للمطيعين من الثواب كما قال تعالى : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ﴾ [الشورى : ٢٦] فمعنى أجيب دعوة الداع[١] : أتقبل عمل العامل وأثيبه عليه ، وشاهد ذلك قول رسول الله ﷺ : « الدعاء هو العبادة »[٢] .

الرابع : مِن أهل العلم مَن قال : (أجيب دعوة الداع) إذا استوفى الداعي شروط الدعاء[٣] .

الخامس : من العلماء من قال : إن المراد بـ (الداع) : الداعي المؤمن وليس الكافر لقوله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾[٤] [المائدة : ٢٧].

= التعليق بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية ، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين ، وعليه فدعاؤهم لا يُرد ، إما أن يُعطوا ما سألوا أو يُدخر لهم خيرٌ منه أو يدفع عنهم من السوء بقدره .

(١) قال ابن القيم رحمه الله : الدعاء نوعان : دعاء ثناءٍ ، ودعاء مسألة ، والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين ، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين ، والاستجابة أيضًا نوعان : استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله واستجابة دعاء المثني بالثناء ، وبكل واحد من النوعين فُسِّر قوله تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] والصحيح أنه يعم النوعين .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) وسيأتي بيان بعضها إن شاء الله .

(٤) قال القاسمي (محاسن التأويل ٣/٤٣٤) :

قال الراغب : بين تعالى في هذه الآية إفضاله على عباده ، وضمن أنهم إذا دعوه أجابهم ، وعليه نبه بقوله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] . وإن قيل : قد ضمن في الآيتين أن من دعاه أجابه ، وكم رأينا من داعٍ له لم يجبه ! قيل : إنه ضمن الإجابة لعباده ، ولم يرد بالعباد من ذكرهم بقوله : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا ﴾ [مريم : ٩٣] وإنما عنى به الموصوفين =

السادس : قال بعض أهل العلم : إن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل ، وقد لا تكون المصلحة في ذلك فيجاب إلى مقصوده الأصلي وهو طلب المصلحة ، وقد تكون المصلحة في التأخير أو المنع .

السابع : ذكر بعض العلماء هنا أن معنى (أجيب) أي : أسمع ، فقوله تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ أي : أسمع دعوة الداع وذلك كقولنا في الصلاة : سمع الله لمن حمده أي : أجاب الله[(1)] .

الثامن : أن المراد من الدعاء التوبة من الذنوب ، وذلك لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة ، وإجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن قبول التوبة .

هذه بعض الوجوه التي ظهرت لي من أقوال العلماء في هذا الباب ، والله تعالى أعلم .

* * *

= بقوله : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحجر : ٤٢] وقوله : ﴿ وعباد الرحمن ﴾ [الفرقان : ٦٣] الآيات .

قلت : لكن ما زال الإشكال واردًا على هذا الوجه فمن المؤمنين من يدعو ولا يظهر أن الدعوة استجيبت له أيضًا .

(١) قال الرازي في تفسيره : وقال ابن الأنباري (أجيب) ههنا بمعنى أسمع لأن بين السماع وبين الإجابة نوع ملازمة فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر ، فقولنا : سمع الله لمن حمده أي : أجاب الله فكذا ههنا قوله : ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ [البقرة : ١٨٦] أي : أسمع تلك الدعوة فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ على هذا الوجه زال الإشكال .

س : اذكر بعض الأدلة التي تدل على علم الله عز وجل بحال عبده وقربه منه[1] ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٢] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق : ١٦] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ [المجادلة : ٧] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ [الحديد : ٦] إلى غير ذلك من الأدلة .

❋ ❋ ❋

س : هل لهذه الآية صلة بما قبلها : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] ؟

ج : بعض أهل العلم يرى أن لهذه الآية صلة بما قبلها ، ووجه ذلك أن الله عز وجل قال في الآية التي قبلها : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله

---

(١) قدَّمنا قبلُ بما فيه الكفاية أن ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] وأن الله عز وجل في السماء كما قال عز وجل : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾ [الملك : ١٦] ، وكما قال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ [فاطر : ١٠] إلى غير ذلك مما أوردناه من أدلة في هذا الباب .

على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] ثم عقب بقوله : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] فأرشدهم سبحانه إلى الدعاء والاجتهاد فيه عند الفطر والانتهاء من الصوم فالآية إذن إرشاد للصائم وتوجيه إليه للدعاء عند إفطاره .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة وعند كل فطر .

هذا **وقد نقل القاسمي عن الراغب قوله :** هذه الآية من تمام الآية الأولى لأنه لما حثَّ على تكبيره وشكره على ما قيضه لهم من تمام الصوم بيَّن أن الذي يذكرونه ويشكرونه قريب منهم ومجيب لهم إذا دعوه .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة التي تحث على الدعاء وُترغِّب فيه ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر : ٦٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ [الأعراف : ٥٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾ [غافر : ٦٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

❋ ❋ ❋

س : ماذا يقول من أحب أن يجتهد في الدعاء ؟

ج : من أحب أن يجتهد في الدعاء فليقل : (اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) ، وذلك لما أخرجه أحمد في مسنده[1] بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء ؟ قولوا : اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك » .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض آداب الدعاء وأسباب إجابته والموانع من تلك الإجابة ؟

ج : من آداب الدعاء ما يلي :

أولًا : على الداعِ أن يتحلى بتقوى الله عز وجل فالله عز وجل يقول : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ [المائدة : ٢٧] .

ثانيًا : على الداع أن يطيب مطعمه ومشربه وملبسه حتى يتقبل الله عزَّ وجل منه ويعطيه سؤله ، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾ [المؤمنون : ٥١] وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] – ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك »[2] .

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٩/٢) .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٩٩/٧) .

ثالثًا : على الداع أن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم ، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل »[1] الحديث .

رابعًا : على الداعي أن يكرر الدعاء[2] ويكثر منه ولا يستعجل الإجابة فيترك الدعاء وذلك لما أخرجه مسلم في الحديث السابق أيضًا ففيه قيل : ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » .

خامسًا : على الداع أن يطلب من الله عز وجل العون على الدعاء والتوفيق إليه .

سادسًا : على الداع أن يرد المظالم إلى أهلها فإن المظلوم قد يدعو عليه دعوة يحجب بسببها دعاؤه عن الإجابة ، وقد قال النبي ﷺ : « دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب » .

سابعًا : وينبغي أن لا يحجّر الداعي دعوته لنفسه فقط بل يدعو لنفسه وللمسلمين كذلك معه فقد أخرج البخاري[3] من حديث أبي هريرة

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (مع النووي ٥٢/١٧) .

(٢) أما تكرير الدعاء فلما أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٤٩/١) ، ومسلم (مع النووي ١٥٠/١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس .... الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال : « اللهم عليك بقريش » ثلاث مرات وفي رواية لمسلم .. وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا .

● ومما يدل على مشروعية تكرير الدعاء ما أخرجه البخاري (مع الفتح ٥٠١/٢) ، ومسلم (٦٩٤/١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائمًا فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا .... » الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٣٨/١٠) .

رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه ، فقال أعرابي وهو في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا ، فلما سلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي : « لقد حجَّرت واسعًا » يريد رحمة الله .

ثامنًا : وليعزم الداعي المسألة فلا يقولن : اللهم أعطني إن شئت اللهم اغفر لي إن شئت[١] ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقل : اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له » ، وفي رواية : « إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء ، ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطني فإن الله لا مستكره له »[٢] .

تاسعًا : ولا يتكلف الداع ويسجع[٣] في الدعاء وذلك لما أخرجه البخاري[٤] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لعكرمة : حدِّث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرات ولا تملَّ الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم

---

(١) وبعض البلاد يكثر في سكانها قول : (الله يوفقك إن شاء الله) ، وهذا يدخل في المنهي عنه أيضًا ، والصواب أن يقول : الله يوفقك (بدون قول : إن شاء الله) لقول النبي ﷺ المذكور ، وكذلك لم يقل الخليل عليه السلام : (وارزق أهله من الثمرات إن شاء الله ....) ، وسائر آي الكتاب العزيز في أبواب الدعاء تدل على ما ذكرنا ، والعلم عند الله تعالى .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٤٥/١٣) ، ومسلم (مع النووي ٦/١٧) ، والرواية التي قبلها « إذا دعا أحدكم .... » أخرجها البخاري (١٣٩/١٣) ، ومسلم (مع النووي ٦/١٧) .

(٣) السجع هو أن يتكلف المجيء بالدعاء على قافية واحدة ، أما إذا لم يتكلفه وجاء على قافية واحدة فلا بأس فالرسول ﷺ كان يقول : « أذهب البأس رب الناس .... » ، وكان يقول : « اللهم منزل الكتاب هازم الأحزاب مجري السحاب ... » .

(٣) البخاري (مع الفتح ١٣٨/١١) .

فتقصَّ عليهم حديثهم فتُملَّهم ولكن أنصت ، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب .

عاشرًا : ويستحب للداعي اختيار الجوامع من الدعاء فإن عائشة رضي الله عنها ذكرت أن النبي ﷺ كان يعجبه الجوامع من الدعاء ويَدَعُ ما بين ذلك[1] .

وأخرج الحاكم[2] بإسناد صحيح عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أجملوا في طلب الدنيا فإن كلًّا ميسر لما كتب له منها » ، وقال الحاكم : صحيح .

حادي عشر : ولا يقتصر الداعي في دعائه على إصلاح الدنيا فقط بل ويطلب صلاح الآخرة له ولذويه كذلك ، فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢] .

ثاني عشر : ويستحب للداعي أن يتخير أوقات الإجابة فهو وإن كان جائزًا له أن يدعو ربه في كل وقت إلا أن هناك بعض الأوقات أولى من بعض (على ما سيأتي بيانه إن شاء الله)[3] .

ثالث عشر : ويستحب للداعِ أن يقدم بين يدي دعائه بعض المقدمات كحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ والدعاء بأسمائه الحسنى

---

(١) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٦/١٤٨ - ١٨٩) .
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣) .
(٣) سيأتي ذلك إن شاء الله في سؤال مستقل .

والاعتراف بالذنب والإقرار بفضل الله عليه والصلاة والصدقة والصلة وأعمال البر والإحسان ويتوسل بذلك إلى الله سبحانه وتعالى في دعائه إياه[1].

رابع عشر : ويستحب للداعي أن يرفع همته في الدعاء ويسأل الله مزيد الفضل والإحسان والإنعام فإن الله عز وجل لا يعظم عليه شيء ، فقد قال النبي ﷺ : « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة »[2].

وقد أخرج مسلم رحمه الله[3] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، قال : فقال النبي ﷺ : « قد سألت الله لآجالٍ مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حلِّه ، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل » .

خامس عشر : ويَحذر الداعي من الاعتداء في الدعاء ، وللاعتداء في الدعاء صورٌ منها أن تسأل الله ما ليس لك كأن تسأل الله أن تكون نبيًّا أو تكون لك الوسيلة والفضيلة ، أو تعيش أبد الدهر ، أوتطير في الهواء وتمشي على الماء ... ونحو ذلك ، أو أن يسأل ربَّه عن أشياء لم يرد لها ذكر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول :

---

(١) وسيأتي ذلك في سؤال مستقل إن شاء الله .

(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ٦/١١) .

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٦ / ٢١٢) ، وأحمد في المسند (١/٣٩٠ و ٤١٣) .

اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها ، فقال : يا بني سل الله تبارك وتعالى الجنة وعُذ به من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور »(١) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أوقات الإجابة التي يستحب فيها الإكثار من الدعاء ؟

ج : من هذه الأوقات ما يلي :

١ - الثلث الأخير من الليل ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له »(٢) .

٢ - بين الأذان والإقامة ، فقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدعوة لا ترد بين الأذان والإقامة فادعوا » .

٣ - أثناء السجود ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء »(٤) .

٤ - يوم الجمعة : وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم(٥) من حديث

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥٥/٥) ، وأبو داود في الطهارة (٤٥) (١٦٢/٢) ، وابن ماجة (٣٨٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢٨/١١) ، ومسلم (مع النووي ٣٦/٦) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٥/٣) بإسناد صحيح .

(٤) أخرجه مسلم (جـ ٢٠٠/٤ مع النووي) .

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٩٩/١١) ، ومسلم (مع النووي ١٣٩/٦) .

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « في يوم الجمعة ساعة[1] لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله خيرًا إلا أعطاه » ، وقال بيده ، قلنا : يقللها ويزهدها .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض المقدمات التي يقدمها الشخص بين يدي دعائه ؟

ج :

● للدعاء صور ومقدمات تتقدمه منها .

أن يسبق الدعاء حمد الله والثناء عليه وتمجيده ونحو ذلك ، والصلاة على النبي ﷺ ثم يدعو الداعي بما يريد ولهذا جملة من الأدلة منها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي بسند حسن من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عز وجل ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « عجل هذا » ، ثم دعاه وقال له ولغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء »[2] .

● ويتأيد هذا أيضًا بما في سورة الفاتحة فكما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] ، قال الله : حمدني

---

(١) وقد جاء في بعض الطرق تحديدها بأنها الساعة الأخيرة من يوم الجمعة وهو أمثل ما قيل في ذلك ، والله أعلم .

(٢) أخرجه أحمد (المسند ٦/١٨) ، وأبو داود (٢/١٦٢) ، والنسائي (٣/٤٤) ، والترمذي (٩/٤٤٩ مع التحفة) ، وقال : حديث حسن ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ١١١) .

عبدي ، وإذا قال : ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ [الفاتحة : ٣] ، قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ، قال : مجدني عبدي ، فإذا قال : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل .... »[1] .

فانظر كيف أتى الدعاء : ﴿ اهدانا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] ، جاء بعد حمد الله والثناء عليه وتمجيده ، فمن ثمَّ إذا قال العبد : ﴿ اهدانا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧] ، قال : « هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » .

● وفي هذا الباب أيضًا ما جاء في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ في قصةِ الشفاعة وذهاب المؤمنين إلى آدم فيحيلهم آدم إلى نوح ويحيلهم نوح إلى إبراهيم ويحيلهم إبراهيم إلى موسى وموسى إلى عيسى وعيسى يحيلهم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، قال رسول الله ﷺ[2] : « فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقل يُسمع واشفع تُشفع وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال : ثم أشفع فَيُحِدُّ لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة » .

فجاءت شفاعة رسول الله ﷺ ودعاؤه بعد السجود لله والثناء عليه وحمده سبحانه وتعالى .

● وفي هذا الباب أيضًا ما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن

---

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٤٠) .

فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت وما أنت أعلم به مني لا إلٰه إلا أنت »[1] .

فانظر كيف جاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله عز وجل وغاية الإقرار له بالعبودية ؟!!

● وفي هذا الباب دعاء الاستخارة أيضًا فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين والثناء على الله والإقرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قدرته (أي : عن قدرة نفسه بقوله : فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب) ، ثم يأتي بعد ذلك الدعاء « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي .... » .

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله والثناء على الرب سبحانه وتعالى .

● ومن هذا الباب أيضًا قول النبي ﷺ : « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم »[2] .

(أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما) .

فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع .

● ومن هذا ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٤٢) ، ومسلم (مع النووي ٥٤/٦) ، وأبو داود (٤٨٨/١) ، والترمذي (٣٦٤/٩ مع التحفة) ، والنسائي (٢٠٩/٣) ، وابن ماجة (١٣٥٥) ، وأحمد (٣٠٨/١) .

(٢) صحيح وقد تقدم .

ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »[1] ، فانظر كيف جاء قوله عليه السلام : « اللهم اغفر لي » بعد قوله : « سبحانك اللهم وبحمدك » .

● وكذلك في صلاة الليل كان عليه الصلاة والسلام يفتتحها بقوله : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[2] فانظر كيف جاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سبحانه وتعالى وحده .

● **وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء الله الحسنى** لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [الأعراف : ١٨٠] فهي أحسن الأسماء فإنه سبحانه إذا دعي بأحسن أسمائه – وأسماؤه كلها حسنى – كان ذلك من أسباب الإجابة .

فيسأل الرب سبحانه وتعالى باسم من أسمائه الحسنى موافق للمسألة التي يريدها الشخص ، فإن كان يريد الرزق مثلًا قال كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ .... وارزقنا وأنت خير الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] وقول موسى عليه السلام : ﴿ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] فطلب المغفرة بقوله : ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ [الأعراف : ١٥٥] .

وطلب الشفاء باسم الشافي كما قال رسول الله ﷺ : « ... اشف أنت

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٨١/٢) ، ومسلم (مع الفتح ٢٠١/٤) ، وغيرهم .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٦/٦) من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير ، ورواية عكرمة بن عمار عن يحيى متكلم فيها ، ولهذا انتقده الحافظ أبو الفضل الهروي على الإمام مسلم في كتاب علل أحاديث في صحيح مسلم لأبي الفضل الهروي .

الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ...»[1] ، (أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا) ، وهكذا .

وفي هذا الباب حديث بريدة[2] قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إلـٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفوًا أحد ، قال : فقال : « والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى » . (أخرجه الترمذي بسند حسن)

● **وتارة يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته** كما قال موسى ﷺ : ﴿ رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير ﴾ [القصص : ٢٤] فالذي أنزل إليَّ الخير ابتداءً هو الله ومنه أطلب المزيد فهو صاحب الفضل أولًا وآخرًا ومن ذلك قول أيوب ﷺ : ﴿ أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

● ومن هذا القبيل قول زكريا عليه السلام : ﴿ ... ولم أكن بدعائك رب شقيًّا * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهب لي من لدنك وليًّا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًّا ﴾ [مريم : ٤ -٦] .

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدِّم بالتوسل إلى الله بسابق إحسانه وإجابته ، كما قال ابن القيم رحمه الله (في التفسير القيم) : فقد قيل : إنه دعاء المسألة والمعنى إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان ، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه ، كما حكي أن رجلًا سأل رجلًا

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦٧٥) ، ومسلم (حديث ٢١٩) .

(٤) أخرجه الترمذي (٩/٤٤٥ مع التحفة) وقال : حديث حسن غريب ، وأبو داود (١٤٩٣) ، وابن ماجة (٩ : ٤) ، وأحمد (٥/٣٤٩ و ٣٦٠) .

وقال : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا وكذا فقال : مرحبًا بمن توسل إلينا بنا ، وقضى حاجته .

قلت : فكأن زكريا عليه الصلاة والسلام يقول لربه عز وجل : يا رب يا دائم العطاء يا من تكرمت عليَّ ولم ترد دعوتي ولم تجعلني من قبل محرومًا ولم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان استجب دعوتي فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا .

● ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم : ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران : ٨] فتوسلوا إلى الله بسابق إحسانه إليهم وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون : يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية وتفضلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية ، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل وعدم كفران للنعيم والإحسان ، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم فنقول وبالله التوفيق : لو أن رجلًا جاء يطلب منك أن تتصدق إليه وتعطيه مائة جنية مثلًا فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل وقال لك متوسلًا إليك بسابق إحسانك – : أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنية ، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف فحينئذ تعطيه وأنت منشرح الصدر راض عنه وعن شكره للمعروف ، ولله المثل الأعلى .

● **وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال** ، ومن ذلك قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به واتباعهم لرسوله ﷺ .

● ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ [آل عمران : ١٩٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان .

● ومنه قول المؤمنين : ﴿ ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير

الراحمين ﴾ [المؤمنون : ١٠٩] .

● ومن هذا القبيل حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (واللفظ لمسلم) قال رسول الله ﷺ : « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبتُ فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بنيَّ وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء ، وقال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم ، وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق أرز فلما قضى عمله قال : أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني فقال : اتق الله ولا تظلمني حقي ، قلت : اذهب إلى تلك البقرة ورعائها فخذها ، فقال : اتق الله ولا تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به ،

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ، ففرج الله ما بقي »[1] .

فهم هنا قد توسلوا بصالح أعمالهم إلى الله تبارك وتعالى ففرج الله عنهم .

● **وتارة يكون الدعاء بلا مقدمات ، ففي صحيح مسلم من حديث** ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى[2] » ، ولم يذكر أنه قدم مقدمات بين يدي الدعاء .

* * *

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٤٠) ، وأحمد (٤١٦ ، ٤٣٧) ، والترمذي (مع تحفة الأحوذي ٩/٤٦١) ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٨٣٢) .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات : أُحل لكم - الرفث - لباس - تختانون أنفسكم - باشروهن - ابتغوا - كتب - الخيط الأبيض - الخيط الأسود - حدود الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
أُحل لكم الرفث	أبيح لكم - أطلق لكم الجماع[1]

(١) قال الطبري رحمه الله : و (الرفث) في غير هذا الموضع الإفحاش في المنطق ، كما قال العجاج عن اللَّغا ورفث التكلُّم .

الكلمـــة	معناهـــا
لباس	لحاف – سكن[1]
تختانون أنفسكم	تَخُونُون أنفسكم
باشروهن	المباشرة الجماع
ابتغوا	اطلبوا
كتب	قضى[2] – جعل
الخيط الأبيض	بياض النهار
الخيط الأسود	سواد الليل
حدود الله	محارم الله – شروطه

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري (٢٩٣٠) بإسناد حسن عن قتادة ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال : هن سكن لكم وأنتم سكن لهن .

وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح عن ابن زيد (٢٩٣٣) في قوله : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال : المواقعة .

(٢) **وكتب بمعنى قضى** كما في قوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ [التوبة : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ [المجادلة : ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

● **وكتب بمعنى جعل** كما في قوله تعالى : ﴿ كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ .. فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فقالت : خيبة لك ، فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت هذه الآية : ﴿ أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ففرحوا بها فرحًا شديدًا ، ونزلت : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

وللحديث رواية أخرى ولفظها لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله تعالى : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

❋ ❋ ❋

س : كيف يكون نساؤنا لباسًا لنا ونحن لهن لباسًا واللباس إنما هو ما لبس ؟

ج : طرح الطبري رحمه الله تعالى هذا السؤال وأجاب عليه فقال :

فإن قال قائل : وكيف يكون نساؤنا لباسًا لنا ، ونحن لهن لباسًا ، و(اللباس) إنما هو ما لبس ؟

قيل : لذلك وجهان من المعاني :

أحدهما : أن يكون كل واحد منهما جعل لصاحبه لباسًا ، لتجردهما عند

النوم ، واجتماعهما في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه ، بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه ، فقيل لكل واحد منهما : هو (لباس) لصاحبه ، كما قال نابغة بني جعدة :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها، تداعت ، فكانت عليه لباسا[1]

ويروي : (تثنت) ، فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد بـ (اللباس) ، كما يكنى بـ (الثياب) عن جسد الإنسان ، كما قالت ليلى ، وهي تصف إبلًا ركبها قومٌ :

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ، فلا تَرَى، لها شَبَهًا إلا النَّعَامَ المُنَفَّرَا[2]

يعني : رموها بأنفسهم فركبوها ، وكما قال الهذلي :[3] .

تَبَرَّأ مِنْ دمِ القتيلِ وَوَتْرِهِ وقد عَلِقَتْ دَمَ القتيل إزارُها[4]

يعني بإزارها : نفسها ، وبذلك كان الربيع يقول :

قال الشيخ شاكر رحمه الله (في تعليقه على الطبري) :

(١) الشعر والشعراء : ٢٥٥ من أبيات جياد ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٦٧ ، وتأويل مشكل القرآن ١٠٧ ، وغيرها ، وقبله .

أضاءت لنا النار وجهًا أغـــ ـــرَّ مُلتبسًا بالفـؤاد التباسَـــا
يضـيء كضوء سراجِ السَّلِيـــ ـــط ، لم يجعلِ الله فيه نُحاسَا
بـآنسةٍ غيـرِ أُنسِ القِـــرَافِ وتَخلِطُ بالأُنس منها شِماسَـــا

وهو شعر كما ترى .

(٢) المعاني الكبير ١ : ٤٨٦ ، وتأويل مشكل القرآن : ١٠٧ وغيرهما . وقولها : (رموها بأثواب) قالوا : تعني بأجسام خفاف (المعاني) . والصواب في ذلك أن يقال : إن هؤلاء الركب قد لوحتهم البيد وأضنتهم ، فلم يبق فيهم إلا عظام معروقة عليها الثياب ، لا تكاد ترى إلا ثوبًا يلوح على كل ضاو وضامر ، ولذلك شبهت الإبل عليها ركبها بالنعام المنفر . والمنفر : الذي ذعر فانطلق هاربًا يخفق في الأرض .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلي .

(٤) ديوانه : ٢٦ ، والمعاني الكبير : ٤٨٣ ، ومشكل القرآن : ١٠٨ وغيرها . من =

٢٩٢٩ - حدثني المثنى قال : حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾، يقول : هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن[1] .

والوجه الآخر : أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه (لباسًا) ، لأنه سكنٌ له ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ جعل لكم الليل لباسًا ﴾ [الفرقان : ٤٧] يعني بذلك : سكنًا تسكنون فيه . وكذلك زوجة الرجل يسكن إليها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، فيكون كل واحد منهما (لباسًا) لصاحبه بمعنى سكونه إليه ، وبذلك كان مجاهد وغيره يقولون في ذلك ، وقد يقال لما ستر الشيء وواراه عن أبصار الناظرين إليه : (هو لباسه وغشاؤه) فجائز أن يكون

= قصيدة له عجيبة ، يرثي بها صديقه وحميمه نشيبة بن محرث ، استفتحها متغزلًا مشببًا بصاحبته أم عمرو ، واسمها فطيمة ، وقال قبل هذا البيت ، يلوم نفسه على هجرها ويقول :

فإنك منها والتَعَذُّرَ ، بعد ما لَجِجْتَ ، وشطَّت من فطيمة دَارُها
كنَعْتِ التي ظلت تُسبِّع سُؤرَها وقالت : حرامٌ أن يُرَجَّلَ جارُها
تبرَّأ من دم القتيل.......... ....

يقول : أنت في انتفاءك من حبها بعد اللجاجة فيه ، كهذه المرأة التي قتلت قتيلًا وحازت بزه ، أي : سلاحه ، وأخفته . قال الأصمعي في خبر هذه المرأة : هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وترجل شعره ، ثم جاء كلب فولغ في إنائها فغسلته سبع مرات : وذلك بعين الرجل ، فتعجب منها ومن ورعها . فبينا هو كذلك ، أتاها قوم يطلبون عندها قتيلًا ، فانتفلت من ذلك - أي : أنكرت - وحلفت . ثم فتشوا منزلها ، فوجدوا القتيل وسلاحه في بيتها .

يقول : أنت كهذه المرأة ، تجحد حب صاحبتك ، وتظهر أنك قد كبرت وانتهيت عن الجهل والصبا ، ولو فتش قلبك . لرأوا حبك لها لا يزال يتأجج ويشتعل .

(١) إسناده واهٍ ففيه المثنى وهو ابن إبراهيم الآملي لم أقف له على ترجمة مع إكثار الطبري من الإخراج له ، وكذلك عبد الرحمن بن سعد ضعيف .

قيل : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] بمعنى أن كل واحدٍ منكم ستر لصاحبه فيما يكون بينكم من الجماع عن أبصار سائر الناس .

* * *

س : ما هي هذه الخيانة التي كان القوم يختانون أنفسهم فيها وتاب الله عليهم وعفا عنهم وتجاوز لهم عنها ؟

ج : كانت خيانتهم في شيئين :

أحدهما : جماع النساء في الوقت الذي حظر الله عليهم فيه الجماع .

الثاني : المطعم والمشرب في الوقت الذي حظر الله عليهم فيه الطعام والشراب .

● وحاصل ذلك أن أحدهم إذا كان صائمًا وأذن المغرب أكل وشرب وجامع النساء إن شاء وأبيح له ذلك ما لم ينم فإذا نام أو نامت زوجته منعا من الأكل والشرب والجماع إذا استيقظا حتى تغرب شمس اليوم التالي ، فكان أقوام منهم يختانون أنفسهم فيأكلون ويشربون ويجامعون نساءهم إن استيقظوا قبل الفجر ، والله تعالى أعلم[1] .

* * *

---

(١) هذا وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة قال (٢٩٤٧) .
﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] . وكان بدءُ الصيام أمروا بثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتين غدوة وركعتين عشية ، فأحل الله لهم في صيامهم - في ثلاثة أيام ، وفي أول ما افترض عليهم في رمضان - إذا أفطروا ، وكان الطعام والشراب وغشيان النساء لهم حلالًا ما لم يرقدوا ، فإذا رقدوا حرم عليهم ذلك إلى مثلها من القابلة . وكانت خيانة القوم أنهم كانوا يصيبون أو ينالون من الطعام والشراب وغشيان النساء =

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في المراد بقوله تعالى : ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال ، منها :

الأول : أن المراد ابتغوا الولد (أي : اطلبوا بمباشرتكم نساءكم الولد من الله سبحانه وتعالى) .

الثاني : أن المراد الجماع .

الثالث : أن المراد ليلة القدر .

الرابع : أن المراد اطلبوا الذي كتبته لكم في اللوح المحفوظ بفعل أسبابه .

الخامس : ذكر بعض أهل العلم أن معناها ما أحله الله لكم ورخص لكم فيه . وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك .

- **قال الطبري رحمه الله تعالى :**

= بعد الرقاد ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم . ثم أحل الله لهم [بعد] ذلك الطعام والشراب وغشيان النساء إلى طلوع الفجر[1] .

---

(١) قال الشيخ شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري :

الأثر : ٢٩٤٧ - الذي بين القوسين زيادة لا بد منهـا . وسياق هذا الأثر فيه بعض الغرابة ، ولم أجده بنصه هذا في مكان آخر . ولكن جاء في الدر المنثور ١ : ١٩٨ أثر مثله ، قال في صدره : (وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة) ، وساق أثرًا يخالفه كل المخالفة في أكثر لفظه ، وإن وافقه في بعض المعنى : قال :

كـان هذا قبل صوم رمضان ، أمروا بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، من كل عشرة أيام يومًا . وأمروا بركعتين غدوة وركعتين عشية . فكان هذا بدء الصلاة والصوم . فكانوا في صومهم هذا ، وبعد ما فرض الله رمضان ، إذا رقدوا لم يمسوا النساء والطعام إلى مثلها من القابلة . وكان أناس من المسلمين يصيبون من النساء والطعام بعد رقادهم ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم ، فأنزل الله في ذلك من القرآن : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، الآية .

والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى ذكره قال : ﴿ وابتغوا ﴾ - بمعنى : اطلبوا - ﴿ ما كتب الله لكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] - يعني : الذي قضى الله تعالى لكم .

وإنما يريد الله تعالى ذكره : اطلبوا الذي كتبت لكم في اللوح المحفوظ أنه يباح فيطلق لكم . وطلب الولد إن طلبه الرجل بجماعه المرأة ، مما كتب الله له في اللوح المحفوظ . وكذلك إن طلب ليلة القدر ، فهو مما كتب الله له . وكذلك إن طلب ما أحل الله وأباحه ، فهو مما كتبه له في اللوح المحفوظ .

وقد يدخل في قوله : ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ جميع معاني الخير المطلوبة ، غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال : معناه وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد ، لأنه عقيب قوله : ﴿ فالآن باشروهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، بمعنى : جامعوهن ، فلأنْ يكون قوله : ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، بمعنى : وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهن من الولد والنسل ، أشبه بالآية من غيره من التأويلات التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل ، ولا خبرٌ عن الرسول ﷺ .

● **وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ١٤٥) :**

والتحقيق أن يقال : لما خفف الله عن الأمة بإباحة الجماع ليلة الصوم إلى طلوع الفجر ، وكان المجامع يغلب عليه حكم الشهوة وقضاء الوطر ، حتى لا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك ، أرشدهم سبحانه إلى أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة . ولا يباشروهن بحكم مجرد الشهوة ، بل يبتغوا ما كتب الله لهم من الأجر والولد الذي يخرج من أصلابهم يعبد الله ولا يشرك به شيئًا ، ويبتغون ما أباح لهم من الرخصة بحكم محبته بقبول رخصه . فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته . ومما كتب الله لهم : ليلة القدر ، فأمروا أن يبتغوها .

لكن يبقى أن يقال : فما تعلق ذلك بإباحة مباشرة أزواجهم ؟

فيقال : فيه إرشاد إلى أن لا يشغلهم ما أبيح لهم من المباشرة عن طلب هذه الليلة التي هي خير من ألف شهر . فكأنه سبحانه يقول : اقضوا وطركم من نسائكم ليلة الصيام ، ولا يشغلكم ذلك عن ابتغاء ما كتب الله لكم من هذه الليلة التي فضلكم بها . والله أعلم .

***

س : اذكر بعض الكنايات التي يكنى بها عن الجماع في كتاب الله عز وجل ؟

ج : من هذه الكنايات[1] ما يلي :

- **الرفث** كما في قوله تعالى : ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] .
- **الغشيان** كما في قوله تعالى : ﴿ فلما تغشاها حملت حملًا خفيفًا فمرت به .. ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .
- **الإتيان** كما في قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم .. ﴾ [الأعراف : ١٨٩] .
- **اللمس** كما في قوله تعالى : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ [النساء : ٤٣] ، [المائدة : ٦] .
- **المس** كما في قوله تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .
- **الإفضاء** كما في قوله تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى

---

(١) وهذه الكنايات تستعمل في النكاح وفي غيره أيضًا .

بعضكم إلى بعض ﴾ [النساء : ٢١] .

● **المباشرة** كما في قوله تعالى : ﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم .. ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

● **النكاح** كما في قوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو موقع قوله تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] من ناحية تفسير الآية ؟

ج : موقعها – والله أعلم – كما قال الزمخشري حيث قال : فإن قلت : ما موقع قوله : ﴿ هن لباس لكم ﴾ ؟ قلت : هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال ، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن ، فلذلك رخص لكم في مباشرتهن .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ (اختيان النفس) ؟

ج : المراد – والله أعلم – قلة صبرها عما أُمرت بالصبر عليه ، ومنه قولهم : (خانته رجلاه) إذا لم تساعداه على المشي ، (وخانه لسانه) إذا لم يستطع الإفصاح به عما بداخله ، فتختانون أنفسكم معناها تخونون أنفسكم إذا طلب منكم الصبر ، فلا تستطيعون الصبر ، فخيانتكم أنفسكم هو عدم إسعافكم لأنفسكم بالصبر الذي أُمرتم به[1] .

● **قال القرطبي :** وسماه خائنًا لنفسه من حيث كان ضرره عائدًا عليه .

---

(١) قال القاسمي : أي : علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم لو لم يحل لكم ذلك فأحله رحمة بكم ولطفًا .

وقد ذكر القرطبي وجهًا آخر في تأويل قوله تعالى : ﴿ تختانون أنفسكم ﴾ فقال : يستأمر بعضكم بعضًا في مواقعة المحظور من الجماع والأكل بعد النوم في ليالي الصوم كقوله تعالى : ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٨٥] يعني : يقتل بعضكم بعضًا .

● وذكر **القاسمي** وجهًا ثالثًا في الاختيان : وفي الاختيان وجه آخر وهو أنه عنى به مخالفة الحق بنقض العهد ، أي : كنتم تظلمونها بذلك بتعريضها للعقاب لو لم يحل ذلك لكم قالوا : والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ففيه زيادة وشدة .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فالآن باشروهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] هل يفيد وجوب الجماع فور نزول هذه الآية ؟

ج : لا يفيد ذلك[1] ، والمعنى – والله تعالى أعلم – فالآن قد أبحنا لكم مباشرتهن ، أو فالآن باشروهن إن شئتم .

❋ ❋ ❋

س : هل المستحب تعجيل الصائم للفطر أم تأخيره للاحتياط ؟

ج : المستحب أن يعجل الصائم فطره ، وذلك لما في الصحيح[2] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال الناس بخيرٍ ما عجلوا الفطر » .

ولما في الصحيح[3] أيضًا من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال :

---

(١) إذ لم يرد أن جميع الصحابة ذهبوا وجامعوا نساءهم فور نزول الآية والله تعالى أعلم .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٥٧) ، ومسلم حديث (١٠٩٨) .
(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٩٥٨) .

كنت مع النبي ﷺ في سفر فصام حتى أمسى ، قال لرجل : « انزل فاجدح لي » قال : لو انتظرت حتى تمسي ، قال : « انزل فاجدح لي إذا رأيت الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم » .

❋ ❋ ❋

س : متى فِطْر الصائم ؟

ج : يفطر الصائم إذا تحقق غروب الشمس[(١)] .

وذلك لما في الصحيح[(٢)] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » .

وأخرج البخاري[(٣)] كذلك من حديث عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ وهو صائم ، فلما غابت الشمس قال لبعض القوم : « يا فلان قم فاجدح لنا » ، فقال : يا رسول الله لو أمسيت ، قال : « انزل فاجدح لنا » قال : يا رسول الله فلو أمسيت ، قال : « انزل فاجدح لنا » قال : إن عليك نهارًا ، قال : « انزل فاجدح لنا » فنزل فجدح لهم فشرب النبي ﷺ ثم قال : « إذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم » .

❋ ❋ ❋

س : هل يشترط للاعتكاف صوم ؟

ج : الذي يظهر لي أنه لا يشترط للاعتكاف صوم وذلك لما أخرجه

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : .... واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين ، وكذا عدل واحد في الراجح .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٥٥) .

البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[1] أن عمر سأل النبي ﷺ قال : كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة[2] في المسجد الحرام ، قال : « أوف بنذرك » .

فالليلة لا يكون فيها صوم .

والأحاديث التي ورد فيها أمر المعتكف بالصوم لا تثبت عن رسول الله ﷺ[3] .

***

س : ذكر بعض أهل العلم قوله تعالى : ﴿ فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] أبلغ في هذا الموطن من قوله : ﴿ فلا تعتدوها ﴾ وضح ذلك ؟

ج : إيضاح ذلك ابتداءً أنه أبلغ لأن الله سبحانه وتعالى ذكرها في هذا الموطن ، وما دامت قد ذكرت في كتاب الله في هذا الموطن فهي أبلغ ولا شك .

● وثم وجه آخر ذكره القاسمي رحمه الله تعالى فقال : وقوله : ﴿ فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] أبلغ من ﴿ لا تعتدوها ﴾ لأنه نهى عن قرب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٢) .
(٢) ورد في بعض الروايات : (نذرت أن أعتكف يومًا) بدلًا من (ليلة) وهي رواية شاذة على الراجح ، وقد حكم عليها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بالشذوذ فقال : ورواية من روى (يومًا) شاذة .
(٣) قال الحافظ في الفتح (٣٢٢/٤) : وقد ورد الأمر بالصوم في رواية عمرو بن دينار عن ابن عمر صريحًا لكن إسنادها ضعيف ، وقد زاد فيها أن النبي ﷺ : قال له : « اعتكف وصم » أخرجه أبو داود والنسائي من طريق عبد الله بن بديل وهو ضعيف .

الباطل بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح ، وذلك نهي عن الوقوع في الباطل بطريق التصريح . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] هل يفيد جواز الاعتكاف في عموم المساجد أم أن هناك أدلة تحمله على مساجد مخصوصة ؟

ج : بل يفيد قوله تعالى : ﴿ وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ جواز الاعتكاف في كل مسجد من المساجد وإلى هذا ذهب البخاري رحمه الله تعالى وجمهور أهل العلم .

فقد بوب البخاري في صحيحه بباب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها لقوله تعالى : ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

● وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وقال الجمهور بعمومه من كل مسجد إلا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له الشافعي في الجامع وشرطه مالك لأن الاعتكاف عندهما ينقطع بالجمعة .

قلت : وقد استدل البعض بحديث : (لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة)(١) على منع الاعتكاف فيما سواها من المساجد ، ولكن هذا حديث ضعيف واهٍ لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، والصواب أنه من قول حذيفة رضي الله عنه ، وهو محمول كذلك على نفي تمام الفضيلة ، والمعنى لا اعتكاف أفضل ولا أكمل من الاعتكاف في المساجد الثلاثة . والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) وهي المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى .

س : ما المراد بالمباشرة في قوله تعالى : ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالمباشرة هنا الجماع .

ومنهم من قال : إن المراد بالمباشرة الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك .

● والأكثرون على أنه الجماع ، بل نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح[١] ، عن ابن المنذر الإجماع على أن المراد بالمباشرة في الآية الجماع[٢] .

قلت : ونقل القرطبي عن ابن عبد البر قوله : وأجمعوا على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل .

● وأخرج الطبري في تفسيره بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : المباشرة الجماع ، ولكن الله يكني ما شاء[٣] .

أما الحافظ ابن كثير فقال في تفسيره : ثم المراد بالمباشرة إنما هو الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك ، فأما معاطاة الشيء ونحوه فلا بأس به فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يدني إليّ رأسه فأرجله وأنا حائض ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان .

وقال صديق حسن خان في فتح البيان : ﴿ ولا تباشروهن ﴾ [البقرة : ١٨٧] قيل : المراد بالمباشرة هنا الجماع ، وقيل : يشمل التقبيل

---

(١) فتح الباري (٣١٩/٤) .

(٢) الذي يبدو لي أن مراده أن الجماع يدخل في المباشرة بالإجماع ، والله أعلم .

(٣) أخرجه الطبري (٢٩٥٨ ، ٢٩٥٩) .

واللمس إذا كانا بشهوة لا إذا كان بغير شهوة فهما جائزان كما قاله عطاء والشافعي وابن المنذر وغيرهم ، وعلى هذا يحمل ما حكاه ابن عبد البر من الإجماع على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل فتكون هذه الحكاية للإجماع مقيدة بأن يكون بشهوة .

✵ ✵ ✵

س : ما حكم من جامع امرأته وهو معتكف ؟

ج : قال القرطبي رحمه الله تعالى : وأجمع أهل العلم على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامدًا لذلك في فرجها أنه مفسدٌ لاعتكافه .

● وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : إن الجماع منافٍ للاعتكاف بالإجماع .

✵ ✵ ✵

س : رجل جامع أهله في إحدى ليالي رمضان ثم طلع عليه الفجر وهو جنب لم يغتسل هل يتم صومه أم لا ؟

ج : يتم صومه ولا حرج عليه فقد أخرج البخاري من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنبٌ من أهله ثم يغتسل ويصوم ... الحديث .

● **وقال ابن العربي رحمه الله** (أحكام القرآن ١/٩٤ – ٩٥) : إذا جوزنا له الوطء قبل الفجر ففي ذلك دليل على جواز طلوع الفجر وهو جنب وذلك جائز إجماعًا ، وقد كان وقع فيه بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كلام ثم استقر الأمر على أنه من أصبح جنبًا فإن صومه صحيح .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله** (فتح الباري ٤/١٧٠) : والجمهور على الجواز مطلقًا .

● وقال القرطبي رحمه الله تعالى : والجمهور من العلماء على صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالتوبة في قوله تعالى : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

الأول : تاب عليكم من خيانتكم أنفسكم إذ باشرتم في ليالي الصيام .

الثاني : أن المراد بالتوبة التخفيف عليكم بالرخصة والإباحة التي أباحها الله لكم كما في قوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وكقوله : ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ﴾ [النساء : ٩٢] والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ إلى الليل ﴾ في الآية الكريمة ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : المراد - والله تعالى أعلم - إلى ابتداء الليل وإقباله ، وذلك يكون بغروب الشمس لحديث رسول الله ﷺ « إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : المراد بالخيط الأبيض بياض النهار ، وبالخيط الأسود سواد الليل ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري[١] من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [البقرة : ١٨٧] عمدت إلى عقالٍ أسود وإلى عقالٍ أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » .

● وقال بعض أهل العلم : إن المراد بالخيط الأبيض هو ضوء الشمس والخيط الأسود سواد الليل ، ومعنى هذا القول مرويٌّ عن حذيفة رضي الله عنه وقد روى حذيفة في معناه خبرًا عن رسول الله ﷺ .

أما الخبر الذي رواه حذيفة عن رسول الله ﷺ فقد روي بأسانيد صحيحة إلى عاصم (وهو ابن أبي النجود) عن زر عن حذيفة رضي الله عنه قال : تسحرت مع النبي ﷺ لو أشاء لأقول هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع ، وفي رواية أخرى عن حذيفة من نفس الطريق (عاصم عن زر عن حذيفة) : كان النبي ﷺ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، قال : قلت : أبعد الصبح ؟ قال : هو الصبح إلا أنه لم تطلع الشمس .

وبالنسبة لإسناد هذا الحديث فبعض أهل العلم يقولون : إن عاصمًا (وهو ابن أبي النجود يخطىء أحيانًا في حديث زر فأحيانًا يقول في حديثه : عن زر عن حذيفة وأحيانًا يقول : عن أبي وائل عن حذيفة ، وهذا الخلاف ليس له

---

(١) حديث (١٩١٦) .

كبير تأثير فأيًّا كان الخلاف فمداره على ثقة (فأبو وائل ثقة ، وزر ثقة) ، لكن بقي الكلام في عاصم نفسه فقد تكلم بعض أهل العلم في حديثه ومنهم من حسن حديثه ، ونحن مع الذين حسنوه إلا إذا عورض بما هو أقوى منه كما هو الحال ها هنا ، فلا نرى العمل على حديث حذيفة في هذا الباب إنما هو على القوي الثابت الصحيح من حديث عدي عن رسول الله ﷺ الذي فسر فيه الخيط الأبيض بأنه بياض النهار ، وليس طلوع الشمس .

أما أثر حذيفة الموقوف عليه فهو صحيح عنه فقد أخرج الطبري وغيره بإسناد صحيح إلى الأعمش عن إبراهيم التيمي قال : سافر أبي مع حذيفة قال : فسار حتى إذا خشينا أن يفجأنا الفجر قال : هل منكم من أحدٍ آكل أو شارب ؟ قال : قلت له : أما من يريد الصوم فلا ، قال : بلى ! قال : ثم سار حتى إذا استبطأنا الصلاة نزل فتسحر .

وهذا موقوف على حذيفة رضي الله عنه كما هو واضح .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (بعد أن أورد التأويلين المذكورين وعددًا ممن قال بكل تأويل منهما) :

وأولى التأويلين بالآية ، والتأويل الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الخيط الأبيض بياض النهار ، والخيط الأسود سواد الليل » . وهو المعروف في كلام العرب ، قال أبو دُؤاد الإياديُّ :

فلما أضاءت لنا سُدْفَةٌ ولاح من الصبح خيط أنارَا

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ أنه شرب أو تسحر ، ثم خرج إلى الصلاة ، فإنه غير دافع صحة ما قلنا في ذلك . لأنه غير مستنكر أن يكون ﷺ شرب قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة ، إذ كانت الصلاة - صلاة الفجر - هي على عهده كانت تصلى بعد ما يطلع الفجر ويتبين طلوعه ، ويؤذن لها قبل طلوعه .

وأما الخبر الذي روي عن حذيفة : أن النبي ﷺ كان يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، فإنه قد استثبت فيه فقيل له : أبعد الصبح ؟ فلم يجب في ذلك بأنه كان بعد الصبح ، ولكنه قال : « هو الصبح » . وذلك من قوله يحتمل أن يكون معناه : هو الصبح لقربه منه ، وإن لم يكن هو بعينه ، كما تقول العرب : (هذا فلان) ، شبهًا ، وهي تشير إلى غير الذي سمته فتقول : (هو هو) ، تشبيهًا منها له به . فكذلك قول حذيفة : (هو الصبح) ، معناه : هو الصبح شبهًا به وقربًا منه .

وقال ابن زيد في معنى (الخيط الأبيض والأسود) ، ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد[1] : ﴿ حتى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ ، قال : (الخيط الأبيض) الذي يكون من تحت الليل ، يكشف الليل - (والأسود) ما فوقه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : قال الطبري في تأويل ذلك (على رأي من فسر الخيط الأبيض بضوء النهار) : وكلوا بالليل في شهر صومكم واشربوا وباشروا نساءكم مبتغين ما كتب الله لكم من الولد من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) هذا الأثر صحيح عن ابن زيد .

(٢) وأورد الطبري أثر قتادة في ذلك بإسناد حسن عنه (٢٩٨٤) قال : =

س : اذكر مزيدًا من الإيضاح لصفة الخيط الأبيض الذي بظهوره يمتنع من أراد الصوم من الأكل والشرب والجماع ؟

ج : إيضاحه فيما رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا »[1] يعني : معترضًا . أي : أنه باتجاه العرض ويكون ذلك ناحية طلوع الشمس .

● وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : هما فجران فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئًا ، ولكن الفجر الذي يستبين على رءوس الجبال هو الذي يحرم الشراب[2] .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن أبي مجلز : الضوء الساطع في السماء ليس بالصبح ، ولكن ذاك (الصبح الكاذب) إنما الصبح إذا انفضح الأفق[3] .

= قوله : ﴿ وكلوا واشربوا حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] فهما عَلَمَان وحدَّان بيِّنان ، فلا يمنعكم أذانُ مؤذن مُراءٍ أو قليل العقل من سَحُوركم ، فإنهم يؤذنون بهجيع من الليل طويل . وقد يُرى بياضٌ ما على السحر يقال له : (الصبح الكاذب) كانت تسميه العرب ، فلا يمنعكم ذلك من سَحوركم ، فإن الصبح لا خفاء به : طريقةٌ مُعترِضة في الأفق . وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الصبح ، فإذا رأيتم ذلك فأمسكوا .

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٩٤ ص٧٧٠) .

(٢) أخرجه الطبري (أثر ٢٩٩٤) .

(٣) قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على الطبري : فضحه الصبح : دهمته فضحة الصبح وهي بياضه فكشفه وبينه للأعين بضوئه ، والأفضح الأبيض ليس شديد البياض ، والأثر أخرجه الطبري (٢٩٩١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧/٣) .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن مسلم (بن صبيح) قال : لم يكونوا يعدُّون الفجر فجركم هذا كانوا يعدون الفجر الذي يملأ البيوت والطرق(١) .

وفي رواية عنه(٢) : ما كانوا يرون إلا أن الفجر الذي يستفيض في السماء .

● وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف بإسناد صحيح عن مسلم بن صبيح قال : جاء رجل إلى ابن عباس يسأله عن السحور فقال له رجل من جلسائه : كُل حتى لا تشك ، فقال له ابن عباس : إن هذا لا يقول شيئًا كل ما شككت حتى لا تشك(٣) .

وفي رواية بإسناد صحيح عن عبد الرزاق في المصنف – عن ابن عباس : أحل الله لك الشراب ما شككت حتى لا تشك(٤) .

وقال عبد الرزاق في مصنفه(٥) أخبرنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : أتكره أن أشرب وأنا في البيت لا أدري لعلِّي قد أصبحت ؟ قال : لا بأس بذلك هو شكٌّ .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بالفجر في قوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : فائدة ذلك التقييد بـ (الفجر) دفع الإشكال الذي قد يتوهمه

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩٩٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٣/٢٧) .

(٢) وهي صحيحة أيضًا عند الطبري (٢٩٩٣) .

(٣) أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف (٣/٢٥– ٢٦) ، وعبد الرزاق (٧٣٦٨) بإسناد صحيح كما ذكرنا ومعناها : كُل وإن تسرب إليك الشك ، وإن كان في نفسك شك حتى ينتفي هذا الشك تمامًا ، والله تعالى أعلم .

(٤) أخرجها عبد الرزاق (المصنف ٧٣٦٧) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٣٧١) بإسناد صحيح إلى عطاء .

متوهم فيفهم أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هما خيط الحائك ، وقد توهم ذلك بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فأخرج البخاري[1] من حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال : (أُنزلت ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [البقرة : ١٨٧] ولم ينزل ﴿ من الفجر ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولم يزل يأكل حتي يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعدُ ﴿ من الفجر ﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار) .

قلت : ففائدة التقييد بـ ﴿ الفجر ﴾ حتى يعلم أن المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود بياض النهار وسواد الليل ، والله تعالى أعلم .

● أما ابن جرير الطبري رحمه الله فقد قال : وأما قوله : ﴿ من الفجر ﴾ فإنه تعالى ذكره يعني : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود الذي هو من الفجر ، وليس ذلك هو جميع الفجر ولكنه إذا تبين لكم أيها المؤمنون من الفجر ذلك الخيط الأبيض الذي يكون من تحت الليل الذي فوقه سواد الليل فمن حينئذٍ فصوموا ، ثم أتموا صيامكم من ذلك ، إلى الليل .

ثم أورد الطبري رحمه الله بإسناد صحيح[2] إلى ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ من الفجر ﴾ قال : ذلك الخيط الأبيض هو من الفجر نسبة إليه وليس الفجر كله ، فإذا جاء هذا الخيط ، وهو أوله فقد حلت الصلاة وحرم الطعام والشراب على الصائم .

قال أبو جعفر : وفي قوله تعالى ذكره : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٩١٧) .
(٢) أثر (٣٠٢١) .

الخيط الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ ، أوضحُ الدلالة على خطإِ قول من قال : حلالٌ الأكلُ والشربُ لمن أراد الصوم إلى طلوع الشمس . لأن الخيط الأبيض من الفجر ، يتبين عند ابتداء طلوع أوائل الفجر . وقد جعل الله تعالى ذكره ذلك حدًّا لمن لزمه الصوم في الوقت الذي أباح إليه الأكل والشرب والمباشرة .

فمن زعم أن له أن يتجاوز ذلك الحدَّ ، قيل له : أرأيت إن أجازَ له آخَرُ ذلك ضحوةً أو نصف النهار ؟

فإن قال : إنَّ قائلَ ذلك مخالف للأمة .

قيل له : وأنتَ لما دلَّ عليه كتاب الله ونقلُ الأمة مخالفٌ ، فما الفرق بينك وبينه من أصْل أو قياس ؟

فإن قال : الفرق بيني وبينه أن الله أمر بصوم النهار دون الليل ، والنهار من طلوع الشمس .

قيل له : كذلك يقول مخالفوك ، والنهار عندهم أوَّله طلوع الفجر ، وذلك هو ضوء الشمس وابتداء طلوعها دون أن يتتامَّ طلوعها ، كما أن آخر النهار ابتداءُ غروبها دون أن يتتامَّ غروبها .

ويقال لقائلي ذلك : إن كان (النهار) عندكم كما وصفتم ، هو ارتفاع الشمس ، وتكامل طُلوعها ، وذهاب جميع سُدْفة الليل وَغبَس سواده – فكذلك عندكم (الليل) : هو تتامُّ غروب الشمس ، وذهاب ضيائها ، وتكامل سواد الليل وظلامه ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك !

قيل لهم : فقد يجبُ أن يكون الصوم إلى مَغيب الشفق وذهاب ضوء الشمس وبياضها من أفق السماء !

فإن قالوا : ذلك كذلك ! أوجبوا الصوم إلى مغيب الشفق الذي هو بَياضٌ وذلك قوله إنْ قالوه مدفوعٌ بنقل الحجة ، التي لا يجوز فيما نقلته مُجمعةً عليه – الخطأُ والسهوُ ، (وكفى بذلك شاهدًا) على تخطئته .

وإن قالوا : (بل أول الليل) ابتداء سُدْفته وظلامه ، ومغيبُ عين الشمس عنا .

قيل لهم : وكذلك (أول النهار): طلوع أوَّل ضياء الشمس ، ومغيب أوَائل سُدفة الليل .

ثم يعكس عليه القول في ذلك ، ويُسأل الفرقَ بين ذلك ، فلن يقول في أحدهما قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

وأما (الفجر) فإنه مصدر من قول القائل : (تفجَّر الماءُ يتفجَّرُ فجرًا) ، إذا انبعثَ وجرى . فقيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلع الشمس : (فجر) لانبعاث ضوئه عليهم ، وتورُّده عليهم بطرقهم ومحاجِّهم ، تفجُّر الماء المتفجر من منبعه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ من الفجر ﴾ في الآية الكريمة : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : سبب نزولها هو كون بعض الصحابة كانوا يربطون خيوطًا بيضاء وأخرى سوداء في أرجلهم ويأكلون ويشربون حتى يميزوا الأبيض من الأسود فنزلت الآية الكريمة لدفع هذا التوهم وإيضاح أن المراد سواد الليل وبياض النهار ، كما جاء ذلك عن سهل بن سعد في الحديث الذي تقدم ، والله تعالى أعلم .

س : ما معني وصال الصوم وما حكمه ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (الوصال) هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ، فيخرج من أمسك اتفاقًا ، ويدخل من أمسك جميع الليل أو بعضه .

وقال الصنعاني في سبل السلام في تعريف الوصال : هو ترك الفطر بالنهار وفي ليالي رمضان بالقصد .

أما حكمه : فأكثر أهل العلم على تحريمه ، قال الحافظ في الفتح : وذهب الأكثرون إلى تحريم الوصال .

قلت : والأدلة التي استدل بها بعض أهل العلم على تحريمه في البخاري وغيره ففي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تواصلوا » قالوا : إنك تواصل ، قال : « لست كأحدٍ منكم إني أُطعم وأُسقى أو إني أبيت أُطعم وأسقى »[1] .

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (نهى رسول الله ﷺ عن الوصال ، قالوا : إنك تواصل ، قال : « إني لست مثلك إني أُطعم وأُسقى »[2] .

● ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لا تواصلوا فأيكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر » ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله ، قال : « إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مُطعم يطعمني وساق يسقيني »[3] وأخرج البخاري أيضًا من طريق عثمان بن أبي شيبة ومحمد قالا أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت :

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٩٦١) .

(٢) أخرجه البخاري حديث (١٩٦٢) .

(٣) أخرج البخاري حديث (١٩٦٣) .

(نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : إنك تواصل ، قال : « إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني »[1] قال أبو عبد الله : لم يذكر عثمان (رحمة لهم) .

قلت : فهذه أصول الأدلة التي استدل بها من ذهب إلى تحريم الوصال فقالوا : إن النهي يقتضي التحريم[2] .

ومن العلماء من قال : إن الوصال يكره فقط ، والنهي محمول على الكراهية ، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين : إنك تواصل يا رسول الله ، قال : « وإياكم مثلي ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال فقال : « لو تأخر لزدتكم » كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا[3] .

● هذا وقد احتج الطبري رحمه الله بقوله تعالى : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] على منع الوصال فقال :

وأما قوله : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، فإنه تعالى ذكره حَدَّ الصوم بأن آخرَ وقته إقبالُ الليل - كما حدَّ الإفطارَ وإباحةَ الأكل والشرب والجماع وأوَّل الصوم ، بمجيء أول النهار وأول إدبار آخر الليل . فدلَّ بذلك على أن لا صوم بالليل ، كما لا فطر بالنهار في أيام الصوم - وعلى

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٩٦٤) .

(٢) ومن أحب أن يمسك بعد غروب الشمس إلى وقت السحر فله ذلك لقول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر » .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٦٦) .

أنَّ المواصل مجوِّعٌ نفسه في غير طاعة ربه ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

س : هل ورد عن أحدٍ من السلف أنه كان يواصل ، وكيف يوجَّه وصالهم هذا ؟

ج : نعم ورد عن بعض السلف أنهم كانوا يواصلون ، فمن ذلك ما رواه الطبري بإسناد صحيح[1] عن هشام بن عروة قال : كان عبد الله بن الزبير يُواصل سبعة أيام فلما كبر جعلها خمسًا فلما كبر جدًّا جعلها ثلاثًا .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح إلى أبي إسحاق : أن ابن أبي نعم كان يواصل من الأيام حتى لا يستطيع أن يقوم ، فقال عمرو بن ميمون : لو أدرك هذا أصحاب محمد ﷺ رجموه[2] .

أما توجيه ذلك فللعلماء فيه أقوال ، منها :

قول الطبري رحمه الله تعالى حيث قال : قيل : وجه من فعل ذلك إن شاء الله تعالى على طلب الخموصة[3] لنفسه والقوة لا على طلب البر لله بفعله ، وفعلهم ذلك نظير ما كان عمر يأمرهم به بقوله : (اخشوشنوا وتمعددوا وانزوا على الخيل نزوًا واقطعوا الرُّكُب وامشوا حفاة) يأمرهم في ذلك بالتخشن في عيشهم لئلا يتنعموا فيركنوا إلى خفض العيش ويميلوا إلى الدعة فيجبنوا ويحتمون عن أعدائهم .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :** ويحتمل أنهم كانوا يفهمون من النهي أنه إرشاد من باب الشفقة كما جاء في حديث عائشة

---

(١) أخرجه الطبري (أثر ٣٠٢٨) .

(٢) أخرجه الطبري (٣٠٣٢) .

(٣) لعله يعني : التجويع لنفسه من قوله تعالى : ﴿ فمن اضطر في مخمصة .. ﴾ [المائدة : ٣٠] أي : في مجاعة .

(رحمة لهم) فكان ابن الزبير وابنه عامر ومن سلك سبيلهم يتجشمون ذلك ويفعلونه لأنهم كانوا يجدون قوة عليه وقد ذكر عنهم أنهم كانوا أول ما يفطرون على السمن والصبر لئلا تنخرق الأمعاء بالطعام أولًا .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : قال أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : هذه الأشياء التي بيَّنتها : من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهارًا في غير عذر ، وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد ، يقول : هذه الأشياء حَدَّدتها لكم ، وأمرْتكم أن تجتنبوها في الأوقات التي أمرتكم أن تجتنبوها وحرمتها فيها عليكم ، فلا تقربوها وابعدوا منها أن تركبوها ، فتستحقُّوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدَّى حُدودي ، وخالف أمري ، وركب معاصيَّ .

وكان بعض أهل التأويل يقول : (حدود الله) : شروطه . وذلك معنى قريب من المعنى الذي قلنا ، غيرَ أن الذي قلنا في ذلك أشبه بتأويل الكلمة .

وذلك أن (حد) كل شيء : ما حَصره من المعاني وميَّز بينه وبين غيره وقوله : (تلك حدود الله) من ذلك يعني به المحارم التي ميزها من الحلال المطلق ، فحدَّدها بنعوتها وصفاتها ، وعرَّفها عبادَه .

● وقال القاسمي (في محاسن التأويل) :

﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] يعني تلك الأحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الأكل والشرب والجماع . وشبَّه تلك الأحكام بالحدود الحاجزة بين الأشياء لكونها حاجزةً بين الحق والباطل . فإن من عمل بها كان في حيز الحق ، ومن خالفها وقع في الباطل . ونهى عن قربها كيلا يداني الباطل فضلًا أن يتخطى إليه . فالنهي عن مكان القرب

من الحدود التي هي الأحكام ، كناية عن النهي عن قرب الباطل . لكون الأول لازمًا للثاني . وبذلك يحصل الجمع بين هذه الآية وآية ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] ويندفع التنافي .

وقال صديق حسن خان في فتح البيان :

﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ [البقرة : ١٨٧] أي : هذه الأحكام حدود الله ، وأصل الحد المنع ومنه سمي البواب والسجان حدادًا ، وسميت الأوامر والنواهي حدود الله لأنها تمنع أن يدخل فيها ما ليس منها وأن يخرج عنها ما هو منها ، ومن ذلك سميت الحدود حدودًا لأنها تمنع أصحابها من العود ، ومعنى النهي عن قربانها النهي عن تعديها بالمخالفة لها ، وقيل : إن حدود الله هي محارمه فقط ومنها المباشرة من المعتكف والإفطار في رمضان لغير عذر وغير ذلك مما سبق النهي عنه ، ومعنى النهي عن قربانها على هذا واضح ، وقيل : حدودُ الله : فرائض الله . وقيل : المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] أي : كما بين لكم هذه الحدود يبين لكم معالم دينه وأحكام شريعته والعلامات الهادية إلى الحق .

***

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : كما بينت لكم أيها الناس واجبَ فرائضي عليكم من الصوم ، وعرَّفتكم حدودَه وأوقاته ، وما عليكم منه في الحضر ، وما لكم فيه في السفر والمرض ، وما اللازم لكم تجنُّبه في حال اعتكافكم في مساجدكم ، فأوضحت جميعَ ذلك لكم - فكذلك أبيِّن أحكامي ، وحلالي وحرامي ، وحدودي ، وأمري

ونهيي ، في كتابي وتنزيلي ، وعلى لسان رسولي ﷺ للناس .

ويعني بقوله : ﴿ لعلهم يتقون ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، يقول : أبيِّن ذلك لهم ليتقوا محَارمي ومعاصيَّ ، ويتجنَّبوا سَخطي وَغضبي ، بتركهم رُكوبَ ما أبيِّن لهم في آياتي أني قد حرَّمته عليهم ، وأمرتهم بهجره وتركه .

***

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨ ﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :- بالباطل - تدلوا بها - فريقًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
بالباطل	قيل : بالسبب الباطل - بغير الحق .
تدلوا بها	تذهبوا بها - تتخاصموا فيها[1] .
فريقًا .	جزاءًا - قطعةً .

❋ ❋ ❋

(١) وانظر ما سيأتي في تفسير الآية والمراد بها .

وقال الطبري رحمه الله تعالى : وأصل (الإدلاء) إرسال الرجل الدلو في سبب[*] متعلقًا به في البئر فقيل للمجتمع لدعواه : (أدلى بحجة كيت وكيت) ، إذا كان حجته التي يحتج بها سببًا له ، هو به متعلق في خصومته ، كتعلق المستقي من بئر بدلوٍ قد أرسلها فيها بسببها الذي الدلو به متعلق ، يقال فيهما جميعًا - أعني من الاحتجاج من إرسال الدلو في البئر بسبب (أدلى فلان بحجته ، فهو يُدلي بها إدلاء ، وأدلى دلوه في البئر فهو يدليها إدلاء » .

(*) السبب هو الحبل .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ؟ وهل لها نظير في كتاب الله عز وجل ؟

ج : المعنى - والله تعالى أعلم - ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل ، ونظير ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] وقوله تعالى : ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ [النور : ٦١] ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا ... ﴾ [النور : ١٢] ، إلى غير ذلك من الآيات ، والمعنى في هذا كله إخوانكم من المسلمين فقوله : ﴿ لا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ، أي : لا تلمزوا إخوانكم .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقول تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ١٨٨] ؟

ج : والمعنى - والله تعالى أعلم - ولا يأكل بعضكم مال بعض بغير الحق ، ويخاصم إلى الحكام ويرشيهم ويهدي إليهم كي يساعدوه على اختلاس أموال الناس بالإثم وهو يعلم أن هذا المال لا يحل له ، وبنحو هذا القول جاءت أقوال أهل العلم .

فقال الطبري رحمه الله تعالى : يعني تعالى ذكره بذلك : ولا يأكل بعضُكم مال بعض بالباطل ، فجعل تعالى ذكره بذلك آكل مال أخيه بالباطل ، كالآكل مال نفسه بالباطل .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [الحجرات : ١١] ،

وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] ، بمعنى : لا يلمز بعضكم بعضًا ، ولا يقتل بعضكم بعضًا ، لأن الله تعالى ذكره جعل المؤمنين إخوة ، فقاتل أخيه كقاتل نفسه ، ولامزه كلامز نفسه ، وكذلك تفعل العرب ، تكني عن نفسها بأخواتها ، وعن أخواتها بأنفسها فتقول : (أخي وأخوك أيُّنا أبطش) يعني : أنا وأنت نصطرع فننظر أينا أشد - فيكني المتكلم عن نفسه بأخيه ، لأن أخا الرجل عندها كنفسه ، ومن ذلك قول الشاعر :

أخي وأخوك ببطن النُّسَيْـرِ ليس به من مَعَدٍّ عَرِيـبْ

فتأويل الكلام : ولا يأكل بعضكم أموال بعضٍ فيما بينكم بالباطل ، (وأكله بالباطل) : أكله من غير الوجه الذي أباحه الله لآكليه .

وأما قوله : ﴿ وتُدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، فإنه يعني : وتخاصموا بها - يعني : بأموالكم - إلى الحكام ﴿ لتأكلوا فريقًا ﴾ [البقرة : ١٨٨] - طائفة - من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون .

ويعني بقوله : ﴿ بالإثم ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، بالحرام الذي قد حرمه الله عليكم ، ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، أي : وأنتم تتعمدون أكل ذلك بالإثم ، على قصد منكم إلى ما حرم الله عليكم منه ، ومعرفة بأن فعلكم ذلك معصية لله وإثم .

ثم أورد الطبري رحمه الله تعالى بإسناد حسن(١) عن قتادة قال : قوله : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة :١٨٨]، وكان يقال : من مشى مع خصمه وهو له ظالم ، فهو آثم حتى يرجع إلى الحق ، واعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يُحل لك حرامًا ولا يُحق لك باطلًا ، وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى ويشهد به الشهود ، والقاضي بشر يخطىء ويصيب ، واعلموا أنه من قد قُضي له بالباطل ، فإن خصومته لم تنقض حتى

---

(١) الطبري (أثر ٣٠٦٢) .

يجمع الله بينهما يوم القيامة ، فيقضي على المُبطل للمحق ، بأجود مما قُضي به للمبطل على المحق في الدنيا .

وبإسناد صحيح إلى ابن زيد[1] قال : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، يقول : يكون أجدل منه وأعرف بالحجة ، فيخاصمه في ماله بالباطل ، ليأكل ماله بالباطل ، وقرأ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ﴾ [النساء : ٢٩] ، قال : هذا القمار الذي كان يَعمل به أهل الجاهلية .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** الخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد ﷺ ؛ والمعنى : لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق ، فيدخل في هذا : القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق ، وما لا تطيب به نفس مالكه ، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه ، كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك ، ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ما باع ، لأن الغبن كأنه هبة ، على ما يأتي بيانه في سورة (النساء) ، وأضيفت الأموال إلى ضمير المنهي لما كان كل واحد منها منهيًّا ومنهيًّا عنه ؛ كما قال : ﴿ تقتلون أنفسكم ﴾ ، وقال قوم : والمراد بالآية : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، أي : الملاهي والقيان والشرب والبطالة ؛ فيجيء على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين .

وقال رحمه الله : السادسة – قوله تعالى : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨]الآية ، قيل : يعني الوديعة وما لا تقوم فيه بينة ،

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠٦٦) .

عن ابن عباس والحسن ، وقيل : هو مال اليتيم الذي في أيدي الأوصياء ، يرفعه إلى الحكام إذا طولب به ليقتطع بعضه وتقوم له في الظاهر حجة ، وقال الزجاج : تعلمون ما يوجبه ظاهر الأحكام وتتركون ما علمتم أنه الحق ، يقال : أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجو النجاح به ؛ تشبيهًا بالذي يرسل الدلو في البئر ، يقال : أدلى دلوه : أرسلها ، ودلاها : أخرجها ، وجمع الدلو والدلاء : أَدْلٍ ودِلاء ودُلِيٌّ ، والمعنى في الآية : لا تجمعوا بين أكل المال بالباطل وبين الإدلاء إلى الحكام بالحجج الباطلة ؛ وهو كقوله : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ﴾ [البقرة : ٤٢] ، وهو من قبيل قولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، وقيل : المعنى لا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم ليقضوا لكم على أكثر منها ؛ فالباء إلزاق مجرد ، قال ابن عطية : وهذا القول يترجح ؛ لأن الحكام مظنة الرشاء إلا من عصم وهو الأقل ، وأيضًا فإن اللفظين متناسبان : تدلو من إرسال الدلو ، والرشوة من الرِّشا ؛ كأنه يمد بها ليقضي الحاجة .

قلت : ويقوي هذا قوله : ﴿ وتدلوا بها ﴾ [البقرة : ١٨٨] تدلوا في موضع جزم عطفًا على تأكلوا كما ذكرنا ، وفي مصحف أُبيٍّ ﴿ ولا تدلوا ﴾ بتكرار حرف النهي ، وهذه القراءة تؤيد جزم ﴿ تُدلوا ﴾ في قراءة الجماعة ، وقيل : ﴿ تدلوا ﴾ في موضع نصب على الظرف ، والذي ينصب في مثل هذا عند سيبويه (أن) مضمرة ، والهاء في قوله : ﴿ بها ﴾ ترجع إلى الأموال ، وعلى القول الأول إلى الحجة ولم يجر لها ذكر ؛ فقوى القول الثاني لذكر الأموال ، والله أعلم ، وفي الصحاح : (والرشوة معروفة ، والرشوة بالضم مثله ، والجمع رُشًى ورِشًى ، وقد رشاه يرشوه ، وارتشى : أخذ الرشوة ، واسترشى في حكمه : طلب الرشوة عليه) .

وقال صديق حسن خان (فتح البيان) : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم

بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، هذا يعم جميع الأمة وجميع الأموال لا يخرج عن ذلك إلا ما ورد دليل الشرع بأنه يجوز أخذه فإنه مأخوذ بالحق لا بالباطل ، ومأكول بالحل لا بالإثم ، وإن كان صاحبه كارهًا كقضاء الدين إذا امتنع منه من هو عليه ، وتسليم ما أوجبه الله من الزكاة ونحوها ونفقة من أوجب الشرع نفقته ، والحاصل أن ما لم يبح الشرع أخذه من مالكه فهو مأكول بالباطل وإن طابت به نفس مالكه كمهر البغي وحلوان الكاهن ، وثمن الخمر والملاهي ، وأجرة المغني ، والقمار ، والرشوة في الحكم وشهادة الزور والخيانة في الوديعة والأمانة ، والأكل بطريق التعدي والنهب والغصب ، والباطل في اللغة : الذاهب الزائل ، والمعنى : بالسبب الباطل أو مبطلين أو متلبسين بالباطل ، عن ابن عباس قال : هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه ، وقال مجاهد : معناها : لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم .

﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] مجزوم عطفًا على ﴿ تأكلوا ﴾ فهو من جملة المنهي عنه أي : لا تلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام ، يقال : أدلى الرجل بحجته أو بالأمر الذي يرجو النجاح به تشبيهًا بالذي يرسل الدلو في البئر ، يُقال : أدلى دلوه أرسلها ، والمعنى أنكم لا تجمعوا بين أكل الأموال بالباطل وبين الإدلاء بها إلى الحكام بالحجج الباطلة ، والمعنى لا تسرعوا بالخصومة في الأموال إلى الحكام ليعينوكم على إبطال حق أو تحقيق باطل ، وأما الإسراع بها لتحقيق الحق فليس مذمومًا .

وفي هذه الآية دليل أن حكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال من غير فرق بين الأموال والفروج ، فمن حكم له القاضي بشيء مستندًا في حكمه .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير :

قال القاضي أبو يعلى والباطل على قسمين :

أحدهما : أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه ، كالسرقة ، والغصب ، والخيانة .

والثاني : أن يأخذه بطيب نفسه ، كالقمار ، والغناء ، وثمن الخمر ، وقال الزجاج : الباطل : الظلم ، ﴿ وتدلوا ﴾ أصله في اللغة من : أدليت الدلو : إذا أرسلتها لتملأها ، ودلوتها : إذا أخرجتها ، ومعنى أدلى فلان بحجته : أرسلها ، وأتى بها على صحة ، فمعنى الكلام : تعلمون على ما يوجبه إدلاء الحجة ، وتخونون في الأمانة ، وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطل .

وفي هاء ﴿ بها ﴾ قولان :

أحدهما : أنها ترجع إلى الأموال ، كأنه قال : لا تصانعوا ببعضها جورة الحكام .

والثاني : أنها ترجع إلى الخصومة ، فإن قيل : كيف أعاد ذكر الأكل فقال : ﴿ ولا تأكلوا ﴾ (لتأكلوا) ؟ فالجواب : أنه وصل اللفظة الأولى بالباطل ، والثانية بالإثم ، فأعادها للزيادة في المعنى ، ذكره ابن الأنباري .

***

س : اذكر وجوه الإعراب في قوله تعالى : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ... ﴾ [البقرة : ١٨٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

فأما قوله : ﴿ وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، فإن فيه وجهين من الإعراب :

أحدهما : أن يكون قوله : ﴿ وتدلوا ﴾ جزمًا عطفًا على قوله : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، أي : ولا تدلوا بها إلى الحكام ، وقد ذُكر أن ذلك كذلك في قراءة أُبيٍّ بتكرير حرف النهي : ﴿ ولا تدلوا بها إلى الحكام ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

والآخر منهما : النصب على الصرف ، فيكون معناه حينئذ : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تدلون بها إلى الحكام ، كما قال الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ، عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

يعني : لا تنه عن خلق وأنت تأتي مثله .

وهو أن يكون في موضع جزم - على ما ذُكر في قراءة أبيٍّ - أحسن منه أن يكون نصبًا .

* * *

۞ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

س : اذكر معنى كل مما يأتي :
الأهلة – مواقيت ؟

ج :

الكلمـــــــة	معنـاهـــا
الأهلة	جمع هلال
مواقيت	جمع ميقات والمراد به هنا ميعاد (أيْ وقت)

✹ ✹ ✹

س : عن أي شأن من شئون الأهلة يسأل الناسُ رسول الله ﷺ ؟

ج : يسألون رسول الله ﷺ عن زيادة الأهلة ونقصانها واختلاف أحوالها ، أي ما بال الهلال يبدو صغيرًا ثم يكبر حتى يستتم ، ثم يبدأ في الصغر والتلاشي مرةً ثانية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ هي مواقيت للناس ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟ اذكر بعض الآيات تؤدي معنى قريب من معنى هذه الآية ؟

ج : المراد – واللَّه أعلم – أنها مواعيد لصومهم وإفطارهم ولمناسكهم وحجِّهم وعدة نسائهم ؛ وأوقات يعرفون بها سداد ديونهم ومدة الحمل والإجارات و ... ونحو ذلك ، وقد قال نحو ذلك جمهور العلماء .

فقال سفيان الثوري[(١)] **في تفسيره :** هي مواقيت للناس في حجهم وديونهم وفطرهم ونحرهم وعدة نسائهم .

● **وقال الطبري رحمه الله :** ... مواقيت لكم ولغيركم من بني آدم في معايشهم ترقبون بزيادتها ونقصانها ومحاقِها واستسرارها وإهلالكم إياها أوقات حل ديونكم وانقضاء مدة إجارة من استأجرتموه وتصرُّم عدة نسائكم ووقت صومكم وإفطاركم فجعلها مواقيت للناس .

وقال غيرهما من المفسرين نحو هذا القول ، والله أعلم .

أما الآيات التي تؤدي معنى هذه الآية فمنها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آيةَ النهار مبصرة لتبتغوا فضلًا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلًا ﴾ [الإسراء : ١٢] .

---

(١) تفسير الثوري ص ٥٨ .

● وقوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ [يونس : ٥] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ والحج ﴾ [البقرة : ١٨٩] ولماذا أفرد الحج بالذكر ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – أن الأهلة مواقيت للحج أيضًا تعرفون بها أوقاته فـ (الحج) المراد به (وللحج) كما قال تعالى : ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ﴾ [البقرة : ٢٣٣] أي إن أردتم أن تسترضعوا لأولادكم .

● **أما لماذا أفرد الحج بالذكر ؟** فقد طرح هذا السؤال ابن العربي في أحكام القرآن وأجاب عليه فقال : ما فائدة تخصيص الحج آخرًا مع دخوله في عموم اللفظ الأول ؟ وهي أن العرب كانت تَحُجُّ بالعدد وتبدِّل الشهور فأبطل الله تعالى فعلهم وقولهم وجعله مقرونًا بالرؤية .

● وقال بعض أهل العلم : إن الحج أفرد بالذكر تعظيمًا لشأنه ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه البخاري(١) ومسلم من حديث البراء

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٠٣) ، ومسلم (حديث ٣٠٢٦) .

ابن عازب رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية فينا ، كانت الأنصار إذا حجُّوا فجاءوا لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم ولكن من ظُهورها ، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبَل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، والله تعالى أعلم .

***

س : في الآية الكريمة ﴿ .. وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ [البقرة : ١٨٩] دليل على أن كل عبادة يُتعبد بها ولم يشرعها الله عز وجل فهي باطلة ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن الأنصار كانوا يتعبدون بدخولهم البيوت من ظهورها عند رجوعهم من الحج فبين الله بطلان ذلك وأنه ليس من البر فقال : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .. ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

***

س : في قوله تعالى: ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ [البقرة : ١٨٩] محذوف وضحه ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المحذوف هو (بر) فالمعنى على ذلك ولكن البر بر من اتقى ، واستدل لهذا المعنى بقول الشاعر :

وكيف تواصل من أصبحت ... خلالته كأبي مرحب

أي كخلالة أبي مرحب .

● ومن العلماء من قال : إن المحذوف هو (ذا) والمعنى ولكن ذا البر من اتقى أي صاحب البر هو من اتقى ، والله تعالى أعلم .

س : من هو (التقي) ؟

ج : هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالبيوت في قوله تعالى : ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

● **أحدها** : أنها بيوت المنازل ، ويؤيد هذا القول ما ورد في سبب نزول الآية الكريمة على ما قدمناه .

● **الثاني** : أنها النساء أُمرنا بإتيانهن من القبل وليس من الدُّبر ، وليس لهذا القول ما يؤيده في هذه الآية الكريمة .

● **الثالث** : أنها مثّل أُمر الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها ويدخلوا إلى الأشياء من الطرق السهلة الموصلة لها .

● **قال القاسمي في محاسن التأويل** : أي تحروا في كل عملٍ إتيان الشيء من وجهه تنبيهًا على أن ما يطلب من غير وجهه صعب تناوله .

● **وقال صديق حسن خان (فتح البيان)** : وقال أبو عبيدة : إن هذا من ضرب المثل ؛ والمعنى ليس البر أن تسألوا الجهال ، ولكن البر التقوى واسألوا العلماء كما تقول أتيت الأمر من بابه ... والله أعلم .

س : وضـح معنى قولـه تعالى : ﴿ واتقـوا الله لعلكم تفلحـون ﴾ [البقرة : ١٨٩] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني تعالى ذكره بذلك : واتقوا الله أيها الناس فاحذرَوه وارهبوه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ، واجتناب ما نهاكم عنه لتفلحوا فتنجحوا في طلباتكم لديه ؛ وتدركوا به البقاء في جنَّاته والخلود في نعيمه .

❋ ❋ ❋

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾

س : ما المراد بـ ﴿ سبيل الله ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ... ﴾ [البقرة : ١٩٠] ؟

ج : المراد – والله أعلم – طريقه الذي أوضحه لعباده ودينه الذي شرعه لهم ، قاله الطبري رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : متى يكون الشخص مقاتلًا في سبيل الله ؟

ج : يكون الشخص مقاتلًا في سبيل الله إذا كان مقاتلًا لإعلاء كلمة الله عز وجل ، وذلك لقول النبي ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »(١) ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم قتال من لم يقاتلنا من الكفار ؟

ج : في هذا الأمر تفصيل وسيأتي إيضاحه في سورة براءة إن شاء الله

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨١٠) ، ومسلم (حديث ١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا ، وفيه أن رجلًا أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليُذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله » .

وفي رواية : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة ، ويقاتل حميَّة ، ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾ [براءة : ٢٩] .

❋ ❋ ❋

س : هل أُذن للمؤمنين بالقتال بمكة ؟

ج : قال صديق حسن خان رحمه الله (فتح البيان) : لا خلاف بين أهل العلم أن القتال كان ممنوعًا قبل الهجرة لقوله : ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ [المائدة : ١٣] ، وقوله : ﴿ واهجرهم هجرًا جميلًا ﴾ [المزمل : ١٠] ، وقوله : ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢٢] ، وقوله : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ [فصلت : ٣٤] ، ونحو ذلك مما نزل بمكة ؛ فلما هاجر إلى المدينة أمره الله سبحانه بالقتال ونزلت هذه الآية ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الاعتداء المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿ .. ولا تعتدوا ﴾ [البقرة : ١٩٠] ؟

ج : كل صور الاعتداء نُهي عنها في هذه الآية الكريمة ، من صور الاعتداء ما يلي :

- قتل النساء(١) والولدان والشيوخ(١) والمجانين والرهبان(١) .
- قتل من أعطى الجزية من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) .
- قتل الحيوانات وتقطيع الأشجار من غير مصلحة .

---

(١) إلا إذا كانت المرأة والشيخ والراهب يُقاتِلون فحينئذ يُقاتَلون لقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

● الغدر بمن بينك وبينه معاهدة أو ميثاق .

● الغلول والمُثلة وكذا سائر أنواع الاعتداء الذي نهى عنه الله سبحانه وتعالى ونهى عنه رسوله ﷺ .

وقد أخرج مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا وليدًا »[1] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٣٥٧ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي) .
ومعنى الغلول (لا تغلُّوا) : الخيانة في الغنيمة (فيسرق منها مثلًا قبل القسمة) .
● والغدر المراد به نقض العهد .
● و (لا تمثلوا) أي لا تشوهوا القتلى بقطع بعض أعضائهم كالأنف والأذن وفقأ العين ونحو ذلك ، والله أعلم .

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :
ثقفتموهم – الفتنة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ثقفتموهم	أبصرتم مقاتلهم وأمكنكم قتلهم – أخذتموهم – وجدتموهم
الفتنة	أصل الفتنة الاختبار والابتلاء ، والمراد بها هنا الشرك ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ [البقرة : ١٩١] الضمير فيها لمن ؟ والخطاب لمن ؟

ج : الخطاب فيها للمهاجرين والضمير لكفار قريش ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ ﴿ الفتنة ﴾ في قوله تعالى : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [البقرة : ١٩١] وما وجه كونها أشد من القتل ؟

ج : ذكر الرازي رحمه الله جملة أقوال في ذلك نسوقها باختصار وتصرف :

● **الأول** : أن المراد بالفتنة هنا الكفر ، ووجه كون الكفر أشد من القتل ، لأن الكفر ذنب يستحق به صاحبه العقاب الدائم ، والقتل ليس كذلك ، والكفر يخرج صاحبه به عن هذه الأمة ، والقتل ليس كذلك ؛ فكان الكفر أعظم من القتل .

● **الثاني** : أن المراد بالفتنة هنا العذاب ؛ وشاهد ذلك من التنزيل قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ [العنكبوت : ١٠] ، أي جعل عذاب الناس كعذاب الله .

والمعنى على ذلك : أن عذاب الله الذي ينتظرهم أشد من كونهم عُذِّبوا بالقتل .

● **الثالث** : أن المراد بـ ﴿ الفتنة ﴾ هنا الاختبار والابتلاء ، والمعنى أن إقدام الكفار على الكفر وتخويف المؤمنين وتشريدهم وإخراجهم من ديارهم فتنة شديدة ، بل هي أشد من القتل الذي يقتضي التخلص من غموم الدنيا .

● **الرابع** : أن يكون المراد فتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام

أشد من قتلكم إياهم في الحرم .

● **الخامس** : أن المراد بالفتنة ارتداد الناس إلى الكفر ، فالمعنى : أن ارتداد المؤمن عن دينه أشد عليه من أن يقتل مُحقًّا ، والله أعلم .

***

س : في الآية دليل على القاعدة المشهورة وهي : أن أخف المفسدتين يُرتكب لدفع أعلاهما ، وضح ذلك ؟

ج : وجه ذلك في قوله تعالى : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [البقرة : ١٩١] والحاصل فيها أن إقدامكم على القتال (بما يصحبه من قتلٍ لبعضكم) أخف بكثير من ارتدادكم عن دينكم ورجوعكم إلى الكفر ، والعياذ بالله .

***

س : هل هذه الآية : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه .. ﴾ [البقرة : ١٩١] محكمة أم منسوخة ؟

ج : اختلف أهل العلم في ذلك :

فذهب فريق منهم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] ، وأيدوا قولهم بما أخرجه البخاري ومسلم[1]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤٤) ، ومسلم (حديث ١٣٥٧) .

● وممن قال بالنسخ قتادة فقد أخرج الطبري عنه بإسناد حسن (٣١٠٥) قوله : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ [البقرة : ١٩٣] : كانوا لا يقاتلون فيه حتى يبدأوا بالقتال ، ثم نسخ بعد ذلك فقال : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] حتى لا يكون شرك ﴿ ويكون الدين لله ﴾ [البقرة : ١٩٣] أن يقال لا إله إلا الله ، عليها قاتل نبي الله وإليها دعا . =

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقتلوه » .

● بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الآية ليست منسوخة بل هي محكمة ، وقالوا : إن العام لا ينسخ الخاص فقوله تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] نصٌّ عام ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ [البقرة : ١٩١] نصٌّ خاص ، والعام لا ينسخ الخاص ، بل يستثنى الخاص من العام ، فالكف عن القتال عند المسجد الحرام مستثنى من قوله تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] .

وأيد هذا الفريق من أهل العلم قوله بما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في شأن مكة : « إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض ؛ فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ؛ فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يُعضد شوكه ولا يُنَفَّرُ صيده ولا يلتقط إلا من عرَّفها .. » الحديث .

● ونحوه من حديث أبي شريح العدوي عند البخاري ومسلم[2] كذلك ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ،

= ● وكذلك قال بالنسخ ابن زيد فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عنه في قوله تعالى : ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ [البقرة : ١٩١] قال : حتى يبدأوكم ، كان هذا قد حُرِّم فأحل الله ذلك له فلم يزل ثابتًا حتى أمره الله بقتالهم بعد .

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٣٤) ، ومسلم (حديث ١٣٥٣) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٩٥) ، ومسلم (حديث ١٣٥٤) .

لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعضد بها شجرًا ، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها ، فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » .

● ونحو ذلك من حديث أبي هريرة في الصحيحين[1] كذلك ، وفيه أن النبي ﷺ قال : « ... ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولم تحل لأحدٍ بعدي ، ألا وإنها حلَّت لي ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها ... » الحديث .

● وأجاب هذا الفريق من أهل العلم على أمر النبي ﷺ بقتل ابن خَطَل بأن هذا الأمر من رسول الله تم في الساعة التي أُحلت له فيها مكة ، والله أعلم .

✹ ✹ ✹

س : قوله تعالى : ﴿ فإن انتهوا ﴾ [البقرة : ١٩٢] انتهوا عن ماذا ؟

ج : فيها ثلاثة أقوال :

● **أحدها** : انتهوا عن القتال .

● **الثاني** : انتهوا عن الشرك .

● **الثالث** : انتهوا عن القتال والشرك .

✹ ✹ ✹

س : قوله تعالى : ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٩٢] غفور رحيم لمن ؟ وفي ماذا ؟

ج : فيها أقوال : **أحدها** : غفور رحيم لكم أيها المؤمنون إذا قاتلتموهم عند المسجد الحرام بعد ابتدائهم لكم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١١٢) ، ومسلم (حديث ١٣٥٥) .

الثاني : غفور رحيم لهم إذا انتهوا عن الشرك والقتال .

الثالث : يأمركم الله بالغفران والرحمة وترك مؤاخذتهم بعد انتهائهم ، والله تعالى أعلم .

***

س : وضح المراد بالفتنة والمراد بالدين في قوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟ ووضح المعنى الإجمالي للآية ؟

ج : المراد بالفتنة : الشرك[١] ، والمراد بالدين العبادة والطاعة .

أما المعنى الإجمالي فقال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة = يعني : حتى لا يكون شرك بالله ، وحتى لا يُعبد دونه أحد ، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد ، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان .

قلت : ويؤيد هذا المعنى ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقِّه وحسابه على الله » .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٣١١٣) قوله : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] قال : حتى لا يكون شرك .

وأخرج أيضًا (٣١٢٠) بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] قال : حتى لا يكون كفر ، وقرأ ﴿ تقاتلونهم أو يُسلمون ﴾ [الفتح : ١٦] .

(٢) البخاري (حديث ١٣٩٩) ، ومسلم (حديث ٢٠) .

● وما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

● ومن أهل العلم من قال : إن معنى قوله تعالى : ﴿ حتى لا تكون فتنة ﴾ [البقرة : ١٩٣] أي : حتى لا يكون هناك أذًى لمن آمن ، والقول الأول أولى وعليه الأكثر .

* * *

س : ما المراد بـ (العدوان) في قوله تعالى : ﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟

ج : المراد العقوبة كما في قوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ [النحل : ١٢٦] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا سُمِّي القتل عدوانًا مع أنه في نفسه حق وصواب ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي رحمه الله بقوله : لأن ذلك القتل جزاء العدوان ، فصح إطلاق اسم العدوان عليه كقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] ، وكقوله : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، وكقوله : ﴿ فيسخرون منهم سخر الله منهم ﴾ [التوبة : ٧٩] .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥) ، ومسلم (حديث ٢٢) .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟

ج : في تأويلها وجوه:

أحدها : إن انتهى هؤلاء المشركون عن شركهم فلا يجوز لكم أن تعتدوا عليهم ، إذ لا اعتداء على مسلم إلا من ظلم من المسلمين فيعاقب بمثل الذي صنع .

الثاني : إن انتهوا فلا عدوان إلا على الذين لا ينتهون عن ظلمهم (والمراد به هنا شركهم) فالشرك ظلم عظيم .

الثالث : إن تعرضتم لهم بعد انتهائهم عن الشرك والقتال كنتم أنتم ظالمين بالظلم فنسلط عليكم من يعتدي عليكم ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بالظالم في قوله تعالى : ﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بـ (الظالم) هنا المشرك[(١)]. لقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقمان : ١٣] .

ومن العلماء من قال : إن الظالم هنا أعم والمعنى إن أسلموا فلا عدوان إلا على ظالم (يُعتدى عليه بمثل ما اعتدى) والله أعلم .

* * *

(١) أخرج الطبري (٣١٢٤) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة : ١٩٣] والظالم أبى أن يقول : (لا إله إلا الله) .

ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ
بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ
عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤

س : ما معنى : الحرمات ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
الحُرمات	الحرمات جمع حُرمة كالظلمات جمع ظلمة ، والحجرات جمع حجرة وجمعت الحرمات لأنها حرمة الشهر وحرمة البلدة وحرمة الإحرام . والله أعلم

***

س : ما المراد بـ ﴿ الشهر الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٤] في هذه الآية وما هي الأشهر الحُرم ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بالشهر الحرام هنا هو ذو القعدة الذي صُدَّ فيه رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام .

● أما الأشهر الحرم فهي أربع كما أخرج ذلك البخاري[1] ومسلم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حُرُم : ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم ، ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان » ..

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ والحرمات قصاص[2] ﴾ [البقرة :١٩٤]؟

ج : المعنى – والله أعلم – كما اعتدي عليكم في الحرمات فلكم أن تعتدوا على المعتدي في الحرمات أيضًا ولا لوم عليكم ولا جناح عليكم في ذلك .

وقال بعض أهل العلم : إنكم يا معشر المؤمنين كما صُدِدتم في ذي القعدة – وهو شهر حرام – فقد مكنكم الله سبحانه وتعالى من الاعتمار في ذي القعدة من العام المقبل على كراهية من المشركين لذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٦٢) ، ومسلم (حديث ١٦٧٩) .

(٢) والقصاص هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البدن كما قاله الطبري ، وقال : وهو في هذا الموضع من جهة الفعل .

س : لماذا وُصف الشهر بأنه حرام ؟

ج : ذلك – والله أعلم – لأن العرب في جاهليتها كانت تُحرِّم فيه القتل والقتال وتضع فيه السلاح ولا يقتل فيه أحدٌ أحدًا ولو لقي الرجل فيه قاتل أبيه أو ابنه ، كما قاله الطبري رحمه الله ، وقال أيضًا : وإنما كانوا سموه (ذا القعدة) لقعودهم فيه عن المغازي والحروب ، فسماه الله بالاسم الذي كانت العرب تُسميه به .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يكن يغزو في الشهر الحرام ؟ ومن أخرجه ؟

ج : أخرجه أحمد في مسنده[1] بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه : (لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى أو يغزوا فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ) .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] ؟

ج : المراد به هنا – والله تعالى أعلم – من اعتدى عليكم في الشهر الحرام فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولو في الشهر الحرام ، ثم إن الآية عامة في أنواع القصاص فمن اعتدي عليه في عرضه جاز له القصاص في ذلك ، ومن اعتدي عليه في ماله جاز له القصاص في ذلك ، ولكل ذلك ضوابط ليس محلها في هذا المقام .

❋ ❋ ❋

---

(١) المسند (٣/٣٣٤) .

س : ما هو نوع المعيَّة في قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [البقرة : ١٩٤] ؟

ج : هي معيةٌ بالنصر والتأييد والحفظ والمعونة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح طرفًا من معنى قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [البقرة : ١٩٤] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – أن الله عز وجل لما أباح القصاص حذر من التعدي والتجاوز ، فالنفوس في الغالب مجبولة على الانتصار ولا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي ، فأمر الله عز وجل بلزوم تقواه التي هي الوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها ، وأخبر تعالى أنه ﴿ مع المتقين ﴾ [البقرة : ١٩٤] أي بالعون والنصر والتأييد والتوفيق ، أشار إلى بعض ذلك ابن سعدي رحمه الله في تفسيره .

❋ ❋ ❋

﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥ ﴾

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ؟

ج: أخرج البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] قال : نزلت في النفقة(١) .

● وأخرج الترمذي من طريق أسلم أبو عمران التجيبي قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًّا عظيمًا من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس ، وقالوا : سبحان الله ! يلقي بنفسه إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرًّا دون رسول الله ﷺ : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعزَّ الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله على نبيه ﷺ يردُّ علينا ما قلناه ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (٤٥١٦) .

س : ما المراد بـ (اليد) في قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ؟ وما هو موقع الباء في قوله تعالى : ﴿ بأيديكم ﴾ ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – باليد هنا النفس ، فالمعنى : ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة .

قال القرطبي : قال المبرد : ﴿ بأيديكم ﴾ [البقرة : ١٩٥] أي : بأنفسكم ، فعبَّر بالبعض عن الكل كقوله : ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] و ﴿ بما قدمت يداك ﴾ [الحج : ١٠] ، وقيل : هذا ضرب مثلٍ ، تقول : فلان ألقى بيده في أمر كذا ، إذا استسلم ؛ لأن المستسلم في القتال يُلقي سلاحه بيديه فكذلك فعل كل عاجزٍ في أي فعل كان ، ومنه قول عبد المطلب : (والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت لعجزٌ) وقال قوم : التقدير لا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما تقول : لا تفسد حالك برأيك .

● **أما الباء :** فقال القرطبي : إنها زائدة ، قاله القرطبي ، وقال : التقدير تلقوا ونظيره ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ [العلق : ١٤] .

وقال الطبري رحمه الله : فإن قال قائل : فما وجه إدخال (الباء) في قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم ﴾ وقد علمت أن المعروف من كلام العرب (ألقيت إلى فلانٍ درهمًا) دون (ألقيت إلى فلان بدرهم) ؟ قيل : قد قيل : إنها زيدت نحو زيادة القائل (الباء) في قوله : (جذبتُ بالثوب وجذبت الثوب وتعلَّقتُ به وتعلَّقته) و ﴿ تنبت بالدهن ﴾ [المؤمنون : ٢٠] وإنما هو تنبت الدهن .

وقال آخرون : (الباء) في قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم ﴾ أصل للكنية ، لأن كل فعل واقع كُنِّي عنه فهو مضطر إليها نحو قولك في رجل : (كلَّمته) فأردت الكناية عن فعله فإن أردت ذلك قلت : (فعلت به)

قالوا : فلما كانت (الباء) هي الأصل جاز إدخال (الباء) وإخراجها من كل (فعلٍ) سبيله سبيل كُنيته .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى ﴿ التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] وما المراد بها ؟

ج : التهلكة معناها : الهلاك ، والمراد بها هنا لأهل العلم فيه أقوال :

أحدها : ترك الإنفاق في سبيل الله[١] (فإن ترك الإنفاق يؤدي إلى التهلكة) .

الثاني : ترك الجهاد في سبيل الله والانشغال بإصلاح الأموال وجمعها[٢] .

الثالث : القنوط من رحمة الله (فيرتكب الرجل المعصية أو الكبيرَة وييأس من رحمة الله ويسلم نفسه للهلكة)[٣] .

الرابع : أن المراد بـ (التهلكة) : عذاب الله .

---

(١) تقدم أن البخاري أخرج من حديث حذيفة رضي الله عنه (٤٥١٦) في قوله تعالى : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] قال : نزلت في النفقة .

وأخرجه الطبري (٣١٤٥) ولفظه هو ترك النفقة في سبيل الله .

(٢) تقدم ذلك في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح عن البراء بن عازب في قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] قال : هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة يقول : لا توبة لي .

وفي رواية (٣١٦٩) : هو الرجل يذنب الذنب فيقول : لا يغفر الله له .

وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضًا ، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال : هو الرجل يذنب الذنب فيستسلم ويلقي بيده إلى التهلكة ، ويقول : لا توبة له – يعني قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

الخامس : المراد عموم ما يؤدي إلى التهلكة .

واختار الطبري رحمه الله تعالى العموم فقال :

والصواب من القول في ذلك عندي أنْ يُقال : إنَّ الله جل ثناؤه أمر بالإنفاق في سبيله بقوله : ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ﴾ [البقرة : ١٩٥] — وسبيله : طريقه الذي شرعه لعباده وأوضحه لهم . ومعنى ذلك : وأنفقوا في إعزاز ديني الذي شرعته لكم ، بجهاد عدوِّكم الناصبين لكم الحرب على الكفر بي ، ونهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة فقال : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

وذلك مثلٌ والعرب تقول للمستسلم للأمر : « أعطى فلان بيديه » ، وكذلك يقال للممكن من نفسه مما أريد به : « أعطى بيديه » .

فمعنى قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، ولا تستسلموا للهلكة ، فتعطوها أزمتكم فتهلكوا .

والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه ، مستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله . وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام الصدقات المفروضات الثمانية « في سبيله » ، فقال : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ إلى قوله : ﴿ وفي سبيل الله وابن السبيل ﴾ [التوبة : ٦٠] فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه ، كان للهلكة مستسلمًا ، وبيديه للتهلكة ملقيًا .

وكذلك الآئسُ من رحمة الله لذنب سلف منه ، ملق بيديه إلى التهلكة ، لأن الله قد نهى عن ذلك فقال : ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلَّا القوم الكافرين ﴾ [يوسف : ٨٧] .

وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم، في حال وجوب ذلك عليه ، في حال حاجة المسلمين إليه ، مضيعٌ فرضًا ، ملقٍ بيده إلى التهلكة .

فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، ولم يكن الله عز وجل خص منها شيئًا دون شيء ، فالصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا ، والاستسلام للهلكة - وهي العذاب - بترك ما لزمنا من فرائضه . فغير جائز لأحد منا الدخول في شيء يكرهه الله منا ، مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه .

غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الأغلب من تأويل الآية : وأنفقوا ، أيها المؤمنون ، في سبيل الله ، ولا تتركوا النفقة فيها ، فتهلكوا باستحقاقكم - بترككم ذلك - عذابي .

❋ ❋ ❋

س : حمل الرجل الواحد المسلم على العدد الكثير من العدو ما حكمه ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1] : صرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرىء المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن ، ومتى كان مجرد تهور فممنوع ، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهنٌ في المسلمين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يُعمل بعموم هذه الآية أم يقتصر على سبب نزولها ؟

ج : نعم يعمل بعمومها ، فاللفظ يقتضي العموم وورود سبب نزول لها لا يعنى أننا نقصرها على سبب النزول ، فكل ما يؤدي إلى الهلاك من غير مصلحة راجحة يُنهى عنه ، فتدل الآية مثلًا على جواز مصالحة الكفار والبغاة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين ، وتدل على جواز ترك الأمر

---

(١) فتح الباري (٣٤/٨) .

بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان يخشى على نفسه الهلاك ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

***

س : ما المراد بالإحسان في قوله تعالى : ﴿ وأحسنوا ﴾ [البقرة : ١٩٥] ؟

ج : الذي يظهر أن الإحسان هنا عامٌّ فيدخل فيه جميعُ أنواع الإحسان كالإحسان بالمال والإحسان بالجاه بالشفاعات ونحو ذلك ، والإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم النافع ، وقضاء حوائج الناس : من تفريج كرباتهم وإزالة شدائدهم وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم وإرشاد ضالهم وإعانة من يعمل عملًا صحيحًا مشروعًا و ... ، ويدخل فيه ما ورد في حديث النبي ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه »(١) كما أشار إلى ذلك السعدي رحمه الله في تفسيره ويدخل فيه أيضًا العفو عن الناس كما في قوله تعالى : ﴿ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران :١٣٤] ويدخل فيه إحسان الظن بالله تعالى ويدخل فيه أيضًا الإحسان في القتل والذبح كما قال النبي ﷺ : « إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ... »(٢) الحديث . والله تعالى أعلم .

***

(١) أخرجه مسلم حديث (رقم ٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم حديث (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا .

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ
فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٩٦

س : ما معنى : أحصرتم – نسك ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
أُحصرتم	مُنعتم – صُددتم
نسك	أصل النسك العبادة ، ويطلق أيضًا على أعمال الحج ومنه قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾ [البقرة : ٢٠٠] والمراد بالنسك هنا ذبيحة الأنعام ، وأقلها شاة ، وأطلق عليها نسك لأنها من أشرف العبادات التي يتقرب بها إلى الله ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بإتمام الحج والعمرة في قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد : أداؤهما والإتيان بهما .

الثاني : أن المراد : إتمامهما بعد الشروع فيهما وعدم إبطالهما[١] ، وهذان أشهر الأقوال في المراد بالآية الكريمة وثم أقوال أُخر منها :

الثالث : أن تحرم بالحج والعمرة من دارك ، وهذا القول ضعيف ، إذ قد شرع رسول الله ﷺ المواقيت لمن أراد الحج أو العمرة ، والذي يُحرِم من داره إنما هو من كانت داره دون المواقيت .

الرابع : أن المراد بإتمام العمرة أن تعمل في غير أشهر الحج ، وتمام الحج أن يؤتي بمناسكه كلها ، ووجه ضعف هذا أن النبي ﷺ قال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

الخامس : أن تخرج من أهلك لا تريد إلا الحج أو العمرة ، لا تريد تجارة ولا غير ذلك إلا الحج أو العمرة ، ووجه ضعف هذا القول أن الله عز وجل قال : ﴿ ليشهدوا منافع لهم .. ﴾ [الحج : ٢٨] وثمَّ أقوال أُخر أضربنا عن ذكرها .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد (٣٢٠٢) أنه قال : ليست العمرة واجبة على أحد من الناس ، قال (أي ابن وهب الراوي عنه) فقلت له : قول الله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ؟ ﴾ [البقرة : ١٩٦] قال : ليس من الخلق أحد ينبغي له إذا دخل في أمرٍ إلا أن يُتمه ، فإذا دخل فيها لم ينبغ له أن يهل يومًا أو يومين ثم يرجع كما لو صام يومًا لم ينبغ له أن يفطر في نصف النهار .

س : هل في هذه الآية دليل على وجوب العمرة ؟

ج : الصحيح أن هذه الآية لا تدل على وجوب العمرة[1] لأن الله عز وجل أمر في هذه الآية الكريمة بإتمام العمرة وليس بابتدائها ، أما من احتج بأنها (أي : العمرة) اقترنت بالحج ، والحج واجب فتكون العمرة كذلك ، فالإجابة عليه أن وجوب الحج استفيد من نصوص أُخر كقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وغير ذلك مما ورد في السُّنة ، فالحاصل أن هذه الآية لا يُستدل بها على وجوب العمرة ، وإنما هي كقوله تعالى : ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد : ٣٣] ، والله تعالى أعلم .

***

س : ما فائدة التقييد بقوله : ﴿ لله ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : الأعمال كلها لله خلق وتقدير وعلم وإرادة ومصدر ومورد وتصريف وتكليف ، وفائدة هذا التخصيص أن العرب كانت تقصد الحجَّ للاجتماع والتظاهر والتناضل والتنافر والتفاخر وقضاء الحاجات وحضور الأسواق ، وليس لله فيه حظٌّ يُقصد ولا قربةٌ تعتقد ؛ فأمر الله سبحانه بالقصد إليه لأداء فرضه وقضاء حقِّه ثم سامح في التجارة على ما يأتي بيانه إن شاء الله .

---

(١) وفي وجوب العمرة أو عدم وجوبها بحث طويل ليس هذا مقامه ، والحاصل فيه أن لأهل العلم قولان في وجوبها : أحدهما القول بالوجوب ، والآخر القول بعدم الوجوب (والاقتصار على الاستحباب) ، والأدلة التي استدل بها العلماء على وجوب العمرة لا تخلو من مقال ، هذا المقال إما أن يتمثل في توجيه الدليل الذي استدلوا به ، أو يتمثل في ضعف الدليل ابتداءً ، والله تعالى أعلم .

• وقال القاسمي في « محاسن التأويل » : وإنما قال في الحج والعمرة: ﴿ لله ﴾ ولم يقل ذلك في الصلاة[1] والزكاة من أجل أنهم كانوا يتقربون ببعض أفعال الحج والعمرة إلى أصنامهم ، فخصهما الله بالذكر لله تعالى حثًّا على الإخلاص فيهما ومجانبة ذلك الاعتقاد المحظور .

قلت (مصطفى) : ويؤيد قول المشركين عند الإهلال:(لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ؛ إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك)[2] .

***

س : فيمَ يتمثل الإحصار ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال :

الأول : أن المراد بالإحصار : كل مانع أو حابس يمنع المحرم أو يحبسه عن العمل الذي فرضه الله عليه في إحرامه ووصوله إلى البيت الحرام ؛ سواء كان هذا المانع يتمثل في العدو الذي يمنع المحرم من الوصول إلى البيت الحرام ، أو كان هذا المانع مرض أو كسر أو غير ذلك ، ويؤيد هذا الرأى قوله تعالى : ﴿ أحصرتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] فمعناها : مُنعتُم ، وهي غير مقيدة .

الثاني : أن المراد بالإحصار : المنع بسبب العدو وحده .

---

(١) قال الله تعالى في الصلاة : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ٢] .

(٢) أخرج مسلم (حديث ١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله ﷺ : « ويلكم قَدْ قَدْ »[1] فيقولون : إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك ، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت .

---

(١) معناها كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا .

وحجة هذا القول أن النبي ﷺ أُحصر بسبب العدو[1] ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ١٩٥] والأمن يكون من العدو .

الثالث : أن المراد بالإحصار : الإحصار بالمرض .

واختار الطبري رحمه الله القول بالعموم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ .. فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] مقدر محذوف فما هو هذا المقدر المحذوف ؟

ج : في هذا المحذوف أقوال :

أحدها : الواجب ، فالمعنى : فالواجب عليكم ما استيسر من الهدي .

الثاني : انحروا ، فالمعنى : فانحروا ما استيسر من الهدي .

الثالث : اهدوا ، فالمعنى : اهدوا ما استيسر من الهدي ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أقل الهدي الواجب إهداؤه عند الإحصار ؟

ج : الذي عليه أكثر أهل العلم أن ما استيسر من الهدي : شاة (أي : أقله

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٨٠٧) من طريق نافع أن عبيد الله بن عبد الله وسالم ابن عبد الله أخبراه أنهما كَلَّمَا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليالي نزل الجيش بابن الزبير فقالا : لا يضرك أن لا تحج العام وإنا نخاف أن يُحال بينك وبين البيت ، فقال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه ، وأُشهدكم أني قد أوجبت العمرة إن شاء الله أنطلق فإن خُلِّي بيني وبين البيت طفت ، وإن حيل بيني وبينه فعلت كما فعل النبي ﷺ وأنا معه ، فأهلَّ بالعمرة من ذي الحليفة ثم سار ساعة ثم قال : إنما شأنهما واحد ، أشهدكم أني قد أوجبت حجة مع عمرتي ، فلم يحل منهما حتى دخل يوم النحر وأهدى ، وكان يقول : لا يحل حتى يطوف طوافًا واحدًا يوم يدخل مكة .

شاة) ، وقد أخرج ابن جرير الطبري من طرق متعددة عن ابن عباس أنه قال : (ما استيسر من الهدى) شاة .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : والدليل على صحة قول الجمهور فيما ذهبوا إليه من إجزاء ذبح الشاة في الإحصار أن الله أوجب ذبح ما استيسر من الهدي أي مهما تيسر مما يسمى هديًا والهدي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم كما قاله الحبر البحر ترجمان القرآن وابن عم رسول الله ﷺ ، وقد ثبت في الصحيحين[١] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : أهدى النبي ﷺ غنمًا .

● **قلت** : ومن العلماء من ذهب إلى أن أقله بقرة ، ولا دليل على ذلك ، والقول الأول أولى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] معطوف على ماذا ؟

ج : من العلماء من قال : إنه معطوف على قوله تعالى : ﴿ فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، ومنهم من يقول : إنه معطوف على قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ [البقرة : ١٩٦] وهذا الأخير هو الذي اختاره الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ، قال : لأن النبي ﷺ وأصحابه لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم[٢] .

فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم فلا يجوز الحلق حتى يبلغ

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٧٠١) ، ومسلم ص (٩٥٨) .

(٢) أخرج البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان يصدّق كل واحدٍ منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق ... الحديث ، وفيه: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » ، قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك =

﴿ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارنًا أو من فعل أحدهما إن كان مفردًا أو متمتعًا كما ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : « إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر »(٢) .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بمحل الهدي المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] وما هو هذا المحل ؟

ج : المراد بمحل الهدي المكان الذي ينبغي أن يصل إليه الهدي حتى يتحلل المحرم من إحرامه ، ولأهل العلم أقوال في تحديد هذا المحل ، وها هي بعضها :

● **القول الأول :** أن المراد بـ (المحل) : الحرم ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ [الحج : ٣٣] ولقوله تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾ [الفتح : ٢٥] .

= ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا ... الحديث .

● وأخرج البخاري (١٨٠٧) ، ومسلم (١٢٣٠) والسياق للبخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرجنا مع النبي ﷺ فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٧٢٥) ، ومسلم (حديث ١٢٢٩) .

● **القول الثاني** : أن المراد بالمحل هنا المحل الذي حُصِر فيه الشخص سواء كان الحرم أو غيره ، وإلى هذا الرأي ذهب جمهور أهل العلم .

● **قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان)** : وجمهور العلماء على أن ينحره في المحل الذي حصر فيه حِلًّا كان أو حرمًا ، وقد نحر النبي ﷺ هو وأصحابه بالحديبية ، وجزم الشافعي وغيره بأن الموضع الذي نحروا فيه من الحديبية من الحل لا من الحرم واستدل لذلك بدليل واضح من القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾ [الفتح : ٢٥] فهو نص صريح في أن ذلك الهدي لم يبلغ محله .

وذهب هؤلاء إلى أن معنى قوله : ﴿ حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] حتى يبلغ بالذبح أو النحر محل أكله والانتفاع به في محل ذبحه ونحره كما روي عن النبي ﷺ في نظيره إذ أُتي بلحم أتته بريرة من صدقةٍ كان تُصُدِّق به عليها فقال : « قرِّبوه فقد بلغ محله » .

يعني : فقد بلغ مَحلَّ طيبه وحلاله له بالهدية إليه بعد أن كان صدقة على بريرة[1] .

● **القول الثالث** : هو التفصيل بين ما إذا كان الإحصار بعدوٍّ أو ما إذا كان الإحصار بسبب مرض ونحوه ؛ فقالوا : **إذا كان الإحصار بعدو** فَمحل المَحرم حيث أحصر (في الحرم كان أو في غير الحرم) قالوا : وقد حلَّ النبي ﷺ في الحديبية (وليست من الحرم)[2] .

---

(١) أشار إلى ذلك الطبري رحمه الله نقلًا عن غيره .

(٢) كما قدمنا عن الشافعي رحمه الله إذ استدل بقوله تعالى : ﴿ والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ﴾ [الفتح : ٢٥] على أن المكان الذي نحروا فيه من الحل .

● وقال القرطبي رحمه الله : جمهور الناس على أن المحصر بعدوٍّ يحل حيث أحصر وينحر هديه إن كان ثمَّ هدي ويحلق رأسه .

أما إذا كان الإحصار بمرض ونحوه فلا يحل إلا في الحرم بعد أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة .

الرابع : إن استطاع المحصر أن يرسل هديه إلى الحرم أرسله ، وإن لم يستطع فينحر حيث استطاع ، وثَمَّ أقوال أخر في هذا الباب .

والذي يبدو أن المحصر محله حيث أحصر وذلك لأن النبي ﷺ نحر هديه بالحديبية[1] ، وإن سلمت أخبار أن بعض الصحابة تسلل ببعض الهدي من بعض الطرق إلى الحرم[2] فهذا لم يكن على عمومه بل فعل أفراد إن ثبت الخبر بذلك ، وكذلك لا حجة في إيراد من أورد أن الصحابة نحروا في الحل وجاءت ريح فنقلت شعورها إلى الحرم لأن أصل النحر – على هذا القول – كان في الحل ، ولا تفريق بين المحصر بعدوٍّ والمحصر بمرض للعمومات لقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] ولقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ولقوله : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] والله تعالى أعلم .

* * *

س : أيهما يفعل قبل الآخر في الحج النحر أم الحلق ؟

ج : الذي يفعل أولًا هو النحر ، فقد ثبت أن النبي ﷺ نحر قبل أن يحلق في عمرة الحديبية وفي حجة الوداع ، ودل القرآن على ذلك في موضعين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٧٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .
(٢) انظر النسائي في السنن الكبرى (٤٥٣/٢) حديث ناجية بن جندب الأسلمي .

الثاني : قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ [الحج : ٢٨] قال الشنقيطي في أضواء البيان : فالمراد بقوله : ﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلوماتٍ على ما رزقهم ﴾ [الحج : ٢٨] الآية : ذكر اسمه تعالى عند نحر البدن إجماعًا ، وقد قال تعالى بعده عاطفًا بـ ﴿ ثم ﴾ التي هي للترتيب ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ [الحج : ٢٩] الآية ، وقضاء التفث يدخل فيه بلا نزاع إزالة الشعر بالحلق ، فهو نص صريح في الأمر بتقديم النحر على الحلق .

قلت : لكن من حلق قبل أن ينحر فلا حرج عليه ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه فقال رجل : لم أشعر يا رسول الله فحلقت قبل أن أذبح قال : « اذبح ولا حرج » ، فجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي قال : « ارم ولا حرج » ، فما سئل عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال : « افعل ولا حرج » .

ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب الحلق ؟ أم يجوز التقصير في الحج ؟

ج : يجوز التقصير أيضًا ، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم اغفر للمُحلِّقين » ، قالوا : وللمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « اللهم اغفر للمُحلِّقين » قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ؟ قال : « اللهم اغفر للمُحلِّقين » قالوا : يا رسول الله وللمقصرين ؟ قال : « وللمُقصِّرين »[٢] .

---

(١) البخاري (حديث ١٧٣٦) ، (١٧٣٧) ، ومسلم (حديث ١٣٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١٧٢٨) ، ومسلم (١٣٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● ونحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[١] أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم ارحم المُحلِّقين » ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « اللهم ارحم المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « والمقصرين »[٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز الاشتراط في الحج ؟ وما فائدة هذا الاشتراط ؟ وما هي صفته ؟

ج : نعم يجوز الاشتراط في الحج ؛ لما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على ضُباعة بنت الزبير فقال لها :« أردتِ الحج ؟ » قالت : والله ما أجدني إلا وَجِعَةً ، فقال لها : « حُجِّي واشترطي ، وقولي : اللهم مَحِلِّي حيث حبستني » .

وفي صحيح مسلم[٤] من حديث ابن عباس أن ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها أتت رسول الله ﷺ فقالت : إني امرأة ثقيلة وإني أريد الحج ، فما تأمرني ؟ قال : « أهلِّي بالحج واشترطي أن محلِّي حيث تحبسني » .

● وفائدة الاشتراط أنه إذا لم يستطع مواصلة الحج وتحلل لا يلزمه دم .

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٢٧) ، واللفظ له ، ومسلم (١٣٠١) .
(٢) في بعض الروايات : أن النبي ﷺ كرر « اللهم ارحم المحلقين » ثلاث مرات ... في حديث ابن عمر وهي في الصحيح أيضًا (انظر صحيح مسلم ص٩٤٦) .
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٨٩) ، ومسلم (حديث ١٢٠٧) .
(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٢٠٨) .

وصفته – كما تقدم – أن يقول : اللهم محلي حيث حبستني . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : وقف عليَّ رسول الله ﷺ بالحديبية ورأسي يتهافت قُملًا ، فقال : « يؤذيك هوامُّك ؟ » ، قلت : نعم . قال : « فاحلق رأسك » – أو قال : « احلق » – قال : فيَّ نزلت هذه الآية : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ﴾ [البقرة : ١٩٦] إلى آخرها فقال النبي ﷺ : « صم ثلاثة أيام أو تصدَّق بفَرَقٍ بين ستة أو انسك بما تيسر » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو المرض المذكور في قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

فأما « المرض » الذي أبيحَ معه العلاجُ بالطِّيب وحَلقُ الرأس ، فكلُّ مَرَض كان صلاحه بِحلقه ، كالبِرْسام الذي يكون من صَلاح صاحبه حَلْق رأسه وما أشبه ذلك ، والجراحات التي تكون بجسد الإنسان التي يحتاج معها إلى العلاج بالدواء الذي فيه الطيب ، ونحو ذلك من القُروح والعلل العارضة للأبدان .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨١٥) ، ومسلم (١٢٠١) .

وأما « الأذى » الذي يكون إذا كان برأس الإنسان خاصة له حَلْقه ، فنحو الصداع والشَّقيقة وما أشبه ذلك ، وأن يكثُر صِئْبان الرأس ، وكل ما كان للرأس مؤذيًا مما في حلقه صلاحُه ودفع المضرَّة الحالَّة به ، فيكون ذلك بعموم قول الله جل وعز : ﴿ أو به أذى من رَأسه ﴾ [البقرة :١٩٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مقدار الصيام المذكور في قوله تعالى : ﴿ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟ وما هو مقدار تلك الصدقة ؟ وما المراد بالنسك ؟

ج : أما الصيام فصيام ثلاثة أيام ، والصدقة هي إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ، والنسك : شاة ، يدل على ذلك كله ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « .... تجد شاة ؟ » قال : لا . فقال له : « فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع »(١) .

❋ ❋ ❋

س : هل الفدية في قوله تعالى : ﴿ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] على التخيير أو على الترتيب ؟

ج : هي على التخيير ؛ لقوله تعالى : ﴿ ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨١٦) ، ومسلم (ص ٨٦١) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي بعض الروايات : « أو أطعم ثلاثة آصُع من تمرٍ على ستة مساكين » .

س : هل يجوز الحلق قبل الفدية أو يجب تقديم الفدية قبل الحلق ؟

ج : يجوز الحلق قبل الفدية ، وذلك لِما في بعض طرق[1] حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له :« احلق رأسك ثم اذبح شاة نسكًا ، أو صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ثلاثة آصُع من تمرٍ على ستة مساكين » .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة : ١٩٦] مُقدَّر محذوف ما هو هذا المقدر ؟

ج : المقدر هو : (وفعل محظورًا من محظورات الإحرام كأن يكون حلق أو تطيَّب أو ...) ، فالمعنى : فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه فارتكب محظورًا ففدية من صيام أو صدقةٍ أو نسك .. .

❋ ❋ ❋

س : في قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ﴾ [البقرة : ١٩٦] مقدر محذوف ما هو ؟

ج : المقدر : وتنحروا. فالمعنى : ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله وتنحروه أو تذبحوه ... ؛ وذلك لأن الرجل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله ؛ بل لا يحصل التحلل إلا بالنحر أو الذبح ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، أمنتم من ماذا ؟

ج : قال فريق من العلماء : أمنتم الخوفَ من عدوكم[2] .

---

(١) انظر الحديث المتقدم .

(٢) أخرج الطبري (٣٤١٧)بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] : لتعلموا أن القوم كانوا خائفين يومئذٍ .

وقال آخرون : برأتم من المرض .

ومن العلماء من قال : إذا أمنتم ، أي : تمكنتم من أداء مناسككم ولم يَحُلْ بينكم وبين أدائها حائل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التمتع ؟ في قوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : **أما التمتع ؛ فالمعروف أنه الاعتمار في أشهر الحج ، ثم التحلل من تلك العمرة والإهلال بالحج في تلك السنة** ، قال الله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، ويطلق التمتع في عرف السلف على القران أيضًا ، قال ابن عبد البر : لا خلاف بين العلماء أن التمتع المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ [البقرة : ١٩٦] : أنه الاعتمار في أشهر الحج قبل الحج ، قال : ومن التمتع أيضًا : القران لأنه تمتع بسقوط سفر للنسك الآخر من بلده ، ومن التمتع : فسخ الحج أيضًا إلى العمرة .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الدليل على مشروعية التمتع في الحج ؟

ج : هو قوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

● وأيضًا : ما أخرجه مسلم[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصف حجة النبي ﷺ وفيه : .. حتى إذا كان آخر طوافه

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

على المروة فقال : « لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة » ، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال : يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبدٍ ؟ فشبَّك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى ، وقال :« دخلت العمرة في الحج » مرتين « لَا بل لأبد أبدٍ » ... الحديث .

● وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (خرجنا مع النبي ﷺ ولا نرى إلا أنه الحج ، فلما قدمنا تطوفنا بالبيت[2] فأمر النبي ﷺ من لم يكن ساقَ الهدي أن يحل ...) .

● وفي الصحيحين[3] : عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فنزل القرآن ، قال رجل برأيه ما شاء .

***

س : رجل متمتع يجد سعة لأن يهدي ولكنه صام ، هل يجزىء عنه هذا الصيام ؟

ج : لا يجزىء عنه الصيام ما دام يستطيع الهدي ، قال القرطبي رحمه الله : أجمع العلماء على أن الصوم لا سبيل للمتمتع إليه إذا كان يجد الهدي .

***

س : ماذا يُجزىء عن المتمتع من الهدي ؟

ج : يجزىء عنه شاة ، أو أن يشترك هو وستة آخرون في بقرة أو بدنة ،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٦١) ، ومسلم (ص ٨٧٧) .
(٢) أي : وسعينا .
(٣) البخاري حديث (١٥٧١) ، ومسلم (ص ٩٠٠) .

يدل على ذلك : ما أخرجه البخاري[1] بإسناده إلى أبي جمرة قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة فأمرني بها ، وسألته عن الهدي فقال : فيها جزور أو بقرة أو شاة أو شركٌ في دم ، قال : وكأن ناسًا كرهوها فنمت فرأيت في المنام كأن إنسانًا يُنادي : حجٌّ مبرور ومتعة متقبلة ، فأتيت ابن عباس رضي الله عنهما فحدَّثته ؛ فقال : الله أكبر ، سُنة أبي القاسم ﷺ

وأخرج مسلم[2] في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وفي رواية : خرجنا مع رسول الله ﷺ مُهلين بالحج ؛ فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة .

***

س : ما هي الثلاثة أيام التي أوجب الله صومها على المتمتع الذي لا يجد الهدي ؟

ج : هي ثلاثة أيام في الحج كما قال تعالى : ﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج ... ﴾ [البقرة : ١٩٦]

ولكن ما هي هذه الأيام بالتحديد ؟ لم يرد في ذلك نص عن النبي ﷺ ، ولذلك تكاثرت أقوال العلماء في ذلك ، فمنهم من قال : إن جوازها يبدأ من حين الإحرام بالعمرة[3] وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر .

● ومن العلماء من قال : إنها يوم السادس والسابع والثامن من منًى ، ومنهم من قال : إنها السابع والثامن والتاسع ، ومنهم من قال : تبدأ من الإهلال بالحج

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٨٨) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣١٨) .

(٣) أي : العمرة التي في أشهر الحج (التي تمتع بها المتمتع إلى الحج) .

وتنتهي إلى يوم عرفة إلى غير ذلك من الأقوال .

وأولاها بالصواب عندي - والله أعلم - : أنها تبدأ من وقت الإحرام بالحج إلى نهاية أيام التشريق ، فإن قال قائل : إن النبي ﷺ قد نهى عن صيام أيام التشريق[1] ، فيجاب على هذا بأن صومها مستثنى للمتمتع الذي لا يجد الهدي ، وذلك لما أخرجه البخاري[2] من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم قالا : لم يُرخص في أيام التشريق أن يُصَمْنَ إلا لمن لم يجد الهدي .

وأخرج البخاري[3] أيضًا عن ابن عمر قال : (الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة ، فإن لم يجد هديًا صام أيام منى) .

وأخرج البخاري أيضًا بإسناده إلى عروة قال :(كانت عائشة رضي الله عنها تصوم أيام منًى ، وكان أبوه يصومها)[4] . والله تعالى أعلم .

***

س : قوله تعالى : ﴿ إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، رجعتم إلى أين ؟

ج : رجعتم إلى أهاليكم وبلادكم ، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[5] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيه : .. فمن لم يجد هديًا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ١١٤١) من حديث نبيشة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ : « أيام التشريق أيام أكلٍ وشرب » .
ونحوه عند مسلم أيضًا (حديث ١١٤٢) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فنادى (أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأيام منًى أيام أكلٍ وشربٍ) .

(٢) أخرجهما البخاري (١٩٩٧ و ١٩٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري (١٩٩٩) .

(٤) أخرجه البخاري (١٩٩٦) .

(٥) أخرجه البخاري (حديث ١٦٩١) ، ومسلم (حديث ١٢٢٧) .

وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : .. فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ : « اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلَّد الهدي » ، فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ، وقال : « من قلَّد الهدي فإنه لا يحل له حتى يبلغ الهدي محله » ، ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج ، فإذا فرغنا من المناسك ؛ جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجُّنا ، وعلينا الهدي ، كما قال تعالى : ﴿ فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] : إلى أمصاركم ..

ونقل ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى[2] إجماع جميع أهل العلم على أن معناه : إذا رجعتم إلى أهليكم وأمصاركم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز لمن لم يجد الهدي أن يصوم السبعة أيام أو بعضها وهو في طريق الرجوع إلى أهله ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز له ذلك محتجين بقوله تعالى : ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦]،وبما تقدم في تفسيرها من أن المراد :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٧٢) .

(٢) الطبري تحقيق شاكر (١٠٧/٤) .

قلت (مصطفى) : وفي دعوى الإجماع ، نظر فقد نقل عن بعض أهل العلم أنهم ذهبوا إلى أن المعنى : (إذا فرغتم من أعمال الحج ..) ، نقل هذا القول عن أبي حنيفة ، وقال ابن العربي في أحكام القرآن : قوله تعالى : ﴿ إذا رجعتم ﴾ [البقرة : ١٩٦] : يعني إلى بلادكم في قول مالك في كتاب محمد ، وبه قال الشافعي ، وقال مالك في الكتاب : إذا رجع من منى .

قلت : وفيما تقدم عن رسول الله ﷺ غُنية ، وإنما أوردنا ما أوردناه لمَّا ادعى الطبري رحمه الله الإجماع .

إذا رجعتم إلى أهليكم وأمصاركم .

ومن العلماء من ذهب إلى الجواز ، فقال ابن جرير الطبري رحمه الله : ولو تحمل المتمتع فصام الأيام السبعة في سفره قبل رجوعه إلى وطنه أو صامهن بمكة كان مؤديًا ما عليه من فرض الصوم في ذلك ، وكان بمنزلة الصائم شهر رمضان في سفره أو مرضه مختارًا للعسر على اليسر .

قلت : وهذا القول منقول عن مجاهد(1) وأحمد وإسحاق وغيرهم .

* * *

س : من المعلوم أن الثلاثة والسبعة مجموعهما عشرة فلماذا قيل : ﴿ تلك عشرة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : أجاب بعض العلماء على ذلك بأجوبةٍ نذكر منها ما يلي :

الأول : أن ذلك قيل للتأكيد ، كما تقول العرب : رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، وكتبت بيدي ، وكما قال تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، وقال سبحانه : ﴿ ولا تخطه بيمينك ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ [الأعراف : ١٤٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ [النحل : ٢٦] والخَرُّ لا يكون إلا من فوق .

الثاني : أن هذا خبرٌ ، معناه الأمر ، والمعنى : تلك عشرة فأكملوا صومها .

الثالث : أنه لدفع التوهم الذي قد يرد إلى الشخص ، فقد يظن ظان أو يتوهم متوهم أن الواو للتخيير في قوله تعالى : ﴿ وسبعة إذا رجعتم ﴾

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عنه (٣٤٨٦) وفيه : هي رخصة إن شاء صامها في الطريق .

فيظن أنها كالواو في قوله تعالى : ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ [النساء :٣] ، فيعتقد حينئذ أن له أن يصوم إما ثلاثة في الحج أو سبعة إذا رجع ، فحتى يُدفع هذا التوهم ، قال تعالى : ﴿ تلك عشرة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : من العلماء من قال : **إنها كلها** (أي : العشرة) هي التي تجزىء عن الهدي الذي لم يقدمه المتمتع ، أما إذا نقصت فلا تجزىء .

ومنهم من قال : إنها (أي : العشرة) مكملة للنقص الذي طرأ على حج المتمتع نتيجة تمتعه(١) ، فمن صام العشرة نال من الثواب مثل من لم يتمتع .

ومنهم من قال : إنها (أي : العشرة) تكمل لصاحبها الأجر كمن أهدى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الإشارة في قوله تعالى : ﴿ ذلك ﴾ [البقرة : ١٩٦] ترجع إلى ماذا ؟

ج : الإشارة ترجع إلى التمتع بالعمرة إلى الحج .

❋ ❋ ❋

س : من المعنيون بقوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : أهل الحرم معنِيُّون به بالإجماع ، نقل هذا الإجماع الطبري رحمه الله

---

(١) وهذا على رأي من قال : إن حج المتمتع ناقص ، وفي هذا نظر .

في تفسيره[1] ، وأخرج البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ... فجمعوا نُسكين في عام بين الحج والعمرة ، فإن الله تعالى أنزله في كتابه وسنَّه نبيه ﷺ وأباحه للناس غير أهل مكة ، قال الله : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

لكن هل يدخل مع أهل الحرم غيرهم أم لا ؟ فذهب فريق من العلماء إلى أن الآية مقتصرة على أهل الحرم ، ومن العلماء من قال : يدخل معهم مَنْ كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ، واختار هذا القول الطبري رحمه الله[3] .

ومن العلماء من قال : مَن كان منزله دون المواقيت . والله تعالى أعلم .

***

(١) من العلماء من قصرهم على أهل مكة .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٥٧٢) .
(٣) قال الطبري رحمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا قول من قول : إن حاضري المسجد الحرام : من هو حوله ممن بينه وبينه من المسافة ما لا تُقصَر إليه الصلوات . لأن « حاضر الشيء » ، في كلام العرب ، هو الشاهد له بنفسه . وإذ كان ذلك كذلك = وكان لا يستحق أن يسمى « غائبًا » ، إلا من كان مُسافرًا شاخصًا عن وطنه ، وكان المسافر لا يكون مسافرًا إلا بشخوصه عن وطنه إلى ما تقصر في مثله الصلاة ، وكان من لم يكن كذلك لا يستحق اسم « غائب » عن وطنه ومنزله = كان كذلك من لم يكن من المسجد الحرام على ما تقصر إليه الصلاة ، غير مستحق أن يقال : هو من غير حاضريه ، إذا كان الغائب عنه هو مَنْ وصفنا صفته .

وإنما لم تكن المتعة لمن كان من حاضري المسجد الحرام ، من أجل أن « التمتع » إنما هو الاستمتاع بالإحلال من الإحرام بالعمرة إلى الحج ، مرتفقًا في ترك العود إلى المنزل والوطن بالمقام بالحرم حتى ينشئ منه الإحرامَ بالحج . وكان المعتمر متى قضى عمرته في أشهر الحج ، ثم انصرف إلى وطنه أو شَخَصَ عن الحرام إلى ما تقصر =

س : هل المراد حضور المُحرم أو حضور أهله في قوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال الرازي في تفسيره : الله تعالى ذكر حضور الأهل ، والمراد حضور المُحرم لا حضور الأهل ؛ لأن الغالب على الرجل أنه يسكن حيث أهله ساكنون .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل اسمه : ﴿ واتقوا الله ﴾ [البقرة : ١٩٦] بطاعته فيما ألزمكم من فرائضه وحدوده ، واحذروا أن تعتدوا في ذلك وتتجاوزوا فيما بيَّن لكم من مناسككم فتستحلوا ما حرم فيها عليكم ، و ﴿ اعلموا ﴾ [البقرة : ١٩٦] : تيقَّنوا أنه تعالى ذكره شديد عقابه لمن عاقبه على من انتهك محارمه وركب من معاصيه .

❋ ❋ ❋

= فيه الصلاة ، ثم حج من عامه ذلك ، بطل أن يكون مستمتعًا ؛ لأنه لم يستمتع بالمرفق الذي جُعل للمستمتع ، من ترك العود إلى الميقات ، والرجوع إلى الوطن بالمقام في الحرم . وكان المكيُّ من حاضري المسجد الحرام لا يرتفق بذلك ، من أجل أنه متى قضى عُمرته أقام في وطنه بالحرم ، فهو غير مرتفق بشيء مما يرتفق به من لم يكن أهله من حاضري المسجد الحرام ، فيكون متمتعًا بالإحلال من عُمرته إلى حجه .

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

س : ما معنى : فرض ؟

ج :

الكلمـة	**معناهـا**
فرض	أوجب وألزم

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟ وبيِّن هذه الأشهر ما هي ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – لأهل العلم فيه قولان :

أحدهما : وقت الحج أشهر معلومات (أي : لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها) .

الثاني : الحج حج أشهر معلومات (أي : الحج الكامل المفضل : ما كان في هذه الأشهر المعلومات) .

فعلى القول الأول لا يجوز الإحرام بالحج إلا في هذه الأشهر المعلومات وبه يقول الشافعي رحمه الله ، فلو أحرم به قبلها لم ينعقد إحرامه به ، وعلى القول الثاني يصح الإحرام بالحج في غير هذه الأشهر أيضًا وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم .

ويشهد لهذا القول قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

أما ما هي هذه الأشهر فلأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بهذه الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة[(١)] .

الثاني : أن المراد بهذه الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وعشرة أيام[(٢)] من ذي الحجة .

---

(١) وحجة هذا القول ظاهر الآية الكريمة ، وذكر أنها أشهر فلا معنى لأخذ بعض أيام الشهر أو لياليه دون الأيام والليالي الأخرى .

(٢) حجة هذا القول إن الطواف والرمي في العقبة ركنان يفعلان في العاشر ، وجنح الطبري إلى هذا القول وقال : فإن قال قائل فكيف قيل ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] وهو شهران وبعض الثالث ، قيل : إن العرب لا تمتنع خاصة في الأوقات من استعمال مثل ذلك فتقول : (له اليوم يومان منذ لم أره) وإنما تعني =

الثالث : أنها شوال وذو القعدة وعشر ليالٍ من ذي الحجة[1] .

الرابع : أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة من أوله إلى آخر أيام التشريق[2] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه قول من قال : إن أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكامِلِه ، ومن المعلوم أن الحج ينتهي بعد انتهاء أيام التشريق الثلاثة ؟

ج : أجاب على ذلك الطبري رحمه الله بقوله : إن معنى ذلك غير الذي توهمته ، وإنما عنوا بقيلهم : الحج ثلاثة أشهر كوامل : أنهن أشهر الحج لا أشهر العمرة ، وأن شهور العمرة سواهن من شهور السنة .

وأورد الطبري جملة آثار تؤيد له هذا المعنى الذي ذهب إليه ، منها :

= بذلك يومًا وبعض آخر ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، وإنما يتعجل في يومٍ ونصف ، وقد يفعل الفاعل منهم الفعل في الساعة ثم يخرجه عامًا على السنة والشهر فيقول : (زرته العام ، وأتيته اليوم) وهو لا يريد بذلك أن فعله أخذ من أول الوقت الذي ذكره إلى آخره ، ولكنه يعني أنه فعله إذ ذاك وفي ذلك الحين ، فكذلك ﴿ الحج أشهر ﴾ والمراد منه : الحج شهران وبعض آخر ، فمعنى الآية إذًا : ميقات حجكم أيها الناس شهران وبعض الثالث ، وهو شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذي الحجة .

● هذا وقد صح عن ابن عمر أنه قال : شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة ، وذلك في تفسير قول الله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] (الطبري ، ٣٥٣٢ و ٣٥٣٣) .

وصح عن ابن جريج عند الطبري (٣٥٣٦) أنه قال : قلت لنافع أسمعت ابن عمر يسمي أشهر الحج ؟ قال : نعم : شوال وذو القعدة وذو الحجة .

(١) وحجة هذا القول إن الحج يكمل بطلوع الفجر يوم النحر لصحة الوقوف بعرفة وهو الحج كله .

(٢) ومن قال : آخر أيام التشريق رأى أن الرمي من أفعال الحج وشعائره ، وبعض الشهر يسمى شهرًا لغةً .

● أثر ابن عمر[1] رضي الله عنهما قال : أن تفصلوا بين أشهر الحج والعمرة فتجعلوا العمرة في غير أشهر الحج أتمُّ لحج أحدكم وأتمُّ لعمرته .

● وأخرج الطبري كذلك بإسناد صحيح[2] عن طارق بن شهاب قال : سألت ابن مسعود عن امرأة منا أرادت أن تجمع مع حجها عمرة ، فقال : أسمعُ الله يقول : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ ، ما أراها إلا أشهر الحج .

● وأخرج الطبري أيضًا بإسناد صحيح[3] عن القاسم بن محمد أنه قال : إن العمرة في أشهر الحج ليست بتامة ، وفي رواية : (كانوا لا يرونها تامة) .

قلت : لكن يُضعِّف هذا الرأي أن النبي ﷺ أرسل عائشة تعتمر من التنعيم مع أخيها عبد الرحمن في ذي الحجة بعد أن انتهت من حجتها[4] .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : فرض معناها : أوجب وألزم ، والمعنى العام : فمن أوجب على نفسه الحج وألزمها إياه ، وهذا الإيجاب وهذا الإلزام هل تكفي فيه النية أو يُضاف إليها التلبية والإحرام ؟ فذهب بعض العلماء إلى أن النية تكفي لذلك ، وذهب إلى ذلك ابن جرير الطبري رحمه الله فقال : إن الرجل قد يكون محرمًا بإيجابه

---

(١) أخرجه الطبري (٣٥٤٥) بإسناد صحيح .

(٢) الطبري (أثر ٣٥٥٢) ، (٣٥٤٦) .

(٣) أثر (٣٥٤٧ ، ٣٥٤٨) .

(٤) أخرج ذلك البخاري (حديث ١٧٨٤ ، ١٧٨٥) ، ومسلم في طرق حديث (١٢١١) ، وعندهما : (أن عائشة قالت : يا رسول الله أتنطلقون بعمرةٍ وحجة وأنطلق بالحج ؟ فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج في ذي الحجة) .

الإحرام بعزمه وإن لم يظهر ذلك بالتجرد والتلبية وصنيع بعض ما عليه عمله من مناسكه ، وإذا صحَّ ذلك صح ما قلنا من أن فرض الحج هو ما قُرن إيجابه بالعزم على نحو ما بينا قبلُ .

● ومن العلماء من قال : إن فرض الحج هو الإهلال (أي : التلبية)[1] .

● ومنهم من قال : إن فرض الحج هو الإحرام .

● ومنهم من قال : ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي : ألزمه نفسه بالشروع فيه بالنية قصدًا باطنًا وبالإحرام فعلًا ظاهرًا وبالتلبية نطقًا مسموعًا .

***

س : هل التلبية ركن من أركان الحج ؟

ج : ذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى أنها ليست ركنًا من أركان الحج .

***

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ﴾ [البقرة : ١٩٧] وما المراد بـ (الرفث) ؟

ج : المراد بقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي : لا ترفثوا ، فهو خبر معناه النهي أما المراد بـ (الرفث) فلأهل العلم فيه أقوال :

أحدها : أنه الجماع ، وحجة هذا القول قوله تعالى : ﴿ أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

الثاني : أن المراد بـ (الرفث) : الجماع ومقدماته من تقبيل ومفاخذة ، وذكر الجماع والتعريض به للنساء في حضورهن .

---

(١) صح عن ابن عمر عند الطبري أنه قال : ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ قال : أهلَّ . (أثر ٣٥٥٤ ، ٣٥٥٨) .

الثالث : أن المراد بـ (الرفث) : الجماع ومقدماته والإفحاش في الكلام الذي يتعلق بالجماع سواء كان ذلك في حضور النساء أو في غيابهن .

وحمل بعض أهل العلم الآية على العموم أي : أن الرفث بعمومه ممنوع سواء كان الجماع ، أو مقدماته ، أو التصريح بذكره ، أو التعريض بذلك ، وسواء كان ذلك في حضور النساء أو في غيابهن ، والله أعلم .

* * *

س : ما حكم من جامع زوجته وهو محرم ؟

ج : لم نقف على دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ في هذا الباب ، اللهم إلا أن من فعل ذلك فقد خالف قول الله عز وجل : ﴿ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

فمن جامع أهله فقد وقع في الرفث المنهي عنه في الحج ، وهذا المخالف ماذا عليه ؟ قدمنا أننا لم نقف على شيء في الكتاب والسنة يوضح أن عليه كفارة بعينها ، ولا على شيء صريح يوضح أن حجَّه صحيح أو باطل ، وأيضًا لم ينعقد الإجماع على شيء بعينه في هذا الباب ، فمن العلماء من قال على كل واحد منهما هدي ، من هؤلاء : ابن عباس رضي الله عنهما ، ومنهم من قال إن حجَّه قد بطل ، وعليه أن يخرج مع الناس فيصنع كما يصنعون ، فإذا كان من العام القادم حج وأهدى ، وهذا قول ابن عباس أيضًا وابن عمر وابن عمرو رضي الله عنهم .

- ومنهم من زاد على ما تقدم أنهما يفترقان عن بعضهما في الحج القادم .

● ومنهم من فَصَّلَ فقال : ليس على الزوجة المكرهة كفارة ، فإن طاوعته فعلى كل واحد منهما كفارة .

● ومنهم من قال : بينهما بدنة وحج بعد الحج الذي أفسدوه ، منهم : الإمام الشافعي رحمه الله .

● منهم من قال : فسد حجه ، لكن يُحِرم من موضعه ، فإن أدرك تمام الحج فلا شيء عليه غير ذلك ، وإن كان لا يدرك تمام الحج فقد عصى وأمره إلى الله تعالى ، ولا هدي في ذلك ولا شيء ، إلا أن يكون لم يحج قط فعليه الحج والعمرة ، من هؤلاء : ابن حزم رحمه الله تعالى .

● ومنهم من رأى أن الحج صحيح كما أشار إليه الشوكاني ونقله عن داود الظاهري ، فقال الشوكاني رحمه الله : واعلم أنه ليس في الباب من المرفوع ما تقوم به حجة ، والموقوف ليس بحجة ، فمن لم يقبل المرسل ولا رأى حجية أقوال الصحابة فهو في سعة عن التزام هذه الأحكام ، وله في ذلك سلف كداود الظاهري .

قلت : وينضم إليه صديق حسن خان كما في الروضة الندية .

وعلى ذلك فيتلخص لنا مما سبق أن من جامع أهله وهو محرم فقد عصى الله تبارك وتعالى وأَثِمَ ، وعليه أن يستغفر الله ويعمل صالحًا . أما الحكم ببطلان حجه ، أو أمره بالافتراق والبعد عن زوجته من مكان الجماع ، وفساد الحج ، والإلزام بإتمام ذلك الحج الفاسد ، أو نحر بدنة ، أو غير ذلك ، فليس معنا في ذلك دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفسوق في قوله تعالى : ﴿ ولا فسوق ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : أن المراد بالفسوق : المعاصي كلها .

الثاني : أن المراد بالفسوق إتيان معاصي الله في الحرم أي ارتكاب ما نهى اللَّهُ المحرمَ عنه مثل قتل الصيد وأخذ الشعر ونحو ذلك .

الثالث : أن المراد بالفسوق : الذبح للأصنام .

الرابع : أن المراد : التنابز بالألقاب ، وهذا يرجع إلى الأول ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بالجدال هنا المراء الذي يُغضِب صاحبك .

الثاني : أن المراد بالجدال هنا : السباب .

الثالث : أن المراد بالجدال : الاختلاف في وقت الحج ومواقفه وأيّه أفضل . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : الفسوق والجدال والفحش من القول مذموم في كل وقتٍ وحين ، فلماذا نُهي عنه الحاج في قوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : في هذا عندي قولان :

أحدهما : أن الحاج نهي عن الرفث والفسوق والجدال لمزيد التحذير منها والتأكيد على الابتعاد عنها .

الثاني : حمل الرفث والفسوق والجدال على معنى مخصوص من معانيها ، فيحمل الرفث على الجماع ودواعيه ، ويحمل الفسوق على ارتكاب

ما نهى الله المُحرم (بصفته محرمًا) عنه كالصيد وحلق الشعر ونحو ذلك ، ويحمل الجدال في وقت الحج ومواقفه : كأن يتجادل أحد - بعد أن قال الله : ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] - في أوقات الحج ، أو يتجادل شخص مع الآخر فيقول : حجي أتم من حجك وموقفي أفضل من موقفك ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر حديثًا في فضل من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق ؟ وبين من أخرجه ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حجَّ لله فلم يرفُث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمُّه » .

* * *

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٥٢١) واللفظ له ، ومسلم (حديث ١٣٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري حديث (١٥٢٣) وقد أشار البخاري إلى اختلاف في وصله وإرساله ، فقال بعد أن أخرجه موصولًا : رواه ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلًا ، ورجح عدد من أهل العلم الإرسال .

س : ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : وتزودوا يا معشر الحجيج ويا معشر المسافرين من الطعام والشراب والزاد ما تبلغون به حجكم وترجعون به إلى دياركم ، واتقوا (أي : اجتنبوا) أذى الناس بسؤالكم إياهم ، فإن خير الزاد ما اتقى به المسافر أذى الناس ، وما اتقى به المسافر الهلكة .

فالتقوى على هذا القول : اتقاء الهلكة ، واتقاء أذى الناس بسؤالهم .

الثاني : وتزودوا من التقوى ، فإن التقوى هي خير زاد ، وكتوضيح لهذا القول الثاني قال بعض أهل العلم[1] : وتزودوا من التقوى للمعاد ، فإن الإنسان لا بد له من سفرٍ في الدنيا ، ولا بد فيه من زاد ، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب ، وسفر من الدنيا إلى الآخرة ، ولا بد فيه من زادٍ أيضًا ، وهو تقوى الله والعمل بطاعته واتقاء المحظورات ، وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول ، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها ، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة ، وفي هذا المعنى قال الأعشى :

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون مثله ... وأنك لم تُرصد لما كان أرصدا

الثالث : (ذكره القاسمي أيضًا) : وهو أن قوله تعالى : ﴿ وتزودوا ﴾ [البقرة : ١٩٧] أمر باتخاذ الزاد : هو طعام السفر ، وقوله : ﴿ فإن خير

(١) هذا اللفظ لفظ القاسمي في محاسن التأويل ، ونحوه عند الرازي في التفسير ، وقريب منه عند القرطبي رحمه الله .

الزاد التقوى ﴾ [البقرة : ١٩٧] إرشاد إلى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى إليها بعد الأمر بالزاد للسفر في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وريشًا ولباس التقوى ذلك خير ﴾ [الأعراف : ٢٦] لما ذكر اللباس الحسي نبَّه مرشدًا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة ، وذكر أنه خيرٌ من هذا وأنفع .

* * *

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ
لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

س : اذكر معنى كل مما يلي :

جناح – تبتغوا – فضلًا من ربكم – أفضتم ؟

ج :

الكلمـة	**معناهــــا**
جناح	إثم – حرج
تبتغوا	تطلبوا – تلتمسوا
فضلًا من ربكم	رزق من ربكم
أفضتم	رجعتم – والإفاضة سرعة الدفع

✹ ✹ ✹

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عُكاظٌ ومَجِنَّة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية فتأثَّموا أن يتجروا في المواسم ، فنزلت ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] في مواسم « الحج »[١] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحاج أن يبيع ويشتري ؟

ج : نعم يجوز له ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] وعلى هذا جماهير العلماء ، والله تعالى أعلم :

لكن قال بعض العلماء : إن تفرغ الحاج للحج وأعماله أفضل من الاشتغال بالتجارة ، وغاية ما في قوله تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] رفع الإثم والحرج عن من تاجر واكتسب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالمشعر الحرام ؟

ج : من أهل العلم من يقول : المشعر الحرام هو مزدلفة كلها[٢] ، ومنهم من يقول : إن المراد بالمشعر الحرام جبل موجود بمزدلفة والدليل يرجح

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٥١٩) .

(٢) أخرج الطبري ذلك بأسانيد صحيحة إلى ابن عمر رضي الله عنهما .

القول الثاني وذلك لما أخرجه مسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في وصفه لحجة رسول الله ﷺ ، وفيه .. حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحدٍ وإقامتين ولم يُسبِّح بينهما شيئًا ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلَّله ووحده فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا فدفع قبل أن تطلع الشمس .. الحديث .

ففي قوله : حتى أتى المزدلفة ... وقوله حتى أتى المشعر الحرام ما يدل على التغاير ، ويفيد أن المشعر الحرام جزءٌ من مزدلفة .

لكن على كل حال فلا يلزم الوقوف عند المشعر الحرام نفسه (في حالة اختيار أن المشعر الحرام هو الجبل) وذلك لقول النبي ﷺ : « وجمعٌ[2] كلها موقف »[3] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بذكر الله في قوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المراد بذكر الله هو ذكره بالتلبية والتكبير والتهليل والتوحيد والحمد والتسبيح ونحو ذلك .

---

(١) مسلم حديث (١٢١٨) .

(٢) جمع هي المزدلفة .

(٣) الحديث أخرجه مسلم (ص ٨٩٣) .

الثانـي : أن المـراد بذكـر الله الجمـع بيـن صلاتـى المغـرب والعشاء[1] والله تعالى أعلم .

* * *

س : كيف كان رسول الله ﷺ يسير في حجة الوداع حين دفع من عرفات إلى مزدلفة ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – وقد سئل كيف كان رسول الله ﷺ يسير حين أفاض من عرفة ؟ قال : كان يسير العَنَق[3] ، فإذا وجد فجوة[4] نصَّ[5] .

* * *

س : هل يصح الحج بدون الوقوف بعرفات ؟

ج : لا يصح الحج بدون الوقوف بعرفات لقول النبي ﷺ :« الحج عرفة »[6] .

* * *

---

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى : أجمع أهل العلم – لا اختلاف بينهم – أن السُّنة أن يجمع الحاج بجمعٍ بين المغرب والعشاء .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٦٦٦) ، ومسلم (ص ٩٣٦) .

(٣) العنق : هو السير الذي بين الإبطاء والإسراع .

(٤) الفجوة : المكان المتسع .

(٥) نصَّ : أي : أسرع .

(٦) صحيح أخرجه أحمد (٣٠٩/٤ ، ٣١٠ ، ٣٣٥) ، وأبو داود حديث (١٩٤٩) ، والترمذي (حديث ٨٨٩) ، والنسائي (٢٥٦/٥) ، وابن ماجه (حديث ٣٠١٥) ، وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه مرفوعًا . =

س : هل المبيت بمزدلفة ركن من أركان الحج لا يصح الحج إلا به ؟

ج : ذهب الجمهور من العلماء إلى أنه ليس ركنًا من أركان الحج ، نقل هذا عنهم القرطبي في تفسيره .

وقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) : قال علماؤنا : ليس المبيت بالمزدلفة ركنًا في الحج ، وقال الشعبي والنخعي : هو ركن لقوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ [البقرة : ١٩٨] وهذا لا يصلح لوجهين :

أحدهما : أنه ليس فيه ذكر المبيت ، وإنما فيه مجرد الذكر .

الثاني : أن النبي ﷺ بيَّن لعروة بن مضرس[١] إجزاء الحج مع الوقوف بعرفة دون المبيت بالمزدلفة .

قلت : لكن ذكر عددٌ من أهل العلم أنه واجب ، وأوجبوا على من تركه دم[٢] .

* * *

س : لماذا كرر الأمر بالذكر في قوله تعالى : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ [البقرة : ١٩٨] ؟

ج : كرر الأمر بالذكر تأكيدًا على أهمية ذكر الله عز وجل وتنبيهًا على عظيم نعم الله عز وجل وامتنانه .

= وهو من طريق سفيان الثوري عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر قال : محمد بن يحيى : ما أُرى للثوري حديثًا أشرف منه . (كما في سنن ابن ماجه) ، وعند الترمذي : قال سفيان بن عيينة : قلت لسفيان الثوري : ليس عندكم بالكوفة حديث أشرف ولا أحسن من هذا .

(١) حديث صحيح وقد تقدم .

(٢) وإن كان في مسألة إيجاب الدم نظر ليس هذا محل بسطه .

س : قوله تعالى : ﴿ وإن كنتم من قبلـه لمن الضآلين ﴾ [البقرة : ١٩٨] ضالون عن ماذا ؟

ج : ضالون عن الإيمان والتوحيد ، وضآلون عن ملة إبراهيم وطريقته عليه الصلاة والسلام في حجه وتوحيده لله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها(١) قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يُسمون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

وأخرج البخاري(٢) أيضًا من طريق عروة قال : كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحُمس ، والحُمس قريش وما ولدت – وكانت الحُمس يحتسبون على الناس ، يُعطي الرجلُ الرجلَ الثياب يطوفُ فيها ، وتُعطي المرأةُ المرأةَ الثياب تطوف فيها ، فمن لم يعطه الحُمسُ طاف بالبيت عُريانًا وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ويفيض الحُمسُ من جمع ، قال : وأخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحُمس : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسُ ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، قال : كان الناس يُفيضون من جمع فدفعوا إلى عرفات .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٢٠) .
(٢) البخاري (حديث ١٦٦٥) .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

الأول – وعليه أكثر أهل العلم – : أن المخاطبون بهذه الآية هم رسول الله ﷺ وقريش وما ولدت (وهم الذين كانوا يُسمون بالحُمس) ، فقد كانوا يذهبون من منى إلى مزدلفة ولا يصلون إلى عرفات ، كما قدمنا في سبب نزول الآية ، وكما أخرجه مسلم(١) في صحيحه من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ وفيها : (فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ...) .

فأفاد هذا الحديث أن قريشًا كانت لا تتجاوز المشعر الحرام (أي : مزدلفة) ، وهي متجهة من منى ، فلا تصل إلى عرفات ، ولكنها تقف في مزدلفة ، فإذا رجع الناس من عرفات رجعت قريش من مزدلفة ، فكان معنى الآية : ثم أنتم أيضًا يا معشر قريش (أو يا حُمس) سيروا مع الناس إلى عرفات وأفيضوا من عرفات كما يفيض سائر الناس ، وعلى هذا القول أكثر أهل العلم .

الثاني : أن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا ﴾ [البقرة : ١٩٩] خطاب لعموم الحجيج ، والمراد بالناس : إبراهيم ﷺ ، والمعنى : ثم أفيضوا يا معشر الحجيج من مزدلفة إلى منى كما أفاض إبراهيم ﷺ .

فإن قال قائل : فإن الله قال : ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، وإبراهيم ﷺ فرد واحد فكيف يجاب على هذا ؟ فيقال لسائل هذا

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) .

السؤال : إن الطبري رحمه الله أجاب على ذلك بقوله : إن العرب تفعل ذلك كثيرًا فتدل بذكر الجماعة على الواحد ، ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، والذي قال ذلك واحد ، وهو فيما تظاهرت به الرواية من أهل السير نعيم بن مسعود الأشجعي ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، قيل : عنى بذلك النبي ﷺ ، ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى .

قلت : وقد نُقل مثل هذا القول - وأن المراد بالناس إبراهيم عليه الصلاة والسلام - عن الضحاك .

● وقد أخرج البخاري(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالًا حتى يهل بالحج فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء غير إن لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج ، وذلك قبل يوم عرفة ، فإذا كان آخر يومٍ من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام ثم ليدفعوا من عرفات ، فإذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جمعًا الذي يتبرر فيه ثم ليذكروا الله كثيرًا أو أكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ثم أفيضوا فإن الناس كان يُفيضون ، وقال الله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٩٩] حتى ترموا الجمرة .

***

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٢١) .

س : كثيرًا ما يأتي الأمر بالاستغفار والحث عليه عند انتهاء الأعمال ، وضح ذلك ؟

ج : من ذلك أن النبي ﷺ في آخر حياته نزل عليه قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ [النصر : ١ - ٣] ، كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي »(١) .

● ونوح ﷺ بعد إغراق قومه قال : ﴿ ربِ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارًا ﴾ [نوح : ٢٨] .

● وفي الصحيحين(٢) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاءً أدعو به في صلاتي ، قال : « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني ؛ إنك أنت الغفور الرحيم » .

● وفي صحيح مسلم وعند النسائي والترمذي وأبي داود وابن ماجه(٣)

---

(١) في الصحيح (البخاري ٤٩٦٧) ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ [النصر : ١] ، إلا يقول فيها : « سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ») .

وفي الصحيحين أيضًا (البخاري مع الفتح ٢٨١/٢) ، و (مسلم مع النووي ٢٠١/٤) ، من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » .

(٢) البخاري حديث رقم (٨٣٤) ، ومسلم (مع النووي ٢٨/١٧) ، وقد أورد البخاري هذا الحديث تحت باب الدعاء قبل السلام .

قلت : وهذا الاستغفار يكون للتقصير الذي حصل في أداء العبادة ، والله أعلم .

(٣) مسلم (مع النووي ٨٩/٥) ، والنسائي (٦٨/٣) ، والترمذي (مع التحفة ١٩٥/٢) ، وأبو داود (٣٦١) ، وابن ماجه حديث (٩٢٨) ، واللفظ له .

من حديث ثوبان أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاث مرات ، ثم يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » .

● وأخرج أبو داود بإسناد حسن عن أبي برزة الأسلمي(١) قال : (كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ») ، فقال رجل : إنك لتقول قولًا ما كنت تقوله فيما مضى يا رسول الله ؟ فقال : « كفارة لما يكون في المجلس » .

● وقال تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أبو داود (٥/١٨٢) .

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

س : اذكر معنى كلٌ مما يلي : قضيتم – مناسككم – خلاق ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
قضيتم	أديتم – أنهيتم
مناسككم	ذبائحكم – أعمال حجّكم[1] – عبادتكم التي أمرتم بها
خلاق	نصيب

✸ ✸ ✸

(١) لقوله عليه الصلاة والسلام : « لتأخذوا مناسككم » .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن القوم كانوا إذا فرغوا من ذبائحهم ومن حجهم ومناسكهم يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم ، فأمرهم الله في الإسلام أن يكون ذكرهم بالثناء والشكر والتعظيم لربهم دون غيره ، وأن يُلزموا أنفسهم من الإكثار من ذكره نظيرًا ما كانوا ألزموا أنفسهم في جاهليتهم من ذكر آبائهم .

الثاني : استغيثوا بالله والجئوا إليه كما يستغيث الصغير بأبيه إذا مسه سُوء .

الثالث : عظِّموا الله وذُبُّوا عن حُرَمه ، وادفعوا من أراد الشرك في دينه ومشاعره كما تذكرون آباءكم بالخير إذا غضَّ أحد منهم وتحمون جوانبهم وتذبُّون عنهم .

الرابع : بعد كل عمل من أعمال الحج اذكروا الله عز وجل ، فبعد الإحرام اذكروه بالتلبية ، وعند رمي الجمار كبِّروه ، وعند الذبح اذكروا اسم الله على الذبيحة وكبِّروه أيضًا ، وكذلك فاذكروه عند الطواف وعند السعي وفي سائر أوقاتكم ، وبعد الفراغ من أعمالكم وقضاء نسككم .

الخامس : كما كنتم تحلفون بآبائكم في الجاهلية فلا تحلفوا إلا بالله عز وجل .

الساس : بعد إراقتكم للدماء اذكروا الله عز وجل في يوم النحر وأيام التشريق ، كما قال تعالى : ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ [البقرة : ١٨٥] ،

وكما قال النبي ﷺ : « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله »[1] .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول عندي في تأويل ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر عباده المؤمنين بذكره بالطاعة له ، في الخضوع لأمره ، والعبادة له ، بعد قَضاء مَناسكهم ، وذلك « الذكر » جائز أن يكون هو التكبير الذي أمَرَ به جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، الذي أوجبه على من قضى نُسكه بعد قضائه نُسكه ، فألزمه حينئذ مِنْ ذِكْره ما لم يكن له لازمًا قبل ذلك ، وحثَّ على المحافظة عليه مُحافظة الأبناء على ذكر الآباء في الإكثار منه ، بالاستكانة له ، والتضرع إليه ، بالرغبة منهم إليه في حوائجهم ، كتضرُّع الولد لوالده ، والصبي لأمه وأبيه ، أو أشد من ذلك ، إذ كان ما كان بهم وبآبائهم من نعمة فمنه ، وهو وليه .

وإنما قلنا : « الذكر » الذي أمر الله جل ثناؤه به الحاجَّ بعد قضاء مَناسكه بقوله : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا ﴾ [البقرة : ٢٠٠] : « جائزٌ أن يكون هو التكبير الذي وَصفنا » ، من أجل أنه لا ذكر لله أمَرَ العباد به بعد قَضاء مَناسكهم لم يكن عليهم من فرضه قبل قضائهم مناسكهم ، سوى التكبير الذي خَصَّ الله به أيام منى ، فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلومًا أنه جل ثناؤه قد أوجبَ على خلقه بعد قَضائهم مناسكهم من ذكره ما لم يكن واجبًا عليهم قبل ذلك ، وكان لا شيء من ذكره خَص به ذلك الوقت سوى التكبير الذي ذكرناه = كانت بَيِّنة صحة ما قلنا من تأويل ذلك على ما وصفنا .

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ١١٤١) ، من حديث نبيشة الهذلي رضي الله عنه مرفوعًا .

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم –: أن من الناس من يقصر دعواته في الحج على طلب متاع الدنيا وملذاتها الفانية فيحجون للمسألة وللدنيا فقط ، يقول قائلهم : اللهم أسقنا المطر ، وهب لنا من الإبل والغنم والنساء والديار والصحة والأولاد والمال وبارك لنا فيها ، ونحو ذلك من متاع الدنيا ، ولا يسأل ربَّه شيئًا من الجنة ونعيمها ، ولا يسأل ربَّه المغفرة لذنوبه ووضع أوزاره[1] ، ولا يسأل ربَّه تيسير الحساب والأمن من الفزع الأكبر ، ولا يسأل ربَّه أن يقيه النيران ، ويخفف عليه سكرات الموت ويهونها ، ولا يسأل ربَّه أن يجنبه المحارم والشبهات والآثام ، ولا يسأل ربَّه طهارة قلبه من الغل والأحقاد ونحو ذلك .....، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بحسنة الدنيا وحسنة الآخرة في قوله تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ؟

ج: أما المراد بحسنة الآخرة : فهي الجنة ، وقد نقل القرطبي الإجماع على ذلك[2] .

---

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن أبي وائل (٣٨٦٧) : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ﴾ [البقرة : ٢٠٠] هب لنا غنمًا ! هب لنا إبلًا ! ﴿ وما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

وأخرج أيضًا بإسنادٍ حسن عن قتادة (٣٨٧٣) ، في قوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ، فهذا عبدٌ نوى الدنيا لها عَمِل ولها نَصِب .

(٢) وقد قال بعض العلماء : إن المراد بحسنة الآخرة : العافية في الآخرة ، وهي تشمل الوقاية من النار ووراثة الجنة .

● أما حسنة الدنيا فمن العلماء من قال : إن المراد بها العافية في الدنيا[1] .

● ومنهم من قال : إن المراد بها : العلم ، والعبادة ، والرزق الطيب[2] .

● ومنهم من قال : إن المراد بها : الزوجة الصالحة .

والراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بحسنة الدنيا أعم مما ذُكر ، فيدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد من رزق هني واسع حلال ، وزوجة صالحة ، وولد تقر به العين ، وراحة ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة ، ويدخل فيه أيضًا العافية في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : من هم القائلون : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً

---

(١) أخرج الإمام مسلم (مع النووي ١٣/١٧) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ : « هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه ؟ » ، قال : نعم ، كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ، قال : فدعا الله له فشفاه .

(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح (٣٨٨١) ، إلى سفيان الثوري ، قال في هذه الآية ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، قال : الحسنة في الدنيا : العلمُ والرزق الطيب ، وفي الآخرة حسنة الجنة .

● وأخرج بإسناد صحيح (٣٨٨٢) ، عن ابن زيد ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، قال : فهؤلاء النبي ﷺ والمؤمنون .

وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ؟

ج : هؤلاء أهل الإيمان الذين حَجُّوا بيت الله الحرام ، ويدخل فيهم بالدرجة الأولى رسول الله ﷺ وأصحابه .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أكثر دعاء النبي ﷺ ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ : ﴿ ربنا[٢] آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أولئك الذين قالوا بعد قضاء مناسكهم : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، لهم نصيب من جنس ما كسبوا وفعلوا ، ولهم نصيب مما دعوا به .

وقال بعض العلماء : لهم نصيب من أجل ما كسبوا ، وهي كقوله تعالى : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] .

ومن العلماء من قال : إن (أولئك) ترجع إلى الفريقين : الفريق القائل : ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ، والفريق القائل : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٨٩) ، ومسلم (حديث ٢٦٩٠) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) في رواية « اللهم آتنا ...... » .

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ٢٠٣

س : ما هي الأيام المعدودات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيامٍ معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن المراد بهذه الأيام : أيام منى ، وهي أيام التشريق الثلاثة : (الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة) .

● وقد صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] ، وغيره من أهل العلم .

---

(١) أخرجه الطبري من طرق عن ابن عباس (أثر ٣٨٨٦ ، ٣٨٨٧ ، ٣٨٨٨ ، ٣٨٨٩ ، ٣٨٩٠ ، ٣٨٩١ ، ٣٨٩٢) .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن إبراهيم قال : الأيام المعدودات : أيام التشريق (أثر ٣٨٩٩) .

● وأخرج الطبري (٣٩٠١) ، بإسناد صحيح عن الحسن قال : الأيام المعدودات : الأيام بعد النحر .

● وكذلك أخرج الطبري (٣٩٠٢) ، بإسناد صحيح عن شعبة قال : سألت إسماعيل بن أبي خالد عن الأيام المعدودات قال : أيام التشريق .

● وأخرج أيضًا (٣٩٠٣) ، بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، كنا نحدَّث أنها أيام التشريق .

● وأخرج بإسناد صحيح عن مالك (٣٩٠٧) ، الأيام المعدودات : ثلاثة أيام بعد النحر .

وقد قال القرطبي رحمه الله تعالى : ولا خلاف بين العلماء أن الأيام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى ، وهي أيام التشريق ، وأن هذه الثلاثة الأسماء واقعة عليها .

قلت : نفى القرطبي الخلاف ، لكن هناك خلاف قد وقع في تحديدها ، =

● ومن العلماء من قال : إنها يوم النحر ويومان بعده ، وهذا القول ضعيف ، لقول الله تعالى : ﴿ فمَن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

وبيان ذلك أننا لو قلنا : إن الأيام المعدودات تبدأ من يوم النحر لجاز لشخص أن يتعجل وينصرف إلى أهله في اليوم الحادي عشر ، وهذا خطأ واضح .

ومما يؤيد أنها أيام التشريق حديث رسول الله ﷺ : « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله[1] » .

***

س : من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيامٍ معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟ وما المراد بالذكر فيها ؟

ج : قال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن)[2] : لا خلاف أن المخاطب به هو الحاج ، خوطب بالتكبير عند رمي الجمار ، فأما غير الحاج فهل يدخل فيه أم لا ؟ وهل هو أيضًا خطاب للحاج بغير التكبير عند الرمي ؟ فنقول : أجمع فقهاء الأمصار والمشاهير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على أن المراد به : التكبير لكل أحدٍ ، وخصوصًا في أوقات الصلوات ؛ فيكبِّر عند انقضاء كل صلاة ، كان المصلي في جماعة أو وحده يُكبِّر تكبيرًا ظاهرًا في هذه الأيام ....

= والصواب ما قدمناه ، وإنما أردنا بيان ضعف إطلاق القرطبي ، إذ نفى الخلاف ، والله أعلم .

(١) أخرجه مسلم كما تقدم من حديث نبيشة الهذلي .
وأخرجه أحمد أيضًا (مع زيادة) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .
ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ .

(٢) أحكام القرآن (١/٤٢) .

ثم قال رحمه الله : والتحقيق أن التحديد بثلاثة أيام ظاهر ، وأن تعيينها ظاهر أيضًا بالرمي ، وأن سائر أهل الآفاق تبعٌ للحاج فيها ، ولولا الاقتداء بالسلف لضعف متابعة الحاج من بين سائر أهل الآفاق إلا في التكبير عند الذَّبح ، والله عز وجل أعلم .

قلت (مصطفى) : التكبير عند الذبح وارد للحاج وغير الحاج ، ورمي الجمار خاصٌّ بالحج .

أما رفع الصوت بالتكبير دبر الصلوات فهل هو خاص بالحاج أو هو عام ؟

فلم أقف على دليل يفيدني ويوضح لي أن رسول الله ﷺ كان يخص أيام منى بالتكبير بعد الصلوات ، والذي يُمكن أن يستدل به في هذا الباب هو ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير ، وفي رواية أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ ، وقال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك .

هذا إذا حملنا حديث ابن عباس والتكبير المذكور فيه على أيام منى ، ويؤيده أن ابن عباس كان هو وأمه من المستضعفين بمكة وهو حملٌ قوي ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : هل تدخل التلبية في قوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيامٍ معدودات ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : الظاهر أنها لا تدخل ، وذلك لأن التلبية تنقطع بعد رمي جمرة العقبة

(١) أخرجه البخاري (حديث ٨٤١ ، ٨٤٢) ، ومسلم (مع النووي ٥/٨٣ ، ٨٤) .

والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ما زال يلبي حتى رمى جمرة العقبة . والله تعالى أعلم .

* * *

س : من العلماء من قال إن من أراد التعجل في يومين عليه أن يُغادر منى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر من ذي الحجة فإن بقي في منى حتى غربت الشمس ولم يخرج منها لزمه المبيت بها إلى أن يرمي جمرة يوم الثالث عشر من ذي الحجة ، هل لهذا القول دليل ؟

ج : دليل هذا القول هو : قوله تعالى : ﴿ فمن تعجل في يومين ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، واليوم يكون من الفجر حتى غروب الشمس ، فقوله : ﴿ تعجل في يومين ﴾ أي : أثناء النهار (نهار يوم الثاني عشر من ذي الحجة) .

وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة[2] قوله : ﴿ فمن تعجل في يومين ﴾ [البقرة : ٢٠٣] يقول : فمن تعجَّل في يومين أي : من أيام التشريق ، ﴿ فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، ومن أدركه الليل بمنى من اليوم الثاني من قبل أن ينفر فلا نفر له حتى تزول الشمس من الغد ، ومن تأخر فلا إثم عليه ، يقول : من تأخر إلى اليوم الثالث من أيام التشريق فلا إثم عليه .

ونقل القرطبي عن ابن المنذر قوله : وأجمع أهل العلم على أن لمن أراد الخروج من الحاجّ من منى شاخصًا إلى بلده خارجًا عن الحرم غير مقيم بمكة في النفر الأول أن ينفر بعد زوال الشمس إذا رمى في اليوم الذي يلي يوم النحر قبل أن يمسي ؛ لأن الله جل ذكره قال : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، فلينفر من أراد النفر ما دام في شيء من النهار .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٦٨٥) ، ومسلم (حديث ١٢٨١) .
(٢) الطبري (أثر ٣٩٢٢) .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم –: أن من رمى الجمرات في يوم الثاني عشر من ذي الحجة ثم انصرف من منى في نهار الثاني عشر راجعًا إلى بلاده – بعد طواف الوداع – فلا إثم عليه .

وكذلك من تأخر وبقي بمنى إلى يوم الثالث عشر من ذي الحجة فرمى الجمرات ثم انصرف فلا إثم عليه .

وفي قوله : فلا إثم عليه ، أقوال للعلماء :

أحدها : أنه لا حرج ولا جناح عليه في تعجله أو في تأخره فلا يقولن قائل : إن المتأخر آثم أو أن المتعجل آثم .

الثاني : أن المتعجل والمتأخر كلاهما يرجع وقد وضع عنه الإثم والوزر الذي كان قد ارتكبه في حياته ، إذا كان قد اتقى الله عز وجل في حجِّه واجتنب ما حرَّمه الله عليه .

ويشهد لهذا المعنى حديث(١) : « من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

* * *

س : وجه رفع الإثم عن المتعجل واضح ، فما وجه رفع الإثم عن المتأخر ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي وغيره بتوسع ، فقال رحمه الله :

قوله : ﴿ ومن تأخر فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] فيه إشكال ، وذلك لأنه إذا كان قد استوفى كل ما يلزمه في تمام الحج ، فما معنى قوله :

---

(١) صحيح وقد تقدم .

﴿ فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] فإن هذا اللفظ إنما يقال في حق المقصر ولا يقال في حق من أتى بتمام العمل .

(والجواب) من وجوه : (أحدها) أنه تعالى لما أذن في التعجل على سبيل الرخصة احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فإنه يأثم ، ألا ترى أن أبا حنيفة رضي الله عنه يقول : القصر عزيمة ، والإتمام غير جائز ، فلما كان هذا الاحتمال قائمًا ، لا جرم أزال الله تعالى هذه الشبهة وبين أنه لا إثم في الأمرين ، فإن شاء استعجل وجرى على موجب الرخصة وإن شاء لم يستعجل ولم يجر على موجب الرخصة ، ولا إثم عليه في الأمرين جميعًا (وثانيها) قال بعض المفسرين : إن منهم من كان يتعجل ، ومنهم من كان يتأخر ، ثم كل واحد من الفريقين يعيب على الآخر فعله ، كان المتأخر يرى أن التعجل مخالفة لسنة الحج ، وكان المتعجل يرى أن التأخر مخالفة لسنة الحج ، فبين الله تعالى أنه لا عيب في واحد من القسمين ولا إثم ، فإن شاء تعجل وإن شاء لم يتعجل (وثالثها) أن المعنى في إزالة الإثم عن المتأخر إنما هو لمن زاد على مقام الثلاث ، فكأنه قيل : إن إيام منى التي ينبغي المقام بها هي ثلاث ، فمن نقص عنها فتعجل في اليوم الثاني منها فلا إثم عليه ، ومن زاد عليها فتأخر عن الثالث إلى الرابع فلم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه (ورابعها) أن هذا الكلام إنما ذكر مبالغة في بيان أن الحج سبب لزوال الذنوب وتكفير الآثام وهذا مثل أن الإنسان إذا تناول الترياق ، فالطبيب يقول له : الآن إن تناولت السم فلا ضرر ، وإن لم تتناول فلا ضرر ، مقصوده من هذا بيان أن الترياق دواء كامل في دفع المضار ، لا بيان أن تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحدًا ، فكذا ههنا المقصود من هذا الكلام بيان المبالغة في كون الحج مكفرًا لكل الذنوب ، لا بيان أن التعجل وتركه سيان ، ومما يدل على كون الحج سببًا قويًا في

تكفير الذنوب قوله عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (**وخامسها**) أن كثيرًا من العلماء قالوا : الجوار مكروه ، لأنه إذا جاور الحرم والبيت سقط وقعه عن عينه ، وإذا كان غائبًا إزداد شوقه إليه ، وإذا كان كذلك احتمل أن يخطر ببال أحدنا على هذا المعنى أن من تعجل في يومين فحاله أفضل ممن لم يتعجل ، وأيضًا من تعجل في يومين فقد انصرف إلى مكة لطواف الزيارة وترك المقام بمنى ، ومن لم يتعجل فقد اختار المقام بمنى وترك الاستعجال في الطواف فلهذا السبب يبقى في الخاطر تردد في أن المتعجل أفضل أم المتأخر ؟ فبين الله تعالى أنه لا إثم ولا حرج في واحد منهما (**وسادسها**) قال الواحدي رحمه الله تعالى : إنما قال : ﴿ ومن تأخر فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] لتكون اللفظة الأولى موافقة للثانية ، كقوله : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقوله : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] ونحن نعلم أن جزاء السيئة والعدوان ليس بسيئة ولا بعدوان ، فإذا حمل على موافقة اللفظ ما لا يصح في المعنى ، فلأن يحمل على موافقة اللفظ ما يصح في المعنى أولى ، لأن المبرور المأجور يصح في المعنى نفي الإثم عنه .

* * *

س : اللام في قوله تعالى : ﴿ لمن اتقى ﴾ [البقرة : ٢٠٣] متعلقة بماذا ؟

ج : هذه اللام متعلقة بغفران الذنوب ، والمعنى ومن تأخر فلا إثم عليه ، وهذه المغفرة ورفع الإثم لمن اتقى ، ومن العلماء من قال : إن التقدير الإباحة لمن اتقى ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لمن اتقى ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن مغفرة الذنوب حاصلة لمن اتقى الله في حجه فلم يرفث ولم يفسق ولم يجادل جدال المراء ولم يفعل ما حرَّمه الله عليه وكرهه الله له ، فمن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه .

وهي أيضًا حاصلة لمن اتقى الله في بقية حياته فلم يشرك ولم يرتكب من المظالم ما يطغى على حسناته ويجلب له النار ، والله تعالى أعلم .

* * *

وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ
بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

س : ما معنى كلٍّ مما يلي :
ألد الخصام – تولى – سعى – أخذته العزة بالإثم – فحسبه – المهاد ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألد الخصام	شديد الخصومة – ذو جدال بالباطل – أعوج في خصومته فالألد : الأعوج ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وتنذر به قومًا لدًّا ﴾ [مريم : ٢٣] واللدود وضع الدواء في جانب الفم – فاجر في خصامه .
تولى	انصرف من عندك – خرج غضبانًا – أصبح واليًا
سعى	قصد – عمل – اجتهد – مشى
أخذته العزة بالإثم	العزة هي القوة والغلبة ومنه ﴿ وعزني في

الكلمـــة	معناهـــا
	الخطاب ﴾ [ص : ٩٧] أي غلبني بالحجة – والعزة أيضًا الحمية والمنعة . أخذته العزة أي لزمته كما يقال : أخذته الحمى أي لزمته ، وكما يقال : أخذه الكبر أي اعتراه الكبر وأخذته العزة بالإثم : حملته العزة على فعل المحرم
فحسبه	كافيه عقابًا وجزاء
المهاد	الفراش الذي يتمهد – وقيل العمل الذي يمهد به لنفسه لدخول النار

❋ ❋ ❋

س : من هم المعنِيُّون بقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ... ﴾ [البقرة : ٢٠٤] ؟

ج : هم أهل النفاق وأهل الكذب ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ ويُشهد الله على ما في قلبه .. ﴾ [البقرة : ٢٠٤] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أنه يستشهد الله عز وجل على ما في قلبه ، بمعنى أنه يدعي الادعاءات ويكذب الأكاذيب ويفتري الإفتراءات ثم يقول : والله على ما أقول شهيد ، أو يقول : والله يعلم أني صادق ، أو يقسم بالله على صدقه .

● ومن العلماء من قال إنه يبارز الله بما في قلبه من العصيان .

❋ ❋ ❋

س : ما مدى صحة حديث : « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصِم » ؟

ج : الحديث صحيح ، أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

❋ ❋ ❋

س : الأقوال المجردة عن العمل ليست دليلًا على صدق صاحبها ولا على كذبه حتى ينظر في عمله ، دلل على ذلك ؟

ج : الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٢٣) ، ومسلم (حديث ٢٦٦٨) .

في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ [البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥] .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلًا * انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثمًا مبينًا ﴾ [النساء : ٤٩ - ٥٠] .

* * *

س : فيم يتمثل إهلاك الحرث والنسل من هذا المفسد ؟

ج : يتمثل إهلاك الحرث في إتلاف الزراعات والنخيل والأشجار والأموال بالتحريق والتخريب والسلب والنهب ، ويتمثل إهلاك النسل بقتل النفس المحرمة من الأولاد والبنات والآباء والأمهات . ونتاج الدواب .

● ومن العلماء من قال إن المراد بالحرث - حرث بني آدم أي أولاد بني آدم ونساء بني آدم ، والنسل نسل الدواب .

● ومنهم من قال : إنه (أي هذا المتولي) بمعاصيه يتسبب في منع الرزق والمطر عن أهل الأرض مما يسبب إهلاكًا للحرث والنسل كما قال تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم : ٤١] والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما هي صور الإفساد التي يرتكبها هذا المفسد ؟

ج : تتمثل في كل أنواع الفساد إذ الآية الكريمة قد عمَّت ولم تخص شيئًا من الفساد فهو يسعى في الأرض بكل صور الفساد من قتل وسلب

ونهب وقطع طريق ونشر للرذيلة والوقيعة بين الناس وقطع الأرحام وإهلاك الحرث والنسل وسائر أنواع الشر والفساد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ﴾ [البقرة : ٢٠٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : وإذا قيل لهذا المنافق الذي نعت نعتَه لنبيه ﷺ وأخبره أنه يعجبه قوله في الحياة الدنيا : اتق الله وخَفْهُ في إفسادك في أرض الله ، وسعيك فيها بما حرَّم الله عليك من معاصيه وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم استكبر ودخلته عزة وحمية بما حرَّم الله عليه وتمادى في غيِّه وضلاله ، قال الله جل ثناؤه ، فكفاه عقوبة من غيه وضلاله صِلِيُّ نار جهنم ولبئس المهاد لصاليها .

● وقال ابن كثير رحمه الله : إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وفعاله وقيل له اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم أي بسبب ما اشتمل عليه من الآثام ...

❋ ❋ ❋

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

س : وضح معنى كلٍّ مما يأتي:

يشري – ابتغاء مرضاة الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
يشري	يبيع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وشروه بثمن بخس ﴾ [البقرة : ٢٠] أي باعوه
ابتغاء مرضاة الله	طلبًا لمرضاة الله

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ؟

ج : قال الحاكم رحمه الله (المستدرك)[١] :

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال : لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا فقال : لا تصلون إليَّ حتى أضع في كل رجلٍ منكم سهمًا ، ثم أصير بعدُ إلى السَّيف فتعلمون أني رجل ، وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم[٢] .

قال[٣] : وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس نحوه ونزلت على النبي ﷺ : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله .. ﴾ الآية [البقرة : ٢٠٧] فلما رآه النبي ﷺ قال : « أبا يحيى ربح البيع » قال : وتلا عليه الآية[٤] .

---

(١) المستدرك (٣٩٨/٣) .

(٢) هذا القدر مرسل لأن راويه عكرمة لم يدرك القصة ، لكن يشهد له القدر الذي بعده .

(٣) القائل هو سليمان بن حرب كما هو واضح .

(٤) صحيح على شرط مسلم ، وله شواهد أيضًا .

● هذا وقد أخرج الطبري (٤٠٠٣) بإسناد صحيح إلى محمد (وهو ابن سيرين) قال : حمل هشام بن عامر على الصف حتى خرقه فقالوا ألقى بيده ! فقال أبو هريرة : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

● وأخرج الطبري بإسناد حسن عن المغيرة قال : بعث عُمر جيشًا فحاصروا أهل حصن وتقدم رجل من بجيلة فقاتل حتى قُتل فأكثر الناسُ فيه يقولون : ألقى بيده إلى التهلكة ! قال فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : كَذبوا ! أليس الله عز وجل يقول : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ . (أثر ٤٠٠٤) .

وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

هذا ، وإن كان سبب نزول الآية خاصًّا إلا أنها تشمل كل مجاهد في سبيل الله ، كما قال الأكثرون فيما نقله عنهم الحافظ ابن كثير رحمه الله ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [براءة : ١١١] .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ؟

ج : يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : إن الله عز وجل وصف شاريًا نفسه ابتغاء مرضاته ، فكل من باع نفسه في طاعته حتى قتل فيها أو استقتل ، وإن لم يُقتل ، فمعنى قوله : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ في جهاد عدو المسلمين كان ذلك منه ، أو في أمرٍ بمعروفٍ أو نهي عن منكر(١) .

* * *

(١) من العلماء من ربط بين هذه الآية والتي تليها على النحو الذي يفهم مما يأتي :

قال ابن العربي (أحكام القرآن ص ١٤٥) : ويُروى أن عمر رضي الله عنه كان إذا صلى الصبح دخل مِرْبدًا له فأرسل إلى فتيان قد قرأوا القرآن منهم ابن عباس وابن أخي عنبسة فقرأوا القرآن فإذا كانت القائلة انصرفوا قال : فمروا بهذه الآية ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ، ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ [البقرة : ٢٠٧] فقال ابن عباس لبعض من =

س : وضح طرفًا من معنى قوله تعالى : ﴿ والله رءوف بالعباد ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ؟

ج : قال الرازي رحمه الله : أما قوله : ﴿ والله رءوف بالعباد ﴾ فمن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاءً على العمل القليل المنقطع ، ومن رأفته جوَّز لهم كلمة الكفر إبقاءً على النفس ، ومن رأفته أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، ومن رأفته ورحمته أن المُصِرَّ على الكفر مائة سنة إذا تاب ولو في لحظة أسقط كل ذلك العقاب وأعطاه الثواب الدائم ، ومن رأفته أن النفس له والمال ثم إنه يشتري ملكه بملكه فضلًا منه ورحمة وإحسانًا .

● **وقال الطبري رحمه الله :** والله ذو رحمة واسعة بعبده الذي يشري نفسه له في جهاد من حادَّه في أمره من أهل الشرك والفسوق ، وبغيره من عباده المؤمنين في عاجلهم وآجل معادهم فينجز لهم الثواب على ما أُبلوا في طاعته في الدنيا ، ويسكنهم جناته على ما عملوا فيها من مرضاته .

* * *

= كان إلى جانبه : اقتتل الرجلان فسمع عمر رضي الله عنه ما قال ، فقال : أي شيء قلت ؟ قال : لا شيء ، قال ماذا قلت ؟ قال : فلما رأى ذلك ابن عباس قال : أرى هذا أخذته العزة بالإثم من أمره بتقوى الله ، فيقول هذا : وأنا أشري نفسي ابتغاء مرضاة الله فيقاتله ، فاقتتل الرجلان فقال عمر : لله تِلَادك يا ابن عباس .

لكني لم أقف على إسناد هذا الأثر ، فالله أعلم .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ
فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

س : اذكر معنى هذه الكلمات : السلم – كافة – زللتم – البينات – ظُلل – الغمام – قضي الأمر ؟

ج :

الكلمـة	**معنـاهـــا**
السِّلْمِ	الإسلام
كافة	جميعًا
زللتم	تركتم الحق وخالفتم شرائع الإسلام – ضللتم – تنحيتم عن طريق الاستقامة ، امتنعتم عن الدخول في الإسلام
البينات	الحجج والبراهين الدالة على صحة أمر الإسلام – القرآن – محمد ﷺ
ظلل	جمع ظُلَّة
الغمام	السحاب (ومن العلماء من قال : إنه السحاب الأبيض ، لأنه يغمُّ أي : يستر)
قضي الأمر	وجب العذاب ، وفُرغ من الحساب

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

الأول : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في الإسلام جميعًا ، والمعنى اعملوا بكل شرائع الإسلام قدر استطاعتكم .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا (من أهل الكتاب ، ويا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولم يوقن قلبه بها ، ويا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله من قلبه صدقًا) ، ادخلوا كلكم في الإسلام .

الثالث : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في الإسلام بقلوبكم وجوارحكم .

الرابع : يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على الإسلام واعملوا بتعاليمه .

وأرجح هذه الأقوال : القول الأول .

- **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :**

يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله : أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك .

ثم قال رحمه الله : ومن المفسرين من يجعل قوله : ﴿ كافة ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، حالًا من الداخلين ، أي : ادخلوا في الإسلام كلكم ، والصحيح الأول وهو أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ، وهي كثيرة جدًا ما استطاعوا منها .

***

س : ما هو وجه تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ؟

ج : المراد – والله أعلم – بيان عزة الله عز وجل وحكمته وقدرته على الانتقام ممن عصاه وخالف أمره ، والتحذير من مخالفة أمره ، فهو سبحانه ذو عزةٍ لا يمنعه مانع من الانتقام منكم ، حكيم فيما يفعل بكم .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية : ﴿ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٠٩] دليل على العذر بالجهل ؟

ج : نعم في الآية دليل على العذر بالجهل ، وعلى أن المؤاخذة بالذنب لا تحصل إلا بعد البيان ، وإزاحة العلة لقوله تعالى : ﴿ فإن زللتم من بعد ما جآءتكم البينات ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فإن زللتم من بعد ما جآءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله تعالى** : يعني بذلك جل ثناؤه : فإن أخطأتم الحق فضللتم عنه وخالفتم الإسلام وشرائعه من بعد ما جآءتكم حُجحجي وبيِّنات هداي ، واتضحت لكم صحة أمر الإسلام بالأدلة التي قطعت عذركم أيها المؤمنون ؛ فاعلموا أن الله ذو عزةٍ لا يمنعه من الانتقام منكم مانع ، ولا يدفعه عن عقوبتكم على مخالفتكم أمره ومعصيتكم إياه دافع ، حكيم فيما يفعل بكم من عقوبته على معصيتكم إياه بعد إقامته الحجة عليكم ، وفي غيره من أموره .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّهُ في ظُلَلٍ من الغمامِ والملائكةُ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ [البقرة : ٢١٠] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – ماذا ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمدٍ ﷺ التاركون لدينه المخالفون لشريعته ، الساعون في الأرض بالفساد المتبعون لخطوات الشيطان ، هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام (وذلك يوم القيامة) ، وهل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة ، وحينئذ يحل عليهم العذابِ ويقع عليهم ولا يجدون حينئذ من يدفع عنهم شيئًا من ذلك فالأمور كلها مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى .

● والقراءة في (الملائكةُ) بالرفع ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفًّا صفًا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وكقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . والله تعالى أعلم .

* * *

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾

س : اذكر معاني هذه الكلمات :

سل - يبدل نعمة الله ؟

ج :

الكلمة	معناها
سل	اسأل ، كقوله ﴿ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴾ [القلم : ٤٠]
يبدل نعمة الله	يكفر بها - يغير صفة محمد ﷺ(١)

* * *

(١) هذا على رأي من ذهب إلى أن المراد بنعمة الله هو محمد ﷺ .

س : ما هو الغرض من سؤال النبي ﷺ بني إسرائيل عن الآيات البينات التي آتاهم الله إياها ؟

ج : الغرض من السؤال – والله أعلم – ما يلي :

● توبيخ بني إسرائيل وتقريعهم ، فبعد أن آتاهم الله الآيات البينات كفروا أيضًا ولم يحمدوا الله ويشكروا له على هذه الآيات .

● تذكيرهم بنعم الله عليهم .

● تصبير النبي ﷺ حتى يتأسى بالأنبياء قبله ويصبر كما صبروا فإن الأنبياء قبله أتوا أممهم بالآيات البينات والحجج الواضحات الدالة على صدق رسالتهم ومع ذلك كذبتهم أممهم فصبرت الرسل على تكذيب أممها فليكن لك يا محمد في هؤلاء الرسل أسوة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الآيات التي آتاها الله عز وجل بني إسرائيل ؟

ج : من هذه الآيات العصا – تظليل الغمام عليهم – إنزال المن والسلوى عليهم – فلق البحر لهم – الحجر الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينًا – نتق الجبل فوقهم كأنه ظُلَّة – تكليم الله لنبيهم موسى عليه السلام – إنزال التوراة اليد التي تخرج بيضاء للناظرين من غير سوء .

* * *

س : ما المراد بنعمة الله في قوله تعالى : ﴿ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جآءته ... ﴾ [البقرة : ٢١١] ؟

ج : المراد – والله أعلم – بنعمة الله ما يلي :

١ – الآيات التي آتاها الله بني إسرائيل .

٢ – حجج الله عز وجل الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ .

٣ – الإسلام .

٤ – كل نعمة أنعم الله بها على العباد ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا ذُكِّر قوله : ﴿ زُيِّن ﴾ ولم يُقَل : (زُيِّنت) ؟

ج : بعض العلماء قدَّر في الآية محذوفًا وهو (حب) فيكون السياق زيِّن للذين كفروا حبُّ الحياة الدنيا ، وعلى ذلك فلا إشكال .

ومنهم من التمس أوجهًا أُخر ، فقال الرازي في التفسير :

- إنما لم يقل زينت لوجوهٍ .

- **أحدها** : وهو قول الفراء : إن الحياة والإحياء واحد فإن أنَّث فعلى اللفظ وإن ذكَّر فعلى المعنى كقوله : ﴿ فمن جآءه موعظة من ربه ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وكقوله : ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ﴾ [هود : ٦٧] .

وثانيها : وهو قول الزجاج : إن تأنيث الحياة ليس بحقيقي لأنه ليس حيوانًا بإزائه ذكر مثل امرأة ورجل ، وناقة وجمل بل معنى الحياة والعيش والبقاء واحد فكأنه قال : زين للذين كفروا الحياة الدنيا والبقاء .

وثالثها : وهو قول ابن الأنباري : إنما لم يقل زينت لأنه فصل بين زُيِّن وبين الحياة الدنيا ، بقوله : ﴿ للذين كفروا ﴾ [البقرة : ٢١٢] ، وإذا فصل بين فعل المؤنث وبين الاسم بفاصلٍ حسن تذكير الفعل ، لأن الفاصل يغني عن تاء التأنيث . والله تعالى أعلم .

* * *

س : دأب أهل الكفر باضطراد هو السخرية من الذين آمنوا ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضآلون ﴾ [المطففين : ٢٩ - ٣٢] .

● وقوله تعالى : ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

● وقوله تعالى - في شأن نوح عليه السلام -: ﴿ وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ﴾ [هود : ٣٨] .

● وقول قوم شعيب لشعيب عليه السلام على وجه السخرية : ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ [هود : ٨٧] .

● وقول المشركين لرسول الله ﷺ : ﴿ يا أيها الذي نُزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ [الحجر : ٦] .

● وسخرية أهل النفاق من أهل الإيمان كما في قوله تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ﴾ [براءة : ٧٩] .

* * *

س : ما هو وجه سخرية الكفار من المؤمنين في هذا المقام ؟

ج : سخريتهم منهم لعدم حرصهم على الدنيا وعدم التفاتهم إليها وعدم تكالبهم عليها .

ويسخرون منهم أيضًا لاتباعهم النبي ﷺ .

ويسخرون منهم كذلك لتصديقهم بالآخرة والبعث والجزاء . والله أعلم .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾ [البقرة : ٢١٢] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني بذلك جل ثناؤه : زيِّن للذين كفروا حبُّ الحياة الدنيا العاجلة اللذات ، فهم يبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة وَيطلبون فيها الرياسات والمباهاة ويستكبرون عن اتباعك يا محمد والإقرار بما جئت به من عندي .تعظُّمًا منهم على من صدَّقك واتبعك ، ويسخرون بمن تبعك من أهل الإيمان والتصديق بك في تركهم المكاثرة والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الرياش والأموال بطلب الرياسات وإقبالهم على طلبهم ما عندي برفض الدنيا وترك زينتها ، والذين عملوا لي وأقبلوا على طاعتي ورفضوا لذات الدنيا وشهواتها اتباعًا لك وطلبًا لما عندي واتقاءً منهم بأداء فرائضي وتجنُّب معاصيَّ فوق الذين كفروا يوم القيامة بإدخال المتقين الجنة ، وإدخال الذين كفروا النار .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالفوقية في قوله تعالى : ﴿ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾ [البقرة : ٢١٢] ؟

ج : المراد – والله أعلم – أن الذين اتقوا في الجنان ، والذين كفروا في النيران أو بمعنى آخر ، أن الذين اتقوا في الغرفات ، والكفار في الدرك الأسفل من النار ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لمَ قال الله تعالى : ﴿ من الذين آمنوا ﴾ ثم قال : ﴿ والذين اتقوا ... ﴾ [البقرة : ٢١٢] ؟

ج : **أجاب على ذلك الرازي بقوله :** ليظهر به أن السعادة الكبرى لا تحصل إلا للمؤمن التقي ، وليكون بعثًا للمؤمنين على التقوى . والله أعلم .

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّـرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

س : ما معنى : بغيًا – هدى ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
بغيًا	تعدِّيًا – ظُلمًا – حسدًا
هدى	أرشد

❋ ❋ ❋

س : من المراد بـ ﴿ الناس ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ [البقرة : ٢١٣] وما المراد بالأمة هنا ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :

أولها : وهو رأي الجمهور – وهو الذي تطمئن إليه النفس – أن المراد بالناس: الناس الذين هم بين آدم ونوح عليهما السلام ، فسار هؤلاء على التوحيد من عهد آدم إلى أن انتشر الشرك في عهد نوح فبعث نوح عليه السلام وهو أول رسول إلى أهل الأرض .

والمراد بالأمة هنا الدِّين .

الثاني : أن المراد بـ ﴿ الناس ﴾ آدم عليه السلام ، والمراد بالأمة الطاعة ، والمعنى كان آدم عليه السلام طائعًا لله وحده .

الثالث : أن المراد بـ ﴿ الناس ﴾ كل الناس ، والأمة هي التوحيد ، والمعنى كان الناس – يوم استخرجهم الله من صلب آدم عليه السلام – مقرين بالتوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ... ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الحامل لكم على أن تقولوا : إن قوله : ﴿ أمة واحدة ﴾ [البقرة : ٢١٣] أي على التوحيد ولا تقولوا أمة واحدة على الشرك ؟

ج : **الحامل لنا على ذلك** : هو قول الله عز وجل في الحديث القدسي : « ... وإني خلقت عبادي حُنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمرتهم أن يشركوا

بي ما لم أُنزل به سلطانًا ... »[1] .

وقول النبي ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجسانه .. » الحديث[2] .

***

س : ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وهل الكتاب يحكم ؟

ج : المراد الكتب ، والمعنى وأنزل مع كل نبي منهم كتاب والكتاب إنما يُحكَم به ، ولكن المعنى ليحكم النبي بالكتاب ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالكتاب هنا التوراة ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [المائدة : ٤٤] .

***

س : الهاء في قوله : ﴿ فيه ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، وفي قوله : ﴿ أوتوه ﴾ [البقرة : ٢١٣] ترجع إلى ماذا؟

ج : الهاء في قوله : ﴿ فيه ﴾ ترجع إلى الحق ، وفي قوله : (أوتوه) ترجع إلى الكتاب .

***

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته ... فذكره .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٧٧٥) ، وقال البخاري هناك : والفطرة : الإسلام ، ومسلم (حديث ٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جآءتهم البينات بغيًا بينهم ﴾ [البقرة : ٢١٣] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – وما اختلف في الحق إلا الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ، ولم يكن اختلافهم هذا عن جهلٍ منهم ، وإنما كان اختلافهم بعد ما جاءتهم البينات تعديًا من بعضهم على بعض وظلمًا من بعضهم لبعض وحسدًا من بعضهم لبعض .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : فمعنى قوله جل ثناؤه : ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جآءتهم البينات بغيًا بينهم ﴾ [البقرة : ٢١٣] من ذلك يقول : لم يكن اختلاف هؤلاء المختلفين من اليهود من بني إسرائيل في كتابي الذي أنزلته مع نبيي عن جهل منهم به ، بل كان اختلافهم فيه وخلافُ حكمه من بعد ما ثبتت حجته عليهم بغيًا بينهم طلب الرياسة من بعضهم على بعض واستذلالًا من بعضهم لبعض . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الشيء الذي هدى الله الذين آمنوا إليه بعد اختلاف أهل الكتاب فيه ؟

ج : أجمع قولٍ في ذلك هو ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح[1] عن ابن زيد في قوله : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا ﴾ [البقرة : ٢١٣] للإسلام ، واختلفوا في الصلاة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس فهدانا للقبلة ، واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض يوم وبعضهم بعض ليلة ، وهدانا الله له ، واختلفوا في يوم الجمعة[2] فأخذت اليهود

---

(١) الطبري أثر (٤٠٦١) .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٨٧٦) ، ومسلم (حديث ٨٥٥) من حديث أبي هريرة .

السبت وأخذت النصارى الأحد فهدانا الله له ، واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود : كان يهوديًا ، وقالت النصارى : كان نصرانيًا فبرأه الله من ذلك وجعله حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين للذين يدّعونه من أهل الشرك ، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لِفِرْية وجعلته النصارى ربًّا ، فهدانا الله للحق فيه فهذا الذي قال جل ثناؤه : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

***

س : ما مدى صحة حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » ؟

ج : الحديث أخرجه مسلم في صحيحه[1] من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير ، ورواية عكرمة عن يحيى ضعيفة مضطربة ، وقد أعله الحافظ أبو الفضل الهروي في كتابه علل أحاديث في صحيح مسلم . والله أعلم .

***

= رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فُرِض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع : اليهود غدًا والنصارى بعد غدٍ » .

(١) حديث رقم (٧٧٠) .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ
أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

س : وضح معاني هذه الكلمات :

أم حسبتم – لما يأتكم – مثل – خلوا – البأساء – الضراء ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
أم حسبتم	أفحسبتم – أفظننتم
لما يأتكم	لم يأتكم
مثل	شبه
خلوا	مضوا
البأساء	الفقر – الشدة – البؤس
الضراء	الآلام – الأسقام – الأوجاع – الأمراض

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم .. ﴾ [البقرة : ٢١٤] ؟

ج : الآية هي ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ٢ ، ٣] .

* * *

س : هل أصاب المؤمنين على عهد رسول الله ﷺ مثل ما أصاب الذين من قبلهم ؟ دلل على ذلك ؟

ج : نعم أصابهم مثل ما أصاب الذين من قبلهم ، قال تعالى : مبينًا حال المؤمنين يوم أن تكالبت عليهم الأحزاب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جآءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا * إذ جآءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا ... ﴾ [الأحزاب : ٩ - ١١] .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ [البقرة : ٢١٤] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : معنى الكلام : أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة ولم يصبكم مثل ما أصاب مَن قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار فتبتلوا بما ابتلوا واختبروا به من (البأساء) ، وهو شدة الحاجة والفاقة ، و (الضراء) ، وهي العلل والأوصاب ، ولم تزلزلوا زلزالهم - يعني : ولم يصبهم من

أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهد حتى يستبطىء القوم نصر الله إياهم فيقولون : متى الله ناصرنا ؟

ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريب وأنه مُعِليهم على عدوهم ومظهرهم عليه فنجَّز لهم ما وعدهم ، وأعلى كلمتهم وأطفأ نار حرب الذين كفروا .

● وقال القاسمي رحمه الله (محاسن التأويل) : مستهم ﴿ البأساء والضراء ﴾ [البقرة : ٢١٤] أي : الشدائد والآلام ، ﴿ وزلزلوا ﴾ [البقرة : ٢١٤] أي : أزعجوا مما دهمهم من الأهوال ، والإفزاع : إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزلزلة التي تكاد تهدُّ الأرض وتدك الجبال ﴿ حتى يقول الرسول ﴾ [البقرة : ٢١٤] أي : انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضَجر إلى أن يقول الرسول – وهو أعلم الناس بشئون الله تعالى وأوثقهم بنصره وداعيهم إلى الصبر ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ [البقرة : ٢١٤] – وهم الأثبت بعده ، العازمون على الصبر ، الموقنون بوعد النصر ﴿ متى نصر الله ﴾ [البقرة : ٢١٤] استبطاءً له واستطالة لمدة الشدة والعناء ، فيقال لهم : ﴿ ألا إنّ نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤] كما قال تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا ﴾ [الشرح : ٥ ، ٦] أي : فاصبروا كما صبروا تظفروا .

* * *

س : اذكرِ طرفًا مما ابتلي به من كان قبلنا ؟

ج : من ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ، قال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٦١٢) .

فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه » .

● وفي حديث صهيب عن رسول الله ﷺ في قصة أصحاب الأخدود عند مسلم[1] ؛ فذكر النبي ﷺ الحديث وفيه ... « فأمر[2] بالأخدود في أفواه السكك فخدَّت وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمه اصبري فإنك على الحق » .

* * *

(١) مسلم (حديث ٣٠٠٥) .
(٢) أي : الملك .

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢١٥

س : ما معنى : خير ؟

ج :

الكلمـة	معناهـا
خيرٍ	مال ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ [العاديات : ٨]

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنفقة في قوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾ [البقرة : ٢١٥] ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : إن المراد بها صدقة التطوع ، والله أعلم .

***

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون ... ﴾ [البقرة : ٢١٥] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - يسألك أصحابك يا محمد أي شيء ينفقون وعلى من يتصدقون ، قل : المال الذي تنفقونه فأنفقوه على الوالدين ، والأقربين ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فإن الله يعلمه ويثيبكم عليه .

***

س : اذكر بعض الأحاديث في معنى قوله تعالى : ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين ﴾ [البقرة : ٢١٥] ؟

ج : من هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ قال : « أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك »[1] .

● ومنها قول النبي ﷺ لأبي طلحة لما أراد أن يتصدق ببيرحاء : « أرى أن تجعلها في الأقربين »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٩٧٤) ، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٩٧١) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٦١) ، ومسلم (٩٩٨) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

س : هل يُقدم الوالدان والأقربون على غيرهم في النفقة في كل الأحوال ؟

ج : في الأمر تفصيل ، فإذا كان غيرهم في حاجة أمسّ وأشد ، وكان الوالدان في حالة استغناء ، فغيرهم من أهل الحاجة الماسة أولى في الإنفاق ، أما إذا كان الوالدان في حالة احتياج أو تساووا مع غيرهم ، أو كان برُّهم لا يتأتى إلا بالإنفاق ، فحينئذٍ يُقدم الوالدان على غيرهم في الإنفاق ، والله أعلم .

* * *

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦ ﴾

س : على من كُتب القتال ؟

ج : اختار الطبري رحمه الله أنه على كل واحد حتى يقوم به من في قيامه الكفاية ، فيسقط فرض ذلك حينئذٍ عن باقي المسلمين ، كالصلاة على الجنائز ، وغسلهم الموتى ودفنهم ، قال : وعلى هذا عامة علماء المسلمين ، واحتج له الطبري بالإجماع وبقوله تعالى : ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلًّا وعد الله الحسنى ﴾ [النساء : ٩٥] ، فأخبر جل ثناؤه : أن الفضل للمجاهدين وأن لهم وللقاعدين الحسنى ، ولو كان القاعدون مضيِّعين فرضًا لكان لهم السُّوأى لا الحسنى .

❋ ❋ ❋

س : قد يحصل للمسلم أمور يكرهها ، أو يكلف بتكاليف يكرهها وهي تحمل كل الخير ، كما قال تعالى : ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، اذكر أدلة أخرى في هذا الباب ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شرًّا لكم بل هو خيرٌ لكم ... ﴾ [النور : ١١] .

وقوله تعالى في شأن النساء : ﴿ ... فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا ﴾ [النساء : ١٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الخيرية في قتال الأعداء ؟

ج : من وجوه الخيرية في ذلك ما يلي :

١ – ردع العدو عن التفكير في غزو المسلمين ، فإن العدو إذا علم أن المسلمين يجنحون إلى الدَّعة والسكون استولى عليهم ، وأنزل بهم بأسه ، واستباح نساءهم ، وأموالهم ، ودماءهم ، وأولادهم .

٢ – القتال سَبب للأمن ، فإذا علم عدوك أنك مقاتله انكف عنك فحدث لك الأمن .

٣ – السرور العظيم بالاستيلاء على الأعداء ، والفرح بالغنيمة .

٤ – الثواب العظيم الذي يحصل للمجاهد يوم القيامة .

٥ – الأمن من الفزع الأكبر ، واتقاء فتنة القبر .

* * *

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

س : وضح معانى هذه الكلمات :

صدٌّ - الفتنة - يرتدد - حبطت ؟

ج :

الكلمة	معناها
صدٌّ	منع
الفتنة	الشرك - صدُّ الناس عن دينهم - تعذيب الناس للرجوع إلى الكفر
يرتدد	يرجع
حبطت	ذهب ثوابها - بطلت

س : هل النهي عن القتال في الأشهر الحُرم منسوخ ، أم غير منسوخ ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن النهي عن القتال في الأشهر الحُرم منسوخ ، ورأوا جواز القتال في الأشهر الحرم ، ولكنهم اختلفوا في الناسخ ما هو .

● ومن أهل العلم مَن قال : إنها محكمة ليست منسوخة .

● واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمِّين البيت الحرام .... ﴾ [المائدة : ٢] .

● وبقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير ... ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

● واحتجوا أيضًا بحديث جابر(١) رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى ، أو يغزو حتى إذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ .

وقال هذا الفريق من العلماء : إن القتال على قسمين : قتال ابتداء ، وهذا لا يجوز في الأشهر الحرم ، وقتال الدفع ، وهذا جائز - وقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على جوازه في الأشهر الحرم ، وفي غيرها ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س :ما هو غرض الكفار من قتال المؤمنين ؟

ج : غرضهم ردُّ المسلمين عن دينهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

---

(١) أخرجه الطبري (٤٠٨١) ، وغيره ، وقد تقدم ، وإسناده صحيح .

● وكما قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

● وكما قال سبحانه : ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٢٧] .

* * *

س : ما هو وجه جر اللام في قوله تعالى : ﴿ قتالٍ ﴾ [البقرة :٢١٧] ؟

ج : وجه ذلك : أن في الآية الكريمة مقدرًا محذوفًا ، وهو (عن) ، والمعنى : يسألونك عن الشهر الحرام عن قتالٍ فيه ، والله أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ قل قتالٌ فيه كبير ﴾ [البقرة : ٢١٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – قل يا محمد : إن القتال في الشهر الحرام ، وسفك الدماء فيه جرمٌ كبير وإثمه عظيم ، والله أعلم .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه .... ﴾ [البقرة : ٢١٧] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : يسألك الناس يا محمد (ومحتمل أن يكون السائلون هم المؤمنين ، ومحتمل أن يكون السائلون هم الكفار) عن القتال في الشهر الحرام هل هو جائز ، أو هو محرم ، فقل لهم : إن القتال في الشهر الحرام إثمه كبير ، وذنبه عظيم ، ولكن يا معشر قريش كيف تستعظمون علينا أننا قاتلنا في الشهر الحرام ، وما فعلتموه أنتم من الصد عن سبيل الله لمن أراد الإسلام ، وما فعلتموه من الكفر بالله ، وما فعلتموه من إخراج النبي

والمؤمنين من البلد الحرام ، والمسجد الحرام أكبر جرمًا وأعظم إثمًا وأقبح ذنبًا عند الله من القتال في الشهر الحرام ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ ﴿ الشهر الحرام ﴾ [البقرة : ٢١٧] ؟

ج : المراد به – والله أعلم – الجنس ، أي أن المراد : الأشهر الحرم كلها ، وقد تقدم بيانها ، وأنها ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بحبوط الأعمال في الدنيا ، وما المراد بحبوطها في الآخرة ؟

ج : أما المراد بحبوط الأعمال في الدنيا فيتمثل في الآتي – والله أعلم – :

● أن الأمان يرفع عن المرتد وعن أمواله ؛ فيكون حلال الدم والمال بعد أن كان محقون الدم والمال .

● أن زوجة المرتد تبين منه ، ولا يستحق الميراث من المؤمنين ، ولا يرثونه .

● أن المحبة التي كانت له في قلوب المؤمنين تنزع .

● أن ما يريدونه بعد الردة من الإضرار بالمؤمنين والكيد لهم لا يتحقق ، بل يبطل كيدهم ويخيب سعيهم .

● أما حبوط الأعمال في الآخرة ؛ فهو ذهاب ثواب ما عملوه من أعمال صالحة ، وضياع أجرها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : في الآية الكريمة : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ... ﴾ [البقرة : ٢١٨] ، دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد الأخذ بالأسباب ، وعلى أن العبد لا ينبغي أن يعتمد على تلك الأسباب والأعمال بل يعملها ويرجو رحمة الله ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن أهل الإيمان رجوا رحمة الله عز وجل ، وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ؛ فمع رجائهم رحمة الله هاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله .

وأيضًا مع كونهم آمنوا ، وهاجروا وجاهدوا ، لم يعتمدوا على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم ، بل رجوا رحمة ربهم عز وجل ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ [المؤمنون : ٦٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا * والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا ... ﴾ [الفرقان : ٦٣ - ٦٥] ، والله أعلم .

***

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

س : وضح معنى هذه الكلمات :
الميسر - العفو - لأعنتكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
الميسر	القمار - وقيل : يدخل معه كل الملاهي
العفو	الفضل - الزيادة - المتيسر - الوسط من أموالكم
لأعنتكم	أوقعكم في العنت وهو المشقة

✱ ✱ ✱

س : ما المراد بالخمر ؟

ج : صح عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال : والخمر ما خامر العقل[(١)] .

● وقال فريق من أهل العلم : كل شراب أسكر فهو خمر .

● وقال الطبري رحمه الله : الخمر كل شراب خمَّر العقل فستره وغطى عليه .

● وقالَ أيضًا : وما خامر العقل من داء وسُكْـر فخالطه وغمره فهو خمر ، ومن ذلك خمار المرأة ، وذلك لأنها تستر به رأسها فتغطيه .

قلت : ومنه قول عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك : (.. فخمرت وجهي بجلبابي)[(٢)] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « خمروا آنيتكم »[(٣)] ، أي : غطوها ، والله أعلم .

***

س : ما المراد بالميسر ؟

ج : قال بعض أهل العلم : الميسر هو القمار .

● ونقل القرطبي رحمه الله عن مالك : الميسر ميسران : ميسر اللهو ، وميسر القمار ، فمن ميسر اللهو النَّرد والشطرنج والملاهي كلها ، وميسر القمار ما يتخاطر الناس عليه .

● وقال ابن سعدي في تفسيره : وأما الميسر فهو كل المغالبات التي

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٥٨٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (حديث ٢٧٧٠) من حديث عائشة .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨٨/١٠) ، ومسلم (مع النووي ١٨٣/١٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

يكون فيها عوضٌ من الطرفين من النرد والشطرنج ، وكل مغالبة قولية أو فعلية تعوض بعوض سوى مسابقة الخيل والإبل والسهام فإنها مباحة لكونها معينة على الجهاد فرخص فيها الشارع .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور الإثم الكبير والمنافع الموجودة في الخمر والميسر ؟

ج : من صور الإثم الموجودة في الخمر ، ابتعاد شاربها عن معرفة ربِّه عز وجل أثناء شربها[1] وأثناء سُكْره وتركه فرائض الله عز وجل ووقوعه في محارمه ، وارتكاب الفواحش والرذائل ، ومن ثمَّ يكون عرضة لارتكاب الفواحش والرذائل ثم هي سبب للقتل والقتال بين الناس وجلب سخريتهم من شاربها وإيقاع العدواة والبغضاء بينهم كما قال الله تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩١] .

● ومن صور الإثم الموجود في الميسر : إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس لكون أحد المقامرين يأخذ مال صاحبه بغير حق ويسطو على بيته وعلى امرأته كذلك .

● أما منافع الخمر فمنها ما كان يتأتى من ورائها من أرباح في تجارتها ، ومن بعض اللذة المتحصلة بسبب شربها .

● ومن منافع الميسر : كون المال يجلب لبعضهم من غير تعب وأيضًا كانوا أحيانًا يذبحون ما يتقامرون عليه فيأكلون منه ويطعمون ذوي الحاجة منهم أحيانًا ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ، أخرجه البخاري (حديث ٦٧٧٢) ، ومسلم (حديث ٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س : ما هي أصرح آية في تحريم الخمر ؟

ج : هي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] .

***

س : اذكر بعض الآيات الواردة في شأن الخمر ؟

ج : من هذه الآيات ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا ﴾ [النحل : ٦٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة : ٢١٩] .
- وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء : ٤٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ [المائدة : ٩٠] .

***

س : هل يستفاد من هذه الآية إباحة الخمر ؟

ج : لا يستفاد من الآية الكريمة إباحة الخمر[1] ، بل قد استنبط منها

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٤١٥٠) بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، فذمَّهما الله و لم يحرمهما =

بعض العلماء تحريم الخمر ، قالوا : ووجه ذلك أن الله عز وجل قال في هذه الآية في الخمر والميسر : ﴿ وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، وقال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ قل إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، قالوا : فحرَّم الله الإثم فلما كان الإثم في الخمر والميسر أكبر من النفع ، وكانت الأحكام إنما تجري على الغالب دل ذلك على تحريم الخمر والميسر .

وعلى فرض أنه يستفاد من الآية إباحة الخمر والميسر ، فذلك منسوخ بقوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ... ﴾ [المائدة : ٩٠] ، وأيضًا فقد أقام النبي ﷺ الحدَّ على شارب الخمر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بالعفو في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ [البقرة : ٢١٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

● **الأول** : أن المراد بالعفو الزيادة والفضل ، فرأى أصحاب هذا القول أن الشخص يخرج ما زاد عن حاجته ، ومنهم من رأى أن إنفاق هذه الزيادة كان واجبًا[1] ثم نسخ بالزكوات المفروضة .

= لما أراد أن يبلغ بهما من المدة والأجل ، ثم أنزل الله (في سورة النساء) أشد منها ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء : ٤٣] ، فكانوا يشربونها حتى إذا حضرت الصلاة سكتوا عنها فكان السكر عليهم حرامًا ، ثم أنزل الله عزَّ وجل في سورة المائدة بعد غزوة الأحزاب ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ﴾ إلى قوله : ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة : ٩٠] ، فجاء تحريمها في هذه الآية قليلها وكثيرها ، ما أسكر منها وما لم يسكر ، وليس للعرب يومئذٍ عيش أعجب إليهم منها .

(١) لكن الجمهور على أن المراد بالإنفاق هنا نفقة التطوع .

والعفو يأتي بمعنى الزيادة كما قال تعالى : ﴿ حتى عَفَوا ﴾ [الأعراف :٩٥].

● **الثاني** : أن المراد بالعفو هنا الوسط الذي لا يجهدك ويجعلك تمد يديك للناس ، وقيل : الوسط من غير إسراف ولا تبذير .

● وشاهد هذا القول قوله تعالى : ﴿ وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا ﴾ [الإسراء : ٢٦ ، ٢٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

● وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أحدكم فقيرًا فليبدأ بنفسه فإن كان له فضل فليبدأ مع نفسه بمن يعول ثم إن وجد فضلًا بعد ذلك فليتصدق على غيرهم »(١) .

● **القول الثالث** : أن المراد بالعفو ما تيسر ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالنفقة في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ [البقرة : ٢١٩] ؟

ج : جمهور العلماء على أن المراد بها : نفقة التطوع ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) لفظ الطبري (حديث ٤١٧١) .

س : هل قولـه تعالى : ﴿ ويسألونـك ماذا ينفقـون قل العفـو ﴾ [البقرة :٢١٩] منسوخ ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه منسوخ ، وبنى هذا الفريق القول بالنسخ على تفسير العفو ، فلما رأوا أن المراد بالعفو الزيادة ورأوا أن الأمر للإيجاب قالوا بالنسخ .

ورأى آخرون من أهل العلم أن الآية محكمة وليست بمنسوخة وقالوا : إن العفو وإن فسرناه بالزيادة والفضل فالآية لا تدل على الوجوب بل تدل على الاستحباب ، وإن فسرناه بالوسط فلا إشكال في أنها ليست منسوخة .

● **قال الطبري رحمه الله :** ويقال لمن زعم أن ذلك منسوخ : ما الدلالة على نسخه ، وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم على أن للرجل أن ينفق من ماله صدقةً وَهِبَةً ووصيةَ الثلث ؟ فما الذي دلَّ على أن ذلك منسوخ ؟

فإن زعم أنه يعني بقوله : (إنه منسوخ) أن إخراج العفو من المال غير لازم فرضًا ، وأن فرض ذلك ساقط بوجود الزكاة في المال ، قيل له : وما الدليل على أن إخراج العفو كان فرضًا فأسقطه فرض الزكاة ، ولا دلالة في الآية على أن ذلك كان فرضًا إذ لم يكن أمر من الله عز ذِكره ، بل فيها الدلالة على أنها جواب ما سأل عنه القوم على وجه التعرف لما فيه لله الرضا من الصدقات ، ولا سبيل لمدَّعي ذلك إلى دلالة توجب صحة ما ادعى .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ لعلكم تتفكرون * في الدنيا والآخرة ﴾ [البقرة : ٢١٩ ، ٢٢٠] ؟

ج : **قال الرازي رحمه الله :** وقوله : ﴿ لعلكم تتفكرون * في

الدنيا والآخرة ﴾ [البقرة : ٢١٩ ، ٢٢٠] فيه وجوه :

● **الأول** : قال الحسن : فيه تقديم وتأخير ، والتقدير : كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون .

● **الثاني** : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ [البقرة : ٢١٩] فيعرفكم أن الخمر والميسر فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة فإذا تفكرتم في أحوال الدنيا والآخرة علمتم أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا .

● **الثالث** : يعرفكم أن إنفاق المال في وجوه الخير لأجل الآخرة وإمساكه لأجل الدنيا فتتفكرون في أمر الدنيا والآخرة وتعلمون أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا .

واعلم أنه لما أمكن إجراء الكلام على ظاهره كما قررناه في هذين الوجهين ففرض التقديم والتأخير على ما قاله الحسن يكون عدولًا عن الظاهر لا لدليل ، وأنه لا يجوز ، والله أعلم .

* * *

س : ما هو سبب نزول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : أخرج أبو داود والنسائي والطبري[1] وغيرهم من طرق عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [الإسراء :٣٤]

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧١) ، والنسائي (٦/٢٥٦) ، والطبري (٤١٨٢ و ٤١٨٣ و ٤١٨٩) وغيرهم ، وفي إسناده عطاء بن السائب مختلط ، لكن أورد له الطبري طرقًا أخرى ، وإن كانت لا تخلو من مقال إلا أنها تصلح لتقويته ، والله تعالى أعلم .

و ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا ﴾ [النساء : ١٠١] الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضلُ من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم ... ﴾ [البقرة : ٢٢٠] فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قل إصلاح لهم خيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن فعل ما يُصلح اليتامى ويُصلح أموالهم وسائر شئونهم خيرٌ من اعتزالهم ، فالتداخل مع اليتامى وتفقد أحوالهم وتأديبهم وتقويمهم وإحسان تربيتهم حتى ينشأوا على علمٍ وفضل وأدبٍ وخلق حسن ، أولى من تضييعهم واعتزالهم .

وكذلك الحرص على أموالهم وتثميرها والنظر إلى الصالح في شأنها أولى من تركها عرضة للتلف والضياع ، وأولى من تركها تذهب بها الصدقات ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل تجوز التجارة في مال اليتيم ؟

ج : نعم تجوز التجارة في مال اليتيم ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ إصلاح لهم خير ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

قال القرطبي رحمه الله : تواترت الآثار في دفع مال اليتيم مضاربةً والتجارة فيه ، وفي جواز خلط ماله بماله دلالة على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء إذا وافق الصلاح ، وجواز دفعه مضاربة إلى غير ذلك .... والله تعالى أعلم .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – إذا خالطتم الأيتام فخالطوهم وتعاملوا معهم بمقتضى الأخوة الإيمانية التي تستلزم الإصلاح والنصح ، وسواء كانت هذه المخالطة في الطعام والشراب والمسكن والخدم أو كانت المخالطة بالمشاركة في التجارة بأموالهم ، أو كانت المخالطة بالزواج والمصاهرة أو غير ذلك ، ففي هذا كله تعاملوا معهم بمقتضى الأخوة الإيمانية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ [البقرة : ٢٢٠] في هذا الموطن ؟

ج : وجه إيراده – والله أعلم – تحذير القائمين على الأيتام من إفساد أموال الأيتام وإفساد أحوالهم ، والحث على إصلاح الأيتام والقيام على أموالهم بما يرضي الله عز وجل .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – كما ذكره الطبري رحمه الله حيث قال : يعني تعالى ذكره بذلك : ولو شاء الله لحرَّم ما أحله لكم من مخالطة أيتامكم بأموالكم أموالهم فجهدكم ذلك وشق عليكم ، ولم تقدروا على القيام باللازم لكم من حق الله تعالى والواجب عليكم في ذلك من فرضه ، ولكنه رخَّص لكم فيه وسهله عليكم رحمة بكم ورأفة .

❋ ❋ ❋

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

س : وضح معاني هذه الكلمات : تنكحوا – أمة – بإذنه ؟

ج :

الكلمة	معناها
تَنكحوا	تتزوجوا
أَمَةٌ	الأمة المملوكة – وقيل المراد عموم بنات آدم فكلهن إماء الله ، والأول أصح لذكرها مقابل العبد
بإذنه	قيل : إن الإذن هنا من الأذان أي الإعلام والبيان ، والمعنى ببيانه لكم طريق الجنة وطريق المغفرة ، وقال آخرون : بإذنه أي بتيسيره وتوفيقه ، وقيل بأمره ، والله أعلم

❋ ❋ ❋

س : هل المشركات في قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ... ﴾ [البقرة : ٢٢١] عامة في كل المشركات أم استثنى منها شيء ؟

ج : استثنى منها الكتابيات ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ [المائدة :٥] .

وقد أخرج الطبري بإسناد حسنٍ[(١)] عن قتادة قوله : ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ [البقرة : ٢٢١] يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب يقرأنه .

* * *

س : في الآية دليل على أن المرأة إنما يزوجها أولياؤها وضح ذلك ، واذكر بعض الأدلة على اشتراط الولاية في النكاح ؟

ج : إيضاحه أن الله تعالى قال : ﴿ ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ [البقرة : ٢٢١] فبين الله سبحانه وتعالى أن الذي يُنكح هو الرجل .

أما الأدلة على اشتراط الولاية في النكاح فمنها ما يلي :

- قول الله تعالى : ﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن ﴾ [النساء : ٢٥] .
- قوله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ [النور : ٣٢] .
- وقول العبد الصالح لموسى : ﴿ إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ [القصص : ٢٧] .
- وقول النبي ﷺ : « لا نكاح إلا بولي »[(٢)] .

---

(١) الطبري أثر (٤٢١٧) .

(٢) صحيح أخرجه أبو داود (٢٠٨٥) ، والترمذي (١١٠١) ، وابن ماجه (١٨٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا .

• وقوله عليه الصلاة والسلام : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل »[1] .

إلى غير ذلك من الأدلة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة التي تحث على نكاح المرأة الصالحة والرجل الصالح ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

• قوله تعالى : ﴿ ولأمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم ﴾ [البقرة : ٢٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ ولعبد مؤمن خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

• وقوله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم ﴾ [النور : ٣٢] .

• وقوله تعالى : ﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ [النور : ٢٦] .

• وقوله عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »[2] .

• وقوله عليه الصلاة والسلام : « فاظفر بذات الدين تربت يداك »[3] .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (١٦٥/٦) ، وأبو داود (٢٠٨٣) و (٢٠٨٤) ، والترمذي (١١٠٢) ، وابن ماجه (١٨٨٠) ، من حديث عائشة مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣٢/٩) ، ومسلم (٦٥١/٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س : كيف يدعون إلى النار وهم لا يؤمنون بها أصلًا ؟

ج : يدعوننا للعمل بما يُدخلنا النار ويوجبها لنا ، وذلك بالكفر بالله ورسوله ، فالزوجية مظنة الألفة والمحبة والمودة ، وذلك يؤدي إلى تلبية المُحب طلب حبيبه ، وربما يؤدي ذلك إلى الانتقال عن دين الإسلام لموافقة الزوجة المشركة ، أو الزوج المشرك عياذًا بالله .

❋ ❋ ❋

وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

المحيض – أذًى – حتى يطهرن – فإذا تطهرن – فأتوهن ؟

ج :

الكلمة	معناها
المحيض	الحيض
أذى	قذر – مكروه يُتأذى بريحه وضرره
حتى يطهرن	ينقطع عنهن دم الحيض – يرين الطهر
فإذا تطهرن	فإذا اغتسلن
فأتوهن	فجامعوهن

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ... ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه مسلم[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] إلى آخر الآية ، فقال رسول الله ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول : كذا وكذا فلا نجامعهن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد[٢] عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأدلة على تحريم جماع الحائض ؟

ج : الأدلة على ذلك ما يلي :

- قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .
- قول النبي ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »[٣] .
- انعقاد الإجماع على تحريم ذلك ، وقد نقل هذا الإجماع عدد من أهل العلم منهم الطبري وابن حزم والقرطبي وابن كثير والرازي في تفسيره فقال :

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٢) .

(٢) وجد عليهما أي غضب عليهما .

(٣) صحيح وقد تقدم .

اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمن الحيض .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] وما هو المباح للرجل من امرأته وهي حائض ؟

ج : لأهل العلم في تفسير قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ثلاثة أقوال قولان لهما وجه والقول الثالث شاذ منبوذ .

● **القول الأول** : أن المراد من اعتزال النساءِ في المحيض هو اعتزال النكاح في الفرج فقط فعلى هذا القول يجوز للرجل أن يؤاكل زوجته الحائض ويشاربها ويساكنها في البيت ويضمها إليه ويقبلها ويمص شفتيها ولسانها ويطأها في بطنها وبين ثدييها وبين فخذيها (ما لم يولج في الفرج) وبين أليتيها (ما لم يولج في الدبر) ، ويصنع كل شيء إلا الجماع ، وكذا إلا الوطء في الدبر .

وأدلة هذا القول ما يلي :

١ - قول النبي ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »[(١)] .

٢ - حديث بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها شيئًا[(٢)] .

٣ - ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح إلى مسروق أنه ركب إلى عائشة فقال : السلام على النبي وعلى أهل بيته فقالت عائشة : أبو عائشة ؟! مرحبًا ! فأذنوا له فدخل فقال : إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحيي !

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٣٠٢) ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٢٧٢) بإسناد صحيح .

فقالت : إنما أنا أمك وأنت ابني فقال : ما للرجل من امرأته وهي حائض ؟ قالت : له كل شيء إلا فرجها(١) .

ومن المعلوم أن عائشة من أعلم الناس بذلك ، لأنها زوجة رسول الله ﷺ وقد ذهب إلى هذا أكثر أهل العلم منهم الثوري وأحمد وإسحاق ومحمد بن الحسن ورجحه الطحاوي والنووي وهو أحد القولين للشافعية .

● **القول الثاني** : أن المراد من اعتزال النساء في المحيض اعتزال ما بين السرة إلى الركبة أو ما تحت الإزار ، فعلى هذا القول يجوز للرجل مباشرة زوجته فيما فوق السرة وتحت الركبة بالذَّكر أو بالقبلة أو المعانقة أو اللمس أو غير ذلك .

ومن أدلة هذا القول ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ميمونة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فأتزرت وهي حائض(٢) .

٢ - ومن الأدلة على ذلك أيضًا حديث عائشة الذي أخرجه البخاري وفيه : كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض(٣) .

٣ - وأخرج أبو داود رحمه الله من حديث حرام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله ﷺ ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ قال : « لك ما فوق الإزار »(٤) .

---

(١) الطبري (٣٧٨/٤) .
(٢) أخرجه البخاري حديث (٣٠٣) ، ومسلم (حديث ٢٩٤) .
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٩) .
(٤) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٢) ، من حديث حرام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله ﷺ ....

ومن القائلين بهذا القول من أهل العلم عائشة (في رواية عنها) وميمونة وابن عباس رضي الله عنهم .

هذا ووجه الجمع بين القولين المتقدمين ، ألا وهما القول الأول : الذي يفيد أن للرجل من زوجته الحائض كل شيء إلا الجماع في الفرج ، والقول الثاني : الذي يفيد أن له منها ما فوق الإزار . تتم بأن يقال : إن ترك ما بين السرة والركبة على سبيل الاحتياط لا على سبيل التحريم فمن الأحوط أن يترك حمًى حول الفرج لا يقربه فمن حام حول الحمى يوشك أن يواقعه .

قال القرطبي رحمه الله : قال العلماء : مباشرة الحائض وهي مؤتزرة على الاحتياط والقطع للذريعة ، ولأنه لو أباح فخذيها كان ذلك منه ذريعة إلى موضع الدم المحرم بإجماع فأمر بذلك احتياطًا ، والمحرم نفسه موضع الدم فتتفق بذلك معاني الآثار ولا تضاد ، وبالله التوفيق .

وقال النووي رحمه الله : إن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج ويثق من نفسه باجتنابه إما لضعف شهوته وإما لشدة ورعه جاز وإلا فلا .

● وأما الوجه الثالث الضعيف : فهو قول من قال : إن المراد من قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة :٢٢٢] اعتزال جميع بدنها أن يباشر بشيء من بدنه .

ودليل القائلين بهذا القول قوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، والعموم الوارد فيه ، وقد روي هذا القول عن ابن عباس لكنه لا يثبت عن ابن عباس فالسند إليه ضعيف وقد قدمنا عنه خلاف ذلك .

وروي هذا عن عبيدة السلماني فسئل ما يحل لي من امرأتي إذا كانت حائضًا ؟ قال : الفراش واحد واللحاف شتى ، وهو صحيح إلى عبيدة .

لكن هذا القول ضعيف ، والأقوى ما قدمناه في الوجهين الأولين ، والله أعلم .

س : ما حكم من أتى امرأته وهي حائض ، وماذا يصنع ليكفر عن هذا الذنب ؟

ج : من أتى امرأته وهي حائض عالمًا بحرمة ذلك فهو آثم مرتكب للمحرم ، وعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه ويتبع هذه السيئة بحسنة .

● أما إلزامه بكفارة (دينار أو نصف دينار أو أقل أو أكثر) ، فالخبر في ذلك لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ماذا على الحائض إذا أكرهها زوجها على الجماع ؟

ج : على الحائض أن تعصى زوجها إذا دعا للجماع في الفرج ويحرم عليها طاعته حينئذٍ وعليها أن تقاومه قدر استطاعتها وتمنعه نفسها ، أما إذا أغلبها بقوته وجامعها رغم أنفها فلا شيء عليها ولتكثر من الاستعاذة بالله منه ومن شره وتكثر من الاستغفار .

أما حديث ابن عباس مرفوعًا : « من أتى امرأته وهي حائض فليتصدق بدينار أو بنصف دينار » ، فهو حديث معلول من طرقه التي وقفنا عليها ، وقد بين ذلك البيهقي – رحمه الله – بيانًا شافيًا وذكر بسند صحيح إلى شعبة أنه تراجع عن رفع هذا الحديث وجعله موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما ، ولما قيل لشعبة في ذلك قال : إني كنت مجنونًا فصححت .

ثم إن هذا الحديث خاص بالزوج ليس للمرأة فيه شيء ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للرجل أن ينام مع زوجته وهي حائض تحت لحاف واحد ؟

ج : نعم يجوز للرجل أن ينام مع زوجته في لحاف واحد لحديث أم سلمة

رضي الله عنها قالت : بينا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خميصة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي ، قال: «أنفست[1] » ؟ قلت : نعم فدعاني فاضجعت معه في الخميلة ، أخرجه البخاري ومسلم .

وقال العلماء : لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات ولا يكره غسلها رأس زوجها أو غيره من محارمها وترجليه ، ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع وسؤرها وعرقها طاهران .

***

س : هل تجوز مؤاكلة الحائض ومشاربتها ، وهل تجوز خدمتها لزوجها ؟

ج : نعم تجوز مؤاكلة الحائض ومشاربتها ، وكذلك تجوز خدمتها لزوجها ، والدليل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه مسلم وغيره وفيه أنها قالت : كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فـيَّ فيشرب وأتعرَّقُ[2] العِرْقَ وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فـيَّ[3] .

وفي صحيح البخاري أيضًا أن عروة سئل أتخدمني الحائض أو تدنو مني المرأة وهي جنب ؟ فقال عروة : كل ذلك هين وكل ذلك تخدمني وليس على أحد في ذلك بأس ، أخبرتني عائشة أنها كانت ترجل – تعني رأس رسول ﷺ – وهي حائض ورسول الله ﷺ حينئذ مجاور في المسجد يدني

---

(١) أنفست : أي : حضت ، والحديث أخرجه البخاري (حديث ٢٩٨) ، ومسلم (حديث ٢٩٦) .

(٢) يتعرق العرق : أي يأخذ ما على العرق من اللحم بأسنانه .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠) ، وأبو داود (حديث ٢٥٩) ، والنسائي (١/٥٦) ، وابن ماجه (٦٤٣) .

لها رأسه وهي في حجرتها فترجله وهي حائض .

وقد ورد عن إبراهيم النخعي أنه سئل عن الحائض توضىء المريض ؟ قال : لا بأس به ، وصح إلى ابن عمر أن بعض جواريه كانت تغسل رجليه وهي حائض .

* * *

س : هل صح حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يتقي سورة الدم ثلاثًا ثم يباشر بعد ذلك ؟ وما معنى الحديث ؟

ج : هذا الحديث قد حسنه الحافظ ابن حجر رحمه الله ، ومعناه أن النبي ﷺ كان يترك أهله لا يباشرها (والمباشرة هنا الجماع وغيره من أنواع المباشرة) ثم يباشر[1] بعد ذلك ، ولكن هذا قد يرى البعض أنه متعارض مع حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أنها قالت : كانت إحدانا إذا كانت حائضًا فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها .

والجمع بين الحديثين إما أن يقال بتعدد الحالات بمعنى أنه أحيانًا كان يباشر في فور الحيضة وأحيانًا يمهل ثلاثًا حتى تذهب فورة الدم ثم يأتيها .

أو أن ذلك يختلف باختلاف حالات النساء فمنهن من تتحمل المباشرة فور الحيضة ، ومنهن من لا تتحمل ذلك .

وإما أن يحمل على الاستحباب أي يكون المستحب أن يمهل ثم يباشر بعد ذلك ، والله أعلم .

* * *

---

(١) قوله : ثم يباشر بعد ذلك أي : يضم ويفاخذ ونحو ذلك ، ولا يفعل الجماع في الفرج إلا بعد الاغتسال من الحيض ورؤية الطهر كما لا يخفى .

س : هل هناك حدٌّ معين (أي وقت معين) يجب على الزوج ألا يتعداه إلا وقد جامع زوجته ؟

ج : ليس لذلك حد معين ولكن الواجب على الرجل إعفاف زوجته قدر استطاعته ، أما ما استدل به أبو محمد بن حزم - رحمه الله - حيث قال : وفرض على الرجل أن يجامع امرأته التي هي زوجته وأدنى ذلك مرة في كل طهرين قدر على ذلك وإلا فهو عاص لله تعالى ، برهان ذلك قوله تعالى : ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] فاستدلاله - رحمه الله - بالآية لا يتم ، لأن الاستدلال بالآية راجع هنا إلى مسألة أصولية وهي مسألة الأمر بعد الحظر هل يفيد وجوبًا أو إباحة وحاصل الأمر في هذه المسألة أن الحكم يرد إلى ما كان عليه قبل النهي إن كان واجبًا فواجب ، وإن كان مباحًا فمباح فمثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] ، فقبل الأشهر الحرم كان قتال المشركين واجبًا فكذلك بعد الأشهر الحرم فقتالهم واجب .

وكمثال للمباح قوله تعالى : ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ [المائدة : ٢] ، فقبل الإحرام كان الصيد مباحًا فكذلك عند التحلل من الإحرام فالصيد مباح ، ولم يقل فيه أحد يُعتد به بوجوب الصيد على الحجيج بعد التحلل من الإحرام ، وكذلك لم نقف على دليل يوضح أن رسول الله ﷺ ذهب واصطاد بعد حله من إحرامه ، وكقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ [الجمعة : ١٠] ، فقبل النداء للصلاة من يوم الجمعة السعي في الأرض جائز ، وكذلك الأمر بالانتشار في قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا ﴾ [الجمعة : ١٠] يفيد الجواز ، والله أعلم .

* * *

س : هل يجوز للرجل أن يطأ زوجته إذا رأت الطهر قبل أن تغتسل ؟

ج : لا يجوز للرجل أن يطأ زوجته إذا رأت الطهر حتى تغتسل ، وهذا هو رأي جمهور العلماء ، وقد سئل سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار عن الحائض هل يصيبها زوجها إذا رأت الطهر قبل أن تغتسل ؟ فقالا : لا ، حتى تغتسل وكذلك سئل عطاء عن الحائض ترى الطهر ولا تغتسل أتحل لزوجها ؟ قال : لا ، حتى تغتسل .

وسئل ابن تيمية كذلك عن المرأة تطهر من الحيض و لم تجد ماءً تغتسل به هل لزوجها أن يطأها قبل غسلها من غير شرط ؟ فأجاب : أما المرأة الحائض إذا انقطع دمها فلا يطؤها زوجها حتى تغتسل إذا كانت قادرة على الاغتسال وإلا تيممت كما هو مذهب جمهور العلماء كمالك وأحمد والشافعي .

قلت : ومستند جمهور العلماء قوله تعالى : ﴿ فلا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، فقوله تعالى : ﴿ حتى يطهرن ﴾ [البقرة : ٢٢٢] يعني ينقطع الدم ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا تطهرن ﴾ [البقرة : ٢٢٢] أي : فاغتسلن بالماء ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للمسلم الذي تزوَّج كتابية أن يطأها بعد انقطاع دم الحيض قبل أن تغتسل ؟

ج : لا يجوز ذلك للرجل المسلم لقوله تعالى : ﴿ فلا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للمرأة أن تتيمم – إذا لم تجد الماء – للطهر من المحيض ، ويأتيها زوجها ؟

ج : نعم يجوز للمرأة ذلك لقوله تعالى : ﴿ فلم تجدوا ماءً فتيمموا ﴾ [المائدة : ٦] ، وقد قال بذلك عدد كبير من أهل العلم فقال عطاء : إذا طهرت الحائض فلم تجد ماءً تتيمم ويأتيها زوجها .

وقال الحسن : إن كانت المرأة حائضًا فرأت الطهر في سفر تتيمم ، الصعيد يطهرها .

* * *

س : هل الأمر في قوله تعالى : ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] على الوجوب ؟

ج : ليس على الوجوب بل هو للإباحة بعد الحظر ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ [المائدة : ٢] ، أي : إذا حللتم من إحرامكم فقد أبيح لكم الصيد الذي كان مُحرمًا عليكم حال الإحرام ، وكقوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ [الجمعة : ١٠] ، أي : قد أبيح لكم الانتشار الذي نهيتم عنه في قوله تعالى : ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ [الجمعة : ٩] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – فجامعوهن من المكان الذي أمركم الله بتجنبه أثناء حيضهن ، وهو القُبُل ولا تتعدوه إلى غيره .

ومن العلماء من قال : إن (من) بمعنى (في) ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ [الأحقاف : ٤] ، أي : في الأرض ، وكقوله تعالى : ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴾ [الجمعة : ٩] ، أي : في يوم الجمعة ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة : ٢٢٢] متطهرون من ماذا ؟

ج : قال بعض أهل العلم : متطهرون بالماء للصلوات .

وقال آخرون : متطهرون من الذنوب والآثام .

وقال غيرهم : متطهرون من إتيان النساء في أدبارهن .

وقيل أيضًا : متطهرون من جماع النساء أثناء حيضهن ، والله تعالى أعلم .

* * *

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ؟

ج : أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول ، فنزلت : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

● وأخرج البخاري[٢] بإسناده إلى نافع قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عليه يومًا فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكانٍ قال : تدري فيم أنزلت ؟ قلت : لا ، قال : أنزلت في كذا وكذا ثم مضى .

● وأخرج الطبري بإسناد صحيح إلى نافع قال : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم ، قال : فقرأت ذات يوم هذه الآية ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، فقال : أتدري فيمن نزلت هذه الآية ؟ قلت : لا ، قال : نزلت في إتيان النساء في أدبارهن .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٥٢٨) ، ومسلم (حديث ١٤٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٢٦) .

س : هل يجوز إتيان النساء في أدبارهن ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى تحريم ذلك ، واحتج فريق منهم بقوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، قالوا : والحرث هو موطن الزرع ، واحتجوا أيضًا بالأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في النهي عن إتيان النساء في أدبارهن ، وهي وإن كان في كلٍّ منها مقال إلا أنها ترتقي بمجموعها للاحتجاج بها ، وعمل أكثر أهل العلم عليها .

بينما ذهب ابن عمر رضي الله عنهما إلى جواز ذلك ، وما عليه جمهور الصحابة أولى لما قدمناه[1] ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ [البقرة :٢٢٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – نساؤكم مزدرع لكم ومنبت للولد ففرج المرأة كالمزرعة ، والنطفة كالبذر ، والولد كالنبات الخارج من المزرعة ، والحرث مصدر ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – من أي وجه شئتم[2] ، ما دمت تأتي

---

(١) أما ما رواه ابن عمر من أن الآية نزلت في إتيان النساء في أدبارهن فهذا فهمٌ فهمه ابن عمر رضي الله عنهما ، وخالفه غيره ، فقد روى جابر كما قدمنا أن اليهود كانت تقول : إن الرجل إذا جامع امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فنزلت الآية لإباحة ذلك (أي : إباحة إتيان المرأة من دبرها في قبلها) ، والله أعلم .

(٢) ومنه قول زكريا عليه السلام : ﴿ .... يا مريم أنى لكِ هذا ﴾ [آل عمران : ٣٧] =

الحرث ، والحرث موطن الزرع وهو الفرج ، فالمعنى ائتها من الأمام في الفرج أو من الخلف في الفرج أو على جنب في الفرج ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] نقدم ماذا ؟

ج : قال بعض أهل العلم : قدِّموا لأنفسكم أعمالًا صالحةً وصنوفًا من البر والخير والإحسان كي تجدوا ثواب ذلك عند الله كما قالْ تعالى : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا ﴾ [المزمل : ٢٠] .

- ومن العلماء من قال : قدموا التسمية عند الجماع .
- ومنهم من قال : قدموا لأنفسكم المراد منها اطلبوا الولد الصالح بالجماع ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل في هذه الآية دليل على جواز النكاح في الدُّبر ؟

ج : ليس في الآية دليل على ذلك ، بل الدليل على المنع فيها أقرب ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، والحرث هو موطن الزرع ، وقد قدمنا أن الفرج بمنزلة المزرعة ، والنطفة (أي المني) بمنزلة البذرة تُبذر فيه ، والبذرة إنما تبذر في موطن تُنبت فيه ، فالذي يأتي أهله في دبرها لا يأتي حرثه أصلًا .

= وقول مريم عليها السلام : ﴿ ... أنى يكون لي غلام ﴾ [مريم : ٢٠] .
وقال القرطبي رحمه الله : معناه عند الجمهور من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من أي وجه شئتم ، مقبلة ومدبرة .

فإن قال قائل : فهل تحرمون على الرجل أن يأتي المرأة بين فخذيها ؟

فالإجابة : أننا لا نحرم ذلك ولا يسمى هذا إتيان ، ولا دليل يمنع منه ، وليس هو بضار على المرأة أو على الرجل ، وليس فيه أذى على العكس من الإتيان في الدبر ، وقد أشرنا إلى ما فيهِ من الأدلة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ [البقرة : ٢٢٤] ؟

ج : معنى العُرضة في كلام العرب : القوة والشدة[1] ، فالمعنى : لا تجعلوا الله (وهنا مقدر محذوف أُراه والله أعلم خوف) مقويًا لأيمانكم التي أقسمتموها على أن لا تفعلوا الخير (الذي هو البر والتقوى والإصلاح بين الناس) .

فالمعنى بأسلوب آخر : لا تجعلوا خوف الله مقويًا لأيمانكم التي أقسمتموها كي لا تفعلوا الخير ، فإذا قال لكم قائل : برُّوا واتقوا وأصلحوا بين الناس قلتم : لا إننا نخاف الله إننا قد حلفنا بالله ألا نفعل ، فنهاهم الله عن هذا .

وها هي بعض أقوال العلماء تؤدي هذا المعنى :

● **قال الطبري رحمه الله :** فمعنى قوله تعالى ذكره : ﴿ ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٤] ، لا تجعلوا الله قوة لأيمانكم في أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس ، ولكن إذا حلف أحدكم فرأى الذي هو خير مما حلف عليه من ترك البر والإصلاح بين الناس فليحنث في يمينه وليبرَّ وليتق الله وليصلح بين الناس وليكفر عن يمينه .

● **وصح عن سعيد بن جبير**[2] أنه قال : ﴿ ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٤] ، قال : هو الرجل يحلف لا يصلح

(١) قال ذلك الطبري رحمه الله .

(٢) الطبري (أثر ٤٣٥٥) .

بين الناس ولا يبرُّ ، فإذا قيل له قال : قد حلفت .

● **ونقل ابن كثير رحمه الله عن الجمهور أن معنى الآية :** لا تجعلن عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير ، ولكن كفر عن يمينك واصنع الخير .

● **وقال القرطبي رحمه الله تعالى :** قال العلماء : لما أمر الله تعالى بالإنفاق وصحبة الأيتام والنساء بجميل المعاشرة قال : لا تمتنعوا عن شيء من المكارم تعللًا بأنا حلفنا ألا نفعل كذا .

قلت (مصطفى) : والآية كقوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولـو الفضل منكم والسعة أن يُؤتُوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا .... ﴾ [النور : ٢٢] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا أقسم شخص على شيء ورأى غيره خيرًا منه هل الأفضل أن يمضي في الشيء وينفذه ويُبر قسمه ، أم الأفضل أن يكفر عن يمينه ويفعل الذي هو خير ؟

ج : الأفضل أن يُكَفِّر عن يمينه ويفعل الذي هو خير ، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ... وإني والله – إن شاء الله – لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا كفرت عن يميني **وأ**تيت الذي هو خير أو أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني » .

● وما أخرجه مسلم[2] من حديث **أبي** هريرة رضي الله عنه أن

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢٣) ، ومسلم (حديث ١٦٤٩) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٦٥٠) .

رسول الله ﷺ قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليكفر عن يمينه وليفعل » .

ومنها قول النبي ﷺ[1] : « وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فكَفِّر عن يمينك وائت الذي هو خير » .

وما أخرجه مسلم[2] من حديث عدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حلف أحدكم على اليمين فرأى خيرًا منها فليكفرها وليأت الذي هو خير » .

❋ ❋ ❋

س : إذا تزاحمت المصالح قُدِّم الأهمُ منها على غيره ، وضح ذلك من خلال الآية الكريمة ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره السعدي في تيسير المنان حيث قال : فهنا تتميم اليمين مصلحة ، وامتثال أوامر الله في هذه الأشياء مصلحة أكبر من ذلك فقدِّمت لذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٢٢) ، ومسلم (حديث ١٦٥٢) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٦٥١) .

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

س : ما معنى : كسبت ؟

ج :

الكلمة	معناها
كسبت	تعمدت[1]

❋ ❋ ❋

(١) نقل الطبري رحمه الله الإجماع على أن معنى كسبت : تعمدت .

س : اذكر أقسام اليمين بالله تعالى مع تعريف مختصر لكل قسم منها ؟

ج : تنقسم الأيمان بالله تعالى إلى ثلاثة أقسام :

١ - اليمين اللغو .

٢ - اليمين الغموس .

٣ - اليمين المنعقدة .

أما اليمين اللغو ، فأصح ما ورد فيها عن الصحابة رضي الله عنهم ما أخرجه البخاري[١] من حديث عائشة رضي الله عنها ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو ﴾ [البقرة : ٢٢٥] ، قالت : أنزلت في قوله : لا والله وبلى والله .

● وكذلك صح عن الشعبي[٢] أنه قال في قوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] هو لا والله ، وبلى والله .

وكذلك صح نحوه عن أبي قلابة وأبي صالح وعكرمة[٣] .

● ومن أهل العلم من قال : إن المراد باللغو اليمين الخطأ غير العمد

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٦٣) .

وفي رواية بإسناد صحيح عن عائشة عند عبد الرزاق : هم القوم يتدارءون في الأمر يقول هذا (لا والله) و (بلى والله) و (كلا والله) ، يتدارءون في الأمر لا يعقد عليه قلوبهم (المصنف ١٥٩٥٢) .

وكذلك أخرج الطبري (أثر ٤٤٥٧) ، بإسناد صحيح عن عائشة قالت : (أيمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة ، والحديث الذي لا يعتمد عليه القلب) .

(٢) الطبري أثر (٤٣٨٥ و ٤٣٨٦ و ٤٣٨٧) .

(٣) أثر أبي قلابة (عند الطبري ٤٣٨٩) ، وأثر عكرمة (عند الطبري ٤٣٩٢) ، وأثر أبي صالح (عند الطبري ٤٣٨٩) .

أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كما حلفت عليه ثم لا يكون كذلك فهذا لا كفارة عليه ولا مأثم فيه[1] .

● وصح عن إبراهيم النخعي أنه قال ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] قال : أن يحلف الرجل على الشيء وهو يرى أنه صادق وهو كاذب فذلك اللغو لا يؤاخذ به[2] .

وثمَّ أقوال أخر في لغو اليمين ، وأقواها ما ذكرناه أولًا ، والله أعلم .

● **أما اليمين الغموس** فهي اليمين الكاذبة ، ومن العلماء من قيدها بأنها لاقتطاع مال امرىء مسلم أي : يقسم الرجل كاذبًا كي يقتطع بيمينه مال امرىء مسلم .

● **أما اليمين المنعقدة** فهي اليمين التي ينعقد عليها القلب ولها شروط .

أولها : أن ينعقد عليها القلب ويقصد إليها .

الثاني : أن يكون حالفها غير مكره بل يكون مختارًا .

الثالث : أن تكون مستقبلية ، أي : على شيء في المستقبل .

الرابع : ألا يكون القسم بمخلوق ، بل يكون بالله أو بأسمائه أو بصفاته ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي المؤاخذة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] ؟

ج : المؤاخذة هي الكفارة الموضحة في قوله تعالى ﴿ لا يؤاخذكم الله

---

(١) أخرجه الطبري (٤٤٢٣) بإسناد حسن عن قتادة .
(٢) الطبري (أثر ٤٤١٥) .

باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم .. ﴾ [المائدة : ٨٩] .

❋ ❋ ❋

س : هل على اليمين الغموس كفارة ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن اليمين الغموس لا كفارة عليها

قالوا : وهي أعظم من أن تكفر وقد جاءت الأحاديث تفيد أنها كبيرة من الكبائر ، من ذلك ما أخرجه البخاري(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » .

● وأخرج مسلم(٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة » ، فقال له رجل : وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله ؟ قال : « وإن كان قضيبًا من أراك » .

وأخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين صبرٍ يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان » فأنزل الله تصديق ذلك ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا .. ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران : ٧٧]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٧٥) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣٧) .
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٦٧٦) ، ومسلم (حديث ١٣٨) .

فدخل الأشعث بن قيس فقال : ما حدثكم أبو عبد الرحمن ؟ فقالوا : كذا وكذا ، قال : فيَّ أُنزلت كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فأتيت رسول الله ﷺ فقال : « بينتك أو يمينه » . قلت : إذًا يحلف عليها يا رسول الله فقال رسول لله ﷺ : « من حلف على يمين صبرٍ وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » .

● وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماءٍ بطريق يمنع منه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلًا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه ما يريد وفَّى له ، وإلا لم يفِ له ، ورجل ساوم رجلًا بسلعةٍ بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا » .

● فلهذه الأحاديث قال الجمهور[2] من العلماء : إن اليمين الغموس أعظم من أن تُكَفَّر بالكفارة المذكورة في قوله : ﴿ إطعام عشرة مساكين ... ﴾ [المائدة : ٨٩] .

وهذه بعض أقوالهم في ذلك :

● **قال الإمام مالك رحمه الله :** فأما الذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه آثم ، ويحلف على الكذب وهو يعلم ليرضى به أحدًا أو ليعتذر إلى معتذرٍ إليه أو ليقتطع به مالًا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة .

●**وقال الخرقي : (مسألة) :** ومن حلف على شيء وهو يعلم أنه كاذب فلا كفارة عليه لأن الذي أتى به أعظم من أن يكون فيه الكفارة .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٧٢) ، ومسلم (حديث ١٠٦) ، وأبو داود (حديث ٣٤٧٣) ، والنسائي (حديث ٤٤٦٢) .

(٢) واستدلوا أيضًا بحديث : « خمس ليس فيهن كفارة » لكنه حديث ضعيف على الراجح لدينا فيه . والله أعلم .

• **قال ابن قدامة :** هذا ظاهر المذهب نقله جماعة عن أحمد وهو قول أكثر أهل العلم منهم ابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن ومالك والأوزاعي والثوري والليث وأبو عبيد وأبو ثور وأصحاب الحديث وأصحاب الرأي من أهل الكوفة ....

• **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :** (مجموع الفتاوى) .... وأما الأكثرون فقالوا : هذه أعظم من أن تكفر ، وهذا قول مالك وأبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه قالوا : والكبائر لا كفارة فيها كما لا كفارة في السرقة والزنا وشرب الخمر .

قلت : ومن العلماء من قال بوجوب الكفارة فيها كالإمام الشافعي وأبو محمد بن حزم وغيرهما ، ومن حججهم عموم قوله تعالى : ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ [المائدة : ٨٩] وقول النبي عليه الصلاة والسلام : « فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » .

أما الجمهور فأجابوا على الآية ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ [المائدة : ٨٩] أنها في غير اليمين الغموس ، إنما هي في اليمين المنعقدة .

وأجابوا على الاستدلال بحديث « .. فليأت الذي هو خير وليكفر » أن هذا أيضًا ليس بيمين غموس . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل أعمال القلوب يؤاخذ عليها ؟

ج : من أعمال القلوب أعمال لا يؤاخذ عليها الشخص ، وذلك كحديث النفس أو الوساوس التي ترد على القلب ، وذلك كما في حديث رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم »[١] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢٨) ، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● ومن أعمال القلوب أعمال يؤاخذ عليها الشخص وأعمال يثاب عليها الشخص وهي الأعمال التي ينعقد عليها القلب .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [النور : ١٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ [البقرة : ٢٢٥] .

● وقول النبي ﷺ : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار .. » الحديث وفيه : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه »(١) .

● ومن ذلك أن الحاسد آثم .

● ومن ذلك قول النبي ﷺ : « إن بالمدينة لرجالًا ماسرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم » ، قالوا يا رسول الله : وهم بالمدينة ؟ قال « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » وفي رواية : « إلا شركوكم في الأجر »(٢) .

● ومن ذلك قول النبي ﷺ : « المرء مع من أحب »(٣) .

● ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج : ٢٥] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٨٣) ، مسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٣) ، ومسلم (١٩١١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

س : ما معنى ما يلي :

يؤلون - تربص - فاءوا ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
يؤلون[1]	يحلفون - يقسمون
تربص	التربص النظر أو التوقف
فاءوا	رجعوا[2]

❋ ❋ ❋

(١) والألية اليمين والقسم ومنه قول الشاعر
قليل الألايا حافظ ليمينه وإن سبقت منه الألية برت
(٢) ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ [الحجرات : ٩] .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٢٦ ، ٢٢٧] ؟

ج : قبل بيان المعنى الإجمالي نلفت النظر إلى أن بعض الناس يقسمون على أن لا يجامعوا نساءهم مدة معينة ، فإذا كانت هذه المدة التي أقسموا أن لا يجامعوا نساءهم فيها أقل من أربعة أشهر فلا يدخلون تحت هذه الآية ، وإن كانت المدة أربعة أشهر أو أكثر فالآية تتعلق بهم ، فالمعنى على هذا : للذين يحلفون على أن يمتنعوا من جماع نساءهم انتظار أربعة أشهر فإن رجعوا إلى جماعهم ومعاشرتهم بالمعروف فإن الله غفور لهم ما أذنبوا فيه تجاه نساءهم رحيم بهم وبأزواجهم فيما شرعه لهم ، وإن قصدوا الطلاق وعزموا عليه فإن الله سميع لذلك منهم عليم به وبهم .

وها هي أقوال بعض أهل العلم في ذلك :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : الإيلاء الحلف فإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة فلا يخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها ، فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته وعليها أن تصبر وليس لها مطالبته بالفيئة في هذه المدة وهذا كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ آلى من نسائه شهرًا فنزل لتسع وعشرين وقال : « الشهر تسع وعشرون » ولهما عن عمر بن الخطاب نحوه ، فأما إن إزادت المدة على أربعة أشهر فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفيء أي : يجامع وإما أن يطلق فيجبره الحاكم على هذا ، وهذا لئلا يضر بها ولهذا ، قال تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نساءهم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : يحلفون على ترك الجماع من نساءهم ، فيه دلالة على أن الإيلاء يختص بالزوجات دون الإماء كما هو مذهب

الجمهور ﴿ تربص أربعة أشهر ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : ينتظر الزوج أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطالب بالفيئة أو الطلاق ، ولهذا قال : ﴿ فإن فاءوا ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : رجعوا إلى ما كانوا عليه وهو كناية عن الجماع ....

وقال صديق حسن خان (في تفسيره فتح البيان) :

واعلم أن أهل كل مذهب قد فسروا هذه الآية بما يطابق مذهبهم وتكلفوا بما لم يدل عليه اللفظ ولا دليل آخر ومعناها ظاهر واضح ، وهو أن الله جعل الأجل لمن يولي أي : يحلف من امرأته أربعة أشهر ثم قال مخبرًا لعباده بحكم هذا المؤلي بعد هذه المدة : ﴿ فإن فاءوا ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : رجعوا إلى بقاء الزوجية واستدامة النكاح ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : لا يؤاخذهم بتلك اليمين بل يغفر لهم ويرحمهم ﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾ [البقرة : ٢٢٦] أي : وقع العزم منهم عليه والقصد له ﴿ فإن الله سميع ﴾ [البقرة : ٢٦٦] لذلك منهم ﴿ عليم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] به . فهذا معنى الآية الذي لا شك فيه ولا شبهة ، فمن حلف أن لا يطأ امرأته ولم يقيد بمدة أو قيد بزيادة على أربعة أشهر كان علينا إمهاله أربعة أشهر ، فإذا مضت فهو بالخيار إما رجع إلى نكاح امرأته وكفَّر عن يمينه ، وكانت زوجته بعد مضي المدة كما كانت زوجته قبلها أو طلقها وكان له حكم المطلق لامرأته ابتداءً .

● وأما إذا وقَّت بدون أربعة أشهر فإن أراد أن يبر في يمينه اعتزل امرأته التي حلف منها حتى تنقضي المدة كما فعل رسول الله ﷺ حين آلى من نسائه شهرًا فإنه اعتزلهن حتى مضى الشهر ، وإن أراد أن يطأ امرأته قبل مضي تلك المدة التي هي دون أربعة أشهر حنث في يمينه ولزمته الكفارة ، وكان ممتثلًا لما صح عنه ﷺ من قوله : « من حلف على يمين

فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه »[1] والله تعالى أعلم .

***

س : على أي شيء يكون الحلف (أي : الإيلاء) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الحلف يكون على ترك الجماع ، بينما ذهب فريق آخر إلى أن الإيلاء الحلف على ترك الكلام أو على أن يغيظها أو لا يجامعها أو يسوءها أو نحو ذلك ، وهذا التأويل يشهد له العموم الوارد في الآية ، والجماع داخل فيه . والله أعلم .

***

س : ما هي مدة الإيلاء ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم (كما نقل عنهم الصنعاني) إلى أنها لا بد أن تكون أكثر من أربعة أشهر ، ونقل عنهم الشوكاني أنها أربعة أشهرٍ فصاعدًا ، وذلك لأن الرجل إذا حلف على ترك جماعها ثلاثة أشهرٍ مثلًا فلا معنى لتربصه أربعة أشهر ، وهذا هو الأظهر والله أعلم .

أما ما ورد من أن النبي ﷺ آلى من نسائه شهرًا[2] فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : آلى بمعنى حلف ، وليس المراد به الإيلاء العرفي في كتب الفقه على رأي معظم الفقهاء .

قلت : أي أن إيلاء النبي ﷺ من نسائه شهرًا وإن سمي إيلاءً إلا أنه لا يقع فيه تربص ولا تتعلق به أحكام الإيلاء التي نحن بصددها . والله أعلم

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرج البخاري (مع الفتح ٩/٤٢٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : آلى رسول الله ﷺ من نسائه وكانت انفكت رجله فأقام في مشربة له تسعًا وعشرين ثم نزل فقالوا : يا رسول الله آليت شهرًا فقال : « الشهر تسع وعشرون » .

س : إذا حلف الرجل أن لا يطأ امرأته ثم بدا له أن يجامعها قبل مضي الأربعة أشهر هل له ذلك ؟

ج : نعم له ذلك لقول النبي ﷺ : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه »[1] .

❋ ❋ ❋

س : بماذا يكون الحلف في قوله تعالى : ﴿ يؤلون ﴾ [البقرة : ٢٢٦] ؟

ج : يكون الحلف بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته فقد قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم : « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت »[2] وقال عليه الصلاة والسلام : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد »[3] ، هذا وإن كان جمهور العلماء ذهبوا إلى أن الإيلاء ينعقد بكل يمين (كما نقل ذلك عنهم الصنعاني في سبل السلام) إلا أن رأي من قال من أهل العلم : إن الحلف يكون بالله فقط هو الأصح لما قدمناه من دليل ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يكون الإيلاء في الغضب والرضا أم في الغضب فقط ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الإيلاء يكون في الغضب فقط

---

(١) صحيح وقد تقدم ، وقد أخرجه مسلم حديث (١٦٥١) من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (حديث ٦٦٤٦) ، ومسلم (١٢٦٧) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (ص ١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[1] .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : وعلة من قال : (إنما الإيلاء في الغضبِ والضرار) أن الله تعالى ذكره إنما جعل الأجل الذي أجَّل في الإيلاء مخرجًا للمرأة من عضل الرجل وضراره إياها فيما لها عليه من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف وإذا لم يكن الرجل لها عاضلًا ولا مُضارًّا بيمينه وحلفه على ترك جماعها بل كان طالبًا بذلك رضاها وقاضيًا بذلك حاجتها لم يكن بيمينه تلك مُوليًا لأنه لا معنى هنالك لحق المرأة به من قبل بعلها مساءة وسوء عشرة فيجعل الأجل الذي جعل للمولى لها مخرجًا منه .

بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الإيلاء يكون في الغضب أو الرضا وهذا القول - أعني أن الإيلاء يكون في الغضب أو الرضا سواء - هو الذي اختاره **ابن جرير الطبري رحمه الله** وقال : وعلة من قال ذلك عموم الآية وأن الله تعالى ذكره لم يخصص من قوله : ﴿ الذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ [البقرة : ٢٢٦] بعضًا دون بعض بل عمَّ به كل مولٍ ومُقسم فكل مقسم على امرأته لا يغشاها مدة هي أكثر من الأجل الذي جعل الله له تربُّصه فَمول من امرأته عند بعضهم وعند بعضهم هو مولٍ ، وإن كانت مدة يمينه هو الأجل الذي جُعل له تربُّصه والله أعلم .

● **وقال ابن قدامة في المغني :** ولا يشترط في الإيلاء الغضب ولا قصد الإضرار ، روي ذلك عن ابن مسعود وبه قال الثوري والشافعي وابن المنذر وأهل العراق ، وذكر ابن قدامة رحمه الله من قال إن الإيلاء يكون في الغضب فقط ، ورجَّح أن الإيلاء يكون في الغضب أو الرضا .

* * *

(١) صح ذلك عنه عند ابن جرير الطبري (٤/٤٦١) .

س : إذا انقضت الأربعة أشهر من ابتداء الإيلاء هل تطلق المرأة على زوجها أم يُوقف المؤلي ويجبر على أحد شيئين إما على الفيء وإما على الطلاق ؟

ج : في ذلك خلاف بين أهل العلم .

فذهب فريق منهم إلى أنه بمجرد انقضاء الأربعة أشهر تطلَّق المرأة على زوجها ، ثم اختلفوا هل هي تطليقة بائنة أو رجعية ؟ فذهب بعضهم إلى أنها تطلق تطليقة بائنة بمجرد انقضاء الأربعة أشهر ، صح ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم (كما عند الطبري) .

وذهب آخرون إلى أنها تطليقة يملك فيها الزوج الرجعة ، صح ذلك عن سعيد بن المسيب وغيره (كما عند الطبري) .

بينما ذهب آخرون من أهل العلم – وهم الجمهور – إلى أن المدة (وهي الأربعة أشهر) إذا انقضت يُخيَّر الحالف فإما أن يفيء وإما أن يطلِّق .

ورأي الجمهور هذا هو الذي تطمئن إليه النفس وتسكن إليه ولا سيما وقد قال به جمع من الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد أخرج الشافعي[1] بإسناد صحيح إلى سليمان بن يسار قال : أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم يوقف المولي .

● وأخرج أيضًا بإسناد صحيح[2] إلى عمرو بن سلمة قال : (شهدت عليًّا رضي الله عنه أوقف المولي) .

❋ ❋ ❋

---

(١) مسند الشافعي (ص ٢٤٨) .

(٢) مسند الشافعي (ص ٢٤٨) ، وقد ورد عن عليٍّ قول آخر عند الطبري (٤/٤٧٨) في اعتبارها طلقة بائنة .

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

س : ما معنى ما يلي :

قـروء – بعـولتهـن ؟

ج :

الكلمـة	معنـاهـا
قـروء	القروء جمع قُرء ، والقُرء اختلف فيه ، فقيل : إنه الطهر وقيل : إنه الحيض
بعولتهن	أزواجهن

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالقروء ؟

ج : القروء جمع قرء ، وقد اختلف أهل العلم في تفسير المراد بالقرء على قولين :

أحدهما : أن المراد بالقرء : الطُّهر ، وقد قال بهذا بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم فصح ذلك عن أم المؤمنين عائشة(١) رضي الله عنها ، وصح كذلك عن زيد بن ثابت(٢) وابن عمر(٣) رضي الله عنهم ونقله ابن القيم(٤) والشوكاني(٥) رحمهما الله عن فقهاء المدينة وغيرهم .

الثاني : أن المراد بالقُرء الحيض ، وقد صح ذلك عن علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم(٦) ، ونقله ابن القيم أيضًا عن أبي بكر وعثمان وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وابن عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم(٧) .

وهكذا جاء الخلاف بعد عصر الصحابة إلى عصرنا هذا في المراد بالقرء هل هو الحيض أو الطهر فالعلم عند الله تعالى ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه كما قال النبي ﷺ .

---

(١) أثر عائشة رضي الله عنها عند مالك في الموطأ (ص٥٧٦) ، وابن جرير الطبري (ص٥٠٦) .

(٢) أثر زيد بن ثابت عند الطبري (ص٥٠٧) ، وسعيد بن منصور (رقم ١٢٢٦) .

(٣) أثر ابن عمر عند مالك (٥٧٨/١) .

(٤) زاد المعاد (٦٠١/٥) .

(٥) الشوكاني في نيل الأوطار (٢٩١/٦) .

(٦) والأسانيد عنهم بذلك عند سعيد بن منصور (ص٢٩٢) .

(٧) انظر الآثار بذلك عنهم عند ابن جرير الطبري (٥٠٠/٤) فما بعدها ومصنف عبد الرزاق (٣١٥/٦) فما بعدها .

● هذا وعلى قول من قال : إن المرادِ بالقروء الأطهار عندهم أن المرأة إذا دخلت في الدم من الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها ولا ترثه ولا يرثها ، وعلى قول من قال : إن المراد بالقرء الحيض فإذا طلق الرجل امرأته فهو أحق برجعتها ، وبينهما الميراث ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : هذا – والله تعالى أعلم – أمرٌ من الله سبحانه وتعالى للمطلقات ذوات الأقراء (أي : اللواتي يحضن ويطهرن من الحيض) المدخول بهن أن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ومعنى التربص كما قاله الطبري رحمه الله تعالى : هو التوقف عن النكاح وحبس النفس عنه ، فالمعنى : أن المطلقة تمكث بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج إن شاءت .

* * *

س : ما هو الشيء المخلوق في الأرحام الذي نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كتمانه وما هو سبب الكتمان ؟

ج : أما الشيء المخلوق في الأرحام الذي نهى الله سبحانه وتعالى النساء عن كتمانه فهو الحيض أو الحَبَل تقول المرأة : إني قد حضت وهي لم تحض ، أو تقول : إني حبلى وليست بحبلى أو عكس ذلك ، وسبب ذلك ما ذكره الرازي في تفسيره حيث قال : وذلك لأن المرأة لها أغراض كثيرة في كتمانها ، أما كتمان الحبل فإن غرضها فيه أن انقضاء عدتها بالقروء أقل زمانًا من انقضاء عدتها بوضع الحمل فإذا كتمت الحبل قصرت مدة عدتها فتزوج بسرعة ،

وربما كرهت مراجعة الزوج الأول ، وربما أحبت التزوج بزوجٍ آخر أو أحبت أن يلتحق ولدها بالزوج الثاني ، فلهذه الأغراض تكتم الحبل ، وأما كتمان الحيض فغرضها فيه أن المرأة إذا طلقها الزوج وهي من ذوات الأقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الأول ، وقد تحب تقصير عدتها لتبطيل رجعته ولا يتم لها ذلك إلا بكتمان بعض الحيض في بعض الأوقات ؛ لأنها إذا حاضت أولًا فكتمته ثم أظهرت عند الحيضة الثانية أن ذلك أول حيضها فقد طولت العدة ، وإذا كتمت أن الحيضة الثالثة وجدت فكمثل ، وإذا كتمت أن حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها ، فثبت أنه كما أن لها غرضًا في كتمان الحبل فكذلك في كتمان الحيض ، فوجب حمل النهي على مجموع الأمرين .

***

س : هل القول في حيض المرأة قولها أو نأتي بنسوة يكشفن عنها ؟

ج : القول في ذلك قول المرأة ، وذلك لقوله تعالى ﴿ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ... ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، وأيضًا لم يكن السلف يفتحون النساء فينظرون إلى فروجهن ، لكن إذا أتت المرأة بشيء غير معقولٍ من القول كأن ادَّعت أنها حاضت ثلاث حيض في عشرة أيام مثلًا فلا تُصدق ولا يقبل منها ، **قال ابن المنذر (كما نقل عنه القرطبي)** : وقال كل من حفظت عنه من أهل العلم إذا قالت المرأة في عشرة أيام : قد حضت ثلاث حيض وانقضت عدتي إنها لا تصدق ، ولا يقبل ذلك منها إلا أن تقول : قد أسقطت سقطًا قد استبان خلقه .

***

س : قوله تعالى : ﴿ في ذلك ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، ما المراد به ؟

ج : المراد به في العدة[1] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : إذا أراد الرجل مراجعة زوجته المطلقة طلاقًا رجعيًا وهي ما زالت في عدتها وامتنعت المرأة ، ما العمل ؟

ج : يراجعها ويُشهد على ذلك فتكون قد رجعت شاءت أم أبت ، ولا اعتبار لرأيها .

قال القرطبي رحمه الله : وأجمع العلماء على أن الحرَّ إذا طلق زوجته الحرة ، وكانت مدخولًا بها تطليقة أو تطليقتين أنه أحق برجعتها ما لم تنقضِ عدتها ، وإن كرهت المرأة ؛ فإن لم يراجعها المطلِّق حتى انقضت عدتها فهي أحق بنفسها ، وتصير أجنبية منه لا تحل له ! إلا بخطبة ونكاح مستأنف بوليٍّ ، وإشهاد ليس على سنة المراجعة ، وهذا إجماع من العلماء .

❋ ❋ ❋

س : ماذا يلزم المراجع في العدَّة ؟

ج : لا يلزمه شيء سوى الإشهاد على المراجعة .

قال القرطبي رحمه الله : قال المهلب : وكل من راجع في العدة فإنه

---

(١) صح عن إبراهيم (وهو النخعي) ، عند الطبري (٤٧٥٥) ، أنه قال ﴿ وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، قال : في العدة .
وكذلك روي نحوه بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة عند الطبري أيضًا (٤٧٦٠) .
وكذلك صح عن ابن زيدٍ عند الطبري (٤٧٦٤) ، في قوله تعالى : ﴿ وبعولتهن أحق بردهن ﴾ [البقرة : ٢٢٨] أحق برجعتهن ما لم تنقضِ العدة .

لا يلزمه شيء من أحكام النكاح غير الإشهاد على المراجعة فقط ، وهذا إجماع من العلماء .

❋ ❋ ❋

س : هل هناك استثناءات من قوله تعالى : ﴿ وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : نعم هناك استثناءات من ذلك ، فالمطلقة ثلاثًا ليس لزوجها ارتجاعها في العدة ؛ فإنها لا تحل لزوجها حتى تنقضي عدتها وتنكح زوجًا غيره بنية المعاشرة (وليس بنيَّة التحليل) ، ثم يجامعها الزوج الجديد ويطلقها وتنقضي عدتها منه ، فحينئذٍ إن شاءت أن تتزوج الزوج الأول تزوجته ، وإلا فلا .

● والزوجة الحامل ، لزوجها ارتجاعها ما لم تضع حملها ؛ فإن وضعت حملها فقد بانت لقول الله تعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] .

● والمطلقة قبل المسيس ليس لزوجها عليها عدة ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ [الأحزاب : ٤٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله تعالى : ﴿ إن أرادوا إصلاحًا ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : فائدته بيان أنه يجب أن يكون القصد من المراجعة هو الإصلاح ، أما الإرجاع بقصد الإضرار ، فلا يجوز لقوله تعالى : ﴿ ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوًا ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، والله أعلم .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ؟

ج : المراد - والله أعلم - أن لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن فيُحسن صحبتها كما تحسن صحبته ويتزين لها كما تتزين له وعليه أن لا يضارها كما عليها أن لا تضاره وعليه أن يعاشرها بالمعروف كما أن عليها أن تعاشره بالمعروف ويتقي الله فيها كما تتقي الله فيه .

وقال القرطبي رحمه الله : ثم عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجل فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره ، وإن رأى الرجل من نفسه عجزًا عن إقامة حقها في مضجعها أخذ من الأدوية التي تزيد في باهِه وتقوِّي شهوته حتى يعفها .

قلت : ويدخل في ذلك ما أخرجه مسلم من حديث جابر[1] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع : « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرحٍ ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

وكذلك يدخل ما جاء في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ : ما حق زوجة أحدنا يا رسول الله ؟ قال : « أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت »[2] .

* * *

---

(١) مسلم حديث رقم (١٢١٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٤٢) وقد توبع بهز تابعه أبو قزعة الباهلي فالحديث صحيح .

س : ما هي الدرجة التي للرجال على النساء ، وما معنى الدرجة ؟

ج : أما الدرجة فهي الرتبة والمنزلة ، أما الدرجة التي للرجال على النساء فلأهل العلم في تعيينها جملة أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بالدرجة القوامة التي للرجل على المرأة كما قال تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [النساء : ٣٤] فلا تخرج من بيته إلا بإذنه ، وإذا دعاها إلى الفراش وجب عليها إجابته (إلا لعذر شرعي) وتستأذنه لصوم النفل إذا كان حاضرًا ونحو ذلك .

الثاني : أن له ضعفها في الميراث كما قال تعالى : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء : ٤] وأيضًا هو مخاطب بالجهاد وليست هي كذلك ، وشهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين .

الثالث : أن منصب النبوة والإمامة الصغرى والكبرى وسائر الولايات مختص بالرجال .

الرابع : أن تلك الدرجة نالها الرجل بما بذله لها من صداق ، وأنها إذا قذفته أقيم عليها الحد ، وإذا قذفها لاعن .

الخامس : أن الآية الكريمة فيها حض الرجال ، وحثهن على حسن المعاشرة - فكما أن الله عز وجل فضل الرجال بالعقل والقوة ، وتلك الدرجة - فعلى الرجل أن يشكر تلك النعمة ولا يتعامل معها بعقلٍ كعقلها فإنه إذا تعامل معها بعقلٍ كعقلها أصبح مثلها ولكنه يعفو ويصفح ولا يؤاخذها بالصغير والكبير إنما يعفو ويصفح ويُسدِّد في ذلك ويقارب ، واختار الطبري هذا الرأي فقال : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله

ابن عباس[1] وهو أن : (الدرجة) التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع الصفحُ من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها وإغضاؤه لها عنه ، وأداء كل الواجب لها عليه ....

ثم قال : وهذا القول من الله تعالى ذكره ، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر ؛ فمعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ليكون لهم عليهن فضل درجة .

● هذا وثمَّ أقوال أُخر في ذلك أضربنا عنها لضعفها البيِّن ، والله تعالى أعلم .

✵ ✵ ✵

(١) أورد الطبري أثر ابن عباس (٤٧٧٦) ، وفيه أن ابن عباس قال : ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها ، لأن الله تعالى ذكره يقول : ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، لكن في إسناد الأثر ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع تُكُلِّم فيه لوراق السوء الذي كان يلازمه .

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن
تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ
بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾

س : اذكر معنى ما يلي : إمساك بمعروف - تسريح بإحسان - يقيما حدود الله؟

ج :

الكلمة	معناها
إمساك بمعروف	الإمساك المراد به هنا : الرجعة الثانية بعد الطلقة الثانية ، ويراد أيضًا : بالإمساك بالمعروف جملة العشرة الحسنة كما يفعل الرجال مع نسائهم من حسن العشرة
تسريح بإحسان	لأهل العلم قولان في ذلك ، أحدهما : أن المراد الطلقة الثالثة بعد الطلقتين ، والثاني : أن المراد ترك الرجعة بعد التطليقة الثانية حتى تنقضي العدة ، وهذا هو الأصح عندي[1]
يقيما حدود الله	يفعلا ما أمرهما الله به ، وينتهيا عما نهاهما الله عنه

(١) إذ إنها بعد التطليقة الثانية تُعدُّ مطلقة فكيف يأمر الله عز وجل بطلاق مطلَّقة ؟!! =

س : ما هي صورة طلاق السُّنة ؟

ج : صورة طلاق السُّنة : إن يطلق الرجل امرأته في طُهرٍ لم يجامعها فيه .

قال القرطبي رحمه الله : وأجمع العلماء على أن من طلق امرأته طاهرًا في طهرٍ لم يمسها فيه أنه مطلِّق للسنة وللعِدة التي أمر الله تعالى بها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ الطلاق مرتان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ؟

ج : المراد به – والله أعلم – أن الطلاق الرجعي مرتان ، أو بتعبير آخر أن الطلاق الذي تصحبه رجعة (أي يكون للزوج فيه حق مراجعة زوجته) ، هو مرتان فقط ، أما إذا طلقها ثلاثًا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره[1] .

❋ ❋ ❋

س : طلاق الثلاث في المجلس الواحد هل يقع ثلاثًا أم هو واحدة فقط ؟

ج : لأهل العلم في ذلك خلاف ، فذهب الجمهور إلى أنه يقع ثلاثًا ، وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أنها تقع واحدة فقط ، وهذا هو الصحيح لما أخرجه مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان

= وهو أيضًا (أي الرأي الثاني) أنسب لقوله تعالى في الآية التي تليها : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ، فإن اعتبرنا التسريح بإحسان تطليقة يكون قوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] تطليقة رابعة ، وهذا لا وجه له ، فصح ما اخترناه وصححناه ، والله أعلم .

(١) بشرط أن يجامعها الزوج الجديد ، وبشرط أن لا يكون بنية التحليل .

(٢) أخرجه مسلم طبعة الشعب (٦٦٧/٣) ، وأبو داود حديث (٢٢٠٠) ، والنسائي (١٤٥/٦) . =

الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أَناةٌ فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم .

✹ ✹ ✹

س : ما مدى صحة الحديث الذي أخرجه ابن جرير[1] الطبري وغيره ، وفيه أن رجلًا قال : يا رسول الله يقول الله : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، فأين الثالثة قال : « التسريح بإحسان » ؟

ج : هذا الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وذلك لأنه من طريق أبي رزين ، وأبو رزين تابعي لم يدرك النبي ﷺ .

✹ ✹ ✹

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ؟

ج : هذا خطاب من الله عز وجل للأزواج ، والمعنى : لا يحل لكم أيها الأزواج أن تأخذوا مما أعطيتموه لأزواجكم – من مهورٍ وخلافه – شيئًا على وجه المضارة لهن ، إلا إذا خشي الزوجان ألا يقيما حدود الله فيما بينهما وأرادت المرأة الفرقة واختارتها ، فلا جناح عليها حينئذٍ أن تفتدي نفسها منه ببعض المال الذي تبذله له ، والله أعلم .

✹ ✹ ✹

= ولمزيد بحث حول هذا الموضوع انظر كتابي (أحكام الطلاق في الشريعة الإسلامية) ، الذي طبعته مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

(١) أخرجه الطبري (٤/٥٤٥) .

س : ما معنى الخلع ، وما هو ضابطه شرعًا ؟

ج : **أما الخلع فقال الصنعاني رحمه الله :** هو فراق الزوجة على مال ، مأخوذ من خلع الثوب ، لأن المرأة لباس الرجل مجازًا .

وقال **الحافظ ابن حجر :** وضابطه شرعًا : فراق الرجل زوجته ببذلٍ قابل للعوض يحصل لجهة الزوج ، وهو مكروه إلا في حال مخافة ألا يقيما – أو واحدٍ منهما – ما أمر به ، وقد ينشأ ذلك عن كراهة العشرة إما لسوء خُلقٍ أو خَلقٍ ، وكذا ترفع الكراهة إذا احتاجا إليه خشية حنث يؤول إلى البينونة الكبرى .

وقال **ابن قدامة في المغني :** وجملة الأمر أن المرأة إذا كرهت زوجها لخلقه أو خُلقه أو دينه أو كبره أو ضعفه أو نحو ذلك ، وخشيت ألا تؤدي حق الله تعالى في طاعته جاز لها أن تخالعه بعوضٍ تفتدي به نفسها لقوله الله تعالى : ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فما افتدت به ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الأدلة على مشروعية الخلع من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ؟

ج : أما الدليل على الخلع من كتاب الله فهو قوله تعالى : ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

وقوله تعالى : ﴿ فإن طبن لكم عن شيءٍ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا ﴾ [النساء : ٤] .

● ومن سنة رسول الله ﷺ ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما(١). قال : جاءت امرأة ثابت ين قيس بن شماس إلى النبي

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٣٩٥) .

ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ما أنقم على ثابتٍ في دينٍ ولا خلق إلا أني أخاف الكفر ، فقال رسول الله ﷺ : « فتردين عليه حديقته ؟ » ، فقالت : نعم فردت عليه وأمره ففارقها .

وما أخرجه مالك في الموطأ[1] من حديث حبيبة بنت سهل الأنصاري أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس ، وأن رسول الله ﷺ خرج إلى الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس ، فقال رسول الله ﷺ : « من هذه ؟ » فقالت : أنا حبيبة بنت سهل يا رسول الله ، قال : « ما شأنك » ، قالت : لا أنا ولا ثابت بن قيس ، لزوجها ، فلما جاء زوجها ثابت بن قيس قال له رسول الله : « هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله أن تذكر » ، فقالت حبيبة : يا رسول الله كل ما أعطاني عندي ، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس : « خذ منها » فأخذ منها ، وجلست في بيت أهلها .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع الخلع في كل الأحوال ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلى أن الخلع لا يشرع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة ؛ فيجوز للرجل حينئذٍ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، قالوا : فلم يشرع الخلع إلا في هذه الحالة ؛ فلا يجوز في غيرها إلا بدليل والأصل عدمه .

وذهب الإمام الشافعي إلى أنه يجوز الخلع في حال الشقاق ، وعند الاتفاق بطريق الأولى والأحرى ؛ نقل ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٥٦٤) ، وأبو داود (٢٢٢٧) ، والنسائي (٧/٣١٢) ، والبيهقي (٧/٣١٢ - ٣١٣) ، وإسناده صحيح .

س : هل يجوز للرجل أن يأخذ من امرأته أكثر مما أعطاها ليخالعها ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يجوز للزوج أن يأخذ من زوجته أكثر مما أعطاها ، وهم الجمهور[1] ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، بينما ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أنه لا يجوز أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها ، وذلك لحديث رسول الله ﷺ : « أتردين عليه حديقته » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي الحال التي يُخاف عليها أن لا يقيما حدود الله حتى يجوز للرجل أن يأخذ حينئذٍ منها ما آتاها ؟

ج : **أورد الطبري هذا السؤال وأجاب بقوله :** قيل حال نشوزها وإظهارها له بغضته حتى يُخاف عليها ترك طاعة الله فيما لزمها لزوجها من الحق ، ويُخاف على زوجها بتقصيرها في أداء حقوقه التي ألزمها الله له تركه أداء الواجب لها عليه ، فذلك حين الخوف عليهما أن لا يقيما حدود الله فيطيعاه فيما ألزم كل واحد منهما لصاحبه ، والحال التي أباح النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس أخذ ما كان آتى زوجته إذا نشزت عليه بغضًا معها له .

● **وقال صديق حسن خان (في فتح البيان) :** أي تخاف المرأة أن تعصى الله في أمور زوجها ، ويخاف الزوج أنه إذا لم تطعه أن يعتدي عليها .

❋ ❋ ❋

---

(١) وقال الإمام مالك رحمه الله : لم أر أحدًا ممن يُقتدى به يمنع ذلك ، لكنه ليس من مكارم الأخلاق .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – أن الرجل إذا طلق امرأته التطليقة الثالثة بعد التطليقتين فإن امرأته لا تحل له بعد هذه التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجًا غيره ويطأها ذلك الزوج الجديد ويكون قصد ذلك الزوج الجديد الرغبة في المرأة وفي دوام عشرتها ، فإن قدر الله وطلّق هذا الزوج الجديد هذه المرأة فإنها حينئذٍ تحل لزوجها الأول بعقد نكاح جديد وولي وشهود .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بـ (النكاح) في قوله تعالى : ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – بالنكاح الجماع ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن رفاعة طلقني فبتَّ طلاقي ، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزَّبير القرظي وإنما معه مثل الهُدبة[2] ، قال رسول الله ﷺ : « لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته » .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٦١/٩) ، ومسلم (٦٠٦/٣) .
(٢) الهدبة هي طرف الثوب الذي لم ينسج .

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

س : اذكر معنى ما يلي : ظلم نفسه – يعظكم به ؟

ج :

الكلمة	معناها
ظلم نفسه	أكسبها إثمًا ، وأوجب لها من الله العقوبة والعذاب
يعظكم به	يذكِّركم به – يخوِّفكم به

❋ ❋ ❋

س : أي نوع من أنواع الطلاق أُريد بقوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن ﴾ [البقرة : ٢٣١] ؟

ج : المراد : الطلاق الرجعي ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالأجل في قوله تعالى : ﴿ فبلغن أجلهن ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وما المراد ببلوغه ؟

ج : الأجل هو الميقات ، والمراد به : انقضاء القروء الثلاثة للمرأة إذا كانت من ذوات الأقراء (أي : كانت تحيض وتطهر من حيضها) ، أو انقضاء الأشهر الثلاثة لمن كانت من ذوات الأشهر ، كما قال تعالى : ﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ﴾ [الطلاق : ٤] ، أو وضع الحمل إذا وضعت المطلقة حملها .

أما المراد ببلوغ الأجل هنا : فهو مقاربة بلوغ الأجل .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : معنى (بلغن) قاربن بإجماع من العلماء ، ولأن المعنى يضطَّر إلى ذلك ، لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له في الإمساك ، وهو في الآية التي بعدها بمعنى التناهي ، لأن المعنى يقتضي ذلك ، فهو حقيقة في الثانية مجاز في الأولى .

❋ ❋ ❋

س : كيف يمسك الزوج المرأة ضرارًا ليعتدي ؟

ج : لذلك صور ، منها أنه يطلقها ويتركها حتى تقترب عدتها من الانتهاء ، ثم يراجعها ولا حاجة له فيها ولا يريد معاشرتها ، وإنما يمسكها ليطوِّل العدة عليها ويؤذيها بذلك ، أو يطول العدة عليها ليجبرها على الخلع كي يأخذ الصداق منها ويذهب ببعض ما آتاها .

س : ما مدى صحة حديث : « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والرجعة[1] » ؟

ج : الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وقد أخرجه أبو داود[2] والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي إسناده عبد الرحمن بن حبيب بن أردك قال فيه النسائي : منكر الحديث ، ووثقه ابن حبّان والحاكم ، ومن المعلوم أن ابن حبان والحاكم من المتساهلين في التوثيق .

وللحديث شواهد واهية ضعيفة أشار إليها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في التلخيص الحبير ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : رجل طلق زوجته وقال : إني كنت هازلًا ، هل يقع طلاقه ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن طلاقه يقع ، ومن حججهم قوله تعالى : ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزوًا ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والعتاق » ، وقد بيّنا ضعف الحديث .

● **قال الخطابي رحمه الله (في معالم السنن) :** اتفق عامة أهل العلم على أن صريح لفظ الطلاق إذا جرى على لسان البالغ العاقل ، فإنه مؤاخذ به ولا ينفعه أن يقول : كنت لاعبًا أو هازلًا أو لم أنوِ به طلاقًا ، أو ما أشبه ذلك من الأمور ...

---

(١) وفي لفظ : « والعتاق » .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٩٤) ، والترمذي (حديث ١١٨٤) ، وابن ماجه حديث (٢٠٣٩) .

• **وقال القرطبي في تفسيره** : ولا خلاف بين العلماء أن من طلق هازلًا أن الطلاق يلزمه .

قلت : ومن الأئمة - كمالك وأحمد رحمهما الله - من يذهب إلى أن اللفظ الصريح في الطلاق يفتقر إلى نية ، ودليلهم قول النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » ، وقول الله عز وجل : ﴿ وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٢٧] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : كيف يتخذ الرجل آيات الله هزوًا ؟

ج : يُعرض عنها ويتهاون في العمل بها ، ولا يبالي بحرمات الله عز وجل ، فيقول الرجل : قد طلقت قد راجعت ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالحكمة في قوله تعالى : ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ [البقرة : ٢٣١] ؟

ج : المراد بالحكمة هنا - ، والله تعالى أعلم - السُّنة ، وقيل المراد بها : الفقه ، والأول أولى في هذا الموطن .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن .... ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري[1] من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال : زوجت أختًا لي من رجل فطلَّقها حتى إذا انقضت عدتها

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٨٣/٩) .

جاء يخطبها فقلت له : زوجتك وأفرشتك وأكرمتك ، فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبدًا ، وكان رجلًا لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ، فقلت : الآن أفعل يا رسول الله ، قال : فزوجها إياه .

***

س : في الآية الكريمة دلالة على الولاية في النكاح حتى على الثيِّب ، وضح ذلك ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره الطبري رحمه الله حيث قال : وفي الآية الدلالة الواضحة على صحة قول من قال : (لا نكاح إلا بولي من العصبة) ، وذلك أن الله تعالى ذكره منع الولي من عضل المرأة إذا أرادت النكاح ، ونهاه عن ذلك ؛ فلو كان للمرأة إنكاح نفسها بغير إنكاح وليِّها إياها ، أو كان لها تولية من أرادت توليته في إنكاحها لم يكن لنهي وليها من عضلها معنى مفهوم ، إذ كان لا سبيل له إلى عضلها ، وذلك أنها إن كانت متى أرادت النكاح جاز لها إنكاح نفسها أو إنكاح من توكله بإنكاحها ؛ فلا عضل هنالك لها من أحد فينهى عاضلها عن عضلها ، وفي فساد القول بأن لا معنى لنهي الله عما نهى عنه صحة القول بأن لولي المرأة في تزويجها حقًّا لا يصح عقده إلا به ، وهو المعنى الذي أمر الله به الولي من تزويجها إذا خطبها خاطبها ورضيت به ، وكان رضى عند أوليائها جائزًا في حكم المسلمين لمثلها أن تنكح مثله ، ونهاه عن خلافه من عَضْلها ، ومنعها عما أرادت من ذلك ، وتراضت هي والخاطب به .

قلت : هذا وسبب نزول الآية الكريمة في امرأة ثيب كما تقدم ، فالولاية في النكاح ثابتة عليها أيضًا ، والله أعلم .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : ويعني بقوله : ﴿ أزكى لكم ﴾ [البقرة : ٢٣٢] أفضل وخير عند الله من فرقتهن أزواجهن .

وأما قوله : ﴿ وأطهر ﴾ [البقرة : ٢٣٢] فإنه يعني بذلك : أطهر لقلوبكم وقلوبهن وقلوب أزواجهن من الريبة ، وذلك أنهما إذا كان في نفس كل واحد منهما - أعني الزوج والمرأة - علاقة حبٍّ لم يُؤمن أن يتجاوزا ذلك إلى غير ما أحله الله لهما ، ولم يؤمن من أوليائهما أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلَّهما أن يكونا منه بريئين ، فأمر الله تعالى ذكره الأولياء إذا أراد الأزواج التراجع بعد البينونة بنكاح مستأنف في الحال التي أذن لهما بالتراجع أن لا يعضل وليته عما أرادت من ذلك وأن يزوجها لأن ذلك أفضل لجميعهم وأطهر لقلوبهم مما يُخاف سُبوقه إليها من المعاني المكروهة ، ثم أخبر تعالى ذكره عباده أنه يعلم من سرائرهم وخفيَّات أمورهم ما لا يعلمه بعضهم من بعض ودلَّهم بقوله لهم ذلك في هذا الموضع أنه إنما أمر أولياء النساء بإنكاح من كانوا أولياءه من النساء إذا تراضت المرأة والزوج الخاطب بينهم بالمعروف ونهاهم عن عضلهن عن ذلك لما علم مما في قلب الخاطب والمخطوبة من غلبة الهوى والميل من كل واحد منهما إلى صاحبه بالمودة والمحبة فقال لهم تعالى ذكره : افعلوا ما أمرتكم به إن كنتم تؤمنون بي وبثوابي وبعقابي في معادكم في الآخرة ، فإني أعلم من قلب الخاطب والمخطوبة ما لا تعلمونه من الهوى والمحبة ، وفعلكم ذلك أفضل لكم عند الله ولهم ، وأزكى وأطهر لقلوبكم وقلوبهن في العاجل .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد ببلوغ الأجل في قوله تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن .. ﴾ [البقرة : ٢٣٢] ؟

ج : المراد ببلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة .

* * *

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

س : اذكر معنى ما يلي:

حولين – فصالًا – تسترضعوا أولادكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
حولين	عامين
فصالًا	فطامًا ، وأصله من الفصل أي : الفصل بين الطفل وثدي أمه
تسترضعوا أولادكم	أي : تسترضعوا لأولادكم أي : تطلبوا للأولاد مراضع غير الأمهات ، كقوله : ﴿ وإذا كالوهم ﴾ [المطففين : ٣] أي : كالوا لهم

* * *

س : من المراد بالوالدات في قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المراد بـ (الوالدات) هنا : المطلقات[1] اللواتي لهن أولاد من أزواجهن الذين طلقوهن ، ويلحق بهن عموم الوالدات كذلك ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب على الأم[2] إرضاع ولدها ؟ وهل يجب أن تتمم إرضاعه إلى الحولين ؟

ج : لا يجب عليها إرضاع ولدها إلا إذا كان الطفل لا يقبل إلا ثديها وعدم الوجوب لقوله تعالى : ﴿ وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ﴾ [الطلاق : ٦] وكذلك لا يجب عليها إتمام الرضاعة إلى الحولين لقوله عز وجل : ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

❋ ❋ ❋

س : إذن فما معنى قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المعنى أن الوالدات أحق بإرضاع أولادهن من غيرهن فإذا طالبت المرأة أن ترضعه فلها ذلك ما دام ذلك بنفس أجر من سواها ، واختار

---

(١) والحامل على اختيار هذا القول شيئان : أحدهما : أن الآية الكريمة ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن .. ﴾ [البقرة : ٢٣٣] جاءت عقب آيات الطلاق فكانت كالمتممة لها .
والثاني : قوله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ولو كانت الزوجية باقية لوجب على الزوج ذلك بسبب الزوجية لا بسبب الرضاع ، والله تعالى أعلم .

(٢) المراد بها هنا : الأم المطلقة .

الطبري أن في الآية دلالة على الغاية التي يُنتهى إليها في رضاع المولود إذا اختلف والداه في رضاعه ، وأن لا رضاع بعد الحولين يُحرِّم شيئًا .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بالحولين ؟

ج : ذلك لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين ، وإن أراد الأب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الأم لم يكن له ذلك ، والزيادة على الحولين أو النقصان عنها إنما يكون عند عدم الإضرار بالمولود وعند رضا الوالدين ، قاله القرطبي ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما فائدة التقييد بقوله : ﴿ كاملين ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟ أليس في ذكر الحولين كفاية لبيان المراد ؟

ج : فائدته دفع ظنٍّ قد يظنه شخص ، فيقول مثلًا إن (حولين) تعني : أغلب الحولين ولا يشترط إتمامهما ، كما قال تعالى : ﴿ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ومعلوم أن المتعجل إنما يتعجل في يومٍ ونصف ، فاحترازًا من هذا الظن جاء التقييد بقوله : ﴿ كاملين ﴾ .

● ومن العلماء من قال : إن ذلك للتأكيد كقوله تعالى : ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

❋ ❋ ❋

س : هل الحولان هنا لكل مولود أم لمولودٍ له صفة معينة ؟

ج : الجمهور على أنها لكل مولود ، وذُكر عن بعض أهل العلم أنه يخصها بالمولود الذي مكث في بطن أمه ستة أشهر ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] قالوا : فإن مكث ثمانية أشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهرًا ، فإن مكث في بطن أمه تسعة أشهر فرضاعه واحد وعشرون شهرًا ، وعلى هذا تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاعة ، ويأخذ الواحد منهما من الآخر[١] ، لكن القول الأول أصح ، قال الطبري رحمه الله :

فإن قال لنا قائل : فإن الله تعالى ذكره قد بيّن ذلك بقوله : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، فجعل ذلك حدًّا للمعنيين كليهما ، فغير جائز أن يكون حملٌ ورضاعٌ أكثر من الحد الذي حده الله تعالى ذكره . فما نقص من مدة الحمل عن تسعة أشهر ، فهو مزيد في مدة الرضاع ، وما زيد في مدة الحمل ، نقص عن مدة الرضاع . وغير جائز أن يجاوز بهما كليهما مدة ثلاثين شهرًا ، كما حده الله تعالى ذكره .

قيل له : فقد يجب أن تكون مدة الحمل - على هذه المقالة - إن بلغت حولين كاملين ، أن لا يرضع المولود إلا ستة أشهر ، وإن بلغت أربع سنين ، أن يبطل الرضاع فلا يرضع ، لأن الحمل قد استغرق الثلاثين شهرًا وجاوز غايته = أو يزعم قائل هذه المقالة : أن مدة الحمل لن تجاوز تسعة أشهر ، فيخرج من قول جميع الحجة ، ويكابر الموجود والمشاهد ، وكفى بهما حجة

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٤٩٥٠) من طريق داود عن عكرمة عن ابن عباس في التي تضع لستة أشهر أنها تُرضع حولين كاملين ، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهرًا ، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحدًا وعشرين شهرًا . وإسناده صحيح إلا أنه روي مرة عن عكرمة عن ابن عباس ، ومرة أخرى عن عكرمة من قوله (كما عند الطبري ٤٩٥١) .

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن أبي عبيد قال : رُفع إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر فقال : إنها رفعت إليَّ امرأة لا أراها إلا قد جاءت بشرٍّ - أو نحو هذا - ولدت لستة أشهر ! فقال ابن عباس : إذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر ، قال : وتلا ابن عباس : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، فإذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر فخلّى عثمان سبيلها .

على خطأ دعواه إن ادعى ذلك . فإلى أي الأمرين لجأ قائل هذه المقالة ، وضح لذوي الفهم فساد قوله .

***

فإن قال لنا قائل : فما معنى قوله - إن كان الأمر على ما وصفت -: ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، وقد ذكرت آنفًا أنه غير جائز أن يكون ما جاوز حد الله تعالى ذكره ، نظير ما دون حده في الحكم ؟ وقد قلت : إن الحمل والفصال قد يجاوزان ثلاثين شهرًا ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره لم يجعل قوله : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثين شهرًا ﴾ ، حدًّا تعبد عباده بأن لا يجاوزوه ، كما جعل قوله : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، حدًّا لرضاع المولود الثابت الرضاع ، وتعبد العباد بحمل والديه عند اختلافهما فيه ، وإرادة أحدهما الضرار به . وذلك أن الأمر من الله تعالى ذكره إنما يكون فيما يكون للعباد السبيل إلى طاعته بفعله والمعصية بتركه . فأما ما لم يكن لهم إلى فعله ولا إلى تركه سبيل ، فذلك مما لا يجوز الأمر به ولا النهي عنه ولا التعبد به .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الحمل مما لا سبيل للنساء إلى تقصير مدته ولا إلى إطالتها ، فيضعنه متى شئن ، ويتركن وضعه إذا شئن = كان معلومًا أن قوله : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ ، إنما هو خبر من الله تعالى ذكره عن أن مِن خلقه مَن حملته أمه وولدته وفصلته في ثلاثين شهرًا = لا أمرٌ بأن لا يُتجاوز في مدة حمله وفصاله ثلاثون شهرًا ، لما وصفناه . وكذلك قال ربنا تعالى ذكره في كتابه : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

فإن ظن ذو غباء أن الله تعالى ذكره إذ وصف أن مِن خلقه مَن حملته أمه ووضعته وفصلته في ثلاثين شهرًا ، فواجبٌ أن يكون جميعُ خلقه ذلك

صفتهم = وأن ذلك دلالةٌ على أن حمل كل عباده وفصاله ثلاثون شهرًا = فقد يجب أن يكون كل عباده صفتهم أن يقولوا إذا بلغوا أشدهم وبلغوا أربعين سنة : ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، على ما وَصَفَ الله به الذي وُصِف في هذه الآية .

وفي وجودنا من يستحكم كفره بالله ، وكفرانه نعم ربه عليه ، وجرأته على والديه بالقتل والشتم وضروب المكاره ، عند استكماله الأربعين من سنيه وبلوغه أشدَّه = ما يعلم أنه لم يعنِ اللَّهُ بهذه الآية صفة جميع عباده ، بل يعلم أنه إنما وصف بها بعضًا منهم دون بعض ، وذلك ما لا ينكره ولا يدفعه أحد . لأن من يولد من الناس لسبعة أشهر ، أكثر ممن يولد لأربع سنين ولسنتين ؛ كما أن من يولد لتسعة أشهر ، أكثر ممن يولد لستة أشهر ولسبعة أشهر .

ومن العلماء من حمل الآية على أنها غاية للرضاع ، قال : فلا رضاع بعد الحولين ، وهذا سيأتي في سؤال مستقل إن شاء الله .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم الرضاعة بعد الحولين ؟

ج : الرضاعة بعد الحولين لا تحرِّم شيئًا على الصحيح ، وهذا هو رأي جمهور أهل العلم ، ومن أدلتهم قوله تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يُتم الرضاعة ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، وقول النبي ﷺ : « لا يُحرِّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام »[١] .

وما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها أن

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ١١٦٢ مع تحفة الأحوذي) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥١٠٢) ، ومسلم (حديث ١٤٥٥) ، وغيرهما .

النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل فكأنه تغيَّر وجهه كأنه كره ذلك ، فقالت : إنه أخي ، فقال : « انظرن ما إخوانكن ، فإنما الرضاعة من المجاعة » .

وثمَّ جملة آثار عن الصحابة في ذلك ، منها : ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف[١] من طريق أبي عطية الوادعي قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : إنها كانت معي امرأتي فحُصر لبنها في ثديها فجعلت أمصُّه ثم أمجُّه فأتيت أبا موسى فسألته فقال : حرمت عليك قال : فقام وقمنا حتى انتهى إلى أبي موسى فقال : ما أفتيت هذا ؟ فأخبره بالذي أفتاه ، فقال ابن مسعود ، وأخذ بيد الرجل : أرضيعًا ترى هذا ؟ إنما الرضاع ما أنبت اللحم والدم ، فقال أبو موسى : لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين أظهركم .

وروى مالك في الموطأ[٢] عن عبد الله بن دينار أنه قال : جاء رجل إلى عبد الله بن عمر وأنا معه عند دار القضاء يسأله عن رضاعة الكبير ؟ فقال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني كانت لي وليدة وكنت أطؤها فَعَمدَت امرأتي إليها فأرضعتها ، فدخلت عليها فقالت : دونك ، فقد والله أرضعتها فقال عمر : أوجعها وأتِ جاريتك فإنما الرضاعة رضاعة الصغير . وإسناده صحيح .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عباس قال : لا رضاع إلا ما كان في الحولين[٣] .

● وروى مالك في (الموطأ)[٤] من حديث ابن عمر قال : لا رضاعة إلا لمن أُرضع في الصغر ، ولا رضاعة لكبير .

● هذا بينما ذهب قليل من أهل العلم إلى أن رضاع الكبير يُحرِّم ،

---

(١) المصنف (٤٦٣/٧) .
(٢) الموطأ ص (٦٠٦) ، وإسناده صحيح .
(٣) وإسناده صحيح (سنن سعيد بن منصور رقم ٩٨٠) .
(٤) الموطأ (٦٠٣/٢) ، وإسناده صحيح .

منهم عائشة رضي الله عنها ، واحتجت بما قالته : جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حَلِيفُهُ) ، فقال النبي ﷺ : « أَرضعيه » قالت : وكيف أرضعه وهو رجل كبير ؟! فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « قد علمت أنه رجل كبير »[1] انتهى .

وخالف في ذلك جمهور العلماء وجمهور أزواج[2] النبي ﷺ ، ورأوا أن هذا خاص بسالم مع أبي حذيفة .

ورأي الجمهور أصح لما قدمناه ، والله أعلم .

* * *

س : وضح من المراد بـ ﴿ المولود له ﴾ [البقرة : ٢٣٣] وبيِّن عليه رزق مَنْ ؟

ج : المولود له هو : والد الصبي ، وعليه رزق أم الصبي وكسوتها أثناء إرضاعها الطفل ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : أي بالمتعارف عليه بين الناس أي بالذي يجب لمثلها على مثله ، والله أعلم .

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٣) .

(٢) أخرج النسائي ، وغيره بإسناد صحيح عن عروة قال : أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضعة أحد من الناس - يريد رضاعة الكبير - وقلن لعائشة : والله ما نرى الذي أمر رسول الله ﷺ سهلة بنت سهيل إلا رخصة في رضاعة سالم وحده من رسول الله ﷺ ، والله لا يدخل علينا أحدٌ بهذه الرضعة ولا يرانا .

س : لماذا عُبر بقوله تعالى : ﴿ المولود له ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ولم يُقل : الوالد ؟

ج : ذلك - والله أعلم - لبيان وجوب النفقة والمؤن على الوالد لأن الأمهات إنما ولدن للآباء ، ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم ، كما قال تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وأيضًا ، - والله أعلم - لقذف الرحمة في قلب الوالد للمرضعة وللولد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لا تكلف نفسٌ إلَّا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** لا يوجب الله على الرجال من نفقة من أرضع من نسائهم إلا ما أطاقوه ووجدوا السبيل إليه ، كما قال تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها ﴾ [الطلاق : ٧] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المعنى : لا تمتنع أم من إرضاع طفلها لتشق بذلك على أبيه ، ولا يمنع الوالد أمَّ الصبي من إرضاعه ليحزنها[1] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٤٩٧٦) قال : قوله : ﴿ لا تضار والدة =

س : من المراد بالوارث ؟ وما المراد بقوله : ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها :

١ - أن الوارث هو : كل من يرث الأبَ من الرجال والنساء ، وهو قول الحسن والنخعي وأحمد وإسحاق نقله عنهم ابن حجر في فتح الباري (٥١٤/٩) .

٢ - أن الوارث هو : المولود نفسه ، قاله قبيصة بن ذؤيب ، كما عند ابن جرير الطبري (٥٨/٥ ، ٥٩) ، وكما نقله عنه صاحب الفتح .

٣ - أن الوارث هو وارث المولود ، فقالوا معنى الآية : وعلى وارث الصبي إذا كان أبوه ميتًا مثل الذي كان على أبيه في حياته ، وممن قال بهذا القول : قتادة كما عند ابن حرير الطبري وابن حزم في المحلى (٣٣٦/١٠ ، ثم اختلف أهل هذا القول على قسمين :

أ - أن المراد هو : وارث الصبي من عصبته كائنًا من كان : أخًا كان ، أو عمًّا ، أو ابن عم ، أو ابن أخ .

ب - أن المراد : وارث المولود من كان من الرجال والنساء .

٤ - أن الوارث هو : الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر منهما .

ذكر ذلك الطبري في تفسيره عازيًا له إلى سفيان ، ثم ساق بسنده إلى سفيان في صبي له عم وأم وهي ترضعه ، قال : يكون رضاعه بينهما ، ويرفع

= بولدها ولا مولود له بولده ﴾ قال : نهى الله تعالى عن الضرار وقدَّم فيه ، فنهى الله أن يضار الوالد فينتزع الولد من أمِّه إذا كانت راضية بما كان مسترضعًا به غيرها ، ونهيت الوالدة أن تقذف الولد إلى أبيه ضرارًا .

● وأخرج بإسناد صحيح عن ابن زيد (٤٩٨٣) : لا ينتزعه منها وهي تحب أن ترضعه فيضارها ولا تطرحه عليه وهو لا يجد من ترضعه ولا يجد ما يسترضعه به .

عن العم بقدر ما ترث الأم ؛ لأن الأم تجبر على النفقة على ولدها .

قلت : وبين كلام ابن جرير الطبري وما ذكره عن سفيان فرق .

وثم أقوال أخر في الباب .

والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أن المراد بالوارث هنا : وارث المولود له ، فإذا مات المولود له كلف ورثته الإنفاق على المرضع حتى الفطام ، والذي حملنا على اختيار هذا الرأي هو أن المولود له هو الذي تقدم ذكره في قوله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ... ﴾ [البقرة : ٢٣٣][1] . والله تعالى أعلم .

ثانيًا : أقوال أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال ، ولعل سياق الآية الكريمة يوضح المراد ، قال سبحانه : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

- فمن قائل : أن معنى ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣] أي : يلزم الوارث أن يرزق الوالدة ويكسوها بالمعروف .
- ومن قائل : أن على الوارث أجرة إرضاع المولود .
- ومن قائل : أن على الوارث ترك المضاراة .

وسبب هذا الاختلاف هل الضمير في قوله تعالى : ﴿ مثل ذلك ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

---

(١) هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٩/٥١٤) : والجمهور قالوا : ولا غرم على أحدٍ من الورثة ، ولا يلزمه نفقة ولد الموروث ، قلت : وهذا مصير منهم إلى أنهم اختاروا أن قوله : ﴿ الوارث ﴾ هو : الصبي نفسه . والله تعالى أعلم .

يرجع إلى كل ما تقدم من الرزق والكسوة بالمعروف وقبلها الإرضاع وبعدها لا تضار والدة بولدها .. أم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور وهو ترك المضاراة ؟ والذي يظهر لي – والله أعلى وأعلم – أننا ما دُمنا قد اخترنا أن الوارث هو وارّث المولود له فيلزمه حينئذ ما يلزم المولود له من الرزق والكسوة بالمعروف وترك المضاراة ، والله أعلم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم .. ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله :** يعني تعالى ذكره بذلك : وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أن يرضعنهم بالذي يرضعنهم به غيرهن من الأجر ، أو من خيفة ضيعة منكم على أولادكم بانقطاع ألبان أمهاتهم ، أو غير ذلك من الأسباب ؛ فلا حرج عليكم في استرضاعهن إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** أي : إذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يستلم منها الولد إما لعذرٍ منها أو لعذرٍ له ، فلا جناح عليهما في بذله ، ولا عليها في قبوله منها إذا سلمها أجرتها الماضية بالتي هي أحسن واسترضع لولدها غيرها بالأجرة بالمعروف .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فإن أرادا فصالًا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ؟

ج : المعنى ، كما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله : أي فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ورأيا في ذلك مصلحةً له وتشاورا في ذلك وأجمعا

عليه فلا جناح عليهما في ذلك ، فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ، ولا يجوز لواحدٍ منهما أن يستبدَّ بذلك من غير مشاورة الآخر ، قاله الثوري وغيره ، وهذا فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره ، وهو من رحمة الله بعباده ، حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما ، وأرشدهما إلى ما يصلحهما ويصلحه ، كما قال في سورة الطلاق : ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ﴾ [الطلاق : ٦] .

***

س : قوله تعالى : ﴿ إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٣] سلمتم من ؟ وما هي صورة المعروف ؟

ج : سلمتم الأمهات ، وسلمتم المسترضعات الأخريات (غير الوالدات) أجورهن وحقوقهن بالمعروف ، والله أعلم .

والمعروف هو : ما تعارف عليه الناس من أجر المرضعات من دون مماطلة لهن ، أو حطٍّ بعض ما هو لهن من ذلك ، فإن عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل بأمر الصبي ، والتفريط في شأنه ، والمعنى : أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مُطَيبين لأنفس المراضع بما أمكن ، قاله عدد من أهل العلم .

***

س : من أحق بالطفل الذي لم يميز الأم أم الأب ؟

ج : الأحق به الأم ما لم تتزوج ، وذلك لقول النبي ﷺ : « أنت أحق به ما لم تنكحي » .

قال القرطبي رحمه الله : قال ابن المنذر : أجمع كل من يُحفظ عنه

من أهل العلم على أن الزوجين إذا افترقا ولهما ولد أن الأم أحق به ما لم تنكح ، وكذا قال أبو عمر : لا أعلم خلافًا بين السلف من العلماء في المرأة المطلقة إذا لم تتزوج أنها أحق بولدها من أبيه ما دام طفلًا صغيرًا لا يُميز شيئًا إذا كان عندها في حرزٍ وكفاية ، ولم يثبت فيها فسق ولا تبرج .

* * *

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

س : ما معنى : يذرون ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
يذرون	يتركون

✹ ✹ ✹

س : هل هذه الآية عامة في كل امرأة توفي عنها زوجها ، أم استثني منها شيء ؟

ج : استثني منها من توفي عنها زوجها وهي حامل ، فالتي توفي عنها زوجها وهي حامل تنقضي عدتها بوضع الحمل ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] .

ولما أخرجه البخاري ومسلم(١) من طريق أبي سلمة قال :

جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالسٌ عنده فقال : أفتني في امرأة ولدت بعد(٢) زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس : آخر الأجلين ، قلت أنا : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ [الطلاق : ٤] ، قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي ، يعني أبا سلمة ، فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا إلى أم سلمة يسألها فقالت : قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخُطبت ، فأنكحها رسولُ الله ﷺ ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها .

وله سياق آخر(٣) عند مسلم من طريق ابن شهاب قال :

حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبد الله إلى عبد الله بن عتبة يخبر أن سبيعة أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة ، وهو في بني عامر بن لؤي ، وكان ممن شهد بدرًا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تعلَّت

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٠٩) ، ومسلم (٣/٧٠٥) .

(٢) عند مسلم : بعد وفاة زوجها بليالٍ .

(٣) أخرجه مسلم (٣/٧٠٣) .

من نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك ، رجل من بني عبد الدار ، فقال لها : ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح ، إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي .

❋ ❋ ❋

س : ما هي عدة المسلمة الحرة - غير ذات الحمل - التي توفي عنها زوجها ؟

ج : عدتها أربعة أشهر وعشر ، سواء كانت مدخولًا بها أو غير مدخول بها ، وسواء كانت صغيرة أو كبيرة ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ، ولقول النبي ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا »(١) .

وهذا قول أكثر أهل العلم ، وقد نقل بعض العلماء الإجماع على ذلك .

❋ ❋ ❋

س : ما هي عدة الأَمَةِ المتوفى عنها زوجها ؟

ج : لم نقف على دليل صحيح صريح عن رسول الله ﷺ يوضح عدة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣٤ و ٥٣٣٥) ، ومسلم (١٤٨٦ و ١٤٨٧) ، من حديث أم حبيبة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما مرفوعًا ، وعند البخاري ومسلم نحوه ، كذلك عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا ، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ .

الأَمَةِ المتوفى عنها زوجها ، ولكنها مادامت زوجة فينسحب عليها ما ينسحب على الزوجة من أحكام ، ولا تنفصل في حكمٍ من تلك الأحكام عن الزوجة الحرة إلا بدليل ، وإذ لا دليل يفرِّق بينهما فعليه فحكمها في عدتها كحكم الزوجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : امرأة طلقها زوجها طلاقًا رجعيًّا ، فبدأت في العدة فمات أثناء عدتها ، كيف تصنع ؟

ج : إذا مات زوج المطلقة الرجعية فإنها تلغي ما كانت احتسبته من أيام ، ثم تبدأ في عدة الوفاة من جديد ، لأنها زوجة له .

قال ابن قدامة رحمه الله : وإذا مات زوج الرجعية استأنفت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا بلا خلاف .

وقال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على ذلك ، وذلك لأن الرجعية زوجةٌ يلحقها طلاقه ، وينالها ميراثه فاعتدت للوفاة كغير المطلقة .

وقال القرطبي رحمه الله : أجمع العلماء على أن من طلَّق زوجته طلاقًا يملك رجعتها ثم توفي قبل انقضاء العدة أن عليها عدة الوفاة وترثه .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى الإحداد لغةً وشرعًا ؟

ج : الإحداد لغةً معناه : المنع ، وشرعًا : ترك المرأة الزينة والطِّيب وغيرهما مما كان من دواعي الجماع أو المرغبات في الخطبة ، وذلك إذا مات للمرأة ميت ، ويجب عليها الإحداد إذا مات زوجها .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الذي تجتنبه الحادة على سبيل الإجمال ، وما هي الأدلة على ذلك ؟

ج : يجب على الحادة اجتناب الآتي :

الكحل ، والطيب ، والثياب المصبوغة – إلا ثوب العصب[1] – والخضاب ، والمعصفر من الثياب ، والمُمَشَّقة[2] ، والحلي .

أما الأدلة على ذلك فمنها :

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم عطية رضي الله عنها قالت : كنا نُنهى أن نحد على الميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهرٍ وعشرًا ، ولا نكتحل ولا نطيب ولا نلبس ثوبًا مصبوغًا إلا ثوب عصب .

ومنها ما أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد وغيرهم بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ، ولا الممشقة ، ولا الحلي ، ولا تختضب ، ولا تكتحل » .

* * *

س : الحادةُ إذا اشتكت عينها هل يجوز لها أن تكتحل ؟

ج : الحادة ، وإن اشتكت عينها لا تكتحل ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة توفي زوجها فخشوا على عينيها فأتوا على رسول الله ﷺ فاستأذنوه في التكحل فقال : « لا تكتحل ، قد كانت إحداكن تمكث في شر أحلاسها – أو شر بيتها – فإذا

---

(١) ثوب العصب : هو الثوب الذي صُبغت خيوطه قبل أن تنسج .

(٢) هي المصبوغة بالمشق (وهو الطين الأحمر) الذي يسمى بالمغرة .

كان حول فمرَّ كلب رمت ببعرة[1] ، فلا ، حتى تمضي أربعة أشهر وعشر » .

هذا وقد يسر الله سبل العلاج للمسلمين والمسلمات بغير الكحل فهناك القطرة والمراهم ، ونحو ذلك فلا معنى حينئذٍ للتعلل بالمرض لاستعمال الكحل ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل هناك ما يرخص للحادة في الاكتحال ليلًا ومسحه نهارًا إذا اشتكت ؟ وما مدى صحة ذلك ؟

ج : نعم ورد ما يرخص للحادة في ذلك إذا اشتكت عينيها ، إلا أنه حديث ضعيف جدًّا ، ألا وهو ما أخرجه أبو داود وغيره من حديث أم حكيم بنت أُسيد عن أمها : أن زوجها توفي وكانت تشتكي عينها فتكتحل بكحل الجلاء ، فأرسلت مولاة لها إلى أم سلمة فسألتها عن كحل الجلاء فقالت : لا تكتحلي به إلا من أمر لا بد منه يشتد عليك ، فتكتحلين بالليل وتمسحينه بالنهار ، ثم قالت عند ذلك أم سلمة : دخل عليَّ رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة ، وقد جعلت على عيني صبرًا ، فقال : « ما هذا

(١) كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها دخلت شر بيتها (شر مكان في بيتها) ، ولا تغتسل ولا تطيب ولا تقلم ظفرًا حتى يمر عليها عام كامل ، ثم بعد العام تأخذ بعرة وترمي بها الكلب الذي يمر بها إشارة إلى أن ما كانت فيه من إحداد أهون عليها من البعرة ، وذلك لكبر حق الزوج عليها وعظمه ، فكأنها تقول : إن حق زوجي أكبر بكثير مما صنعته ، أو أنها ترمي بالبعرة ولسان حالها يقول : لا أعاد الله هذا .

فالمعنى والله أعلم : أن على المسلمات أن يصبرن على الإحداد على أزواجهن أربعة أشهر وعشرًا كما أمر الله ، فهي مدة يسيرة بالنسبة لما كان يصنع من الجاهلية ، والله أعلم .

يا أم سلمة ؟ » ، فقلت : إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب ، قال : « إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل وتنزعينه بالنهار .... » الحديث ، وهو ضعيف جدًّا كما قدمنا ، فلا تقوم به حجة ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث تلزم المتوفى عنها زوجها بالاعتداد في مكان معين ؟ وهل صح من هذه الأحاديث شيء ؟

ج : نعم وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث تبين أين تعتد المتوفى عنها زوجها ، إلا أن هذه الأحاديث لم يصح منها شيء عن رسول الله ﷺ على الراجح ، ومن هذه الأحاديث : حديث الفريعة بنت مالك – أخت أبي سعيد الخدري رضي الله عنه – وفيه أن النبي ﷺ قال لها : « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » ، وهو ضعيف على الراجح .

● وحديث مرسل من طريق مجاهد – والمرسل من قسم الضعيف – قال : استشهد رجال يوم أحد عن نسائهم وكن متجاورات في داره فجئن النبي ﷺ فقلن : إنا نستوحش يا رسول الله بالليل فنبيت عند إحدانا حتى إذا أصبحنا تبددنا بيوتنا ، فقال النبي ﷺ : « تحدثن عند إحداكن ما بدا لكن حتى إذا أردتن النوم فلتأت كل امرأة إلى بيتها » .

● وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ أمر المتوفى عنها زوجها أن تعتد حيث شاءت ، وهو ضعيف أيضًا .

❋ ❋ ❋

س : ما هي أقوال أهل العلم في مكان اعتداد المتوفى عنها زوجها ؟

ج : تقدم القول بأن الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب لم يصح منها شيء .

أما بالنسبة للموقوفات على الصحابة ، فقد ذهب عدد منهم رضي الله عنهم إلى أن المتوفى عنها زوجها تعتد حيث شاءت ، منهم : علي وابن عباس

وجابر بن عبد الله وعائشة ، رضي الله عنهم أجمعين .

● فصح عن عليٍّ رضي الله عنه أنه كان ينقلهن .

● وصح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : تعتد المتوفى عنها حيث شاءت .

● وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إنما قال الله تعتد أربعة أشهر وعشرًا ، ولم يقل تعتد في بيتها ، تَعتدُّ حيث شاءت .

● وصح عن عائشة رضي الله عنها أنها حجت بأختها في عدتها .

● بينما صح عن عمر وابنه عبد الله وابن مسعود رضي الله عنهم أنها تعتد في بيتها .

● فصح عن ابن عمر أنه قال : لا تخرج المتوفى عنها في عدتها من بيت زوجها .

● وصح عن ابن مسعود - وقد سأله نساء من همدان نُعي إليهن أزواجهن فقلن : إنا نستوحش ، فقال عبد الله - : تجتمعن بالنهار ثم ترجع كل امرأة منكن إلى بيتها بالليل .

● وورد عن عمر من طريق ابن المسيب عنه أنه ردَّ نساء حاجات ، أو معتمرات توفي أزواجهن من ظهر الكوفة .

وثم آثار في الجانبين للتابعين أعرضنا عن ذكرها .

***

س : ما هو حاصل الأمر في مكان اعتداد المتوفى عنها زوجها ؟

ج : بعد النظر فيما تقدم من أدلة نرى أنه لم يثبت شيء عن رسول الله ﷺ في إلزام المعتدة بلزوم بيت زوجها .

ومادام لم يثبت شيء في هذا الباب ، فنحن مع من قال من أهل العلم : أن المتوفى عنها زوجها تعتد حيث شاءت ، والله تعالى أعلم .

***

س : هل يجوز للحادة أن تحمر وجهها أو تصفره بأنواع الصباغات الموجودة الآن ؟

ج : لا يجوز ذلك ، لأنه نوع من الخضاب ، وقد ورد في حديث أم عطية رضي الله عنها عن النبي ﷺ – في بيان المحظورات على الحادة – قال : « ... ولا تختضب .... » ، وهي صحيحة بمجموع طرقها .

وكذا في حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ، ولا الممشقة ولا الحلي ، ولا تختضب ، ولا تكتحل » .

هذا وقد قال ابن قدامة في المغني في بيان الممنوعات على الحادة : فيحرم عليها أن تختضب ، وأن تحمر وجهها بالكلكون ، وأن تبيضه باسفيذاج العرايس ، وأن تجعل عليه صبرًا يصفره ، وأن تنقش وجهها ويديها ، وأن تحفف وجهها ، وما أشبهه بما يحسنها .

● وقال ابن القيم : فيحرم عليها الخضاب ، والنقش ، والتطريف ، والحمرة ، والاسفيذاج ، فإن النبي ﷺ نهى عن الخضاب منبهًا به على هذه الأنواع التي هي أكثر زينة منه وأعظم فتنة وأشد مضادة لمقصود الحداد .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة لبس الثياب البياض ؟

ج : نعم يجوز لها ذلك ، إذ لا مانع من ذلك ، إنما الممنوع الثياب المصبوغة – إلا ثوب العصب – والثياب المعصفرة[1] والممشقة ، وقد تقدم النهي عن الثياب المصبوغة في حديث أم عطية رضي الله عنها .

أما الأبيض فليس هناك نص يمنعه .

---

(١) أي : وتمنع أيضًا الثياب المعصفرة والممشقة ، فقوله : والثياب المعصفرة معطوف على الثياب المصبوغة .

قال ابن المنذر - كما نقل عنه القرطبي - : رخص كل من أحفظ عنه في لباس البيض .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة لبس الحرير ؟

ج : لم يرد عن رسول الله ﷺ نصٌّ في منع الحادة من لبس الحرير ، ومن ثمَّ جنح عدد من أهل العلم إلى إباحته .

ومنعه آخرون ، لأنه من الزينة .

واتباع سنة رسول الله ﷺ أولى ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة لبس المصبوغ بالأسود ؟

ج : نهى فريق من أهل العلم الحادة عن لبس المصبوغ بالسواد ، وذلك لأن النبي ﷺ نهى الحادة عن لبس الثياب المصبوغة ، والمصبوغ بالأسود من جملتها .

بينما ذهب البعض إلى إباحة ذلك ، لأنه صبغ للتقبيح لا للزينة .

واتباع سنة رسول الله ﷺ أولى ، والعلم عند الله .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة لبس الثياب المصبوغة بالأحمر والأصفر والأخضر ونحو ذلك ؟

ج : لا يجوز لها ذلك لنهي النبي ﷺ الحادة عن لبس الثياب المصبوغة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة أن تلبس الخاتم أو العقد من الذهب أو الفضة أو اللؤلؤ ؟

ج : لا يجوز للحادة أن تلبس الخاتم أو العقد من الذهب والفضة ونحوها ، وذلك لأنها من جملة الحلي ، وقد صح من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نهى عن الحلي .

وقال الإمام مالك رحمه الله : ولا تلبس المرأة الحادة على زوجها شيئًا من الحلي خاتمًا ولا خلخالًا ، ولا غير ذلك من الحلي .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للحادة أن تلبس النقاب ؟

ج : لا مانع للحادة من أن تلبس النقاب إذ لم يرد دليل على المنع .

تنبيه : ليس المراد من هذا السؤال أنها تكشف وجهها أو تغطيه ؛ فهذا باب آخر ، وإنما المراد : هل تغطيه بالنقاب أو بالإسدال ، إذ قد عدَّ البعض النقاب من جملة الزينة ، ولكن كما قدمنا لا دليل على المنع ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لو مات رجل وترك امرأة حاملًا فمرت عليها أربعة أشهر وعشر ولم تلد ، هل تحل للزواج ؟

ج : لا تحل للزواج إلا بوضع الحمل .

قال القرطبي رحمه الله : وقد أجمع الجميع بلا خلاف بينهم أن رجلًا لو توفي وترك امرأة حاملًا فانقضت أربعة أشهر وعشر أنها لا تحل حتى تلد .

س : في قوله تعالى : ﴿ ... يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ، هل المراد بالعشر الأيام بلياليها ، أم الأيام فقط ؟

ج : المراد – والله أعلم – الأيام بلياليها ، قاله الطبري رحمه الله .

❋ ❋ ❋

س : هل لذكر العشر في قوله تعالى : ﴿ أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] فائدة ذكرها العلماء ؟

ج : نعم لها فائدة بلا شك ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن الروح تُنفخ في الجنين في هذه العشر ، فالله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالتربص في قوله تعالى : ﴿ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ؟

ج : التربص هو : الانتظار والامتناع عن النكاح ودواعيه من التطيُّب والتزين .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ؟

ج : المراد التزويج والنكاح الحلال الطيب فما دونه من التزين وترك الإحداد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

س : اذكر معنى ما يلي :
أكننتم – ستذكرونهن ؟

ج :

الكلمة	معناها
أكننتم	سترتم – أخفيتم – أضمرتم من التزويج بهن بعد انقضاء عدتهن
ستذكرونهن	ستتحدثون في شأنهن

***

س : الخطاب لمن في قوله تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ؟ ومن المراد بالنساء في الآية الكريمة ؟

ج : الخطاب لمن يريد أن يتزوج ، والمراد بالنساء : النساء المعتدات من وفاة أزواجهن وهن مازلن في العدَّة .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى التعريض ؟

ج : **قال القرطبي رحمه الله تعالى :** وهو (أي : التعريض) ضد التصريح ، وهو إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره ، وهو من عُرض الشيء وهو جانبه كأنه يحوم به على الشيء ولا يُظهره .

وقال ابن العربي (في أحكام القرآن) : والتعريض هو : القول المُفْهم لمقصود الشيء وليس بنصٍّ فيه ، والتصريح هو التنصيص عليه والإفصاح بذكره مأخوذ من عرضِ الشيء وهو ناحيته ، كأنه يحوم على النكاح ولا يسف عليه ، ويمشي حوله ولا ينزل به .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز الكلام مع المعتدة بما هو نص في الزواج ؟

ج : لا يجوز الكلام مع المعتدة بما هو نص في الزواج بحالٍ من الأحوال .

قال ابن عطية : أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها وتنبيه عليه لا يجوز ، وكذلك أجمعت الأمة على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز ، وكذلك ما أشبهه .

❋ ❋ ❋

س : ما العمل فيمن خطب امرأة معتدة من وفاة زوجها أثناء عدتها ؟

ج : قال ابن حزم رحمه الله (المحلى) [1]:

مسألة : ولا يحل لأحد أن يخطب امرأة معتدة من طلاق أو وفاة ، فإن تزوجها قبل تمام العدة فسخ أبدًا ، دخل بها أو لم يدخل ، طالت مدته معها أو لم تطل ، ولا توارث بينهما ولا نفقة لها عليه ولا صداق ولا مهر لها ، فإن كان أحدهما عالمًا فعليه حد الزنى من الرجم والجلد ، وكذلك إن علما جميعًا ، ولا يلحق الولد به إن كان عالمًا ، وإن كانا جاهلين فلا شيء عليهما ، فإن كان أحدهما جاهلًا فلا حد على الجاهل ، فإن كان هو الجاهل ؛ فالولد به لاحق ، فإذا فسخ النكاح وتمت عدتها ، فله أن يتزوجها إن أرادت ذلك كسائر الناس ، إلا أن يكون الرجل طلق امرأته فله أن يرتجعها في عدتها منه ما لم يكن طلاق ثلاث ، وكذلك الرجل تكون تحته الأمة ويدخل بها فتعتق فتخير ، فتختار فراقه ويفسخ نكاحه ، فتعتد بحمل أو بالأطهار أو بالشهور ، فله وحده دون سائر الناس أن يخطبها في عدتها منه ، فإن رضيت به فله نكاحها ووطؤها .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (مجموع الفتاوى) [2].

عن امرأة فارقت زوجها ، وخطبها رجل في عدتها ، وهو ينفق عليها : فهل يجوز ذلك ؟ أم لا ؟

فأجاب : الحمد لله . لا يجوز التصريح بخطبة المعتدة ؛ ولو كانت في عدة وفاة باتفاق المسلمين . فكيف إذا كانت في عدة الطلاق ؟! ومن فعل ذلك يستحق العقوبة التي تردعه وأمثاله عن ذلك ، فيعاقب الخاطب

---

(١) المحلى (٤٧٨/٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٣٢) .

والمخطوبة جميعًا ، ويزجر عن التزويج بها ؛ معاقبة له بنقيض قصده . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض صور التعريض بالخطبة للمتوفى عنها زوجها وهي في العدة ؟

ج : من ذلك : ما أخرجه البخاري عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما : ﴿ فيما عرضتم به من خِطبة النساء ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، يقول : (إني أريد التزويج ولودِدت أنه يُيسر لي امرأة صالحة) .

● وما أخرجه مالك في الموطأ بإسناد صحيح[2] إلى القاسم بن محمد أنه كان يقول في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم .. ﴾ [البقرة : ٢٣٥] أن يقول الرجل للمرأة وهي في عدتها من وفاة زوجها : إنك عليَّ لكريمة ، وإني فيك لراغب ، وإن الله لسائق إليك خيرًا ورزقًا ، ونحو هذا من القول .

● وأخرج الطبري[3] بإسناد صحيح عن عبيدة قال في هذه الآية : قال : (يذكرها إلى وليِّها يقول : لا تسبقني بها) ، إلى غير ذلك من صور التعريض ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (حديث ٥١٢٤) .

(٢) الموطأ (ص ٥٢٤) ، والطبري في التفسير (٥١٢٥) ، والبيهقي في السنن الصغرى (٣٦/٥) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٩/٤) .

(٣) الطبري (أثر ٥١٠٥) .

س : إذا تزوَّج رجل امرأة في عدتها من وفاة زوجها فما العمل ؟

ج : إذا تزوَّج رجل امرأة في العدة يُفرَّق بينهما وتُكمل عدتها من زوجها الأول ثم تعتد من الثاني إذا كان قد دخل بها ، وصداقها لها إن كانت تجهل الحكم الشرعي (وقلنا : إنما صداقها لها لما استحل من فرجها) ، أما إن كانت عالمة بأنه لا يجوز لها الزواج ؛ فلإمام المسلمين الحق في أن يعطيها الصداق أو يودعه بيت مال المسلمين من باب التعزير لها وزجر أمثالها ممن تسول لهن أنفسهن مخالفة أمر الله عز وجل .

أما هل يجوز للزوج الجديد - الذي عقد عليها في العدة والذي فُسخ نكاحه منها وأُبطل - أن يتقدم للزواج منها بعد قضائها للعدتين (عدة الزوج الأول وعدة الثاني) أم أنه لا يتزوجها أبدًا .؟

ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (بأسانيد مرسلة تصح بمجموعها)[1] : أنهما لا يتناكحان أبدًا ، وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[2] رضي الله عنه أنهما يتناكحان بعد قضاء العدة إن شاءا . والنفس أميل في هذا الباب إلى رأي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ؛ لأن الله جل ذكره ذكر المحرمات في كتابه ثم قال : ﴿ وأُحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ [النساء : ٢٤] ، ولم يرد أن النبي ﷺ حرَّم من هذه صفته على هذه المرأة .

والذي يظهر لي أن ما فعله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إنما هو من باب التعزير - والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر السنن الكبرى للبيهقي (٤٤١/٧) ، وسنن سعيد بن منصور (رقم ٩٦٥) ، ومصنف عبد الرزاق (١٠٥٤٣) .

(٢) انظر مسند الشافعي (ص ٣٠١) ، والأم (٢٣٣/٥) ، ومصنف عبد الرزاق (١٠٥٣٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٤١/٧) ، وسنن سعيد بن منصور (٦٩٩) .

س : هل يجوز التعريض بالخطبة للمطلقة المبتوتة ؟

ج : الصحيح أنه يجوز ، وذلك لما أخرجه مسلم[1] في صحيحه ، وفيه : أن النبي ﷺ قال لفاطمة بنت قيس - وكانت قد طُلقت آخر ثلاث تطليقات - : « اعتدي عند ابن أم مكتوم ، فإنه رجل أعمى : تضعين ثيابك ، فإذا حللت فآذنيني » .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز التعريض بالخطبة للمطلقة الرجعية ؟

ج : التعريض بالخطبة للمطلقة الرجعية لا يجوز ؛ لأنها ما زالت زوجة ، والتعريض حينئذٍ يُعدُّ تخبيبًا لها على زوجها .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالمواعدة سرًّا في قوله تعالى : ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرًّا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بالمواعدة سرًّا هنا : الزنا ، وتأويل الآية على ذلك : أنه يقول لها : قد تزوجتك في نفسي وأنتظر فقط انقضاء العدة فمكنيني من نفسك .

● وذهب غيرهم إلى أن المراد بـ (بالمواعدة سرًّا) : التزوج في السر .

● وذهب آخرون إلى أن المراد بذلك : أخذ عهودهن ومواثيقهن على أن لا يتزوجن غيرهم . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (٦٩٣/٣) .

س : وضح بعض صور القول المعروف ؟

ج : هو القول الذي أذن الله به ، ومن ذلك ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير[(١)] قال : ﴿ إلا أن تقولوا قولًا معروفًا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، قال : يقول : إني فيكِ لراغب ، وإني لأرجو أن نجتمع .

● وكذلك ما أخرجه الطبري[(٢)] بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿ إلا أن تقولوا قولًا معروفًا ﴾ [البقرة : ٢٣٥] قال : يقول : (إن لك عندي كذا ، ولك عندي كذا ، وأنا معطيك كذا وكذا) . قال : هذا كله وما كان قبل أن يعقد عقدة النكاح .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - : لا تصححوا عقدة النكاح في عدة المرأة المعتدة حتى تنقضي الأربعة أشهر وعشر ، أو بمعنى آخر : لا تعقدوا حتى تنتهي العدة[(٣)] .

* * *

---

(١) أخرجه الطبري (٥١٧٢) .

(٢) أخرجه الطبري (٥١٧٨) .

(٣) أخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (٥١٨٢) قوله : ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ قال : حتى تنقضي العدة .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

تمسوهن - تفرضوا لهن فريضة - متعوهن - الموسع - المقتر ؟

ج :

الكلمة	معناها
تمسوهن	تجامعوهن[1]
تفرضوا لهن فريضة	تسموا لهن صداقًا
متعوهن	أعطوهن شيئًا يتمتعن به
الموسع	من وسع الله عليه في رزقه وأغناه
المقتر	المقل من المال

❋ ❋ ❋

(١) وصح ذلك عن ابن عباس ، كما عند الطبري (٥١٩٠) .

س : ما هو الجناح المرفوع عن المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ؟

ج : المراد بالجناح هنا : التبعة من المهر ونحوه ، فالمعنى : لا إثم عليكم إذا لم تدفعوا الصداق إلى النساء ما دمتم قد طلقتموهن قبل أن تجامعوهن وقبل أن تسموا (أي : تحددوا) لهن الصداق ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : رجل طلق امرأته قبل أن يجامعها ولم يُسم لها صداقًا ماذا عليه ؟

ج : لا شيء عليه إلا المتعة[1] ، وذلك لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن .. ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

● وقال الطبري رحمه الله : وأجمع الجميع على أن المطلقة غير المفروض لها قبل المسيس لا شيء لها على زوجها المطلِّقها غير المتعة .

* * *

س : اذكر أقسام المطلقات بالنسبة لتسمية الصداق والدخول بهن وحكم كل قسم منها بالنسبة للمتعة والصداق ؟

ج : المطلقات بالنسبة لما ذكر أربعة أقسام :

الأول : مطلقة غير مدخولٍ بها ولم يُسم (أي : لم يُحدَّد) لها الصداق .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما (٥٢٣٤) قال : إذا طلَّق الرجل امرأته قبل أن يَفرض لها وقبل أن يدخل بها فليس لها إلا المتاع . وأخرج الطبري نحوه كذلك عن الحسن (٥٢٣٥) ، وعن غيره أيضًا .

الثاني : مطلقة غير مدخولٍ بها ، وقد سُمي لها الصداق .

الثالث : مطلقة دخل بها زوجها ، ولم يُسم لها الصداق .

الرابع : مطلقة دخل بها زوجها ، وسمي لها الصداق .

أما بالنسبة لحكم متعة كل منهن وصداقها ، فعلى النحو التالي :

الأول : المطلقة غير المدخول بها ، والتي لم يُسم لها صداق ؛ فليس لها من الصداق شيء[1] ؛ لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة .. ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، لكن لها المتعة لقوله تعالى :﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

الثاني : المطلقة غير المدخول بها وقد سُمي لها صداق ، فهذه لها نصف الصداق لقوله تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون .. ﴾ الآية [البقرة : ٢٣٧] .

أما بالنسبة لمتعتها : فاختلف أهل العلم فيها ، فمن العلماء من قال : لها متعة لعموم قول الله تعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، ومنهم من قال : ليس لها متعة[2] ؛ لأن الله

---

(١) والطبري رحمه الله قد نقل الإجماع على ذلك .

(٢) أخرج الطبري (٥٢١٥) بإسناد صحيح إلى ابن عمر أنه كان يقول : لكل مطلقة متعة إلا التي طلَّقها ولم يدخل بها وقد فرض لها فلها نصف الصداق ولا متعة لها .
وأخرج بأسانيد صحيحة إلى سعيد بن المسيب في الذي يطلق امرأته وقد فرض لها ، أنه قال في المتاع : قد كان لها المتاع في الآية التي في الأحزاب ، فلما نزلت الآية التي في البقرة جعل لها النصف من صداقها إذا سمَّى ولا متاع لها ، وإذا لم يُسم فلها المتاع .

تعالى قال : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعًا بالمعروف حقًّا على المحسنين * وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم .. ﴾ [البقرة : ٢٣٦ ، ٢٣٧] قالوا : فدل ذلك على التفريق بين التي لم يُسم لها صداق فلها المتعة لقوله تعالى : ﴿ فمتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] والتي سُمي لها صداق فلها نصف الصداق .

الثالث : المطلقة التي دخل بها زوجها ولم يُسم لها صداقًا ثم طلقها ، فهذه لها الصداق لقوله تعالى : ﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة .. ﴾ [النساء : ٢٤] ، وهذا الصداق يقدر بمهر مثلها ، وذلك لما أخرجه أحمد واللفظ له ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق علقمة قال : أُتي عبد الله في امرأةٍ تزوجها رجل ثم مات عنها ولم يفرض لها صداقًا ولم يكن دخل بها ، قال : فاختلفوا إليه ، فقال : أرى لها مثل صداق نسائها ، ولها الميراث ، وعليها العدة ، فشهد معقل بن سنان أن رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق بمثل ما قضى .

قلت : وإسناده صحيح .

● أما بالنسبة للمتعة فسيأتي الكلام عليها قريبًا مع البند الرابع .

الرابع : مطلقة دخل بها زوجها وسمى لها الصداق ، فهذه لها الصداق كاملًا لقوله تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ... ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ولقوله تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [النساء : ٤] ولقول النبي ﷺ « .. فلها الصداق بما استحل من فرجها .. » .

أما بالنسبة لمتعتها ومتعة التي تقدم ذكرها في البند الثالث : فلأهل العلم فيها قولان :

أحدهما : لهما متعة[1] لعموم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، ولقول الله عز وجل : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨] .

وقد قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ومن العلماء من ذهب إلى أنه لا متعة ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١][2] .

---

(١) أخرج الطبري بأسانيد صحيحة (٥٢٠٩ ، ٥٢١٠ ، ٥٢١١ ، ٥٢١٢) إلى الحسن وأبي العالية وسعيد بن جبير أنهم قالوا : لكل مطلقة متعة .

(٢) قال الطبري رحمه الله :

والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي : قول من قال : (لكل مطلقة متعة) ؛ لأن الله تعالى ذكره قال : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لكل مطلقة ، ولم يخصص منهن بعضًا دون بعض . فليس لأحد إحالة ظاهر تنزيل عام ، إلى باطن خاص ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره قد خص المطلقة قبل المسيس ، إذا كان مفروضًا لها ، بقوله : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، إذ لم يجعل لها غير النصف من الفريضة ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره إذا دل على وجوب شيء في بعض تنزيله ، ففي دلالته على وجوبه في الموضع الذي دل عليه ، الكفاية عن تكريره ، حتى يدل على بطُول فرضه . وقد دل بقوله : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، على وجوب المتعة لكل مطلقةٍ فلا حاجة بالعباد إلى تكرير ذلك في كل آية وسورة . وليس في دلالته على أن للمطلقة قبل المسيس المفروض لها الصداق نصف ما فرض لها ، دلالةٌ على بطول المتعة عنه ؛. لأنه غير مستحيل في الكلام لو قيل : (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضةً فنصف ما فرضتم) والمتعة . فلما لم يكن ذلك محالًا في الكلام ، كان معلومًا أن نصف الفريضة إذا وجب لها =

....

= لم يكن في وجوبه لها نفي عن حقها من المتعة ، ولما لم يكن اجتماعهما للمطلقة محالًا - وكان الله تعالى ذكره قد دل على وجوب ذلك لها ، وإن كانت الدلالة على وجوب أحدهما في آية غير الآية التي فيها الدلالة على وجوب الأخرى - ثبت وصحَّ وجوبُهما لها .

هذا ، إذا لم يكن على أنَّ للمطلقة المفروض لها الصداق إذا طُلِّقت قبل المسيس ، دلالةٌ غير قول الله تعالى ذكره : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، فكيف وفي قول الله تعالى ذكره : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، الدلالةُ الواضحةُ على أن المفروض لها إذا طلقت قبل المسيس ، لها من المتعة مثلُ الذي لغير المفروض لها منها ؟ وذلك أن الله تعالى ذكره لما قال : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، كان معلومًا بذلك أنه قد دلَّ به على حكم طلاق صنفين من طلاق النساء : أحدهما المفروض له ، والآخر غيرُ المفروض له ، وذلك أنه لما قال : ﴿ أو تَفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، علم أن الصنف الآخر هو المفروضُ له ، وأنها المطلقة المفروضُ لها قبل المسيس ، لأنه قال : ﴿ لا جُناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، ثم قال تعالى ذكره : ﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، فأوجبَ المتعة للصِّنفين منهن جميعًا ، المفروضِ لهنَّ ، وغير المفروض لهن ، فمن ادَّعى أن ذلك لأحد الصنفين ، سئل البرهان على دعواه من أصل أو نظير ، ثم عُكس عليه القول في ذلك ، فلن يقول في شيء منه قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأرى أن المتعة للمرأة حق واجبٌ - إذا طلقت ، على زوجها المطلِّقِها ، على ما بينا آنفًا - يؤخذ بها الزوج كما يؤخذ بصداقها ، لا يُبرئه منها إلا أداؤه إليها أو إلى من يقوم مقامها في قبضها منه ، أو ببراءة تكون منها له ، وأرى أن سبيلها سبيل صداقها وسائر ديونها قِبَله ، يحبس بها إن طلقها فيها ، إذا لم يكن له شيء ظاهر يباع عليه ، إذا امتنع من إعطائها ذلك .

وإنما قلنا ذلك ، لأن الله تعالى ذكره قال : ﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، فأمر الرجال أن يمتعوهن ، وأمرُه فرضٌ ، إلا أن يُبين تعالى ذكره أنه عنى به الندبَ والإرشاد ، لما قد بينا في كتابنا المسمى « بلطيف البيان عن أصول الأحكام » ، =

س : هل يجوز لرجل أن يعقد على امرأةٍ ولا يُحدد لها صداقًا عند العقد ؟

ج : نعم يجوز لرجل أن يعقد على امرأة ولا يُحدد لها صداقًا(1) عند العقد ؛ وذلك لقوله تعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم

= لقوله : ﴿ وللمطلقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، ولا خلاف بين جميع أهل التأويل أن معنى ذلك : وللمطلقات على أزواجهن متاع بالمعروف ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلن يبرأ الزوجُ مما لها عليه إلا بما وصفنا قبل ، من أداء أو إبراءٍ على ما قد بيَّنَّا .

***

فإن ظن ذو غباء أن الله تعالى ذكره إذ قال : ﴿ حقًّا على المحسنين ﴾ [البقرة : ٢٣٦] و ﴿ حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، أنها غير واجبة ، لأنها لو كانت واجبة لكانت على المحسن وغير المحسن ، والمتَّقِي وغير المتقي - فإن الله تعالى ذكره قد أمَرَ جميع خلقه بأن يكونوا من المحسنين ومن المتقين ، وما وجب من حقٍّ على أهل الإحسان والتُّقى ، فهو على غيرهم أوجب ولهم ألزم .

وبعد ، فإن في إجماع الحجة على أن المتعة للمطلقة غير المفروض لها قبل المسيس واجبةٌ بقوله : ﴿ ومتعوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، وجوبَ نصفِ الصداق للمطلقة المفروضِ لها قبل المسيس بقول الله تعالى ذكره : ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة :٢٣٦] ، فيما أوجب لهما من ذلك = الدليلُ الواضح أن ذلك حق واجبٌ لكل مطلقة بقوله : ﴿ وللمطلَّقات متاعٌ بالمعروف ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، وإن كان قال : ﴿ حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] .

ومن أنكر ما قلنا في ذلك ، سئل عن المتعة للمطلقة غير المفروض لها قبل المسيس ، فإن أنكر وجوب ذلك خرج من قول جميع الحجة ، ونوظر مناظرتَنا المنكرين في عشرين دينارًا زكاة ، والدافعين زكاة العروض إذا كانت للتجارة ، وما أشبه ذلك ، فإن أوجبَ ذلك لها ، سئل الفرق بين وجوب ذلك لها ، والوجوب لكل مطلَّقة ، وقد شرط فيما جعل لها من ذلك بأنه حق على المحسنين ، كما شرط فيما جعل للآخر بأنه حقٌّ على المتقين ، فلن يقول في أحدهما قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

(1) وليس معنى ذلك إسقاط الصداق ، فالصداق فرض ؛ وذلك لقول الله تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ [النساء : ٤] ، أي : فريضة .

تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، ومن المعلوم أن الطلاق لا يكون إلا بعد نكاح ، فعليه يجوز النكاح من قبل أن تفرض الفريضة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو مقدار المتعة ؟

ج : المتعة لا تحديد لها على الصحيح ، بل تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والبلدان والأزمان ، ولا تحديد لها لقول الله تعالى : ﴿ على الموسع قَدَرُه وعلى المقتر قدره ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

قال الشنقيطي في أضواء البيان : فإن توافقا على قدرٍ مُعين فالأمر واضح ، وإن اختلفا فالحاكم يجتهد في تحقيق المناط ، فيعين القدر على ضوء قوله تعالى : ﴿ على الموسع قدره ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ... ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ؟

ج : المراد - والله تعالى أعلم - : أعطوا المطلقات اللواتي لم تدخلوا بهن نصف الصداق الذي سميتموه لهن ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأدلة على جبران الخاطر من كتاب الله عز وجل ؟

ج : من هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، فجبر الله خاطر المطلقة بأن جعل لها متعة ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفًا ﴾ [النساء : ٨] ، فجبر الله خاطر

أولي القربى الذين ليس لهم حظ في الميراث ، وكذلك جبر خاطر اليتامى والمساكين .

● وقوله تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

فجبر الله خاطر إبراهيم عليه السلام لما كذَّبه قومه ، وجعل كلمة التوحيد ، وجعل النبوة في عقبه (أي : في ذريته ونسله) .

● وجبر الله خاطر يوسف ﷺ بعد أن آذاه إخوته ، فرجع الأمر عليهم ، وقالوا له : ﴿ وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ﴾ [يوسف : ٨٨] ، وقالوا له أيضًا : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾ [يوسف : ٩١] .

● وجبر الله خاطر المستضعفين فقال : ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ... ﴾ [القصص : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ... ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

* * *

س : من هن اللواتي يعفون ؟

ج : هن الأزواج[١] اللواتي وجب لهن نصف الصداق ، وذلك بتطليق

---

(١) أخرج الطبري (٥٢٥٨و٩) ، بإسناده إلى شريح قال : ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة :٢٣٧] ، قال : إن شاءت المرأة عفت فتركت الصداق كله .

وأخرج بإسناد صحيح عن نافع قال : ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، هي المرأة يطلقها زوجها قبل أن يدخل بها فتعفوا عن النصف لزوجها .

الأزواج لهن قبل المسيس وبعد تسمية الصداق ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : من هو الذي بيده عقدة النكاح ؟

ج : اختلف أهل العلم في تعيين الذي بيده عقدة النكاح من هو ؟

فذهب فريق من أهل العلم إلى أنه الولي[1] ، فيكون المعنى على هذا القول : أن للولي الذي يلي عقد نكاح المرأة أن يعفو عن نصف الصداق الذي تستحقه المرأة إذا طلقت قبل المسيس (أي : قبل الجماع) .

● وقال آخرون : إن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج[2] ، فيكون المعنى على هذا القول : أن يعفو الزوج عن تنصيف الصداق ويعطيها الصداق كاملًا .

وبكل قول قد قال فريق من أهل العلم المتقدمين ، والآثار الواردة عنهم قد ذكرها ابن جرير الطبري وغيره ، ورجح الطبري رحمه الله - من عدة وجوه - أن المراد بالذي بيده عقدة النكاح هو : الزوج[3] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ورد ذلك عن ابن عباس[❋] (عند الطبري ٥٢٧٤) ، وصح عن علقمة (الطبري ٥٢٧٦) ، والحسن البصري (عند الطبري ٥٢٩٣) ، وإبراهيم (عند الطبري ٥٣٠٤) ، وزيد وربيعة (عند الطبري ٥٣٠٨) ، وغيرهم قالوا : هو الولي .

(٢) صح ذلك عن طاوس ومجاهد (عند الطبري ٥٢٨٣ ، ٥٢٨٩) ، وشريح (٥٣٢٤) ، وابن المسيب (كما عند الطبري ٥٣٣٩) ، وسعيد بن جبير (كما عند الطبري ٥٣٤٦) ، وغيرهم .

(٣) قال الطبري رحمه الله :

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : المعني بقوله : ﴿ الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، الزوج ، وذلك لإجماع الجميع على أن وليَّ جارية بكر أو ثيِّب ، صبية صغيرة كانت أو مدركة كبيرة ، لو أبرأ زوجها من مهرها قبل طلاقه إياها ، أو وهبه له أو عفا له عنه - أنَّ إبراءه ذلك وعفوه له عنه باطلٌ ، وأن =

(❋) في إسناده ابن جريج ، مدلس ، وقد عنعن .

= صداقها عليه ثابت ثبوتـه قبل إبرائه إياه منه ، فكان سبيلُ ما أبرأه من ذلك بعد طلاقه إياها ، سبيل ما أبرأه منه قبل طلاقه إياها .

وأخرى : أن الجميع مجمعون على أن ولي امرأةٍ محجور عليها أو غير محجور عليها ، لو وهب لزوجها المطلِّقها بعد بينونتها منه درهمًا من مالها ، على غير وجه العفو منه عما وجب لها من صداقها قِبَله ، أن هبته ما وهبَ من ذلك مردودة باطلةٌ ، وهم مع ذلك مجمعون على أن صداقها مالٌ من مالها ، فحكمه حكم سائر أموالها .

وأخرى : أن الجميع مجمعون على أن بني أعمام المرأة البكر وبني إخوتها من أبيها وأمها من أوليائها ، وأن بعضهم لو عفا عن مالها [لزوجها ، قبل دخوله بها] ، أو بعد دخوله بها -: أن عفوه ذلك عما عفا له عنه منه باطل ، وأن حق المرأة ثابتٌ عليه بحاله ، فكذلك سبيلُ عفو كلِّ وليٍّ لها كائنًا من كان من الأولياء ، والدًا كان أو جَدًّا أو خالًا ، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص بعضَ الذين بأيديهم عُقد النكاح دون بعض في جواز عفوه ، إذا كانوا ممن يجوز حكمه في نفسه وماله .

ويقال لمن أبى ما قلنا – ممن زعم أن (الذي بيده عقدة النكاح) ، ولي المرأة -: هل يخلو القول في ذلك من أحد أمرين ، إذ كان الذي بيده عقدة النكاح هو الولي عندك : إما أن يكون ذلك كل ولي جاز له تزويج وليَّته ، أو يكون ذلك بعضهم دون بعض ؟ – فلن يجد إلى الخروج من أحد هذين القسمين سبيلًا .

فإن قال : إن ذلك كذلك .

قيل له : فأي ذلك عُني به ؟

فإن قال : لكل وليٍّ جاز له تزويج وليَّته .

قيل له : أفجائز للمعتق أمةً تزويج مولاته بإذنها بعد عتقه إياها ؟

فإن قال : نعم !

قيل له : أفجائز عفوه إن عفا عن صداقها لزوجها بعد طلاقه إياها قبل المسيس ؟

فإن قال : نعم ؛ خرج من قول الجميع ، وإن قال : لا ! قيل له : ولِمَ ؟ وما الذي حظَر ذلك عليه وهو وليها الذي بيده عقدة نكاحها ؟

ثم يعكس القول عليه في ذلك ، ويسأل الفرقَ بينه وبين عفو سائر الأولياء غيره .

وإن قال : لبعض دون بعض ، سُئِل البرهان على خصوص ذلك ، وقد عمه الله =

= تعالى ذكره فلم يخصص بعضًا دون بعض .

ويقال له : من المعنيُّ به ، إن كان المراد بذلك بعضَ الأولياء دون بعض ؟

فإن أومأ في ذلك إلى بعض منهم ، سئل البرهان عليه ، وعُكس القولُ فيه ، وعورض في قوله ذلك بخلاف دعواه ، ثم لن يقولَ في ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله .

فإن ظن ظان أن المرأة إذا فارقها زوجها فقد بطل أن يكون بيده عقدة نكاحها ، والله تعالى ذكره إنما أجاز عفو الذي بيده عقدة نكاح المطلَّقة ، فكانَ معلومًا بذلك أن الزوج غير معنيٍّ به ، وأن المعنيَّ به هو الذي بيده عقدة نكاح المطلَّقة بعد بينونتها من زوجها ، وفي بطول ذلك أن يكونَ حينئذ بيد الزوج ، صحةَ القول أنه بيد الولي الذي إليه عقد النكاح إليها ، وإذا كان ذلك كذلك ؛ صح القول بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي = فقد أغفلَ وظن خطأً .

وذلك أن معنى ذلك : أو يعفو الذي بيده عُقدة نكاحه ، وإنما أدخلت « الألف واللام » في « النكاح » بدلًا من الإضافة إلى « الهاء » التي كان « النكاح » – لو لم يكونا فيه – مضافًا إليها ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات : ٤١] ، بمعنى : فإن الجنة مأواه ، وكما قال نابغة بني ذبيان :

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ النَّاسِ ، فَالأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

بمعنى : فأحلامهم غير عوازب ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى .

فتأويل الكلام : إلا أن يعفونَ ، أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ، وهو الزوج الذي بيده عقدة نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق وبعده = لا أن معناه : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحهن ، فيكون تأويل الكلام ما ظنه القائلون أنه الولي ولي المرأة ، لأن وليَّ المرأة لا يملك عقدة نكاح المرأة بغير إذنها ، إلا في حال طفولتها ، وتلك حال لا يملك العقد عليها إلا بعض أوليائها ، في قول أكثر من رأى أنَّ الذي بيده عُقدة النكاح الولي ، ولم يخصص الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٧] بعضًا منهم ، فيجوز توجيه التأويل إلى ما تأوَّلوه ، لو كان لما قالوا في ذلك وجه .

وبعد ، فإن الله تعالى ذكره إنما كنى بقوله : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسُّوهنَّ وقد فرضتم لهنَّ فريضة فنصفُ ما فرضتم إلَّا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٣٧] = عن ذكر النساء اللاتي قد جرى ذكرهن في الآية قبلها ، وذلك قوله : ﴿ لا جناح =

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ؟

ج : الخطاب للزوجات والأزواج ، فيا معشر النسوة المطلقات قبل المسيس علمتم أن لكُنَّ الحق في نصف الصداق ، فإن عفوتم عنه فعفوكم يقرِّبكم من التقوى ، وهو سبب في حشركم في عداد المتقين .

وأنتم يا معشر الأزواج ، يا من طلقتم أزواجكم قبل البناء بهن قد علمتم

= عليكم إن طلَّقتم النساء ما لم تمسُّوهن ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، والصبايا لا يسمين « نساء » ، وإنما يسمين صَبايا أو جواري ، وإنما « النساء » ، في كلام العرب أجمع ، اسم المرأة ، ولا تقول العرب للطفلة والصبية والصغيرة : « امرأة » ، كما لا تقول للصبي الصغير : « رجل » .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله : ﴿ أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٦] عند الزاعمين أنه الولي إنما هو : أو يعفو الذي بيده عقدة النكاحَ عما وجَب لوليته التي تستحق أن يولِّي عليها مالَها إمَّا الصغرُ وإمَّا السفهُ ، والله تعالى ذكره إنما اقتص في الآيتين قصص النساء المطلقات لعموم الذكر دون خصوصه ، وجعل لهن العفو بقوله : ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٤٧] ، كان معلومًا بقوله: ﴿ إلا أن يعفون ﴾ [البقرة : ٢٤٧] أن المغيبات منهن بالآيتين اللتين ذكرهن فيهما جميعهنَّ دون بعض ، إذ كان معلومًا أن عفو من تولَّى عليه ماله منهن باطل .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن التأويل في قوله : أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحهن ، يوجب أن يكون لأولياء الثيبات الرُّشَّد البوالغ ، من العفو عما وجب لهنَّ من الصداق بالطلاق قبل المسيس ، مثل الذي لأولياء الأطفال الصِّغار المولِّي عليهن أموالَهنَّ السفهُ ، وفي إنكار القائلين : (إن الذي بيده عقدة النكاح الولي) ، عفو أولياء الثيبات الرُّشَّد البوالغ على ما وصفن وتفريقهم بين أحكامهم وأحكام أولياء الأخر – ما أبان عن فساد تأويلهم الذي تأولوه في ذلك .

ويسأل القائلون بقولهم في ذلك ، الفرقَ بين ذلك من أصل أو نظير ، فلن يقولوا في شيء ، من ذلك قولًا إلا ألزموا في خلافه مثله .

أن عليكم لأزواجكم نصف الصداق فقط ، فإن عفوتم لهن عن النصف الباقي ، فهذا أقرب للتقوى ، وسبب في جمعكم مع المتقين ، ولا تنسوا يا معشر النساء ويا معشر الأزواج ما كان بينكم من سابق فضلٍ وإحسان ، والله بما تعملون من عفوٍ وإحسان بصير[1] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرج الطبري (٥٣٧٠) ، بإسناد حسن عن قتادة ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ﴾ [البقرة : ٢٣٧] : يرغبكم الله في المعروف ، ويحثكم على الفضل .

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

قانتين ؟

ج :

الكلمة	معناها
قانتين	مطيعين[1] - خاشعين - ذليلين - ساكتين[2] ، ويطلق القنوت على طول القيام[3] ، ويطلق كذلك على الدعاء

* * *

(١) أخرج الطبري (٥٥١٤) ، بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، يقول : مطيعين .
والمعنى : مطيعين لله فيما أمركم به من ترك الكلام فيها إلا ما شرعه لكم .

(٢) أخرج البخاري (٤٥٣٤) ، من حديث زيد بن أرقم قال : (كنا نتكلم في الصلاة يُكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، فأُمرنا بالسكوت) .

(٣) ومنه حديث : « أفضل الصلاة طول القنوت » .

س : ما المراد بالمحافظة على الصلوات ؟

ج : المراد بالمحافظة عليها : أداؤها في أوقاتها ، وعدم السهو عنها .

❋ ❋ ❋

س : في هذه الآية الكريمة : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ... ﴾ [البقرة : ٢٣٨] عطف للخاص على العام ، وضحه وبيِّن فائدته ، واذكر مثالين آخرين من كتاب الله عز وجل له ؟

ج : إيضاحه أن الله عز وجل عطف الصلاة الوسطى على عموم الصلوات مع أنها داخلة فيها ، وفائدته بيان الاهتمام بالصلاة الوسطى والتركيز عليها وبيان شرفها ، وأما المثالان الآخران :

فأحدهما : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ [الأحزاب : ٧] .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالصلاة الوسطى ؟

ج : جمهور أهل العلم على أن المراد بالصلاة الوسطى : صلاة العصر ، وذلك لقول النبي ﷺ يوم الخندق : « حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله قبورهم وبيوتهم – أو أجوافهم – نارًا »[١] .

وفي بعض الروايات : « شغلونا عن الصلاة الوسطى : صلاة العصر .. »[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٣٣) ، ومسلم (حديث ٦٢٧) ، من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجها مسلم (ص ٤٣٧ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي) .

هذا وقد ساق الطبري رحمه الله مائة وثلاث عشرة ما بين خبرٍ عن رسول الله ﷺ وموقوفٍ على الصحابي وأثرٍ عن التابعي فمن دونه ، ثم قال : والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ التي ذكرناها قبل في تأويله ، وهو أنها العصر .

● **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :** وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم ، ونقل عن الماوردي أنه قول جمهور التابعين .

● **وقال ابن كثير** - بعد أن أورد الأقوال فيها : ومن الأقوال التي أوردها قول الشافعي : إنها الصبح محتجًّا بقوله تعالى : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، والقنوت عندهم في صلاة الصبح - قال ابن كثير : وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها ، وقد روى الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمهما الله في كتاب الشافعي رحمه الله :

حدثنا أبي ، سمعت حرملة بن يحيى اللخمي يقول : قال الشافعي : كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ بخلاف قولي مما يصح ، فحديث النبي ﷺ أولى ولا تقلدوني ، وكذا روى الربيع والزعفراني ، وأحمد بن حنبل عن الشافعي ، وقال موسى أبو الوليد بن أبي الجارود عن الشافعي : إذا صح الحديث ، وقلت قولًا فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك ، فهذا مع سيادته وأمانته ، وهذا نفس إخوانه من الأئمة رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين آمين ، ومن هنا قطع القاضي الماوردي بأن مذهب الشافعي رحمه الله أن صلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وإن كان قد نص في الجديد وغيره أنها الصبح لصحة الأحاديث أنها العصر ، وقد وافقه على هذه الطريقة جماعة من محدثي المذهب ، ولله الحمد والمنة .

ومن الفقهاء في المذهب من ينكر أن تكون هي العصر ، مذهب الشافعي

وصمموا على أنها الصبح قولًا واحدًا .

***

س : لماذا وصفت صلاة العصر بالوسطى ؟

ج : قيل : لتوسطها سائر الصلوات ، وقيل : لأنها أفضل الصلوات لقول النبي ﷺ : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »[1] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِر أهله وماله »[2] .

***

س : إذا قلتم : إن المراد بالصلاة الوسطى صلاة العصر ، فكيف يوجَّه إذن حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم مرفوعًا ، وفيه : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر ..... » ، فقوله على الصلاة الوسطى وصلاة العصر يدل على التغاير بين الصلاة الوسطى وصلاة العصر ، فكيف توجِّهون هذا ؟

ج : توجيه ذلك أن يقال : إن الواو يحتمل أن تكون زائدة .

كما قال تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ [الأنعام : ٥٥] .

وكقوله تعالى : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، ويحتمل أن تكون الواو عاطفة للصفات على بعضها ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وكقوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٥٣) ، من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٢) ، ومسلم (حديث ٦٢٦) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى ﴾ [الأعلى : ١ - ٤] .

وكقول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

● وأيضًا القراءة التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها غير متواترة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فرجالًا أو ركبانًا ﴾ [البقرة : ٢٣٩] ؟

ج : المراد - والله أعلم - أي : فصلوا على أرجلكم مشاةً[1] ، أو وقوفًا ، أو صلوا على ظهور دوابكم .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ٢٣٩] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

وتأويل ذلك : ﴿ فإذا أمنتم ﴾ [البقرة : ٢٣٩] ، أيها المؤمنون ، من عدوِّكم أن يقدِرَ على قتلكم في حال اشتغالكم بصلاتكم التي فرضها عليكم - ومن غيره ممن كنتم تخافونه على أنفسكم في حال صلاتكم - فاطمأننتمْ ، = ﴿ فاذكروا الله ﴾ [البقرة : ٢٣٩] في صلاتكم ، وفي

(١) أخرج الطبري (٥٥٤٧) ، بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : ﴿ فإن خفتم فرجالًا أو ركبانًا ﴾ الآية [البقرة : ٢٣٩] ، أحل الله لك إذا كنت خائفًا عند القتال أن تصلي وأنت راكب وأنت تسعى تومىء برأسك من حيث كان وجهك إن قدرت على ركعتين ، وإلا فواحدة .

غيرها بالشكر له والحمد والثناء عليه ، على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضل عنه أعداؤكم من أهل الكفر بالله ، = كما ذكركم بتعليمه إياكم من أحكامه ، وحلاله وحرامه ، وأخبار من قبلكم من الأمم السالفة ، والأنباء الحادثة بعدكم - في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، التي جهلها غيرُكم وبصَّركم ، من ذلك وغيره ، إنعامًا منه عليكم بذلك ، فعلَّمكم منه ما لم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون .

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

س : هل هذه الآية : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم ﴾ [البقرة : ٢٤٠] منسوخة أم محكمة ؟

ج : **ذهب جمهور أهل العلم** إلى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا ... ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

● وأخرج البخاري[١] بإسناده إلى ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال : قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها أو تدعها ، قال : يا ابن أخي لا أغيِّر شيئًا منه من مكانه .

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية ليست منسوخة ، منهم : مجاهد بن جبر ، فأخرج البخاري[٢] من طريق ابن أبي نجيح[٣] عن مجاهد ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٥٣٠) .

(٢) البخاري (حديث ٤٥٣١) .

(٣) وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام .

قال : كانت هذه العدةُ تعتد عند أهل زوجها واجب ، فأنزل الله : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروفٍ ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال : جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلةً وصيةً إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت ، وهو قول الله تعالى : ﴿ غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، فالعدة كما هي واجب عليها زعم ذلك عن مجاهد ، وقال عطاء : قال ابن عباس : نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتدُّ حيث شاءت ، وهو قول الله تعالى : ﴿ غير إخراج ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال عطاء : إن شاءت اعتدت عند أهله وسكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت لقول الله تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ، قال عطاء : ثم جاء الميراث فنسخ السكنى ، فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها .

قلت : ورأي الجمهور أولى بلا شك ، قال القاضي عياض رحمه الله – كما نقل عنه القرطبي – : والإجماع منعقد على أن الحول منسوخ ، وأن عدتها أربعة أشهر وعشر .

قلت : ودل على هذا قول النبي ﷺ : « إنما هي أربعة أشهر وعشر » ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ غير إخراج ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ؟

ج : أي : ليس لأولياء الميت وليس لوارثي الميت أن يخرجوها ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو الجناح المرفوع في قوله تعالى : ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف ﴾ [البقرة : ٢٤٠] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن إذا خرجن .

❋ ❋ ❋

﴿ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

س : اذكر معنى ما يلي : ألم تر – ألوف – حذر الموت – يقبض – يبسط ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر ألوف	ألم تعلم . جمع ألف[1] – وقيل : وهم مؤتلفون فيما بينهم[2] لم

---

(١) وعلى ذلك أكثر أهل العلم .

(٢) أخرج الطبري (٥٥٩٦ و ٥٥٩٧) ، بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾ [البقرة : ٢٤٣] ، قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارًا من الطاعون ، قالوا : نأتي أرضًا ليس فيها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله : ﴿ موتوا ﴾[البقرة : ٢٤٣] ، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم ، =

الكلمة	معناها
	يُخرجهم خلاف[1] .
حذر الموت	خوف الموت[2] .
يقبض	يقتر ويضيِّق على من يشاء ، وقيل : يقبض يد من يشاء عن الإنفاق .
يبسط	يوسِّع على من يشاء ، وقيل : يبسط يد من يشاء فيجعله ينفق .

❋ ❋ ❋

= فأحياهم فتلا هذه الآية : ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

(١) أشار الطبري رحمه الله إلى شذوذ هذا القول : (القول بأنهم خرجوا مؤتلفين) .

(٢) وقال بعض أهل العلم : إنهم خرجوا لطاعونٍ حل ببلادهم ، فالله أعلم .

س : من هم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؟

ج : ذكر جمهور المفسرين أنهم قوم من بني إسرائيل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت فقال لهم الله موتوا ... ﴾ [البقرة :٢٤٣] وتعقيبها بقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٤٤] ؟

ج : وجه ذلك أن يوضح للناس أن فرارهم من القتال لن يطوِّل أعمارهم ، ولن يباعد آجالهم ، وكذلك إقدامهم على الجهاد في سبيل الله لن يُقَدِّم آجالهم ، وعلى هذا جاءت أقوال أهل العلم .

قال الشنقيطي رحمه الله « في أضواء البيان » :

المقصود من هذه الآية الكريمة ، تشجيع المؤمنين على القتال بإعلامهم بأن الفرار من الموت لا ينجي ، فإذا علم الإنسان أن فراره من الموت أو القتل لا ينجيه ، هانت عليه مبارزة الأقران ، والتقدم في الميدان ، وقد أشار تعالى أن هذا هو مراده بالآية حيث أتبعها بقوله : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ الآية [البقرة : ٢٤٤] ، وصرح بما أشار إليه هنا في قوله : ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذًا لا تمتعون إلا قليلًا ﴾ [الأحزاب : ١٦] ، وهذه أعظم آية في التشجيع على القتال ، لأنها تبين أن الفرار من القتل لا ينجي منه ، ولو فرض نجاته منه فهو ميت عن قريب ، كما قال قعنب بن أم صاحب :

إذا أنت لاقيت في نجدة ... فلا تتهيبك أن تقدما
فإن المنية من يخشها ... فسوف تصادفه أينما

وإن تتخطـــاك أسبابهـــا فـــإن قصاراك أن تهـرمـا

وقال زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته ومـن تخطـئ يعمـر فيهرم

وقال أبو الطيب :

وإذا لـم يكـن مـن المـوت بـد فمـن العجـز أن تكـون جبانـًا

ولقد أجاد من قال :

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء في الجبن لا ينجو من القدر

وهذا هو المراد بالآيات المذكورة ، ويؤخذ من هذه الآية عدم جواز الفرار من الطاعون إذا وقع بأرض وأنت فيها ، وقد ثبت عن النبي ﷺ النهي عن الفرار من الطاعون ، وعن القدوم على الأرض التي هو فيها إذا كنت خارجًا عنها .

***

س : ما العمل إذا وقع الطاعون ببلدةٍ من البلدان ؟

ج : العمل بما ورد عن رسول الله ﷺ ، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد[1] عن النبي ﷺ قال : « إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » .

ونحوه عند « البخاري » و « مسلم » ، أيضًا من حديث عبد الرحمن بن عوف[2] رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٢٨) ، ومسلم (حديث ٢٢١٨) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٢٩) ، ومسلم (حديث ٢٢١٩) .

(أي : بالطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه إفضال الله عز وجل على الناس في إحيائهم بعد إماتتهم ؟

ج : في ذلك جملة فوائد :

أولها : إثبات البعث والمعاد ، فإذا علموا ذلك عملوا له ، فكان في عملهم نجاة لهم من النار بإذن الله .

الثاني : تشجيع الناس على القتال في سبيل الله وبيان أنه لن يقدم أجلًا ، ولن يؤخروه ، فإذا جاهدوا في سبيل الله نالوا جنة الله عز وجل .

الثالث : أنه سبحانه تفضل على الذين أحياهم بعد أن أماتهم : تفضل عليهم بإحيائهم ليعملوا صالحًا ويستغفروا من ذنوبهم ، ويُذكر الناس بقدرته فيؤمنوا به فيدخلوا الجنة ، جعلنا الله من أهلها .

وثمَّ أوجه أُخر ، والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : الخطاب لمن في قوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٤٤] ؟

ج : الخطاب لأمة محمد ﷺ ، كما قاله جمهور المفسرين ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : أي أنواع القتال في سبيل الله ؟

ج : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[1] ، كما جاء عن رسول الله ﷺ .

❋ ❋ ❋

س : لماذا عُبر عن الصدقة بالقرض في قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ؟

ج : **قال ابن الجوزي في زاد المسير** : فإن قيل : فما وجه تسمية الصدقة قرضًا ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه :

أحدها : لأن القرض يُبدل بالجزاء .

والثاني : لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة[2] .

والثالث : لتأكيد استحقاق الثواب به إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به .

❋ ❋ ❋

س : كم قدر الأضعاف الكثيرة ؟

ج : بعض العلماء يذكر أنها سبعمائة ضعف لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨١٠) ، ومسلم (حديث ١٩٠٤) ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) قلت : ولا يلزم تأخير الجزاء إلى يوم القيامة فحسب بل يعوض الله عز وجل المنفق خيرًا في الدنيا كذلك ، قال الله سبحانه : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ [سبأ : ٣٩] .

ومنهم من يقول : إن الأضعاف الكثيرة لا يعلم مداها إلا الله فالله عز وجل يرزق من يشاء بغير حساب ، وكما قال النبي ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فلُوَّه حتى تكون مثل الجبل »[(١)] .

✺ ✺ ✺

س : كيف يكون القرض حسنًا ؟

ج : تتلخص أقوال العلماء في القرض الحسن في الآتي :

- أن يكون حلالًا طيبًا غير مختلط بالحرام ، ولا بالشبهات .
- أن يخرج عن طيب نفس .
- أن يحتسب صاحبه الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى ويخرجه خالصًا لله لا يشوبه رياء ولا سمعة .
- أن لا يتبعه صاحبه منًّا ولا أذًى ، والله تعالى أعلم .

✺ ✺ ✺

س : ما المراد بإقراض الله عز وجل ؟

ج : المراد - والله أعلم - إقراض الفقراء وأهل الاحتياج ، والإنفاق في سبيل الله ؛ **أما إقراض الفقراء** فكما جاء في الحديث القدسي : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ، يا ابن آدم استطعمتك

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) ، ومسلم (١٠١٤) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ... » الحديث[1] .

● **أما قولنا : إنه يراد أيضًا الإنفاق في سبيل الله** فلأن الآية الكريمة جاءت عقب الحث على القتال ، ومن المعلوم أن من مستلزمات القتال : الإنفاق في سبيل الله ، والله تعالى أعلم .

***

س : وضح وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ [البقرة :٢٤٥] ، عقب الحث على الإنفاق ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره الرازي حيث قال :

أما قوله تعالى : ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، ففي بيان أن هذا كيف يناسب ما تقدم وجوه :

(**أحدها**) : أن المعنى أنه تعالى لما كان هو القابض الباسط ، فإن كان تقدير هذا الذي أمر بإنفاق المال الفقر فلينفق المال في سبيل الله ، فإنه سواء أنفق أو لم ينفق فليس له إلا الفقر ، وإن كان تقديره الغنى فلينفق فإنه سواء أنفق أو لم ينفق فليس له إلا الغنى والسعة وبسط اليد ، فعلى كلا التقديرين يكون إنفاق المال في سبيل الله أولى .

(**وثانيها**) : أن الإنسان إذا علم أن القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا ، وبقي اعتماده على الله ، فحينئذ يسهل عليه إنفاق المال في سبيل مرضاة الله تعالى .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٢٥٦٩) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة ... » فذكره .

(وثالثها) : أنه تعالى يوسع عن عباده ويقتر ، فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم ، لئلا يبدل السعة الحاصلة لكم بالضيق .

(ورابعها) : أنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم عليها أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه وإعانته ، فقال : يبسط ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، يعني : يقبض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة ، ويبسط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة ، ثم قال : ﴿ وإليه ترجعون ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، والمراد به إلى حيث لا حاكم ، ولا مدبر سواه ، والله أعلم .

* * *

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

س : اذكر معنى ما يلي :
الملأ – تولَّوا ؟

ج :

الكلمة	معناهـــــا
الملأ	أشراف الناس ووجهاؤهم ورؤساؤهم
تولَّوا	أعرضوا عن الجهاد

✵ ✵ ✵

س : من هو هذا النبي الذي طالبه قومه أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون معه في سبيل الله ؟

ج : لم يرد اسمه في كتاب الله عز وجل ولا في سنة رسول الله ﷺ ، والعبرة حاصلة على كل حال سواء ذكر اسمه أم لم يذكر ، ولو كان في ذكر اسمه فائدة لذكره الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قولهم :﴿ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾[البقرة :٢٤٦]؟

ج : المعنى – والله أعلم – : وقد طُرد فريق منا من ديارهم وسبيت نساؤهم وسبي أبناؤهم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ذكر قصة الملأ من بني إسرائيل مع أنبيائهم ؟

ج : وجه ذلك – والله أعلم – أن فيها بيانٌ وحث ، أما البيان فهو أن بني إسرائيل دأبهم دائمًا مع أنبيائهم التخاذل ، (إلا من رحمه الله منهم) فلما طلب منهم موسى عليه السلام دخول الأرض المقدسة قالوا له كما ذكر الله سبحانه : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ [المائدة : ٢٤] ، ولما بُعث فيهم طالوت ملكًا اعترضوا فقالوا : ﴿ أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ [البقرة : ٢٤٧] إلى غير ذلك ...

أما الحث فهو حثٌ لأصحاب محمد ﷺ ولأهل الإيمان ، أي : فقاتلوا مع نبيكم يا أصحاب محمد ، وقاتلوا عن دينكم يا أتباع محمد ، ولا ترتدوا على أعقابكم كما ارتد كثير من بني إسرائيل على أدبارهم ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر آية من كتاب الله تبين أن من أمة محمد ﷺ من طلب القتال ثم لما فرض عليه القتال تولى ؟

ج : هذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب .. ﴾ [النساء : ٧٧] .

فقد أخرج النسائي[١] بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا : يا رسول الله إنا كنا في عزٍّ ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فقال : « إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا » فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفُّوا ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ﴾ [النساء : ٧٧] .

❋ ❋ ❋

س : هل يشرع تمني لقاء العدو ؟

ج : لا يشرع تمني لقاء العدو ، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » .

وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي هريرة[٣] رضي الله عنه مرفوعًا .

---

(١) سنن النسائي (٦/٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/٦٦ ، ٣٠٧) ، وغيرهما .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٢٤ ، ٣٠٢٥) ، ومسلم (١٧٤٢) .
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٢٦) ، ومسلم (حديث ١٧٤١) .

● ولا ينسحب هذا على تمني الشهادة فتمني الشهادة مستحب ، وفي الباب حديث : « من سأل الله الشهادة بصدق ؛ بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه »(١) .

* * *

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ١٩٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تصبه » .
وأخرج أيضًا من طريق سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغة الله منازل الشهداء وإن مات على فراشة » . (حديث ١٩٠٩) .

وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ
قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

اصطفاه – آية ملكه – لآية لكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
اصطفاه	اختاره – فضله – خصَّه
آية ملكه	العلامة والدلالة على كونه ملكًا
لآية لكم	دلالة وعلامة لكم (على صدق ما أخبرتكم به)

س : ما المراد بالتابوت ؟

ج : التابوت صندوق ، لكن ما هي صفة التابوت الوارد في الآية ، الله أعلم بها ، فلم أقف على تفصيلها في شيء من الكتاب أو السنة .

❋ ❋ ❋

س : ما هي البقية التي جاءت في التابوت مما ترك آل موسى وآل هارون ؟

ج : لم أقف على دليل ثابت عن رسول الله ﷺ يوضح تلك البقية ، ومن العلماء من قال : إنها عصا موسى ، ومنهم من قال : إنها رضاض الألواح ، ومنهم من قال : هي بعض ما تركه آل موسى وآل هارون من ثياب .

وقال الطبري رحمه الله تعالى – بعد أن أورد جملة آثار في هذا الباب – :

وجائز أن تكون تلك البقية : العصا ، وكِسَر الألواح ، والتوراة ، أو بعضها ، والنعلين ، والثياب ، والجهاد في سبيل الله = وجائز أن يكون بعض ذلك ، وذلك أمرٌ لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة ، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم . ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا . وإذ كان كذلك ، فغير جائز فيه تصويب قولٍ وتضعيف آخر غيره ، إذ كان جائزًا فيه ما قلنا من القول .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالسكينة المذكورة في الآية ؟

ج : لأهل العلم في المراد بالسكينة أقوال :

منها : أن السكينة روحٌ ، أو شيء له روح ، وأنها تنزل مع الملائكة ؛ وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح) (ج ٩/ ص٥٧) ، ومسلم (مع النووي) (٦/ ٨٢) .

عنهما قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين ، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : « تلك السكينة تنزلت بالقرآن » ، وفي رواية : « للقرآن » .

● وفي رواية لمسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده ، إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرُج عرجت في الجو حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ... ، فذكر الحديث ، وفيه : أن النبي ﷺ قال له : « تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » .

فعلى هذا رأى فريق من أهل العلم أن رواية البراء فيها : « السكينة » ، ورواية أبي سعيد فيها : « الملائكة » ، قالوا : فدل ذلك على أن السكينة تنزل مع الملائكة .

● ومن العلماء من قال : إن التابوت لما جاء سكنت نفوس القوم إلى ملك طالوت وذهب الشك الذي كان بأنفسهم .

● ورجح الطبري رحمه الله أنها (أي : السكينة) ما تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها ، فالله تعالى أعلم .

* * *

(١) أخرجها مسلم (مع النووي ٦/٨٢) ، وعند البخاري معلقًا (٩/٦٣) ، وأحمد (٣/٨١) .

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ
مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

فصل - مبتليكم - فئة ؟

ج :

الكلمة	معناها
فصل	خرج
مبتليكم	مختبركم
فئة	جماعة

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فليس مني ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ؟

ج : المراد – والله أعلم – : ليس من أصحابي في هذه الحرب .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالظن في قوله تعالى : ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقواْ الله .. ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ؟

ج : المراد بالظن هنا – والله أعلم – : اليقين والعلم ، كما في قوله تبارك وتعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هآؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ [الحاقة : ١٩ ، ٢٠] .

❋ ❋ ❋

س : هل الذين قالوا : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾[البقرة : ٢٤٩] كانوا أهل إيمان أو أهل نفاق ؟

ج : الظاهر أنهم كانوا أهل إيمان ، ولكنهم أقل إيمانًا من القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والدليل على أنهم أهل إيمان أنهم تجاوزوا النهر مع طالوت(١) ، وقد قال البراء : وما جاوزه (أي : وما جاوز النهر) إلا مؤمن .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٧٣٦) أنه قال : ويكون المؤمنون بعضهم أفضل جدًّا وعزمًا من بعض وهم مؤمنون كلهم .

● وأخرج الطبري (٥٧٣٨) بإسناد صحيح إلى ابن زيد : الذين لم يأخذوا الغرفة أقوى من الذين أخذوا ، وهم الذين قالوا : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

س : كم عدة الذين جاوزوا النهر مع طالوت ؟

ج : أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما[1] قال : حدثني أصحاب محمد ﷺ - ممن شهد بدرًا - أنهم كانوا عدة أصحاب طالوتَ الذين جاوزوا معه النهر : بِضعة عشر وثلاثمائة ، قال البراء : لا والله ، ما جاوز معه النهر إلا مؤمن .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٧) .

وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

س : ما معنى : برزوا ؟

ج :

الكلمة	**معناهـــا**
برزوا	صاروا بالبراز من الأرض وهو المكان المتسع – ظهروا

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأذكار التي يقولها المسلم عند لقاء العدو ؟

ج : منها : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة : ٢٥٠] فقد قال ذلك أصحاب طالوت فهزموا جالوت ومن معه .

● ومنها : قول : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [آل عمران : ١٧٣] كما قال الله سبحانه : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم * الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] .

● ومنها : ما دعا به رسول الله ﷺ على الأحزاب حيث قال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم »[١] .

● ومنها : (اللهم اكفنيهم بما شئت) كما ورد في حديث الملك والساحر والغلام[٢] .

* * *

س : ما المراد بالملك وما المراد بالحكمة وما هو الذي علمه اللَّهُ نبيَّه داود عليه السلام ؟

ج : المراد بالملكِ : السلطان ، والمراد بالحكمة هنا : النبوة ، أما العلم الذي علمه الله نبيه داود عليه السلام فمنه ما ذكره الله في كتابه حيث قال : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم ﴾ [الأنبياء : ٨٠]

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٩٣/١١) ، ومسلم (مع النووي ٢/٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٣٠/١٨) من حديث صهيب عن رسول الله ﷺ .. فذكر القصة وفيها أن الغلام قال ذلك .

فعلمه الله صناعة الدروع ، وكما قال تعالى : ﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحًا ﴾ [سبأ : ١١] إلى غير ذلك من أنواع العلوم الدينية والدنيوية ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ [البقرة : ٢٥١] ؟

ج : المعنى - والله أعلم - أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي ، فلولا أن هناك مصلحين يدفع الله بهم فساد المفسدين لأهلك الله الناس بذنوبهم .

وأيضًا يدفع عن قوم بدفاع آخرين عنهم كما وقع لبني إسرائيل فدفع الله بمقاتلة طالوت ومن معه من أهل الإيمان شرور جالوت وجنوده .

والآية كقوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرًا ﴾ [الحج : ٤٠] .

● **قال الطبري رحمه الله** : يعني تعالى ذكره بذلك : ولولا أن الله يدفع ببعض الناس - وهم أهل الطاعة له والإيمان به - بعضًا ، وهم أهل المعصية لله والشرك به - كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له ، وقد أعطاهم ما سألوا ربَّهم ابتداءً : من بَعْثِةِ ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله - بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر ، جالوت وجنوده - ﴿ لفسدت الأرض ﴾ ، يعني : لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم ، ففسدت بذلك الأرض - ولكن الله ذو مَنٍّ على خلقه وتطولٍ عليهم ، بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر ، وبالمطيع عن العاصي منهم ، وبالمؤمن عن الكافر .

وهذه الآية إعلامٌ من الله تعالى ذكره أهلَ النفاق الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، المتخلفين عن مشاهده والجهاد معه للشك الذي في نفوسهم ومرض قلوبهم ، والمشركين وأهل الكفر منهم ، وأنه إنما يدفع عنهم معاجلتهم العقوبة على كفرهم ونفاقهم بإيمانِ المؤمنين به وبرسوله ، الذين هم أهل البصائر والجد في أمر الله ، وذوو اليقين بإنجاز الله إياهم وعده على جهاد أعدائه وأعداء رسوله ، من النصر في العاجل ، والفوز بجنانه في الآجل .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ تلك آيات الله ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ، هذه الآيات التي اقتص الله فيها أمر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وأمر الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الذين سألوا نبيهم أن يبعث لهم طالوت ملكًا ، وما بعدها من الآيات إلى قوله : ﴿ والله ذو فضل على العالمين ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

ويعني بقوله : ﴿ آيات الله ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ، حججه وأعلامه وأدلته .

يقول الله تعالى ذكره : فهذه الحجج التي أخبرتك بها ، يا محمد ، وأعلمتك - من قدرتي على إماتة من هرب من الموت في ساعة واحدة وهم ألوف ، وإحيائي إياهم بعد ذلك ، وتمليكي طالوت أمر بني إسرائيل بعد إذ كان سقاء أو دباغًا من غير أهل بيت المملكة ، وسلبي ذلك إياه

بمعصيته أمري ، وصرفي ملكه إلى داود لطاعته إياي ، ونصرتي أصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعف شوكتهم على جالوت وجنوده مع كثرة عددهم وشدة بطشهم - حججي على من جحد نعمتي ، وخالف أمري ، وكفر برسولي من أهل الكتابين : التوراة والإنجيل ، العالمين بما اقتصصت عليك من الأنباء الخفية التي يعلمون أنها من عندي ، لم تتخرصها و لم تتقولها أنت يا محمد ، لأنك أميٌّ ولست ممن قرأ الكتب فيلتبس عليهم أمرك ، ويدَّعوا أنك قرأت ذلك فعلمته من بعض أسفارهم - ولكنها حججي عليهم أتلوها عليك ، يا محمد ، بالحق اليقين كما كان ، لا زيادة فيه ولا تحريف ولا تغيير شيء منه عما كان - ﴿ وإنك ﴾ [البقرة : ٢٥٢] يا محمد ﴿ لمن المرسلين ﴾ [البقرة : ٢٥٢] ، يقول : إنك لمرسل متبع في طاعتي وإيثار مرضاتي على هواك ، فسالك في ذلك من أمرك سبيل من قبلك من رسلي الذين أقاموا على أمري ، وآثروا رضاي على هواهم ، ولم تغيرهم الأهواء ومطامع الدنيا ، كما غيَّر طالوتَ هواه وإيثارُه ملكه على ما عندي لأهل ولايتي ، ولكنك مؤثر أمري كما آثره المرسلون الذين قبلك .

❋ ❋ ❋

س : الأماني والأقوال شيء والأعمال شيء آخر يُصدِّق الأَقوال والأَماني أو يُكذبها ، وضح ذلك من قصة بني إسرائيل مع نبيهم ومع طالوت ؟

ج : إيضاح ذلك : أن الملأ من بني إسرائيل طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون معه في سبيل الله فراجعهم نبيهم في طلبهم بقوله : ﴿ هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ﴾ [البقرة : ٢٤٦] فأكدوا طلبهم بقولهم : ﴿ وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ [البقرة : ٢٤٦] فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلًا منهم .

● ثم لما بعث الله لهم طالوت ملكًا بدءوا في اعتراض آخر بقولهم : ﴿ أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

● ثم لما ابتلاهم الله بالنهر شربوا منه إلا قليلًا منهم .

● ثم لما جاوزوا النهر قالوا : ﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

ولم يثبت إلا أهل اليقين الذين قالوا : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .... ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، والله تعالى أعلم .

* * *

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

س : اذكر معنى ما يلي :
البينات - أيدناه - روح القدس ؟

ج :

الكلمة	معناها
البينات	الحجج والدلائل القاطعة الدالة على نبوته
أيدناه	قوّيناه
روح القدس	جبريل عليه السلام

❋ ❋ ❋

س : قال الله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال سبحانه : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ [الإسراء : ٥٥] ، وقال النبي ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة »[١] في هذه الأدلة ما يفيد أن بعض الأنبياء فضلوا على بعض ، فكيف تجمع بين هذا وبين قول النبي ﷺ : « لا تخيروا من بين الأنبياء »[٢] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تخيروني على موسى »[٣] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى »[٤] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك مسالك :

أحدها : أن النبي ﷺ قال : « لا تخيِّروا من بين الأنبياء » ، وقال : « لا تخيروني على موسى » و ... قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم .

وهذا الوجه ضعيف ؛ لأننا لا نعلم دليلًا على التأريخ .

الثاني : أن النبي ﷺ قال : « لا تخيروني على موسى » و ... على سبيل التواضع .

الثالث : أن النبي ﷺ نهى عن الخوض في ذلك ؛ لأن الخوض في ذلك ذريعة إلى الجدال ، وذلك يؤدي إلى عدم احترامهم وذكر ما لا ينبغي ذكره بشأنهم .

الرابع : أنه نهى عن التفضيل بينهم في هذه الحال عند المشاجرة .

---

(١) صحيح وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٧) ، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٠٨) ، وانظر مسلم (ص ١٨٤٣ ، ١٨٤٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري (٣٤١٦) ، ومسلم (٢٣٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد روي مرة على أنه حديث قدسي .

الخامس : أن المنع من جهة التفضيل في النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، إنما التفضيل بأمور زائدة على النبوة كأنواع الكرامات التي يكرم الله بها بعض أنبيائه[1] .

السادس : أن التفضيل ليس إليكم إنما هو إلى الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : جرت سنة الله سبحانه وتعالى بالتفضيل ففضل الله سبحانه وتعالى بعض النبيين على بعض ، وبعض الملائكة على بعض ، وبعض البلاد على بعض ، وبعض الأماكن على بعض ، وبعض المساجد على بعض ، وبعض الآيات على بعض ، وبعض السور على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض أيام السنة على بعض ، وبعض أيام الأسبوع على بعض ، وبعض الساعات على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض القرون على بعض ، وبعض الأمم على بعض ، وبعض القبائل على بعض ، وبعض النساء على بعض ، وبعض الأطعمة على بعض ، وبعض الألوان على بعض ، وبعض الدواب على بعض ، وبعض الأشجار على بعض ، وبعض الكلمات على بعض ، وبعض حالات العبد على بعض ، وبعض الشهداء على بعض ، وبعض الصحابة على بعض . وضح ذلك بأدلة مختصرة ؟

ج : إيضاح ذلك أن التفضيل سنة جارية ماضية يُفضل الله عز وجل من يشاء على من يشاء .

ففضل الله بعض الأنبياء على بعض :

فالنبي محمد ﷺ سيد ولد آدم أجمعين كما قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وهذا هو الذي اختاره القرطبي واستحسنه .

« أنا سيد ولد آدم ولا فخر »[1] .

● وأولو العزم من الرسل (وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) أفضل من غيرهم قال الله عز وجل : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] .

● وهم[2] الذين يتجه إليهم الناس للاستشفاع بهم يوم القيامة كما تقدم في أبواب الشفاعة العظمى .

● وفضل الله عز وجل بعض الملائكة على بعض :

فجبريل عليه السلام خيرهم ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش * مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ - ٢١] ، ومن شهد بدرًا من الملائكة هم أفضل الملائكة .

● وفضل الله بعض البلاد على بعض :

فمكة (أم القرى) أحب بلاد الله إلى الله ، كما قال النبي ﷺ : « والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت »[3] .

وتليها مدينة رسول الله ﷺ قال فيها النبي ﷺ : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة »[4] .

---

(١) صحيح وتقدم تخريجه .

(٢) ومعهم آدم ﷺ ، وقد تقدم الحديث كذلك .

(٣) صحيح وقد تقدم .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ١٨٨٥) ، ومسلم (١٣٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

وقال النبي ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال »[1] .

● وقال النبي ﷺ في المدينة : « أُمرت بقريةٍ تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد »[2] .

● وبها مسجد رسول الله ﷺ الصلاة فيه بألف صلاة مما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام[3] .

● وفضل الله عز وجل بعض الأماكن على بعض :

فليست الأسواق كالمساجد فكما صح عن رسول الله ﷺ : « أن خير بقاع الأرض المساجد ، وشرها الأسواق »[4] .

● وكذلك ما بين بيت رسول الله ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة[5] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٨٠) ، ومسلم (١٣٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٨٧١) ، ومسلم (حديث ١٣٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرج البخاري (حديث ١١٩٠) ، ومسلم (١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

(٤) أخرج مسلم (حديث ٦٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها » .

(٥) أخرج البخاري (١٨٨٨) ، ومسلم (١٣٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » .

● **وفضل الله بعض الآيات على بعض :**

فأعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ... ﴾[1] [البقرة : ٢٥٥] .

● **وفضل الله عز وجل بعض السُّور على بعض :**

● فسورة الفاتحة أفضل من غيرها من السور لما قاله النبي ﷺ لأبي سعيد بن المعلى : « لأعلمنك أعظم سورة في كتاب الله عز وجل .. » فعلمه الفاتحة[2] .

● وكذلك سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن .

● **وفضل الله بعض صيغ الاستغفار على بعض :**

فبين النبي ﷺ أن سيد الاستغفار هو : « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت .. » الحديث[3] .

● **وكذلك فضل الله بعض الشهور على بعض :**

فالأشهر الحرم أفضل من غيرها ، وكذلك شهر رمضان أنزل فيه القرآن ، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر .

● **وفضل الله عز وجل بعض أيام السنة على بعض :** فيوم عرفة خير أيام السنة .

---

(١) وسيأتي تخريجه عن قريب إن شاء الله .

(٢) صحيح وقد تقدم في تفسير الفاتحة .

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/٩٧) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا .

● **وفضل الله عز وجل بعض أيام الأسبوع على بعض :**

فيوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس كما صح[1] عن رسول الله ﷺ .

● **وفضل الله عز وجل بعض الساعات على بعض :**

فالساعة الأخيرة من يوم الجمعة خير من غيرها من الساعات ، ففيها : يستجاب الدعاء ، والثلث الأخير من الليل ورد فيه الفضل عن رسول الله ، ﷺ ففيه : « ينزل الرب عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من داعٍ فأستجيب له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ »[2] .

● **وكذلك فضل الله عز وجل بعض الليالي على بعض :**

قال تعالى : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ [القدر : ٣] .

● **وكذلك فضل الله بعض القرون على بعض :**

قال النبي ﷺ : « خير أمتي قرني .. »[3] .

● **وفضل الله بعض الأمم على بعض :**

قال سبحانه في شأن أمة محمد ﷺ : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس ﴾ [آل عمران : ١١١] .

● **وفضل الله بعض القبائل على بعض :**

قال النبي ﷺ :« إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٥٠) ، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (١٣٤/٥ مع النووي) ، والترمذي (٣٦٠٥) من حديث واثلة بن الأسقع .

● وفضل الله عز وجل بعض النساء على بعض :

● فمريم وخديجة وفاطمة وآسية رضي الله عنهن خير النساء على الإطلاق ، « وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[1] .

● وفضل الله بعض الأطعمة على بعض :

قال تعالى : ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ [الرعد : ٤] ، والمن والسلوى خير من الفوم والعدس والبصل والبقل والقثاء .

● وفضل الله بعض الألوان على بعض :

فالأبيض خير الثياب

والصفراء تسر الناظرين

والأخضر من ثياب أهل الجنة

● وفضل الله بعض الدواب على بعض :

فالنمل والنحل والهدهد والصرد نُهينا عن قتلها ، وأمرنا رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحل والحرم[2] وهي الحية والعقرب والغراب الأبقع[3] والفأرة والكلب العقور .

واستحب لنا قتل الوزغ وجعل في قتله الأجر[4] ، ونهينا عن قتل الضفدع .

---

(١) صحيح وانظر تخريجه والذي قبله في كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٢٩) ، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة مرفوعًا .

(٣) الغراب الأبقع هو الذي في ظهره وبطنه بياض .

(٤) في صحيح مسلم (٢٢٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل وزغةً في أول ضربة فله كذا وكذا ... » الحديث ، وفي رواية لمسلم : « كتبت له مائة حسنة » ، وفي أخرى عند مسلم أيضًا : « كتبت له سبعون حسنة » .

وفضل الله الأشجار على بعض :

فليست الشجرة الطيبة كالشجرة الخبيثة ، وليست النخلة التي مثلها مثل المؤمن كشجر الغرقد (شجر اليهود) وبارك الله في الشجرة المباركة الزيتونة .

● وفضل الله بعض الكلمات على بعض :

فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ليست كغيرها من الكلمات ، وكذلك سبحان الله وبحمده ، وكذلك الذكر الوارد عن رسول الله ﷺ : « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » فاق كل ما قالته أم المؤمنين جويرية بعد صلاة الصبح التي صلتها- كما هو وارد في الحديث عند مسلم[1] .

● وفضل الله بعض حالات العبد على بعض :

فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[2] ، وقال تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربة قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] .

● وفضل الله بعض الشهداء على بعض :

فخيرهم وسيدهم حمزة رضي الله عنه[3] ، وقد طار جعفر بجناحيه مع الملائكة .

● وفضل الله بعض الصحابة على بعض :

فأفضلهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، إلى غير ذلك من أنواع التفضيل تركناها خشية الملل ، ﴿ وما يستوي الأعمي

---

(١) انظر صحيح مسلم مع النووي (١٧/٤٤) من حديث جويرية رضي الله عنها .

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) كل هذا صحيح ، وانظر كتابي الصحيح المسند من فضائل الصحابة .

والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ [فاطر : ١٩ - ٢٢] .

وقال الله جل ذكره : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا ﴾ [الإسراء : ٢١] .

جعلنا الله من أهل الفردوس . وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

❋ ❋ ❋

س : بماذا فُضِّل نبينا محمد ﷺ ؟

ج : فُضل عليه الصلاة والسلام بما ذكره في حديثه حيث قال : « أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصل ، وأُحلت لي المغانم ولم تحلَّ لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »[1] .

● وأيضًا فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، كما قال سبحانه : ﴿ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا * ليغفر لكَ الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا * وينصرك الله نصرًا عزيزًا ﴾ [الفتح : ١ - ٣] إلى غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : مَن مِن الأنبياء الذي كلَّمه الله ؟

ج : هو موسى ﷺ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ يا موسى إني اصطفيتك على

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٥) ، ومسلم (حديث ٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

الناس برسالاتي وبكلامي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ ولما جآء موسى لميقاتنا وكلمه ربُّه ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وقد كلَّم الله عز وجل أنبياء آخرين[١] غير موسى عليه السلام ، لكن الذي خصَّه الله عز وجل بمزيد من التكليم وصفة خاصة منه هو موسى عليه السلام ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعضًا من الرسل ممن رفعهم الله عز وجل درجات ؟

ج : منهم أولوا العزم من الرسل ، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [الأحزاب : ٨] ، وهم المذكورون في حديث الشفاعة[٢] إذ يذهب المؤمنون لطلب الشفاعة منهم .

❋ ❋ ❋

س : ما هي البينات التي آتاها الله عز وجل عيسى ابن مريم ؟

ج : تتمثل في إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا ، وينبىء الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، والمائدة التي نزلت عليهم من السماء ، كل ذلك بإذن الله عز وجل .

وأيضًا الإنجيل الذي آتاه الله إياه .

❋ ❋ ❋

---

(١) قال تعالى : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم ﴾ [الصافات : ١٠٤] ، وفي الحديث القدسي « أن الله قال لأيوب : ألم أكن أغنيتك » ، وكلم الله نبينا محمدًا ﷺ في ليلة المعراج ، وفرض الصلوات ، إلى غير ذلك .

(٢) صحيح وقد تقدم ، ومعهم هناك آدم عليه السلام .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ
مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا
شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾

س : ما معنى : خُلة ؟

ج :

الكلمــة	معنـاها
خُلةٌ[١]	صداقة – خالص المودة

***

(١) قال بعض أهل العلم : مأخوذة من تخلل الأسرار بين الصديقين .

س : هل هناك شفاعة يوم القيامة ؟

ج : نعم هناك شفاعة يوم القيامة لكنها مقيدة بإذن الله - كما قال تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه .. ﴾[1] [البقرة : ٢٥٥] .

* * *

س : كيف توّجه إذن قوله تعالى : ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ؟

ج : المراد بالشفاعة المنفية : الشفاعة لأهل الكفر كما قال تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[2] [غافر : ١٨] .

* * *

س : ما المراد بالبيع في قوله تعالى : ﴿ لا بيع فيه ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ؟

ج : قال الرازي رحمه الله :

أما قوله : ﴿ لا بيع فيه ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ففيه وجهان : (الأول) أن البيع ههنا بمعنى الفدية ، كما قال : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ [الحديد : ١٥] وقال : ﴿ ولا يقبل منها عدل ﴾ [البقرة : ١٢٣] وقال : ﴿ وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ﴾ [الأنعام : ٧٠] فكأنه قال : من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فتكتسب ما تفتدي به من العذاب (والثاني) أن يكون المعنى : قدموا لأنفسكم من المال الذي هو في ملككم قبل أن يأتي اليوم الذي لا يكون فيه تجارة ولا مبايعة حتى يكتسب شيء من المال .

---

(١) وقد تقدمت أبواب الشفاعة بما فيه الكفاية .

(٢) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : قد علم الله أن ناسًا يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين . (أثر ٥٧٦١) .

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

س : ما معنى ما يلي :
القيوم – سنةٌ – يئوده ؟

ج :

الكلمـة	معنـاهـا
القيوم	القائم برزق ما خلق وحفظه – القائم على كل نفس
سنةٌ	نعاس[1]
يئوده	يُجهده – يشق عليه – يُثقله

✹ ✹ ✹

(١) قال القرطبي رحمه الله : السِّنَة هي النعاس في قول الجميع ، وقال : والنعاس ما كان في العين فإذا صار في القلب صار نومًا ، وقال أيضًا : والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن في حق البشر .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ مابين أيديهم وما خلفهم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بـ ﴿ ما بين أيديهم ﴾ : الدنيا ، ﴿ وما خلفهم ﴾ : الآخرة .

والظاهر لي – والله أعلم – : أن ما بين أيديهم ما سيتقدمهم من الدنيا ومن الآخرة ، وما خلفهم هو ما مضى من أعمالهم ، والله أعلم .

***

س : وضح المعنى العام لقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لا يستطيع أحد أن يقف على شيء من علم الله إلا إذا شاء الله أن يعلمه .

***

س : ما هي أعظم آية في كتاب الله عز وجل ؟

ج : أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي ، والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم في « صحيحه »[1] من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » ، قال : قلت :﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾، قال : فضرب في صدري ، وقال : « والله ليهنك العلم أبا المنذر » .

---

(١) مسلم مع النووي (٩٣/٦) .

س : اذكر مزيدًا مما جاء في فضل آية الكرسي ؟

ج : أخرج البخاري معلقًا[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ .. فقص الحديث ، فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لم يزل معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان » .

● وأخرج ابن السني[2] في عمل اليوم والليلة بإسناد قابلٍ للتحسين من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت » .

✵ ✵ ✵

س : اذكر حديثًا يُفيد أن الله لا ينام ؟

ج : الحديث أخرجه مسلم[3] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور (وفي رواية : النار) لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

✵ ✵ ✵

---

(١) حديث (٥٠١٠) وهو معلق كما أشرنا ، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٤/٢٨٧) الذين وصلوه ، وذكر منهم : النسائيُّ والإسماعيلي وأبو نعيم .

(٢) ابن السني حديث رقم (١٢١) في عمل اليوم والليلة .

(٣) مسلم حديث (١٧٩) .

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾

س : اذكر معنى ما يلي : الرشد – الغي – لا انفصام لها ؟

ج :

الكلمة	معناها
الرشد	الإيمان – الحق
الغي	الكفر – الباطل – الضلال في المعتقد
لا انفصام لها	لا انكسار لها – لا انفصال لها ، أي : أنها لا تنكسر في يد صاحبها بل تثبت في يده حتى تدخله الجنة[1] ، والله أعلم

* * *

(١) قال الطبري رحمه الله : ومعنى الكلام : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه إياه وإسلامه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة كالمتمسك بالوثيق من عُرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عُراها .

س : ما هو سبب نزول قول الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت المرأة تكون مقلاتًا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا : لا ندع أبناءنا[(١)] ! فأنزل الله تعالى ذكره ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .. ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالطاغوت ؟

ج : الطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو الازدياد ومجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ [الحاقة : ١١] ، وقوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ [النازعات : ١٧] ، هذا أصل الطاغوت ، أما ما المراد به هنا فقال فريق من أهل العلم : إنه الشيطان[(٢)] .

ومنهم من قال : إنه الساحر[(٣)] ، ومنهم من قال : إنه الكاهن[(٤)] ، ومنهم

---

(١) أي : لا ندع أبناءنا يخرجون مع بني النضير ، والأثر أخرجه الطبري (٥٨١٢) ، وقد روي مرسلًا أيضًا عند الطبري (٥٨١٣) .
ومعنى مِقلاتًا ، أي : لا يعيش لها ولد .

(٢) ثبت ذلك عن قتادة كما عند الطبري (٥٨٣٩) ، فقد روي عنه هناك بإسناد حسن ، وثبت أيضًا عن الشعبي كما عند الطبري (٥٨٣٧) ، وعن غيرهم أيضًا .

(٣) صح ذلك عن أبي العالية كما عند الطبري (٥٨٤١) ، وصح عنه أيضًا : أنه الكاهن (٥٨٤٤) .

(٤) صح ذلك عن سعيد بن جبير كما عند الطبري (٥٨٤٣) .

من قال إنه الظالم الذي تجاوز الحد في ظلمه .

ومنهم من قال : إنه يشمل جميع ما ذُكر .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول عندي في الطاغوت : أنه كل ذي طغيان على الله فعُبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له إنسانًا كان ذلك المعبود أو شيطانًا أو وثنًا أو صنمًا أو كائنًا ما كان من شيء .

❋ ❋ ❋

س : هل هذه الآية محكمة أم منسوخة ؟

ج : لأهل العلم قولان في ذلك :

أحدهما : أنها محكمة ، وأنها تتنزل على أهل الكتاب إذا دفعوا الجزية .

الثاني : أنها منسوخة بآية السيف .

والأول عندي أصح ؛ لأن دعوى النسخ لا يصار إليها إلا عند عدم إمكان الجمع .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية ، وقال آخرون : بل هي منسوخة بآية القتال ، وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبي أحد منهم الدخول ولم ينقد له أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى لا إكراه قال الله تعالى : ﴿ ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ [الفتح : ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التحريم : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [التوبة : ١٢٣] وفي الصحيح « عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل » يعني الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال ثم بعد ذلك يسلمون وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونوا من أهل الجنة . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يحيى عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لرجل : « أَسْلِمْ » قال : إني أجدني كارهًا ، قال : « وإن كنت كارهًا » ، فإنه ثلاثي صحيح ، ولكن ليس من هذا القبيل فإنه لم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام بل دعاه إليه فأخبره أن نفسه ليست قابلة له بل هي كارهة ، فقال له :« أسلم وإن كنت كارهًا » ، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ؟ وما المراد بالعروة الوثقى ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أنه قد استمسك من الدين بأقوى حبل (أي : أقوى سبب) يربطه به ، أي : استمسك من الدين بالحلقة القوية التي لا تنفصم فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية ، وهذه العروة الوثقى وهذا الحبل والسبب الذي تمسك به الشخص هو الإيمان بالله والكفر بالطاغوت كما قال رب العزة سبحانه : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ ، وبعض العلماء قال أقوالًا أخر في تفسير العروة الوثقى منها : الإيمان ، ومنها : الإسلام ، ومنها : لا إله إلا الله ، ومنها : القرآن ، ومنها : الحب في الله والبغض في الله .

* * *

س : اذكر صحابيًا ذكر النبيُّ ﷺ أنه لن يزال متمسكًا بالعروة الوثقى حتى يموت ؟

ج : هو عبد الله بن سلام ، فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من طريق قيس بن عباد قال : كنت جالسًا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع ، فقالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، فصلى ركعتين تجوز فيهما ، ثم خرج وتبعته فقلت : إنك حين دخلت المسجد قالوا : هذا رجل من أهل الجنة قال : والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم ، وسأحدثك لِمَ ذاك . رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه ، ورأيت كأني في روضة - ذكر من سعتها وخضرتها - وسطها عمود من جريد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة فقيل لي : ارقه . قلت : لا أستطيع . فأتاني منصف[2] فرفع ثيابي من خلفي ، فرقيت حتى كنت في أعلاها ، فأخذت في العروة فقيل له : استمسك ، فاستيقظت وإنها لفي يدي . فقصصتها على النبي ﷺ ، فقال : « تلك الروضة الإسلام ، وذلك العمود عمود الإسلام ، وتلك العروة عروة الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت » . وذلك الرجل عبد الله بن سلام .

وأخرج مسلم[3] من طريق خرشة بن الحر قال : كنت جالسًا في حلقة في مسجد المدينة قال : وفيها شيخ حسن الهيئة ، وهو عبد الله بن سلام قال : فجعل يحدثهم حديثًا حسنًا . قال : فلما قام قال القوم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا . قال فقلت : والله لأتبعنه فلأعلمن مكان بيته . قال : فتبعته ، فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ،

---

(١) البخاري حديث (٣٨١٣) ، ومسلم (حديث ٢٤٨٤) ، وأحمد (٤٥٢/٥) .
(٢) المنصف هو الخادم .
(٣) مسلم (ص١٣٩١) .

ثم دخل منزله ، قال : فاستأذنت عليه فأذن لي فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال : فقلت له : سمعت القوم يقولون لك لما قمت : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ، فأعجبني أن أكون معك . قال : الله أعلم بأهل الجنة . وسأحدثك مما قالوا ذاك . إني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي : قم . فأخذ بيدي فانطلقت معه ، فإذا أنا بجواد عن شمالي قال : فأخذت لآخذ فيها ، فقال لي : لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال . قال : فإذا جواد منهج عن يميني فقال لي : خذ هٰهنا ، فأتى بي جبلًا فقال لي : اصعد قال : فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على استي قال : حتى فعلت ذلك مرارًا ، قال : ثم انطلق بي حتى أتى بي عمودًا رأسه في السماء وأسفله في الأرض ، في أعلاه حلقة ،فقال لي : اصعد فوق هذا . قال : قلت : كيف أصعد هذا ؟ ورأسه في السماء . قال : فأخذ بيدي فزجل بي ، قال : فإذا أنا متعلق بالحلقة . قال : ثم ضرب العمود فخرَّ ، قال : وبقيت متعلقًا بالحلقة حتى أصبحت . قال : فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه ، فقال : « أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال » ، قال : « وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين ، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله ، وأما العمود فهو عمود الإسلام ، وأما العروة فهي عروة الإسلام ، ولن تزال متمسكًا بها حتى تموت » .

* * *

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب ؛ حسن في الصفات ﴿ سميع ﴾ من أجل النطق و ﴿ عليم ﴾ من أجل المعتقد . والله أعلم .

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

ولي - الظلمات - النور ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
ولي	ناصر
الظلمات	ظلمات الكفر والشك والارتياب[1]
النور	نور الإيمان والعلم واليقين

✵ ✵ ✵

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : الشيطان يخرجهم من النور إلى الظلمات ، يقول : من الهدى إلى الضلالة . (أثر ٥٨٥٦) .

س : هل الذين كفروا كانوا في نور حتى يقال إن الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ؟

ج : لذلك توجيهات : **أحدها** : أن الآية مخصوصة بأهل الكتاب الذين كانوا مُقرين بنبوة موسى عليه السلام ، وكذلك المقرين بنبوة عيسى عليه السلام ، وكانوا متبعين لملتهم فهؤلاء كانوا على نور فلما جآءهم محمد ﷺ كفروا به فدخلوا في ظلمات الكفر بعد أن خرجوا من نور الإيمان .

الثاني : أن المراد بإخراجهم من الظلمات إلى النور الحيلولة بينهم وبين الإيمان حتى يضلونهم عن طريق الإيمان فيكفرون فيكون التضليل إخراج من النور إلى الظلمات ، كقول الرجل أخرجني والدي من الميراث يعني ملّكه غيري .

الثالث : أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ كان المخالف له خارجًا من نورٍ قد علمه ، والموافق له خارجًا من ظلمات الجهل إلى نور العلم . والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : لماذا أُفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى : ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : ذلك لأن الحق واحد والكفر أجناس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

وقال آخرون ذلك لتفضيل النور وتكريمه وتشريفه وكماله كما قال تعالى : ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ [النحل : ٤٨] .

وكما قال تعالى : ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات

خالاتك ﴾ [الأحزاب : ٥٠] . والله تعالى أعلم .

* * *

س : لماذا أُفرد الطاغوت وقال الله تعالى بعد أن أفرده ﴿ يخرجونهم ﴾ [البقرة : ٢٥٧] بالجمع ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الطاغوت اسم للجمع وللمفرد أيضًا ، وقد يُجمع فيقال طواغيت ، وذلك كقولهم : (رجل عدل وقوم عدل) واستشهد لذلك الطبري بقول العباس بن مرداس :

فقلنا أَسْلِموا إنَّا أَخُوكُم فقد بَرِئَتْ مِن الإِحَنِ الصُّدُور

* * *

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٢٥٨﴾

س : اذكر معنى كلٍّ مما يلي :
ألم تر – حاج – بهت ؟

ج :

الكلمـة	معنـاها
ألم تر	أرأيت – هل رأيت ، وهي تحمل معنى التعجب أي : اعجبو له – وقيل : المعنى : هل رأيت كالذي حاج إبراهيم
حـاج	جـادل
بُهت	تحير – انقطع وسكت ولم تكن له حيلة

* * *

س : من هو الذي حآج إبراهيم في ربِّه ؟

ج : لم يرد في تسميته شيء ثابت عن رسول الله ﷺ ومن العلماء من قال : إنه النمروذ بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار(١) والبعوضة(٢) ، وثمَّ أقوال أخر ، والله تعالى أعلم(٣) .

❋ ❋ ❋

س : إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ؟

ج : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الضمير يرجع إلى هذا الجبار المعاند لإبراهيم عليه السلام .

ومن العلماء من قال : إنه يرجع إلى إبراهيم عليه السلام ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٥٤] . والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ؟

ج : من أجل أن آتاه الله الملك ، والمعنى : لما آتاه الله الملك جادل ، وكان من اللائق به أن يشكر ، لكن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج

---

(١) يعني : الذي أوقد النار وألقى فيها إبراهيم عليه السلام .

(٢) يعني : الذي دخلت في أنفه بعوضة : فكانوا يضربونه على رأسه سنين طويلة علاجًا له ، والله أعلم .

(٣) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٨٦٥) ، قال : كنا نُحدَّث أنه ملك يُقال له : نمروذ ، وهو أول ملك تجبر في الأرض وهو صاحب الصرح ببابل .

● وأخرج الطبري أيضًا (٥٨٦٩) بإسناد صحيح إلى ابن زيد : هو نمروذ .

لذلك ، أو وضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر ، كما يُقال : عاديتني لأني أحسنت إليك ، قال هذا الأخير صديق حسن خان في فتح البيان ، والله أعلم .

* * *

س : ماالمراد بقوله : ﴿ في ربِّه ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ؟

ج : المراد – والله تعالى أعلم – : في وجود ربه ، إذ المفهوم من السياق : أن إبراهيم عليه السلام استدل على وجود ربِّه بالإحياء والإماتة فقال هذا الطاغية : أنا أحيي وأميت .

* * *

س : ما المراد بالهداية في قوله تعالى : ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أن الله لا يلهمهم حُجة ولا برهانًا ، بل حجتهم داحضة .

* * *

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

خاوية على عروشها - بعثه - لم يتسنَّه - ننشزها ؟

ج :

الكلمة	معناها
خاوية على عروشها	سقطت سقوفها ثم سقطت الحيطان على السقوف[1] وخاوية معناها : خالية - والعروش : السقوف
بعثه	أحياه

❋ ❋ ❋

(١) وذكر جمهور العلماء أن أهلها ماتوا وقد دمرت تدميرًا وخربت عمارتها .

الكلمـة	معناهـــا
لم يتسنه ننشزها	لم يتغير[1] – لم تغيِّره السنون . نرفعها فيركب بعضهَا فوق بعض – وأصل النشز[2] الارتفاع .

* * *

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٥٩٢١) قال : لم يتسنه : لم يتغير ، وبإسناد صحيح عن ابن زيد (٥٩٢٨) : لم يتغير في مائة سنة .

(٢) والمرأة الناشز : هي المرتفعة عن طاعة زوجها . وقيل : المعنى : كيف نرفعها من أماكنها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد .

س : من هو الذي مر على القرية وهي خاوية على عروشها وما هي هذه القرية ؟

ج : لم أقف على تحديد اسم هذا الرجل ولا هذه القرية في الكتاب أو السنة ، وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أنه بيت المقدس أتى عليه عزير بعد ما خرَّبه بُخْت نصَّر البابلي .

قلت : وهذا من قول قتادة رحمه الله ، ولا نجنح إلى صحته فالله أعلم .

هذا وقد قال الطبري رحمه الله تعالى قولًا جيدًا في هذا المقام فقال رحمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره عجَّب نبيَّه ﷺ ممن قال – إذ رأى قرية خاوية على عروشها – : ﴿ أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾[البقرة : ٢٥٩] ، مع علمه أنه ابتدأ خلقها من غير شيء ، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال : أنَّى يحييها الله بعد موتها ! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قِبله البيانُ على اسم قائل ذلك . وجائزٌ أن يكون ذلك عُزَيرًا ، وجائز أن يكون أورميا ، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه ، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك ، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقَه بعد مماتهم ، وإعادتهم بعد فنائهم ، وأنه الذي بيده الحياة والموت = من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب = وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرانَيْ مُهاجَرَ رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل ، بإطلاعه نبيَّه محمدًا ﷺ على ما يُزيل شكهم في نبوته ، ويقطعُ عذرهم في رسالته ، إذْ كانت هذه الأنباء التي أوحاها إلى نبيه محمد ﷺ في كتابه ، من الأنباء التي لم يكن يعلمها محمد ﷺ وقومهُ ، ولم يكن علم ذلك إلَّا عند أهل الكتاب ، ولم يكن محمد ﷺ وقومه منهم ، بل كان أميًّا وقومه أمِّيُّون . فكان معلومًا بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجَرِه ، أنّ محمدًا ﷺ

لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله إليه . ولو كان المقصودُ بذلك الخبرَ عن اسم قائل ذلك ، لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبًا يقطع العذر ويزيل الشك ، ولكن القصد كان إلى ذم قِيله ، فأبان تعالى ذكره ذلك لخلقه .

***

س : من القائل : ﴿ كم لبثت ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ؟

ج : هو الله سبحانه وتعالى بدليل قوله عز وجل : ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

***

س :ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المعنى : وانظر إلى إحيائنا حمارك وانظر إلى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا ، فالمعنى على هذا أن الحمار تفرقت أجزاؤه ونخرت عظامه وتقطعت أوصاله ثم أحياه الله عز وجل بأن ركب بعض عظامه على بعض وأعاده الله كما كان ليشاهد كيفية الإحياء .

● ومن العلماء من قال : وانظر إلى حمارك ما زال قائمًا بين يديك ، وذهب هذا الفريق من أهل العلم إلى أن قوله : ﴿ وانظر إلى العظام ﴾ تأويله أن الله رد إلى الرجل بصره ونفخ الروح في عينيه ثم بقي ينظر إلى عظامه[1] وهي تلتئم ويركب بعضها بعضًا ثم يكسوها-الله عز وجل اللحم .

● ومن العلماء من قال : إن النظر كان إلى عظامه وعظام حماره معًا وهما يركبان ويكسوان اللحم ، والله تعالى أعلم .

***

---

(١) أخرج الطبري (٥٩٤٢) بإسناد حسن عن قتادة قال : ذُكر لنا أنه أول ما =

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولنجعلك عبرة ودلالة للناس على قدرتنا على البعث بعد الموت .

❋ ❋ ❋

= خلق الله منه رأسه ثم ركبت فيه عيناه ، ثم قيل له : انظر ؛ فجعل ينظر فجعلت عظامه تواصل بعضها إلى بعض – وبعَيْن نبي الله عليه السلام كان ذلك – فقال : ﴿ أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

قلت : وليس لهذا حكم الرفع ولا يُدرى من الذي ذكره لقتادة فلا نستطيع التعويل عليه ولا على الآثار التي على شاكلته ، والله أعلم .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

س : ما معنى : صُرهن ؟

ج :

الكلمـة	معنـاهــا
صُرهن	قطعهن – ضمهن – أملهن واجمعهن – أوثقهن .

✸ ✸ ✸

س : لماذا سأل إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يريه كيف يحيي الموتى ؟

ج : ليزداد قلبه طمأنينة ويقينًا ، وقد جاء ذلك صريحًا لما قال الله سبحانه وتعالى له : ﴿ أو لم تؤمن ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

وسأله أيضًا ليترقى من علم اليقين ، إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ، فإبراهيم ﷺ موقن بالبعث ، ولكن اليقين يزداد إذا رأى ذلك عيانًا ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : وضح المراد بقول النبي ﷺ : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتي »[1] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : إننا لم نشك في قدرة الله على إحياء الموتى ؛ فإبراهيم أولى أن لا يشك منا ، ففي هذا تواضع من رسول الله ﷺ ، فالمعنى : لو كان إبراهيم شاكًّا لشككنا ، فلما لم نشك نحن ؛ كان إبراهيم أولى بأن لا يشك منا .

الثاني : أنه دخل قلب إبراهيم ما يدخل قلوب البشر .

الثالث : أن المعنى : نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم ﷺ .

وثم أقوال أُخر أولاها ما ذكرناه أولًا ، وعليه جمهور المفسرين ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٣٣٧٢) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾

س : ما معنى ما يلي : منًّا ؟

ج :

الكلمة	معناها
منًّا	المن : ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها ، وقيل : التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعطى ويؤذيه

٭ ٭ ٭

س : في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة .. ﴾ [البقرة : ٢٦١] محذوف بيِّنه ؟

ج : في الكلام حذف ، والتقدير مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ....

أو توجيه آخر ذكره القرطبي فقال : مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فشبَّه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة ، ثم قال تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] يعني على سبعمائة فيكون مثل المتصدق مثل الزارع إن كان حاذقًا في عمله ويكون البذر جيدًا وتكون الأرض عامرة يكون الزرع أكثر ، فكذلك المتصدق إذا كان صالحًا والمال طيبًا ويضعه موضعه فيصير الثواب أكثر ، خلافًا لمن قال : ليس في الآية تضعيف على سبعمائة .

* * *

س : هل للنفقة في سبيل الله فضل على النفقة في غيرها ؟

ج : قد يكون ذلك في بعض الأحيان ، فالحسنة في أعمال البر بعشر أمثالها كما جاء في كتاب الله في غير موطن[1] ، أما النفقة في سبيل الله فبسبعمائة ، والله يضاعف لمن يشاء .

* * *

(١) وقد تتضاعف الحسنة في سائر أعمال البر إلى سبعمائة ، بل وإلى أكثر في بعض الأحيان ، فالله يضاعف لمن يشاء ، وقد جاء في حديث : « إذا تصدق أحدكم بصدقة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يربيها له كما يُربي أحدكم فلوه ... » الحديث .

س : اذكر حديثًا في معنى الآية الكريمة يُفيد تضعيف النفقة في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف ؟

ج : الحديث أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال : يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة »(١) .

❋ ❋ ❋

س : اذكر المعنى الإجمالي للآيتين الكريمتين ؟

ج : استفاض في ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله فقال في التفسير القيم :

شبه الله سبحانه نفقة المنفق في سبيله - سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير ، من كل - بمن بذر بذرًا فأنبتت كل حبة منه سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة . والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك ، بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ، ونفع نفقته وقدرها . ووقوعها موقعها .

فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص ، والتثبيت عند النفقة ، وهو إخراج المال بقلب ثابت ، قد انشرح صدره بإخراجه ، وسمحت به نفسه ، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ، فهو ثابت القلب عند إخراجه ، غير جزع ولا هلع ، ولا مُتْبِعُه نفسه ، ترجُف يده وفؤاده .

ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق بحسب مصادفته لموقعه ، وبحسب طيب المنفق وزكائه .

وتحت هذا المثل من الفقه : أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر ، فالمنفق ماله الطيب لله ، لا لغيره : باذر ماله في أرض زكية . فمغَلُّه بحسب بذره ،

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٩٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي ، ونفي الدغَل ، والنبات الغريب عنه . فإذا اجتمعت هذه الأمور و لم يحرق الزرع نار ، ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال ، وكان مثله كمثل جنة بربوة . وهي المكان المرتفع الذي تكون الجنة فيه نُصب الشمس والرياح فتتربى الأشجار هناك أتم تربية . فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر ، متتابع ، فرواها ونَمَّاها . فأتت أُكلها ضعفي ما يؤتيه غيرها ، لسبب ذلك الوابل فإن لم يصبها وابل فطَلٌّ ، أي : مطر صغير القطر يكفيها ، لكرم منبتها تزكو على الطل ، وتنمو عليه ، مع أن في ذكر نوعي الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل . فمن الناس من يكون إنفاقه وابلا ، ومنهم من يكون إنفاقه طَلًّا . والله لا يضيع مثقال ذرة .

ثم قال رحمه الله : (ص ١٥٤) :

وهذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض ، ومثله سبحانه بهذا المثل إحضارًا لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني فيقوى إيمان المنفق وتسخو نفسه بالإنفاق ، وتأمل كيف جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل وهي من جموع الكثرة إذ المقام مقام تكثير وتضعيف وجمعها على سنبلات في قوله تعالى : ﴿ وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات ﴾ [يوسف : ٤٣] فجاء بها على جمع القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير . وقوله تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] قيل : المعنى والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق بل يختص برحمته من يشاء وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه لصفات المنفق وأحواله وفي شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع ، وقيل : والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك فلا يقتصر به على السبعمائة بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة .

واختلف في تقدير الآية فقيل : مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة ، وقيل : مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل للممثل به ، فههنا أربعة أمور : منفق ، ونفقة ، وباذر ، وبذر ، فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه ، فذكر من شق الممثل المنفق ، إذ المقصود ذكر حاله وشأنه ، وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها ، وذكر من شق الممثل به البذر ، إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة ، وترك ذكر الباذر لأن القرض لا يتعلق بذكره ، فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان .

وهذا كثير في أمثال القرآن ، بل عامتها ترد على هذا النمط ، ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها وهما الواسع العليم ، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه ، فإن المضاعِف واسع العطاء ، واسع الغنى ، واسع الفضل ، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق ، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها ، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته ، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه . ثم قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٢٦٢] ، هذا بيان للقرض الحسن ما هو ؟ وهو أن يكون في سبيله أي في مرضاته والطريق الموصلة إليه ، ومن أنفعها سبيل الجهاد ، وسبيل الله خاص وعام ، والخاص جزء من السبيل العام وأن لا يتبع صدقته بمن ولا أذى ، فالمن نوعان :

أحدهما : منٌّ بقلبه من غير أن يصرح له بلسانه ، وهذا إن لم يبطل الصدقة فهو من نقصان شهود منة الله عليه في عطائه المال وحرمان غيره وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه ، فلله المنة عليه من كل وجه . فكيف يشهد

قلبه منة لغيره ؟!

والنوع الثاني : أن يمن عليه بلسانه فيعتدي على من أحسن إليه بإحسانه ، ويريه أنه اصطنعه ، وأنه أوجب عليه حقًّا وطوقه منة في عنقه ، فيقول : أمَا أعطيتك كذا وكذا ؟ ويعدد أياديه عنده . قال سفيان : يقول : أعطيتك فما شكرت . وقال عبد الرحمن بن زياد : كان أبي يقول : إذا أعطيت رجلًا شيئًا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكِفَّ سلامك عنه ، وكانوا يقولون : إذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ، وإذا أسدي إليكم صنيعة فلا تنسوها ، وفي ذلك قيل :

وإنَّ امرأ أهدى إليَّ صنيعة وذكـرنيها مـرة لبخيـل

وقيل : صفوان مَنْ منح سائله ومنَّ ، ومَنْ منع نائله وضن ، وحظر الله على عباده المن بالصنيعة ، واختص به صفة لنفسه لأنه من العباد تكدير وتعيير ، ومن الله سبحانه وتعالى إفضال وتذكير .

وأيضًا فإنه هو المنعم في نفس الأمر ، والعباد وسائط ، فهو المنعم على عبده في الحقيقة ، وأيضًا فالامتنان استعباد ، وكسر ، وإذلال لمن يمن عليه ، ولا تصلح العبودية والذل إلا لله .

وأيضًا فالمنة أن يشهد المعطي أنه هو رب الفضل ، والإنعام ، وأنه ولي النعمة ، ومسديها ، وليس ذلك في الحقيقة إلا لله ، وأيضًا فالمانُّ بعطائه يشهد نفسه مترفعًا على الآخذ مستعليًا عليه غنيًّا عنه عزيزًا ، ويشهد ذل الآخذ وحاجته إليه وفاقته ، ولا ينبغي ذلك للعبد ، وأيضًا فإن المعطي قد تولى الله ثوابه ، ورَدَّ عليه أضعاف ما أعطى ؛ فبقي عوض ما أعطي عند الله . فأي حق بقي له قبل الآخذ ؟ فإذا امتن عليه فقد ظلمه ظلمًا بينًا ، وادعى أن حقه في قبله .

هنا - والله أعلم - بطلت صدقته بالمن ، فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته

مع الله وعوض تلك الصدقة عنده فلم يرضَ به ، ولاحظ العوض من الآخذ والمعاملة عنده فمنَّ عليه بما أعطاه بطلت معاوضته مع الله ومعاملته له ، فتأمل هذه النصائح من الله لعباده ودلالته على ربوبيته ، وإلهيته وحده ، وأنه يبطل عمل من نازعه في شيء من ربوبيته وإلهيته ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

ونبه بقوله : ﴿ ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذًى ﴾ [البقرة : ٢٦٢]. على أن المن والأذى ولو تراخى عن الصدقة وطال زمنه ضر بصاحبه ، ولم يحصل له مقصود الإنفاق ، ولو أتى بالواو ، وقال : ولا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى لأوهمت تقييد ذلك بالحال ، وإذا كان المن ، والأذى المتراخي مبطلًا لأثر الإنفاق مانعًا من الثواب . فالمقارن أولى ، وأحرى ، وتأمل كيف جرد الخبر هنا عن الفاء فقال : ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ﴾ [البقرة : ٢٦٢] ، وقرنه بالفاء في قوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ [البقرة : ٢٧٤] ، فإن الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الموصول أو الموصوف تفهم معنى الشرط والجزاء ، وأنه مستحق بما تضمنه المبتدأ من الصلة أو الصفة ، فلما كان هنا يقتضي بيان حصر المستحق للجزاء دون غيره جرد الخبر عن الفاء ، فإن المعنى : أن الذي ينفق ماله لله ، ولا يمن ولا يؤذي هو الذي يستحق الأجر المذكور لا الذي ينفق لغير الله ، ويمن ويؤذي بنفقته ، فليس المقام مقام شرط وجزاء . بل مقام بيان للمستحق دون غيره .

وفي الآية الأخرى ذكر الإنفاق بالليل والنهار سرًّا وعلانية . فذكرَ عموم الأوقات ، وعموم الأحوال ، فأتى بالفاء في الخبر ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وجد من ليل أو نهار وعلى أي حالة وجد من سر وعلانية . فإنه سبب للجزاء على كل حال ، فليبادر إليه العبد ، ولا ينتظر به غير وقته وحاله ، ولا يؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار ، ولا نفقة النهار إلى الليل ،

ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر ، ولا بنفقة السر وقت العلانية ، فإن نفقته في أي وقت وعلى أي حال وجدت سبب لأجره وثوابه ، فتدبر هذه الأسرار في القرآن فلعلك تظفر بها إذ تمر بك في التفاسير ، والمنة والفضل لله وحده ، لا شريك له .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى .. ﴾ [البقرة : ٢٦٢] أي : لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحبطون به ما سلف من الإحسان ، والله أعلم .

***

س : هل يمكن أن تكون المضاعفة أكثر من سبعمائة ضعف ؟

ج : نعم يمكن ذلك ؛ لقول الله تعالى : ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦١] ، ولقول النبي ﷺ : « من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل »(١)

***

س : ما المراد بالنفقة في سبيل الله ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنها النفقة في الجهاد خاصة ، وذهب آخرون إلى أنها عامة في كل أنواع البر ، والذي يظهر لي أن المراد بالنفقة في سبيل الله : النفقة لتكون كلمة الله هي العليا ، وذلك على نسق حديث :

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) ، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

« من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »، والله أعلم .

***

س : وضح معنى المن بشيء من التفصيل ؟ وبيِّن لماذا كان المنان مذمومًا ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي [1] بشيء من التفصيل فقال :

(المسألة الثالثة) : (المن) : في اللغة على وجوه : (أحدها) : بمعنى الإنعام ، يقال : قد من الله على فلان ، إذا أنعم ، أو لفلان عليَّ منة ، وأنشد ابن الأنباري :

فمن علينا بالسلام فإنما كلامك ياقوت ودر منظم .

ومنه قوله ﷺ : « ما من النَّاس أحد أَمَن علينا في صحبته ولا ذات يده من ابن أبي قحافة » يريد : أكثر إنعامًا بماله ، وأيضًا الله تعالى يوصف بأنه منان ، أي : منعم .

(والوجه الثاني) : في التفسير (المن) : النقص من الحق والبخس له ، قال تعالى : ﴿ وإن لك لأجرًا غير ممنون ﴾ [القلم : ٣] أي : غير مقطوع وغير ممنوع ، ومنه سمي الموت : منونًا ؛ لأنه ينقص الأعمار ، ويقطع الأعذار ، ومن هذا الباب المنة المذمومة ، لأنه ينقص النعمة ، ويكدرها ، والعرب يمتدحون بترك المن بالنعمة ، قال قائلهم :

زاد معروفك عندي عظمًا أنه عندي مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته وهو في العالم مشهور كثير

إذا عرفت هذا فنقول : المن : هو إظهار الاصطناع إليهم ، والأذى شكايته منهم بسبب ما أعطاهم ، وإنما كان المن مذمومًا لوجوه :

---

(١) قدمنا مرارًا الأشارة إلى ما في تفسير الرازي من الزلل ، ولكنا نأخذ منه ما سَلِم ، ونذر له ما زلت فيه قدمه ، عفا الله عنه .

(الأول) :أن الفقير الآخذ للصدقة منكسر القلب لأجل حاجته إلى صدقة غير معترف باليد العليا للمعطي ، فإذا أضاف المعطي إلى ذلك إظهار ذلك الإنعام ، زاد ذلك في انكسار قلبه ، فيكون في حكم المضرة بعد المنفعة ، وفي حكم المسيء إليه بعد أن أحسن إليه ، (والثاني) : إظهار المن يبعد أهل الحاجة عن الرغبة في صدقته إذا اشتهر من طريقه ذلك ، (الثالث) : أن المعطي يجب أن يعتقد أن هذه النعمة من الله تعالى عليه ، وأن يعتقد أن لله عليه نعمًا عظيمة حيث وفقه لهذا العمل ، وأن يخاف أنه هل قرن بهذا الإنعام ما يخرجه عن قبول الله إياه ، ومتى كان الأمر كذلك امتنع أن يجعله منة على الغير ، (الرابع) : وهو السر الأصلي أنه إن علم أن ذلك الإعطاء إنما تيسر لأن الله تعالى هيأ له أسباب الإعطاء وأزال أسباب المنع ، ومتى كان الأمر كذلك كان المعطي هو الله في الحقيقة لا العبد ، فالعبد إذا كان في هذه الدرجة كان قلبه مستنيرًا بنور الله تعالى ، وإذا لم يكن كذلك ، بل كان مشغولًا بالأسباب الجسمانية الظاهرة ، وكان محرومًا عن مطالعة الأسباب الربانية الحقيقة ، فكان في درجة البهائم الذين لا يترق نظرهم عن المحسوس إلى المعقول ، عن الآثار إلى المؤثر .

❋ ❋ ❋

س : اذكر حديثًا في ذمِّ المنان وبيان عقوبته ؟

ج : أخرج مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار ، قال أبو ذرٍّ : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : « المسبل ، والمنان ، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦) .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾

س : ما المراد بالقول المعروف ؟ وما المراد بالمغفرة ؟

ج : المراد بالقول المعروف : الكلمة الطيبة والدعوة الصالحة بظهر الغيب للسائل والمحتاج ، والوعد الحسن : كأن تقول له : لو وسع الله عليَّ سأوسع عليك وسأعطيك إن يسر الله ، والقول المعروف في الجملة هو القول الجميل الذي تقبله القلوب ولا تنكره .

أما المغفرة ، فمن معاني المغفرة الستر ، والمراد: أن السائل إذا أتاك لمسألة ورددته لعدم استطاعتك أو لأي سبب ينبغي لك أن تستر عليه ولا تشهر به ولا تظهر أمره للناس .

وقد تكون المغفرة للفقير والسائل ، فالفقير والسائل إذا جاء وسألك ورددته ربما حمله ذلك على بذاءة اللسان والخوض في عرضك ، فأمر بالعفو عن بذاءة الفقير والصفح عن إساءته .

وقد يكون المراد بالمغفرة : طلب المغفرة لنفسك وله من الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله غني حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ؟

ج : وجه ذلك بيان أن الله عز وجل غني عن صدقة المتصدق المنان ، حليم حين لا يعجل العقوبة لمن منَّ بصدقته وآذى الفقير ، والله أعلم .

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذًى والله غني حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ؟

ج : قال العلامة ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

فأخبر أن القول المعروف وهو الذي تعرفه القلوب ولا تنكره . والمغفرة وهي العفو عمن أساء إليك خير من الصدقة بالأذى . فالقول المعروف إحسان . وصدقة بالقول والمغفرة إحسان بترك المؤاخذة والمقابلة ، فهما نوعان من أنواع الإحسان ، والصدقة المقرونة بالأذى حسنة مقرونة بما يبطلها ، ولا ريب أن حسنتين خير من حسنة باطلة . ويدخل في المغفرة مغفرته للسائل إذا وجد منه بعض الجفوة والأذى لك بسبب رده ؛ فيكون عفوه عنه خيرًا من أن يتصدق عليه ويؤذيه . هذا على المشهور من القولين في الآية ، والقول الثاني : أن المغفرة من الله أي : مغفرة لكم من الله بسبب القول المعروف والرد الجميل خير من صدقة يتبعها أذى ، وفيها قول ثالث : أي : مغفرة وعفو من السائل ، إذ ردَّ وتعذر المسئول خير من أن ينال بنفسه صدقة يتبعها أذًى . وأوضح الأقوال هو الأول ، ويليه الثاني والثالث ضعيف جدًّا ؛ لأن الخطاب إنما هو للمنفق المسئول لا للسائل الآخذ . والمعنى : أن قول المعروف له والتجاوز والعفو خير لك من أن تصَّدق عليه وتؤذيه ، ثم ختم الآية بصفتين مناسبتين لما تضمنته فقال : ﴿ والله غني حليم ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ، وفيه معنيان :

أحدهما : أن الله غني عنكم لن يناله شيء من صدقاتكم ، وإنما الحظ الأوفر لكم في الصدقة ، فنفعها عائد عليكم لا إليه سبحانه وتعالى ، فكيف يمن بنفقته ويؤذي مع غنى الله التام عنها وعن كل ما سواه ، ومع هذا فهو حليم إذ لم يعاجل المان بالعقوبة . وفي ضمن هذا : الوعيد والتحذير .

والمعنى الثاني : أنه سبحانه وتعالى مع غناه التام من كل وجه فهو

الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح مع عطائه الواسع وصدقاته العميمة ، فكيف يؤذي أحدكم بمنه وأذاه مع قلة ما يعطي ونزارته وفقره .

* * *

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾

س : وضح معنى ما يلي :

لا تبطلوا صدقاتكم – رئاء الناس – صفوان – وابل – صلدًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
لا تبطلوا صدقاتكم	لا تُذهبوا ثواب صدقاتكم
رئاء الناس	مراءاة للناس
صفوان	حجر أملس
وابل	الوابل : المطر الشديد[1] العظيم
صلدًا	أملسًا ، يابسًا ، لا شيء عليه

❋ ❋ ❋

(١) صح عن قتادة (عند الطبري ٦٠٥٥) وغيره : أن الوابل : المطر الشديد .
قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا ﴾ [المزمل : ١٦].

س : وضح وجه الشبه في قوله تعالى : ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ؟

ج : وجه الشبه أن الذي يمن على الناس بصدقته ويؤذيهم بها يُذهب ثواب صدقته ، كالذي يرائي الناس وهو يتصدق ، ويُظهر لهم أنه يريد وجه الله ، وإنما يريد مدح الناس له وشهرته بينهم بالصفات الجميلة ، وليست همته طلب ثواب العمل ونيل مرضات الله .

❋ ❋ ❋

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب ... ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ؟

ج : المعنى – والله تعالى أعلم – : أن الأعمال كالتراب[١] ، والوابل (الذي هو المطر الشديد) هو الرياء والمن والأذى ، فالمن والأذى والرياء يذهبان الأعمال وثوابها كما يُذهب الوابلُ التراب .

ووجه آخر : أن المنفق رياءً ، كرجل ظن أن الحجر الذي عليه تراب تربة صالحة للبذر فبذر في التراب وهو لا يظن أن تحته حجر ، وظن أنه بذر بذرة في مكان طيب منبت ، فلما جاء الوابل ذهب بالبذرة كلها وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك :

---

(١) ويؤيده قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شيء مما كسبوا .. ﴾ [إبراهيم : ١٨] .
وقوله تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

قال ابن القيم رحمه الله ، التفسير القيم :

فتضمنت هذه الآية الإخبار بأن المن والأذى يحبط الصدقة ، وهذا دليل على أن الحسنة قد تحبط بالسيئة مع قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [الحجرات : ٢] .

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة في أول هذه الرسالة فلا حاجة إلى إعادته وقد يقال : إن المن والأذى المقارن للصدقة هو الذي يبطلها دون ما يلحقها بعدها إلا أنه ليس في اللفظ ما يدل على هذا التقييد والسياق يدل على إبطالها به مطلقًا ، وقد يقال : تمثيله بالمرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر يدل على أن المن والأذى المبطل هو المقارن كالرياء وعدم الإيمان ، فإن الرياء لو تأخر عن العمل لم يبطله ، ويجاب عن هذا بجوابين :

أحدهما : أن التشبيه وقع في الحال التي يحبط بها العمل وهي حال المرائي والمان المؤذي في أن كل واحد منهما يحبط العمل .

الثاني : أن الرياء لا يكون إلا مقارنًا للعمل ؛ لأنه فعال من الرؤيا التي صاحبها يعمل ليري الناس عمله فلا يكون متراخيًا ، وهذا بخلاف المن والأذى فإنه يكون مقارنًا ومتراخيًا ، وتراخيه أكثر من مقارنته .

وقوله : ﴿ كالذي ينفق ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ، إما أن يكون المعنى كإبطال الذي ينفق فيكون قد شبه الإبطال بالإبطال ، أو المعنى : لا تكونوا كالذي ينفق ماله رئاء الناس فيكون تشبيهًا للمنفق بالمنفق .

وقوله : ﴿ فمثله ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ،أي : مثل هذا المنفق الذي قد بطل ثواب نفقته كمثل صفوان ، وهو الحجر الأملس ، وفيه قولان : أحدهما : أنه واحد . والثاني : جمع صفوة ﴿ عليه تراب فأصابه وابل ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وهو المطر الشديد فتركه صلدًا ، وهو الأملس الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره . وهذا من أبلغ الأمثال وأحسنها ؛ فإنه

يتضمن تشبيه قلب هذا المنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن إيمان بالله واليوم الآخر بالحجر ؛ لشدته وصلابته وعدم الانتفاع به ، وتضمن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذي علق بذلك الحجر ، والوابل الذي أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه بالمانع الذي أبطل صدقته وأزالها كما يذهب الوابل التراب الذي على الحجر فيتركه صلدًا فلا يقدر المنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله . وفيه معنى آخر : وهو أن المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملًا يرتب عليه الأجر ويزكو له كما تزكو الحبة التي إذا بذرت في التراب الطيب أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، ولكن وراء هذا الإنفاق مانع يمنع من نموه وزكائه ، كما أن تحت التراب حجرًا يمنع من نبات ما يبذر من الحب فيه . فلا ينبت ولا يخرج شيئًا .

وقال الرازي رحمه الله :

﴿ فمثله ﴾ [البقرة : ٢٦٤] : وفي هذا الضمير وجهان : (أحدهما) : أنه عائد إلى المنافق ؛ فيكون المعنى : أن الله تعالى شبه المان والمؤذي بالمنافق ، ثم شبه المنافق بالحجر ، ثم قال : ﴿ كمثل صفوان ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وهو الحجر الأملس ، وحكى أبو عبيد عن الأصمعي : أن الصفوان والصفا والصفوا واحد ، وكل ذلك مقصور ، وقال بعضهم : الصفوان جمع صفوانة ، كمرجان ومرجانة ، وسعدان وسعدانة ، ثم قال : ﴿ أصابه وابل ﴾ [البقرة : ٢٦٤] الوابل : المطر الشديد ، يقال : وبلت السماء تبل وبلًا ، وأرض موبولةِ ، أي : أصابها وابل ، ثم قال : ﴿ فتركه صلدًا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] الصلد : الأملس اليابس ، يقال : حجر صلد ، وجبل صلد إذا كان براقًا أملس ، وأرض صلدة ، أي : لا تنبت شيئًا كالحجر الصلد ، وصلد الزند إذا لم يورِ نارًا .

واعلم أن هذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المان المؤذي ، ولعمل المنافق ، فإن الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالًا ، كما يرى التراب

على هذا الصفوان ، فإذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل ؛ لأنه تبين أن تلك الأعمال ما كانت لله تعالى ، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب ، وأما المعتزلة فقالوا : إن المعنى : أن تلك الصدقة أوجبت الأجر والثواب ، ثم إن المن والأذى أزالا ذلك الأجر ، كما يزيل الوابل التراب عن وجه الصفوان ، واعلم أن في كيفية هذا التشبيه وجهين : (الأول) : ما ذكرنا : أن العمل الظاهر كالتراب ، والمان والمؤذي والمنافق كالصفوان ويوم القيامة كالوابل هذا على قولنا ، وأما على قول المعتزلة فالمن والأذى كالوابل .

(الوجه الثاني) : في التشبيه ، قال القفال رحمه الله تعالى : وفيه احتمال آخر ، وهو أن أعمال العباد ذخائر لهم يوم القيامة ، فمن عمل بإخلاص فكأنه طرح بذرًا في أرض فهو يضاعف له وينمو حتى يحصده في وقته ، ويجده وقت حاجته ، والصفوان محل بذر المنافق ، ومعلوم أنه لا ينمو فيه شيء ولا يكون فيه قبول للبذر ، والمعنى أن عمل المان والمؤذي والمنافق يشبه إذا طرح بذرًا في صفوان صلد عليه غبار قليل ، فإذا أصابه مطر جود بقي مستودعًا بذره خاليًا لا شيء فيه ، ألا ترى أنه تعالى ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة ، والجنة ما يكون فيه أشجار ونخيل ، فمن أخلص لله تعالى كان كمن غرس بستانًا في ربوة من الأرض ، فهو يجني ثمر غراسه في أوقات الحاجة ، وهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها متضاعفة زائدة ، وأما عمل المان والمؤذي والمنافق ، فهو كمن بذر في الصفوان الذي عليه تراب ، فعند الحاجة إلى الزرع لا يجد فيه شيئًا .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وما المراد بالكسب هنا ؟

ج : أما المراد بالكسب فهو الإنفاق ، فقوله : ﴿ مما كسبوا ﴾ أي : مما أنفقوا ، والمعنى : لا يقدرون على الانتفاع بشيء من ثواب أعمالهم وإنفاقهم ، والله تعالى أعلم .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

ابتغاء – تثبيتًا – جنة – بربوة – آتت أكلها – طلٌّ – أيود – إعصار ؟

ج :

الكلمة	معناها
ابتغاء	طلب
تثبيتًا	تصديقًا – احتسابًا – يقينًا ، وقيل : يتثبتون أين يضعون أموالهم
جنة	حديقة – بستان – وهي قطعة أرض تنبت فيها الأشجار حتى تغطيها[1]

(١) مأخوذة من الجن والجنين لاستتارهم .

الكلمة	معناها
بربوة	الربوة : هي المكان المرتفع من الأرض يسيرًا
آتت أكلها	أعطت ثمرها
طلٌّ	المطر الضعيف المستدق – الندى – الرذاذ وهو اللين من المطر
أيود	أيحب
إعصار	الريح الشديدة العاصفة التي تهب من الأرض إلى السماء كالزوبعة ، ومن العلماء من قال : هي ريح فيها سموم شديدة[1]

❋ ❋ ❋

(١) روى ذلك الطبري بإسناد حسن عن قتادة .

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : أنها أثمرت في عام ما يثمره غيرها في عامين .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فطل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ؟

ج : الطل ، هو : الندى أو المطر الخفيف – كما تقدم ، والمعنى والله أعلم : أنها (أي : الجنة) إذا لم يصبها الوابل (وهو المطر الشديد) فالطل يكفيها .

والمعنى الإجمالي : أن عمل المؤمن لا يبور كما أن الجنة لا تبور ، فإن لم يأتها وابل فالطل يكفيها ، وكذلك عمل المؤمن يقبله الله وينميه ويكثره وإن كان قليلًا .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ... ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله :

هذا مثل الذي مصدر نفقته عن الإخلاص والصدق . فإن ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص . والتثبيت من النفس هو الصدق في البذل ، فإن المنفق يعترضه عند إنفاقه آفتان إن نجا منهما كان مثله ما ذكره في هذه الآية ، إحداهما : طلبه بنفقته محمدة أو ثناء أو غرضًا من أغراضه الدنيوية . وهذا حال أكثر المنفقين ، والآفة الثانية : ضعف نفسه وتقاعسها وترددها . هل يفعل أم لا ؟ فالآفة الأولى : تزول بابتغاء مرضات الله . والآفة الثانية : تزول بالتثبيت فإن تثبيت النفس تشجيعها وتقويتها والإقدام بها على البذل . وهذا هو صدقها وطلب مرضات الله إرادة وجهه وحده وهذا إخلاصها فإذا كان

مصدر الإنفاق عن ذلك كان مثله كجنة - وهي البستان الكثير الأشجار - فهو مجتنٌّ بها أي : مستتر ليس قاعًا فارغًا . والجنة بربوة وهو المكان المرتفع ، لأنها أكمل من الجنة التي بالوهاد والحضيض ، لأنها إذا ارتفعت كانت بمَدْرَجة الأهوية والرياح . وكانت ضاحية للشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها . فكانت أنضج ثمرًا وأطيبه وأحسنه وأكثره ، فإن الثمار تزداد طيبًا وزكاء بالرياح والشمس ، بخلاف الثمار التي تنشأ في الظلال ، وإذا كانت الجنة بمكان مرتفع لم يخش عليها إلا من قلة الماء والشراب فقال تعالى : ﴿ أصابها وابل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] وهو المطر الشديد العظيم القدر ، فأدت ثمرتها وأعطت بركتها ، فأخرجت ثمرتها ضعفي ما يثمر غيرها أو ضعفي ما كانت تثمر بسبب ذلك الوابل . فهذا حال السابقين المقربين ، ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] فهو دون الوابل . فهو يكفيها لكرم منبتها وطيب مغرسها تكتفي في إخراج بركتها بالطل ، وهذا حال الأبرار والمقتصدين في النفقة ، وهم درجات عند الله . فأصحاب الوابل أعلاهم درجة ، وهم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وأصحاب الطل مقتصدوهم .

فمثَّل حال القسمين وأعمالهم بالجنة على الربوة ، ونفقتهم الكثيرة بالوابل والطل ، وكما أن كل واحد من المطرين يوجب زكاء ثمر الجنة ونحوه بالأضعاف ، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة ، بعد أن صدرت عن ابتغاء مرضاة الله والتثبيت من نفوسهم ، فهي زاكية عند الله نامية مضاعفة .

واختلف في الضعفين . فقيل : ضعفا الشيء : مثلاه زائدًا عليه ، وضِعفه : مثله .

وقيل : ضعفه : مثلاه ، وضعفاه : ثلاثة أمثاله ، وثلاثة أضعافه : أربعة أمثاله ، كلما زاد ضعفًا زاد مثلًا ، والذي حمل هذا القائل على ذلك فراره من

استواء دلالة المفرد والتثنية فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله الزائد عليه فإذا زاد إلى المثل صار مثلين ، وهما الضعف . فلو قيل : لها ضعفان ؛ لم يكن فرق بين المفرد والمثنى . فالضعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل ، ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعافه ثلاثة أمثالِه مضافة إلى الأصل ، وهكذا أبدًا .

والصواب : أن الضعفين هما المثلان فقط ، الأصل ومثله . وعليه يدل قوله تعالى : ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ [البقرة : ٢٦٥] أي : مثلين ، وقوله تعالى : ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ [الأحزاب : ٣٠] أي : مثلين . ولهذا قال في الحسنات : ﴿ نؤتها أجرها مرتين ﴾ [الأحزاب : ٣١] .

وأما ما توهموه من استواء دلالة المفرد والتثنية فوهم منشؤه ظن أن الضعف هو المثل مع الأصل ، وليس كذلك ، بل المثل له اعتباران : إن اعتبر وحده فهو ضعف ، وان اعتبر مع نظيره فهما ضعفان . والله أعلم .

واختلف في رافع قوله : ﴿ فطل ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

فقيل : هو مبتدأ خبره محذوف ، أي : وطله يكفيها .

وقيل : خبر مبتدؤه محذوف تقديره . فالذي يرويها ويصيبها طل ، والضمير في ﴿ أصابها ﴾ [البقرة : ٢٦٥] إما أن يرجع إلى الجنة ، أو إلى الربوة ، وهما متلازمان .

***

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ... ﴾ الآية [البقرة : ٢٦٦] ؟

ج : أخرج البخاري[1] من طريق عبيد بن عمير قال : قال عمر

---

(١) صحيح البخاري (٤٥٣٨) .

رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي ﷺ : فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ؟ ، قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضُربت مثلًا لعمل ، قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله .

وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة[1] قال :

قوله : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ﴾ الآية [البقرة :٢٦٦] ، يقول : أصابها ريح فيها سموم شديد – ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، : فهذا مثلٌ ، فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله ، فإنه قال : ﴿ وتلك الأَمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ، هذا رجل كبرت سنه ، ورق عظمه ، وكثر عياله ، ثم احترقت جنته على بقية ذلك ، كأحوج ما يكون إليه ، يقول : أيحب أحدكم أن يضلَّ عنه عمله يوم القيامة كأحوج ما يكون إليه ؟

واختار الطبري رحمه الله ما ذكره بإسناده عن السدي قال :

﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ﴾ [البقرة :٢٦٦] ، هذا مثل آخر لنفقة الرياء . إنه ينفق ماله يرائي الناس به ، فيذهب ماله منه وهو يرائي ، فلا يأجره الله فيه . فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته ، وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته ، جاءت

(١) أخرجه الطبري (٦٠٩٩) .

ريح فيها سموم فأحرقت جنته ، فلم يجد منها شيئًا . فكذلك المنفق رياء .

وقال الرازي رحمه الله : اعلم أن هذا مثل آخر ذكره الله تعالى في حق من يتبع إنفاقه بالمن والأذى ، والمعنى أن يكون للإنسان جنة في غاية الحسن والنهاية ، كثيرة النفع ، وكان الإنسان في غاية العجز عن الكسب وفي غاية شدة الحاجة ، وكما أن الإنسان كذلك فله ذرية أيضًا في غاية الحاجة ، وفي غاية العجز ، ولا شك أن كونه محتاجًا أو عاجزًا مظنة الشدة والمحنة ، وتعلق جمع من المحتاجين العاجزين به زيادة محنة على محنة ، فإذا أصبح الإنسان وشاهد تلك الجنة محرقة بالكلية ، فانظر كم يكون في قلبه من الغم والحسرة ، والمحنة والبلية تارة بسبب أنه ضاع مثل ذلك المملوك الشريف النفيس ، وثانيًا بسبب أنه بقي في الحاجة والشدة مع العجز عن الاكتساب واليأس عن أن يدفع إليه أحد شيئًا ، وثالثًا بسبب تعلق غيره به ، ومطالبتهم إياه بوجوه النفقة ، فكذلك من أنفق لأجل الله ، كان ذلك نظيرًا للجنة المذكورة وهو يوم القيامة ، كذلك الشخص العاجز الذي يكون كل اعتماده في وجوه الانتفاع على تلك الجنة ، وأما إذا أعقب إنفاقه بالمن أو بالأذى كان ذلك كالإعصار الذي يحرق تلك الجنة ، ويعقب الحسرة والحيرة والندامة فكذا هذا المال المؤذي إذا قدم يوم القيامة ، وكان في غاية الاحتياج إلى الانتفاع بثواب عمله ، لم يجد هناك شيئًا فيبقى لا محالة في أعظم غم ، وفي أكمل حسرة وحيرة ، وهذا المثل في غاية الحسن ، ونهاية الكمال ، ولنذكر ما يتعلق بألفاظ الآية .

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

وقوله تعالى : ﴿ أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾ [البقرة : ٢٦٦] خص هذين النوعين من الثمار بالذكر لأنهما أشرف أنواع الثمار ، وأكثرها نفعًا فإن منهما القوت والغذاء . والدواء والشراب والفاكهة . والحلو

والحامض ، ويؤكلان رطبًا ، ويابسًا ، ومنافعهما كثيرة جدًّا .

وقد اختلف في الأنفع والأفضل منهما .

فرجحت طائفة النخيل ، ورجحت طائفة العنب ، وذكرت كل طائفة حججًا لقولها ، فذكرناها في غير هذا الموضع .

وفصل الخطاب : أن هذا يختلف باختلاف البلاد ، فإن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة بأن سلطان أحدهما لا يحل حيث يحل سلطان الآخر . فالأرض التي يكون فيها سلطان النخيل لا يكون العنب بها طائلًا ولا كثيرًا . لأنه إنما يخرج في الأرض الرخوة اللينة المعتدلة غير السبخة ، فينمو فيها فيكثر ، وأما النخيل فنموه وكثرته في الأرض الحارة السبخة ، وهي لا تناسب العنب . فالنخل في أرضه وموضعه أنفع وأفضل من العنب فيها . والعنب في أرضه ومعدنه أفضل من النخل فيها . والله أعلم .

والمقصود : أن هذين النوعين هما أفضل أنواع الثمار وأكرمها . فالجنة المشتملة عليهما من أفضل الجنان ، ومع هذا فالأنهار تجري تحت هذه الجنة . وذلك أكمل لها وأعظم في قدرها ، ومع ذلك فلم يعدم شيئًا من أنواع الثمار المشتهاة ، بل فيها من كل الثمرات ، ولكن معظمها ومقصودها النخيل والأعناب . فلا تنافي بين كونها من نخيل وأعناب ، و ﴿ فيها من كل الثمرات ﴾ [البقرة : ٢٦٦] .

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعًا * كلتا الجنتين آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئًا وفجرنا خلالهما نهرًا * وكان له ثمر ﴾ [الكهف : ٣٢ - ٣٤] .

وقد قيل : إن الثمار في آية الكهف وفي آية البقرة المراد بها المنافع والأموال ، والسياق يدل على أنها الثمار المعروفة لا غيرها . لقوله في البقرة :

﴿ له فيها من كل الثمرات ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، ثم قال تعالى : ﴿ فأصابها ﴾ [البقرة : ٢٦٦] أي : الجنة ﴿ إعصار فيه نار فاحترقت ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، وفي الكهف ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يُقلّب كَفَّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ﴾ [الكهف : ٤٢] ، وما ذلك إلا ثمار الجنة . ثم قال تعالى : ﴿ وأصابه الكبر ﴾ [البقرة : ٢٦٦] هذا إشارة إلى شدة حاجته إلى جنته ، وتعلق قلبه بها من وجوه :

أحدها : أنه قد كبر سنه عن الكسب والتجارة ونحوها .

الثاني : أن ابن آدم عند كبر سنه يشتد حرصه .

الثالث : أن له ذرية ، فهو حريص على بقاء جنته لحاجته وحاجة ذريته .

الرابع : أنهم ضعفاء ، فهم كَلٌّ عليه ، لا ينفعونه بقوتهم وتصرفهم .

الخامس : أن نفقتهم عليه ، لضعفهم وعجزهم .

وهذا نهاية ما يكون من تعلق القلب بهذه الجنة ، لخطرها في نفسها ، وشدة حاجته وذريته إليها . فإذا تصورت هذا الحال وهذه الحاجة ، فكيف تكون مصيبة هذا الرجل إذا أصاب جنته إعصار ، وهو الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع في طبقات الجو كالعمود وفيها نار ، مرت بتلك الجنة فأحرقتها ، وصيرتها رمادًا ، فصدق والله الحسن – هذا مثل قل من يعقله من الناس – ، ولهذا نبه الله سبحانه وتعالى على عظم هذا المثل ، وحدا القلوب إلى التفكر فيه لشدة حاجتها إليه . فقال تعالى : ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ [البقرة : ٢٦٦] .

فلو فكر العاقل في هذا المثل وجعله قبلة قلبه لكفاه وشفاه ، فكذلك العبد إذا عمل بطاعة الله ثم أتبعها بما يبطلها ويحرقها من معاصي الله كانت كالإعصار ذي النار المحرق للجنة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح .

فلو تصور العامل بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوره وتأمله

كما ينبغي لما سولت له نفسه - والله - إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها ، ولكن لا بد أن يغيب عنه علمه عند المعصية . ولهذا استحق اسم الجهل . فكل من عصى الله فهو جاهل .

فإن قيل : الواو في قوله تعالى : ﴿ وأصابه الكبر ﴾ [البقرة : ٢٦٦] واو الحال أم واو العطف ؟ وإذا كانت للعطف فعلام عطفت ما بعدها ؟ .

قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أنها واو الحال ، اختاره الزمخشري ، والمعنى : أيود أحدكم أن تكون له جنة شأنها كذا وكذا في حال كبره وضعف ذريته .

والثاني : أن تكون للعطف على المعنى . فإن فعل التمني وهو قوله : ﴿ أيود أحدكم ﴾ [البقرة : ٢٦٦] لطلب الماضي كثيرًا . فكان المعنى : أيود لو كانت له جنة من نخيل وأعناب وأصابه الكبر فجرى عليها ما ذكر .

وتأمل كيف ضرب سبحانه المثل للمنفق المرائي الذي لم يصدر إنفاقه عن الإيمان : بالصفوان الذي عليه التراب ، فإنه لم ينبت شيئًا أصلًا ، بل ذهب بذره ضائعًا لعدم إيمانه وإخلاصه . ثم ضرب المثل لمن عمل بطاعة الله مخلصًا بنيته لله ، ثم عرض له ما أبطل ثوابه : بالجنة التي هي من أحسن الجنان وأطيبها وأزهرها ، ثم سلط عليها الإعصار الناري فأحرقها . فإن هذا نبت له شيء وأثمر له عمله ، ثم أحرقه ، والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق .

فتبارك من جعل كلامه حياة للقلوب ، وشفاء للصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

❋ ❋ ❋

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

تيمموا – تغمضوا فيه – يعدكم – الفحشاء ؟

ج :

الكلمة	معناها
تيمموا	تقصدوا – تَعْمِدُوا
تغمضوا فيه	تصرفوا النظر عن العيوب التي فيه وتتغاضوا عنها – تتساهلوا وترضوا وتتجاوزوا
يعدكم	يخوِّفكم
الفحشاء	المعاصي والآثام والمحارم ، وقيل : المراد بها هنا : البخل

* * *

س : ما المراد بالخبيث ؟ وما المراد بطيبات الكسب ؟

ج : المراد بالخبيث : الرديء غير الجيد ، وقال بعض أهل العلم : إنه المحرم ، أما المراد بطيبات الكسب فهي : الجيد الحلال ويشمل التجارة والإجارة ونحو ذلك من الكسب الحلال ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بالخارج من الأرض ؟

ج : الخارج من الأرض يشمل النبات والمعادن والركاز (الذي هو دفن الجاهلية)[1] .

❋ ❋ ❋

س : ما حكم الركاز ؟

ج : في الركاز الخمس ، كما قال رسول الله ﷺ[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل ينتظر حولًا على الركاز حتى تُخرج منه الزكاة ؟

ج : لا ينتظر حولًا بل تؤخذ منه الزكاة في حينه ، إذ لا دليل على انتظار الحول ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ [البقرة : ٢٦٧] هل هو عام في كل ما تخرجه الأرض أم قيد بشيء ؟

ج : ليس عامًّا ؛ بل قيد بما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليس

---

(١) وقيل : هو ما ارتكز في الأرض من الذهب والفضة والجواهر .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٤٩٩) ، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

فيما دون خمس أوسق صدقة »[1] ، والله أعلم .

***

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ؟

ج : المعنى : إذا أهدي إليكم ، أو كانت لكم ديون عند أحد فسددها من هذا النوع الخبيث فلا تقبلوه إلا إذا غضضتم الطرف عنه وعن العيوب التي به وتجاوزتم وتساهلتم في قبوله .

***

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ... ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ..) :

أضاف سبحانه الكسب إليهم ، وإن كان هو الخالق لأفعالهم ، لأنه فعلهم القائم بهم ، وأسند الإخراج إليه لأنه ليس فعلًا لهم ، ولا هو مقدورًا لهم ، فأضاف مقدورهم إليهم وأضاف مفعوله الذي لا قدرة لهم عليه إليه . ففي ضمنه الرد على من سوى بين النوعين وسلب قدرة العبد وفعله وتأثيره عنه بالكلية . وخص سبحانه هذين النوعين وهما الخارج من الأرض ، والحاصل بكسب التجارة دون غيرهما من المواشي : إما بحسب الواقع ، فإنهما كانا أغلب أموال القوم إذ ذاك . فإن المهاجرين كانوا أصحاب تجارة وكسب ، والأنصار كانوا أصحاب حرث وزرع . فخص هذين

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٩) ، ومسلم (حديث ٩٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

النوعين بالذكر لحاجتهم إلى بيان حكمهما وعموم وجودهما ، وإما لأنهما أصول الأموال وما عداهما فعنهما يكون ومنهما ينشأ ، فإن الكسب يدخل فيه التجارات كلها على اختلاف أصنافها وأنواعها من الملابس والمطاعم والرقيق والحيوانات والآلات والأمتعة وسائر ما تتعلق به التجارة ، والخارج من الأرض يتناول حبها وثمارها وركازها ومعدنها ، وهذان هما أصول الأموال وأغلبها على أهل الأرض ، فكان ذكرهما أهم .

ثم قال : ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ [البقرة : ٢٦٧] فنهى سبحانه عن قصد إخراج الرديء ، كما هو عادة أكثر النفوس : تمسك الجيد لها ، وتخرج الرديء للفقير .

ونهيه سبحانه عن قصد ذلك وتيممه فيه ما يشبه العذر لمن فعل ذلك لا عن قصد وتيمم ، بل عن اتفاق ، إذ كان هو الحاضر إذ ذاك ، أو كان ماله من جنسه . فإن هذا لم يتيمم الخبيث بل تيمم إخراج بعض ما من الله به عليه .

وموقع قوله : ﴿ منه تنفقون ﴾ [البقرة : ٢٦٧] موقع الحال أي : لا تقصدوه منفقين منه .

ثم قال : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تُغمضوا فيه ﴾ [البقرة : ٢٦٧] أي : لو كنتم أنتم المستحقين له وبُذل لكم لم تأخذوه في حقوقكم إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه ، من قولهم : أغمض فلان عن بعض حقه . ويقال للبائع : أغمض ، أي : لا تستقص . كأنك لا تبصر . وحقيقته : من إغماض الجفن ، فكأن الرائي لكراهته له لا يملأ عينه منه ، بل يغمض من بصره ويغمض عنه بعض نظره بغضًا ، ومنه قول الشاعر :

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ ـم رجال يرضون بالإغماض

وفيه معنيان :

أحدهما : كيف تبذلون لله وتهدون له ما لا ترضون ببذله لكم ، ولا يرضى أحدكم من صاحبه أن يهديه له ، والله أحق من يختار له خيار الأشياء وأنفَسها ؟!

والثاني : كيف تجعلون له ما تكرهون لأَنفسكم ، وهو سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا ؟!

ثم ختم الآيتين بصفتين يقتضيهما سياقهما ، فقال : ﴿ واعلموا أن الله غني حميد ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، فغناه وحمده يأبيان قبوله الرديء ، فإن قابل الرديء الخبيث إما أن يقبله لحاجته إليه ، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها ، وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه لا يقبله .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

يعني بذلك تعالى ذكره : ﴿ الشيطان يعدكم ﴾ ، أيها الناس – بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم – أن تفتقروا – ﴿ ويأمركم بالفحشاء ﴾ ، يعني : ويأمركم بمعاصي الله عز وجل وترك طاعته – ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ ، يعني : إن الله عز وجل يعدكم ، أيها المؤمنون ، أن يستر عليكم فحشاءكم ، بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها ، فيغفر لكم ذنُوبكم بالصدقة التي تتصدَّقون – ﴿ وفضلًا ﴾ يعني : ويعدكم أن يخلف عليكم من صَدَقتكم ، فيتفضل عليكم من عطاياه ، ويُسبغ عليكم في أرزاقكم .

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

هذه الآية تتضمن الحض على الإنفاق والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني . فإنها اشتملت على بيان الداعي إلى البخل ، والداعي إلى البذل والإنفاق ، وبيان ما يدعو إليه داعي البخل ، وما يدعو إليه داعي الإنفاق ، وبيان ما يدعو به داعي الأمرين .

فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان ، وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم . وهذا هو الداعي الغالب على الخلق . فإن أحدهم يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه داعيًا يقول له : متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه ، وافتقرت إليه بعد إخراجه ، وإمساكه خير لك ، حتى لا تبقى مثل الفقير ، فغناك خير لك من غناه . فإذا صور له هذه الصورة أمره بالفحشاء وهي البخل : الذي هو من أقبح الفواحش ، وهذا إجماع من المفسرين : أن الفحشاء ، هنا البخل . فهذا وعده وهذا أمره . وهو الكاذب في وعده ، الغار الفاجر في أمره : فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون . فإنه يدلي من يدعوه بغروره . ثم يورده شر الموارد . كما قيل :

دلاهُم بغرور ، ثم أوردهم　　إن الخبيث لمن والاه غرار

هذا وإن وعده له الفقر ليس شفقة عليه ، ولا نصيحة له ، كما ينصح الرجل أخاه ، ولا محبة في بقائه غنيًّا ، بل لا شيء أحب إليه من فقره وحاجته . وإنما وعده له بالفقر وأمره إياه بالبخل ليسيء ظنه بربه ، ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه ، فيستوجب منه الحرمان .

وأما الله سبحانه فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه ، وفضلًا بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه إما في الدنيا ، أو في الدنيا والآخرة .

فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان . فلينظر البخيل والمنفق أيَّ الوعدين هو أوثق ؟ وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه ؟ والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء . وهو الواسع العليم .

وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين : ﴿ والله واسع عليم ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ، فإنه واسع العطاء ، عليم بمن يستحق فضله ، ومن يستحق عدله ، فيعطي هذا بفضله ، ويمنع هذا بعدله . وهو بكل شيء عليم .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وما يذَّكر إلا أولو الألباب ﴾ [البقرة : ٢٦٩] ؟

ج : أي : وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من كان له لب وعقل يعي ويفهم به الخطاب ، والله أعلم .

* * *

﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾ ٢٧٠

س : ما معنى النذر لغة أو شرعًا ؟

ج : **النذر لغة :** النحب ، وهو ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحبًا واجبًا ، والنحب معناه : العهد .

والنذر شرعًا : التزام المكلف شيئًا لم يكن عليه .

***

س : اذكر أقسام النذور ؟

ج : **للنذر أقسام منها ما يلي :**

١ - **نذر الطاعة** (ويطلق عليه أيضًا نذر التبرر) : وهو أن يلتزم الشخص فعل طاعة ، **وله صورتان :**

أحدهما : أن يلتزم ذلك ابتداء دون تعليقه على شيء ، كأن يقول : لله عليَّ أن أعتمر ، أو لله عليَّ أن أتصدق بكذا ، أو لله عليَّ أن أصوم شهرًا ، وهذا يسميه العلماء : نذر الابتداء ، ومنهم من يسميه : النذر المطلق .

الثاني : أن يعلِّق النذر على فعل شيء ، كأن يقول : إن شفى الله ولدي سأتصدق بكذا وكذا ، فعلق الصدقة على شفاء الولد ، وهذا يسمى نذر المجازاة .

ونذر الطاعة بصورتيه يجب الوفاء به .

٢ - **نذر المعصية** : كمن ينذر شرب الخمر أو قطع الرحم أو نحو

ذلك من أنواع المعاصي والمحارم والآثام . وهذا النوع يحرم الوفاء به لقول النبي ﷺ : « من نذر أن يعصي الله فلا يعصه » ، ولقوله عليه الصلاة والسلام :« لا وفاء لنذرٍ في معصية الله » .

٣ - **نذر المباح** : وصورته أن يقول الشخص : لله عليَّ أن آكل كذا ، أو أشرب كذا أو ألبس كذا ... ، وجمهور العلماء على أنه لا يترتب عليه شيء .

٤ - **النذر المبهم** : كأن يقول : لله عليَّ نذر ، دون أن يُحدِّده .

٥ - **نذر اللجاج** أو الغضب : وهو ما يتنزل منزلة اليمين ، كأن يقول : إن دخلت دار فلان فللَّه عليَّ صوم كذا ، يريد بذلك منع نفسه من دخول الدار ، وهذا يُخير فيه الناذر بين الوُفاء باليمين وبين كفارة اليمين ، لكن إذا نذر هذا النوع من النذر ورأىِ غيره خيرًا منه ، يأت الذي هو خير ويُكفر عن نذره شأنه في ذلك شأن اليمين والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل النذر مستحب أو مكروه ؟

ج : ذهب فريق من أهل العلم إلى أن النذر مكروه لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا يأتي ابن آدم النذرُ بشيء لم يكن قُدر له ، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قُدر له ، فيستخرج الله به من البخيل فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتي عليه من قبل » .

وكذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث ابن عمر رضي الله

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ، ومسلم (١٦٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ، ومسلم (١٦٤٠) .

عنهما قال : نهى النبي ﷺ عن النذر وقال : « إنه لا يرد شيئًا ولكنه يُستخرج به من البخيل » .

هذا وقد حمل بعض العلماء هذه الأحاديث على نذر المجازاة[1] فقط ، والله أعلم .

أما إذا نذر الشخص نذر طاعة (سواء كان نذر ابتداء أو نذر مجازاة) لزمه الوفاء به لما قدمناه من أحاديث كقول النبي ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » ، ولقول الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] ، والله أعلم .

* * *

س : لماذا وحّد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ [البقرة : ٢٧٠] مع أنه يرجع إلى شيئين ؟

ج : أجاب على ذلك صديق حسن خان (فتح البيان) فقال :

ووحّد الضمير مع كونه مرجعه شيئين هما : النفقة والنذر ؛ لأن التقدير : وما أنفقتم من نفقة فإن الله يعلمها ، أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، ثم حذف أحدهما استغناء بالآخر ، قاله النحاس .

وقيل : إنما كان العطف فيه بكلمة « أو » كما في قولك زيد أو عمرو ، فإنه يقال : أكرمته ، ولا يقال : أكرمتهما .

والأولى أن يقال : إن العطف بأو يجوز فيه الأمران : توحيد الضمير كما في هذه الآية وفي قوله تعالى : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة : ١١] ، وقوله : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا ﴾ [النساء : ١١٢] ، وتثنيته كما في قوله تعالى : ﴿ إن يكن غنيًّا أو فقيرًا فالله

---

(١) ومستندهم قوله عليه الصلاة والسلام : « إنما يستخرج به من البخيل » .

أولى بهما ﴾ [النساء : ١٣٥] .

ومن الأول في العطف بالواو قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ﴾ [التوبة : ٣٤] .

وقيل : إذا وحِّد الضمير بعد شيئين أو أشياء فهو بتأويل المذكور أي : فإن الله يعلم المذكور ، وبه جزم ابن عطية ورجحه القرطبي ، وذكر معناه كثير من النحاة في مؤلفاتهم .

* * *

س : وضح المعنى العام لقوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذرٍ فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ﴾ [البقرة : ٢٧٠] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) : أخبر أن كل ما أنفقوه من نفقة أو تقربوا به إليه من نذرٍ فإن الله يعلمه ، فلا يضيع لديه بل يعلم ما كان منه لوجهه فيتولى هو سبحانه مجازاته من واسع فضله ، وبكل جزاء من عمل لغيره إلى من عمل له فإنه ظالم لنفسه وما له من نصير .

* * *

إِن تُبۡدُواْ

ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ

فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾

س : اذكر معنى ما يلي : تبدوا – فنعما هي ؟

ج :

الكلمة	**معناها**
تبدوا	تظهروها – تعلنوها
فنعما هي	نعم الشيء هي

❋ ❋ ❋

س : أيهما أفضل : صدقة السر أم صدقة العلن ؟

ج : المقام هنا يتعلق بنوعي الصدقة :

أحدهما : صدقة الفرض ، وهذه قال ابن العربي رحمه الله : أما صدقة الفرض ؛ فلا خلاف أن إظهارها أفضل كصلاة الفرض وسائر فرائض الشريعة ؛ لأن المرء يحرز بها إسلامه ويعصم ماله ، وليس في تفضيل صدقة العلانية على السر ولا في تفضيل صدقة السر على العلانية حديث صحيح يُعوَّل عليه ، ولكنه الإجماع الثابت .

الثاني : صدقة النفل[(١)] ، والأصل في صدقة التطوع أن الأفضل فيها أن تكون سرًّا لقوله تعالى : ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ [البقرة : ٢٧١] ، والحديث : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »[(٢)] ، ثم لما فيها من ستر على الفقير ، لكن في بعض الأحيان قد تفضل صدقةُ العلَن صدقةَ السر ، وذلك إذا كان وراء الإعلان مصلحة راجحة ، وكان الناس يقتدون بالمتصدق .

قال ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن : فأما صدقة النفل فالقرآن صرَّح بأنها في السر أفضل منها في الجهر بيد أن علماءنا قالوا : إن هذا على الغالب مخرجه .

والتحقيق فيه أن الحال في الصدقة تختلف بحال المعطي لها والمعطي إياها والناس الشاهدين لها .

أما المعطي فله فائدةُ إظهار السنة وثواب القدوة ، وآفتها الرياء والمن

---

(١) أخرج الطبري (٦١٩٥) بإسناد حسن عن قتادة قال : كُلٌّ مقبول إذا كانت النية صادقة ، وصدقة السر أفضل .

(٢) صحيح متفق عليه وقد تقدم .

والأذى ، وأما المعطى إياها؛ فإن السرَّ أسلم له من احتقار الناس له ، أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغنى وترك التعفف .

وأما حال الناس؛ فالسرُّ عنهم أفضل من العلانية لهم من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء وعلى الآخذ لها بالاستغناء ، ولهم فيها تحريك القلوب إلى الصدقة لكن هذا اليوم قليل .

***

س : اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ... ﴾ [البقرة : ٢٧١] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم) :

ثم أخبر أن كل ما أنفقوه من نفقة أو تقربوا به إليه من نذر فإنه يعلمه ، فلا يضيع لديه ، بل يعلم ما كان منه لوجهه فيتولى هو سبحانه مجازاته من واسع فضله ، ويكل جزاء من عمل لغيره إلى من عمل له فإنه ظالم لنفسه وما له من نصير .

ثم أخبر سبحانه عن أحوال المتصدقين لوجهه في صدقاتهم ، وأنه يثيبهم عليها ، إن أبدوها أو كتموها بعد أن تكون خالصة لوجهه ؛ فقال : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعمَّا هي ﴾ [البقرة : ٢٧١] أي : فنعم شيء هي ، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية ، فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه ، فيمنعه ذلك من إخراجها ، وينتظر بها الإخفاء ، فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه ، أو بينه وبين إخراجها . فلا يؤخر صدقته العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر ، وهذه كانت حال الصحابة .

ثم قال : ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ [البقرة : ٢٧١] فأخبر أن إعطاءها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها .

وتأمل تقييده – تعالى – الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة ، ولم يقل : وإن تخفوها فهو خير لكم ، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه كتجهيز جيش ، وبناء قنطرة ، وإجراء نهر أو غير ذلك ، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد : الستر عليه ، وعدم تخجيله بين الناس ، وإقامته مقام الفضيحة ، وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى ، وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته . وهذا قدر زائد عن الإحسان إليه بمجرد الصدقة ، مع تضمنه الإخلاص ، وعدم المراءاة وطلب المحمدة من الناس ، وكان إخفاؤها للفقير خيرًا من إظهارها بين الناس ، ومن هذا مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها ، وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة . ولهذا جعله سبحانه خيرًا للمنفق ، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته . ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم . فإنه بما تعملون خبير .

ثم أخبر أن هذا الإنفاق إنما نفعه لأنفسهم ، يعود عليهم أحوج ما كانوا إليه فكيف يبخل أحدكم عن نفسه بما نفعه مختص بها عائد إليها ؟ وإن نفقة المؤمنين إنما تكون ابتغاء وجهه خالصًا . لأنها صادرة عن إيمانهم ، وإن نفقتهم ترجع إليهم وافية كاملة . ولا يظلم منها مثقال ذرة .

وصدر هذا الكلام بأن الله هو الهادي الموفق لمعاملته . وإيثار مرضاته وأنه ليس على رسوله هداهم . بل عليه إبلاغهم . وهو سبحانه الذي يوفق من يشاء لمرضاته .

* * *

۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

س : اذكر معنى ما يلي :
أحصروا في سبيل الله - لا يستطيعون ضربًا في الأرض - سيماهم - إلحافًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
أحصروا في سبيل الله	أصل الإحصار : المنع ، وأحصروا في سبيل الله : انقطعوا إلى الله ورسوله

الكلمة	معناها
	وسكنوا المدينة
لا يستطيعون ضربًا في الأرض	لا يستطيعون سفرًا لطلب المعاش
سيماهم	السيما : هي العلامة ، وقيل : المراد بها هنا : الخشوع والتواضع ، وقيل : علامة الصلاة في جباههم ، وقيل : أثر الفقر والفاقة
إلحافًا	الإلحاف : الإلحاح ، وقيل : الملحف هو الذي يسأل وعنده ما يكفيه

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ليس عليك هداهم ... ﴾ الآية [البقرة : ٢٧٢] ؟

ج : سبب نزولها : ما أخرجه الطبري(١) وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانوا لا يرضخون(٢) لقراباتهم من المشركين فنزلت : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

والمعنى : أنهم كانوا لا يتصدقون على قراباتهم من المشركين طمعًا في إسلامهم ، فبين الله عز وجل أن إعطاءهم أو عدم إعطائهم لا يؤثر في هدايتهم ، إنما الذي يهدي هو الله سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز أن يعطى الكفار من الزكاة المفروضة ؟

ج : قال ابن المنذر رحمه الله تعالى : أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الذميَّ لا يعطى من زكاة الأموال شيئًا .

قلت : وكذلك نقل الإجماع غير واحد ، منهم الرازي رحمه الله ، ويشهد لهذا الإجماع قول النبي ﷺ في الزكاة : « ... تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم »(٣) (والخطاب للمسلمين) .

● أما بالنسبة لصدقة التطوع؛ فيجوز دفعها لغير المسلمين ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] ،

---

(١) أخرجه الطبري (٦٢٠٢) .

(٢) أي : لا يعطون .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٤٩٦) ، ومسلم (ص٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ولسبب نزول هذه الآية الذي قدمنا ذكره ، والله تعالى أعلم .

***

س : ذكر بعض أهل العلم أن الخير في كتاب الله عز وجل دائمًا يُراد به المال فهل هذا صحيح ؟

ج : ليس هذا بصحيح ، لكنه إذا اقترن بالإنفاق يكون المراد به المال ، وإذا لم يقترن بالإنفاق فقد يُراد به المال ، وقد يُراد به غيره ، قال الله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًّا وأحسن مقيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ [الزلزلة : ٧] .

***

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن هذا ثناءٌ من الله عز وجل على أصحاب نبيه عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم .

الثاني : أن النفقة المعتد بها والتي يتقبلها الله عز وجل إنما هي النفقة التي ابتغي بها وجه الله .

الثالث : أن هذا خبر معناه الأمر ، والخبر يأتي بمعنى الأمر في كثير من الأحيان ، قال الله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين .. ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، والله تعالى أعلم .

***

س : إذا تصدق رجل بصدقة يبتغي بها وجه الله ولكنه أخطأ في وضعها في محلها هل يثاب عليها ؟

ج : الظاهر من أقوال أهل العلم : أنه يثاب عليها ، وذلك لما في الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ؛ فأصبحوا يتحدثون : تُصدق الليلة على زانية ، قال : اللهم لك الحمد على زانية ! لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على غني ، قال : اللهم لك الحمد على غني ! ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني وعلى سارق ! ، فأُتي ، فقيل له : أما صدقتك فقد قُبلت ، أما الزانية فلعلها أن تستعف بها عن زناها ، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته » .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله .. ﴾ [البقرة : ٢٧٣] **هذه الآية بيان لماذا ؟ وما هي أوصاف الفقراء المذكورة في الآية الكريمة ؟**

ج : هذه الآية بيان للمصرف الذي توضع فيه الصدقة ، أما صفات الفقراء فهي ست صفات كما ذكرها ابن القيم (التفسير القيم) فقال :

إحداها : الفقر .

الثانية : حبسهم أنفسهم في سبيله تعالى وجهاد أعدائه ، ونصر دينه ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١) ، ومسلم (١٠٢٢) .

وأصل الحصر : المنع ، فمنعوا أنفسهم من تصرفها في أشغال الدنيا ، وقصروها على بذلها لله وفي سبيله .

الثالثة : عجزهم عن الأسفار للتكسب ، والضرب في الأرض : هو السفر . قال تعالى : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ﴾ [المزمل : ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ﴾ [النساء : ١٠١] .

الرابعة : شدة تعففهم . وهو حسن صبرهم ، وإظهارهم الغنى ، يحسبهم الجاهل أغنياء من تعففهم ، وعدم تعرضهم وكتمانهم حاجتهم .

الخامسة : أنهم يُعرفون بسيماهم . وهي العلامة الدالة على حالتهم التي وصفهم الله بها . وهذا لا ينافي حسبان الجاهل أنهم أغنياء ، لأن الجاهل له ظاهر الأمر ، والعارف : هو المتوسم المتفرِّس الذي يعرف الناس بسيماهم . فالمتوسمون : خواص المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥] .

السادسة : تركهم مسألة الناس ، فلا يسألونهم إلحافًا ، والإلحاف : هو الإلحاح ، والنفي متسلط عليهما معًا ، أي : لا يسألون ولا يلحفون . فليس يقع منهم سؤال يكون بسببه إلحاف . وهذا كقوله :

على لاحب لا يهتدى لمناره

أي : ليس فيه منار فيهتدى به .

وفيه كالتنبيه على أن المذموم من السؤال : هو سؤال الإلحاف . فأما السؤال بقدر الضرورة من غير إلحاف فالأفضل تركه ولا يحرم .

فهذه ست صفات للمستحقين للصدقة فألغاها أكثر الناس ولحظوا منها ظاهر الفقر ، وزيه من غير حقيقته . وأما سائر الصفات المذكورة فعزيز أهلها ، ومن يعرفهم أعز . والله يختص بتوفيقه من يشاء ، فهؤلاء هم

المحسنون في أموالهم .

❋ ❋ ❋

س : إذا كان هناك فقير عليه ثياب حسنة وكسوة جميلة هل يُعطى من الصدقة ؟

ج : نعم ، يعطى من الصدقة إن عُلم أنه فقير ، وإن كان له ثياب ، فهؤلاء الفقراء المذكورون في قوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ذكر الله سبحانه وتعالى أن الجاهل يحسبهم أغنياء من التعفف .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في ذم الإلحاف في المسألة ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه مسلم[1] من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزعة لحم » .

● وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا فيسأله أو يمنعه » .

● وقد بايع النبي ﷺ بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا[3] .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٤٠) .
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٠) ، ومسلم (١٠٤٢) .
(٣) أخرجه مسلم (١٠٤٣) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه .

س : ما المراد بقوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ؟

ج : قيل : إن المراد لا يسألون الناس البتة ، وعلى هذا جمهور المفسرين ، وقيل : إن المراد أنهم يسألون لكنهم لا يلحفون في المسألة ، والله أعلم .

* * *

س : ما المراد بالتعفف ؟

ج : التعفف عن الشيء هو التنزه عن طلبه والإمساك عنه ، والمراد هنا : الإمساك عن السؤال ، وإيثار التوكل على الله .

* * *

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

يتخبطه – المس – يمحق – يُربي – أثيم ؟

ج :

الكلمة	معناها
يتخبطه	يصرعه
المس	الجنون
يمحق	يذهبه ، إما بالكُلِّية ، وإما يحرم صاحبه بركة ماله ؛ فلا ينتفع به ؛ فالمحق : الذهاب والنقصان
يُربي	يزيد ويُنمي
أثيم	آثم ، مبالغ في الإثم

س : ما معنى الربا ؟ وما هي أنواعه ؟

ج : الربا معناه : الزيادة ، وينقسم إلى قسمين :

ربا الفضل : وصورته أن يبيع الرجل صاعًا من تمر جيد بصاعين من تمر رديء ، أو يبيع مائة جرام من ذهب جيد بمائة وخمسين من ذهب قديم مثلًا .

ربا النسيئة : وهو أن يقرض الرجلُ رجلًا آخر قرضًا إلى أجل على أن يرده مع زيادة ، أو أن يبيع الرجل شيئًا إلى رجل آخر إلى أجل ، فإذا حل وقت السداد ولم يُسدِّد الدَّين أخره مدة أخرى مع زيادة يفرضها عليه .

* * *

س : ما المراد بأكل الربا ، هل هو الطعام فقط ؟

ج : ليس المراد الطعام فقط ، إنما المراد بأكل الربا : أخذ الربا وقبوله سواء كانوا يأكلون به ، أو يبنون به بيوتًا ، أو يتزينون به ويكتسون به ، أو يتجرون به ، أو يكسبون الربا ويفعلونه .

قال الطبري رحمه الله :

فإن قال لنا قائل : أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا في تجارته ولم يأكله ، أيستحقُّ هذا الوعيدَ من الله ؟

قيل : نعم ، وليس المقصود من الربا في هذه الآية الأكلُ ، إلا أنَّ الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت ، كانت طُعمتهم ومأكلُهم من الربا ، فذكرهم بصفتهم ، معظِّمًا بذلك عليهم أمرَ الرِّبا ، ومقبِّحًا إليهم الحال التي هم عليها في مطاعمهم ، وفي قوله جل ثناؤه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] الآية ، ما ينبىء عن صحة ما

قلنا في ذلك ، وأنَّ التحريم من الله في ذلك كان لكل معاني الرِّبا ، وأنَّ سواءً العملُ به وأكلُه وأخذُه وإعطاؤه ، كالذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من قوله :

« لعن الله آكلَ الرِّبا ومُؤْكِلَه ، وكاتبَه وشاهدَيْه ، إذا علموا به » .

وقال صديق حسن خان (فتح البيان) : وليس المراد بالذين يأكلونَ الربا اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله ؛ بل هو عام لكل من يعامل بالربا فيأخذه ويعطيه ، وإنما خص الأكل لزيادة التشنيع على فاعله ، ولكونه هو الغرض الأهم ، فإن آخذ الربا إنما أخذه للأكل ، عن جابر قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، رواه مسلم .

❋ ❋ ❋

س : قوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، لا يقومون من ماذا ؟

ج : قال جمهور المفسرين : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة .

❋ ❋ ❋

س : من هم الذين قالوا : إنما البيع مثل الربا ؟ اذكر طرفًا من معناها ؟

ج : هم الكفار ، قال القرطبي : معناه عند جميع المتأولين في الكفار ، هذا ، وقد قال الطبري رحمه الله في معناها :

يعني بـ « ذلك » جل ثناؤه : ذلك الذي وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم ، كقيام الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ من الجنون ، فقال تعالى ذكره : هذا الذي ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قُبْح حالهم ، ووَحشة قيامهم من قبورهم ، وسوء ما حلَّ بهم ، من أجل

أنهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون : ﴿ إنما البيع ﴾ الذي أحله الله لعباده ﴿ مثلُ الرِّبا ﴾ ، وذلك أن الذين كانوا يأكلون الرِّبا من أهل الجاهلية ، كان إذا حلَّ مالُ أحدهم على غريمه ، يقول الغَريم لغريم الحق : (زدني في الأجل وأزيدك في مالك) ، فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك : (هذا ربًا لا يحل) ، فإذا قيل لهما ذلك قالا : (سواء علينا زدنا في أول البيع ، أو عند مَحِلِّ المال) ! فكذَّبهم الله في قيلهم فقال : ﴿ وأحل الله البيع ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

❋ ❋ ❋

س : مَن القائل : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الرِّبا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، اذكر شيئًا من معناها ؟

ج : قائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى ، أما بالنسبة لمعناها؛ فقد قال الطبري رحمه الله :

يعني جل ثناوه : وأحلَّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع - ﴿ وحرَّم الربا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : الزيادة التي يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل ، وتأخيره دَيْنه عليه ، يقول عز وجل : فليست الزيادتان اللتان إحداهما من وَجه البيع ، والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل ، سواء ، وذلك أنِّي حرَّمت إحدى الزيادتين - وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل - وأحللت الأخرى منهما ، وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها ، فيستفضلُ فَضْلها ، فقال الله عز وجل : ليست الزيادة من وجه البيع نظيرَ الزيادة من وجه الرِّبا ، لأني أحللت البيع وحرَّمت الرِّبا ، والأمر أمري والخلق خلقي ، أقضي فيهم ما أشاء ، وأستعبدهم بما أريد ، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي ، ولا أن يخالف أمري ، وإنما عليهم طاعتي والتسليمُ لحكمي .

س : ما المراد بالموعظة في قوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ... ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : المراد بالموعظة : الزجر والتخويف والتحذير من العقوبة .

* * *

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فأمره إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : قال فريق من أهل العلم : أمر المنتهي إلى الله ، فقد يهديه الله سبحانه وتعالى ويحفظه ويمنعه من اقتراف الرِّبا وتجنبه ، وقد يُخذل ويرجع إلى الرِّبا ، وقيل : المعنى : أمره في إقبال ونمو إلى الله ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ومن عاد ... ﴾ [البقرة : ٢٧٥] عاد إلى ماذا ؟

ج : عاد إلى الرِّبا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه ، أو عاد فقال : إنما البيع مثل الرِّبا .

* * *

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله من سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

ثم قال جل ثناؤه : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : بـ « الموعظة » : التذكير ، والتخويفَ الذي ذكَّرهم وخوَّفهم به في آي القرآن ، وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب ، يقول جل ثناؤه : فمن جاءه ذلك ، ﴿ فانتهى ﴾ عن أكل الرِّبا وارتدع عن

العمل به وانزجر عنه = ﴿ فله ما سلف ﴾ ، يعني : ما أكل وأخذ فمَضَى ، قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه في ذلك - ﴿ وأمرُه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم ، وبعد انتهاء آكله عن أكله ، إلى الله في عصمته وتوفيقه ، إن شاء عصمه عن أكله وثبَّته في انتهائه عنه ، وإن شاء خَذَله عن ذلك - ﴿ ومن عاد ﴾ ، يقول : ومن عاد لأكل الرِّبا بعد التحريم ، وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم ، من قوله : ﴿ إنما البيع مثل الرِّبا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] - ﴿ فأولئك أصْحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، يعني : ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار ، يعني : نار جهنم ، فيها خالدون .

* * *

س : هل آكل الرِّبا كافر ؟ وهل الرِّبا ممكن أن يُغفر ؟ وما معنى قوله تعالى : ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؟

ج : آكل الرِّبا لا يكفر إلا إذا استحله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، إما أنه عاد واستحل الرِّبا ، وقال : إنما البيع مثل الرِّبا ، فالرِّبا حلال ، أو يكون الخلود لا يحمل معنى التأبيد .

قال صديق حسن خان : .. يكون الخلود مستعارًا على معنى المبالغة ، كما تقول العرب : ملك خالد ، أي : طويل البقاء ، والمصير إلى هذا التأويل واجب للأحاديث المتواترة القاضية بخروج الموحدين من النار[1] ، قال سعيد بن جبير : خالدون يعني : لا يموتون .

---

(١) انظرها في آية الشفاعة التي وردت في أوائل البقرة .

س : من السُّنة أن يبدأ الناهي عن المنكر بنفسه وأهله . اذكر دليلًا يفيد ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك قول النبي ﷺ : « وأول ربًا أضع ربانا : ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله »[1] .

❋ ❋ ❋

س : اذكر بعض ما ذُكر من الوعيد لأكلة الرِّبا ؟

ج : من الوعيد الوارد لأكلة الرِّبا ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الرِّبا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رُءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرِّبا أضعافًا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ [آل عمران : ١٣٠، ١٣١] .

● وأخرج مسلم[2] من حديث جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الرِّبا ومُوكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : « هم سواء » .

وفي الباب حديث سمرة بن جندب[3] عند البخاري أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨) ، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرج مسلم (١٥٩٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٧) .

يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم من رؤيا ؟ » ، قال : فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ، وإنه قال لنا ذات غداة : « إنه أتاني الليلة آتيانِ ، وإنهما ابتعثاني ، وإنهما قالا لي : انطلق وإني انطلقت معهما .... » فذكر الحديث ، وفيه : « فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإنما ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا ، فينطلق يسبح ، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه ، فغر له فاه فألقمه حجرًا .... » الحديث ، وفيه : « إن هذا آكل الربا » .

● وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ... وأكل الربا »[1] .

***

س : ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ والله لا يحب كل كفارٍ أثيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] ؟ واذكر طرفًا من معناه ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة ، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال ، ولا يكتفي بما شرع له من الكسب المباح ، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة ، فهو جحود لما عليه من النعمة ؛ ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل .

قال الطبري رحمه الله تعالى :

وأما قوله : ﴿ والله لا يحب كل كفارٍ أثيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] ، فإنه

---

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٧٦٦) ، ومسلم (حديث ٨٩) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

يعني به : والله لا يحب كل مُصرٍّ على كفر بربه مقيم عليه ، مستحِلٍّ أكل الرِّبا وإطعامه – ﴿ أثيم ﴾ ، متمادٍ في الإثم ، فيما نهاه عنه من أكل الرِّبا والحرام ، وغير ذلك من معاصيه ، ولا ينزجر عن ذلك ولا يرعوي عنه ، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه .

* * *

س : اذكر بعض الأوصاف التي يأتي بها بعض أصحاب المعاصي والكبائر يوم القيامة ؟

ج : من هؤلاء من يأتي كالمجانين والمصاريع[1] وهم أكلة الربا .

● ومنهم من يحشر كأمثال الذَّر[2] ، وهم المتكبرون .

● ومنهم من يحشر وعند استه لواء مكتوب عليه : هذه غدرة فلان ، وهو الغادر[3] .

---

(١) قال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

(٢) أخرج الإمام أحمد في مسنده (١٧٩/٢) ، والترمذي (٢٤٩٢) ، بإسنادٍ حسن من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان ، فيُساقون إلى سجنٍ في جهنم يُقال له : بُولُس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال » .

وهذا الحديث حسن الإسناد ، لكني في استغراب من بعض ألفاظه .

(٣) أخرج البخاري (حديث ٦١٧٨ وفي غير موضع) ، ومسلم (حديث ١٧٣٥) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة ، فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان » .

● وعند مسلم (١٧٣٨) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة » .

• ومنهم من يحشر مطوق بالشجاع الأقرع[1] وهو مانع الزكاة .

• ومنهم من يحشر وعلى رقبته بعير له رغاء[2] ... وهو مانع زكاة إبله ، إلى غير ذلك .

***

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم .. ﴾ [البقرة : ٢٧٧] في هذا المقام ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

وهذا خبر من الله عز وجل بأنَّ الذين آمنوا - يعني الذين صَدَّقوا بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند ربهم ، من تحريم الربا وأكله ، وغير ذلك من سائر شرائع دينه - ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ [البقرة : ٢٧٧] التي أمرهم الله عز وجل بها ، والتي نَدَبهم إليها - ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ [البقرة :٢٧٧] المفروضة بحدودها ، وأدَّوها بسُننها - ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ [البقرة : ٢٧٧] المفروضة عليهم في أموالهم ، بعد الذي سلف منهم من أكل الرِّبا قبل مجيء

---

(١) أخرج البخاري (١٤٠٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوِّقه ، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني : شدقيه - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك » ، ثم تلا : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٠] .

(٢) أخرج البخاري (١٤٠٢) ، ومسلم (١٨٣١) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها .... » الحديث ، وفيه : « ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاةٍ يحملها على رقبته لها يُعار فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئًا ، قد بلغت ، ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول : يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئًا قد بلَّغت » .

الموعظة فيه من عند ربهم - ﴿ لهم أجرهم ﴾ [البقرة : ٢٧٧] ، يعني : ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصَدَقتهم - ﴿ عند ربهم ﴾ [البقرة : ٢٧٧] يوم حاجتهم إليه في معادهم - ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ [البقرة : ٢٧٧] يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم ، وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم ، من أكل ما كانوا أكلوا من الرِّبا ، بما كان من إنابتهم وتوبتهم إلى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم ، وتصديقهم بوعد الله ووعيده - ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٢٧٧] على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الرِّبا والعمل به ، إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى ، وهم على تركهم ما تَركوا من ذلك في الدنيا ابتغاءَ رضوانه في الآخرة ، فوصلوا إلى ما وُعدوا على تركه .

* * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا
فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

ذروا – فأذنوا – نظرة ؟

ج :

الكلمـة	معنـاهـا
ذروا	اتركوا – دعوا .
فأذنوا	فاعلموا – فأيقنوا .
نظرة	إمهال .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وذروا ما بقي من الرِّبا ﴾ [البقرة : ٢٧٨] ؟

ج : اتركوا ما لكم على الناس من الزيادة على رءوس الأموال .

والمعنى أيضًا : أنه إذا اتفق رجلان على أن يقرض أحدهما الآخر قرضًا بالرِّبا وما زال عند أحدهما للآخر مبلغ من الرِّبا فعليه أن يترك هذه الزيادة الربوية .

فالله عز وجل أبطل من الرِّبا ما لم يكن مقبوضًا ، وإن كان معقودًا قبل التحريم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا تَظلمون ولا تُظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٩] ؟

ج : المعنى : قوله : ﴿ لا تَظلمون ﴾ أي : لا تظلمون الناس بأخذ الرِّبا منهم بعد تحريمه ، ﴿ ولا تُظلمون ﴾ أنتم أيضًا بأن تؤخذ منكم رءوس أموالكم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل إنظار المُعسر ؟

ج : من هذه الأحاديث ما يلي :

● ما أخرجه مسلم[1] من حديث أبي اليسر صاحب رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « من أنظر مُعسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله » .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٦) .

● وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تلقت الملائكة روحَ رجل ممن كان قبلكم فقالوا : أعملت من الخير شيئًا ؟ قال : لا ، قالوا : تَذَكَّر ، قال : كنت أُداين الناس فآمر فتياني أن يُنظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ، قال : قال الله عزَّ وجل : تجوزوا » .

● ونحوه من حديث أبي مسعود[(٢)] عند مسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يُوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يُخالط الناس ، وكان موسرًا ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المُعسر ، قال : قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه » .

● وأخرج مسلم[(٣)] من طريق أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه ، ثم وجده فقال : إني مُعسر ، فقال : آلله ؟ قال : الله ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن مُعسر أو يضع عنه » .

● وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة[(٤)] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ... » .

وأخرج أحمد بإسناد حسن[(٥)] من حديث بريدة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٧) ، ومسلم (١٥٦٠) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦١) .
(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦٣) .
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .
(٥) أخرجه أحمد (٥/٣٦٠) .

صدقة » ، قال : ثم سمعته يقول : « من أنظر مُعسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة » ، قال : « له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدَّين ، فإذا حل الدَّين فأنظره ، فله بكل يوم مثليه يصدقه » .

***

س : قوله تعالى : ﴿ وأن تصدقوا خير لكم ﴾ [البقرة : ٢٨٠] تصدقوا على من ؟

ج : تصدقوا على المعسر ، والله أعلم .

***

س : هل يُحبس المدين المُفلس ؟

ج : لا أعلم دليلًا من الكتاب والسُّنة على حبس المدين المُفلس .

***

س : ما هي آخر آية نزلت في كتاب الله ؟

ج : أخرج البخاري(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال :

---

(١) البخاري حديث (٤٥٤٤) ، وأخرج الطبري (٦٣١١) ، (٦٣١٢) ، بإسنادين فيهما ضعف إلى ابن عباس أنه قال : (آخر آية نزلت على النبي ﷺ : ﴿ واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١]) .

ولا تعارض بين الروايتين ، فإن قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] في ختام آيات الرِّبا فيُعد منها ، ويدل على ذلك ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عامر (وهو الشعبي) أن عمر رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ؛ فإنه والله ما أدري لعلنا نأمركم بأمرٍ لا يصلح لكم ، وما أدري لعلنا ننهاكم عن أمرٍ يصلح لكم ، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلًا آيات الرِّبا فتُوفي رسول الله ﷺ قبل أن يبينه لنا ، فدعوا ما يُريبكم إلا ما لا يريبكم . =

(آخر آية نزلت على النبي ﷺ : آية الرِّبا) .

● وأخرج البخاري[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : (آخر سورة نزلت براءة ، وآخر آية نزلت يستفتونك)[2] .

ووجه الجمع بينهما أن يُقال : إن كلًّا منهما ذكر ما انتهى إليه علمه في ذلك .

● أما الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال : يجمع بينهما بأن الآيتين نزلتا جميعًا فيصدق أن كلًّا منهما آخر بالنسبة لما عداهما ، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء بما يتعلق بالمواريث مثلًا بخلاف آية البقرة ، ويحتمل عكسه .

والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول .

* * *

= وهذا الإسناد وإن كان مرسلًا (فالشعبي لم يدرك عمر) ، إلا أنه من أقوى المراسيل ، فمراسيل الشعبي رحمه الله قوية (وإن كان حكمها حكم سائر المراسيل في الجملة) .

وقول عمر رضي الله عنه : (آيات الربا) بالجمع ، يُشير أن منها قوله تعالى : ﴿ واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : ٢٨١] ، والله أعلم .

(١) البخاري (حديث ٤٦٠٥) .

(٢) يعني : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ... ﴾ [النساء : ١٧٦] .
وقوله : آخر سورة نزلت براءة ، فسيأتي الحديث عليه إن شاء الله في سورة النصر .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

س : اذكر معنى كلّ مما يلي :

أجل مسمًّى - لا يأب - الذي عليه الحق - لا يبخس - سفيهًا - ضعيفًا - لا يستطيع أن يمل - استشهدوا - تضل - تسأموا - أقسط - أقوم للشهادة - أدنى ألا ترتابوا - لا يضار - فسوق بكم ؟

ج :

الكلمة	معناها
أجلٍ مسمًّى	مدة معلومة – وقت وقِّتموه بينكم .
لا يأب	لا يمتنع .
الذي عليه الحق	هو المدين .
لا يبخس	لا ينقص .
سفيهًا	لا يحسن التصرف في المال أخذًا ، ولا إعطاءً – محجورًا عليهُ لسفاهته .
ضعيفًا	صغيرًا – مجنونًا .
لا يستطيعُ أن يُمل	لجهلٍ منه ، أو لمرضٍ ، أو نحو ذلك .
استشهدوا	اطلبوا للشهادة .
تضل	تنسى .
تسأموا	تملُّوا .
أقسط	أعدل .
أقوم للشهادة	أدعى إلى ثبوتها وتذكرها – أصدق للشهادة – إذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة .
أدنى ألا ترتابوا	أقرب إلى عدم الشك .
لا يُضارَ	لا يؤذى .
فسوقٌ بكم	إثمٌ وعصيان بِكم .

❋ ❋ ❋

س : ما هو أصل الأمر بالكتابة والشهود ؟

ج : أصل ذلك ما أخرجه ابن حبان(١) بإسنادٍ يصح بمجموع طرقه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله ، فحمد الله بإذن الله ، فقال له ربه : يرحمك ربُّك يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإٍ منهم جلوسٌ ، فسلم عليهم فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمةُ الله ، ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية بَنِيكَ بينهم ، وقال الله جل وعلا – ويداه مقبوضتان – : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذريتهُ فقال : أي رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتُك ، فإذا كل إنسان مكتوب عُمرُه بين عينيه ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم(٢) – أو من أضوئهم – لم يكتب له إلا أربعون سنة ، قال : يا رب ما هذا ؟ قال : هذا ابنكَ داود وقد كتبت له عمره أربعين سنة ، قال : أي رب زده في عمره ، قال : ذاك الذي كتبت له ، قال : فإني جعلت له من عمري ستين سنة ، قال : أنت وذاك اسكن الجنة ، فسكن الجنة ما شاء الله ، ثم أُهبِطَ منها ، وكان آدم يَعُدُّ لنفسه ، فأتاه ملكُ الموت ، فقال له آدم : قد عجلت قد كُتِبَ لي ألفُ سنةٍ ؟ قال : بلى ، ولكنك قد جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد فجحدت ذريتهُ ، ونسي فنسيت ذريته ، فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود » .

---

(١) أخرجه ابن حبان (موارد ٢٠٨٢) .

(٢) قلت : وقوله : أضوؤهم ، لا يعني الجمال المطلق ، فأجمل الأنبياء يوسف عليه الصلاة والسلام ، فقد أخرج مسلم (١٦٢) ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا حديث المعراج ، وفيه : « .... ففتح لنا فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أُعطي شطر الحسن » .

س : ما فائدة ذكر الدَّين بعد قوله تعالى : ﴿ إذا تداينتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : ذكر بعض أهل العلم أن الدَّين ذُكر لتخصيص التداين ، فكلمة الدَّين ، أو الدِّين تحمل معنى الجزاء ، وكلمة ﴿ تداينتم ﴾ تحمل معنى الجزاء ، فتكون بمعنى : تجازيتم ، فأُريد بقوله : ﴿ بدين ﴾ قصر المعنى على أحد الوجوه وهو الدَّين ، على ما سيأتي تعريفه .

ومن العلماء من قال : إن كلمة ﴿ بدين ﴾ سيقت للتأكيد ، كما قال تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ [الحجر : ٣٠] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س . هل الأمر في قوله تعالى : ﴿ إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] يفيد الوجوب ، أم الاستحباب ؟

ج : الأمر يفيد الاستحباب هنا ، والصارف عن الوجوب هو قوله تعالى : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذين اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

وأخرج الطبري بإسناد صحيح(١) عن ابن زيد قال : نسخ ذلك قوله : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، قال : فلولا هذا الحرف لم يبح لأحدٍ أن يدان بدين إلا بكتاب وشهداء ، أو برَهْنٍ ، فلما جاءت هذه نسخ هذا كله صار إلى الأمانة .

● وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح(٢) أيضًا عن الشعبي قال في هذه

---

(١) طبري أثر (٦٣٣٢) .

(٢) طبري أثر (٦٣٣٤) و (٦٣٣٥) .

الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، حتى بلغ هذا المكان : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذين اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، قال : رخص في ذلك ، فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه .

قلت : ومما يدل على جواز عدم الكتابة أن النبي ﷺ اشترى جملًا من أعرابي إلى أجل ، ولم يكتب كما في سبب اعتبار شهادة خزيمة بشهادة رجلين(١) .

وأما ما ورد من احتجاج البعض بحديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا ، وفيه : « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يُطلقها ، ورجل كان له على رجل مالٌ فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيهًا مالًا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ [النساء : ٥] » .

فهذا الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وسيأتي بيان سبب ضعفه إن شاء الله .

* * *

س : ما المراد بالدَّين ؟ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : أما المراد بالدَّين فقال ابن العربي رحمه الله (أحكام القرآن) :

هو عبارة عن كل معاملة كان أحد العِوَضَين فيها نقدًا والآخر في الذمة نسيئة ، فإن العين عند العرب ما كان حاضرًا والدَّين ما كان غائبًا .

---

(١) وسيأتي الحديث بطوله إن شاء الله عند قوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

قال الشاعر :

وعدتنا بدرهمينا طلاء وشواءً معجلًا غير دين

والمداينة مفاعلة منه ، لأن أحدهما يرضاه والآخر يلتزمه .

● قلت : أما قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فقال الطبري رحمه الله :

يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله : ﴿ إذا تداينتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، يعني : إذا تبايعتم بدين ، أو اشتريتم به ، أو تعاطيتم ، أو أخذتم به - ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ [البقرة :٢٨٢] ، يقول : إلى وقت معلوم وقَّتموه بينكم ، وقد يدخل في ذلك القَرضُ والسَّلمُ ، وكلُّ ما جاز [فيه] السلم مُسمًّى أجلُ بيعه ، يصير دَينًا على بائع ما أسلم إليه فيه ، ويحتمل بيعَ الحاضر الجائز بيعُه من الأملاك بالأثمان المؤجلة ، كلُّ ذلك من الديون المؤجَّلة إلى أجل مسمى ، إذا كانت آجالُها معلومةً بحدٍّ موقوف عليه .

وقال الطبري أيضًا : وقوله : ﴿ فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ فاكتبوه ﴾ فاكتبوا الدَّين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض .

* * *

س : هل الاستدانة مكروهة أم مستحبة ؟

ج : الذي يظهر لي أنها تكره إلا لحاجة ، وذلك لأن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من المغرم والمأثم[1] ، ومن المعلوم أنه حتى الشهيد يُغفر له كل شيء إلا الدَّين ، وكان النبي ﷺ يترك الصلاة على صاحب الدَّين إذا لم يُوجد

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣١٧/٢) ، ومسلم (مع النووي ٨٧/٥) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

من يؤدي عنه[1] .

لكن إذا دعت الحاجة إليها جازت من غير كراهة ، لقول النبي ﷺ : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله .. »[2] ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما معنى السَّلَم ؟ وما هي الأدلة على جوازه ؟

ج : السلم هو السَّلف عند كثير من أهل العلم ، والمراد بالسلف هنا : أن يُسلم الرجلُ إلى الرجل دنانير معلومة في طعام معلوم موصوف بكيل معلوم إلى أجلٍ معلوم أو وزنٍ معلوم يدفع إليه الدنانير قبل أن يفترقا من الموضع الذي تبايعا فيه ، ويكون ذلك من طعام بلدٍ ضخم لا يخطىء مثلها ويُسمى المكان الذي يقتضى فيه ، ولا يجوز السلم إلى أجل مجهول ، قاله أبو بكر بن المنذر في الإقناع .

وقال القرطبي في تفسيره : وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن السلم الجائز أن يُسلم الرجل إلى صاحبه في طعام معلوم موصوف من طعام أرض عامةٍ لا يخطىء مثلها بكيلٍ معلوم إلى أجل معلوم بدنانير أو دراهم معلومة يدفع عن من أسلم فيه قبل أن يفترقا من مقامهما الذي تبايعا فيه ، وسمَّيا المكان الذي يُقبض فيه الطعام ، فإذا فعلا ذلك ، وكان جائز الأمر كان سلمًا صحيحًا لا أعلم أحدًا من أهل العلم يُبطله .

قلت : وبتعبير أوضح هو أن يعطى رجلٌ مبلغًا من المال لرجلٍ آخر مقابل قدرٍ معينٍ من الطعام (تمر أو حنطة أو شعير أو زبيب ، أو نحو ذلك) ،

---

(١) انظر البخاري (مع الفتح ٤/٤٦٦) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٣٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

ويُحدد الوقت الذي يسلمه إياه فيه .

أو بمعنى آخر هو أن يشتري رجل طعامًا من رجل آخر ، يُقدم أحد الرجلين المال على أن يقدم له الآخر الطعام لكن في وقت لاحق ، ويكون المال معلوم القيمة ، والطعام معلوم الوزن ، أو الكيل ، ويُحدد الزمن الذي يُسلَّم فيه الطعام .

والدليل على جوازه من كتاب الله قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، فقد حملها بعض أهل العلم على السَّلم[1] .

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال[2] : أشهد أن السلف المضمون إلى أجلٍ مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه ، ثم قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

والدليل من السنة ما أخرجه البخاري ومسلم[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة والناس يسلفون في الثمر العام والعامين ، أو قال : عامين أو ثلاثة ، فقال : « من سلف في تمرٍ فليُسلف في كيلٍ معلوم ، ووزنٍ معلوم » ، وفي رواية : « إلى أجل معلوم » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو وجه الأمر بأن يكتب الكاتب بين المدين والدائن ؟

ج : وجه ذلك أن الكُتاب كانوا قليلين ، فقد قال الرسول ﷺ :

---

(١) قال القرطبي : ثم هي تتناول جميع المداينات إجماعًا .

(٢) الأم للشافعي (٣/١٣٥) ، وعبد الرزاق في المصنف (١٤٠٦٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/١٨ ، ١٩) ، وفي معرفة السنن والآثار (٨/١١٥٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري حديث (٢٢٣٩) ، ومسلم (١٦٠٤) .

« إنا أمةٌ أمية »[1] ، فإذا تأخر كاتب وامتنع عن الكتابة أثّر امتناعه على حفظ الحقوق بين الناس ، وعلى امتثال أمر الله : ﴿ إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

● ووجه آخر ذكره ابن العربي رحمه الله (في أحكام القرآن) : أنه لما كان الذي له الدَّين يُتهم في الكتابة للذي عليه ، وكذلك بالعكس شرع الله سبحانه كاتبًا يكتب بالعدل ، لا يكون في قلبه ، ولا في قلمه هوادة لأحدهما على الآخر ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجب على الكاتب أن يكتب ، أم يستحب له ذلك ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يجب على الكاتب أن يكتب إذا لم يوجد كاتب غيره ، ومن هؤلاء الطبري رحمه الله ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، ومن أهل العلم من قال : إن ذلك على الاستحباب ، لأن أصل الكتابة على الاستحباب ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

س : هل يجوز للكاتب أن يأخذ أجرًا على كتابة الوثيقة ؟

ج : نعم ، يجوز له ذلك إذ لا مانع من ذلك ، قال القرطبي رحمه الله : ولم يختلف العلماء في جواز أخذ الأجرة على كتابة الوثيقة ، والله أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩١٣) ، ومسلم (ص ٧٦١) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

س : وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله فليكتب ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : ولا يمتنع كاتب دُعي إلى كتابة الدَّين من الكتابة ، فكما أن الله عز وجل منَّ عليه وعلَّمه الكتابة فليتصدق هو كذلك على الخلق ، وليكتب لهم ما أرادوه بالعدل ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ [القصص : ٧٧] ، وذلك – والله أعلم – لأن الكتابة كانت قليلة فيهم .

وثم وجه آخر في قوله تعالى : ﴿ كما علمه الله فليكتب ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ألا وهو : فليكتب بالحق الذي علَّمه الله إياه .

***

س : لماذا يُملل الذي عليه الحق ؟

ج : لأن إملاءه يُعدُّ إقرارًا منه بأن الدَّين عليه ، والله أعلم .

***

س : من المراد بالولي في قوله تعالى : ﴿ فليملل وليه ﴾ [البقرة :٢٨٢] ؟

ج : ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد بالولي : ولي السفيه .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالولي : ولي الحق أي : صاحب الحق ، وتعقب الأولون هذا القول بأن قالوا : كيف يقتبل قول المدَّعي ، وما الحاجة إذن إلى الكتابة والإشهاد ما دام القول قوله ؟!!

***

س : لماذا احتيج إلى شهادة امرأتين مكان الرجل ؟

ج : ذلك – والله أعلم – لقلة عقل النساء ، كما قال النبي ﷺ : « ما

رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن »[1] .

* * *

س : هل تجوز شهادة الكفار ، أو الصبيان على الديون ؟ وهل تشترط العدالة في الشهود ؟

ج : لا تجوز لقوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

والعدالة تشترط لقوله تعالى : ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، والله أعلم .

* * *

س : قوله تعالى : ﴿ ولا يأب الشهداء إذا ما دعُوا ﴾ [البقرة : ٢٨٢] دُعُوا إلى ماذا ؟

ج : ﴿ دُعُوا ﴾ محتملة للأمرين ، إما أنهم دعوا للشهادة عند كتابة الدَّين ، أو دعوا للإقرار بالشهادة حينما تطلب منهم ، والله تعالى أعلم .

* * *

س : ما مدى صحة حديث : قضى رسول الله ﷺ بالشاهد واليمين ؟ وهل هو في الأموال فقط أم هو عام ؟

ج : الحديث صحيح ، وهو في الأموال فقط ، وذلك لإجماع العلماء القائلين باعتبار الشاهد واليمين[2] على ذلك .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤) ، ومسلم (حديث ٨٠) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) نقل هذا الإجماع القاضي أبو محمد عبد الوهاب ، كما نقله عنه القرطبي رحمه الله تعالى .

س : ما مدى صحة حديث : « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه ، ورجل آتى سفيهًا ماله ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ [النساء : ٥] » ؟

ج : الحديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وهو بهذا اللفظ عند البيهقي في السنن الكبرى .

ووجه ضعف هذا الحديث يظهر إذا جمعت طرقه ، فالحديث مروي من طريق الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه ؛ فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده ، فله أجران ، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها ؛ فله أجران »[١] .

رواه عن الشعبي جمع من الرواة منهم : صالح بن صالح الهمداني[٢] ، ومطرف[٣] ، والفضل بن يزيد[٤] ، وعبد الله بن حبيب بن أبي ثابت[٥] ، وفراس بن يحيى[٦] ، وبعض هؤلاء روى الحديث مطولًا بنحو الذي ذكرناه ، وبعضهم رواه مختصرًا مقتصرًا على بعض فقراته .

إلا أن أحد هؤلاء الرواة اختلف عليه وهو فراس بن يحيى ، فرواه عنه

---

(١) لفظ مسلم حديث (١٥٤) .
(٢) روايته عند البخاري (٥٠٨٣) ، ومسلم (١٥٤) .
(٣) روايته عند البخاري (٢٥٤٤) ، ومسلم (ص ١٠٤٥) ، مختصرة .
(٤) روايته عند الترمذي (١١١٦) .
(٥) وروايته عند الطبراني في الصغير (١/٤٤) .
(٦) وروايته عند أحمد (٤/٤٠٥) .

معمر[1] كرواية الجماعة الذين ذكرناهم ، ورواه عنه شعبة ، واختلف على شعبة ، فرواه جم غفير عن شعبة بنحو رواية الجماعة ، ورواه البعض عن شعبة بلفظ آخر ، وهو : « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم .... » .

ثم هؤلاء الذين رووه عن شعبة بهذا اللفظ منهم من ذكره عن أبي موسى موقوفًا عليه ، وهم أصحاب شعبة الأثبات كغندر ويحيى بن سعيد وروح ، ومنهم قوم أغلبهم ضعفاء رووه عن أبي موسى مرفوعًا ، وثمَّ أوجه أُخر للخلاف في هذا الحديث ، فالذي نراه أنه وهمٌ .

* * *

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ إلا أن تكون تجارةً حاضرةً ... ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : أي : إذا كان البيع بالحاضر يدًا بيد فلا بأس بعدم الكتابة ، والله أعلم .

* * *

س : هل الإشهاد على البيوع واجب ؟

ج : من أهل العلم من ذهب إلى وجوبه مستدلًّا بقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

ومنهم من ذهب إلى عدم وجوبه – وهو الصحيح – ؛ وذلك لما أخرجه أحمد[2] من حديث عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه – وهو من أصحاب النبي ﷺ – أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ

(١) كما عند أحمد (٤٠٥/٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥/٥) ، وأبو داود (٣٦٠٧) ، والنسائي (٣٠١/٧) .

ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي ، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس ، لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه ، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه ، وإلا بعته ، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : « أو ليس قد ابتعته منك » ، قال الأعرابي : لا والله ما بعتك ، فقال النبي ﷺ : « بلى قد ابتعته منك » ، فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان ، فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيدًا يشهد أني بايعتك ، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقًّا ، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ، ومراجعة الأعرابي ، فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيدًا يشهد أني بايعتك قال : خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته ، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال : « بم تشهد ؟ » ، فقال : بتصديقك يا رسول الله ﷺ ، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين .

***

س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ ولا يُضار كاتبٌ ولا شهيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؟

ج : هذا محتمل لوجهين :

الوجه الأول : أن الكاتب والشهيد يتسببان في إلحاق الضرر بالدائن ، أو المدين.

ولذلك صور :

الأولى : أن يمتنع الكاتب من الكتابة ، ويمتنع الشاهد من الشهادة .

الثانية : أن يكتب الكاتب ما لم يُمل عليه ، ويشهد الشاهد على شيء

لم يشهده[1] .

الوجه الثاني : أن يُؤذى الكاتب أو الشهيد من قِبَل الدائن ، أو المدين فيدعوهما الدائن ، أو المدين في وقتٍ ، وهما مشغولان فيه ، وإذا تخلفا ألحقا بهما الأذى ، ونالا منهما بألسنتهما ، أو يهددهما الدائن إذا لم يشهدا له ، أو المدين إذا شهدا عليه ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : تقوى الله عز وجل سبب لإنعام الله على العبد بالعلم والبصيرة ، دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

● قوله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

● قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم ... ﴾ [الحديد :٢٩] .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج الطبري (٦٤٠٨) ، بإسنادٍ صحيح إلى طاووس قال في قوله : ﴿ ولا يُضار كاتبٌ ولا شهيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يُمل عليه ، ولا شهيد ، فيشهد بما لم يستشهد .

وأخرج بإسنادٍ صحيح (٦٤٠٩) عن الحسن ﴿ لا يُضار كاتبٌ ﴾ [البقرة :٢٨٢] ، فيزيد شيئًا ، أو يحرِّف ﴿ وَلا شهيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، قال : لا يكتم الشهادة ، ولا يشهد إلا بحق .

وأخرج بإسنادٍ حسن عن قتادة (٦٤١٠) ، قال : اتقى الله شاهدٌ في شهادته لا ينقص منها حقًّا ، ولا يزيد فيها باطلًا ، اتقى الله كاتب في كتابه ، فلا يدعنَّ منه حقًّا ، ولا يزيدنَّ فيه باطلًا .

س : اذكر بعض الفوائد التي اشتملت عليها آية الدَّين ؟

ج : أجمل السعديُّ القول في هذا المقام فقال :

احتوت هذه الآيات ، على إرشاد البارى عباده في معاملاتهم ، إلى حفظ حقوقهم بالطرق النافعة والإصلاحات التي لا تقترح العقلاء أعلى ولا أكمل منها ، فإن فيها فوائد كثيرة .

منها : جواز المعاملات في الديون ، سواء كانت ديون سلم أو شراء مؤجلًا ثمنه ، فكله جائز ، لأن الله أخبر به عن المؤمنين ، وما أخبر به عن المؤمنين ، فإنه من مقتضيات الإيمان ، وقد أقرهم عليه الملك الديان .

ومنها : وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وحلول الإجارات .

ومنها : أنه إذا كان الأجل مجهولًا ، فإنه لا يحل ، لأنه غرر وخطر ، فيدخل في الميسر .

ومنها : أمره تعالى ، بكتابة الديون .

وهذا الأمر قد يجب ، إذا وجب حفظ الحق ، كالذي للعبد عليه ولاية ، وكأموال اليتامى ، والأوقاف ، والوكلاء ، والأمناء .

وقد يقارب الوجوب ، كما إذا كان الحق متمحضًا للعبد ، فقد يقوى الاستحباب ، بحسب الأحوال المقتضية لذلك .

وعلى كل حال ، فالكتابة من أعظم ما تحفظ به هذه المعاملات المؤجلة ، لكثرة النسيان ، ولوقوع المغالطات ، وللاحتراز من الخونة الذين لا يخشون الله تعالى .

ومنها : أمره تعالى للكاتب أن يكتب بين المتعاملين بالعدل ، فلا يميل مع أحدهما لقرابة ولا غيرها ، ولا على أحدهما ، لعداوة ونحوها .

ومنها : أن الكتابة بين المتعاملين من أفضل الأعمال ، ومن الإحسان إليهما .

وفيها حفظ حقوقهما ، وبراءة ذممهما كما أمره الله بذلك .

فليحتسب الكاتب بين الناس ، هذه الأمور ليحظى بثوابها .

ومنها : أن الكاتب لا بد أن يكون عارفًا بالعدل ، معروفًا بالعدل .

لأنه إذا لم يكن عارفًا بالعدل ، لم يتمكن منه .

وإذا لم يكن معتبرًا عدلًا عند الناس رضيًّا ، لم تكن كتابته معتبرة ، ولا حاصلًا بها المقصود ، الذي هو حفظ الحقوق .

ومنها : أن من تمام الكتابة والعدل فيها ، أن يحسن الكاتب الإنشاء ، والألفاظ المعتبرة ، في كل معاملة بحسبها .

وللعرف في هذا المقام ، اعتبار عظيم .

ومنها : أن الكتابة من نعم الله على العباد ، التي لا تستقيم أمورهم الدينية ، ولا الدنيوية إلا بها ، وأن من علمه الله الكتابة ، فقد تفضل عليه بفضل عظيم .

فمن تمام شكره لنعمة الله تعالى ، أن يقضي بكتابته حاجات العباد ، ولا يمتنع من الكتابة ؛ ولهذا قال : ﴿ ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

ومنها : أن الذي يكتبه الكاتب ، هو اعتراف مَنْ عليه الحق ، إذا كان يحسن التعبير عن الحق الذي عليه .

فإن كان لا يحسن ذلك – لصغره ، أو سفهه ، أو جنونه ، أو خرسه ، أو عدم استطاعته – أملى عنه وليه ، وقام وليه في ذلك مقامه .

ومنها : أن الاعتراف من أعظم الطرق ، التي تثبت بها الحقوق ، حيث أمر الله تعالى أن يكتب الكاتب ، ما أملى عليه مَنْ عليه الحق .

ومنها : ثبوت الولاية على القاصرين ، من الصغار ، والمجانين ، والسفهاء

ونحوهم .

ومنها : أن الولي يقوم مقام موليه ، في جميع اعترافاته المتعلقة بحقوقه .

ومنها : أن من أمنته في معاملة ؛ وفوضته فيها ؛ فقوله في ذلك مقبول . وهو نائب منابك ؛ لأنه إذا كان الولي على القاصرين ؛ ينوب منابهم .

فالذي وليته باختيارك ؛ وفوضت إليه الأمر ، أولى بالقبول ، واعتبار قوله ، وتقديمه على قولك ؛ عند الاختلاف .

ومنها : أنه يجب على الذي عليه الحق – إذا أملى على الكاتب – أن يتقي الله ؛ ولا يبخس الحق الذي عليه ؛ فلا ينقصه في قدره ؛ ولا في وصفه ؛ ولا في شرط من شروطه ؛ أو قيد من قيوده .

بل عليه أن يعترف بكل ما عليه من متعلقات الحق ؛ كما يجب ذلك إذا كان الحق على غيره له .

فمن لم يفعل ذلك ؛ فهو من المطففين الباخسين .

ومنها : وجوب الاعتراف بالحقوق الخفية ؛ وأن ذلك من أعظم خصال التقوى ؛ كما أن ترك الاعتراف بها من نواقض التقوى ونواقصها .

ومنها : الإرشاد إلى الإشهاد في البيع .

فإن كانت في المداينات ؛ فحكمها حكم الكتابة كما تقدم ؛ لأن الكتابة هي كتابة الشهادة .

وإن كان البيع بيعًا حاضرًا ؛ فينبغي الإشهاد فيه .

ولا حرج فيه بترك الكتابة ؛ لكثرته ، وحصول المشقة فيه .

ومنها : الإرشاد إلى إشهاد رجلين عدلين .

فإن لم يمكن ، أو تعذر ، أو تعسر ، فرجل وامرأتان .

وذلك شامل لجميع المعاملات ، بيوع الإدارة ، وبيوع الديون وتوابعها

من الشروط والوثائق ، وغيرها .

وإذا قيل : قد ثبت أنه ﷺ قضى بالشاهد الواحد مع اليمين ، والآية الكريمة ليس فيها إلا شهادة رجلين ، أو رجل وامرأتين .

قيل : الآية الكريمة، فيها إرشاد الباري عباده إلى حفظ حقوقهم .

ولهذا أتى فيها بأكمل الطرق ، وأقواها .

وليس فيها ، ما ينافي ما ذكره النبي ﷺ من الحكم بالشاهد واليمين .

فباب حفظ الحقوق في ابتداء الأمر ، يرشد فيه العبد إلى الاحتراز (التحفظ التام) .

وباب الحكم بين المتنازعين ، ينظر فيه إلى المرجحات والبينات ، بحسب حالها .

ومنها : أن شهادة المرأتين ، قائمة مقام الرجل الواحد ، في الحقوق الدنيوية .

وأما في الأمور الدينية – كالرواية والفتوى – فإن المرأة فيه ، تقوم مقام الرجل ، والفرق ظاهر بين البابين .

ومنها : الإرشاد إلى الحكمة في كون شهادة المرأتين عن شهادة الرجل ، وأنه لضعف ذاكرة المرأة غالبًا ، وقوة حافظة الرجل .

ومنها : أن الشاهد لو نسي شهادته ، فذكره الشاهد الآخر ، فذكر أنه لا يضر ذلك النسيان ، إذا زال بالتذكير لقوله : ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، ومن باب أولى ، إذا نسي الشاهد ، ثم ذكر من دون تذكير ، فإن الشهادة مدارها على العلم واليقين .

ومنها : أن الشهادة لا بد أن تكون عن علم ويقين ، لا عن شك .

فمتى صار عند الشاهد ، ريب في شهادته – ولو غلب على ظنه – لم

يحل له أن يشهد إلا بما يعلم .

ومنها : أن الشاهد ليس له أن يمتنع ، إذا دعي للشهادة ، سواء دعي للتحمل أو للأداء .

وأن القيام بالشهادة من أفضل الأعمال الصالحة ، كما أمر الله بها ، وأخبر عن نفعها ومصالحها .

ومنها : أنه لا يحل الإضرار بالكاتب ، ولا بالشهيد ، بأن يدعيا في وقت أو حالة ، تضرهما .

وكما أنه نهي لأهل الحقوق والمتعاملين ، وأن يضاروا الشهود والكُتَّاب ، فإنه أيضًا ، نهي للكاتب والشهيد ، أن يضار المتعاملَين أو أحدهما .

وفي هذا أيضًا أن الشاهد والكاتب - إذا حصل عليهما ضرر في الكتابة والشهادة - أنه يسقط عنهما الوجوب .

وفيها : التنبيه على أن جميع المحسنين الفاعلين للمعروف ، ولا يحل إضرارهم ، وتحميلهم ما لا يطيقون ، فـ ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وكذلك على من أحسن وفعل معروفًا ، أن يتمم إحسانه بترك الإضرار القولي والفعلي ، بمن أوقع به المعروف ، فإن الإحسان ، لا يتم إلا بذلك .

ومنها : أنه لا يجوز أخذ الأجرة على الكتابة والشهادة ، حيث وجبت ، لأنه حق أوجبه الله على الكاتب والشهيد ، ولأنه من مضارة المتعاملين .

ومنها : التنبيه على المصالح والفوائد المترتبة على العمل بهذه الإرشادات الجليلة ، وأن فيها حفظ الحقوق والعدل ، وقطع التنازع ، والسلامة من النسيان والذهول ، ولهذا قال : ﴿ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وهذه مصالح ضرورية للعباد .

ومنها : أن تعلم الكتابة من الأمور الدينية ، لأنها وسيلة إلى حفظ الدين والدنيا ، وسبب للإحسان .

ومنها : أن من خصه الله بنعمة من النعم ، يحتاج الناس إليها ، فمن تمام شكر هذه النعمة ، أن يعود بها على عباد الله ، وأن يقضي بها حاجتهم ، لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة ، بتذكير الكاتب بقوله : ﴿ كما علمه الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

ومع هذا : « فمن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته » .

ومنها : أن الإضرار بالشهود والكتاب ، فسوق بالإنسان .

فإن الفسوق هو : الخروج عن طاعة الله إلى معصيته ، وهو يزيد وينقص ، ويتبعض .

ولهذا لم يقل : (فأنتم فساق) ، أو (فاسقون) ، بل قال : ﴿ فإنه فسوق بكم ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

فبقدر خروج العبد عن طاعة ربه ، فإنه يحصل به من الفسوق ، بحسب ذلك .

واستدل بقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، أن تقوى الله وسيلة إلى حصول العلم .

وأوضح من هذا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، أي : علمًا تفرقون به بين الحقائق ، والحق والباطل .

ومنها : أنه كما أنه من العلم النافع ، تعليم الأمور الدينية المتعلقة بالعبادات ، فمنه أيضًا ، تعليم الأمور الدنيوية المتعلقة بالمعاملات ، فإن الله تعالى ، حفظ على العباد أمور دينهم ودنياهم ، وكتابه العظيم فيه تبيان كل شيء .

ومنها : مشروعية الوثيقة بالحقوق ، وهي الرهون والضمانات ، التي

تكفل للعبد حصوله على حقه ، سواء عامل برًّا ، أو فاجرًا أو أمينًا أو خائنًا .

فكم في الوثائق ، من حفظ حقوق ، وانقطاع منازعات .

ومنها : أن تمام الوثيقة في الرهن ، أن يكون مقبوضًا .

ولا يدل ذلك ، على أنه لا يصح الرهن إلا بالقبض ، بل التقييد بكون الرهن مقبوضًا ، يدل على أنه قد يكون مقبوضًا ، تحصل به الثقة التامة ، وقد لا يكون مقبوضًا ، فيكون ناقصًا .

ومنها : أنه يستدل بقوله : ﴿ فرهان مقبوضة ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، أنه إذا اختلف الراهن والمرتهن في مقدار الدين الذي به الرهن ، أن القول قول المرتهن صاحب الحق ، لأن الله جعل الرهن وثيقة به .

فلولا أنه يقبل قوله في ذلك ، لم تحصل به الوثيقة لعدم الكتابة والشهود .

ومنها : أنه يجوز التعامل بغير وثيقة ، ولا شهود ، لقوله : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، ولكن في هذه الحال يحتاج إلى التقوى والخوف من الله ، وإلا فصاحب الحق مخاطر في حقه ، ولهذا أمر الله في هذه الحال مَنْ عليه الحق ، أن يتقي الله ويؤدي أمانته .

ومنها : أن من ائتمنه معامله ، فقد عمل معه معروفًا عظيمًا ، ورضي بدينه وأمانته .

فيتأكد على من عليه الحق ، أداء الأمانة من الجهتين :

أداء لحق الله ، وامتثالًا لأمره ، ووفاء بحق صاحبه ، الذي رضي بأمانته ، ووثق به .

ومنها : تحريم كتم الشهادة ، وأن كاتمها قد أثم قلبه ، الذي هو ملك الأعضاء .

وذلك لأن كتمها ، كالشهادة بالباطل والزور ، فيها ضياع الحقوق ، وفساد المعاملات ، والإثم المتكرر في حقه ، وحق من عليه الحق .

وأما تقييد الرهن بالسفر - مع أنه يجوز حضرًا وسفرًا - فللحاجة إليه لعدم الكاتب والشهيد .

وختم الآية بأنه : ﴿ عليم ﴾ [البقرة : ٢٨٣] بكل ما يعمله العباد ، كالترغيب لهم في المعاملات الحسنة ، والترهيب من المعاملات السيئة .

* * *

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

س : ما معنى ما يلي :
رهان - آثم قلبه ؟

ج :

الكلمة	معناها
رهان	جمع رهن[1] .
آثم قلبه	فاجر قلبه .

❋ ❋ ❋

(١) وسيأتي معناه إن شاء الله .

س : ما معنى الرهن ؟

ج : الرهن هو : شيء يقدمه المدين للدائن كي يضمن به الدائن حقه إذا لم يسدده المدين ، فيأخذ الدائن حقه من ثمن الشيء المرهون ، أو من ثمن منافعه عند تعذر أخذه من الغريم .

❋ ❋ ❋

س : الرهن في السفر جائز لهذه الآية : ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا فرهانٌ مقبوضةٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ، فهل يجوز الرهن في الحضر ؟

ج : نعم يجوز الرهن في الحضر ، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث أنس(١) رضي الله عنه قال : (ولقد رهن رسول الله ﷺ درعه بشعيرٍ ...) ، ومن حديث عائشة(٢) رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى من يهوديٍّ طعامًا إلى أجل ورهنه درعه .

❋ ❋ ❋

س : لماذا ذُكر القلب في قوله تعالى : ﴿ فإنه آثمٌ قلبه ﴾ [البقرة : ٢٨٣] ؟

ج : لأن كتمان الشهادة هو : إضمارها في القلب ، وعدم إظهارها ، فإثم ذلك متعلق بالقلب ، ومن ثمَّ قيل : ﴿ فإنه آثمٌ قلبه ﴾ .

ثم إن القلب هو المضغة التي بصلاحها يصلح سائر الجسد ، وبفسادها يفسد ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٠٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٠٩) ، ومسلم (حديث ١٦٠٣) .

لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

س : هل هذه الآية منسوخة : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ؟

ج : ذهب إلى ذلك فريق من أهل العلم كابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، رضي الله عنهم ، فقد أخرج البخاري(١) من طريق مروان الأصفر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أحسبه ابن عمر(٢) - ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ... ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : نسختها الآية التي بعدها(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٦) .

(٢) في رواية البخاري (٤٥٤٥) ، الجزم بأنه ابن عمر .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٨/٥٥) :

قوله : (نسختها الآية التي بعدها) ، قد عرف بيانه من حديثي ابن عباس وأبي هريرة ، والمراد بقوله : نسختها أي : أزالت ما تضمنته من الشدة وبينت أنه وإن وقعت المحاسبة به لكنها لا تقع المؤاخذة به ، أشار إلى ذلك الطبري فرارًا من إثبات دخول النسخ في الأخبار ، وأجيب بأنه وإن كان خبرًا لكنه يتضمن حكمًا ، ومهما كان من الأخبار يتضمن الأحكام أمكن دخول النسخ فيه كسائر الأحكام ، وإنما الذي لا يدخله النسخ من الأخبار ما كان خبرًا محضًا لا يتضمن حكمًا كالإخبار عما مضى من أحاديث الأمم ، ونحو ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص ، فإن المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيرًا ، والمراد بالمحاسبة بما يخفي الإنسان ما يصمم عليه ويشرع فيه دون ما يخطر له ، ولا يستمر عليه ، والله أعلم .

● وسيأتي في سبب نزول الآية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم أن الله تعالى نسخها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة :٢٨٦] ، « قال : نعم » .

● وعند مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يُحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبهم من شيء ، فقال النبي ﷺ : « قولوا : سمعنا وأطعنا وسلمنا » ، قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لا يُكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » .

وقال بعض العلماء : إنها ليست منسوخة ، وإنما هي في حق كاتم الشهادة ، فمن كتمها أو أسرها فيحاسبه الله عليها .

قال الطبري رحمه الله :

يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، لله ملك كل ما في السموات وما في الأرض من صغير وكبير ، وإليه تدبير جميعه ، وبيده صرفه وتقليبه ، لا يخفى عليه منه شيء ، لأنه

مدبره ومالكه ومصرفه .

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادةَ ، يقول : لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ، ومن يكتمها يفجُرْ قلبه ، ولن يخفى عليَّ كتمانه ذلك ، لأني بكل شيء عليم ، وبيدي صرف كل شيء في السموات والأرض ومِلكه ، أعلمُ خفي ذلك وَجليَّه ، فاتقوا عقابي إياكم على كتمانكم الشهادة - وعيدًا من الله بذلك مَنْ كتمها ، وتخويفًا منه له به .

ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم في آخرتهم ، وبمن كان من نظَرائهم ممن انطوى كشحًا على معصية فأضمرها ، أو أظهر مُوبقة فأبداها من نفسه - من المحاسبة عليها فقال : ﴿ وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، يقول : وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حقِّ ربِّ المال الجحودَ والإنكار ، أو تخفوا ذلك فتضمروه في أنفسكم ، وغير ذلك من سيىء أعمالكم - ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، يعني بذلك : يحتسب به عليكم من أعمالكم ، فمجازٍ من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله ، وغافرٌ لمن شاء منكم من المسيئين .

وأخرج الطبري رحمه الله بإسنادٍ صحيح عن عكرمة قال : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : في الشهادة(١) .

وفي رواية عنه : هي الشهادة إذا كتمتها(٢) .

● ومن العلماء من قال : إن المنسوخ منها ما يتعلق بحديث النفس والوساوس والسلوك ، فقد قال النبي ﷺ : « إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلَّم »(٣) .

---

(١) الطبري أثر (٦٤٥٢) .

(٢) الطبري أثر (٦٤٥٣) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٢٨) ، ومسلم (١٢٧) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

● ومن العلماء من قال : لم تنسخ ، ولكن لا يلزم من المحاسبة المؤاخذة ، ومما يدل على ذلك حديث ابن عمر في النجوى[1] الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وفيه : أن رجلًا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى ؟ قال : « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه ، فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ قال : فيقول : نعم ، ويقول : عملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، فيقرره ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم » .

❋ ❋ ❋

س : الآيات الدالة على علم الله عز وجل بذات الصدور وحديث النفوس كثيرة اذكر بعضها ؟

ج : من هذه الآيات : قوله تعالى : ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

● وقوله تعالى : ﴿ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ﴾ [الأنبياء : ١١٠] .

● وقوله تعالى : ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ [طه :٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ [تبارك : ١٣] .

● وقوله تعالى : ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٥] .

● وقوله تعالى : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ... ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٤) ، ومسلم (حديث ٢٧٦٨) .

● وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق : ١٦] .

* * *

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا
وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ
عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ
أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦

س : اذكر معنى ما يلي :
غفرانك – المصير – وسعها – إصرًا – اعف عنا – اغفر لنا – مولانا ؟
ج :

الكلمة	معناها
غفرانك	مغفرتك ، والغفران : الستر على ذنوب من غفر له .
المصير	المرجع والمآب ، والمعاد .
وسعها	طاقتها – جهدها .
إصرًا	عهدًا – ثقلًا – الأمر الغليظ .
اعف عنا	تجاوز عن سيئاتنا ، ولا تؤاخذنا بها .
اغفر لنا	استر علينا ، ولا تفضحنا .
مولانا	ناصرنا – كافينا .

س : اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ؟

ج : من هذه الأحاديث : ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » .

● ومنها : ما أخرجه مسلم[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه ، فرفع رأسه فقال : « هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا أُعطيته » .

❋ ❋ ❋

س : ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ؟

ج : سبب نزولها هو ما أخرجه مسلم[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه يُحاسبكم به الله فَيغفر لمن يشاء ويُعذب من يشاء والله على كل شيء قديرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، قال : فاشتد ذلك

---

(١) البخاري (مع الفتح ٩/٥٥) ، ومسلم (مع النووي ٦/٩١) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٦) .
(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٢٥) .

على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب ، فقالوا : أي رسول الله ، كلفنا من الأعمال ما نطيق : الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، قال رسول الله ﷺ : « أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير » ، قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ؛ فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في أثرها : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله لا نُفرق بين أحدٍ من رُسُله وقالوا سمعنا وأطعنا غُفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل : ﴿ لا يُكلف الله نفسًا إلا وُسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » ، ﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : نعم » .

***

س : قوله تعالى : ﴿ لا نفرق بين أحدٍ من رسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥] فيه محذوف بيِّنه ؟

ج : المحذوف هو : (يقولون) ، فالمعنى : يقولون : لا نفرق بين أحدٍ من رسله ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم ﴾ [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] ، أي : يقولون : سلام عليكم بما صبرتم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا ... ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، فالمعنى :

ويتكفرون في خلق السموات والأرض قائلين : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك ... ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : المعنى – والله أعلم – : لها ما كسبت من الحسنات ، وعليها ما اكتسبت من السيئات .

❋ ❋ ❋

س : النسيان والخطأ موضوعان عن الشخص ابتداءً ، فلماذا سأل المؤمنون ربهم عز وجل أن لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا ؟

ج : طرح نحو هذا السؤال الطبري رحمه الله تعالى فقال :

إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يُؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا ، فيسألوه أن لا يؤاخذهم بذلك ؟

قيل : إن « النسيان » على وجهين : أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استُحفظ ووكِّل به ، وضعف عقله عن احتماله .

فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط ، فهو تَركٌ منه لما أمر بفعله ، فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به ، وهو « النسيان » الذي عاقب الله عز وجل به آدم صَلوات الله عليه ، فأخرجه من الجنة ، فقال في ذلك : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا ﴾ [طه : ١١٥] ، وهو « النسيان » الذي قال جل ثناؤه : ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ [الأعراف : ٥١] ،

فرغبةُ العبد إلى الله عز وجل بقوله : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا ، ما لم يكن تركُهُ ما ترك من ذلك تفريطًا منه فيه وتضييعًا ، كفرًا بالله عز وجل ، فإن ذلك إذا كان كفرًا بالله ، فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذةَ به غير جائزة ، لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به ، فمسألته فعلَ ما قد أعلمهم أنه لا يفعله ، خطأ ، وإنما تكون مسألته المغفرة ، فيما كان من مثل نسيانه القرآنَ بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ، ومثل نسيانه صلاةً ، أو صيامًا باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيَّعهما .

وأما الذي العبد به غيرُ مؤاخذ ، لعجز بِنْيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ما وُكل بمراعاته ، فإن ذلك من العبد غيرُ معصية ، وهو به غير آثم ، فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربَّه أن يغفره له ، لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب ، وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريصٌ على تذكره وحفظه ، كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجدٍّ منه فيقرأه ، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكن بعجز بنيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ذكرَ ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان ، فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الربِّ مغفرته ، لأنه لا ذنبَ للعبد فيه فيغفر له باكتسابه .

وكذلك لـ « الخطأ » وجهان :

أحدهما : من وجه ما نُهي عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة ، فذلك خطأ منه ، وهو به مأخوذ ، يقال منه : (خَطِىء فلان وأخطأ) فيما أتى من الفعل ، و (أثم) ، إذا أتى ما يأثم فيه وركبه ، ومنه قول الشاعر :

الناس يَلْحَوْن الأميرَ إذا هُمُ خَطِئُوا الصواب ولا يلام المرشَد

يعني : أخطأوا الصواب – وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في

صفح ما كان منه من إثم عنه ، إلا ما كان من ذلك كفرًا .

والآخر منهما : ما كان منه على وجه الجهل به ، والظن منه بأن له فعله ، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلًا وهو يحسب أن الفجر لم يطلع أو يؤخر صلاةً في يوم غيم ، وهو ينتظر بتأخيره إياها دخولَ وقتها ، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل ، فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد ، الذي وضعَ الله عز وجل عن عباده الإثم فيه ، فلا وجه لمسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه به .

وقد زعم قوم أن مسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه بما نسي ، أو أخطأ ، إنما هو فعلٌ منه لما أمرَه به ربُّه تبارك وتعالى ، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة ، فأما على وجه مسألته الصفحَ ، فما لا وجه له عندهم .

وللبيان عن هؤلاء كتاب سنأتي فيه إن شاء الله على ما فيه الكفاية ، لمن وفق لفهمه .

***

س : اذكر مثالًا ، أو مثالين للآصار التي كانت على الأمم من قبلنا ؟

ج : منها : أن التوبة عليهم أحيانًا كانت لا تتأتى إلا بأن يقتل بعضهم بعضًا ، كما قال تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم .... ﴾ [البقرة : ٥٤] .

ومنها : أنهم كانوا يُمسخون قردة وخنازير ، كما قال تعالى : ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ﴾ [الأعراف : ١٦٦] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .. ﴾ [المائدة : ٦٠] ، والله تعالى أعلم .

س : وضح معنى قول المؤمنين : ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ..... ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

ويعني بذلك جل ثناؤه : قولوا : ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، يعني بـ (الإصر) : العهد ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وإنما عنى بقوله : ﴿ ولا تحمل علينا إصرًا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ولا تحمل علينا عهدًا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه - ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، يعني : على اليهود والنصارى الذي كُلفوا أعمالًا ، وأُخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها ، فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة ، فعلَّم الله عز وجل أمة محمد ﷺ الرغبة إليه بمسألته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال - إن ضيعوها أو أخطأوا فيها أو نسوها - مثل الذي حَمَّل مَنْ قبلهم ، فيُحلُّ بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه ، مثلَ الذي أَحَلَّ بمن قبلهم .

❋ ❋ ❋

س : وضح معنى قول المؤمنين : ﴿ ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله : يعني بذلك جل ثناؤه : وقولوا أيضًا : ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا .

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة : ﴿ ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، تشديد يشدَّد به ، كما شدِّد على من كان قبلكم .

❋ ❋ ❋

س : ما الفرق بين العفو والمغفرة ؟

ج : العفو يطلق على المحو[1] والإزالة ، والمراد به هنا : محو الذنب ، وإسقاط العقاب .

أما المغفرة فالمراد بها : الستر على صاحب الذنب ، وعدم فضيحته ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

س : ما المراد بقول أهل الإيمان : ﴿ وارحمنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

يعني بذلك جل ثناؤه : تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك ، فإنه ليس بناج من عقابك أحد إلا برحمتك إياه دُون عمله ، وليست أعمالنا منجيتنا إن أنت لم ترحمنا ، فوفقنا لما يرضيك عنا .

وأخرج بسندٍ صحيح إلى ابن زيد قوله : ﴿ وارحمنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، قال يقول : لا ننال العمل بما أمرتنا به ، ولا تركَ ما نهيتنا عنه إلا برحمتك ، قال : ولم ينج أحد إلا برحمتك[2] .

❋ ❋ ❋

س : هل استجاب الله دعاء المؤمنين ؟

ج : نعم استجاب دعاءهم ، فوضع عنهم الآصار والأغلال التي كانت على الأمم مَن قبلهم ، قال الله تعالى في الحديث القدسي : « قد فعلت »[3] .

---

(١) ويطلق على الترك في غير هذا الموطن كقولهم : (عفا الأثر) ، أي : مُحي الأثر .
(٢) أثر (٦٥٣٣) .
(٣) أخرج مسلم (حديث ١٢٦) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : =

وقال سبحانه : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، والله تعالى أعلم .

❋ ❋ ❋

= لما نزلت هذه الآية : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء ، فقال النبي ﷺ : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » ، قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » ، ﴿ واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، « قال : قد فعلت » .

الخاتمــة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد ، فبهذا القدر من الأسئلة مع أجوبتها على سورة البقرة نكتفي ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها وسائر المسلمين ، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتنا يوم نلقاه .

وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد ، وله النعمة والفضل والثناء الحسن ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ، ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، ولا أنزه نفسي عن الخطأ والنسيان والقصور ، وأسأل الله أن يغفر لي خطئي ونسياني وتقصيري ، ثم أرجو من إخواني أهل الإسلام ، وأهل العلم والفضل أن يوافوني بملاحظاتهم ونصائحهم ، فالدين النصيحة كما قال النبي ﷺ .

هذا ، وأسأل الله سبحانه أن ينصر الإسلام وأهله ، وأن يخذل الشرك والمشركين ، ويخزيهم ، وأن يشفي صدور قومٍ مؤمنين .

وختامًا نشكر الله سبحانه وتعالى ، ثم نشكر كلًّا من أخينا (عبد الله الموسى) ، وأخاه (مسفر) لما ساعدانا به من كتب وحسن ضيافة أثناء كتابة هذا البحث ، وكذلك نشكر أخانا (أبا محمد يوسف العطير) لما هيأهُ من جوٍّ مناسب ، وحسن ضيافة ، وكرم أخلاق ، ومعروف زائد أثناء كتابة هذا البحث ، فجزاهم الله خير الجزاء ، ونسأل الله أن يبارك لهم في ذرياتهم ، ويسكننا وإياهم الفردوس .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

مصر – الدقهلية – منية سمنود

ت : ٠٤٠/٩٦٠٦٧١

* * *

المراجع من كتب التفاسير(*) (1)

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) – لـ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) – دار المعارف بمصر ، دار الفكر ببيروت .
- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني – لـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ – ٢١١ هـ) – دار المعرفة ببيروت .
- تفسير سفيان الثوري – لـ سفيان الثوري (م ١٦١ هـ) – دار الكتب العلمية ببيروت .
- تفسير ابن أبي حاتم – لـ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (م ٣٢٧ هـ) – مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، دار طيبة بالرياض .
- تفسير سعيد بن منصور – لـ سعيد بن منصور (م ٢٢٧ هـ) – الصميعي (الرياض) .

(*) مع ذكر اسم الكتاب ومؤلفه وزمن وفاته ودار النشر التي نشرته .

(١) من هذه التفاسير تفاسير وقع مؤلفوها في أخطاءٍ شديدة ، وحادوا في جملة مسائل عن منهج أهل السنة والجماعة ، ولكننا نأخذ من أقوالهم ما صح ، ونذر لهم ما أخطأوا فيه وزلت فيه أقدامهم ، وندعو الله عز وجل أن يتجاوز عن سيئاتهم ، فلا مانع لدينا من قبول الصحيح من أقوالهم التي وافقت أقوال أهل السنة والجماعة ، ولا مانع أيضًا أن ننبه على المسائل التي أخطأوا فيها حتى يحذرها إخواننا القراء .

وقد قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة – لما ذكر الشيطان لأبي هريرة أن قراءة آية الكرسي سبب في أن لا يقربه شيطان حتى يصبح – : « صدقك وهو كذوب » ، وقد قدمنا في المقدمة طرف من الحديث على هذا ، وإن شاء الله سيكون في وقت لاحق دراسة شاملة للكتب مع بيان خصائص كل تفسير ومزاياه ، وما أخطأ فيه صاحبه ، وما أصاب .

وبالله التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- معاني القرآن – لـ أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (م ٢٠٧ هـ) – عالم الكتب .
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج – لـ أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (م ٣١١ هـ) – عالم الكتب .
- أحكام القرآن – لـ أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٤٦٨ – ٥٤٣ هـ) – دار الفكر .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لـ أبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٤٨١ – ٥٤٦هـ) – تحقيق المجلس العلمي بفاس .
- تفسير البحر المحيط – لـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤ – ٧٥٤ هـ) – توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .
- التسهيل لعلوم التنزيل – لـ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزَي الكلبي الغرناطي (٦٩٣ – ٧٤١ هـ) – الدار العربية للكتاب .
- النكت والعيون (تفسير الماوردي) – لـ أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤ – ٤٥٠ هـ) – دار الكتب العلمية .
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – لـ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- تفسير البغوي – لـ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (م ٥١٦ هـ) – دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض .
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – لـ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (م ٧٧٤ هـ) – عدة طبعات ومنها الطبعة المحققة للوادعي .
- زاد المسير في علم التفسير – لـ أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (٥٠٨ – ٥٩٧ هـ) – المكتب الإسلامي وطبعات أخرى .

- تفسير الكشاف – لـ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) – دار المعرفة ببيروت .
- التفسير الكبير (أو مفاتيح الغيب) – لـ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي الشافعي (٥٤٤ – ٦٠٤ هـ) – دار الكتب العلمية ببيروت .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم[1] والسبع المثاني – لـ شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (م ١٢٧ هـ) – مكتبة النهضة العربية .
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) – لـ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ – ١٣٣٢ هـ) – دار الفكر ببيروت .
- تفسير الجلالين – لـ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار المعرفة بيروت .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – لـ السيوطي – مطبعة الأنوار المحمدية .
- إعراب القرآن – لـ أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (م ٣٣٨ هـ) – عالم الكتب .
- فتح القدير – لـ محمد بن علي الشوكاني (م ١٢٥٠ هـ) – دار إحياء التراث العربي ببيروت .
- التفسير القيم – لـ ابن القيّم (٦٩١ – ٧٥١ هـ) – دار الكتب العلمية .
- التفسير الكبير لابن تيمية – لـ شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) – دار الكتب العلمية .
- معاني القرآن – لـ سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ٢١٥ – مكتبة الخانجي القاهرة .
- في ظلال القرآن – لـ سيد قطب – دار الشروق .
- التفسير المنير – لـ وهبة الزحيلي – دار الفكر بدمشق ، دار الفكر المعاصر ببيروت .

---

(١) وهذا التفسير من أبعد التفاسير عن نهج أهل السنة ، والذي قبله مليء كذلك بحشوٍ لا فائدة فيه بل وفي كثير من الأحيان فيه مضرة ، وكذلك الذي قبله المعتزلي .

- فتح البيان في مقاصد القرآن – لـ صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي البخاري (١٢٤٨ – ١٣٠٧ هـ) – المكتبة العصرية صيدا – ببيروت .
- عمدة التفسير (عن الحافظ ابن كثير) – اختصار وتحقيق أحمد شاكر .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – لـ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (م ١٣٩٣ هـ) – عالم الكتب .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – لـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ – ١٣٧٦ هـ) – دار المدني بجدة .
- تفسير أبي السعود – لـ أبي السعود محمد بن محمد العمادي – دار إحياء التراث العربي .
- مرويات الإمام أحمد في التفسير – جمع وتخريج حكمت بشير ياسين – مكتبة المؤيد بالسعودية .
- تفسير المنار – لـ محمد رشيد رضا – دار المعرفة .
- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل – لـ عبد القادر شيبة الحمد – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – لـ أبي بكر جابر الجزائري (واعظ بالمسجد النبوي) .
- صفوة التفاسير – لـ محمد علي الصابوني .
- الصحيح المسند من أسباب النزول – لـ أبي عبد الرحمن مقبل الوادعي – ابن تيمية بالقاهرة .
- أبواب التفسير من كتب الصحاح والسنن : (كصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وتفسير النسائي ، ومستدرك الحاكم ، وسائر أبواب التفسير من كتب السنن) .

❋ ❋ ❋

فهـرس الآيـات

* * *

فهـرس الأحاديـث

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الذال

باب الراء

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب العين

باب الفاء

باب القاف

إب الكاف

بـاب اللام

باب الميم

باب الهاء

فهـرس الأحاديـث القدسيـة

الموقوفات

***

فهـرس الموضوعـات

* * *

مطابع دار الصحيفة ت / ٠١٢٣٢٢٥٨٨١ تليفاكس / ٢٩٧٨٤٧٤